

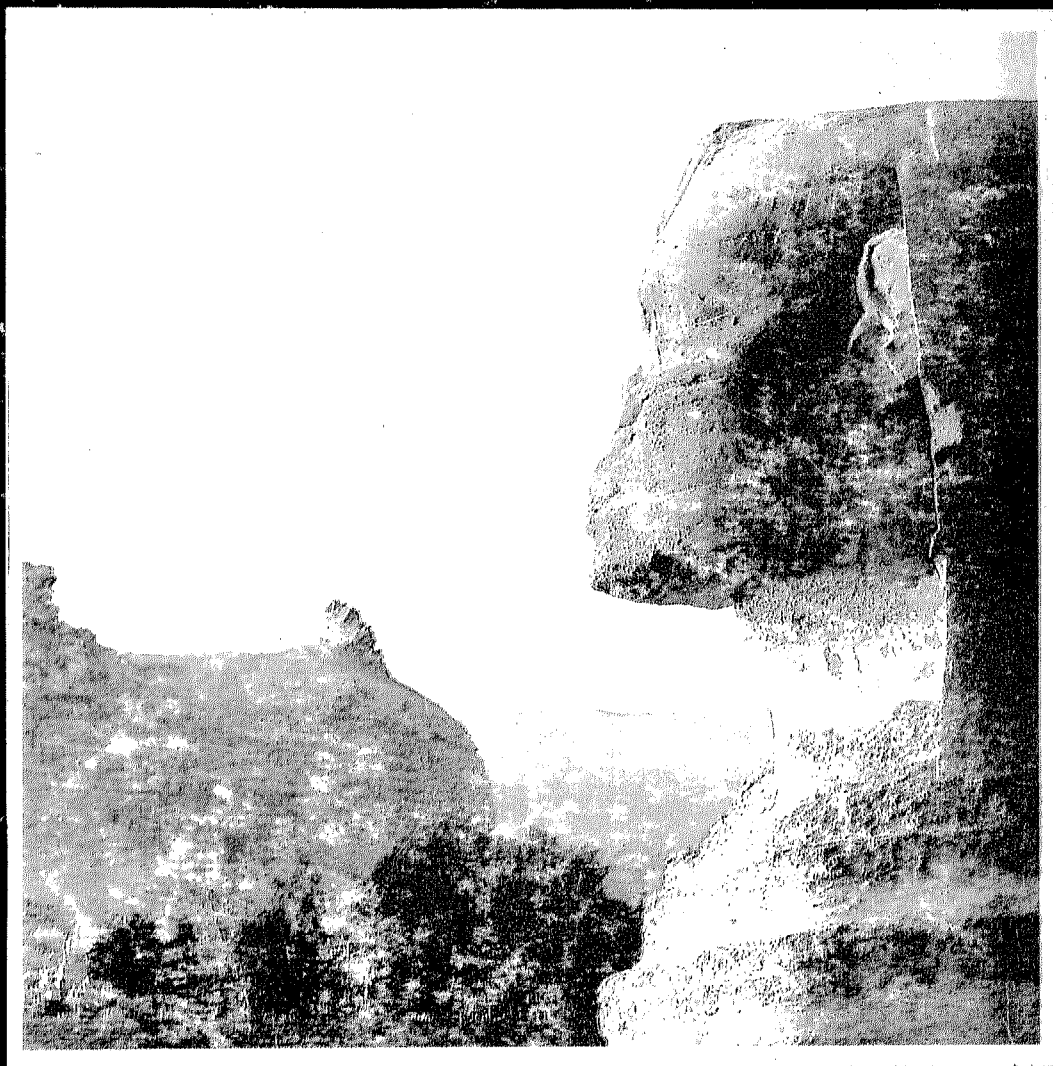


دار الفكر
للدراسات
والنشر والتوزيع

تاريخ مصر القديمة

نيقولا جريمال

ترجمة: سامر جويجاني - مراجعة: د. زكية طه



تَارِيخُ مُصْرِ الْفِدْوَةِ

تصميم الغلاف : عماد حليم

الطبعة الثانية
القاهرة ١٩٩٣
جميع الحقوق محفوظة



القاهرة - باريس
القاهرة: ش.ش.م. ليب - رقم ٤٢/٢٥
مدينة نصر - المنطقة الشامية

تليفون: ٧٤٠٠٧٢٥

صدر هذا الكتاب بالتعاون مع
البعثة الفرنسية
للأبحاث والتعاون
قسم الترجمة - القاهرة



نيقولا جريمال

تاريخ مصير الفردية

ترجمة: مساهر جويجياتي

مراجعة: د. زكية طبوزاده

الطبعة الثانية
مصححة ومنقحة



ترجمة لكتاب

NICOLAS GRIMAL

**HISTOIRE
DE L'ÉGYPTÉ
ANCIENNE**

FAYARD

35-14-7963-01
ISBN 2-213-02191-0
Dépôt légal : novembre 1988
N° d'éditeur : 1120
N° d'imprimeur : 5487

مقدمة

لم يعد لكتابة التاريخ المصرى القديم ذلك الطابع المغامر الذى ظل يكتنفها حتى مطلع القرن العشرين. فمنذ ان وضع "جاستون ماسپرو Gaston Maspero - فى اوج انتشار النزعة العلمية - كتابه الضخم " تاريخ شعوب الشرق القديم " ، وأخرج من بعده بعدة سنوات جيمس هنرى برستد J.H.Breasted كتابه " تاريخ مصر " ، غدا هذان الكتابان وإلى اليوم ، أساسا لمعظم الدراسات التجميعية . ومع هذا فليس ببعيد ذلك الزمن الذى كانت فيه الحضارة المصرية تعاني من غموض واضح ، بالمقارنة بتاريخ الحضارات الأخرى ، وذلك تحت تأثير " الكتاب المقدس " والمعلومات المتوارثة عن الكتاب الكلاسيكيين . ويشهد على ذلك هذا الجدل الطويل الذى أورثه القرن التاسع عشر لقرننا الحالى حول التسلسل التاريخى .

ففى معترك هذا الجدل حدثت مواجهة بين أنصار التسلسل " الممتد " للأحداث التاريخية وهم عادة الذين لم يلتزموا بالأساليب العلمية فى معالجة الوثائق التى بين أيديهم ، وبين المنادين بكتابة التاريخ بعيدا عن الشاعرية ، مع قدر أكبر من الاعتماد على معطيات علم الآثار . وفى نهاية المطاف خفت حدة هذا الجدل ، وانتهى الأمر فى الوقت الراهن إلى شبه إجماع بين العلماء على الأخذ بالتسلسل القصير الموحد للأحداث التاريخية ، وإن كانت خلافاتهم اقتصرت على أجيال معدودة ، يضيفها البعض أو يستبعدونها البعض الآخر . فإذا كان العلماء قد توصلوا الآن إلى اتفاق فى رأى حول الخطوط العريضة للألف الثانية و للألف الأولى قبل الميلاد ، فإن تقدم الأبحاث فى الوقت الراهن قد عاد بالمشكلة إلى بواكير التاريخ ، حيث تطرح من زاوية جديدة أصول الحضارة . وينطوى علم المصريات على العديد من المفارقات ليس أقلها شأناً أنه يتناول بالدراسة عصراً من أقدم عصور التاريخ القديم رغم كونه من أحدث العلوم عهداً على اعتبار أنه رأى النور قبل حوالى ١٥٠ سنة فقط على يدى جان فرانسوا شامبوليون Jean-François Champollion . كما أنه يتصدر الأبحاث التى تتناول أصول البشرية من خلال أرقى و آخر ما انتهى إليه العلم من أساليب تقنية .

لقد سحرت الحضارة المصرية ألباب جميع من اقتربوا منها ، رغم وقوفهم عاجزين عن سبر أغوار آليات هذا النظام بإنجازاته العظيمة التى تكشف عن حكمة راسخة وقدرة على

الاستمرار. وكان الإغريق بالتحديد من أوائل من شددوا الرجال إلى مصر . ولما عجزوا عن نقل قيمها الأساسية إلى مدنهم ، نشروا منذ وقت مبكر جدا عن مصر الصورة التي جاءوا يبحثون عنها. فهي منهل الفكر البشرى والبلد الجدير بالاحترام ، الحافظ للأسرار المستغلقة. لقد رأوا فيها مرحلة مجيدة ، ولكنها مرحلة فحسب بالنظر إلى كمال النموذج الإغريقى ... سبقتة ومهدت له .

إن الصورة التى رسموها للحضارة المصرية والبيئة التى ازدهرت فيها عكست هذا السحر الذى شدهم إليها ، وقدرأ من التحفظ حول عادات شابتها الشكوك والشبهات بسبب الظروف التى فرضت عليهم أن يجهلوا كل شئ تقريباً عن مصادرها . لقد قطع الإغريق البلاد طولاً وعرضاً بغرض استكشافها استكشافاً منتظماً . ففى القرن الخامس قبل الميلاد ، قام هيرودوت بتسجيل الحقائق التى عاصرها . أما الجغرافيا فكانت من نصيب ديودور الصقلى واسترابون الذى يصغره بجيل واحد . وقد أهلتها اقامتهما الطويلة على أرض مصر أن يدرساها عن كثب . وأخيراً وبعد مرور ستة قرون على بدء نشاط الإغريق فى مصر أماط بلوتارخ اللثام عن أسرار الديانة المصرية . والى جانب هذه المشاريع ظهرت أعمال أخرى نهلت مباشرة من المصادر المصرية ، بمعنى الكلمة ، ثم أعيد اكتشافها فى عهد البطالمة بفضل أبحاث قام بها أمثال مانتون ثم عالم الجغرافيا بطليموس .

أما الرومان فلم يقف اهتمامهم بمصر عند ثرواتها أو ثروة الإسكندر وورثته . صحيح أن انطونيوس وقيصر وجيرمانيكوس وهادريان وسبتيموس وغيرهم ، قد اقتفوا أثر الإسكندر، بيد أن أهداف بليينوس وتاكيوتوس ظلت مشابهة لأهداف أسلافهم من المؤرخين وعلماء الجغرافيا الإغريق. وإذا كانت مصر هى التربة التى هبأت للخلفاء أرسطو من أمثال ثيوفراستوس أن يتعمقوا فيما يدرسون من علوم ، فقد لقيت قيم مصر الشرقية صدى فى نفوسهم . ونلمس أولى هذه المظاهر فى روما مع مطلع القرن الثانى قبل الميلاد . ففى عام ١٨٦ ق.م على وجه التحديد اتخذ السناتو فى روما قراراً بإيعاز من كاتون لوقف تزايد تأثير العادات الشرقية التى اصطبغت باللامح اليونانية المنتشرة بين كاهنات الإله باخوس ، والتى كانت " المدينة " تظن انها تهدد بتقويض بنيتها الخاصة . وهكذا أنقذت القيم التقليدية ، ولو إلى حين ، من خطر اكتساح الشرق لها بلا ضابط أو رابط .

خضعت المدن الإغريقية للسيادة الرومانية التى ورثت عن الاسكندر صورة جديدة عن الشرق ، تلك الصورة التى فوض فيها كهنة رع الحافظين لسلطة النظام الملكى

" الهيلينى " الحق فى بسط سلطانه على العالم، مما فتح الطريق أمام سيطرة روما على المعمورة ، دون منافس . ويزواج سيد العالم الجديد من كليوباترا - حفيدة الفراعنة الأخيرة ، حتى وإن كانت صلة القرابة هذه محض وهم وخيال - توطدت وأصر الصلة بين هليوس وسلينى لتكرس انصهار الغرب والشرق .

ولكن هذا الزواج لم يعمر طويلاً. فأقدم أكتافىوس على ما أقدم عليه كاتون فى الماضى ، وقضى - بذبحه قيصرون بعد دخوله الإسكندرية عام ٣٠ ق.م - على ثمرة هذا الزواج التى كان من شأنها أن تقوض توازن الامبراطورية الناشئة ، كما كاد أن يحدث فى الماضى عندما تعرضت الإمبراطورية للخطر بسبب الاحتفالات الصاخبة التى كانت تصاحب أعياد الإله باخوس. وهكذا أصبحت مصر ملكاً شخصياً للإمبراطور وانضمت إلى معسكر البلدان التابعة لروما . ومع ذلك فقد ظلت محتفظة بهالة من الحكمة والعلم التليدين ، بعثت فيهما الحياة لغة " الكُونية " المنتشرة فى البحر المتوسط ، قبل ان ينتقلا إلى مركز الثقل الجديد فى العالم .

هنا تتراكب صورتان . الأولى، صورة الحضارة الهيلينية فى مصر التى يمكن التعرف عليها من خلال مؤلفات " ثيوكريتوس " على سبيل المثال . وقد تلتقى الثقافتان فى انسجام تام كما هو الحال عند ابولينيوس الرودسى وفى مجمل تيار الفكر السكندرى . أما الصورة الثانية فترتبط بما يمكن أن نطلق عليه " النزعة الاستشراقية " ويمثلها أبولايوس أو هليودوروس الذى وفد من إيميسى . وأخذت هذه الصورة الأخيرة تدعم الجانب الغيبى والسرى فى الحضارة القديمة بعد أن اتخذت لنفسها منهجاً فلسفياً . لقد انبثق من الأفلاطونية المحدثّة تيار سرى مستغلق من خلال الفيثاغورية هو الذى يحدد بداية عصر الإمبراطورية فى الشرق . وسوف تصبح " الهرمسية " و " القبالة " ، فيما بعد ، الطريقة الوحيدة والرئيسية للنفوذ إلى حضارة استعصت على الفهم نهائياً وبشكل قاطع ، بعد أن صادرت المسيحية كل فكر مخالف لها. وكان هذا التيار يسير فى اتجاه الفلسفة الباطنية ، وتلقى الدعم من جانب العبادات المصرية التى انتشرت مع توسع الإمبراطورية نتيجة لتعميم طقوس " آلام " النموذج الأسمى للعاهل المصرى بين الشعب ، من خلال صور أوزيريس وإيزيس وأنوبيس ، وعلى اعتبار أن هذه الطقوس هى أحد الأساليب لضمان استمرار الحياة بعد الموت .

وبصدور مرسوم ثيودسيوس عام ٣٨٠ ميلادية تغيرت الأحوال وتبدلت . فأصبحت المسيحية دين الدولة الرسمى ، وحُرِّمت العبادات الوثنية تحريماً لا رجعة فيه ، فجاء هذا

المرسوم بمشابة جدار من الصمت والكتمان أقيم حول الحضارة المصرية . وبوقوع مذبحة كهنة السيرابيوم فى منف عام ٣٩١ م ، اكتملت عملية إغلاق المعابد الوثنية التى بدأت عام ٣٥٦ فى عهد قسطنطيوس الثانى . وانطوت عملية إغلاق المعابد على دلالة واضحة : فقد أجهزت على الحضارة التى نهضت على أسسها هذه الممارسات الدينية التى كانت تتمركز فى المعابد مع اضطلاع الكهنة دون غيرهم بمهمة الحفاظ على اللغة والكتابة ، فكانوا الضامنين لاستمرارها ودوامها . ولكن انتقام المسيحيين كان قاسياً ، فجاء ردهم على اضطهادات " الوثنيين " السابقة رهيباً ، فخربوا المعابد والمكتبات العامة ، وراحت الصفوة المثقفة فى الاسكندرية ومنف وطيبة ضحية للمذابح وحملات الإبادة . ولم تغفل سوى معاقل النوبة السفلى وأقاصى الصعيد التى استطاعت أن تصمد لفترة أطول بفضل موقعها الجغرافى عند أطراف الإمبراطورية والذى سلحها بدراية ودربة فى مقاومة المستعمر الطامع فى وادى النيل منذ القدم . ومع حلول منتصف القرن السادس الميلادى ، وبعد إغلاق معبد " ايزيس " فى جزيرة فيلة نهائياً ، أسدل ستار كثيف من النسيان على الجبانات والمعابد وتركت لقمة سائغة لأعمال النهب والسلب ، وأعيد استخدامها فى كافة الأغراض فتحولت الهياكل إلى مساكن وحظائر أو محاجر . وأصبحت المعابد كنائس . وعلى امتداد خمسة قرون استضاف الكرنك الأديرة والرهبان وظلت الآلهة القديمة بعد أن فقت أعينها ، تشاهد أداء الشعائر الجديدة من وراء الطلاء الخشن المتساقط الذى حاولوا طمسها به .

أما مواقع المدن فكانت فرصتها فى البقاء أكبر . فقد تعذر نقل التجمعات السكانية بسبب ارتفاع مياه النيل مع حلول فيضان كل عام ، إلى جانب أعمال تنمية الأرض الزراعية ، فغطت المساكن الحديثة المدن القديمة التى اختفت تدريجياً تحت طبقات المباني الجديدة . فالعديد من المدن الحديثة ، مدن الشمال فى المقام الأول ، ومدن الجنوب أيضاً ، ليست سوى المرحلة الأخيرة التى ترتبت على تراكم المواقع السكنية المتعاقبة والتى ترجع فى كثير من الأحيان إلى مطلع التاريخ .

لقد حافظت بعض المعابد أحياناً على طابعها كأماكن مقدسة . وكأما النزعة التوفيقية الدينية المتأصلة لدى السلف قد تركت بصماتها عند الخلف ، فأبقوا على هذه الأحرار المقدسة وحافظوا عليها ، فأمدتنا بما يشبه ما يقدمه لنا علم طبقات الأرض على امتداد آلاف السنين . وفى معبد الأقصر تقدر التراكمات التى تفصل بين أرضية فناء معبد

"رمسيس" الثانى ومسجد أبى الحجاج بأكثر من ألفى سنة . لقد كان هذا المكان على التوالى مسرحاً للغزو الآشورى والفارسى والإغريقى والرومانى . كما ضم معسكراً حربياً وأقيمت فيه شتى الشعائر الدينية فى عصر الإمبراطورية ، ثم الشعائر المسيحية والإسلامية . وكان هذا المسجد مقام أحد أولياء الله الصالحين . وكل عام ، عند الاحتفال بمولده ، يطوف بالمدينة موكب من المراكب يذكرنا بالمراكب المقدسة التى كانت تنقل فيما مضى الإله آمون رع من معبد إلى آخر .

وليس هذا هو المثال الوحيد . فالمواقع المتبقية عديدة وكثيرة فى الوادى والدلتا أو فى مناطق قصية كالواحة الداخلة . وفى مدينة القصر عاصمة الواحة القديمة فى العصر الأيوبي ، شُيِّدَ مسجد فوق طبقات الأرض المتراكمة التى ترجع طبقاتها الأولى الى الأسرة الثامنة عشرة ، أو ربما إلى الدولة الوسطى .

إن تراكم هذه الطبقات هو من دواعى السرور والبهجة لكل عالم آثار ، إذ تساعد على حفظ مخلفات الماضى . ومن الواضح أن المؤرخ لا يمكنه أن يجد فيها ما يشفى غليله على المدى القصير . فقد تخلت مصر بسرعة عن قيمها التقليدية بعد أن فقدت لغتها وديانيتها وبعد أن خضعت لقوانين الفاتح الغازى الذى بذل بنية المجتمع ، بل وطمس معالمها . إن تطبيق القانون الرومانى على المجتمع قد جاء ليحل محل القوانين المحلية القديمة ، فأقام من حولها سياجاً كثيفاً أصم يقف فى وجه أى بحث عن الآثار القانونية المتخلفة عن مصر القديمة . وتفخر المسيحية فى مصر عن حق وجدارة بإحرازها قصب السبق فى الشرق ، تاريخياً ودينياً . فهى بالفعل صاحبة حضارة أصيلة ومتعددة الجوانب بما قدمته من فكر وفنون . ولكن يبقى أنها ضربت عرض الحائط بكل القيم القديمة التى سبقتها . ولقاء ذلك فقد سمحت بازدهار الفكر الشعبى الذى تفصله عن الأصول والقواعد الدينية مسافة كبيرة ولا يمكن تجاهل تأثيره الواضح على الفن وعلى العمارة . وخير مثال على ذلك الانطلاقة التى عرفها الطرز التصويرى أو رسم الصورة الجنازية المسجاة الذى تطور فيما بعد إلى الصور الرائعة التى لا نظير لها والتي عممتها مدارس الفيوم بين عامة الناس . كما يعتبر هذا الفن مقدمة للمساهمة الإسلامية وتجديدها للفنون الزخرفية والانتقال إلى عمارة القبة . كذلك فقد وضع الراهب بولا المصرى القواعد التى تمحورت حولها نظم الرهبنة وتقاليدها . ويتضح من حيويتها ونشاطها الراهن الى أى مدى هى جزء من التراث المصرى العريق .

كان الإسلام رمزاً متسامحاً مع بداية الفتح .. وصار متشدداً فيما بعد. وازدهرت في ظله قيم جديدة نهضت على أساسها مصر المعاصرة ، وان باعدت بينها وبين مصر الفرعونية التي اتهمتها الموروثات الدينية باضطهاد الدين الخفيف . وتركز الهجوم على "مسييس الثانى " الذى صور كعدو موسى اللدود ، ثم صار صنواً لقوى البغى والشر. وظل هكذا حتى نهاية القرن التاسع عشر وتأسيس جمهورية مصر العربية ليصبح جزءاً من تاريخ مصر يذكر فى الكتب المدرسية. ورغم تقلبات السياسة المعاصرة، أصبح بشكل عام رمزاً لأمجاد ماضى البلاد التليد وسؤددها.

مع حلول القرن الخامس الميلادى فرض على التاريخ فرضاً أن يحو من ذاكرته كل مايرتبط بالعصور القديمة . وجاء هجر اللغة القبطية تدريجياً لصالح اللغة العربية ليقطع الرباط الأخير المتبقى مع العالم القديم . فزحفت عليه الخرافة وأحاطت به بتأثير نزعة طبيعية ظهرت منذ القدم وسط رعايا الفرعون الذين كان يحلو لهم أن ينسبوا عن طيب خاطر الى ملوكهم الأقدمين مغامرات أشبه بقصص " ألف ليلة وليلة " . وظلت بعض الآثار تطل برؤوسها وسط الرمال، وتشير الى أمجاد الماضى الغابر الذى استثار الأطماع فى الثروات التى كشفت عنها أعمال التنقيب العشوائية التى جرت فى الخفاء ، فصارت روافد تغذى الروايات المتواترة عن مصر الخالدة ، وشاع تداول بعض الكتب على غرار "كتاب الدرر المدفونة " كدليل للباحثين عن الكنوز فى عالم تسكنه العفاريت ، حيث صار الإله بس جنياً يدعى آية الله ، وصارت الإلهة سخمت غولاً. وهل نُنسى العملاقة ساراجوما ... ١ ويسخر الحكماء من السفهاء الذين يسعون وراء هذه الأوهام ، كما أن تنديد ابن خلدون بحماقتهم لم يشن الخليفة المأمون الذى خلف أباه هارون الرشيد عن التصدى لهم خوفاً . ولقد بدأ المأمون عملية ممتدة توزعت بين نهب أهرام الجيزة واستخدامها كمحجر وانتهت بتجريدها من كتل الحجر الجيرى الأملس التى كانت تشكل كسوتها الخارجية ، فى نفس الوقت الذى طمست الجانب الغيبى من أسرارها المستغلقة، كما استخدمت هذه الأحجار فى تشييد قصور القاهرة المملوكية والعثمانية .

وأصبحت ذاكرة مصر الأثرية والتاريخية فى طول البلاد وعرضها مرتعاً للباحثين عن الكنوز وعمال المحاجر والجير، كما دخلت عليها تحويرات جوهرية على أيدي المحتلين الجدد. وبقيت بعض الوقائع والعقائد الضاربة جذورها فى الماضى حية دون تغيير أو تبديل من خلال شخصيات من أمثال أبى الحجاج . وظل الاتجاه العام يميل إلى إعادة تأويل ما

استغلّق على الفهم والإدراك من خلال الكتب المنزلة التى أصبحت المرجع الأوحد المعترف به للرد على شتى الاستفسارات المرتبطة بأصول مصر التاريخية . وأخذ المسيحيون والمسلمون على حدّ سواء يبحثون عن الأصول والمنابع . فمصر بالنسبة لهم هى فى المقام الأول أرض التوراة ، من بابل إلى الدروب التى سلكها بنو إسرائيل عند خروجهم ، وهسنا يلتقى الجميع ، أقباط مصر ومسيحيو الغرب سواء بسواء .

أما مسيحيو الغرب فقد اكتشفوا مصر من خلال رحلات الحج الى بيت المقدس والحملات الصليبية . لقد نظروا اليها نظرة المؤمن الذى يستعين بالمعلومات المتواترة التى ورثوها عن الحضارة اليونانية البيزنطية . وأشهر مثال على هذا التشويه هو اسم الأهرام نفسها كما ورد فى لغات الغرب بشكل عام والسلفة الفرنسية على وجه التحديد: Pyramides . وتعنى هذه الكلمة فى أصلها اليونانى كعكة من الخنطة . وربما أطلق "السياح" الأوائل هذا الأسم على الأهرام لما وجدوه من وجه شبه بين شكلها وهذه الكعكة . وفيما بعد تصورت الروايات المتواترة ان الأهرام كانت مخازن غلال قديمة ، استناداً الى أصل الكلمة الاشتقاقى " بيروس " Pyros أى الخنطة ، وهكذا سقط الغرض الحقيقى من تشييدها فى طى النسيان . وإذا كان هؤلاء السياح يعتبرون مصر أولاً وقبل كل شئ أكبر مُصدّر للقمح ، فلا غرو أن يظنوا أن الأهرام هى الأهرء التى خزن فيها يوسف الصديق الحبوب فى سنوات المجاعة . وامتزجت الذكريات المستمدة من التوراة بذكرىات العجائب التى سحرت أبواب الأباطرة منذ مطلع القرن الرابع الميلادى ، فاستهواهم جمع التحف المصرية والمسلات التى مازالت من مفاخر روما واسطنبول . ثم شهد عصر النهضة عودة الى كل ما هو غريب فى فن العمارة . وازدانت الحدائق الأوروبية بتمائيل أبو الهول بأشكالها المصرية جنباً إلى جنب مع أهرام من الحجر أو من شجيرات البقس . ودخلت مصر عالم الشهرة لتتربع على عرشه مع استعادة العلاقات التجارية التى توقفت بعد الغزو التركى وحتى حلول النصف الثانى من القرن السادس عشر حين أخذت فرنسا تقوم بالدور الذى لعبته مدينة البندقية حتى القرن السابق .

إن روايات الرحالة الأوروبيين الذين زاروا مصر مقتفين أثر أسلافهم الرحالة العرب: أبو صالح وابن بطوطة وابن جبير وغيرهم ، قد لعبت دوراً بارزاً فى هذا المجال . ومن أشهر هذه الرحلات رحلة الحج التى قام بها إلى الأراضى المقدسة المسيحية الراهب " فيليكس فابرى" Félix Fabri من الآباء الدومينكان ، أو رحلة عالم النبات" بيير

بيلون دى مانس " Pierre Belon du Mans وكان أحد أفراد حاشية السفير الذى بعثت به فرنسا إلى الباب العالى بعد الغزو العثمانى مباشرة . لقد انسأقت هذه الروايات لقواعد أدب الرحلات وسأيرتها : نذكر منها روايات " جان پاليرن " Jean Palerne و " جوس فان جيستيل " Joos van Ghistele اللذين طفقا ببحثان عن مملكة الراهب "جان، وميخائيل هيربرير فون Michael Heberer von Bretten و"صمويل كيخل" Samuel Kiechel و "جان سوم" Jan Somme وآخرين. ويبدو أن الذى استهوى الناس وجمهور القراء ، ماتمیزت به روايات هؤلاء الرحالة من تصنع وتكلف .

وفى هذه العجالة السريعة نفرد مكانة خاصة لكتآب من أمثال المقریزى أو ليون الإفريقى الذى يعتبر أقرب إلى هؤلاء الرحالة . أما البعض الآخر وعلى رأسهم " كريستوف هارينت " Christophe Harant فقد اقتفوا أثر الكتاب الكلاسيكيين ، لاسيما إسترابون وديودور اللذين طبعت مؤلفاتهما لأول مرة مع نهاية القرن الخامس عشر . وحاول آخرون بلوغ نفس القدر من المستوى العلمى : ومنهم عالم الجغرافيا اندريه تيشيه André Thévet والطبيب پروسپير ألپين Prosper Alpin من مدينة "بادوا " الإيطالية . وقد تمکن هذا الأخير بفضل إقامته مايقرب من اربع سنوات فى مصر وإلمامه الكامل بما كتبه أسلافه بدءاً من هيرودوت وانتهاء " بيبير بيلون دى مانس " مروراً بابن سينا وبطليموس وديودور وبلينوس وغيرهم ، من أن يؤلف ثلاثة كتب عن الثروة الحيوانية والثروة النباتية والطب ، بقيت نموذجاً طيباً يحتذى . وكنا نتوقع من رحالة القرن السابع عشر أن يتابعوا السير على نفس هذا النهج العلمى المدعم بمزيد من الوثائق ، ولكن خاب ظننا! فرغم انتشار نزعة الاستشراق وذيوعها ، تعضدها السياسة الخارجية لكولبير Colbert و " اهتمام الفن والأدب بتصوير مشاهد تركية " على غرار ما حدث فى "البرجوازی النبیل " ، فقد اقتصر الأمر على تصوير التجار ومهام رجال السلك الدبلوماسى والسياح العاديين فى إطار مشاهد فمطية ومتفق عليها ، وكانت غالباً غير مطابقة للحقيقة ، كما أنها انحصرت فى اطار منطقة مدينة القاهرة . إن الإيضاحات الدقيقة نادرة وتتعلق بأمور مادية ، وترمى الى توفير معلومات عملية أكثر منها علمية أو تاريخية . وينطبق ذلك على "جورج كريستوف فون نيتشيتس " George Christoff von Neitzschitz و " دون أکیيلانت روخيستا " Don Aquilante Rocchetta و"يوهان فيلد" Johann Wild وغيرهم. إن ماكتبوه أقرب

ما يكون الى أدب المخاطر وفن قصص المغامرات . وجنح الاتجاه العام الى رصد الملاحظات حول عالم الشرق المعاصر من خلال الزيارات العابرة أو الإقامات الممتدة فى أحضان " الأمة الفرنسية الجديدة " فى مصر ، والأب كوبيان Père Coppin خير مثال على ذلك...

وظهرت فى هذا العصر " معارض التحف " وجددت حب جمع العاديات ، ومهدت الطريق للمجموعات الضخمة التى تدرج بها متاحف أوروبا الرئيسية . وبدأ إعادة اكتشاف الحضارة المصرية على أيدى الرحالة وأهل العلم ، وقد تحكم فيها عامل الصدفة الذى أرشد إلى نبش القبور واستخراج المومياوات التى كان يُصنع منها مسحوق له فاعلية فائقة فى تجديد حيوية كل شئ ، ولا سيما الأرض الزراعية التى تستصلحها الدول الأوروبية . وبلغ الأمر بالإنجليز أن شيدوا فى بلادهم " طواحين المومياوات " لتلبية الطلب المتزايد على هذا المسحوق . واهتم الناس بقراءة الكتاب القدامى ، وكان دليل هيرودوت هو المرشد الاول الذى يصطحبه كل من يزور مصر بعد أن تزايدت هذه الرحلات قبل قيام الثورة الفرنسية . وأفرز جمهور الرحالة بعض الشخصيات التى ابتعدت عن اسلوب الهواة لتقترب أكثر من أسلوب المحترفين . ومن بين هذه الشخصيات علماء الآثار وتجار الآثار ونذكر منهم الأب فانسليب ولوكاس Lucas وفورمون . وأطباء مثل جرانجير ومكتشفين مثل پونسيه ولينوار . وأشرقت مصر القديمة تدريجياً من خلال بعض المواقع الأثرية . وأعيد اكتشاف الكرنك عام ١٦٦٨ وكان معروفاً منذ أواخر القرن الخامس عشر بفضل خريطة أورثيليبوس Ortelius ورواية أحد أهالى البندقية المجهولين . وبعد مرور ما يقرب من قرن من الزمان على الاكتشاف السابق أعيد اكتشاف منف ، بل وأفرد كتاب صدر فى لندن عام ١٦٤١ صفحاته لموضوع الأهرام .

وشهد القرن الثامن عشر ظهور الدراسات التحليلية العلمية على أيدى نوردن Norden وبوكوكيه Pococke ودوناتى Donati ، وفى روايات رحلات الأب سيكار Balthazar de Monconys وفولنى Volney وبلتزار دى مونكونى Athanase Kircher الذى كانت كتاباته مصدر إلهام لشامبوليون ، ثم سافارى Savary وكثيرين غيرهم ممن مهدوا بطريقةهم عمل الحملة الفرنسية على مصر والتى تعتبر المنعطف الأعظم فى علم المصريين . وكان صدام الأمم على أثر الثورة الفرنسية فاتحة لأعظم الآمال ، كما كان مجالاً لا حدود له تقريباً لورثة

الموسوعة " الأنسيكلويديا " المتعطين إلى المعارف ، وانكب العلماء الشبان الذين جاءوا فى ركاب جيش نابليون على كتابة مؤلفهم الشامخ " وصف مصر " **Description de L'Égypte** الذى لم يكتف بدراسة الثروة الحيوانية والثروة النباتية وموارد البلاد ، بل تطرق أيضاً لمختلف الأشكال والصور المعمارية والتشكيلية - فجاء حصراً للحضارات التى تعاقبت على أرض مصر .

واصل هؤلاء العلماء العمل ليل نهار لعدة شهور ، فبذلوا الجهد الجهد وتحلوا بالشجاعة والدأب والدقة فاستحقوا كل ثناء وتقريظ ، وجاءت محصلة عملهم هذا كماً ضخماً من الوثائق ، ظلت المدد الذى نهلت منه أعمال العلماء الذين انكبوا على فك ألغاز الحضارة المصرية ورموزها ، إلى جانب العديد من المؤلفات التجميعية الحديثة . ومنذ ذلك الحين أصبح الاستشراق تياراً أدبياً وفنياً بعد أن ظل ردحاً من الزمان مجرد فكرة عابرة عرفت رواجاً ، فانتشرت وتعددت الأعمال وتنوعت من " جيسرار دى نيرفال " **Gérard de Nerval** إلى " أوجين ديلاكروا " **Eugène Delacroix**. وبين هذا وذاك شاعت فنون " العودة من مصر " والرسومات الرائعة التى رسمها " جيمس أوين " **James Owen** و " دافيد روبرتس " **David Roberts** واقتترنت فى أعمالهم المواضيع الاستشراقية بالدقة الأثرية فبلغت حد الكمال. ولن يفوتنا بالطبع أن نذكر اعمالاً ارتبطت بظهور الإمبراطورية الفرنسية الاستعمارية أكثر من ارتباطها بمصر: فقد قام **Chiroux** بزيارة شبه جزيرة سيناء وبصحبه **Paul Renoir** و **Bonnat** بمناسبة افتتاح قناة السويس . وفى معرض ١٨٦١ استوقفت أعمال فرومانتان **Fromentin** و **Guillaumet** و **Belly** حول " الحج إلى مكة " أنظار المشاهدين . وفى غضون ذلك وضعت دراسات توماس يونج **Thomas Young** فى المجلثرا و **Jean - François Champollion** فرانسوا شامبليون فى فرنسا الأسس الحديثة لعلم المصريات .

وبعد العديد من الصعوبات التى اعترضت طريقه بسبب التقلبات السياسية التى عصفت به وجعلته يعيش متنقلاً بين مدن جرينوبل وباريس وفيچاك من ناحية ، وبسبب مقاومة السلطات العلمية من ناحية أخرى ، نجح جان فرانسوا شامبليون عام ١٨٢٢ فى عرض أسس منهج فك رموز العلامات الهيروغليفية فى عمله المسمى " رسالة إلى السيد داسييه " **Lettre à M.Dacier** . وفى العام التالى طور هذا المنهج وأصدر " المختصر فى نظام الكتابة الهيروغليفية " **Précis du système hiéroglyphique** . وترك

منتقديه يواصلون محاولتهم للحط من شأنه ، بحثاً عن ثغرة في نظامه المقترح ، فانغمس هو وسط مجموعات الآثار التي جمعها المغامرون الذين شدتهم مصر بما عرف عنها من جاذبية تقترب بكل ما هو جديد في العالم ، فنهبوا المواقع الأثرية لحساب قناصل الدول الأجنبية في مصر واستفادوا من مشاريع التنمية التي عمت البلاد في ظل حكم محمد علي وخلفائه . إنه التنافس الشرس الذي احتدم بين جيامباتيستا بلزوني Giambattista Belzoni لحساب هنرى سالت Henry Salt وبرندينو دروفيتى Bernardino Drovetti . وكان چاك ريفو Jacques Rifaud من أهالى مرسيليا من بين معاونيه . كانت هذه المواجهات أقرب إلى الغزوات منها إلى علم الآثار ، وهى المصادر التى تكونت من خلالها أولى مقتنيات المتحف البريطانى ومتحف اللوفر ومتحف تورين .

ومن ناحية أخرى فإن هذه المجموعة الأخيرة التى جمعها دروفيتى ثم باعها عام ١٨٢٤ للملك سردينيا قد أعطت الفرصة لشامبوليون ليكون أول من استفاد من القوائم الملكية . كما أعد شامبوليون كتاباً عن آلهة مصر كان بمثابة أول عرض للديانة المصرية . وأخيراً قام بزيارة مصر ذاتها لاستكمال هذه الدراسة ، وسجل ووصف عددا ضخما من الوثائق التى لم تنشر إلا بعد أربعين عاماً من وفاته فى كتاب " آثار مصر والنوبة Monuments d'Égypte et de Nubie . وبعد عودته إلى باريس احتل الكرسي الذى أنشئ له خصيصاً فى الكلية الفرنسية Collège de France إلا انه لم يتمكن من إلقاء سوى عدد قليل من المحاضرات ، فقد وافته المنية فى ٤ مارس ١٨٣٢ ، ولم يكن قد تجاوز الثانية والأربعين من عمره ، بعد أن أرسى بشكل راسخ الأسس التى تقوم عليها اللغة المصرية فى كتاب " قواعد اللغة المصرية - Grammaire Égyptienne " الذى لم ينشر سوى عام ١٨٣٥ . وهكذا احتلت فرنسا مكان الصدارة فى علم المصريات الناشئ . وجاءت أعمال خلفاء شامبوليون لتؤكد هذا الدور ، وكان أبرزها ما قام به أوجست مارييت Auguste Mariette فى مواقع العمل والحفائر حيث يصعب فى الوقت الراهن ، وبمقياس علم الآثار المعاصر ، الدفاع عن الطريقة التى اتبعها عند إزالته للرمال فى كبرى المواقع الأثرية كسقارة وتانيس . ولكن الشئ المؤكد انه لم يكتف بالإشراف على أعمال التنقيب فى السيرايوم والكرنك أو فى تانيس ، بل عرف كيف يستفيد من اكتشافاته ، خاصة تلك التى لعبت فيها الصدفة دوراً مؤثراً ، قلّ أو جلّ ، أو حالفه الحظ فى التعرف عليها . وقد توصل بما تحلى به من قوة العزيمة إلى أن يقنع الوالى سعيد بتأسيس جهاز حكومى تكون مهمته وضع حد لتسرب الآثار المكتشفة خارج البلاد

حيث تذهب لتدعيم المجموعات الأوروبية ، وعمل على ضمان بقائها فى مكانها داخل البلاد .

وأخذت تتكون فى أنتكخانة بولاق ثم فى متحف القاهرة أعظم وأضخم مجموعة موجودة على سطح الأرض تضم قطعاً أثرية تمثل الحضارة الفرعونية . وفى نفس الوقت ضمنت مصلحة الآثار الاستغلال العلمى للمواقع الأثرية فوضعت حداً لأعمال النهب والسلب . إن المناقشات والمواجهات بين الدول الأوروبية على امتداد قرن من الزمن تقريباً لم تؤثر تأثيراً حقيقياً على أعمال رعايا هذه الدول فى مصر اللهم إلا فى فترات الحروب . إن أعمال البعثة البروسية فى الفترة من ١٨٤٢ إلى ١٨٤٥ ومجلدات " آثار مصر والنوبة **Äthiopien Denkmäler aus Ägypten und** التى نشرها ريتشارد لپسيوس **Richard Lepsius** بعد مرور عشر سنوات ، قد أمدت مجتمع العلماء بثالث موسوعة من المدونات والآثار التى ظلت حتى يومنا هذا منهلاً لا ينضب لكل متخصص .

وترسخ علم المصريات كعلم مع نهاية القرن التاسع عشر، ليكون هذا التاريخ هو المنعطف الثانى فى تاريخ علم المصريات . وقد شهدت هذه الفترة اكتشافات ضخمة وهامة سواء من حيث مواقع العمل ، أو من حيث حسن استخدامها والاستفادة منها ، هذا إلى جانب إنشاء المؤسسات القادرة على تطوير علم المصريات . ويعتبر جاستون ماسبيرو **Gas-ton Maspéro** من أبرز العلماء الذين خلفوا أوجست مارييت . انه مكتشف "متون الأهرام" ومدير مصلحة الآثار. كما نجح فى انقاذ القسم الأكبر من المومياوات الملكية فى منطقة طيبة من النهب والسلب . وأسس المدرسة الفرنسية فى كرسى شامبوليون حيث خلف "دى روجيه" **de Rougé** فى هذا المنصب . ويمكن اعتباره أحد آباء علم المصريات الحديث إلى جانب "هنرى بروكش" **Henri Brugsch** فى المانيا وسيرفلندرزپترى **Sir Flinders Petrie** فى بريطانيا والذى أرسى أسس قواعد علم الآثار العلمى وحدد معالمه عام ١٨٩٨ فى إطار مدرسة الآثار البريطانية .

ومع منعطف القرن العشرين أخذت الدول الغربية تطور مؤسسات تنظيم المتاحف والمؤسسات الجامعية إلى أجهزة نهضت على أساسها الأبحاث الحالية. فتأسست البعثة الأثرية الفرنسية عام ١٨٨٠ والتى تحولت إلى " المعهد الفرنسى للآثار الشرقية " عام ١٨٩٨ **Institut Français d'Archéologie Orientale** و " جمعية الكشف الأثرية **Deutsche Egypt Exploration Fund** فى لندن و "جمعية الاستشراق الألمانية **Orient Gesellschaft** وترتب على تقدم وسائل الاتصال أن اتسعت دائرة الاكتشافات

وتعاقبت : ونذكر على سبيل المثال اكتشاف عاصمة إخناتون فى تل العمارنة قبل الحرب العالمية الأولى ، ومقبرة توت عنخ آمون عام ١٩٢٢ ، وجبانة ملوك تانيس عام ١٩٣٩ ، ومركب خوفو الكبيرة عام ١٩٥٤ ، وإنقاذ آثار النوبة فى الستينات. وفى السبعينات كان خروج كنوز توت عنخ آمون بالتحديد فى معرض يتجول حول العالم هو الحدث الذى دفع علم المصريات الى غزو ساحة جمهور المشاهدين ، كما كان حافزاً لتنظيم معارض متجولة مشابهة . هذا بالإضافة الى ان اكتشاف هذه الكنوز قد أحيط بأسرار غيبية ربطها بتيار ما زال حياً وتضرب جذوره فى التربة الهرمسية والجبالية ، ويقع تحت تأثير الحركات المسارية . وجاء هذا التيار ليشجع ازدهار الموضوعات التى تدور حول "إيزيس" بدءاً من أوبرا "النأى المسحور" وانتهاء بأوبرا "عايدة" التى وضع نصها أوجست مارييت ، مروراً بعبادة "إيزيس" فى كنيسة نوتردام دى باريس اثناء الثورة الفرنسية ، إلى جانب العديد من التأويلات الباطنية للحضارة المصرية وتطبيقاتها على الأهرام والديانة ... الخ .

وقدم اكتشاف هوارد كارتر Howard Carter لمقبرة توت عنخ آمون للجمهور العريض صورة تحدت معالمها بالعدد الهائل من القطع الأثرية النفيسة التى عثر عليها ، أكثر من الأهمية التاريخية للاكتشاف التى لم تتضح فائدته إلا فيما بعد : كانت هذه الصورة خليطاً طغى عليه الجانب الغيبى السرى المتمثل فى موكب الكنوز واللعنات معاً . انها كلمات ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بكلمة فراعنة وأحاطت علم المصريات بهالة من الخيال الخالم .

وساعد تفاعل كل هذه العناصر والتوسع الخاطف للسياحة الجماهيرية على تعميق انعدام التوازن الذى ترسخ فى الواقع بين الصورة المعتادة المنتشرة بين الجمهور والتى يتمناها وبين حقيقة علم ينجح الكثيرون الى التهوين من حقيقة أنه لايزال فى طور الشباب وعليه أن يقطع طريقاً طويلاً قبل أن يتوصل الى وصف أدق تفاصيل حضارة بلغت فى الماضي شأواً عظيماً من الخصوبة والثراء .

لقد أحرزت معارفنا عن مصر " ما قبل الفراعنة " تقدماً ملحوظاً فى السنوات الأخيرة ، وقوضت البعد الزمنى الذى أجمع عليه العلماء كحد للحضارة . وباللمسافة التى تباعد بيننا وبين الأربعين قرناً التى كانت تفصل بين بوناپارت وبين الأهرامات ! فبعد الخطوة الفاصلة التى حررت مصر من سطوة الكتاب المقدس ، استطاعت قائمة المعارف المتراكمة ، وتقدم أساليب التقنية منذ أواخر القرن التاسع عشر ، أن تحدد الترتيب الزمنى فى دقة متزايدة وأن تعود بالحد الزمنى لأصول الحضارة إلى الوراء .

ربما كانت الحضارة الفرعونية أكثر من غيرها إثارة للجدل المحتدم حول مفهوم التاريخ . فالامتداد الزمني الفريد لهذه الحضارة داخل إطار جامد قد رسخ من التعارض الكلاسيكى القائم بين التاريخ وما قبل التاريخ ، وعزز من ظاهرة اعتبار الاهتداء للكتابة فاصلاً ضمناً بينهما . لقد حدث هذا الفصل ، وفقاً للمعطيات المتوفرة فى الظروف الراهنة ، فى الألف الرابعة قبل الميلاد . كان هذا التاريخ مقبولاً حتى السنوات الأخيرة ، طالما ظل الى هذا الحد أو ذاك مواكباً لنظيره فى بلاد النهرين وللقضايا التى يطرحها الكتاب المقدس : وكفى أن يكون لبلاد النهرين السفلى "قصب السبق الواضح " على مصر ليصبح المكان الذى ظهرت فيه الكتابة والمكان المفترض لوجود جنة عدن واحداً . وعلاوة على ذلك تبرز الألف الرابعة كمرحلة فاصلة فى تطور الإنسان اكتملت فيها مظاهر تمايز الهياكل الاجتماعية كدليل على انفصال الإنسان عن الطبيعة . لقد تأكدت سيطرته على الطبيعة بعد أن اهتدى الى الزراعة واستقر على ضفاف النيل أو نهر الفرات بشكل نهائى .

ومن السهل تحديد الخط الفاصل بين قمة النضج الذى بلغته الحضارة وبلورته فى الإهتداء إلى الكتابة ، وبين الطور التمهيدي الذى يتحدد امتداده الزمني تبعاً لنقطة البدء المقترحة : سواء فى حدها الأقصى عملاً بوجهة نظر علماء ما قبل التاريخ ، أم فى حدودها المحصورة جداً إذا أخذنا بتعريف ضيق للحدث التاريخى .

كانت هذه الإشكالية قبل نصف قرن من الزمن تعتبر جداً يخص علماء المدرسة الداروينية . ولكن سرعان ما اتخذت أبعاداً جديدة . فقد ابتكر بوشيه دى پرت **Boucher de Perthes** نظام التأريخ الذى يعتمد على دراسة نحر نهر السوم **La Somme** فى فرنسا وقام ساندفورد **K.S.Sandford** وأركل **A.J.Arkell** بتطبيقه على وادى النيل . ويوفر الربط بين الآثار التى خلفها النشاط البشرى والقطاع الجيولوجى نقطة ارتكاز لمعطيات علم الآثار التى تعذر تدريسها فى "توقيت متتابع " كما عرفه پترى فى مستهل القرن الحالى ، لاستحالة ترتيب طبقاتها . كما أن بعض الدراسات الحديثة نسبياً فى علم مناخ العصور القديمة والجيولوجيا كدراسات كارل بوتز **K. Butzer** ورشدى سعيد قد بدلت مقياس التوقيت الزمني . ومنذ قبيل الحرب العالمية الثانية اتضح بجلاء أن ما قبل التاريخ فى مصر الفرعونية لم يتخذ أبعاداً لا تخطر على بال فحسب ، بل تنوعت مظاهره وتعددت . وبرزت على جميع المستويات أشكالاً حضارية متكاملة ، حتى أصبح من العسير النظر إليها كمجرد مرحلة تحضيرية وتمهيدية .

وإضافة إلى ذلك فإن معارفنا حول عصر ما قبل التاريخ فى مصر ظلت جزئية منذ أبحاث كاتون تومسون G.Caton Thompson الأساسية فى الفيوم والواحة الخارجة على وجه الخصوص . وأعمال هيلستر J.Hester وهوبلر P.Hoebler فى واحة دنقل ، والعديد من المعلومات التى تجمعت نتيجة الاستكشاف المنظم لمناطق النوبة السفلى لم تنشر بأكملها . كما ان الكثير من المناطق الشاسعة لم تمط بعد اللثام عن أسرارها . مثال ذلك الواحة الداخلة وجبل العوينات الى جانب الكفرة ودارفور فى الجنوب . ولكن ، ودون التطرق الى الماضى السحيق أو البحث فى المناطق المتطرفة ، لا تزال الفجوات تتخلل معلوماتنا عن أقدم العصور ، هذا بالرغم من أن أعمال التنقيب الحديثة لا سيما فى الدلتا تلقى أضواء جديدة على عصر ما قبل الأسرات . وتأكيدا لكلامنا يكفى أن نشير الى أن اكتشاف موقع الكاب الذى يرجع الى عصر ما قبل التاريخ قد تم فقط فى عام ١٩٦٨ على يد ثرميرش P.Vermeersch !

ولم تبرز أهمية مصر ما قبل التاريخ كتاريخ غير مكتوب إلا بعد أن تعرفنا على حضارات أمريكا السابقة لكريستوفر كولومبس أو مناطق إفريقيا السوداء الأقرب منا ، بفضل أبحاث علماء الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا . لقد بلغت بعض الامبراطوريات مستوى رفيعاً من الرقى رغم افتقارها الى تقليد موروث مكتوب . ومن هنا توصلنا الى إعادة النظر فى المعايير والمقاييس التى تحدد مستوى رقى مجتمع من المجتمعات . كما أن تعديل النظرة للأمور قد شجع على امتداد مناهج بحث علماء عصر ما قبل التاريخ إلى خارج مجالهم الخاص . وتزايد اهتمام علم الآثار أكثر من أى وقت مضى بالترتيب الزمنى النسبى لمواقع الآثار ، وخاصة بعد أن لاحظ علماء المصرىات التناقض الملحوظ للمدونات وأوراق البردى التى يتم اكتشافها حالياً . وبعد مرور أكثر من مائة سنة من أعمال التنقيب فى مواقع العمل توجه علماء المصرىات إلى المواقع الأثرية التى أهملت فى الماضى لافتقارها الى المعطيات المكتوبة .

وخلال العشرين سنة المنصرمة بدأت عملية الاستفادة من المواقع الحضرية فى وادى النيل أو بعيداً عنه - والتى أملاها فى معظم الأحوال التوسع الرهيب فى التجمعات السكانية الكبيرة - على هيئة حملات تنقيب وإنقاذ أو مسح شامل . وهكذا زال التعارض القديم بين علم اللغة وعلم الآثار حيث كانت مهمة الأول هى التعرف على الحضارات بينما الثانى لم يعهد إليه إلا بجمع الوثائق فقط .

لقد شجعت رحابة وجهات النظر وتعديلها على ظهور أساليب تقنية جديدة ضمنت التوصل إلى تواريخ أكثر دقة وبشكل أسرع . وأضحى الجمهور العريض على دراية تامة بمختلف الأساليب التى تعتمد على تحليل النشاط الاشعاعى (مثل الكربون ١٤) ومختلف تحليلات النظائر المشعة Isotopiques ، وظهرت مؤخراً تحليلات التألق الحرارى Thermoluminescence أو البحث عن آثار البوتاسيوم أرجون-Potas+ السيليوم- argon+ إلى جانب علم الدندروكرونولوجيا Dendrochronologie وعلم الباليينولوجيا Palynologie الخ....

كما تطورت أساليب البحث ذاتها : كالتصوير الجوى أو التسجيل الطبوغرافى والمعمارى وعلاج المعلومات التى توفرها المعطيات ، واستناداً إليها سيتم من الآن فصاعداً اعداد الرسومات الايسوميتريه والرسومات التحليلية للمباني بواسطة الحاسب الالىكترونى

وبفضل التقدم التقنى لعبت أساليب البحث الجديدة دوراً هاماً فى تبديل فكر الباحثين ، حتى اصبح دور شقفة الفخار فى تفسير حدث محدد أو فهمه يعادل فى أهميته حبة لقاح أو جزءاً من لفافة بردى . وأمام هذا الفيض من المصادر المتنوعة يضطر المؤرخ الى الانفتاح بمنهجه على أساليب بحث متعددة ومتنوعة .

الباب الأول

عصور التأسيس والتكوين

الفصل الأول

من حقبة ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية

الأطراف العامة

منذ الوهلة الأولى تترك الحضارة المصرية انطباعات بأنها كل متجانس ، اكتسبت بفضل امتدادها الزمني غير المألوف مكانة خاصة فى تاريخ البشرية. ومع حلول الألف الرابعة ق. م تظهر وقد اكتملت أركانها لتتوارى قرب نهاية القرن الرابع الميلادى . إن ما يقرب من أربعين قرناً من تاريخ مصر تعطى انطباعات بالاستقرار الراسخ الذى أحاط بمؤسسة سياسية شامخة لم تستطع قوة أن تقوضها ولا نجح الغزاة فى زعزعتها .

وقد تميزت البلاد بوحدة جغرافية ربما كانت وراء هذه الاستمرارية. إن شريط الأرض الزراعية الذى يمتد لمسافة تزيد على الألف كيلومتر بين خطى عرض ٢٤° و ٣١° شمالاً ، يكون حوض نهر النيل الأدنى ونحت النيل فيه مجراه من أسوان إلى البحر المتوسط بين هضبة الصحراء الغربية وسلسلة جبال الصحراء الشرقية . هذا الشريط هو امتداد للدرع النوبى ، ولا يزيد عرض الوادى على أربعين كيلومتراً على الأكثر. وقد مرّ منذ العصر الألدووانى أى قبل مليون سنة وحتى العصر التاريخى عبر تغييرات مناخية حولت إقليم " الساحل " تدريجياً الى أكثر البقاع جفافاً فى الوقت الراهن وأقل مناطق افريقيا الشرقية ملائمة للحياة .

ومن ناحية أخرى فإن الصورة التقليدية التى تظهر الوادى وهو يفتح ذراعيه مرحباً بالإنسان ينبغى أن تُبرز أيضاً الفروق الدقيقة التى عاشها الوادى من عصر لآخر. لقد تغيرت الصورة التى نعرفها عن ماضى مصر بفضل التقدم الراهن الذى أحرزه علم شكل الأرض *Géomorphologie* والتنقيب فى المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية فى غرب البلاد والتى ارتبطت بادىء الأمر بمشروع السد العالى عند أسوان ثم بالبحث فى الصحراء الغربية عن الأراضى الكفيلة بتعويض افتقار الوادى إلى أراض جديدة . لقد نمت معارفنا بقوانين تكوين التربة وتعمقت بفضل دراسات رشدى سعيد واستكشافات روموالد شيلد *Romuald Schild* وفريد وندورف *Fred Wendorf* والتى نشرت نتائجها فى الآونة الأخيرة ، فأصبح فى الإمكان الوصول الى نظريات أكثر دقة من تلك التى أعلنت فى مطلع القرن الحالى وانتشرت فى الكتب ذات الطابع العام . وعدل العلماء على وجه

الخصوص عن الدور الذى نسبوه من قبل الى منخفضات البحيرات فى هضبة الصحراء الغربية . كما أن أعمال التنقيب الجارية فى الواحات التى نشأت عن هذه البحيرات قد وفرت ظروفاً أفضل للبدء فى تحديد الدور الذى لعبته فى هجرة الحياة المنتظمة فى اتجاه وادى النيل . إن نظرية النيل الليبي Urnil الذى يفترض أنه قد تكون بعد انحسار البحر الإيوسينى بين الكشبان الرملية فى الصحراء الغربية والوادي الراهن قد تغيرت بعض الشيء ، كما تبدلت الفكرة الشائعة التى رسمت صورة مبالغاً فيها عن كثافة نباتات الوادى ووفرتها فى العصور التاريخية عندما انتقل الإنسان الى السواحل ليعمره .

التكوين

وتشير اللحظة التى تمت فيها عملية الاستيطان مشكلة الزمن الذى استغرقت هذه الحضارة وامتدادها الجغرافى . فكيف نستطيع أن نحدد نقطة البدء مع الأخذ بعين الاعتبار أصول الحضارة المصرية ومراعاة ما تميزت به المرحلة التى سبقتها من امتداد أطول؟

ومن خلال المعلومات التى تجمعت فمن المفترض تحديد هذه اللحظة بحيث تتفق مع نهاية دور العباسية abbassienne المطير خلال العصر الحجري القديم الأوسط أى منذ حوالى ١٢٠ ألف أو ٩٠ ألف سنة . وفى حقيقة الأمر فإنه من المتفق عليه الآن هو أن تعمير الصحارى قد جرى فى خطوطه العريضة عقب هذه المرحلة الطويلة التى فتحت هذه المناطق ، إذا صح التعبير ، لتوسع الحضارة الأشولية بعد أن قامت وتطورت على ضفاف نهر النيل . والحضارة الأشولية هى الحلقة الأخيرة من سلسلة طويلة من الحضارات اكتشفت أقدم آثارها على مقربة من معبد أبو سمبل المنحوت فى الصخر وتعود إلى حوالى ٧٠٠ ألف سنة مضت ، أى قرب نهاية عصر البليستوسين الحديث . واعتباراً من العصر "الأولدووانى" تواجد الإنسان فى الوادى بصفة دائمة ومستمرة ، على أقل تقدير فى المنطقة المحصورة بين القاهرة الحالية وطيبة ؟ فى مصر والنوبة بالنسبة للمرحلة الأشولية .

يشكل هذا الطور من البليستوسين الحديث صدعاً بين دور البليستوسين المطير (اعتباراً من ١٠ مليون سنة قبل الميلاد) وهو عصر النيل القديم Paléonil المعروف

بنباتاته الكثيفة التى تغذيها رطوبة المناخ السائد بانتظام وبغزارة ، وبين العصر
الادفونى المطير والذى يكرر نفس هذه الظروف المناخية بعد مرحلة دامت حوالى مليون
سنة واشتد فيها الجفاف . أما "النيل الأول " Protonil فقد أخذ يشق مجراه فى خط
مواز للنهر الحالى غرب الوادى الحالى على امتداد ما يقرب من مائة ألف سنة ليحل محله
بعد ذلك "ما قبل النيل " Prénil . وتتراكم الرواسب القادمة من الحبشة على امتداد فترة
زمنية تعادل خمسة أضعاف الفترة السابقة .

السكان الأوائل

وفى نهاية المطاف تقودنا هذه المسيرة الطويلة إلى دور العباسية abbassienne
المطير الذى يغطى فترة زمنية تقدر بخمسين ألف سنة ، أمكن خلالها للحضارة الأشولية
أن تنتشر إلى المناطق الغربية . وإذا كان هذا الإنتشار قد حدث حقاً فلربما كان هو مصدر
الروابط التى ربطت بين الحضارتين النيلية والافريقية والتى احتفظت مراحلها اللاحقة
ببعض آثارها وإن كنا لا نستطيع أن نحدد بشكل قاطع وجود هذا التبادل الحضارى . وإذا
افترضنا وجوده فإنه يبقى سؤال : فى أى اتجاه تم هذا التبادل ؟ ومن المغرى حقاً أن
نفترض هنا وجود منحدرين متعارضين سلكتهما نفس الثقافة عبر دروب مختلفة للتغلغل
الطبيعى فى المنطقة التى ستصبح فيما بعد الصحراء الكبرى . إن انتشار لغات حوض
النيل والصحراء الكبرى انطلاقاً من أعالى وادى النيل فى المناطق الشرقية من الصحراء
الكبرى أو انطلاقاً من المناطق الأقرب جغرافياً من مصر والتحليلات الپالينولوجية التى
جرت حديثاً فى واحات الصحراء الغربية تدعم وجهه النظر هذه بعنصر هام جدير بالملاحظة
: فمن الممكن القول أن النباتات التى تكسو هذه المناطق تعكس تطوراً مشتركاً .

وبما يزيد من احتمال وجود هذا التماسك أنه يتفق مع نهاية الانتقال من " الإنسان
المنتصب " Homo erectus إلى " الإنسان العاقل " Homo sapiens قبل مائة ألف
سنة تقريباً ، أى مع نشأة حضارة مشتركة يمثلها نمط بشرى من النوع المستطيل الرأس .
وقد أمكن تشبيه تطوره بتطور أقرانه المعاصرين له فى شمال إفريقيا وأوروبا . ولكن
التحفظ واجب عند إصدار مثل هذه التأكيدات . فالجانب الإفريقى من المنحدر غير معروف
كل المعرفة من ناحية ، كما أن المعطيات الخاصة بمصر ، لم تكتمل بعد وما زالت ناقصة ،
من ناحية أخرى .

لقد وفرت منخفضات بحيرات الصحراء الغربية لحضارات نهائية
"الأشولى " و "الموستيرى " فيما بين ٥٠٠٠٠ سنة و ٣٠٠٠٠ سنة ق . م بيئة خلقت

وراءها بيض النعام وعاش فيها أسلاف حيوان العير على الأرجح . وقد واكب نهاية عصر الحضارة " الأشولية " ثورة تكنولوجية واضحة . فانتقلت من صناعة الأدوات الحجرية . ذات الوجهين إلى صناعة الشظايا الحجرية واستمرت هذه الثورة وانتشرت فى أرجاء إفريقيا ، وكانت ملائمة لظروف الحياة الجديدة . وتمتد هذه المرحلة إلى حوالى عام ٣٠٠٠ ق . م . وتتطابق مع الحضارتين "الموستيرية " و"العاطرية " . لقد اقتربنا من نهاية اقتصاد يقوم على الصيد فى السافانا ووصل إلى ذروته مع الحضارة "العاطرية " القائمة على استخدام القوس . لقد انتشرت هذه الحضارة إنتشاراً واسعاً فى المغرب وجنوب الصحراء الكبرى ، وعاشت طويلاً فى النوبة السودانية وفى واحات الصحراء الغربية ، وربما كانت نهاية المطاف للأساس الإفريقى المشترك الذى أشرنا إليه آنفاً .

الصيادون والمزارعون

وفى مواجهة الحضارة " الأشولية " عاشت حضارة " خورموسى " على مسافة بضعة كيلومترات من " وادى حلفا " . وقد كشف هذا الموقع عن آثار حضارة نشأت فى العصر الحجري القديم الأوسط حوالى عام ٤٥٠٠ ق . م . واندثرت فى العصر الحجري القديم الأعلى حوالى عام ٢٠٠٠ ق . م . ، وقد شهدا النهر إليه أكثر من غيرها . وجمعت هذه المجموعة الحضارية الأخيرة بين صيد الحيوانات التى تعيش فى السافانا كالأبقار البرية والظباء والغزلان وبين ما يحصل عليه أهلها من صيد نهري . وهكذا نرى الجماعات البشرية التى طردها الجفاف من مناطق الصحراء الكبرى تتكيف مع البيئة النيلية . وفى هذا العص ، ر عندما أفسح دور "مخادمة " المطير الثانوى الطريق لدور "النيل الجديد " Néonil الجاف الذى مازال مستمراً حتى الوقت الراهن ، أصبح وادى النيل البوثة التى انصهرت فيها العناصر التى سوف تشكل الحضارة الفرعونية . ويبدو أن زحف التصحر على مناطق الصحراء الكبرى قد أبعد الإنسان حتى عن منخفضات واحات الصحراء الغربية ودفعه دفعا فى اتجاه الوادى . وتكونت جماعات بشرية منفصلة سلكت كل منها سبيل تطورها الخاص انطلاقاً من أرضية مشتركة . وسارت أحياناً فى خط مواز لصناعات محلية كتلك التى اكتشفت فى جبل "سوهان " .

ويحدث المنعطف التالى خلال الفترة من عام ١٥٠٠ إلى ١٠٠٠ ق . م على وجه التقريب ، حين حلت حضارة "جمى " محل حضارة حلفا ، وحضارة "دبروسة " محل

حضارة خور موسى . وفى حين يمكن ملاحظة ظهور بعض الأدوات القزمية فى النصف الثانى من حضارة حلفا فقد سادت هذه الصناعة مع حلول حضارة "بلانة" .

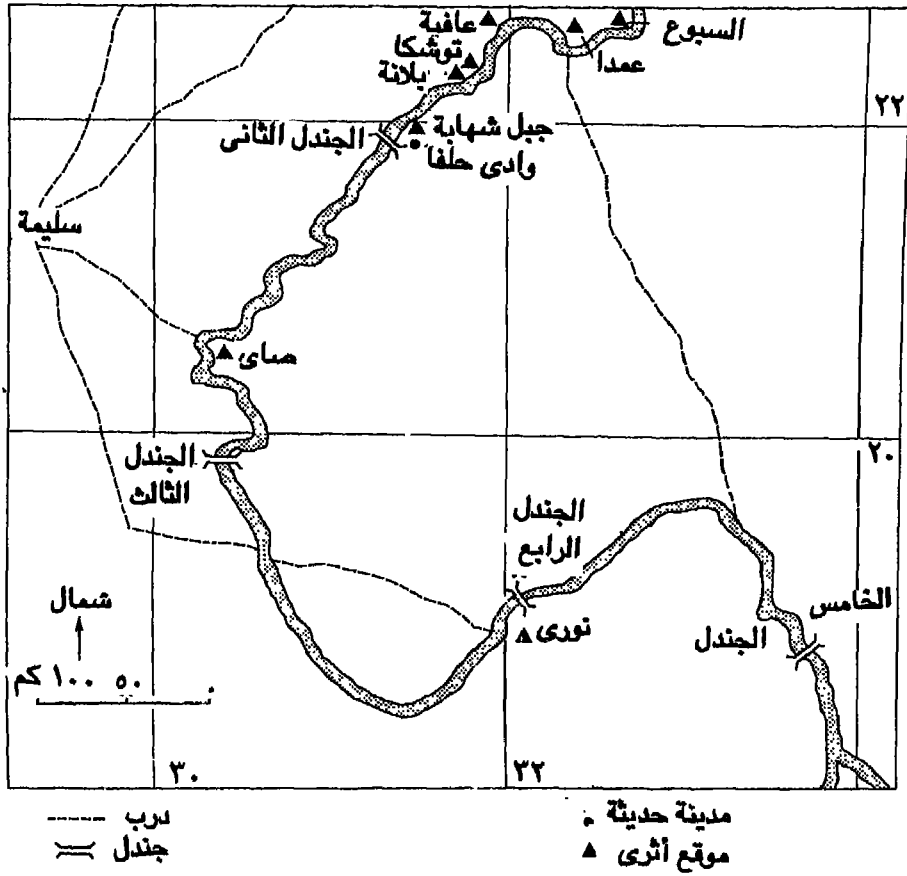
وتغطى حضارة " قادي " أكثر من عشرين موقعاً يمتد من الشلال الثانى وحتى "توشكا " ، وتشكل مرحلة هامة بما خلفته من أدوات حجرية بميل إلى استخدام صناعة الرقائق (النصال) بالإضافة إلى وجود دلالات واضحة تشير إلى مستوى اقتصادى متقدم . فقدم اكتشاف آثار "أضاحى الحصاد " التى يمكن القول أنها محاولات الزراعة الأولى .

التاريخ	أطوار النيل	النوبة	صعيد مصر
١٨٠٠٠		خور موسى	
١٧٠٠٠	البلانة	حلفا	إدفو
١٦٠٠٠	مصمم		إسنا الفاخري
١٥٠٠٠		جمى	كوم أمبو السبيكية
١٤٠٠٠		ديروسة	السلسلة
١٣٠٠٠	صحراء		السبيلية
١٢٠٠٠	دارو	بلانة	
١١٠٠٠		قادي	
١٠٠٠٠			

شكل رقم (١) : مختصر الترتيب الزمني لنهاية العصر الحجري القديم الأعلى

لقد أثبتت التحليلات الباليولوجية وجود النجيليات والشعير البرى فى إسنا على أقل تقدير . ويمكن القول أن هذه التجربة لم تستمر إلى مابعد بداية الألف العاشرة .

ان أى فرض مقترح لهو من باب الاحتمالات غير المؤكدة . ولكن من المحتمل أن التوسع السكانى الذى رافق هذا التطور قد صاحبه هيمنة حضارة قوم من المحارين ارتقت على حساب المزارعين . وبالرغم من ذلك ، فإن هذه الزراعة فى شكلها الأول ومع كونها زراعة هشّة جداً قد ظهرت على ضفاف نهر النيل فى فترة لم يكن سكان الشرق الأدنى قد مارسوا فيها الزراعة بعد . ولا يمكن الاستناد إلى ماسبق للجزم بالأصول النيلية المحض للنشاط الزراعى، أو لنقض النظرية القائلة بأن المجتمع الزراعى الذى استقر فى وادى النيل

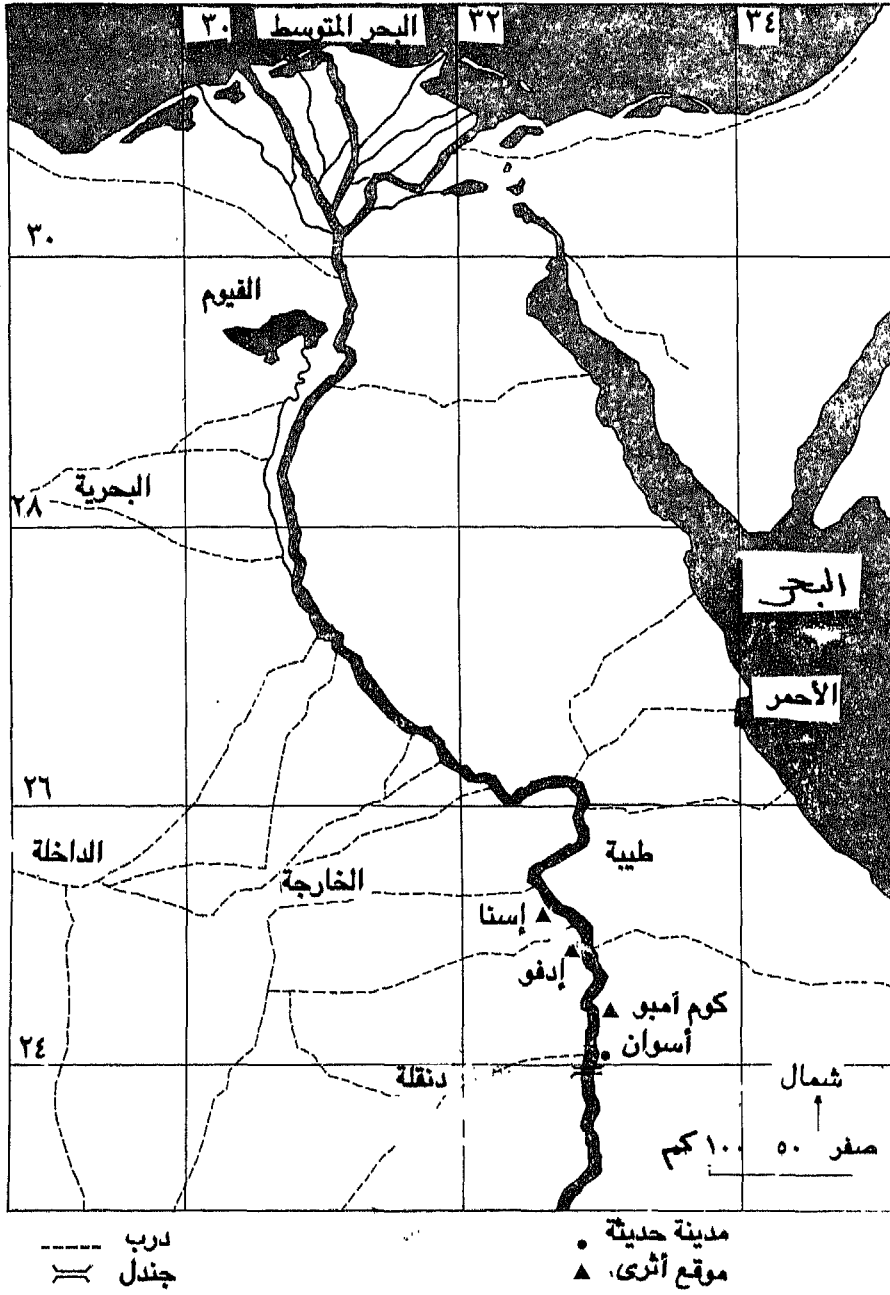


شكل (٢) - أهم مواقع العصر الحجري القديم فى النوبة .

قرب نهاية امتداد العصر الحجري القديم Épipaléolithique ترجع أصوله إلى الشرق الأدنى.

وتتشترك هذه المواقع فى العديد من النقاط مع حضارات العصر الحجري الحديث فتجمع بينها نوعية الأشياء التى خلفتها وراءها ونمط الدفنات ، سواء من حيث عمارتها أو من حيث الفصل بين مقابر الأطفال ومقابر البالغين على سبيل المثال لا الحصر (Hoffman : 1979, 94) إلى جانب ما تسمح به هذه العناصر من الوقوف على أسلوب حياة اصحابها .

ووفرت اكتشافات فرميرش P.Vermeersch فى موقع الكاب عناصر الارتباط بالعصر الحجري الحديث . إنها حلقة اتصال معاصرة للانتقال من حضارة "أريكا" إلى حضارة " شرمكا " بجوار وادي حلفا وحضارة قارون بالفيوم . وهى تبرز التكيف



شكل (٣) - أهم مواقع العصر الحجري القديم في مصر .

بالبيئة النيلية لحضارة قوم اشتغلوا بالقنص والصيد البرى وأصبحوا يعتمدون على الصيد النهري دون أن يصبحوا مزارعين . ومن ناحية أخرى فإن الانتقال إلى الزراعة قد حدث عند منتصف الألف السادسة فى ظروف غير واضحة وبتأثير الشرق الأدنى على ما يظن ، بغض النظر عما سبقها من محاولات.

ومن المحتمل ان الاستئناس الأول للحيوان يرجع إلى أصول إفريقية . ويغضى هذا الانتقال فترة زمنية طويلة . وقد أوضحت الأبحاث الحديثة ، ومن أمثلتها المسح الشامل الذى باشره فريق من جامعة كاركوثيا والمعهد الألمانى فى القاهرة (Ginter, Kozlowski, Pawlikowski : 1985. 40 - 41) وفى أقاصى الصعيد ، وجود مراحل وسيطة من خلال ذلك كله .

نحو العصر الحجري الحديث

حدث الانقطاع الأساسى بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية عند التقاء الألف السابعة بالألف السادسة . إنها فترة غير معروفة جيداً Finkenstaedt : 1985, 144 sq. تفصل بين امتداد العصر الحجري القديم Épipaléolithique والعصر الحجري الحديث. وأسهم كل شىء على ما يبدو فى إحداث تغيير جذرى فى الحضارة . إن ظهور دور مطير ثانوى قد ساعد على تربية الحيوان بقدر ما ساعد على تقدم الزراعة عند حواف الوادى ر فى مناطق الواحات الغربية . و ساعدت هذه الانطلاقة على تطوير صناعة النسيج و الفخار . وعلى امتداد فترة الألفى سنة تقريباً التى تفصل بين بدايات العصر الحجري الحديث و عصر ما قبل الأسرات بمعنى الكلمة ، أى من منتصف الألف السابعة وحتى منتصف الألف الخامسة - اكتملت من الناحية العملية العناصر المكونة لتلك الحضارة التى سوف تظل حتى أقول لجمها - حضارة قائمة على الصناعات الحجرية رغم اكتشاف المعادن .

و بالاضافة إلى مجموعات النوبة و سلسلة مواقع " الكاب " التى اشرنا إليها من قبل ، فإن أهم مواقع هذه المرحلة المكتشفة هى محلات الفيوم ("ب" ثم "ا" و ترجع إلى حوالى منتصف الألف السادسة) . أما مواقع البدارى (الهامامية) و ديرتاسا فتوجد فى الوادى . ومن المواقع الموجودة فى الطرف الجنوبى للدلتا نذكر مرمدة بنى سلامة والعمرى قرب حلوان التى أضحت من ضواحي القاهرة فى الوقت الراهن ، و قد كشفت بقاياها عن سمات تضرب بجذورها فى المأثورات المتوارثة عن الصيادين

إلى جانب بعض السمات الجديدة (Huard & Leclant : 1980) . . و نلاحظ ارتفاع فن صناعة الأسلحة كأسنة الرماح المدببة المصنوعة من الطران المصقول والخطاطيف المصنوعة من العظام ، وهى جزء من المعدات التقليدية لكل صياد . لقد تشكلت أبعاد الصورة الحضارية للبيئة النيلية فى هذا العصر السحيق و سوف تخلدها مشاهد القنص والصيد فى المستنقعات على جدران مقابر العصور الفرعونية لتعيد إلى الازهان سيطرة المزارعين على عالم الوحوش . وجاء تنظيم المجتمع على أسس زراعية وأقيمت أماكن السكن على هيئة ضياع مخصصة لتربية الماشية وفلاحة الأرض معاً . وتوجد بالضياح مطامير لحفظ منتجات الأرض ولا سيما القمح والشعير، ونهضت فيها كذلك صناعات الفخار و السلال و غزل الكتان ، إلى جانب تربية الضأن والماعز والخنازير والبقرات . ولن تتغير هذه الأنشطة المتنوعة أو تتبدل على امتداد آلاف السنين .

لقد اتخذت المعتقدات الجنائزية نفس المسار المعبر عن الانتقال من حياة الصيد إلى حياة الزراعة . وتدرجياً بدأت الدفنات تنتقل بعيداً عن التجمعات السكانية لتقام خارج عالم الأحياء و تستقر عند حدود الأرض المزروعة . و يزود المتوفى بما يلزمه من حبوب وقرايين غذائية ، كما يصطحب معه ما يحتاج إليه من أدوات الصيد و أثاث ريفى يتكون من أوان فخارية على وجه التحديد . ويوسد المتوفى فى وضع الانثناء استعداداً للقيام برحلة كانت تقوده على ما يبدو ، منذ ذلك الوقت المبكر ، صوب الغرب الذى تغمره الشمس يومياً بأشعتها بعد أن تترك عالم الأحياء .

و مازال الطريق أمام الاستكشاف المنظم لمحلات العصر الحجري الحديث فى الوادى طويلاً قبل أن يمكن القول انه قد وصل إلى نهاية المطاف . و مازال الوقت مبكراً لإصدار أحكامنا حول المجموعات المعروفة فى الوقت الراهن و هل هى نتاج صدفة الاكتشافات أم أنها انعكاس للانفصال بين جنوب البلاد و شمالها . وهل يمكن اعتبار أن مواقع الشمال فى منطقتى القاهرة والفيوم قد تفوقت فى الصناعات الحجرية سواء فى الأسلحة الطرانية أم الأوانى الحجرية ، بينما تميزت مجموعة الجنوب بروعة نوعية أوانيها الحمراء ذات الحواف السوداء والرسوم المحفورة والثنى " ظلت العلامة المميزة لحضارات ما قبل الأسرات فى مصر " . (Vercoutter : 1987, 90)

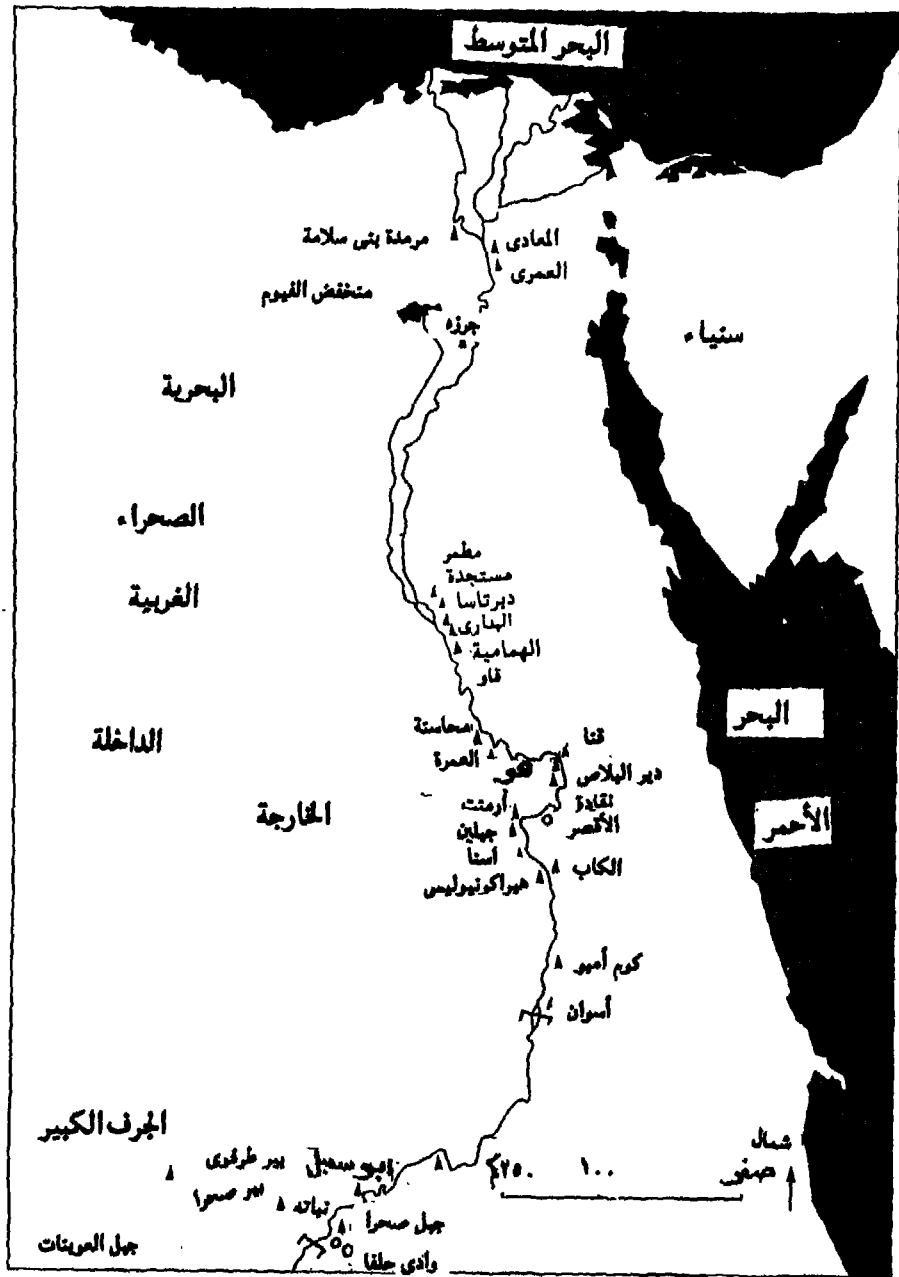
إن الجواب على هذا السؤال يعود علينا بفائدة كبيرة : فهو يشمل تفسيراً لمجمل عملية توحيد مصر الشمال ومصر الجنوب التى يؤكد مجمل التاريخ الفرعونى ثنائيتها

وقد استغرقت عملية النضوج أكثر من ألف سنة من حوالى ٤٥٠٠ إلى ٣١٥٠ ق م .
وظهرت الفروق بشكل واضح فى الفترات الأولى من هذه المرحلة الممتدة ، ثم أخذت تخف
حدثها فيما بعد دون أن تنصهر الحضارتان انصهاراً تاماً . ويرجع هذا التمايز إلى ظهور
المعادن ، ولكن لا ينبغي المبالغة فى مغزاه فقد كان استعمال النحاس نادراً كما ظل الأمر
على هذا النحو لفترات طويلة كما كان الانتقال وثيداً ولم يتسم بأى نقلة عنيفة . ونقسم
اليوم الفترة الممتدة من أوائل الخالكوليثى وحتى العصر الثينى إلى أربع مراحل .

" بدايات "عصر ما قبل الاسرات

المرحلة الأولى وهى مرحلة "بدايات" ما قبل الاسرات (من منتصف الألف السادسة
حتى منتصف الألف الخامسة) ، قد عاصرت الطور الأخير من تطور حضارة الفيوم " ا "
فى الشمال وحضارة البدارى فى الجنوب . وظلت الفوارق على ما هى عليه ، ونلاحظها
على وجه الخصوص فى الأوانى الحجرية والأسلحة والأدوات الظرفانية التى كانت على ما
يبدو أكثر تطوراً فى الشمال . وهى تشبه منذ ذلك الوقت المبكر صناعات واحات
الصحراء الغربية التى ترجع إلى أواخر الدولة القديمة . و تذكرنا بالسكاكين الرائعة
ذات اللمسات الرقيقة التى اكتشفها ج : كاتون-تومسون G.Caton-Thompson
كما تشبه ما اكتشف منها فى موقع " بلاط " فى الواحة الداخلة . ولكن الحذر من المبالغة
مطلوب هنا أيضاً . فإنتاج البدارى ، و لاسيما إنتاج أسنة السهام ، ليس أقل تطوراً .
ويكمن الفارق فى الأهمية النسبية التى تحتلها أنشطة الصيد البرى والصيد النهري فى
كلا المجموعتين . فقد كان نصيب الإضافات الغذائية التى تعتمد على الصيد بنوعيه أكبر
عند سكان الفيوم وفيما بعد سكان الواحات .

وعلى أى حال فإنه إلى جانب إرهاصات التحسينات التى أدخلت على الأمتعة و
أدوات الزراعة ، نلاحظ تطوراً ملموساً فى الممارسات الجنائزية مزجت بين مظاهر هاتين
الحضارتين . لقد ظل المتوفى يُلف بجلد حيوان حماية له ، بيد أن المقبرة بدأت تأخذ
أبعاداً معمارية متزايدة . و ظهرت أنماط تشكيلية كتب لها أن تعيش طويلاً على امتداد
الحضارة المصرية ، وبلغت صناعة الأوانى الفخارية ذات الحواف السوداء التى سبق الإشارة
إليها شأواً عظيماً من الرقى والكمال . ونذكر على وجه الخصوص الأشياء المصنوعة من
العظم ومن العاج من أمشاط وملاعق مساحيق التجميل والتماثيل الصغيرة النسائية ذات
الملامح الجنسية المبالغ فيها التى مهدت لظهور تماثيل " المحظيات " من أجل تجديد قوة
المتوفى الجنسية ، بالإضافة إلى الحلى والتماثيل ذات الوجوه الإنسانية أو الحيوانية ، وقد



شكل (٤) - أهم مواقع العصر الحجري الحديث .

صنع بعضها من مادة أطلق عليها اصطلاحاً القيششاني
المصري (Hoffman : 1979 , fig 38-39 , p.p 138-139) .

عصر ما قبل الأسرات القديم .

و دون ان تحدث تغييرات جذرية تم الانتقال أيضاً إلى مرحلة " عصر ما قبل
الأسرات القديم " حوالي عام ٤٥٠٠ ق . م . بل يمكن القول أن الفصل بين هذه المرحلة
والمرحلة التي سبقتها هو فصل اعتباطي ، طالما حصرنا أنفسنا في إطار الطور الأول



شكل (٥) - "راقصة" من عصر العمرة (نقادة : ١) ما قبل الأسرات.
صلصال محروق وملون . الارتفاع : ٢٩ سم . متحف بروكلن .

المعروف فى موقع العمرة التى تقع على مسافة ١٢٠ كم تقريباً جنوبى البدارى وفى قلب المنطقة الممتدة من أسيوط إلى الجبلين ، حيث تقع حقول تضم أغنى مواقع ما قبل الأسرات وعلى بعد ١٥٠ كم جنوبى العمرة نلتقى بطور مائل للسابق و هى المحلة الأولى لمواقع نقادة . ونجد شواهد لهذا الطور أيضاً على امتداد منطقة نهر النيل من جبل العركى إلى الجبلين . و نلاحظ أن تطور الفخار يتخذ مساراً مزدوجاً : ظهر خطه الأول فى الخزف مع ابتكار عناصر هندسية منقولة عن النبات و الحيوان ، مرسومة أو محفورة . وظهر خطه الثانى فى التشكيل لا سيما الأوانى ذات الأشكال الحيوانية . وخير شاهد على بلوغ فن الخزف الذروة هى قماثيل " الراقصات " المرفوعة الأيدى المصنوعة من الصلصال المحروق الملون والتى يحتفظ متحف بروكلين بأجمل نماذجها : ألا يذكرنا هذا النموذج بقده المشقوق " بعازفات كمان جزر سيكلادز " (فى بحر إيجيه)

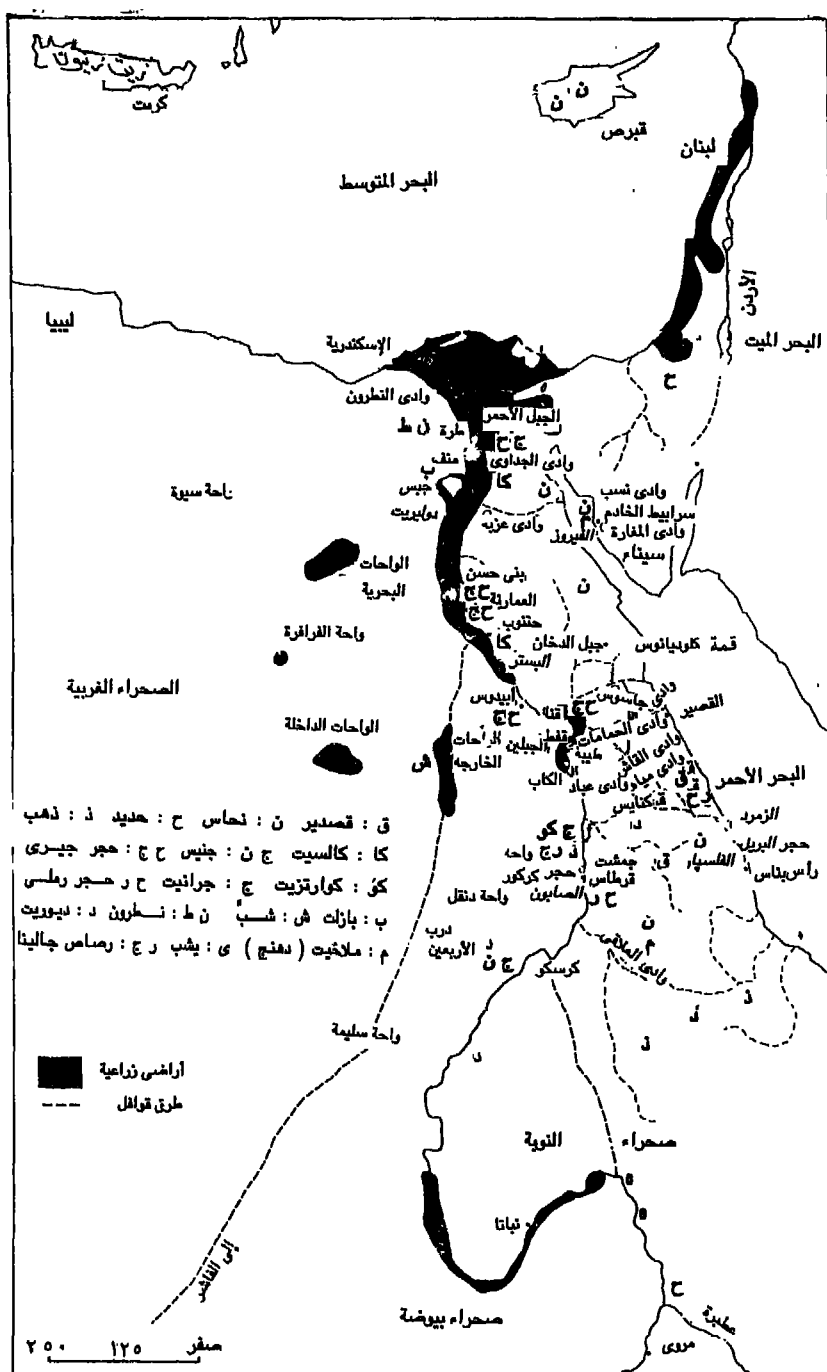
كان انفتاح الوادى على العالم الخارجى أمراً فرضته الضرورة لافتقاره إلى المواد الأولية . فأماكن وجود المعادن كالنحاس قليلة ، وتنتشر فى النوبة جنوبى وادى العلاقى وعلى وجه الخصوص على مقربة من البحر الأحمر : فى سيناء وسلسلة جبال الصحراء الشرقية حيث مناجم الرصاص والقصدير وأيضاً الجالينا ، هذا بالإضافة الى القليل من الذهب المكتشف أيضاً على مقربة من الجندل الأول . ولكن ظلت مصر على الدوام تعتمد على النوبة كمصدر رئيسى للذهب . وفيما بعد كانت النوبة أيضاً مصدراً لقليل من الحديد النيزكى الآتى من مملكة "مروى" البعيدة التى تعتبر إلى جانب الواحة البحرية من المراكز القليلة لإنتاج هذا المعدن . أما الأحجار الكريمة ، فالفيروز والذهنج يتمركزان فى سيناء واليشب بين وادى جاسوس ووادى القش فى سلسلة جبال الصحراء الشرقية ، والزمرد على امتداد سواحل البحر الاحمر الجنوبية ، والجمشت فى منطقة اسوان . اما الأحجار اللينة كالبحر الجبرى فهو واسع الانتشار ، ويوجد بارزاً على سطح الأرض فى هضاب الصحراء الغربية . أما فى الوادى فأماكن تركزه منتشرة من الشمال إلى الجنوب : فى طرة حيث توجد أكبر المحاجر التى أمدت مصر بما تحتاجه من حجر جبرى منذ الدولة القديمة وحتى الوقت الحالى ، وفى بنى حيسن وفى تل العمارنة فى مصر الوسطى ، وفى أبيدوس والجبلين بأعلى الصعيد . و يوجد الألبستر على شكل مادة الكالسيت على مقربة من منف ، فى وادى جراوى ، و على الأخص فى حتنوب بمصر الوسطى ، كما يوجد على شكل مادة الجبس فى الفيوم . ويظهر الحجر الرملى فى جنوب

إسنا ، وتوجد أهم محاجر استخراجها عند جبل السلسلة و قرطاس فى النوبة السفلى . أما الأحجار الصلبة التى احتلت مركز الصدارة منذ عصر ما قبل التاريخ فتوجد فى أماكن متفرقة : فالبازلت يوجد فى الشمال و الدولريت فى الفيوم ، وفى سلسلة جبال الصحراء الشرقية نجد الدولريت أيضاً إلى جانب حجر السماقى أو البورفير والجرانيت . وأخيراً نجد فى منطقة الجندل الأول الكوارتز والديوريت والستياتيت والجرانيت .

أما الظران فهو الحجر الوحيد الذى ينتشر حقيقة فى طول البلاد وعرضها إذ عروقه جنبا إلى جنب مع بروز الحجر الجيرى فى الوادى وفى هضاب الصحراء الغربية . أما باقى أنواع الأحجار فيتم استخراجها على وجه العموم من المحاجر بشكل وقتى . إن وجودها فى مناطق بعيدة بعض الشيء عن الأراضى الزراعية أو فى مناطق الحدود قد دفع المصريين إلى ضرورة تنظيم حملات حقيقية لتأمين أماكن استخراج الأحجار وطرق المواصلات لنقل ما استخرجوه منها . ولقد حددت هذه الضرورة معالم السياسة الخارجية لمصر والتى استهدفت فى المقام الأول تأمين المناطق المتاخمة للوادي من غارات الشعوب الأجنبية .

وتظهر هذه الإسهامات الخارجية فى فن التصوير ذاته : فنكتشف على سبيل المثال أشخاصا ملتحين يرتبطون من حيث المظهر بالقبائل الليبية . كما ترد المنتجات من أقصى الجنوب كالسج (الأوسيدبان) ، وربما النحاس أيضا الذى ساد اعتقاد بُنى على عجل أنه لا يوجد إلا فى سيناء . وتتعدد هذه الإشارات وتزايد حتى حلول وحدة المملكةتين النهائية ، شاهدة على قوة العلاقات التجارية التى كانت قائمة فى هذا الوقت المبكر ، سواء مع الجنوب - ومن الطبيعى أن نفترض انتظام رحلات القوافل تدعيما لهذه العلاقات ، أو مع الغرب - وربما تمت عن طريق الواحات - أو مع الشرق عن طريق سيناء أو الشريط الساحلى . وكان التبادل التجارى بين المجموعتين الحضارتين فى الشمال والجنوب يتم بنفس الطريقة استنادا الى امكانية تأويل ظهور ادوات الأكل الحجرية فى العمرة كدليل على اقتباسها من الشمال .

كما ان ظهور الأشكال المعمارية التاريخية جدير بمزيد من الإهتمام أيضا . إن وجود " النماذج " وهى عبارة عن تصميمات (مكيّنات) يصطحبها المتوفى معه إلى العالم الآخر - يكشف عن وجود منازل وأسوار من الطوب من النمط الذى كان منتشرا منذ ما قبل العصر الثينى (Hoffman:1979, 147- 148) . وإن دل ذلك على



شكل (٦) - موارد مصر الطبيعية .

شئء فإنما يدل على ان مفهوم المدينة المصرية والتنظيم الحضري إنما يرجعان على الأقل إلى هذا العصر .

مرحلة جرزة

ان اكتشاف حضارة جرزة على بعد بضعة كيلو مترات من ميدوم ، قد سمح بتحديد المرحلة الثالثة الجرزية ، وهي مقابلة للطور الثانى من حضارة نقادة . والفروق بين هاتين المجموعتين قاطعة وواضحة بما فيه الكفاية للوقوف على مدى تأثير الشمال المتزايد على الجنوب حتى استطاع ان يبتكر حضارة مختلطة تتمثل فى مرحلة "ما قبل الاسرات الحديث" (نقادة الثالثة) التى تسبق مباشرة توحيد البلاد واستمرت فى جملتها ثلاثة قرون من ٣٥٠٠ الى ٣١٥٠ ق م .

ويمكن الفارق بين حضارة العمرة وحضارة جرزة فى انشاجهما من الخزف . فالعجينة فى الحالتين ليست واحدة . ويرجع هذا الفارق الى اختلاف الاماكن أكثر منه الى تقدم تقنى . وأخذت حضارة جرزة خاصة ، ترتقى بالعناصر الموجودة فى طبيعته بعد تبسيطها لغرض الزخرف : فمنها عناصر هندسية لنقل المواضيع النباتية ، وعناصر طبيعیه لنقل عالم الحيوان وبعض الملامح الحضارية . اما الحيوانات من نعام وتيوس جبلية وأيائل فلا تنطوى ملامحها على اية مفاجأة غير متوقعة . فكلها حيوانات تعيش عادة فى بيئة شبه صحراوية . وعوضا عن ذلك فان رسومات الاوانى الفخارية تروج بحركة الاشخاص والقوارب التى ترفع شارات من الجلى أنها شارات آلهة ، (Vandier : 1952,332-363; F. El -yahky, BIFAO 85 (1985) 187-195) والتى يعتقد أنها سبقت الألوية التى استخدمت بعد عدة قرون من الزمن لتمييز المقاطعات. وتُروى هذه المشاهد بعلامات مرسومة . ولكن هل هى علامات رمزيه أم تاريخيه؟ وما يزيد من صعوبة تقديم إجابة شافية لهذا السؤال أن هذه الادوات من النذور التى وضعت أصلا فى اطار جنازى . ومن المهم ملاحظة ان هذه التصاوير قد وجدت جنبا إلى جنب مع نمط آخر أكدت وجوده حضارة البدارى : إنها صلايات الشست المنحوتة والمستخدمه فى صحن مواد التجميل وتصاحب المتوفى فى الاغلب إلى مشواه الأخير، وسرعان ما اصطبغت بقيمة تاريخية .

وبالمقارنة مع الحضارة الفرعونية ، بلغت حضارة جرزة مستوى راقيا من التقدم ، لا سيما فى المجالين الجنائزى والدينى . لقد أصبحت المقابر تحاكي عن كسب المساكن الدنيوية وتضم أحيانا عدة حجرات مؤثثة بأثاث متعدد ومتنوع. كما نلاحظ وجود التماثيل

والتماثيل الصغيرة أو مقتنيات هي من علامات الأبهة ، وقد زخرت بمواضيع تمثل الحيوانات من أسود وثيران وأبقار وافراس نهر وصقور وأصبحت جميعا منذ وقت مبكر صورا للأرباب والآلهة وبالطبع تفتقر هذه المحاولات لإعادة بناء الملامح الحضارية - إلى اليقين والدقة حيث أنها تستند إلى عناصر مبعثرة ، غالبا ما تغفل العناصر التي اندثرت دون أن تترك أثراً . ولكن حدث تدريجيا وتحت تأثير حضارة جزرة أن أخذت العناصر المكونة للحضارة الموحدة تفرض نفسها ، فهي التي قدر لها أن تصبح الحضارة الغالبة . ويتضح من المعطيات التي وفرها علم الآثار أن الانتقال من عصور ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية جاء نتيجة تطور بطيء ، ولم يحدث - كما ساد الاعتقاد ردحا من الزمن - نتيجة طفرة حادة جلبت معها أساليب تكنولوجية جديدة- لا سيما في مجال التعدين وبنى المجتمع . ونذكر فيما يعيننا تنظيم المجتمع في حواضر زراعية ، والطوب ، والكتابة ، وكلها عناصر تُنسب أصولها عادة إلى بلاد النهرين ، لا لسبب إلا لأنها ظهرت هناك في نفس الفترة . في حين يبدو من الأيسر والأسهل إرجاعها الى أصل مشترك هو " نمط الإنتاج الاسيوى " .

إن وجود أختام اسطوانية فى مصر ترجع إلى عصر " جمدة نصر " فى بلاد النهرين (منتصف الألف الرابعة) إن دل على شىء ، كما يلاحظ جان فيركوتير (J.Vercoutter 1987, 101 sq) فإنما يدل على وجود علاقات تجارية تأكدت أيضا مع سوريا وفلسطين ومع ليبيا والجنوب . ولا يمكن الاستناد إلى شهادات منفصلة للبرهنة على مثل هذا الغزو . صحيح أن أسلوب زخرفة سكين جبل العركى والمحفوظ حاليا فى متحف اللوفر ، يشبه زخارف بلاد النهرين ، ولكنه المثال الوحيد فى سلسلة المصنوعات العاجية ذات التصاوير والموثقة توثيقا جيدا (Vandier : 1952 , 533- 560) ، حتى وإن لاحظنا ظهور نفس هذا الموضوع فى " المقبرة ذات الزخارف " فى مدينة هيراكونبوليس بأسلوب أقل نمطية . (Vandier : 1952 , 563) . ومن الوثائق التى يتم الاستشهاد بها مرارا وتكرارا للبرهنة على تأثيرات بلاد النهرين إحدى قطع ألعاب التسلية ، التى ترجع إلى العصر الشينى وقد تم اكتشافها فى ابو رواش . وتمثل منزلا غطيت مبانيه بسقف له انحدار مزدوج ، خصص لانسياب مياه الامطار . ولكن هذا المثال لايعتبر برهانا سديدا . فإلى جانب أنه من الممكن اعتباره مجرد قطعة مستوردة أو غريبة بقدر غرابة الختم الأسطوانى ، إلا أنه لا ينبغي أن يغيب عن ذهننا أن مصر كانت عرضة هي الأخرى لهطول أمطار غزيرة .

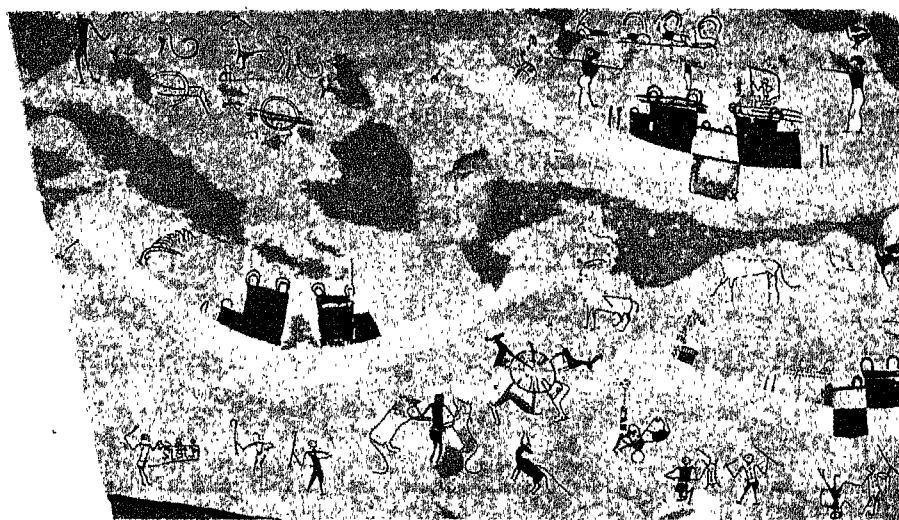
ولم يكن المصريون فى حاجة إلى الذهاب بعيدا بحثا وراء فن صناعة الطوب الذى توصلوا إليه هم ايضا خلال الألف الخامسة : ويمكن أن نقرر ، دون خوف من الانسياق وراء حتمية جغرافية مبالغ فيها ، أن الصلصال كان من أكثر المواد المتاحة للإنسان سواء فى بلاد النهرين أو فى وادى النيل أو الواحات الغربية . وإذا كان الإنسان لم يستعمل الحجر إلا فى وقت لاحق فالسبب فى ذلك لا يرجع إلى ان مستوى تطور تقنية المعادن التى استعملها عمال المحاجر والتى كانت أقل عادة مما يظن ، بقدر ما كان يرجع إلى الإفتقار لتنظيم وأساليب لم تتوفر إلا فى ظل الفراعنة وكان زعماء الأسرات المحلية التى حكمت أقاليم مصر فى أواخر عصر ما قبل التاريخ يفتقرون إليها .

الكتابة

كيف يتسنى لنا التوصل إلى معرفة أصل الكتابه فى إحدى الحضارات وما إذا كانت قد وفدت من الخارج أم ظهرت فجأة ؟ وتعتبر هذه النظرية قليلة الأهمية بالنسبة لنا اذ أنه بإمكاننا ان نتابع من خلال مناظر اوانى حضارة نقادة مسار التبسيط المتدرج للأشكال النباتية والحيوانية بغرض الزخرف مروراً بمناظر الرقصات الشعائرية ووصولاً إلى رسومات ألوية الآلهة التى يمكن اعتبارها منذ ذلك الوقت المبكر كتابة هيروغليفية (جرزة: 231, fig. 341 et 363-333 . والعمره (Vandier:1952, 264-296) .

وهذه المناظر والتصاویر تعكس فى حقيقة أمرها المبدأ الجوهرى للكتابة المصرية التى لم تتغير تقريبا على امتداد حضارتها والتى ظلت مزيجا من العلامات المرسومة والعلامات الصوتية . كما أنه من الصعب تحديد لحظة الانتقال من الأولى إلى الثانية . ولكن هل تم هذا الانتقال حقا ؟ والبرهان الوحيد لصالحه هو اقتضاب المدونات الأولى . ونظرا لأنها لم تستخدم فى معظم الأحوال سوى علامة واحدة دون الإضافات الصوتية التى ستدخل على الكتابة فى وقت لاحق ، فان ذلك يجعلنا نفترض أنها اعتمدت على أسلوب الصورة المباشرة . وما يدل على ذلك اعتبار التدوين الصوتى بمثابة تقدم تقنى ينتهى بمرور الزمن إلى أن يصبح إضافة خطية تزداد وضوحا ، مما يجعلها اشبه بالمدخل إلى الكتابة الأبجدية . كما أننا نخرج بانطباع مماثل عند مقارنة نصوص الدولة القديمة بنصوص الألف الأولى . ولكن هل هذا الانطباع هو الانطباع السليم ؟

تجمع الكتابة الهيروغليفية بين العلامات المرسومة والعلامات التصويرية والعلامات الصوتية . والعلامة المرسومة تمثل الشئ مباشرة ، أى أن رسم إنسان او منزل



شكل (٧) - تفاصيل حائط مقبرة هيراكونبوليس (متحف القاهرة)

أو عصفور يعنى تسميته بالتبعية وهذا هو نفس مبدأ الرسومات الصخرية لعصور ما قبل التاريخ . وتبدو الفكرة بسيطة لأنها تعبر عن واقع الأشياء . ولكن تمثيل المفاهيم مباشرة بالصورة والرسم ليس بالأمر السهل . وإن لجأنا إلى الأساليب المجازية ، فإن النتيجة يعبر عنها بالسبب - والهواء يعبر عنه برسم شراع مركب منتفخ هواء - ويعبر عن المحتوى بالحاوى - فجرة الجعة تشير إلى الجعة ذاتها . ولغة البردى تعبر عن عملية الكتابة الخ وتبقى مشكلة الكلمات المتماثلة الصوت ، فنذكر منها "سا" وتكتب بواسطة "بطة" فى وضع جانبي . وهى تعنى "البطة" و "الإبن" معاً . من هنا نشأت ضرورة تخليص بعض العلامات من قيمتها التصويرية للإبقاء على قيمتها الصوتية فقط . وسوف تستخدم العلامة الهيروغليفية الدالة على البطة فى نقل العلامة الصوتية الثنائية "سا" ، سواء كان المقصود بذلك الإبن أو الطائر . وللتمييز بين الاثنين تضاف علامة لها قيمة المخصص النوعى إلى المقطع الصوتى ، وهى على شكل صورة رجل بالنسبة للإبن وعلى شكل طائر بالنسبة للبطة . وفى هذه الحالة الأخيرة ومنعاً للبس الذى ينشأ من جراء تكرار صورة طائرين ، يستبدل المخصص بخط عمودى لتوضيح أن العلامة المستخدمة تحتفظ بالدلالة الأولى للصورة التى تمثلها .

وإذا كانت كل علامة صوتية قد ظلت محتفظة من الناحية المبدئية بقيمتها كعلامة تصويرية ، فقد تخصصت بعض العلامات فى واقع الحال فى تدوين الأصوات الأكثر شيوعاً . إنها أساساً علامات أحادية الصوت وتكون ما يعرف اصطلاحاً بالابجدية وتضم ٢٦ علامة يمكن نظرياً بواسطتها تدوين جميع الاصوات . ويلجأ المصرى من الناحية العملية إلى علامات أخرى تنقل بمفردها أصواتاً تتراوح بين " حرفين " وستة " حروف " مع احتفاظها هى أيضاً إذا لزم الأمر بقيمتها التصويرية الخاصة . هكذا تتعامل الكتابة مع مجموعة من العلامات التى تضم خليطاً من العلامات التصويرية والعلامات الصوتية والمخصصات ، تبدأ بعلامة واحدة لتصل الى عدة الاف من العلامات حسب العصر وثراء التعبير .

وفى المعتاد تخصص الكتابة الهيروغليفية للنصوص الجدارية او المدونة على الحجر ، بشكل عام ، سواء استخدمت أسلوب الحفر أو الحز أو الرسم الملون . وظلت هذه الكتابة دون تطور من حيث أساسياتها منذ المدونات الاولى وحتى تلك التى تغطى جدران معابد العصر الرومانى . وقد ارتبط التغيير الوحيد بخط الكتابة نفسها ، فبتفاوت تارة بين ميلها إلى تبسيط الأشكال بالزيادة أو النقصان وصولاً إلى الزخرف . او على عكس

ذلك ، تنزع الكتابة إلى إثراء الصنعة و العودة إلى الماضى السحيق أو إلى التجديد حسبما يتراءى لكتبة المعابد وطبقاً للهدف الذى يرغبون فى تحقيقه .

أما الوثائق الإدارية والمعاملات المالية والقانونية أو محفوظات شتى النصوص على وجه العموم ، بدءاً من المؤلفات الأدبية وحتى الطقوس الدينية والجنائزية ، فقد كتبها المصريون منذ وقت مبكر جداً بخط مختصر أطلق عليه السياح الإغريق فى العصر المتأخر الكتابة الهيراطيقية ، ظناً منهم حسبما شاهدوه أنها كانت مخصصة لسلك الكهنوت فى مقابل الديموطيقية التى اعتقدوا أنها منتشرة بين أفراد الشعب فحسب . ولكن الديموطيقية ليست فى واقع الأمر سوى شكل جديد للخط الهيراطيقى ظهر فى حوالى القرن السابع ق.م . إن المبدأ الذى ترتكز عليه الهيراطيقية بسيط ، فهى تعتمد على العلامات الهيروغليفية بعد اختصارها لجملة العلامات الأكثر انتشاراً سواء فرادى أو مجموعات . إنها ضرب من ضروب الكتابة الاختزالية . وقد أخذت تتطور منذ الدولة القديمة وحتى القرون الأخيرة من الحضارة المصرية القديمة فى اتجاه مزيد من التجريد حتى أصبحت فى مراحلها الأخيرة هى ما نطلق عليه بالتحديد الديموطيقية . وكما حدث تطور " طبيى " (نسبة إلى طيبة) فى العصر الأثيوبى والفارسى بلغ ذروته عند منتصف الألف الأولى قبل الميلاد وهو ما نطلق عليه اصطلاحاً الخط " الهيراطيقى الشاذ " ، تطورت الكتابة أخيراً فى اتجاه التدوين الأبجدى مع ظهور الكتابة القبطية . وحدث هذا التطور تحت تأثير العلاقات التجارية عبر البحر المتوسط وفى ظلّ الهيمنة اليونانية ثم الرومانية . وما الكتابة القبطية سوى الأبجدية اليونانية التى أضيفت إليها سبع حروف مصرية ضرورية للتعبير عن الأصوات التى تفتقر إليها الأبجدية اليونانية . وتعتبر القبطية انعكاساً لحال اللغة المصرية فى القرن الثالث الميلادى ، وأصبحت بعد التخلّى عن الوثنية كتابة الكنيسة والكنيسة وحدها ، حيث ظلت اليونانية ثم العربية هى الكتابة الرسمية . ومن هذا التاريخ أصبحت القبطية لغة الطائفة المسيحية فى مصر ، لتصبح اليوم لغة الطقوس والشعائر الدينية فحسب . وبفضل إمام شامبوليون بها إستطاع أن يعيد تشييد أسس علم أصوات اللغة المصرية القديمة .

كانت الهيراطيقية هى الكتابة ذات الفائدة والمنفعة المؤكدة دون منازع . وكان يتدرب عليها التلاميذ فى مدارس إعداد الكتبة . ويسطر التلميذ الصغير أولى حروفه بالخط

التواريخ التقريبية	العصر	النوبة السودان	الوادي	الدلتا	الفيوم
٥٥٤. - ٤٥٠.	المجري الحديث	الشهيناب الخرطوم شندى (القابة)	البيدارى (١) الهمامية	مرمده بنى سلامة	الفيوم (١)
٤٥٠. - ٤٠٠.	ما قبل الأسرات القديمة	الشمرقى شندى (القداة)	العمرة (نقادة ١) البيدارى (ب) (الخالط)	العمري (١) حلوان	
٤٠٠. - ٣٥٠.	ما قبل الأسرات الوسطى	الجموعة من جندل الأول إلى الثالث	جزرة (١) (نقادة ٢) جزرة (ب) (نقادة ٢)	العمري (ب) المعادي	
٣٥٠. - ٣٣٠.	ما قبل الأسرات الحديث				
٣٣٠. - ٣١٥.	العصر ما قبل الثنى				

شكل (٨) - جدول الترتيب الزمني لنهاية العصر الحجري الحديث

Vercoutter:1987,216

الهيروغليفية بواسطة القلم فوق شقف الفخار أو شظايا الحجر الجيري التى أطلق عليها المحدثون عبارة " أوستراكون " Ostrakon أو " أوستراكا " باليونانية (لخفة وجمعها لخاف) . وهى من أيسر الوسائل المستخدمة فى الكتابة ، إذ يكفى للحصول عليها البحث قليلاً فى أكوام الأواني المكسورة أو بين شظايا المحاجر . ويمكن أن يحل محلها الصلصال بعد تشكيله على هيئة ألواح صغيرة ويكتب عليه بواسطة سن رفيع . أما ورق البردى فقد كان أكثر تكلفة ، ولذلك اقتصر استخدامه على النصوص الأكثر أهمية كالمحفوظات والمعاملات المالية والنصوص الدينية والسحرية والعلمية والأدبية والتى يمكن أيضاً نقلها على لفائف الرق أو لوحات صغيرة مطلية بمعجون من المرمر أو الجير .

الوحدة السياسية :

هذه الملاحظات المرتبطة بنشأة الحضارة المصرية تفتح الباب لعقد مقارنات جديدة لمشكلة الوحدة النهائية بين شطرى الوادى التى ظلت مثار جدل طويل . فبعد انقضاء قرنين توحدت الحضارتان ، وتصور المصادر المصرية هذه العملية على أنها انتصار للجنوب على الشمال فى حين يتضح بجلاء من تحليل ببنى المجتمع مع وضعها فى مكانها الصحيح

، مدى تأثير الشمال ، أى الطرف المغلوب . وفيما مضى فتح " كورت زيته " K.Sethe وهرمان كيس H.Kees ملف هذه القضية (Vandier: 1949, 24 sq) فى وقت كان فيه سبر أغوار تاريخ عصر ما قبل الأسرات يندرج تحت باب التأمل الذهنى . وما زال الوقت مبكراً للتفكير فى غلق ملف هذه القضية ، حتى وإن غدا فى مقدورنا من الآن فصاعداً تتبع المراحل التى أدت إلى نشأة الملكيتين وما انتهت إليه المواجهة بينهما . وتصل فرضية " كيس " إلى أن هذا الواقع كان انعكاساً على ما يبدو للاتحاد الأول للبلاد تحت زعامة الشمال . وقد انفصمت عرى هذه الوحدة لأسباب غامضة ، ثم أعيدت من جديد بقيادة ملوك الجنوب الذين اكتفوا بالاعتماد على النموذج السابق . لقد ثبت بطلان هذه الفرضية استناداً إلى معطيات علم الآثار التى تسمح بتتبع التأثير المتزايد لحضارة الشمال على مصر الوسطى وأعالى الصعيد ، منذ حضارة ديرتاسا ومن البدارى حتى نقادة (Kaiser : 1985) .

ولاتسمح الأوصاف التى قدمها المصريون أنفسهم عن أحداث هذه المرحلة الموضوع فى هذا الاتجاه أو ذاك . وتتكون الوثائق المباشرة أساساً من الصلايات التى تظهر فى عصر البدارى والتى تعطينا فكرة عن اندماج الأسطورة فى التاريخ . هذه الصلايات عبارة عن نذور ، بل إنها لم تصنع إلا لهذا الغرض فحسب . وهى موزعة بين نمطين رئيسيين : يتضمن الأول أشكالاً حيوانية بسيطة ، فيتكون إطار الصلاية من جسم حيوان قد يكون سلحفاة أو سمكة أو فرس نهر إلخ ... أما النمط الثانى فهو أكثر تعقيداً ، ويمزج بين الأشكال الرمزية والتسجيل التاريخى ويظهر معه الإنسان ، وتخلد المشاهد ذكرى أحداث نجد صعوبة فى تقييم مغزاها الحقيقى . إن المواقع التى اكتشفت فيها هذه الوثائق تؤكد المساحة التى انتشرت فيها حضارة جرزة . لقد غطت المناطق التى تبدأ من رأس الدلتا وحتى مدينة " هيراكونبوليس " عاصمة ملوك الجنوب المنادين بالوحدة . كما أن موضوعاتها قريبة الشبه من تلك التى تزخر الأدوات المصنوعة من العظم على امتداد حضارة جرزة وحتى بدايات العصر الثينى ، وهى تصور عالم الحيوان من طويلات الساق والأسود والفيلة والثيران والأبائل والأفاعى وأفراس النهر إلخ ... وجميعها حيوانات تعيش فى الوادى والمناطق شبه الصحراوية . ونشاهدها على شكل مواكب حيوانات أو فى مشاهد المواجهة بين آكلى اللحوم وآكلى العشب: (Vandier: 1952, 539q, 547) وأيضاً بين الفيلة والأفاعى والثيران وبعضها البعض .

الصلايات

وتوجد هذه الأشكال الحيوانية على الصلايات إلى جانب الأشكال البشرية أوبدونها .
وقدمت لنا حفائر قرية " هيراكونبوليس " صلايتين من هذا النمط يحتفظ متحف اللوفر
بإحديهما . وقد تحدد إطارها بواسطة كلاب تواجه بعضها البعض ، وبين أجسادها
حيوانات من النمط الذى سبق الإشارة اليه فى تشابك وتداخل معقدين .: (Vandier
579sq, 1952) كما نشاهد أيضاً ثعلبا زماراً ، وقد أصبح فيما بعد موضوعاً واسع
الانتشار فى القصص المصرية ووصلنا عنه عدد كبير من الوثائق . ونشاهد على ظهر
اللوحة حيوانين خرافيين استطال عنقاهما ليلتقيا حول بؤرة الصلاة وهى المدق الذى كان
الكحل يصحن فيه . وتضم مجموعة الحيوانات الخرافية أمثال هذين الحيوانين . فقد
وجدت من قبل على مقبض سكين جبل الطارف وهى موجودة على سطح صلاية "نعرمر" ،
كما تذكرنا بسكين جبل العركى بوحوشه المتجابهة ...

أكانت هذه الحيوانات مجرد مخلفات عصر ما قبل التاريخ ؟ هل يمكن مقارنتها بما
خلفه أسلافهم البعيدين فى كهوف ألتاميرا فى أسبانيا ؟ ولا يوجد ما يبرر تصنيفها مع
أحد أنواع المملكة الحيوانية ، فقد استعير كل تفصيل منها من شكل حيوانى مختلف حتى
ظهرت هذه التركيبة الفريدة بمظهر الحيوانات المسوخ لتذكرنا بشكل غامض بالوحوش
الضخمة وفصيلة السحالى . ولم تجتمع عناصر هذا التكوين على هوى الصدف بل هى
دائماً حيوانات مخيفة ، متوحشة ومفترسة . إنها تبرز دائماً أحد أجزائها المتميزة : من
مخالب وخطوم وحوافر الخ... لقد افلتت هذه التكوينات من عالم الواقع لتصبح رموزاً
لسطوة الحيوان التى يواجهها الإنسان عند تنظيم الكون . ويدفع محارب جبل العركى
بساعديه وحشين يقفان وجهاً لوجه . أما الوحشان الأسيران على سطح صلاية "نعرمر"
فقد ربطا من عنقيهما ليشكلا بؤرة الصلاة حيث يوضع الكحل . إن تدخل
الإنسان على سطوح الصلايات يصبو على الدوام إلى تنظيم الخليقة . وهذا الاتجاه واضح
جلّى فى صلاية "النعام" وفى الصلاة التى تعرف اصطلاحاً بصلاية "الصيد" التى يتقاسم
أجزائها المتحف البريطانى واللوفر . هذه الصلاة أكثر وضوحاً فهى تصور حملة منظمة
هدفها قتل الوحوش وأسرها أيضاً . ونشاهد على سطحها أسوداً وقد إشبعها الصيادون
طعناً بالسهم ، فى حين تطارد الكلاب الماعز والأيائل قهيداً لأسرها .

وقد تسلح الرجال بالأقواس والحراب والبليط وعصى الرماية ومقامع كمثرية الشكل ،
وانتظموا فيما يشبه الفرق العسكرية خلف ألوية تمثل الصقر محمولاً على عمود والعلامة



شكل (٩) - وجه وظهر صلاية" هيراكونبوليس" (نخن، الكوم الأحمر)

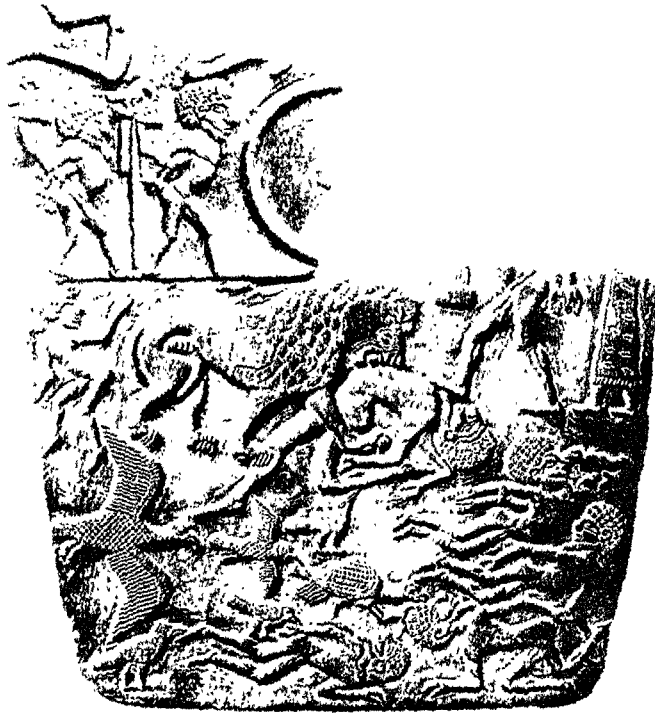
التي تستخدم فى الكتابة للدلالة على الشرق. كما صورت على سطح الصلاة مقصورة للإله، وثور ذو رأسين يذكرنا بالجزء العلوى من صلاة نعرمر.

أما صلاة "العقبان" المحفوظة فى المتحف البريطانى ومتحف اشموليان فهى تروى لنا مصادمات بشرية محض ولكن بأسلوب رمزى . وتصور الصلاة محاربين يبدو من ملامحهم أنهم ليببون فهم ملتحمون وشعرهم طويل ويرتدون قراب العورة. ويسير أسيران أو ثقت أذرعتهما خلف ظهريهما ويقودهما لواءان شبيهان بالوية صلاة الصيد. وفى هذه الحالة يصبح الرمز واضحاً كل الوضوح . فالأسد إلى جانب الثور هو من الصور الرئيسية المفضلة المعبرة عن سلطة الملك. وهو الضامن لهيمنة مملكة الصقر على شعوب الشمال، تعاونه فى مهمته أنثى العقاب ، الإلهة الحامية لمدينة هيراكونبوليس . وفيما بعد يصبح الصقر إله عصر الأسرات .

وهناك مراحل أخرى لتجسيد هذا الفتح. نذكر على سبيل المثال الصلاة المعروفة اصطلاحاً بصلاة "الثيران" المحفوظة فى متحف اللوفر. ويصور المنظر الرمز الثانى لسلطة الملك وهو الثور، ونراه يبقر أحد أهالى الشمال بقرنيه فوق موكب أسرى شد وثاقهم بحبل واحد مربوط بشارات الممالك الخمس المتحدة . ويصور ظهر الصلاة أسواراً مسننة تضم كل منها إسم المهزومين مكتوباً بالعلامات المرسومة .

كما يوجد شاهدان على الطور الأخير والنهائى لعملية الفتح ومصدرهما أيضاً هيراكونبوليس . الأول عبارة عن رأس مقمعة لأحد الملوك الذى يظهر واقفاً وعلى رأسه تاج الجنوب الأبيض ويرتدى سروالاً ونقبة يتدلى من حزامها ذيل ثور . ويهم الملك بشق قناة بواسطة فأس كبيرة فى حين يملأ أحدهم قفة بتراب الأرض ، وانشغل بعضهم قرب مجرى ماء بجوار شجرة نخيل وضعت فى إصيص . أما الملك الذى دون اسمه بعلامة مرسومة تمثل عقرباً فقد صور بقوام فارغ بطولى وسط مشاهد عرفان الجميل، وتحت صف من الألوية ، هى مقدمة لما سيصبح فيما بعد مقاطعات البلاد. وقد ربطت بهذه الألوية طيور الزقزاق "الرخيت" التى تشير إليها النصوص اللاحقة على أنها تمثل سكان الوجه البحرى .

وتمثل صلاة "نعرمر" المحفوظة فى متحف القاهرة المرحلة الأخيرة من الوحدة . وقد دون على سطح ظهر الصلاة إسم الملك بواسطة علامتين هيروغليفيتين : السمكة "نعر" والإزميل "مر" . ونرى الملك وقد ارتدى زياً شبيهاً بزى العقرب ، والتحنى بلحية

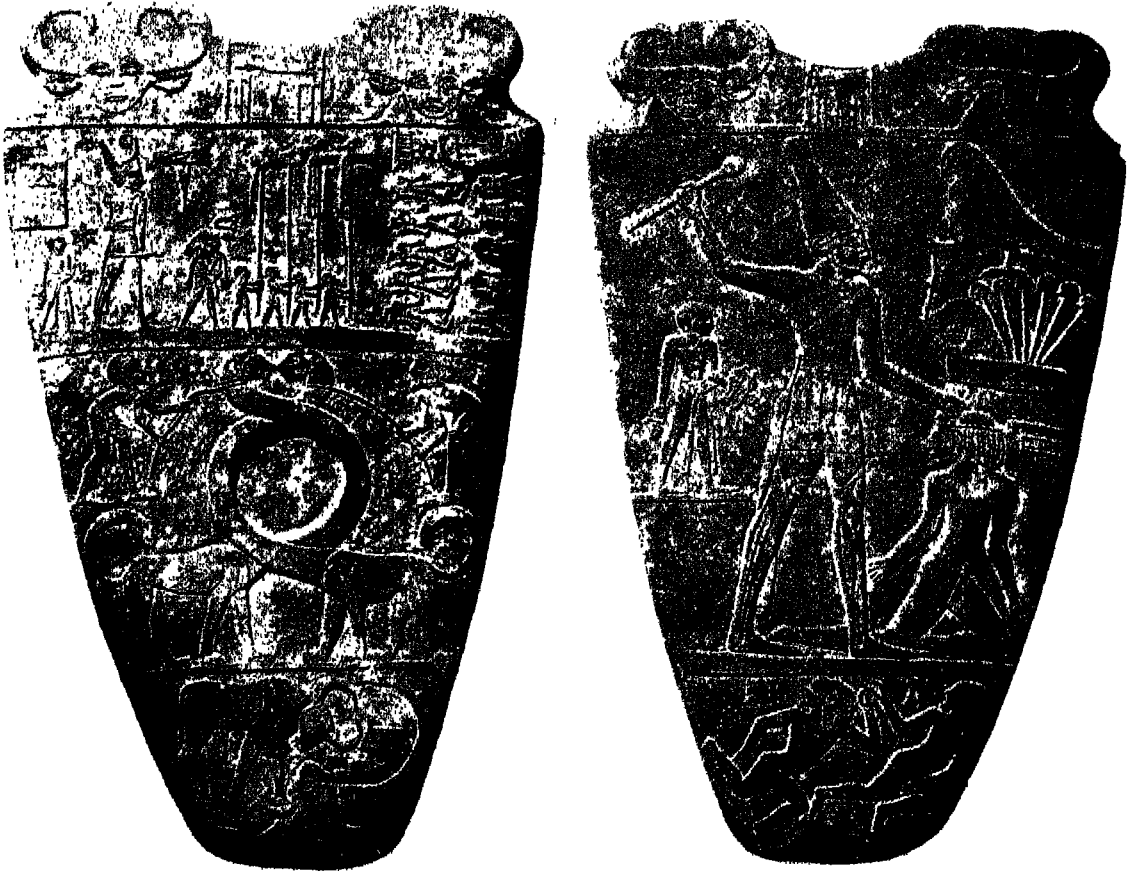


شكل (١٠) - وجه صلاية الصيد (مرممة) وصلاية العقبان



شكل (١١) - رأس مقمعة العقرب - رأس مقمعة نعرمر .

مستعارة، ويقبض بيده اليمنى على مقمعة كمثرية الشكل ويهم بتحطيم رأس أحد المحاربين من أهالى مملكة الشمال كما يتضح من التصوير القائم فوق رأسه . إنه الصقر ممثل "حورس" الجنوب وقد أمسك برأس يطل من دغل من نبات البردى ، وسار خلف الملك حامل النعلين ، وتحته قدميه سجدى اثنان من أعدائه قتلى . وعلى وجه الصلاة منظر مماثل للذى شاهدناه على سطح رأس المقمعة، وعلى جانبى مدق الكحل الذى أشرنا إليه من قبل يوجد صفان من النقوش يؤكدان انتصار "نعرمر" . ففي الصف الأسفل نشاهد ثوراً يحطم سوراً مسنناً ويطأ بحوافره عدواً مهزوماً . ونشاهد فى الصف العلوى الملك وقد ارتدى هذه المرة تاج الشمال الأحمر . وقد دون أمامه اسمه تأكيداً على أنه " نعرمر " وليس شخصاً آخر . ويسير من خلف الملك حامل النعلين ويستقدمه حاملو ألوية المقاطعات المظفرة ورجل اعتبره العلماء الصورة الأولى لمن سيصبح فيما بعد الوزير . وفى المقدمة ، وتحته رعاية "حورس" المنتصر ، اصطف القتلى فى صفين ورؤوسهم بين سيقانهم فى رحلة الحج إلى مدينة بوتو المقدسة ويؤكد هذا النصر ما ورد فى نقوش على سطح



شكل (١٢) - صلاية نعرمر الوجه والظهر .

مقموعة أخرى لنفس الملك نعرمر (Vandier : 1952, Fig 394, p603):
فنشاهد الملك منتصباً تحت مظلة عيد اليوبييل فى صحبة نفس الأشخاص وفى حماية نفس
الشارات ، وقد مثل الأسرى بين يديه لتقديم فروض الطاعة والولاء . كما نشاهد أيضاً
"مئات الألف" من الحيوانات ، وهو ما يصعب تصديقه. إلا أن المتن المصاحب للنقش يؤكد
ذلك ، وما هو جدير بالملاحظة أن هذه الحيوانات ، وإن كانت حرة طليقة فى الماضى ، إلا أن
النقوش قد وضعتها داخل مرابض مسورة .

وتدعم هذه الوثائق وثائق أخرى، نذكر منها على سبيل المثال الصلاية المعروفة
اصطلاحاً باسم "صلاية الجزية الليبية" . وهى جميعها تعزز الافتراض الذى يؤكد الدور
الذى لعبه تنظيم الرى فى نشأة الحضارة . ولا مندوحة من الإقرار بأن مشاريع الرى قد
واكبت وتزامنت مع نشأة الدولة ، وهى الدولة التى ضمت بين جانبىها أركان السلطة
المصرية بدءاً بالديانة وصولاً إلى الكتابة مروراً بالاقتصاد والسكن وهياكل الأجهزة
الحكومية (Butzer : 1976) .

الفصل الثانى

الديانة والتاريخ

شارات المقاطعات

تُظهر الوثائق ارتباطاً بين الرموز الحيوانية وبين مراحل الغزو المتعاقبة مما يشير إلى اندماج الأسطورة فى التاريخ اندماجاً مباشراً . وقد خلص العلماء إلى أن الشارات التى عاشت على امتداد الحضارة المصرية رمزاً للمقاطعات التى تنقسم إليها البلاد ، لها أصول طوطمية فى إطار ديانة تقدم تفسيراً للوجود ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات (Moret : 1923) . والشارات هى رموز واضحة ومؤكدة : فيمثل " أبو حراب " الناهض فوق حامل - منطقة بنى حسن ، و " الأرنب " منطقة الأشمونين المجاورة ، و " السمكة " منطقة منديس فى الدلتا الخ... ومن المغرى حقاً أن ننظر الى الأمر على اعتبار أن الشارة رمز يعبر عن اتحاد يضم وحدة جغرافية أو وحدة قبلية التفت حول أحد الارياب . ونذكر على سبيل المثال السهمين والترس شارة الإلهة " نيت " فى سايس والصولجان " واست " فى طيبة ، ورفات رأس " أوزيريس " فى أبيدوس . وقد تجسد الشارة بنية سياسية . ونذكر على سبيل المثال " الجدار الأبيض " الذى يمثل أسوار منف و " أرض القوس " التى تشير إلى المقاطعة الحدودية فى النوبة السفلى التى ألحقت بمصر عن طريق الفتح .

ويفترض أن كل شارة من هذه الشارات تمثل مرحلة أولى فى تكوين مصر السياسى : وأياً كانت الجماعة البشرية الأساسية فقد توحدت مع طوطمها الذى يمثل القوة الإلهية المهيمنة على الصعيد المحلى . وتفترض هذه المرحلة التكوينية وجود قصص خلق الكون التى تعكس على أكمل وجه مراتب القوى التى تم رصدها من خلال التجربة العملية . وبعبارة أخرى فلا بد أنه قد تشكل اتحاد للآلهة المحلية حول الإله الخالق . ويتكرر الأمر مع كل " عائلة " إلهية فى عاصمة المقاطعة التى تعبد فيها . وهكذا تأسس مقام الاتحاد فى مكان مقدس يدل عليه الحرم الإلهى . هذا إلى جانب حرم السلطة الذى ينهض على أساسه : كالجدار الأبيض أو رفات أوزيريس .

وقد أوضحت الجغرافيا الدينية هذه القواعد ، فحددت أماكن الأحرار بدقة متناهية فى إطار المجموع الذى صارت جزءاً منه واعترفت لها على الصعيد المحلى بمكانة ، هى ترجمة للنظام الكونى الذى اندمجت فيه : فينسب لكل إله بصفته رأس عائلته الدور الذى

يضطلع به الخالق الكونى على رأس جماعة الآلهة . ومن هنا نشأ تماثل فى النظام المادى للشعائر وتنظيم هذه الأماكن أياً كان الإله .

ولا يشفى التفسير الطومى للديانة غلتنا تماما ، بداية لأن النظام المصرى لا يلمّ بشتى العناصر الطومية ، كما أن هذا التفسير لا يتفق مع تصور الآلهة فى هيئة بشرية ، ولا مع الإنتقال إلى التجريد فى قصص الخلق التى ترجع إلى العصور التاريخية ، أو مشلكة الأقنوم الإلهى الحساسة التى تقع فى صلب النظام الشيوقراطى : (Assmann 1984) . ولكن لا يمكن استبعاد وجود نقاط اتفاق مع بعض المفاهيم الطومية ذات السمات الإفريقية دون أن يصل الأمر إلى استعارات بنوية من هذه النظم .

قصص الخلق .

وعدد قصص الخلق ثلاث ، إلا انها فى حقيقة الأمر ليست سوى روايات متنوعة ذات صبغة سياسية لموضوع واحد: وتتم عملية الخلق بواسطة الشمس انطلاقاً من العنصر السائل على اعتبار أن فيضان النيل السنوى هو نموذج الأسمى . ونشأت قصة الخلق الأولى فى مدينة هليوبوليس ، المدينة المقدسة العتيقة ، وهى اليوم من ضواحي القاهرة . وكان الملوك فى الماضى يزورونها بعد اعتلاتهم العرش تثبيتاً لسلطانهم وتأكيداً له . والخلق فى قصة هليوبوليس هى أولى القصص، ليس لأنها الأقدم تاريخياً فحسب بل لأن رجال اللاهوت استمروا يضيفون إليها على مر السنين .

والإطار العام لهذه القصة يشبه الخطوط العريضة لغيرها من القصص . ففى البدء كان " نون" العنصر السائل الجامح أو "الخواء" كما يترجمه البعض: وهو ليس بالعنصر السلبي، إنما هو كتلة لم تتشكل بعد ، لا حركة فيها ولا حياة ، تحتوى على بذور الحياة الكامنة . بل إن هذا العنصر لا يتوارى بعد عملية الخلق. بل يتخذ مقامه عند تخوم العالم الحى . ويهدد باجتياحه بصفة دورية كلما اهتز توازن الكون . إنه مقام القوى السلبية المتحفزة دائماً للاندفاع، ومقام كل ما لا يخضع لمقولات الكون بصفة عامة . إن النفوس المعذبة التى لم تحظ مثلاً بالطقوس الجنائزية المواتية ، أو المواليد الذين ولدوا موتى فلم تسعفهم قواهم للولوج إلى العالم الحسى ، يهيمنون فى هذا المكان كالغرقى على غير هدى .

والشمس التى نجعل كل شىء عن أصلها قد انبعثت من هذا الخواء . " لقد خرج إلى الوجود من تلقاء ذاته" . وجاء ظهوره فوق أكمة من اليابسة فرشت برمال طاهرة، برزت

بعد انحسار الأمواه . وأخذت أبعاداً مادية فوق حجر مرتفع يعرف باسم "بن بن" ، كان محل تبجيل وعبادة فى معبد مدينة هليوبوليس على اعتبار أنه المكان الذى شهد عملية الخلق. وتشير الأكمة بوضوح إلى "التل" الذى يبرز بعد انحسار مياه الفيضان العالية. أما حجر "بن بن" فهو أشعة الشمس وقد تحجرت . وقد عُبد هذا الحجر على هيئة مسلة ناقصة تنهض فوق قاعدة مربعة . هذا الإله الذى خلق ذاته، هو على التوالى "رع" أى الشمس ذاتها أو "أتوم" أى الكائن الكامل التام بمعنى الكلمة ، أو "خبرى" الذى يمثل على هيئة جعران واسمه يعنى "التحول" ، على غرار ما تفعله الحشرة عندما تدفع أمامها كرة الروث .

لقد خرجت الخليفة من مَنِ الإله الخالق . لقد اتحد جنسياً مع ذاته فأنجب زوجاً من الآلهة : الإله "شو"، رب الجفاف والإلهة "تفنوت، ربة الرطوبة التى يعنى اسمها البصاق. وهى من الوسائل الأخرى لإخراج مادته الإلهية حسبما ورد فى اسطورة "إيزيس" و "رع" . ومن اتحاد الجفاف والرطوبة ولد زوجان آخران - امرأة ورجل - هما السماء "نوت" والأرض "جب". ورزقت السماء والأرض أربعة أولاد هم: "إيزيس" و "أوزيريس" و "ست" و "نفتيس" . ويربط هذا التسامع الإلهى الموزع على أربعة أجيال بين الخليفة والبشر، ومع الجيلين الأخيرين نصل إلى حكم البشر بفضل احتواء أسطورة "إيزيس" و "أوزيريس" على نموذج للآلام التى هى من نصيب البشر . والزوجان الثانيان - "ست" و "نفتيس" عاقران، فى حين أن الزوجين الأولين خصبان ، ويعتبران النموذج الأسمى للعائلة المالكة . كان "أوزيريس" ملكاً على مصر، واغتيل غيلة على يدى أخيه "ست" الذى يجسّد المقابل السلبي العنيف للقوى المنظمة التى يرمز إليها ملك مصر . واستولى "ست" على عرش "أوزيريس" بعد مقتله . أما "إيزيس" فهى نموذج الزوجة والأرملة . وقد عاونتها أختها "نفتيس" على تجميع أشلاء جسد زوجها الممزق. أما : "انويس" - ابن آوى - الذى ولد على ما يقال من علاقة غير شرعية بين "نفتيس" و "أوزيريس" فقد هب لمساعدة "إيزيس" على تحنيط الملك المتوفى . وقد أنجبت "إيزيس" بعد وفاة زوجها ابناً هو "حورس" سمى إله الشمس فى إدفو وقد تجسد على غرارهِ فى صقر. وأخفته "إيزيس" فى مستنقعات الدلتا على مقربة من مدينة بوتو بالتواطؤ مع الإلهة "حتحور" البقرة المرضعة . ولما كبر واشتد عوده دخل فى صراع طويل ومرير مع عمه "ست" وحصل من محكمة الآلهة المنعقدة برئاسة جده الإله "جب" على نصيبه من تركة أبيه الذى عُهد إليه بمملكة الموتى ...

تلك هى الخطوط العريضة لحكم الآلهة - التى كان يحلو لرجال اللاهوت أن يطعموها بعدد من الأساطير الثانوية أو التكميلية فيضموا إليها أحد الآلهة المحليين أو يجمّلوا ما قام به فى قصة الخلق أو بالدمج التوفيقى بين مجموعات الآلهة . ويؤدى كل ذلك إلى تشابك الأساطير تشابكاً معقداً ، فتتداخل فيما بينها وتبرز مشاهد حكم الآلهة للأرض ، فينفعلون كما ينفعل البشر، إلا أنه يندر الحديث عن عملية خلق البشر أنفسهم، ويبدو أن خلقهم قد تزامن مع خلق العالم، وربما كانت أسطورة "عين رع" هى الاستثناء الوحيد . لقد فقد إله الشمس عينه ، فأرسل ولديه ، "شو" و "تفنوت" للبحث عن العين التى هربت . وينقضى الزمن ويمر دون أن يعودا ، فيقرر أن يتخذ لنفسه عيناً بدلاً من العين الغائبة . وفى هذه الأثناء تعود العين الغائبة لتكتشف أن هناك من حلّ محلها ، فتذرف دموعها من شدة الغيظ . ومن دموعها "رموت" ولد البشر "رمث" . عندئذ حول "رع" العين العائدة إلى كوبرا وثبتها على جبينه . إنها الصل المنوط به القضاء على أعداء الإله . لقد اتخذت حكاية خلق البشر طابعاً استثنائياً جداً إذ تعتمد أصولها على التلاعب بلفظى "دموع" و"بشر" ، وهى أمور ظل رجال اللاهوت مولعين بها .

ومرّ موضوع العين المصابة أو المستبدلة بعدة أطوار: فهو يفسر مولد القمر، عين الإله "رع" الثانية التى سلّمت للإله "تحتوت" الإله الكاتب الممثل برأس أبى منجل المقدس، أو عين "حورس" السليمة . وواقع الحال أن "حورس" قد خسر عينه فى خضم الصراع الذى خاضه ضد "ست" للسيطرة على مملكة مصر . ويبدو أن "تحتوت" قد أعاد إليه عينه لتصبح النموذج الأسمى للكمال البدنى. ولهذا السبب تصور العين عادة على التوايبت فتضمن للمتوفى قيام البدن بكامل وظائفه .

ومع حلول الليل وخلال رحلته المسائية فى العالم الآخر تصارع "رع" ، ملك الآلهة ، مع أعدائه الألداء بزعامة "أبوفيس" الذى يجسد القوى السلبية ، ليحافظ على سلطاته ويجهض محاولاتهم كل ليلة لسلب هذا السلطان منه . ويتولى "حورس" قيادة حاملى خطاطيف القارب الإلهى ليساعد "رع" على إلحاق الهزيمة بالقوى السلبية ، وهو تأكيد جديد على تأثير الأسطورة الشمسية والأسطورة الأوزيرية. أما المحاولات المبذولة ضد ملك الآلهة فانها تتخذ أحياناً مساراً غير متوقع . فمثلاً تحاول "إيزيس" الساحرة العظمى أن تتسلط على "رع" الذى أصابته الشيوخوخة ، فتشكل ثعباناً من الصلصال المندى بلعاب الإله الذى سال من فمه وهو يهم لينير الكون مع مطلع النهار ، وتدفع به ليلدغ لإله ، فيصاب الملك الإلهى بنفس القوة التى انبعثت من جسده : وطلباً للنجاة اضطر أن يبوح

لصانعة هذا السحر بسر طاقته الحيوية الكائن فى أسمائه "كاو" الإله . وكان هدف " إيزيس" من معرفة أسماء " رع " الخفية أن تتسلط عليه وتسيطر... ولا ريب أن الإله العجوز قد تمكن من إحباط مخططات الساحرة . ولكن النص يتوقف عند هذا الحد ، ليحررنا من نهاية القصة .

كما عرفت مصر أيضاً أسطورة ثورة البشر ضد الخالق الذى يقرر القضاء عليهم عملاً بمشورة مجلس الآلهة . وذلك حين أرسل عينه إلى الأرض على هيئة الإلهة "حبهور" كمبعوثة الغضب الإلهى . وفى يوم واحد افترست حتحور جزءاً من البشر ثم استلقت لتنام . ورأى "رع" أن يكتفى بهذه العقوبة ، فقام خلال الليل بسكب الجعة التى اختلطت بمياه النيل لتصبح فى لون الدم . وعندما استيقظت الإلهة أخذت تلعق هذا الشراب حتى ثملت ، وهكذا نجحت البشرية . ولكن بعد أن خاب ظن "رع" فيها قرر الانسحاب إلى السماء ، فاستقر فوق ظهر البقرة السماوية التى يرفعها الإله " شو " . وسلم إدارة شئون الأرض إلى " تحوت " كما سلم الثعابين وهى رموز الملكية إلى إله الأرض " چب " . وهكذا تم الفصل بين الآلهة والبشر فصلاً لا رجعة فيه ، وبعد أن شغل كل منهم مكاناً محدداً فى الكون الذى عرف من الآن فصاعداً بالمكان "چت" والزمان "نحح" . وتذكرنا أسطورة تهدئة الغضب بأسطورة الإلهة البعيدة : ففى سورة غضب ، هامت لبؤة فى منطقة النوبة حيث بثت الرعب فى نفوس سكانها . وأرسل إليها رع مبعوثاً ليصطحبها ويعود بها إلى مصر بعد أن هدأ من روعها وحولها إلى قطة اختارها إله الشمس حارسه له .

وهكذا تفوقت قصة هليوبوليس للخلق بفضل استيعابها للأساطير الرئيسية فى البلاد . ولكنها لم تكن القصة الوحيدة ، فقد ابتكرت مدينة هرموبوليس ، الأشمونين حالياً ، قصة خلق خاصة نافست بها لفترة قصة مدينة هليوبوليس . وتقع مدينة الأشمونين على مسافة تناهز الثلاثمائة كيلومتراً جنوبى القاهرة ، وكانت عاصمة الإقليم الخامس عشر من أقاليم الوجه القبلى . أما الطريقة التى تتناول بها مشكلة الخلق فهى على النقيض من طريقة أسطورة هليوبوليس . فالشمس هى الحلقة الأخيرة فى الخليقة وليست الأولى . ولكن تظل نقطة البدء واحدة . إنه خواء المحيط الأزلى الذى لا حياة ولا حركة فيه ، حيث يمرح أربعة أزواج من الضفادع والحيات . وتتضافر جهودها لخلق ووضع بيضة فوق تل بزغ من المياه ؟ ويتكون كل زوج من هذه الأزواج من عنصر ورفيقته . أولاً "نون" و "تونت" - وهو المحيط الأزلى الذى ضمته أسطورة مدينة هليوبوليس إلى قصتها ، ثم

" حوح " و " حوحت " ، أى المياه التى تبحث عن طريقها ، ثم " كوك " و " كوكت " - أى الظلمات ، وأخيراً " آمون " - الإله الخفى وزوجته " آمونت " . وفيما بعد عندما أصبح الإله " آمون " إله الأسرة الملكية الحاكمة ، بعد أن كان العنصر الأخير من عناصر الثامون ، تولى كهنة طيبة تكوين " عائلة إلهية " - تميزت بطابع بشرى متعاطف ضمناً للانتقال من الخلق إلى حكم البشر على غرار ما حدث مع عائلة مدينة هليوبوليس .

إن قصتى الخلق فى مدينتى هليوبوليس وهرموبوليس ، إلى جانب الأساطير الشعبية كأسطورة " أوزيريس " تجمع بين عناصر شتى انبعثت من أعماق الأساس الحضارى الواحد ، ولهذه العناصر ما يضاهيها فى الحضارات الإفريقية : ويمكن عقد مقارنة بين " أنوبيس " وبين ابن آوى عاشق المحارم فى دوره كپرومثيوس عند شعب الدوجون فى مالى ، حيث تنهض قصة الخلق أيضاً على أساس ثمانية آلهة . ويمكن أن نعدد هذا النوع من المقارنات : فيظهر فى الحالتين " آمون " على هيئة كبش سماوى من ذهب يتحلى بجبينه بقرنين معقوفين وكرنيب يشبه قرص الشمس . كما يذكرنا " أوزيريس " بالإله الذى تتزامن قيامته مع نمو نبات الشوفان . ومن ناحية أخرى إذا تركنا الإله الخالق جانباً فإن الانسان يتكون فى الحضارة المصرية وفى الحضارات الإفريقية من نفس ومن طاقة حيوية (sq 194 ; 66 ; 113-120 , 28-31 , 1966 : Griaule) أطلق عليها المصريون " با " و " كا " ...

من الأسطورة إلى التاريخ

أما قصة الخلق الثالثة فهى أرقى بكثير من الناحية اللاهوتية . وقد وصلتنا من خلال وثيقة فريدة من زمن متأخر ترجع إلى عهد " شاباكا " ملك كوش على عتبة القرن السادس قبل الميلاد . إنها لوحة ضخمة من الجرانيت عثر عليها بمعبد " پتاح " فى منف وهى من مقتنيات المتحف البريطانى حالياً . ونقلت من أصل قديم هو عبارة عن بردية " أكلتها الديدان " . وتجمع عناصر القصتين السالفتين مع الاعتراف بدور الإله المحلى " پتاح " كإله خالق . بل يمكن القول أن عناصر قصة مدينة هليوبوليس والأسطورة الأوزيرية قد احتلت مركز الصدارة عند بسط آلية الخلق الذى يحدث من خلال عملية مشتركة بين الفكر والكلمة .

من المؤكد اذن أن هذا النص يرجع إلى الدولة القديمة عندما تصدرت مدينة منف زعامة البلاد ، وإلى الأسرة الخامسة على الأغلب ، وهو العصر الذى شهد انتصار عقيدة

هليوبوليس انتصاراً قاطعاً. كما أن حجر " بالرمو " يرجع أيضاً إلى الأسرة الخامسة ، وهو أول وأقدم مستند معروف من نوعه، وقد اختط لنفسه هدفاً واضحاً فأراد استعراض التواصل بين البشر والآلهة .

ويندرج حجر بالرمو ضمن مجموعة الحوليات التى وصلتنا بأعداد كبيرة إلى حد ما على هيئة قوائم ملكية ، وقد تُذيل فى بعض الأحيان بالشروح والمتون . وأشهر هذه الحوليات مؤلف مانتون أحد كهنة سبنتيتوس (سمنود حالياً - وتقع على البر الغربى من فرع دمياط بالدلتا) ، وقد عاش خلال العصر اليونانى فى عهد بطليموس الأول والثانى . وندين له بالتقسيم الزمنى لتاريخ مصر إلى ثلاثين أسرة ابتداء من توحيد البلاد على يدى "مينا " الذى اعتبر هو و " نعرمر " ملكاً واحداً ، وحتى الغزو المقدونى . وللأسف لم يصلنا كتابه "إيجيبتياكا" (أى تاريخ مصر) إلا بشكل جزئى ونقلًا عن مؤلفات أحدث (Helck: 1956) . أما القوائم السابقة فترجع معظمها إلى عصر الرعامسة . وأهمها بردية دونت فى عهد رمسيس الثانى ويحتفظ بها متحف تورين ، وكان شامپوليون أول من قام بدراستها ، وتحتوى على قائمة ملوك موزعين على أسرات بدءاً من الأسرة الأولى وحتى الدولة الحديثة. وأغلب الظن أن القوائم الملكية قد نُقلت عن أثبات مشابهة ، ونذكر منها قائمة حجرة الأجداد فى الكرنك وهى من مقتنيات متحف اللوفر حالياً ، وقائمة المعبد الجنائزى لسيى الأول فى أبيدوس ، والقائمة التى عثر عليها فى سقارة فى مقبرة " ثونرى " وهو من معاصرى رمسيس الثانى وغيرها من القوائم الأقل شأنًا (Grimal : 1986, 597 sq).

وحجر بالرمو لوح من الحجر الأسود ، ناقص وغير كامل ، ويضم قائمة ملوك تبدأ بالملك "عحا " أول ملوك الأسرة الأولى وآخر اسم مدون عليه هو " نفر إركا رع " ثالث ملوك الأسرة الخامسة . وقد سلم الحجر لمتحف بالرمو عام ١٨٧٧ تنفيذاً لوصية . ومنذ ذلك التاريخ ظهرت ستة أجزاء جديدة وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى بالقاهرة وبتحف جامعة لندن . ويدور السؤال بين العلماء حول ما إذا كانت هذه القطع أصلية ، وما إذا كانت جميعها أجزاء من حجر بالرمو نفسه . ويحتدم الجدل حول هذا الموضوع منذ ما يقرب من قرن من الزمن .

وتذكر الأجزاء الموجودة فى القاهرة أسماء ملوك يرتدون فى البداية تاجى الصعيد والدلتا على التوالى . لقد حافظ مانتون وجدول تورين على إطار أسلوب الحوليات ، إلا إنه يربط بين أصول الأسرات الحاكمة وأصول خلق العالم ، ويتم إدماج الأسطورة فى

التاريخ بالعودة إلى العصر الذهبي عندما حكم الآلهة الأرض . وتنقل قوائم الملوك معطيات قصص خلق العالم لا سيما قصة منف . ففي البدء كان المؤسس "بتاح" الفخارى الذى خلق البشر على عجلته . فشكل الوعاء الذى استقرت فيه الشرارة الإلهية ، فصنعه من الصلصال وهى مادة كانت دائما فى متناول الإنسان . وخلفه رع . إنه الشمس خالق الحياة ومبدع الظلمات. إنه نموذج الملك الأسمى: وقد خلفه على العرش "شو" رب الهواء الذى فتح الأرض والسماء .

هكذا استقرت مواقيت الخلق الرئيسية وتحددت . ولم يخطئ جامعو نصوص مانتون الاغريق، فقد اعتبروا أن الإله المصرى "بتاح" هو الإله الإغريقى هفايستوس الإله الحداد . و "رع" هو هليوس إله الشمس . أما "شو" وخليفته "چب" أى الأرض فقد تقاسما وظيفة كرونوس وزیوس عند ديودورس الصقلی الذى اعتبر "چب" أباً البشر. فالتاريخ امتداد للأسطورة . وفى نظر المصريين لا يوجد أى انقطاع بين الآلهة والبشر، بل تواصل واستمرارية . فمجتمع البشر تكرر يومى لعملية الخلق ، ومن ثم فهو انعكاس لنظام الكون على جميع مستوياته . والطريقة التى يتشكل من خلالها تسير عن قصد على نسق تشكيل الكون ، الأمر الذى ترك بصماته على التحليلات المعاصرة التى تدور حول هذا المجتمع .

خلف "أوزيريس" "چب" . وبعد اغتصاب "ست" لمقاليد الحكم اعتلى "حورس" عرش البلاد . ويذكر جدول تورين مجموعة من ثلاثة آلهة : "تحت" الذى سبق أن شرحنا دوره ومهمته و "ماعت" وإله يدعى "حور" ولكن باقى اسمه مفقود ... وتحتل "ماعت" مكانة متميزة فى مجمع الآلهة . وهى ليست إلهة بمعنى الكلمة، بل بالأحرى كيان مجرد يمثل التوازن الذى وصل إليه الكون بفضل الخلق، أى التوافق مع حقيقة طبيعته : ومن ثم فهى مقياس كل شىء بدءاً بالعدل وحتى اندماج روح المتوفى فى النظام الكونى بعد المحاكمة الأخيرة . فهى التى توازن وزن الروح فى ميزان "تحت" ، وهى أيضاً غذاء الآلهة فتمنحهم الانسجام والتوافق . وكان عهد "ماعت" العصر الذهبى ، ومهمة كل ملك العمل على أن يسود هذا العصر من جديد من خلال مواجهة القوى السلبية التقليدية التى تسعى يومياً لوقف مسيرة الشمس . إن "ماعت" نقطة البداية لكل دورة من تاريخ دورى .

وخلفهم تسعة آلهة شبههم "يوسابیوس" بأبطال الإغريق، وشأنهم شأن هؤلاء الأبطال ، فقد مهدوا للانتقال الى الحكم الذى أسسه البشر. إنهم "أرواح" ("آخو")

هيراكونبوليس وبوتو وهليوبوليس . ثم تنتهى هذه المجموعة بـ " أتباع حورس" . ولا ريب أن الأمر يعكس الصراعات التى مهدت لوحدة البلاد والتى كانت سبباً كما تعترف بردية " تورين " فى ظهور العديد من العائلات المحلية . وتبرز البردية " منى " أول "ملك لمصر العليا ومصر السفلى" (نيسوييتى) والذى تكرر البردية إسمه مرتين ، ولكن مع وجود فارق هام . ففي المرة الأولى كتب الإسم بمخصص بشرى بينما كتب فى المرة الثانية بمخصص إلهى . (Gardiner:1959, pl. I; Malek, JEA 68 (1982), 95) وعرف "منى" عند إيراتوستين ومانتون باسم "مينيس" . فهل "منى" هو "نعرمر" أم أنها مجرد وسيلة اعتادت عليها النصوص القديمة لتسمية من ضاع اسمه وسقط فى طى النسيان ، كما نقول الآن "زيد من الناس؟" نذكر على سبيل المثال الملك " العقرب" أو غيره ممن لم تصلنا أسماؤهم . ولكن الغموض يحيط بالاسباب التى وراء تسميته باسمين مختلفين . هل لأن وضعه القانونى قد تغير من "زيد من الناس" الى " الملك فلان " ؟ فتغير اسمه كما تغير وضعه القانونى. فهل اعتبرته الوثيقة تجسيدا جماعيا دون تحديد فرد بعينه لمجموع الزعماء المحليين القابضين على ناصية السلطة وقد انصهروا فى نموذج أسمى للوحدة ؟ وربما يفسر ذلك عدم اعتراف حجر بالرمو سوى بالملك "عحا" كأول ملوك مصر الموحدة والذى قد يكون الاسم "الحورى" أى اسماً آخر لـ "نعرمر- مينا" .

الفصل الثالث العهد الثينى

الملوك الأوائل

وأيا كان الحل المقبول ، يأتى " عحا " على رأس ملوك الأسرة الأولى التى لقبها مانتون، هى والأسرة الثانية، "بالثينية" نسبة الى " ثنى" مسقط رأس ملوكها المفترض . وتقع " ثنى" على مقربة من أبيدوس حيث تم اكتشاف مقابر جميع ملوك الأسرة الأولى وبعض ملوك الأسرة الثانية. ولكن تم اكتشاف دفنات أخرى لبعض هؤلاء الملوك على مقربة من مدينة منف . ولا تسمح حالة هذه المقابر بتأكيد ما افترضه البعض من أن المقابر التى دفن فيها هؤلاء الملوك تقع على مقربة من العاصمة السياسية الجديدة لمصر احتراماً لثنائية البلاد، مع الإبقاء فى الوقت نفسه على أضرحة رمزية فى مصر العليا التى انطلقوا منها ليفرضوا سلطانهم على طول البلاد وعرضها. فأقيمت هذه الأضرحة فى موقع سرعان ما اشتهر كمدينة "أوزيريس" المقدسة.

وتشكل هاتان الأسرتان مجموعة واحدة، تبدأ عام ٣١٥٠ لتنتهى عام ٢٧٠٠ ق .م ، أى أن حكمها امتد زهاء خمسة قرون، اكتملت خلالها الملامح النهائية للحضارة المصرية. وما نعرفه عن هذه المرحلة شحيح وقليل بسبب افتقارنا فى المقام الأول إلى الوثائق . فإذا تركنا جانباً حجر بالرمو ، يظل المصدر الرئيسى لمعلوماتنا المقابر التى تم اكتشافها فى أبيدوس وسقارة، والقطع الأثرية التى وجدت بها .

ومما لا شك فيه أن الأعمال التى تنسب إلى "عحا" تفوق منجزاته الحقيقية شأنه شأن كل مؤسس . وإذا اعتبرناه هو و "نعرمر" شخصاً واحداً لكان هو منشئ عبادة التمساح "سويك" فى الفيوم ، ومؤسس مدينة منف حيث أقام جهازه الإدارى وأنشأ فى نفس الوقت عبادة العجل " أبيس " . كما يفترض أنه نظم البلاد بعد توحيدها واتبع سياسة مصالحة مع الشمال، وهو ما يمكن استنتاجه على الأقل من اسم زوجته " نيت حوتپ " . أى "فلتهدا نيت" و "نيت" هى الإلهة التى يقع موطنها الأصلى فى الدلتا عند مدينة سايس . وقد تم اكتشاف مقبرة هذه الملكة فى نقادة وهى مجهزة بمتاع شخصى متنوع من بينه بطاقة دُون عليها إسم " عحا " الذى يبدو أنه شيد أيضاً معبداً للإلهة "نيت" فى

العهد الثاني	٢٧٠٠ - ٢١٥٠
الأولى	٢٩٢٥ - ٢١٥٠
عدد من الملوك (؟) منهم " العقرب "	٢١٥٠ - ...
نعرمر - مينا	٢١٢٥ - ٢١٥٠
عجا	٢١٠٠ - ٢١٢٥
چر	٢٠٥٥ - ٢١٠٠
واچی (" الشعبان ")	٢٠٥٠ - ٢٠٥٥
دن	٢٩٩٥ - ٢٠٥٠
اعج إيب	... - ٢٩٩٥
سمرخت	٢٩٥٠ - ...
قاعا	٢٩٢٦ - ٢٩٩٥
الأسرة الثانية	٢٧٠٠ - ٢٩٢٥
حوتب - سخموى	... - ٢٩٢٥
نپارغ	... - ...
نى - نثر	... - ...
ونج	... - ...
سننچ	... - ...
پر - إيب - سن	... - ...
سخم - إيب	... - ...
خج - سخم / خج - سخموى	٢٧٠٠ - ...

شكل (١٣) - جدول الترتيب الزمني للعصر الثاني .

البلاد وغيرها . كما أقام علاقات تجارية مع سوريا وفلسطين إذا صح ما ذكره حجر بالرمو عن سفن صنعت من خشب الأرز . فالوثائق التى تسجل أحداث عهده متوفرة إلى حد معقول . وقد انتهى حكمه على ما يظن حوالى عام ٢١٠٠ ق.م واكتشف قبران لـ " عجا " ، أحدهما فى سقارة والآخر فى أبيدوس .

كما يبدو أن اعتلاء من خلفوه عرش البلاد قد اعترضته بعض المتاعب . لقد تركت قائمة تورين فراغاً بين "مِنى" وخليفته " إيت-ي " (الذى خلفه هو الآخر على عرش البلاد ملك آخر يحمل إسم " إيت-ي) وكان لقبه الحورى "چر" على ما يظن . فهل جاءت هذه البلبلة نتيجة تولى الملكة " نيت-حوتب " الوصاية على العرش لفترة قصيرة اعتلى على أثرها أحد أبناء محظيات الملك العرش ؟ يصعب الوصول إلى قول فصل حول مشكلة نسب الآباء والأبناء لافتقارنا إلى الوثائق اللازمة . وتظل مشكلة خلفاء "چر" دون حل . وأنجب "چر" على ما يبدو ابنة تدعى " مريت - نيت " أى " محبوبة (الإلهة) نيت " ،

اكتشفت مقبرتها فى الجبانة الملكية فى أبيدوس . واستناداً إلى ذلك استنتج العلماء أنها قد تزوجت الملك " واجى " الذى خلف الملك " چر " . كما أن الوثائق التى عثر عليها فى مقبرتها تبرهن على أنها والددة الملك " دن " رابع ملوك الأسرة الأولى. طور الملك " چر " سياسة البلاد الخارجية ، ووصلت حملات النوبة فى عهده حتى وادى حلفا . وربما نظمت حملات أخرى إلى ليبيا وإلى سيناء نظراً لاكتشاف حلى من الفيروز فى مقبرته ، ومن المعروف أن سيناء هى المصدر التقليدى للفيروز بالنسبة للمصريين . وواصل تنظيم البلاد على الصعيدين الاقتصادى والدينى، وشيد قصر منف ، وأمر بأن يدفن فى أبيدوس حيث أصبح على ما يبدو النموذج التاريخى للإله :أوزيريس". وقد صحبه فى دفنته رجال البلاط . ولا يجوز ان نفسر ذلك بأنه قد فُرض قسراً على رجال البلاط أن يصطحبوا مليكهم بعد وفاته^(Kaplony.L.ÄI,III,n.9) بل على العكس نلمس هنا أول برهان على اهتمام الملك بالارتقاء بمصير اتباعه بعد وفاته . فمقابرهم مشتركة مع مقبرة سيدهم تماماً كما سيحدث فيما بعد ، فى كبرى الجبانات الملكية. وكان عصره عصر رخاء وازدهار إذا استندنا فى حكمنا الى الأثاث الجنائزى الذى اكتشف فى مقابر معاصرى. ونذكر منه أثاث مقبرة " حماكا " بسقارة .

التقويم والتاريخ الزمنى

تسببت وثيقة ترجع الى عهد " چر " فى إثارة الجدل من جديد حول تأريخ الأسرة الأولى برمتها، كما أثارَت فى نفس الوقت اشكالية التقويم. نقصد بذلك بطاقة من العاج (شكل ١٤) عليها صورة لبقرة راقدة تحمل بين قرنيها نبتاً يشير الى السنة . واعتقد الباحثون انه يرمز الى الإلهة "سوپدة" اى نجم الشعرى اليمانية، (Vandier:1952, 161; Drioton & Vandier:1962, 842-843) وتعنى هذه العلامة البسيطة ، إن صح التأويل الذى عرضنا له ، أن المصريين فى تاريخ يرجع الى حكم "چر" ربطوا بين الشروق الإحتراقى لنجم الشعرى اليمانية وبداية السنة. أى أنهم اهتموا فى ذلك الحين إلى التقويم الشمسى .

ومن المحتمل أنهم استخدموا فى زمن أقدم تقويمياً قمرياً بقيت منه آثار عديدة. ولكن استخدامه فى تحديد الأعياد الدينية أدى إلى عدم تطابقها مع الواقع ، ولهذا تحولوا عنه واهتدوا لتقويم يستند إلى ظاهرة فيضان النيل، وهى ظاهرة استقرت فى أذهانهم ، وتتميز فى نفس الوقت بسهولة ملاحظتها ورصدها وانتظامها أكثر من أى ظاهرة أخرى . ثم قسموا السنة إلى ثلاثة فصول ، وكل فصل إلى أربعة شهور ، يتكون كل شهر منها من



شكل (١٤) - بطاقة من العاج للملك چر

ثلاثين يوماً. وتتزامن هذه الفصول مع الدورة الزراعية التى ينظم الفيضان إيقاعها الثابت . والفصل الأول هو فصل الفيضانات " أخت " ، والثانى فصل الإنبات والنمو " پرت " ، أما الثالث والأخير فهو فصل الحصاد " شمو " . وكانت نقطة الانطلاق لتحديد بداية العام الجديد هى قياس ارتفاع منسوب مياه الفيضان ، وما يتم تسجيله عند مستوى مدينة منف وهى الأرض التى شهدت توحيد البلاد على ما يفترض ، يتفق تماماً مع شروق نجم الشعرى اليمانية ، وفقاً للتقويم اليوليانى . تحدث هذه الظاهرة فى التاسع عشر من شهر يوليو وقبل شهر من هذا التاريخ وفقاً للتقويم الغريغوريانى . الا أن هذه الظاهرة لم تتكرر دائماً يوم ١٩ يوليو، إذ نعلم جميعاً أن عدد أيام السنة الشمسية الحقيقية يعادل ٣٦٥ يوماً وست ساعات. لذا يتباعد سنوياً وتدرجياً تاريخ حدوث كل من الظاهرتين وبأخذ فارق ربع اليوم فى التراكم حتى لا نلاحظ تطابقهما مرة ثانية الا بعد دوران هذا الفارق دورة كاملة ، إذا جاز لنا القول، أى كل ١٤٦٠ سنة ، وهو ما يطلق عليه " دورة الشعرى اليمانية " . وقد أمكن تسجيل ظاهرة تطابق رأس السنة مع شروق الشعرى اليمانية مرة واحدة على الأقل عبر التاريخ المصرى . وحدث ذلك عام ١٣٩ ميلادية . وبفضل رصد بعض المعالم الزمنية المبينة على ملاحظات المصريين أنفسهم يمكننا أن نحدد بعض التواريخ

الدقيقة التى تقسم هذه المراحل الزمنية ، فيمكن العودة الى الوراء حتى عام ١٣١٧ ثم ٢٧٧٣ و ٤٣٢٣ قبل الميلاد . كما نعلم مثلاً أن العام الثالث من حكم " أمنحوتب الأول " يتفق مع سنة ١٥٣٧ أو ١٥١٧ ق .م حسب المكان الذى رصدت فيه هذه الظاهرة . ويتفق العام السابع من حكم " سنوسرت الثالث " مع العام ١٨٧٧ ق .م . وجاء العدول عن عام ٤٣٢٣ كتاريخ لبدء التقويم المصرى بسبب عدم التوافق مع معطيات علم الآثار ، فى حين يبدو أن عام ٢٧٧٣ مناسب كتاريخ لاهتداء المصريين للتقويم حتى ولو كان متأخراً جداً بالنسبة لعهد الملك " چر " . وتأكيذاً لحجتنا فالملاحظ أن وجود "سويده" على بطاقة " چر " ليس دليلاً فى حد ذاته ، فرصد الظاهرة لا يعنى بالضرورة الأخذ بتقويم جديد تماماً ، كما أن كلا من التقويمين المدنى والدينى قد وجدا جنباً إلى جنب طوال الحضارة المصرية . فمن المنطقى إذن الافتراض بأن التقويم القمري ظل معمولاً به طوال عهد الملك " چر " ، وأن التقويم الشمسى لم يحل محله الا بحلول دورة الشعري اليمانية التالية أى قرب نهاية الأسرة الثانية .

نهاية الأسرة الأولى

وخلف " چر " على عرش البلاد الملك "واچى" ، أو إذا اعتبرنا أن العلامة الدالة على اسمه هى " علامة مرسومة " فمن الأفضل أن نطلق عليه اسم " الثعبان " . ومعلوماتنا عن هذا الملك شحيحة ، وإن كنا نعلم أنه قاد حملة إلى البحر الأحمر لاستغلال مناجم الصحراء الشرقية . وقد أمدتنا مقبرته فى أبيدوس بالعديد من اللوحات الحجرية ، وتحمل إحداها اسمه ، وهى من مقتنيات متحف اللوفر .

وترك " د ن " رابع ملوك الأسرة الأولى ذكرى عهد مجيد ومزدهر . وربما بدأ عهده هو أيضاً بفترة حكمت فيها "مريت نيت" كوصية على العرش ، وساندت سلطة كبار الموظفين ودعمتها ، مما اضطر " د ن " على ما يبدو إلى الحد من هذا السلطان . ولكن من المؤكد أن الملك الجديد نهج منذ وقت مبكر سياسة عنيفة فى علاقاته مع الشرق الأدنى ، فقاد حملة « آسيوية » فى السنة الأولى من حكمه ، وعاد منها - على ما يظن - بحريم من الأسيرات ، فكان خير سلف لأمنحوتب الثالث فى هذا الشأن . وجاء اختيار اسمه الـ " نيسو بيتى " وهو لقبه بصفته ملك الوجهين القبلى والبحرى متأثراً على ما يفترض بهذا النشاط الحربى إلى جانب حملته ضد بدو سيناء ، فلُقِّب باسم " خاستى " أى " الأجنبى " أو "رجل الصحراء" وحرفه الإغريق إلى " أوسفايس " ، كما ورد عند مانتون . وإلى جانب

ذلك فهو أول ملوك مصر الذين أضافوا هذا اللقب الثالث إلى مجموعة ألقابهم . وربما جاء ذلك تعبيراً عن سياسة داخلية نشطة جاءت ترجمتها الملموسة فى تشييد القلاع والحصون والاحتفالات المكرسة للإلهين " أتوم " و " أبيس " والقيام بتعداد البلاد حسبما ورد فى حجر بالرمو . ولكنه نهج سياسة مصالحة مع شمال البلاد ، وترجم هذه السياسة إلى خطوات عملية ، فبالإضافة الى اسم زوجته " مريت - نيت " ، أنشأ وظيفة " حامل أختام الشمال " ، وقد تم الكشف عن مقبرة "حما كا" صاحب هذا اللقب فى سقارة . وإلى جانب ثراء محتويات هذه المقبرة فقد اكتشفت فيها بطاقة تحمل اسم الملك "جر" وتشير إلى عيد السيوبيل للملك " د ن " . كما ورد ذكر هذا العيد فى أماكن أخرى . (Hornung & Staehelin: 1974, 17) . وتسجل هذه البطاقة أقدم إشارة إلى موميا ، وربما كانت موميا الملك جر . (Vandier : 1952, 845- 848) وتشتد دهشتنا نظرا لما نعرفه من أن ممارسة المصريين لفنون التحنيط لم يتأكد إلا فى وقت لاحق . كما كشفت الحفائر التى أجريت فى المقبرة التى شيدها الملك " دن " فى أبيدوس عن استخدام الجرانيت لتبليط أرضية المقبرة . وهو أول مثال معروف عن استعمال الحجر فى عناصر معمارية كانت تعتمد على الطوب النىء فحسب ، حتى ذلك الوقت.

وامتد عهد الملك "دن" ليصل إلى نصف قرن من الزمن. وهو ما يفسر قصر مدة حكم خليفته "عج إيب" الذى معناه "ذو القلب الجسور". ولأول مرة يوضع لقب "ملك الوجهين القبلى والبحرى" تحت رعاية الإلهين "نبوى" ، فُلِّقَ "مر بى بيا" الذى حرفه مانتون الى "ميبيس" . ويبدو أن "عج - إيب" قد اعتلى عرش البلاد متأخراً جداً حتى أنه اضطر إلى الاحتفال بعيد السيوبيل نظراً لتقدمه فى السن. لقد اشتق اسم هذا الإحتفال وهو ما يعرف بعيد "السد" من اسم ذيل الثور، أو ربما من اسم الحيوان "سد" وهو من فصيلة الكلاب والذى يشبهه البعض بالمعبود "أوب واوات" أى "فاتح الطريق" ، وهو ابن آوى الذى استعار منه الإله "أنوبيس" اختصاصاته الجنائزية . وتضيق أصول هذا العيد فى ظلمات الماضى السحيق ، وهى شعيرة تجديد سلطة الملك والبرهنة على حيويته بعد حكم دام ثلاثين سنة من حيث المبدأ . وهذا الاحتفال هو فى أساسه تكرار لشعائر احتفالات التتويج ورفع التاجين وشارات السطلة فوق "المصرين" وقد خصص جوسق لكل مملكة منهما . وعلاوة على ذلك تتضمن الاحتفالات جانباً يعتمد على قدر من النشاط البدنى ، فينظم سباق وموكب مهيب لزيارة آلهة البلاد فى هياكلها . وأخيراً يختم الملك هذه المناسبة

بأداء بعض شعائر الميلاذ والتأسيس . وتعتبر هذه الاحتفالات مناسبة لبعض الصناعات التذكارية . فوصلتنا من العصر محل دراساتنا أوانٍ حجرية تحمل جميعها ألقاب الملك ، ونحتفظ ببعض هذه الأواني التى صنعتت تخليداً لذكرى الأعياد التى أحتفى بها "عج-إيب" فى قصره الجديد فى منف الذى يحمل اسما له مغزاه ودلالته " الأمن والأمان يُحوطان حورس " . وإلى عهده يرجع الفضل فى إضافة اسم جديد إلى ألقاب الملك ، ووضع هذا الاسم تحت حماية " السيدين " أى " حورس " و " ست " وهما إلهة الشمال والجنوب المتخاصمان وقد توحدتا فى شخص الملك . ودلالة ذلك أن الملك يجمع فى شخصه ثنائية مصر وثنائية السلطة : سلطة " حورس " الضامن لكل توازن وسلطة الدمار المتمثلة فى " ست " وهى الموجهة إلى خارج البلاد .

ولا غر فى أن طول حكم الملك " دن " وراء الاضطرابات التى سادت نهاية الأسرة الأولى، فانتقلت السلطة فى جو مشحون بالمصادمات ، وخرج " سمرخت " تماماً على سلفه، فبلغ به الأمر حد إزالة اسمه من على أوانى اليوبيل ، وكان يرمى من وراء ذلك إلى تأكيد شرعيته . ولكن قائمة سقارة تطرح من جديد على بساط البحث مسألة هذه الشرعية إذ إنها تسقط اسمه من القائمة . وتدل ألقابه على المناصب التى شغلها قبل اعتلائه عرش البلاد والتى ربما كانت مناصب دينية. فقد اختار لاسمه " النبتى " لقب " الذى يحرس السيدتين " أى " نخبت " ، الإلهة العقاب فى مدينة " نخن " (الكاب) و " وابت " الإلهة الثعبان فى مدينتى " به " و " دپ " (بوتو). إنهما الإلهتان الحاميتان للجنوب والشمال، واختار لاسمه الحورى لقب " سمير الآلهة " .

الأسرة الثانية

دفن " سمرخت " فى أبيدوس، كما دفن بها أيضا خليفته " قاعا " الذى يرجح أنه ابنه وآخر ملوك الأسرة الأولى. وما زلنا نجهل الأسباب التى دفعت مانتون إلى بدء أسرة جديدة خاصة فى غياب مواجهات يمكن أن تفسر هذا التغيير . ولكن يبدو بكل بساطة أن مقر عرش البلاد قد انتقل إلى منف ، اذ نلاحظ أن الملوك الثلاثة الأوائل للأسرة الثانية على الأقل قد دفنوا فى سقارة. ومن علامات هذا التغيير الجغرافى، اسم ملك البلاد ذاته الذى جاء على رأس الأسرة الجديدة. إنه " حوتپ - سخموى " أى " القوتان فى سلام " . وبالطبع فإن " حورس " و " ست " هما المعنيان بالقوتين . كما أن لقبه ال " نبتى " يزكى هذا التفسير . فقد اختار لنفسه لقب " السيدتان فى سلام " . ولهذا اللقب مغزى سياسى .

وربما يشير إلى صراع بين الجنوب والشمال الذى لم يصل إلى حد الصدام العنيف ، ولكنه يظل دليلاً على استعداد البلاد للانقسام إلى قطرين عند حدوث أية مواجهة . وقد أقامت العائلة المالكة نفسها علاقات طيبة مع شرق الدلتا وربما مع منطقة "بوياستس " ، وهو ما يمكن استنتاجه من ممارسة عبادة " باستت " و " سويد " وهو إله صقر محلى اتحد منذ وقت مبكر مع " حورس بن أوزيريس " . وفى هذا العصر أيضاً تبوأَت عبادة الشمس مكانتها ، وإن لم يظهر اسم " رع " إلا فى الإسم " الحورى " لخليفة " حوتب سخموى " . وهو " نب رع " الذى يعنى " سيد الشمس " ولكن مع شىء من التواضع نفصل " رع هو سيد (ى) " . ويحتل " رع " نهائياً مكان إله الأفق ، وهو المكان الذى خرج منه وانبثق . ويتأكد هذا الاختيار مع خليفة " نب رع " الملك " نى نتر " ومعنى اسمه " المنتمى إلى الإله " . ومن المرجح أن مقبرتى هذين الملكين موجودتان أسفل الطريق الصاعد لهرم " أوناس " بسقارة حيث عثر على أختام اسطوانية تحمل اسميهما . بيد أن نسبة هاتين المقبرتين إلى صاحبيهما أمر غير مؤكد ومشكوك فيه نظراً لغياب أية وثائق أخرى مكتوبة. وواقع الحال أنه لا ينهض أى دليل على ارتباط هذه الأختام بالملك الذى تحمل اسمه . فقد وجدت أختام مشابهة فى مقابر الأفراد بل أيضاً فى مقابر من خلفوهما من ملوك . نذكر على سبيل المثال مقبرة " خع سخموى " فى أبيدوس ، فقد عثر فيها على ختم يحمل اسم " نى نتر " على وجه التحديد دون أن يدفعنا ذلك إلى إثارة الشك حول صاحب المقبرة الحقيقى .

ووصلنا نوع آخر من الوثائق وهى الأوانى الحجرية التى تحمل دلالات تتجاوز كثيراً الغرض الأسمى الذى خصصت له. إن ما تحمله من مدونات له قيمة فائقة تضارع قيمة البطاقات العاجية فى الأسرة الأولى، بما وفرت لنا من معلومات قيمة حول بعض الوقائع التاريخية والنظم الإدارية فى البلاد . ولقد عثر منها على مجموعات ضخمة وهامة جداً فى الممرات السفلية لهرم "چسر" ثانى ملوك الأسرة الثالثة. والجزء الأكبر منها يرجع إلى عهد " نى نتر " . وتؤكد هذه الاكتشافات إستمرارية هذه الشواهد التاريخية التى انتقلت من جيل إلى آخر سواء استخدمت أم لم تستخدم. وفيما يتعلق بمقبرة "چسر" فقد ظلت هذه الأوانى تؤدى نفس الغرض الذى خصصت من أجله، فى حين أن أوانى اليوبيل الذى سبق الحديث عنها قد تغير الغرض منها . فقد أهديت إلى أعيان البلاد ثم احتفظت بها عائلاتهم رداً من الزمن حتى ضُمت أخيراً للمتاع الجنائزى لواحد من الخلف البعيدين .

ونستمد كل ما نعرفه عن " ونچ " و " سندچ " اللذين خلفا " نى نتر " من مدونات الأوانى التى عثر عليها فى هرم " چسر " إلى جانب ما ورد عنهما فى القوائم الملكية .

ومن المحتمل أن سلطتهما لم تمتد الى أبعد من منطقة منف . وكان " سندج " معاصراً للملك " پرایب سن " الذى كان يجب أن يعثر على تمثال له فى مقبرة " سندج " ، هذا إذا صح ما ورد فى عصر الأسرة الرابعة عن وجود لقب كبير الكهنة المطهرين خاص بـ " پرایب سن " فى جبانة " سندج " : فى المعبد والأماكن الأخرى . وتوجد مقبرة " سندج " فى أبيدوس وقد شيدها خليفته المحلى " سخم إيب " أى " ذو القلب القوى " . وقد عثر فيها على أوان حجرية ومصنوعات نحاسية ونصبين من الحجر دونَ عليهما اسم الملك . داخل " سِرِخ " . والـ " سِرِخ " عبارة عن تصوير لمسقط أفقى للقصر الملكى تنهض أمامه واجهة القصر ، ويسجل اسم الملك فى الأطار الذى يحدده المسقط الأفقى ، وهذا ما نطلق عليه الإسم الحورى ، وهو أحد ألقاب ملوك مصر . ويعلو عادة واجهة القصر " الصقر حورس " . أما " پرایب سن " فقد وُضِعَ تحت حماية الإله " ست " .

تقودنا هذه العناصر مجتمعة إلى افتراض أن العلاقات بين المملكتين قد تدهورت قرب نهاية حكم " نى نتر " الذى اتخذت سياسته الدينية على ما يبدو وجهة جديدة . فاشتد انحيازه إلى جانب الشمال ، ونلاحظ أن قوائم الملوك قد أغفلت اسم كل من " پرایب سن " وخليفته " سخم - إيب " المنتسب إلى أبيدوس ، بالإضافة إلى الاختيار الراسخ للمعبود " ست " فى مركز الإله الحامى وهو ما يدفعنا إلى الظن بأن الجنوب قد نال استقلاله من جديد ، أو أنه لم يعترف على أقل تقدير بسلطة حكام منف الذين اعتبرهم التقليد المتوارث أصحاب السلطة الشرعية وفقاً لمخطط عام ترسخ بمرور الزمن وصار أمراً متفقاً عليه . وقد امتدت سلطة " پرایب سن " حتى إلفنتين على أقل تقدير حيث عثر عام ١٩٨٥ على آثار أحتمل تحمل اسمه . كما نعرف أنه شيد فيما بعد معبداً مكرساً للإله " ست " . إن واقع استمرار الطقوس الجنائزية الخاصة بـ " سندج " و " پرایب سن " وارتباطها بالأسرة الرابعة ينهض كدليل على احتمال أنهما لم يلقيا مقاومة عنيفة طوال مدة حكمهما على الأقل .

ولكن الأحوال تغيرت بعد أن اعتلى عرش البلاد الملك " خع سخم " أى " القوى (أى حورس) " تم تنويجه " . وكان مسقط رأسه فى هيراكونبوليس . وبمناسبة تنويجه أهدى إلى معبد المدينة ما يخلد ذكرى انتصاره على الشمال . ومن بين ما أهدها مدونات على أوان حجرية وتمثالان أحدهما من الشست والآخر من الحجر الجسىرى ويظهر فيهما جالساً على مقعد له مسند منخفض ، وهما أول تمثالين من هذا الطراز ، ويبرز فيهما منند



شكل (١٥) - تمثال الملك خع سخم. عثر عليه فى هيراكونبوليس .
من الحجر الشست. متحف القاهرة .

ذلك الوقت المبكر قواعد فن التصوير الملكى . فظهر " خع سخم " ملتحفاً بعباءة طويلة حابكة من الطراز المستخدم فى احتفالات عيد " السد " ، واضعاً على رأسه تاج الصعيد الأبيض فى كل من التمثالين . ومع ذلك لم يقصد " خع سخم " أن يجعل بالضرورة من الصعيد مصدر سلطاته بل يدل الزى الذى التحف به الملك على أن التمثالين كانا ضمن مجموعة تشبه ما اكتشف فى أماكن أخرى من مجموعات تمثل الملك خلال احتفالات التتويج . ويظهر على التوالى كملك الوجه القبلى ثم الوجه البحرى حسبما تقتضيه مراسم احتفال عيد " السد " . وتحمل قاعدة التمثالين زخارف تمثل أسرى مكდسين ، تتداخل أشلاء أجسادهم وتتشابك .

و من المحتمل أنه غير اسمه بمناسبة ما أحرزه من نصر فصار " خع سخموى " أى "القويان تم تتويجهما" . ووضع "حورس" و «ست» فوق «السرخ» . وبصفته ملك الوجهين

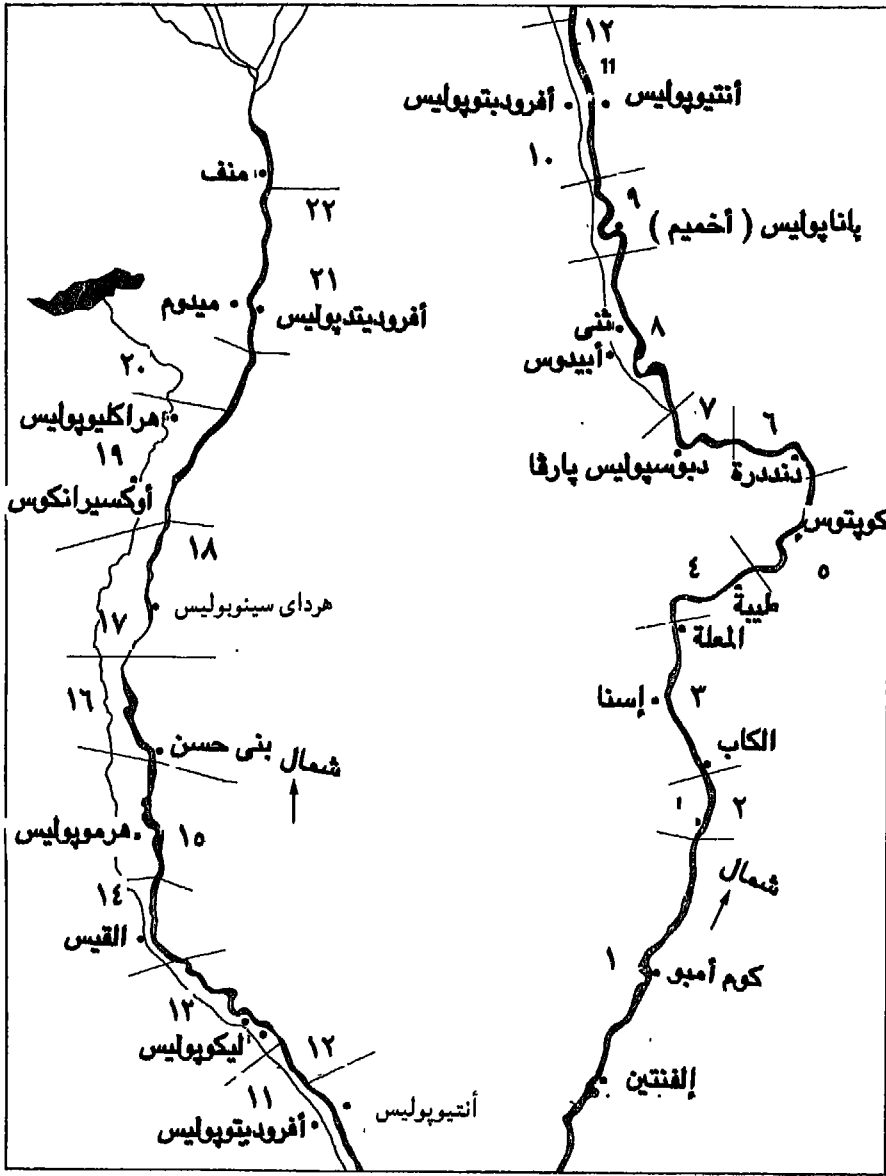
القبلى والبحرى اختار لنفسه لقب " السيدتان فى سلام من خلاله " . وجاء إحكام سيطرته على البلاد وكأنه أعاد توحيد مصر ، كما واكبه تطور فى فنون العمارة ، وسياسة نشطة فى مجال التشييد . فأقام عمائر من حجر فى هيراكونبوليس والكاب وأبيدوس حيث شيد مقبرته وهى أضخم مقابر ملوك الأسرة الثانية .

وينتهى العصر الثينى مع نهاية حكمه عملاً بتقسيم مانتون ولكن دون سبب وجيه . بل يبدو غريباً أن تنتهى الأسرة الثانية معه فى حين أن " خع سخموى " قد تزوج بالأميرة « نى ماعت حپ » التى ستصبح والدة الملك العظيم " حسر " خليفة غير المباشر . ولكن يتضح من العرض السابق أن مفهوم الملكية " الثينية " لا يعبر عن الوضع السياسى الحقيقى للأسرة الثانية التى أصبحت كما رأينا " منفية " أكثر منها « ثينية » . وكل ما فى الأمر أن نهاية عهد « خع سخموى » كان أيضاً نهاية للمواجهات التى احتدمت بين الشمال والجنوب وترسيخاً للبنى الاقتصادية والدينية والسياسية فى البلاد . إنها نقطة انطلاق لعصر عظيم سيشهد نهوضاً جباراً للحضارة والفن حتى بلغا شأواً عظيماً من الرقى وإتقان الصنعة ومهارة التنفيذ .

النظام الملكى الثينى

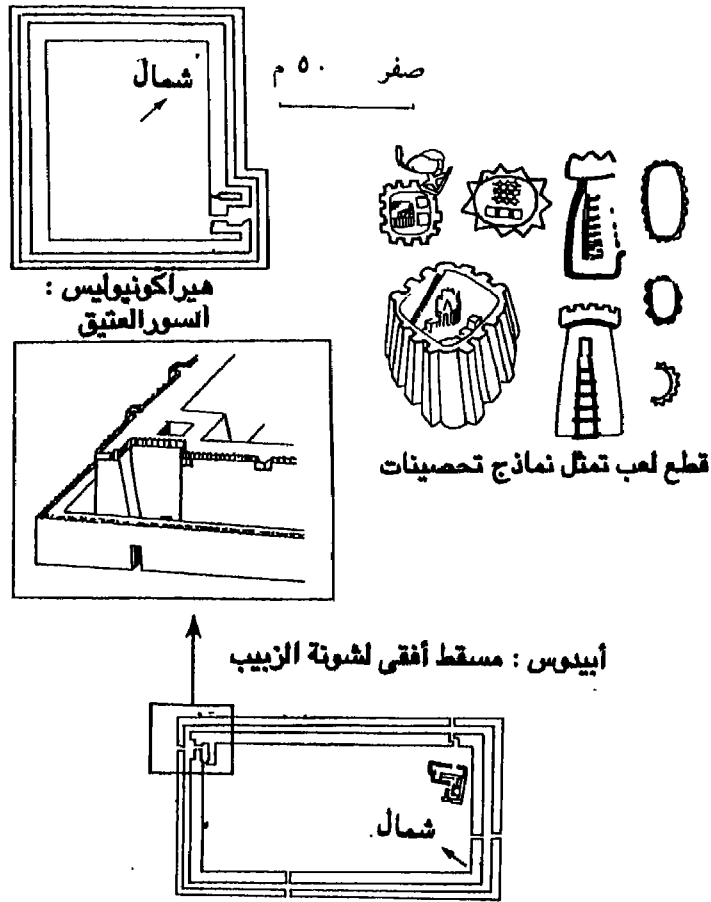
لا يختلف النظام الملكى فى العصر الثينى كثيراً عن مثيله فى الأسرة الثالثة ، فأهم المؤسسات قد تشكلت قبل عهد « حسر » . وكان انتقال السلطة يتم منذ ذلك الوقت من خلال النسل المباشر وهو الركيزة التى نهضت على أساسها المؤسسة الملكية . فالملك يتخلى بعد وفاته عن لقب « حورس » . فى حين كان يحمل منذ الآن الأسماء الثلاثة المكونة لجوهر ألقابه : الاسم الحورى أولاً ، وهو المعبر عن طبيعته كأقنوم الإله وارث العرش . ثم اسمه بصفته ملك الوجهين القبلى والبحرى الـ " نيسو بيتى " . واعتباراً من الملك « سمرخت » ظهر الإسم الـ " نبتى " . وربما كان يشير إلى منصب الأمير قبل تتويجه كوريث للعرش ولكنه يسبق اسم التتويج ويمهد له . ويلاحظ الدور الذى تلعبه زوجة الملك فى نقل السلطة . فهى " التى توحد الإلهين " و " التى تشاهد " حورس " و " ست " . كما أنها " والدة الأبناء الملكيين " .

وهكذا تم فى هذا الوقت المبكر تنظيم البيت الملكى ليستمر على ما هو عليه طوال القرون التالية . يفترض أن القصر الملكى كان مشيداً بالطوب النى طبقاً للعمارة



شكل (١٧) - خريطة أقاليم الوجه القبلى .

وكحد أقصى فإن كل نطق سام هو بمثابة مرسوم له قوة القانون ، وتسجيله كتابة أو عدم تسجيله لا يضيف عليه جديدا . إنه نظام أشبه بنظام " الظاهر " الإسلامى . وتتكون أهم أبواب القانون المصرى القديم من الشروح التى تدور حول هذه المراسيم إلى جانب التشريعات المدونة وما يُصدره القضاة من أحكام .



شكل (١٨) - العمارة المدنية والعسكرية .

وينشط جهاز الكتبة بمختلف مراتبه فى الحدود الفاصلة بين دائرة المقربين للملك من ناحية ، وبين حاملى الأختام من ناحية أخرى . إنه ركيزة الجهاز الإدارى المتواجد فى كل زمان ومكان. ومن دائرة المقربين للملك يبرز منذ الأسرة الثانية شاغل منصب « تشاتى » ، الذى لا تنطوى اختصاصاته آنذاك على نفس الاختصاصات التى مارسها مع حلول الأسرة الرابعة ، والذى جرت العادة على مقارنته بالوزير العثمانى . و " حماكا " هو أول حامل اختام الملك فى الوجه البحرى تتوفر عنه المعلومات ، وشغل هذا المنصب فى عهد الملك " دن " . أما منصب حامل أختام الوجه القبلى فقد ظهر فى عهد الملك " پرایب سن " . ويقع على عاتق هذه المؤسسات الثنائية الإشراف على الإحصاء وتنظيم الرى وبالتالى ما يتصل بمسح الأراضى . كما يختص بتحصيل الضرائب وإعادة توزيع الخيرات وتسليمها إلى " الخزانين " و " المخازن " المتخصصة فى الحبوب والقطعان والغذاء بشكل عام ، والتى تقوم بدورها بتنظيم توزيع الخيرات على كبرى المؤسسات التابعة للدولة : كالجهاز الإدارى نفسه والمعابد أيضاً .

وتتعامل هيئات السلطة المركزية مع الأجهزة المحلية المنتشرة فى الأقاليم التى أطلق عليها الإغريق "نوموس" ، والمصريون "سيات" ثم " قعح " ، اعتباراً من عصر العمارنة فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد . وفى الحقيقة فمعلوماتنا عن هذه المقاطعات تبدأ مع عهد "حسر" . ولكن كما سبق أن رأينا يمكن إرجاع أصول شارات هذه المقاطعات إلى ما قبل توحيد البلاد . لقد ضمت هذه المقاطعات القديمة ، دون شك ، أملاك زعماء الأسرات المحلية الذين نجحوا فى المحافظة على سماتهم الخاصة وقدر من الحكم الذاتى - فكان ذلك كافياً على كل حال ليحفظ للقوائم الجغرافية التقليدية كيانها المستقل دون جدال . لقد تأكد وجود هذه القوائم منذ عهد " نى - أوسر - رع " مع تقسيم البلاد إلى ٢٢ إقليماً فى الوجه القبلى و ٢٠ إقليماً فى الوجه البحرى .

ونشأت سلطات فدرالية تختص بإحدى المملكتين . نذكر على سبيل المثال " مجلس الشيوخ العشرة للجنوب " أو " حاكم نحن " الذى كان يقوم مقام نائب الملك فى الجنوب على وجه التقريب . وكانت معاملات هذه السلطات تتم مع حكام الأقاليم بصفتهم المسئولين المحليين والذين أطلق عليهم " المديرون " أى " عج مر " وكان يعاونهم مجلس يدعى " چاچات " .

ولا نعلم شيئاً عن التنظيم العسكرى للبلاد أو نظام التجنيد الذى لم يرد له ذكر إلا فى أزمنة لاحقة . ولكن من حقنا أن نفترض أن النظام الذى أصبح معمولاً به فيما بعد هو

الذى كان قائماً فى ذلك الوقت المبكر ، ورغمما عن ذلك فمن السهل التوصل إلى صورة معقولة للعمارة العسكرية بفضل تصاوير القلاع والمسقط الأفقى لمنطقة " شونة الزبيب " التى تمثل المواقع المحصنة فى أبيدوس أو سور هيراكونبوليس العتيق .

أما العمارة المدنية فتتخصر معلوماتنا عنها فى إطار قطع اللعب التى تمثل المنازل ، إلى جانب تصاوير " واجهات القصور " فى المقابر ، فهى المصدر الأساسى لمعارفنا عن فن العصر الثينى . كما أن الأمتعة الجنائزية التى كشفت عنها الدفونات الملكية وبعض أكبر مقابر الأفراد كمقبرة " حماكا " تنم عن فن مزدهر . وتحتل الأشياء المصنوعة من العاج والعظم مركز الصدارة إلى جانب " القيشانى المصرى " والأوانى الفخارية والحجرية . وتوجد التماثيل الصغيرة بأعداد كبيرة وتعرض لنماذج بشرية متنوعة . من أسرى حرب وأطفال ، والعديد من التماثيل النسائية الصغيرة التى لا تقتصر على تماثيل " سرارى " المتوفى فحسب بل تجسد أوضاع الحياة العادية . وشاعت تماثيل الحيوانات التى صنعت من مواد مختلفة . وعرفت بعض المواضيع نباتاً مبكراً لتلقى رواجاً ملحوظاً فيما بعد . ونذكر على سبيل المثال القردة التى تحتضن صغيره (Vandier: 1952,976 et Vallogia: 1986. 80) . أما فن نحت التماثيل الكبيرة فلم يبلغ رشاقة أعمال الدولة القديمة وظل أسلوبه خشناً واتسمت أوضاع الأشخاص بجمود ملحوظ . وإن وجدت نماذج نادرة حققت نجاحاً رائعاً نذكر منها " سيدة نابولى " وتمثال " نج إم عنخ " فى متحف اللوفر والتمثال المجهول صاحبه فى متحف برلين .



شكل (١٩) - تمثال جالس لشخص مجهول.

(من أبو صير؟)

حجر جبرى. الارتفاع: ٤٢ سم. المتحف المصرى فى برلين

الباب الثانى

العصر الكلاسيكى

الفصل الرابع

الدولة القديمة

ظهور الأسرة الثالثة

من الغريب أن ما نعرفه عن الأسرة الثالثة أقل مما نعرفه عن الأسرتين الأولى والثانية ، هذا بالإضافة إلى أن العلماء لم يتفقوا على بدايتها إلى الآن ، وهى بدايه تهيمن عليها شخصية الملك " جسر " وإن لم يكن أول ملوكها . وتطرح علينا الآثار وقوائم الملوك تأويلات شتى ، ولكن الترتيب التالى قد لا يبتعد كثيراً عن الواقع . ربما كان " نب كا " الذى ورد ذكره فى " بردية " وستكار ، أول ملوكها ، ويرجع الفضل فى معرفتنا به إلى " مانتون " وإلى وجود كاهن يؤدى شعائره الجنائزية فى عهد " جسر " . هذا هو كل ما نعرفه عن فترة حكمه التى بقيت شبه فارغة على سطح حجر بالرمو والتى يبدو أنها كانت مساوية تقريباً لفترة حكم " جسر " . كما أننا لا نعرف شيئاً عن القرابة التى تربط بين " جسر " و " نب كا " ، فرمما كان أخاه أو إبنته . وتزداد الأمور تعقيداً مع " جسر " ، فجداول " تورين " يذكر أنه حكم تسع عشرة سنة ، وخلفه ملك يدعى " جسرتى " أو " جسرتيتى " لا تذكر عنه المصادر الأخرى شيئاً . وعندما اكتشف زكريا غنيم هرمًا غير كامل فى سقارة مشيداً على غرار هرم " جسر " أصبحنا نعرف أن خليفة جسر هو الملك " سخم خت " (Lauer : 1988, 143.)

سقى فهل " سخم خت " و " جسرتى " شخص واحد ؟ . من الصعب القطع بذلك لما اعترى الألقاب الملكية خلال الأسرة الثالثة من تعديل . فاسم الأمير الذى كان يطلق عليه عند ولادته والذى كان يتخذه إسماً له عند تتويجه ملكاً للموجهين القبلى والبحرى " نسوت بيتى " حل محله الاسم المعروف بـ " حورس الذهبى " ، فى حين أخذ اسم " نسوت بيتى " يميل لأن يندمج مع الاسم الـ " حورى " ذاته . اسم ثالث فى هذه الأسرة ليضفى مزيداً من التعقيد على هذه المشكلة . إنه الملك " سانخت " الذى نعرفه بفضل بصمات الأختام التى عثر عليها فى إلفنتين حيث كشفت أعمال التنقيب التى باشرها حديثاً المعهد الألمانى للآثار بالقاهرة - عن مدينة وسور من العصر الثينى يوضحان أقصى ما وصلت إليه حدود مصر الجنوبيه خلال الأسرة الأولى . كما خلف " سانخت " أثراً فى إحدى مقابر جبانة بيت خلاى الواقعة شمال أبيدوس التى اتضح أنها مقبرة أحد موظفيه وليست مقبرته كما ساد الاعتقاد رداً من

الزمن . أما " سانخت " نفسه فمازلنا نجهل المكان الذى دُفن فيه ، وإن كان من المرجح أنه مدفون فى سقارة غربى مجموعة " جسر " التى عشر فيها على بصمات أختام تحمل اسمه . وسواء كان " سانخت " هو أول ملوك الأسرة الثالثة أو ثانى ملوكها ، أو كان هو الملك " نب كا " نفسه ، فإن حكمه لم يتجاوز ست سنوات فى رأى " مانتون " . وينحصر ما نعرفه عن " نب كا " فى اسمه المدون فى مناجم وادى المغارة غربى سيناء إلى جانب اسم " سخم خت " الذى لا نعرف عنه أيضاً شيئاً أكثر من ذلك اللهم سوى مقبرته .

" جسر " و " إيمحوتب "

إن شهرة " جسر " - وإسمه الحورى " نترى خت " - ترجع فى المقام الأول إلى ما شيده من عمائر وإلى التاريخ المصرى ذاته . وهو يحتل مكانة بارزة فى التاريخ المصرى لعدة أسباب ، فى مقدمتها أنه أقام بناءً من الحجر ابتكره مهندس " إيمحوتب " الذى ألله هو نفسه فى العصر المتأخر والذى ارتبط عصره بصورة مستقرة للنظام الملكى ، يصورها نص اكتسب شهرة كبيرة ويحكى قصة سجلت فى زمن لاحق عن ذلك العصر . إنه النصب الحجرى الذى ظهر بعد انقضاء أكثر من ألفى سنة ويرجع إلى عام ١٨٧ ق . م أى إلى عهد بطليموس الخامس الظاهر الذى أمر بحفره على صخور جزيرة سهيل على مقربة من إلفنتين عند الجندل الأول . ويروى هذا النص قصة " المجاعة " التى تفشت على مايفترض فى عهد " جسر " ، وكيف استطاع الملك أن يقضى عليها . وتصور القصة الملك " جسر " وهو يروى همومه من جراء تردى الأوضاع فى مصر قائلاً :

" قلبى مثقل بالهموم ، وفيضان النيل لم يصل فى موعده طوال سبع سنوات . الغلال نادرة ، والحبوب جفت ، والغذاء شحيح . قل دخل الناس وتقلص ، ووصل الإعياء بالجميع حداً أقعدهم عن الحركة . الطفل يبكى ، والشباب يائس . الشيوخ مثقلة قلوبهم حزناً : سيقانهم مثنية وهم جالسون على الأرض وقد أخفوا أيديهم . وعمت الفاقة لتشمل رجال البلاط أنفسهم . أغلقت المعابد . وتراكت الأتربة فوق الأحرام المقدسة . وباختصار شديد فقد عم الأسى الوجود كله " .

ويمضى النص فى روايته فيروى أن الملك انكب بحثاً فى السجلات ، حتى توصل إلى معرفة مصدر الفيضان والدور الذى يضطلع به الكباش " خنوم " سيد إلفنتين فى ارتفاع مياه النهر ، فاجزل له التقديمت . فجاءه الإله فى المنام ووعده بما يلى :

"من أجلك أمرت أن ترتفع مياه نهر النيل ، ولن تشهد سنوات تنخفض فيها مياه الفيضان . لن يصيب الجفاف أرضاً ، وسوف تتفتح الأزهار تحت ثقل غبار اللقاح . " (Barguet: 1953, 15 et 28)

وبطليموس الخامس الظاهر تستر في هذا النص خلف ملامح شخصية " جسر " ليروى الطريقة التي تغلب بها هو نفسه على تضافر العواقب الضارة لثورة خلفاء إرجامين مع المجاعة . وقد لجأ إلى ذلك لأنه كان يعتبر " جسر " مؤسس الزعامة المنفية. وبذلك ربط نفسه بالأصول الوطنية المتواتره منذ القدم : وينموذج الملك المثقف التقى الذي لا يتردد في سبر أغوار منابع اللاهوت والتاريخ بحثاً عن أسس نشأة الكون ونماذج أمجاد الماضي التليد . و " جسر " و " إيمحوتب " خير مثالين .

والمعلومات المتوفرة عن كليهما مستمدة من الأساطير ، أكثر من اعتمادها على المعطيات التاريخية . وقد تحققنا من أن " جسر " و " نترى خت " شخص واحد بفضل مخريشات السياح الذين زاروا هرمه في العصور القديمة ، وبالرجوع إلى المصادر التي تشبه " نصب المجاعة " التي تبرز أهمية منف السياسية في عهده . والغريب في أوضاع هذا الثنائي الذي يجمع بين الملك وخدامه " ايمحوتب " ، أن المعلومات حول الخادم أكثر توافراً ، بل أنه صار محل تبحر وعبادة . ويعتقد أن العمر قد امتد به إلى عهد الملك " حوني " قرب نهاية الأسرة الثالثة ، وأنه لم يشغل أى منصب سياسى . ولكن من المعروف أنه شغل وظائف كبير كهنة مدينة هليوبوليس والكاهن المرتل ورئيس المعمارين، وكانت هذه الوظائف سبب شهرته . وقد خلف لنا الدهر صورة عن " ايمحوتب " تظهره كأبرز شخصيات عصره . وفى ظل الدولة الحديثة لم يرفعه الأدباء إلى مصاف راعى الكتبة وحاميه لتفوقه الأدبى ، بل لأنه كان يعتبر تجسيدا للحكمة ، وكانت "التعاليم" أحد أهم أشكالها . ولما كانت قدراته قدرات ذهنية أكثر منها أدبية فإنها تشهد على الوظائف التي يفترض أنه قد تبوأها فى خدمة " جسر " . وحسبما جاء فى جدول تورين فقد اعتبر إبننا للإله " پتاح " نظراً لصفاته كمستشار ثاقب النظر وهى نفس صفات الإله الخالق فى منف وفقاً لمعتقدات المصريين الدينية . وهى أولى مراحل عملية رفعه إلى مصاف الأبطال التي ستؤدى إلى تأليهه كإله محلى لمدينه منف ، له كهنوته المتفرغ لشعائره ، وله أسطوره الخاصة . ثم ينتهى به الأمر ليصبح وسيطاً يحل مشاكل البشر اليوميه ، ومتخصصاً فى المسائل الطبية . واحتفظ الإغريق بهذا التخصص

الذى تميز به " ايموتيس " المنفى عندما دمجوه مع " إسكلبيوس " . وانتشرت عبادته فى عصور امبراطورية الإسكندرية حتى وصلت إلى مدينة " مروي " بعد أن استقرت فى مدينة فيلة حيث شيد له معبداً . وقد عاش بعد انهيار الحضارة المصرية من خلال التقاليد العربية وفى سقارة على وجه التحديد حيث توجد مقبرته على ما يظن . وعلى العكس منه لم يؤله الملك " چسر " . وكان هرمه كافياً ليضمن له الخلود من خلال ابتكار شكل معمارى جديد سيصبح النموذج المفضل لكافة خلفائه وحتى نهاية الدولة الوسطى .

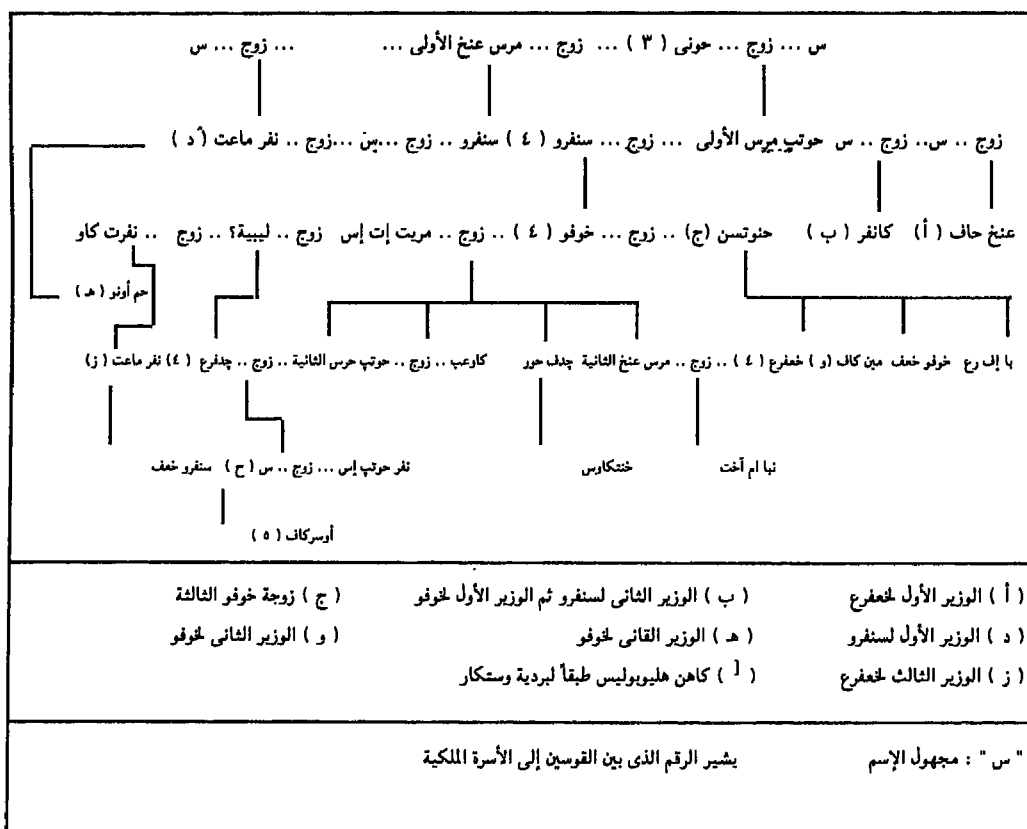
نهاية الأسرة الثالثة

لم تكن نهاية الأسرة الثالثة أوضح من بدايتها . ويصعب على الباحث أن يطابق المعطيات التى تقدمها قوائم الملوك مع تلك التى يوفرها علم الآثار . وفى غياب الوثائق الجلية تطرح معطيات علم الآثار ترتيباً يرتكز على تطور عمارة المقابر الملكية . وبالفعل فقد عثر فى موقع زاوية العريان أى فى منتصف المسافة بين الجيزة و " أبو " صير على مقبرتين . أما المقبرة الجنوبية المعروفة اصطلاحاً بالهرم « ذى الطبقات » فقد تأثرت بشكل واضح بعمارة هرمى « سخم خت » و « چسر » فى سقارة .

ويحتمل أن هذه المقبرة غير كاملة ولم يستكمل بناؤها . إلا أن نقوش الأوانى ، وهى المرجع الوحيد الذى نستند إليه ، تشير إلى أن صاحب المقبرة هو الملك « خع با » الذى لم يعثر له على أى أثر آخر ، وإن كان البعض يرى فيه الملك « حونى » الذى ورد اسمه فى قائمة سقارة الملكية وجدول « تورين » الذى حدد له مدة حكم تصل إلى أربع وعشرين سنة ، أى أنها تغطى الربع الأول من القرن السادس والعشرين قبل الميلاد . وقد تأكد ترتيبه كآخر ملوك الأسرة الثالثة من نص أدبى ألفه الكاتب « كايپرسو » ، حسبما ورد فى نصوص مختارة من عصر الرعامسة . والنص المقصود هنا هو « التعاليم » التى يفترض أنها وجهت صورياً إلى شخصية معاصرة للملك « تيتى » وهى وزيره « كاجمنى » الذى دفن على مقربة من هرم سيده فى سقارة . وعلى غرار ما حدث لـ « إيمحوتب » فقد أصبح « كاجمنى » فى نهاية الدولة القديمة شخصية تحوطها هالة أسطورية على اعتبار أنه تبوأ شتى المناصب منذ عهد « سنفرو » . وينتهى النص بالكلمات الآتية : " عندئذ توفى صاحب الجلالة « حونى » ملك الوجهين القبلى والبحرى وخلفه صاحب الجلالة سنفرو ملك الوجهين القبلى والبحرى ورفع إلى مرتبة الملك المحسن فى هذا البلد بأكمله . وعندئذ أصبح « كاجمنى » عمدة ووزيراً (بردية « بريس » : 9 - 7 , 2 P. Prisse) .

وإذا كان " حوني " هو بالفعل آخر ملوك الأسرة الثالثة فما هو ترتيب مشيد المقبرة الأخرى فى زاوية العريان ، إنه " حورنب كا (رع) " أو " حور نفر كا (رع) " حسبما ذكرت بعض المخريشات . وترتبط عمارة هرمه بالأسرة الثالثة أو على أقل تقدير بالعودة إلى اسلوب هذا العصر . ولكن هل يكفى ذلك للتيقن من أنه الملك " نب كا (رع) " كما ورد فى جدول سقارة ، أو " ميسوخريس " عند " مانتون " ، أو أنه على كل حال أحد أسلاف " حوني " ؟

اسسٹنٹ فو



المحتمل أنها كانت إحدى سرارى " حونى " وإن لم يوجد ما يؤكد . ولكن إذا صح هذا فقد تزوج ابنها من " حوتب حرس " الأولى إحدى شقيقاته مسن والده " حونى " ووالدة " خوفو " ليؤكد بالدماء الملكية حقه فى الحكم . وتلقى صلة البنوة هذه بظلال من التعقيدات على أنساب الأسرة الرابعة التى تستطيع أى دراسة ولو حتى مختصرة أن توضح مدى رسوخ العائلة المالكة فى الحكم .

إن سنfro ، شأنه شأن سلفيه " چسر " و " نب كا " من الأسرة الثالثة ، قد خلف صورة أسطورية ، جسده فيها الأدب المصرى بطلاً اشتهر بكرمه الفياض . وفى الدولة الوسطى رفع إلى مصاف الآلهة ، وأصبح نموذج الملك الكامل ، وانتسب إليه العديد من الملوك أمثال " أمنمحات " الأول عندما أرادوا أن يصبغوا الشرعية على سلطانهم . وبالإضافة إلى ماناله من شعبية تشهد عليها قوائم الأعلام ، بلغت هذه الخطوة حد ترميم معبده الجنائزى فى دهشور . والمصادر التى تتعرض لوصف عهده كثيرة ومتوفرة حيث طالت سنى حكمه المجيدة حتى كادت تبلغ الأربعين سنة . وحسبما ورد فى حجر بالرمو كان سنfro ملكاً محارباً إذ يفترض أنه خرج على رأس حملة عسكرية لقمع تمرد فى إقليم " دوديكاخوينوس " ، وعاد ومعه سبعة آلاف أسير وهو رقم مبالغ فيه دون شك ، إذ من المعروف أن هذه المنطقة ، وهى تشمل على وجه التقريب ، النوبة الحالية كان عدد سكانها عند منتصف القرن العشرين يناهز خمسين ألف نسمة . كذلك عاد بأعداد كبيرة من الماشية تصل إلى مايقرب من عشرين ألف رأس . ويضاف إليها حسب نفس المصدر ١٣١٠٠ رأس ماشية عاد بها من حملة شنّها على الليبيين الذين أسر منهم ١١ ألف رجل . كانت هذه الحملات العسكرية أكثر من مجرد غزوات ضد قبائل شقت عصا الطاعة . فقد ظلت النوبة منذ بواكير العصر الشينى مستودعاً لليد العاملة سواء للإنشاءات الضخمة أو للحفاظ على الأمن . أما سكان الصحراء الشرقية المعروفين باسم « مچاو » والذين عرفوا فيما بعد باسم « البليمين » ، فقد أمدوا مصر بما يلزمها من قوات الشرطة الضرورية لحفظ الأمن فى ربوع المملكة . كما استهدفت هذه الحملات السيطرة على معابر القوافل المتاجرة فى المنتجات الإفريقية كالأبنوس والعاج والبخور والحيوانات الغريبة من زراف وقردة - التى انتشرت باطراد خلال الدولة القديمة - وبيض النعام وجلود الفهود ٠٠ إلخ . وفى نفس الوقت كان من الضرورى مراقبة مناطق إنتاج بعض المواد المستوردة كالذهب الذى كان يستخرج على امتداد صحراء النوبة جنوب شرقى وادى العلاقى وحتى نهر النيل أو الديوريت غربى « أبو » سمبل .

وقد دفعت هذه الاهتمامات معظم ملوك مصر بدءاً من " سانشت " إلى إرسال الحملات إلى سيناء . لم يكن الغرض من هذه الحملات ردع غزاة من مناطق سوريا وفلسطين ، فقد كان زحف هؤلاء أمراً مستبعداً ، بل كان الهدف المؤكد هو تأمين استغلال المناجم الواقعة غربى شبه جزيرة سيناء فى وادى نسب ووادى المغارة حيث كان يجرى استخراج النحاس والذهنج وبصفة خاصة الفيروز . ولم يشذ سنفرؤ عن القاعدة وقاد حملة ضد البدو الذين كانوا يعاودون كل مرة الاستيلاء على المناطق التى لا يستغلها المصريون بصفة دائمة . ولاشك أن شعبية " سنفرؤ " المتأصلة فى سيناء حتى الدولة الوسطى كانت ترجع على ما يبدو إلى نهوضه بأعمال استغلال مناجم المنطقة وتأسيسها تأسيساً راسخاً . ولم تمنع حالة الحرب غير المعلنة مع قبائل البدو من إقامة علاقات تجارية مع مناطق الشام عن طريق واجهتها البحرية فى فينقيا . بل لقد أرسل " سنفرؤ " حملة تتكون من أربعين سفينة كان الغرض منها جلب الأخشاب اللازمة لأعمال البناء التى ظلت مصر تفتقر إليها باستمرار .

لقد شيد " سنفرؤ " السفن والقصور والحصون والديار والمعابد . بالإضافة إلى أنه الوحيد من بين ملوك مصر الذى يمكن اعتباره صاحب ثلاثة أهرامات . وبالفعل فقد اتجه فى مرحلة أولى إلى أقصى جنوب جبالناث أسلافه عند موقع ميدوم حيث شيد مقبرة لم تبتعد كثيراً عن التقنيات التى استخدمت فى هرم " چسر " . وفى العام الثالث عشر من حكمه ، على ما يبدو ، وعندما كان العمل فى بناء هذا الهرم يوشك على الانتهاء تولى عن إستكماله ليبدأ فى تشييد هرمين جديدين فى دهشور فاتحاً الطريق لإقامة أول هرم كامل . ويصعب معرفة الأسباب التى دفعته إلى نقل الجبانة الملكية إلى ميدوم ثم إعادتها ثانية إلى الشمال . ولكن اختيار ميدوم كان الغرض منه بصورة مؤكدة إبراز الاختلاف مع الأسرة السابقة وجاء متفقاً مع النصف الأول من حكمه . ولاشك أن العائلة المالكة قد احتفظت بروابط مع ميدوم حيث دفن فرعها الأكبر لاسيما " نفرماعت " الذى كان وزيراً فى عهد « سنفرؤ » وشغل ابنه " حم أونو " نفس المنصب فى عهد " خوفو " الذى اعتبره البعض عمه . وواصل " حم أونو " تقليداً عائلياً - استهله " نفرماعت " مع " حونى " - فشيّد لحساب سيده عاهل البلاد هرم الجيزة الكبير . ونال بالتالى شرف إقامة مقبرته على مقربة من قبر سيده وإن يوضع فيها تمثاله . ويعتبر " رع حوتپ " من أشهر الضيوف الذين شرفوا ميدوم ويظهره تمثاله بجوار زوجته " نفرت " ، وهو من التحف التى يفخر بها متحف القاهرة . (شكل ٣٣) .

خوفو

شُيّدت أهم جبانات الأسرة الرابعة فوق هضبة الجيزة ، تطل عليها أهرام خوفو وخلفائه ، وتنتظم من حولها طرقات تصطف على جانبيها مصاطب الموظفين والأعيان فى موكب مهيب ، يصاحبون سيدهم إلى العالم الآخر . وكان مصير خوفو فريداً فى بابه . واسم خوفو إختصار لاسمه الكامل " خنوم خو إف وى " أى " الإله خنوم يحمينى " . واعتبر هرمه منذ العصور القديمة رمزاً حياً للملك حكم مصر حكماً مطلقاً . وكان يحلو " لهيرودوت " أن يبرز قساوة حكمه فيما رواه عن مصر ، فقال فى هذا الصدد :

" لم يترك " كيوبس " (خوفو) شراً إلا واقترفه . فبدأ بإغلاق جميع المعابد ، وحرّم على المصريين تقديم الأضاحى . ثم أمرهم بالعمل لحسابه ، وتولى بعضهم التنقيب عن مقالع أحجار الجبل العربى لقطع الأحجار التى تسحب بعد ذلك حتى ضفاف النيل ثم تعبر بالسفن إلى ضفة النهر الأخرى . ليتولى آخرون سحبها حتى الجبل الليبى . كانوا يعملون فى مجموعات تتناوب كل ثلاثة أشهر ، وتتكون كل مجموعة من مائة ألف رجل . أما الطريق الصاعد الذى سحبوا عليه الأحجار فقد استغرق تشييده عشر سنوات عانى خلالها الناس من شتى ألوان العذاب (. . .) واستغرق العمل فى بناء الهرم نفسه عشرين سنة (. . .) ولشدة حاجة " كيوبس " للمال انحدر إلى أحط درجات الرذيلة فوضع ابنته فى ماخور قمارس فيه الدعارة لتحصل من عشاقها على قدر معين من المال . ولم يخبرنى الكهنة عن مقدار هذه الأموال . وفضلاً عن أنها نفذت أوامر أبيها إلا أنها أرادت أن تترك أثراً خاصاً بها . فطلبت من كل من زارها أن يهدى إليها حجراً . ومن هذه الأحجار شُيّد الهرم الذى يقع وسط الأهرامات الثلاثة القائمة أمام الهرم الأكبر . وبلغ طول كل ضلع من أضلاعه بليتزونا واحداً ونصف " .

لم يحتفظ له المصريون بذكرى طيبة كما فعلوا مع " سنفرو " رغم استمرار عبادته حتى العصر الصاوى وانتشار شعبيته فى ظل السيطرة الرومانية . و " خوفو " هو الملك الذى تروى على مسامعه عجائب قصص أسلافه من ملوك مصر فى بردية " وستكار " ، ويظهر فيها فى الصورة التقليدية للملك الشرقى كما نعرفه من خلال القصص والحكايات: فهو لين العريكة ، مغرم بكل غريب وعجيب ، أنيس مع أتباعه ولكنه لايعير حياة البشر أدنى اهتمام . ويظل تشييد مقبرته شغله الشاغل . وتصوره رابع قصص بردية " وستكار " وهو يسعى لاكتشاف " القاعات السرية فى معبد تحوت " التى يود

إقامتها فى معبده الجنائزى . وخلال بحثه يتعرف على ساحر من ميدوم يدعى " جدى " يبلغ من العمر العاشرة بعد المائة . ومازال فى هذه السن المتقدمة يأكل مائة وخمسة أرغفة ونصف بقرة ويشرب مائة جرة جعة " . وينبئه الساحر أن " أوسركاف " أول ملوك الأسرة التالية وابن " رع " البكر من زوجة أحد كهنة " رع " فى مدينة هليوبوليس سوف يكشف له عن السر الذى يبحث عنه ! وتروى بقية البردية كيف أحاطت العجائب والغرائب بولادة ملوك الأسرة الخامسة الأوائل، كما نجهل نهاية القصة نظراً لضياع الجزء الأخير من البردية. ولكن نلاحظ أن " خوفو " لم يعد يحتل مكانة مرموقة سواء فى صفوف أسلافه بما عرف عنهم من حكمة ، أو خلفائه بما اشتهروا به من فضيلة . فعندما همّ خوفو بقطع رأس أحد الأسرى لمجرد الاستمتاع بمشاهدة الساحر " جدى " وهو يعيدها إلى مكانها ، اهتزت مشاعر الساحر لهذا التصرف المؤسف فمنع الملك بل ونهره وحاول تقويمه قائلاً : " لاياسيدى يا صاحب الجلالة . لاتقتل كائنا بشريا . فمن المحرم تجربة مثل هذه الأمور على قطيع الله ! . " ومن الجدير بالملاحظة أن ميدوم هى مسقط رأس هذا الساحر الخاضع كل الخضوع لمشيئة الله ، كما كانت ميدوم أيضاً الموطن الأصلي " لسنفرو " على ما يبدو . لقد كتبت جميع هذه النصوص التى تتناول ملوك الأسرة الرابعة بعد أن أثار عصر الانتقال الأول الجدل حول الصورة التى ارتسمت فى الأذهان عن نظام الحكم الذى ساد خلال الدولة القديمة وياشر سلطاته دون منازع . فكان من المنطقى إذن أن تتهجم هذه الكتابات على الملوك الذين شادوا أعظم العمائر كرموز متضخمة لما تصوره عن جبروتهم ، فشوهت الحقائق والوقائع (Posener : 1969, 13) . ولكن إذ صح هذا الاستنتاج ، فلماذا ظل الملك "سنفرو" بمنأى عن أى تجريح رغم أنه من أعظم بناءة الأهرام بالمقارنة مع غيره ممن خلفوه من ملوك ؟

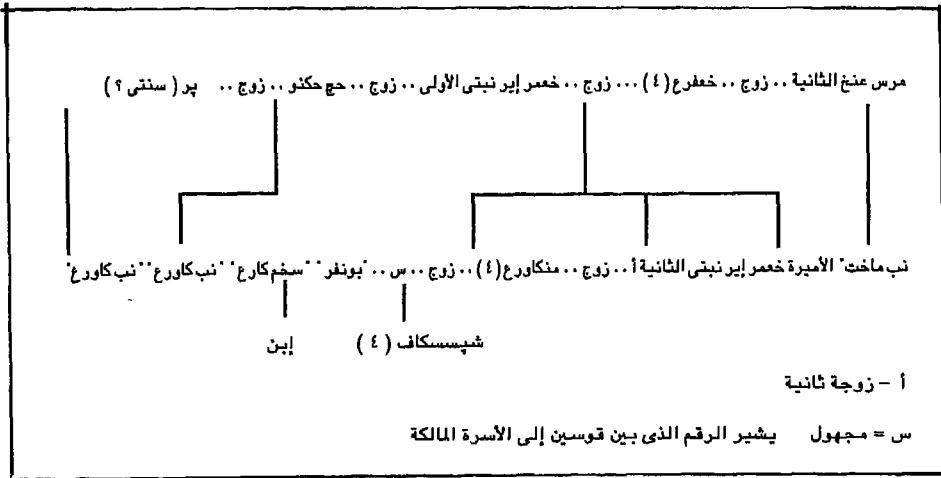
وإذا استبعدنا النصوص الأدبية المتواترة ، فإننا لا نعرف سوى القليل جداً عن "خوفو" . بل من المفارقات الغريبة ألا يخلف وراءه ، وهو صاحب أضخم عمائر مصر والذى يعد أحد عجائب الدنيا السبع ، سوى تمثال صغير من العاج يبلغ ارتفاعه ٩ سم ، ويمثل الملك جالساً على عرش مكعب الشكل مرتدياً النقبة " شنديت " ، وعلى رأسه تاج الوجه البحرى . وكان هذا التمثال الوحيد مكسوراً عندما عثر عليه " فلنדרز پترى " عام ١٩٠٣ فى أبيدوس ، وهو محفوظ الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة . أما الوثائق التى توفر لنا المعلومات عن عهده فهى قليلة : منها مخربش " وادى المغارة " وينص على

متابعته لأعمال والده فى سيناء . ونصب حجرى من محاجر الديوريت الواقعة فى صحراء النوبة غربى " أبو " سمبل وتشهد على نشاطه جنوبى الجندل الأول . كما أننا لا زلنا لانعرف شيئاً مؤكداً عن عدد سنوات حكمه ، فهى ثلاثة وعشرون سنة طبقاً لجدول تورين فى حين تصل إلى ثلاثة وستين سنة عند " مانتون " .

خلفاء خوفو

أنجب " خوفو " ابنين ، ولد كل منهما من أم مختلفة وخلفاه فى الحكم . أولهما " جدفرع " الذى اعتلى العرش بعد وفاة أبيه ، الذى يكتنف الغموض كلا من شخصيته وحكمه ، حتى صار من الصعب التأكد من أن حكمه قد دام ثمان سنوات فقط كما جاء فى جدول تورين أو استمر أكثر من ذلك (دون الحاجة إلى القول بأنه دام ثلاثاً وسبعين سنة طبقاً لرواية مانتون) . ومع ذلك يشكل تسلمه السلطة منعطفاً لاجدال فيه ، ينبئ بالهزات التى وقعت عند نهاية الأسرة الرابعة . فكان أول ملك يضم إلى ألقابه لقب " ابن رع " . كما انتقل من الجيزة إلى " أبو رواش " شمالاً على مسافة عشرة كيلو مترات ليقيم مقبرته . ولم يأت اختيار هذا الموقع اعتباطاً . فمغزى اختياره واضح وينطوى على معنى العودة إلى القيم السابقة فى عهد " خوفو " ، إذ سبق استخدام هذا الجزء من الهضبة أيام الأسرة الثالثة . وإضافة إلى ذلك فقد عاد " جدفرع " ثانية إلى الاتجاه الشمالى الجنوبى والمسطط الأفقى المستطيل المستوحى ، فى أغلب الظن ، من نماذج سقارة . وكانت مجموعته الجنائزية تتكون من معبد للشعائر وطريق صاعد ضخم ومعبد المزار الذى لم يتم التنقيب عنه حتى الآن . إلا أن العمل بهذه المجموعة لم ينته مما يوحى بقصر مدة حكم " جدفرع " ، كما أنها نهبت بشدة . ولكن لا بد أن لهذا النهب دلالة ومغزاه . فلما كان الهرم مشيداً بمواد بناء نفيسة كالسيانيت والكوارتزيت الأحمر المجلوب من الجبل الأحمر ، فقد أصبحت هذه الأحجار مطمع الكثيرين . وهكذا اكتشف " إميل شاسينا " E. Chassinat عام ١٩٠١ على مقربة من الهرم مجموعة من حطام مايقرب من عشرين تمثالاً من الكوارتزيت تمثل جميعها الملك . وتعتبر أجمل هذه التماثيل من روائع الفن التشكيلى الملكى فى الدولة القديمة وهى من مقتنيات متحف اللوفر .

إن مكانة " جدفرع " فى العائلة المالكة ، وعلاقاته بأخيه غير الشقيق " خعفرع " الذى خلفه غير واضحة ، كما نجهل إسم أمه ، ولكن نعرف أنه تزوج على ما يبدو من أخته غير الشقيقة " حوتب حرس " الثانية التى سبق لها أن تزوجت " كاوعب " ولى



شكل (٢١) - مختصر أنساب الأسرة الرابعة، الأجيال ٤ - ٦: الفرع الأكبر.

عهد خوفو ووزيره الذى مات فى حياة أبيه . ونعرف مكان وجود مقبرته وهى من أولى المقابر التى شيدت فى الجبانة الواقعة شرقى هرم أبيه " خوفو " ، كما نعلم أن المصريين قد ظلوا يخلدون ذكره حتى عهد رمسيس الثانى . فقد رمم الأمير " خعمواس " أحد تماثيله فى معبد منف . وأعجب " كاوعب " من زواجه من " حوتپ حرس " الأميرة " مرس عنخ " الثالثة التى قدر لها أن تتزوج " خعفر " . أما " جدفرع " فقد رزق من زواجه من " حوتپ حرس " الثانية بنتاً اسمها " نفرحوتپ إس " . ومن المحتمل أنها كانت والدة الملك " أوسركاف " .

بعد وفاة " كاوعب " ، فإنه يبدو أن التنافس بات على أشده بين " جدفرع " وبين " جدفحور " أخيه غير الشقيق الثانى الذى اكتشفت مقبرته على مقربة من مصطبة " كاوعب " ، وكانت ناقصة لم تكتمل ولحقت بها عن عمد أضرار بالغة . فهل جاء ذلك نتيجة ما أصابه من ملاحظات واضطهاد ؟ تساؤل يصعب الإجابة عليه . ولكن الأمر يبدو مقبولاً إذا اعتبرنا أن " جدفحور " هو والد الملكة " خنتكاوس " والدة " ساحورع " و " نفريرايركارع " . و " خنتكاوس " هى ذاتها الملكة " ردچدت " التى حدثتنا عنها بردية وستكار حين بشرها الساحر " جدى " فى حضرة " خوفو " بأنها سوف ترزق من الإله " رع " بملوك الأسرة الخامسة الثلاثة الأوائل . ويبدو الأمر كأنه صراع بين فرعين متنافسين داخل العائلة المالكة وأن " جدفرع " قد انتصر على " جدفحور " ، لتعود السلطة إلى الفرع الأكبر مع الملك " خعفر " . ولهذه الفرضية وزنها الكبير بالنظر

لحكم الأجيال اللاحقة على أبناء " خوفو " . وهناك مخبريش اكتشف فى وادى الحمامات ويرجع إلى الاسرة الثانية عشرة يضم "جدفحور " وأخاه الآخر غير الشقيق "با إف رع" إلى خلفاء " خوفو " الذين تولوا بعد " خعفرع " . وعلاوة على ذلك فقد رفعه التقليد الملكى المؤازر للشرعية إلى مكانة مساوية تقريباً فى بعض جوانبها إلى شخصية " ايموحتب " ، فاعتبر أديباً . ومؤلفه " التعاليم " كان يدرسه تلاميذ المدارس ، كما جرى الكثير من أجزائه مجرى الأمثال ، واستشهد بها أفضل المؤلفين بدءاً من "پتاح حوتب" وحتى العصر الرومانى . لقد تخصص "جدفحور " فى النصوص الجنائزية ، فهو من اكتشف فى " معبد هرموبوليس " الأشمونين حجراً من كوارتز الصعيد عند قدمى الإله العظيم « . وقد دون عليه أربعة من أهم فصول كتاب الموتى : تعويذة (الفصل ٣٠ "ب") التى تحول دون أن يشهد القلب ضد صاحبه . وتعويذة (الفصل ٦٤) وهى من أهم التعويذات إذ تفتح الطريق أمام التجلى . وتعويذة الشعلات الأربع (الفصل ١٣٧ أ) . وأخيراً التعويذة التى تكرر لمجد المتوفى فى عالم الموتى (الفصل ١٤٨) . وقد سبق بهذا " ستنى خعمواس " ، كما أنه أيضاً الأمير الذى أعلن عن وجود الساحر " جدى " فى بردية " وستكار " . كما تلامس أبعاد شخصيته عالم الأسطورة حتى ليتعذر على الدارس تحديد دوره التاريخى الحقيقى . فإن صح ما أوردته النصوص فقد كان عالماً مرموقاً معاصراً " لخوفو " وامتد به العمر حتى عهد " منكاورع " .

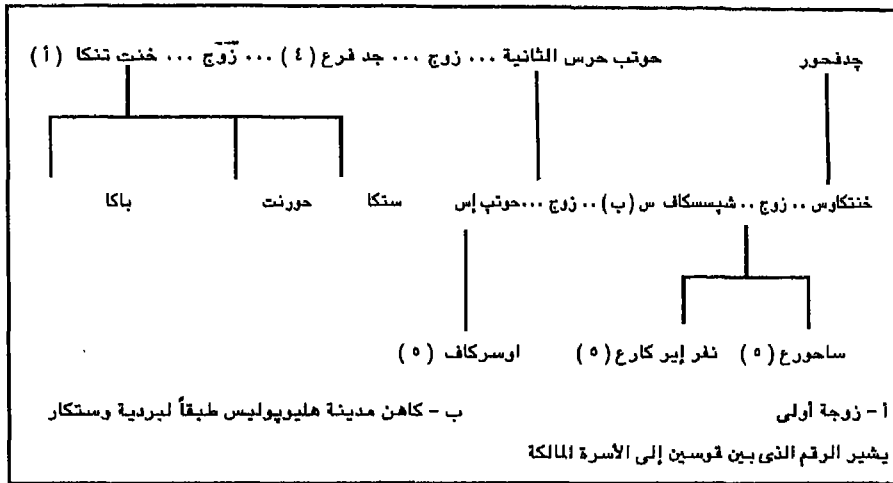
وكان ارتقاء " خعفرع " عرش البلاد بمثابة عودة الفرع الأكبر من العائلة المالكة لتسلم مقاليد السلطة والعودة إلى تقاليد " خوفو " . وجاءت سنوات حكمه المجيدة التى دامت خمسا وعشرين سنة تدعيما لهذه الأوضاع . وعاد إلى هضبة الجيزة ليشيد فوقها هرمه جنوبى هرم والده ، وزوده بمعبد المزار المشيد من الحجر الجيرى والجرانيت . وقد اكتشف العالم الأثرى الفرنسى مارييت عام ١٨٦٠ فى ردهة المعبد أحد التماثيل التى يفخر بها متحف القاهرة ، وقد ألقى به فى أعماق بئر وسط حطام قطع مختلفة ومتنوعة . وقد عثر حديثاً على تماثيل مشابهة له (Vandersleyen : 1988) . ويصور التمثال " خعفرع " جالساً على العرش الملكى يحميه إله الأسرات " حورس " الذى يحتضنه بجناحيه (شكل ٢٨) . إن الفصل بين العهدين ليس بالخطورة التى يتصورها الكثيرون ، فلا يوجد هناك إنقطاع ايدىولوجى بين العهدين . بل على العكس من ذلك نرى " خعفرع " يواصل السير فى الطريق اللاهوتى الذى بدأه سلفه . فنراه لا يبقى على لقب " ابن رع " فحسب ، بل يزيد على ذلك تأكيد

أهمية الإله "آتوم" أمام الإله "رع" ، كما فعل سلفه ، وبأسلوب تجلت فيه عبقريته وطبقت شهرته الأفاق .فإن أول مثال معروف " لأبو " الهول الملكى الذى عثر عليه فى " أبو رواش " يرجع إلى عهد " جدفرع " . أما التماثيل التى اكتشفها " إميل شاسينا " والى سبق الإشارة إليها فتضم رأساً آية فى الجمال يحتفظ بها متحف اللوفر فى الوقت الراهن . وكانت فى الأصل على ما يبدو جزءاً من تمثال لأبو الهول . وقد أمر "خعفرع" ببناء ونحت كتلة حجرية ضخمة فى هضبة الجيزة تخلفت عن أعمال حفر من عهد " خوفو " لتتخذ شكل أسد رابض له رأس تصور وجه الملك شخصياً . وقد ارتدى غطاء الرأس " نيمس " . وكانت مقاييس " أبو الهول " تتناسب مع مقاييس الهرم . وقد اعتبر فى الدولة الحديثة الإله " حورس فى الأفق " ، ويمثل الملك نفسه كتجسيد للإله آتوم . إن إقامته عند مدخل الجبانة إلى جانب المعبد الذى أقامه الملك يعتبر إبرازاً لقيمته المزدوجة : إن "خعفرع" هو الصورة الحية " لآتوم " أى " شسپ عنخ " ، بالمصرية القديمة . وتكتب بواسطة علامة هيروغليفية تمثل على وجه التحديد صورة أبو الهول رابضاً ، فهو الصورة الحية " لآتوم " سواء فى حياته أو بعد انتقاله إلى العالم الآخر ، وهذا بعد أن تغير مظهره وتحلى .

ومن زوجته " خعمر إير نبتى " أنجب ابنه " منكاورع " أى " ثابتة هى كاواله رع " أو " ميكرينوس " ، كما سجله " هيرودوت " والذى لم يخلف أباه مباشرة . وطبقاً لرواية " مانتون " فقد جاء جلوس " بيكرس " على عرش مصر ليتخلل حكم " خعفرع " وابنه " منكاورع " . و " بيكرس " هو الاسم الإغريقى للملك المصرى " با إف رع " ومعناه " رع " هو " باؤه " . وقد ورد ذكره كما لاحظنا من قبل فى الأسرة الثانية عشر إلى جانب " جدفحور " الذى يوحد البعض بينه وبين " نب كا " صاحب الهرم الناقص الذى كشفت عنه أعمال التنقيب فى منطقة زاوية العريان . وفقد " منكاورع " أحد أبنائه ولكن ابنه الآخر " شيسسكاف " خلفه على العرش ، وهو الذى تولى مهمة إتمام معبده الجنائزى ، وربما أتم أيضاً بناء هرمه ، الهرم الثالث فى مجموعة أهرام الجيزة وأصغرها . وهو أيضاً الهرم الوحيد الذى كان كساء الجزء الأسفل منه مشيداً من حجر الجرانيت ، أما الجزء الأعلى منه فكان مغطى بالحجر الجيرى الأملس . وطبقاً " لمانتون " فإن مدة حكمه يكتنفها الشك . ولكن جميع العناصر السابق ذكرها ترجح فرضية امتداد حكمه لمدة تصل إلى ١٨ سنة وليس إلى ٢٨ سنة .

و " شپسسكاف " هو آخر ملوك الأسرة الرابعة . وأغلب الظن أنه تزوج من " خنتكاوس " ابنة " جدفحور " توثيقاً لعرى الروابط بين فرعى العائلة المالكة . ولقد ورد فى مقبرة " خنتكاوس " فى الجيزة أنها " والدة ملكين حكما الوجه القبلى والوجه البحرى " . وهما على الظن وكما رأينا " ساحورع " و " نفرإيركارع " . وقد اعتبرها المصريون الجدة الأولى للأسرة الخامسة . ويبدو أن " شپسسكاف " لم ينجب منها وريثاً للعرش ، اللهم إلا اذا اعتبرنا طبقاً لرواية مانيتون أن " ثمفتيس " (جد إف پتاح) ابنا لها . وكان حكمه حكماً عابراً دام سنتين وفقاً لجدول تورين .

رسم " شپسسكاف " لنفسه سياسة دينية اختلفت عن سياسة أسلافه . صحيح أنه أصدر مرسوماً يعتبر أول مرسوم يصل إلينا لحماية أملاك أسلافه الجنائزية ، إلا أنه قطع صلاته الخاصة بكل تقليد فشيد لنفسه فى سقاره القبلية مقبرة على هيئة تابوت ضخمة . ويبدو أن " خنتكاوس " قد شاركت أفكاره : فهى صاحبة قبرين ،



شكل (٢٢) - مختصر أنساب الأسرة الرابعة الأجيال ٤-٦ : الفروع الثانوية الصغرى.

أحدهما فى الجيزة والآخر فى " أبو " صير على مقربة من مقبرة ابنها . وقد شيد بأسلوب يعتبر إرتداداً واضحاً لأسلوب الأسرة الثالثة . ويدل اختياره " لپتاح شپسس " كبير كهنة منف زوجاً لابنته " خع ما عت " على تخيله عن عقيدة مدينة هليوبوليس .

أوسركاف والفترة الأولى من الأسرة الخامسة .

وتولى الحكم الملك " أوسركاف " الذى يعنى اسمه " قوى هو " كاؤه " الذى يبدو أن ارتقاءه العرش لم يتسبب فى هزات أو قلاقل فى ربوع البلاد أو فى جهازها الإدارى . وحفظ لنا التاريخ أمثلة لموظفين من الأسرة الرابعة استمروا يشغلون مناصبهم

خلال الأسرة الخامسة ، ومنهم على سبيل المثال " نى كا عنخ " من طهنا فى مصر الوسطى . وعلى كل حال فإن بردية وستكار هى المصدر الوحيد الذى أشار إلى أنه ابن للأميرة " ردجت " التى يفترض أنها " خنتكاوس " . وتوجد روايات متواترة راسخة تؤكد أنه ابن الأميرة " نفرحوتب إس " التى يحتفظ لها متحف اللوفر بتمثال نصفى من الحجر الجيري آيه فى الجمال (Vandier, 1958, 48 - 49) . فهو إذن حفيد " جدفرع " والملكة " حوتب حرس " الثانية على ما يفترض . وينتسب إلى الفرع الأصغر من العائلة المالكة ... ويتوقف الأمر كله على التحقق من شخصية زوج " حوتب حرس " ! ولا نعرف عنه شيئاً . أهو " كاهن رع " رب مدينة " ساخابو " الذى تتحدث عنه بردية " وستكار " ؟ وعلى أى حال فقد شيد " أوسركاف " هرمًا على مقربة من مجموعة " جسر " فى سقارة البحرية : وحجم الهرم متواضع جداً فى الوقت الراهن ومهدم إلى حد كبير . كما أرسى " أوسركاف " قواعد تقليد جديد ، فشيد معبداً للشمس فى أبو صير يفترض أنه صورة طبق الأصل من معبد مدينة هليوبوليس ، وهى المدينة التى ينتسب إليها ملوك الأسرة الخامسة . وقد نهج خلفاؤه نهجه ، ومن المرجح أن اختيار " ساحورع " و " نفر إير كارع " و " نى أوسر رع " لـ أبو صير ليدفنوا فيها إنما جاء على اعتبار أن هذا المكان هو مسقط رأس العائلة المالكة الجديدة وهى مدينة " ساخابو " . ويوجد شبه إجماع على مطابقة هذه المدينة مع " ذات الكوم " القائمة على مسافة عشرة كيلو مترات شمالى " أبو رواش " الواقعة تقريباً على نفس مستوى النقطة التى يتفرع عندها النيل إلى فرعى رشيد ودمياط . كما يظهر النظام الجديد لأوضاع المملكة فى الإسم الحورى " إيرى ماعت " الذى اختاره " أوسركاف " لنفسه ومعناه " الذى وضع ماعت حيز التنفيذ " . إنه توازن الكون الذى يضمنه الخالق ، فهو المسؤول عن إعادة النظام للخلق . وكانت مدة حكمه على ما يبدو قصيرة ، وأقرب إلى السنوات السبع التى يسجلها جدول تورين منها إلى الثمانى والعشرين سنة التى ذكرها " مانتون " . وجاء هجر شعائره الجنائزية مع نهاية الأسرة الخامسة دليلاً واضحاً على تضاؤل أهميته نسبياً . ومع ذلك فقد سجلت له أنشطة محدودة لاسيما فى صعيد مصر ، حيث طور معبد مدينة الطود المكرس للإله " مونتو " إله جنوب الصعيد قبل أن يصبح إله الحرب . كما ترجع إلى عهده على ما يبدو بداية العلاقات المصرية مع عالم بحر إيجه . فقد اكتشف فى معبده الجنائزى آنية مجلوبة من جزيرة " كيثيرا " وهى أول دليل معروف عن قيام هذه العلاقات التى كانت علاقات

تجارية فى أغلب الظن . وقد تأكد وجودها خلال الأسرة الخامسة بعد أن تم اكتشاف مقعد فى "دوراك" مدموغ باسم "ساحورع" . كما اكتشف فى نفس المنطقة أشياء تحمل إسمى "منكاوحور" و "جد كارع إيسى" .

التفوق الهليوبوليتانى .

يبدو أن مصر قد انفتحت فى عهد الأسرة الخامسة على الخارج ، فى اتجاه الشمال تماماً كما انفتحت فى اتجاه الجنوب . وتشير نقوش المعبد الجنائزى الذى شيده "ساحورع" خليفة أوسركاف فى "أبو" صير إلى مناظر عودة الرحلات البحرية القادمة على ما يبدو من مدينة بيبلس ، وفى خلفيتها مناظر سورية إذا صح أن الدبة كانت موجودة هناك ، وذلك إلى جانب مناظر البلاد المهزومة ، وهو ما يشير إلى ضرب من الصور البلاغية شاع استخدامها أكثر من تسجيل الحقائق تاريخية . كما يعتقد البعض أن "ساحورع" قد شن حملة على الليبيين ، ولكن أمر هذه الحملة مشكوك فيه . وقد نهضت علاقاته بالعالم الخارجى على ما يبدو على أسس اقتصادية كما كان الحال فى عهد سلفه "أوسركاف" ، سواء فيما يتعلق باستغلال مناجم سيناء أو العودة إلى استخراج حجر الديوريت من محاجر غربى أسوان أو الرحلة التى قام بها إلى بلاد "پونت" ، استناداً إلى ما ورد عنها فى نصوص حجر بالرمو ، كما نجد لها أثراً على ما يظن فى نقوش معبده الجنائزى .

حدد المصريون موقع "پونت" فى "بلاد الإله" ، وكان هذا الإسم يدل منذ الدولة الوسطى على المناطق الشرقية . ويسود الاعتقاد أن هذه البلاد كانت تقع فى مكان ما فى المنطقة المحصورة بين شرقى السودان وشمال إيرترىا . وكانت مصدر مصر الأساسى من المرّ . وقد جلب منها المصريون فيما بعد البخور وأيضاً الالكتروم والذهب والعاج والأبنوس والراتنج والصمغ وجلود الفهود الخ ... وجميعها من المنتجات الأجنبية . ويبدو أن مصدرها أفريقيا . وقد تأكد قيام علاقات تجارية مع بلاد "پونت" خلال الأسرتين الخامسة والسادسة وخلال الدولة الوسطى على وجه التحديد . فقد نظم "حننو" الحملات لحساب "منتوحوتب الثالث" ، وغيره من القادة لحساب سنوسرت الأول وامنمحات الثانى . وتقدم لنا هذه الحملات معلومات تفصيلية حول الطريق الذى سلكته . كانت هذه الحملات تبدأ رحلتها من منطقة طيبة ثم تسلك وادى الحمامات وتبحر من "مرسى جواسيس" حيث توصلت الحفائر التى قامت بها جامعة الإسكندرية بالإشتراك مع هيئة الآثار المصرية إلى الكشف هناك ، قبل بضعة سنوات ، عن مرافق ميناء من الدولة الوسطى . ثم تبدأ رحلة

بحرية عبر مياه البحر الأحمر . وقد تركت بعض أثارها فى النقوش التى خلفتها الملكة "حاتشبسوت" على جدران معبدها الجنائزى فى الدير البحرى تخليداً للحملة التى نظمتها . وفى أعقاب ذلك ترسو الحملة على مقربة من بورسودان لتتوغل غرباً جنوبى الجندل الخامس . واستمرت هذه العلاقات فى ظل الدولة الحديثة وواصلها كل من " تحوتمس الثالث " و " امنحوتب " الثالث " و " وهورمحب " و " سيتى " الأول و " رمسيس " الثانى و " رمسيس " الثالث على وجه الخصوص ، ولكنها توارت واندثرت فيما بعد لتدخل عالم الأسطورة مع أواخر العصر الفرعونى .

أما وثائق خلفاء " ساحورع " المباشرين فهى قليلة ونادرة . ويعتبر " نفرإيركارع - كاكاى شقيق " ساحورع " استناداً إلى بردية وستكار . ولانعرف الكثير عن سياسته ، اللهم إلا أن نقش حجر بالرمو قد جرى على ما يبدو فى عهده . وكشفت أعمال التنقيب فى معبده الجنائزى فى أبو صير بين عامى ١٨٩٣ و ١٩٠٧ عن كمية كبيرة من البرديات الوثائقية تغطى فترة تبدأ بحكم الملك " أسيسى " وتنتهى مع " پيپى " الثانى . وظلت هذه المجموعة من أهم محفوظات الدولة القديمة المعروفة ، إلى أن قامت بعثة معهد المصريات التابعة لجامعة براغ بكشف النقاب ، على مقربة من المنطقة السابقة ، عن كمية أكبر وأهم فى مخزن تابع للمعبد الجنائزى للملك " رع نفر إف " عام ١٩٨٢ . وسوف تكتمل دراستنا حول سير العمل فى الأملاك الملكية الكبرى فى الدولة القديمة بفضل دراسة اكتشافات أبو صير الأربعة وما أضيف إليها من إكتشافات معبد " رع نفر إف " الجنائزى فى السنوات الماضية .

ويقع عهد " شپسسكارع " بين عهدى " نفر إيركارع " و " رع نفر إف " . ومدة حكمه قصيرة جداً ربما لم تتجاوز بضعة أشهر . ولم يخلف وراءه شيئاً سوى بصمة ختم اكتشف فى أبو صير إلى جانب ما ذكره عنه مانتون . وفى المقابل فإننا نعرف " رع نفر إف " معرفة أفضل ، لاسيما منذ حفائر البعثة التشيكية فى معبده الجنائزى . كانت الفكرة السائدة عن هذا الملك أنه ملك ثانوى قليل الأهمية بالنظر إلى هرمه الذى لم يكتمل بناؤه . ولكن جاءت اكتشافات أعوام ١٩٨٠ - ١٩٨٦ لتغير من فكرتنا عنه . فجاء العثور على مجموعة البردى والبطاقات وما تحمله من تدوينات إلى جانب العثور على المراكب الخشبية وقمائل الأسرى وقمائل الملك عام ١٩٨٥ لتشهد على عظمة هذا الملك المجهول .

استمر حكم " نى أوسر رع " زهاء خمس وعشرين سنة ، وربما كان ابن " نفر إير كارع " . واستخدم فى تشييد معبد المزار الخاص به منشآت " نفر إير كارع " فى

أبو صير التى لم تكتمل . وتتمحور شهرته حول معبد الشمس الذى شيده فى " أبو غراب " ، وهو الوحيد من نوعه الذى شيده من الحجر ، ووصلنا كاملاً تقريباً . وتقدم لنا عمارته ونقوشه فكرة تقريبية عن معبد مدينة هيلوبوليس الذى يفترض أنه النموذج الأصلى الذى شيده على شاكلته . واستناداً إلى ذلك ، خلص البعض إلى أن عبادة الشمس بلغت أوجها فى عهده ، وهو أمر ينطوى على قدر كبير من المبالغة . ومع ذلك فقد تغيرت الأمور بعد وفاته تغيراً طفيفاً . فلم يدفن خليفته " منكاحور " فى أبو صير . ولانعرف عنه الكثير اللهم إلا أنه مثل " نى أوسر رع " داوم على استغلال مناجم سيناء .

وتنتابنا الحيرة عند محاولة تحديد مكان هرمه الذى لم يكتشف حتى الآن . هل شيده فى دهشور ، أما أنه فى سقارة البحرية حيث انتشرت عبادته فى أيام الدولة الحديثة ؟ (Berlandini, RdE 31,3-28) . وإذا نسبنا لـ " منكاحور " هذا الهرم شديد التخریب الواقع شرقى هرم " تيتى " فى سقارة البحرية لاصطدمنا بمشكلة ترتبط بعلم طبقات الأرض يصعب التغلب عليها . إذ تتداخل بقايا ركنه الجنوبي مع مصطبة من الأسرة الثالثة (Stadelmann, LÄ IV,1219.) أما معبده الذى ظلت معلوماتنا حوله قاصرة على المدونات فإننا نجعل إن كان قد شيده فى أبو صير ، ليصبح فى هذه الحالة آخر من استخدم هذا الموقع ، حيث اختار جميع خلفائه سقارة .

شهد هذا العصر اتساع سلطات موظفى الأقاليم والبلاط الملكى وجنوحهم نحو مزيد من الاستقلال والحكم الذاتى ، فخلقوا تياراً أخذ يتزايد ليقوض تدريجياً سلطان السلطة المركزية . ونلاحظ الارتقاء فى سلم الثراء فيما نشاهده فى مقبرة " تى " وهو من كبار الموظفين . وقد تزوج من إحدى الأميرات هى الأميرة " نفر حوتب إس . " وبدأ حياته الوظيفية فى عهد "نفر إير كارع كاكاي " . وتوفى فى عهد " نى أوسر رع " وقد دفن فى سقارة (راجع فيما بعد الشكل ٦١) . وقد شغل " تى " منصب كبير مسئولى الشعر المسبّعة فى القصر الملكى . وكانت له اليد العليا فى شئون الأملاك الجنائزية للملكين " نفر إير كارع " و " نفر إف رع " . كما كان مراقب البحيرات والمزارع والمحاصيل . إن حجم المقبرة التى أعدها " تى " لنفسه ولعائلته ومستوى الزخارف التى تزخر بها سطوح جدرانها لم تكن فى متناول أحد الأفراد العاديين الذين عاشوا فى ظل الأسرة السابقة .

"إسيسى" و "أوناس" .

نهج " إسيسى " سياسة متحفظة تجاه عقيدة مدينة هيلوبوليس الدينية دون أن يبتعد عنها كلية . إن الاسم الذى اختاره كملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، " جد كا

رع " أى (ثابت هو " كا " الإله " رع ") يضمن له حماية الإله " رع " ، ولكنه لم يشيد معبداً للشمس . وأمر بأن يدفن فى سقارة القبلية وفى مكان أقرب إلى مدينة منف يقع بجوار قرية سقارة الحالية . واستمر حكم " إسيى " طويلا . فحدد مانتون سنوات حكمه بزهاء أربعين سنة ، فى حين يختلف معه جدول تورين الذى حدد فترة حكمه بثمان وعشرين سنة فقط . وكانت هذه المدة كافية ليحتفل بعيد البوبيل كما يتضح من الإناء الذى يحتفظ به متحف اللوفر . وقد اقتفى أثر " ساحورع " وانتهج سياسة خارجية نشطة واجه خلالها نفس الأطراف : فى سيناء أولاً حيث نظم حملتين خلال عشر سنوات إلى وادى المغارة واتجه أيضا إلى محاجر الديوريت غربى " أبو " سمبل ، بل إنه وصل إلى أبعد من ذلك ، إلى بيبيلوس وبلادپونت . وسجلت هذه الحملة الأخيرة فى مخبرش تم الكشف عنه فى طوماس . وكرر " مرنرع " تسجيلها . وزاد سلطان الموظفين فى عهده ، فظهرت إلى الوجود إقطاعات حقيقية . إن الوزراء الذين تعاقبوا خلال هذه العقود الثلاثة قد خلفوا فى سقارة مقابر تشهد على أنهم عاشوا فى بحبوحة . نذكر منهم على سبيل المثال " رع شپسس " الذى شغل أيضا منصب أول حاكم للصعيد . وأشهرهم هو " پتاح حوتب " . وتعتبره الروايات المتوارثة صاحب كتاب " التعاليم " الذى ظل المرجع الذى اعتمدت عليه أسفار الحكم والنصوص الملكية حتى العصر الأثيوبى .

ولكن هناك فى الواقع عددا من الأشخاص يحملون إسم " پتاح حوتب " . وتقع مقبرة إثنين منهم فى سقارة ، فى القطاع الواقع شمالى هرم " جسر " . أما وزير " جدكارع " فقد دفن بمفرده (PM III 2 596sq) وأما حفيده " پتاح حوتب تشيفى " والذى عاصر " أوناس " فقد دفن على مقربة منه فى مقبرة ملحقمة بمصطبة " أخت حوتب " ابن الوزير وكان هو نفسه وزيراً (PM III 2 599) وإليه ينسب كتاب " الحكم " الذى وصلنا من خلال عشرات المخطوطات ، ومنه بردية واحدة وثلاثة قطع من اللخاف اكتشفت فى قرية الحرفيين بدير المدينة ، مما يؤكد أن هذه الحكم نالت حظوة فى عصر الرعامسة ، كما ظلت مادة تعليمية فى مدارس الكتبة . وإذا كانت تنسب إلى " پتاح حوتب " فهذا لا يعنى بالضرورة أنه مؤلفها . وترجع أقدم النسخ التى بين أيدينا إلى الدولة الوسطى ، وهو الأمر الذى لا يسمح لنا بالتأكد من أن الأصل يرجع إلى الدولة القديمة وبالتحديد إلى أواخر الأسرة الخامسة ، حتى لو كنا على يقين من أنه قد ذكر كمؤلف لهذه " الحكم " منذ الأسرة الثانية عشرة . والأمر لا ينطوى على كل حال على أهمية تذكر ، فهذه " الحكم " ذات مضمون محافظ جدا وترسم القواعد العامة لسلوك الفرد . وقد جاءت نسبتها لـ " پتاح حوتب " باعتباره رمزا لكبار الموظفين المحافظين للنظام القائم ، والأمناء عليه .

وتقير الموظفون السياسيون والإداريون بثبات ملحوظ خلافا لما حدث للعائلة المالكة التي توارت مع "أوناس" الذي يعتبر - دون التأكد من صحة المعلومة - أنه ابن "جد كارع". وطبقا لتقسيم مانتون فإنه آخر ملوك الأسرة الخامسة، ومعه ينتهى بصفة عامة العصر الكلاسيكى للدولة القديمة. وتصبح الأسرة السادسة بداية عصر الانحطاط الذى يشمل الفترة الانتقالية الأولى حتى إعادة توحيد القطرين على يدى "منتوحوتب" الثانى. وهذا التقسيم مصطنع لسببين: أولاً لأنه ليس سوى إسقاط لتقسيم مانتون، ثم إن الأمر ينطوى على إكراه وتعسف لمسار التاريخ باختلاق تقسيم لم يدركه كتاب التاريخ المصريون. فبالإضافة إلى أن العديد من الموظفين قد استمروا يخدمون "جد كارع" و"أوناس" و"تيتى" أول ملوك الأسرة السادسة على التوالي، فلا يمكن اعتبار عصر "أوناس" عصر اضمحلال بأى حال من الأحوال. ويتفق جدول تورين ومانتون على أن حكمه قد دام زهاء ثلاثين سنة ونهجت مصر خلال حكمه دبلوماسية نشطة فى علاقتها ببيبلوس والنوبة. كما اشتهر "أوناس" بولعه بأعمال التشييد فى جزيرة إلفنتين وفى سقارة البحرية على وجه التحديد، حيث أقام مجموعته الجنائزية التى رجمها الأمير "خعمواس" فى عهد "رمسيس" الثانى وظلت شاهداً على عظمتها فاستحق أن يرفع إلى مصاف الإله المحلى.

ميلاد الأسرة السادسة

يبدو أن الإقطاعات التى تكونت فى البلاد بدأت تشكل قدراً من التهديد للسلطة المركزية رغم أن الدولة القديمة كانت لا تزال فى أوج مجدها وأنه لم يظهر أى أثر للعنف. وبما زاد الأمور تعقيدا غياب وريث ذكر للعرش. ويبدو أن اعتلاء "تيتى" عرش البلاد قد أتى بحل مناسب لهذه المشكلة المزدوجة. فقد اختار لنفسه الإسم الحورى "سحتب تاوى" أى "الذى يهدئ الأرضين". ويستشف من هذا الإسم البرنامج السياسى الذى رسمه لنفسه. لقد تكرر اختيار الإسم على امتداد تاريخ مصر من جانب ملوك قدر لهم على الدوام إعادة توحيد البلاد فى أعقاب اضطرابات سياسية خطيرة، نذكر منهم "امنمحات" الأول و"أبوسى" و"پدى باست" الثانى و"پى" (عنخ) ي... وعلى صعيد آخر لم يقطع روابطه مع الأسرة السابقة، بل تزوج الأميرة "ايپوت" إحدى بنات "أوناس" وأنجب منها "پيپى" الأول. ويعد أن أثبتت شرعية نسله، نهج سياسة تحالف مع طبقة النبلاء، فزوج ابنته "سششت" من وزيره "مربروكا" الذى أصبح فيما بعد المشرف العام على كهنة هرمه. وقد دفن على مقربة من هذا الهرم فى واحدة من

أجمل مصاطب سقاره البحرية . إن الهرم الذى شيده " تيتى " هو ثانى هرم بعد هرم " أوناس " نقش من الداخل بنصوص دينية ، كما يعتبر هرم " تيتى " عودة إلى بعض تقاليد الأسرة الرابعة . فقد عاد على وجه التحديد إلى تشييد أهرام للملكات فى حين اكتفى " أوناس " بتشيد المصاطب لزوجاته ، إلا إن هرم الملكة " خاويت " قد اختفى . واكتشفت بقايا " إيبوت " داخل هرم صغير شيد على بعد زهاء مائة متر شمال غرب هرم زوجها .

لقد أتت سياسته السلمية دون شك بشمارها . أما نشاطه التشريعى فنلاحظه من خلال مرسوم أصدره لإعفاء المعبد من الضريبة . كما كان أول ملك ارتبط بالإسم بعبادة الإلهة " حتحور " فى دندرة . وجدير بالملاحظة أنه قد حافظ على علاقات الأسرة الخامسة الدولية . وذلك دليل على سلامة سياسته الداخلية . فاستمرت العلاقات مع " بيبولوس " وربما مع بلاد " بونت " ومع النوبة حتى مدينة طوماس على الأقل . ولاتتفق مختلف المصادر حول تحديد عدد سنوات حكمه . فمدة السبعة أشهر التى تحددها بردية " تورين " غير مقبولة ، كما أن الثلاثين أو الثلاث والثلاثين سنة التى أوردها مانتون تبدو أطول من اللازم ، لاسيما فى غياب ما يشير إلى احتفاله بعيد اليوبيل . وأقصر تاريخ سجل خلال فترة حكمه هو " التعداد السادس " . وهى عملية كانت تتم كل سنتين أو سنتين ونصف . ويروى مانتون أنه مات مقتولاً . الأمر الذى يدعم فكرة الاضطرابات المدنية ، وهى ثانى نقطة مشتركة بينه وبين امنمحات الأول وربما كان مصرعه وراء قصر مدة حكم خليفته " أوسر كارع " . ويعنى اسمه " قوى هو " كا " الإله رع " وهو اسم له رنين يعيدنا إلى أجواء الأسرة الخامسة . فظن البعض أنه تزعم المعارضة التى كانت وراء اغتيال " تيتى " حسبما يروى مانتون . وعلى عكس الاعتقاد السائد ، فإننا لا نجهل كل شئ عن " أوسر كارع " . صحيح أنه لم يرد ذكره سوى فى جدول تورين وقائمة أبيدوس ، بيد أن الزمن قد حفظ لنا بعض الوثائق الأخرى التى تحمل اسمه ، وتشير إحدى هذه الوثائق إلى فريق من العمال القادمين من إقليم قار الكبير جنوب أسيرط والذين استؤجروا لتنفيذ مشروع ضخم ، وربما المقصود به تشييد مقبرة الملك . ونظراً لانتقال السلطة إلى " بيبى " الأول دون صدام على ما يبدو فقد يعتبر ذلك دليلاً على قيام الملكة " إيبوت " بدور الوصية على العرش لصالح ابنها " بيبى " الأول الذى تعذر عليه ممارسة سلطاته لصغر سنه .

للمتمتع بالقرايين الجنائزية . والأحرى أن نقول أن هذه النصوص أشبه ما تكون بالمستندات التى تعضد صاحبها . ولكن إلى جانب المدائح التقليدية التى ترمى إلى تحويل صاحبها إلى نموذج صالح للاندماج فى النظام الكونى ، فقد أفردت هذه النصوص جانباً منها لمجرد وصف أهم مراحل حياته العملية . ويمرور الزمن لم يعد تدوين السير الذاتية قاصراً على الهياكل الجنائزية بل أصبحت تحفر على ظهر التماثيل وعلى سطوح النصب الحجرية غير المرتبطة بالضرورة بالجبانات . وتعكس السير الذاتية تطور المجتمع ، فتعبر فى ظل الدولة القديمة عن الولاء للنظام القائم فى جو " إنسانى " ثم انتشار نزعة فردية مع تزايد سلطات المحليات . ومع حلول الدولة الوسطى ظهر من جديد الولاء للنظام القائم ولكنه ارتكز فى هذه المرة على الاختيار الشخصى ، بل اتخذ أحياناً أشكالاً تسبح فى الخيال القصصى . وخير مثال على ذلك قصة " سنوهى " . وتعاظمت الأهمية التاريخية للسير الذاتية اعتباراً من الدولة الحديثة بقدر ما نجحت فى التخلص من القيود التى تفرضها القوالب اللغوية الجاهزة ، لتفرد مكانة أكبر للفرد وإن ظلت محتفظة بالقواعد العامة التى يفرضها الفن الأدبى . وتعاظم هذا التيار فى الألف الأولى قبل الميلاد وتبلور فى أسفار الحكم التى تصل إلى مستوى الأعمال الفلسفية . ويعتبر " پدى اوزير " خير ممثل لهذا التيار .

أما " أونى " فقد عمل فى خدمة الملوك الثلاثة الأول للأسرة السادسة . وتعتبر حياته العملية نموذجاً لسيرة الموظفين الذاتية بقوالبها المتكررة : كالنقل من الجهاز الإدارى إلى الجيش . وبعد الحصول على هبة ملكية جنائزية ينقل إلى مجال الإنشاءات الكبرى واستغلال المحاجر وشق قناة عند الجندل الأول . ويروى علينا " أونى " هذه الوقائع فى أسلوب أدبى رفيع تتوارى خلفه الرؤية الواضحة لواقع الأمور :

« وجرت محاكمة سريّة فى الحريم الملكى للزوجة الملكية ، صاحبة الخطوة الكبرى . وكلفنى صاحب الجلالة بالفصل فى القضية وحدى دون معاونة قاض أو وزير ... بسبب ماحققته من نجاحات (؟) . فقدرنى جلالته أعظم تقدير لأننى كنت محل ثقة جلالته . وتوليت بمفردى كتابة (المحضر) ومعنى قاضٍ من هيراكونبوليس ، فى حين كانت وظيفتى كبير موظفى القصر العالى . ولم يحدث من قبل أن شخصاً مثلى قد سمع أسرار الحريم الملكى . ولكن سمح لى جلالته بذلك ، إذ كنت محل ثقته أكثر من أى قاضٍ من قضاته ، وأكثر من أى نبيل من نبلائه ، وأكثر من أى خادِم من خدامه »

(Roccati : 1982, 192-193) .

وتجسد هذه المؤامرة أصداءها فى الثلث الأخير من حكم " پيپى " الأول . ففى عام
التعداد الحادى والعشرين تزوج الملك على التوالى من ابنتى " خوى " أحد أعيان أبيدوس
. واتخذت الملكتان عند زواجهما إسماءً جديداً هو " عنخ إنس مرى رع " أى " مرى رع
يحيى من أجلها " . وأنجبت الملكتان عدداً من الأبناء . فأنجبت الأولى " مرنرع " والأميرة "
نيت " التى ستتزوج من أخيها غير الشقيق " پيپى " الثانى بن " پيپى " الأول من " عنخ
إنس مرى رع " الثانية . ومما يزيد من قوة اغراء ربط هذا الزواج الجديد بالمؤامرة أن خلفى
" پيپى " الأول كانا ثمرة هذا الزواج الأخير الذى صاحبه تغير ملحوظ فى السياسة العامة.
كذلك فإن الامتيازات التى حظى بها أعيان أبيدوس والتى ترتبت على مصاهرة " پيپى "
الأول " لعائلة خوى " قد تجاوزت إلى حد بعيد حدود هذه المصاهرة . إذ استمر " جاعو
بن " خوى " فى منصب الوزير لـ " مرنرع " ثم لـ " پيپى " الثانى أو على الأقل حمل
اللقب دون أن يشغل المنصب بالفعل ، ولعله كان فى وضع شبيه بوضع الوصى على "پيپى"
فى بداية حكمه . وجاء اختيار إحدى عائلات أبيدوس تعبيراً عن الرغبة فى توثيق الروابط
مع مصر الوسطى ومصر العليا بعد أن ضعفت علاقاتها بالسلطة المركزية أيضاً وتراخت
لأهمية الدور الذى تضطلع به المدينة بفضل موقعها الهام لتجارة العبور بين الجنوب
والشمال سواء عن طريق القوافل أم الملاحة النهرية . ومن جانب آخر يفسر هذا الموقع
جزئياً قوة بعض الأقاليم كإقليم هيركليوبوليس خلال الفتره الانتقالية الأولى والثالثة .
كما نهج " پيپى " الأول سياسة استهدفت فرض حضوره فى الأقاليم، فباشر سلسلة من
الأعمال الإنشائية الكبرى فى معابد الصعيد الرئيسية ، فى دندرة وأبيدوس وإلفنتين
وهيراكونبوليس ، حيث اكتشف جرين F . Green وجيمس ادوارد كويل . Quibell
تمثالين من النحاس هما من مقتنيات متحف القاهرة فى الوقت الراهن . والتمثال الأول
لـ " پيپى " الأول بالحجم الطبيعى (شكل ٣٠) والثانى وهو أصغر بكثير يمثل " مرنرع "
كشريك لأبيه . ويدوس الإثنان الأقواس التسعة وهى تصوير زخرفى مبسط للأمم التى
جرى العرف على اعتبارها خاضعة لمصر . وتحتل هذه الأمم فى علم أصول الكون ونشأته
فى مصر القديمة مكانة تدانى مكانة البرابرة عند الاغريق . وكان فرض الملك لسلطاته
ملموساً أيضاً فى الوجه البحرى من خلال الانشاءات فى معبد بوباستس ، واكب ذلك
عودة واضحه إلى القيم القديمة . فعُدل " پيپى " الأول اسم التتويج من " نفرزاحور "
إلى " مرى رع " أى " نصير رع " . كما أصدر فى العام الحادى والعشرين مرسوماً تم

بمقتضاه إعفاء المدينة التى نشأت وسط الأملاك الجنائزية لسنفرو فى دهشور - من الضرائب . أما مدينة هرمه الخاصة والتى أطلق عليها " من نفر " ، فقد نهضت على مقربة من معبد " پتاح " فى عاصمة البلاد . وأصبح اسم " من نفر " يطلق على المدينة كلها بحلول الأسرة الثامنة عشرة .

التوسع ناحية الجنوب

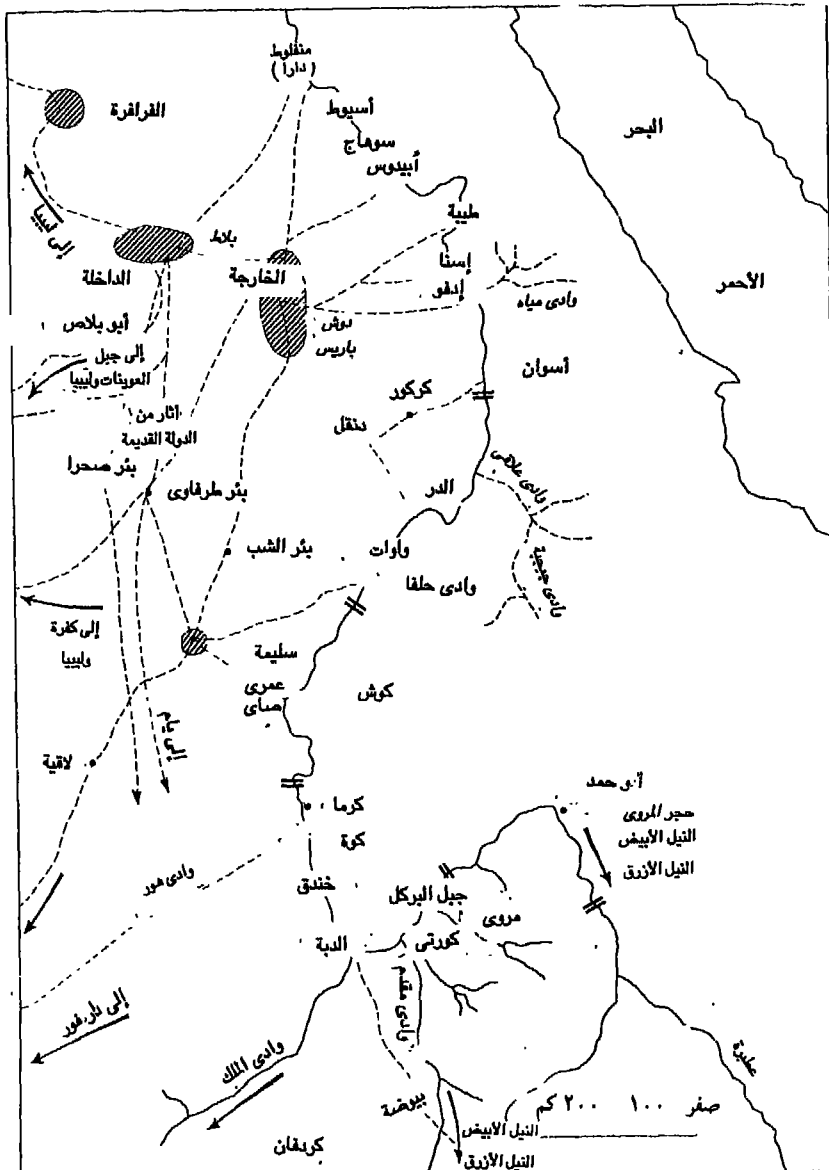
وقام ابنه " مرنرع " الأول أى " محبوب رع " بتوثيق علاقاته بالصعيد ، فاختار عند تنويجه اسم " عنتى ام زا إف " أى الإله " عنتى هو حاميه " . وعننى إله محارب على هيئة صقر كان يعبد فى المنطقة الممتدة من الإقليم الثانى عشر وحتى الإقليم الثامن عشر ، ولا سيما فى " دير الجبراوى " - كما أن اعتلاء " مرنرع " الأول عرش البلاد فى شبابه يوضح أن " پيپى " الأول قد تزوج زوجته الجديدتين فى سن متأخر ، فأنجب منهما ورثة : كانوا مايزالون فى مقتبل العمر عند وفاته . ولم يعيش " مرنرع " طويلاً ، ولعله لم يحكم سوى مدة ثمانى سنوات . ولما خلفه أخوه غير الشقيق " پيپى " الثانى على عرش البلاد كان هذا لا يزال حدثاً لم يتجاوز سنه عشر سنوات . وعلى مقربة من هرم " پيپى " الأول فى سقارة القبلية ينهض هرم ابنه " مرنرع " الأول الذى لم يكتمل بناؤه وذلك دليل على وفاة صاحبه فى سن مبكرة . أما محاولة تحديد سنه بكل دقة فهى مجازفة غير مضمونة النتيجة . وصحيح أننا اكتشفنا جثماناً لشاب فى مقتبل العمر فى هذه المقبرة ، ولكن ربما كنا هنا أمام حالة من حالات إعادة استخدام المقابر فى دفنة جديدة . فبقاء هذه المقبرة غير مكتملة جعلها لقمة سائغة لأطماع السلاطين والنهابين وسهل استخدامها فى دفن موتى آخرين .

واصل " مرنرع " سياسة أبيه . فظل ، على الصعيد الإقتصادى ، يستغل مناجم سيناء ويستخدم محاجر النوبة والفنتين وحتنوب من أجل تشييد هرمه . ويؤكد مخربش كشف عنه فى "حتنوب " ما يرويه "أونى" فى سيرته الذاتية عن حملات جلب الأحجار هذه . كذلك نهج نفس خطه السياسى وأحكم قبضته على الوجه القبلى وعين " أونى " حاكماً عليه . ولكنه ركز جلّ نشاطه خارج مصر . وعكست سنوات حكمه عظمة وقوة الأسرة السادسة . وعرف كيف يستثمر ويبنى ثمار الحملات التى شنّها " أونى " لحساب أبيه فى سوريا وفلسطين . وعينه حاكماً على الوجه القبلى تقديراً لما حققه من نجاح . قال "أونى " :

« رد جلالته " العامر " الساكنين على الرمال على أعقابهم . جمع جلالته قوة ضخمة فى صعيد مصر - من جنوب إلفنتين وحتى شمال إقليم افروديتوبوليس (اطفيح) ومن إدارتى الوجه البحرى (...) وارسلنى جلالته على رأس هذه القوة . أما الأمراء وأمناء خزائن الملك والأصدقاء فى البيت الكبير ، وأما مديرو ورؤساء قصور الوجهين القبلى والبحرى (...) فقد خرجوا على رأس قوات الوجهين القبلى والبحرى والأملاك والمدن التى يديرونها وأهل النوبة المقيمين فى هذه المناطق . وكنت أضع الخطط (..) وعاد هذا الجيش بسلام ، بعد أن قضى على بلاد " الساكنين على الرمال " . عاد هذا الجيش بسلام ، بعد أن دك مدنها المحصنة . عاد هذا الجيش بسلام ، بعد أن قطع أشجار تينهم وكرومهم . عاد هذا الجيش بسلام ، بعد أن أشعل النار فى رجالهم . عاد هذا الجيش بسلام ، بعد أن أباد قواتهم الجرارة . عاد هذا الجيش بسلام (بعد أن عاد بقوات (؟)) كبيرة من الأسرى . وكان جلالته كريماً فى مكافأتى . وكلما ثار " الساكنون على الرمال " على هذه القوات أرسلنى جلالته لسحق بلادهم . وحدث ذلك خمس مرات (...) وعبرت البحر أنا وقواتى على متن سفن مناسبة ورسوت على أرض تقع خلف قمم الجبل الواقع شمالى بلاد " الساكنين على الرمال " وسلك نصف أفراد الحملة الطريق البرى . وارتدت إلى الخلف بعد أن حاصرتهم جميعاً . فقضيت ، على جميع الاعداء القائمين بينهم " . (Roccati: 1982, 194 - 195)

وفى عهد "مرنرع" أتت سياسة مصر التوسعية فى النوبة أكلها . ويمكن تتبع مراحل هذا التوسع من خلال المدونات التى خلفتها الحملات المتعاقبة فى طوماس كمحطة عبور تصل بين نهر النيل وطرق القوافل التى تخترق واحة دنقل لتجنب الجندل الأول وحتى تصل بلاد " واوات " .

لقد ورد ذكر اسم " مرنرع " إلى جانب اسم " بيپى " الأول . كما سجلت أسماء الموظفين الذين كلفوا بالاستيلاء على هذا الجزء من بلاد النوبة الواقع شمالى الجندل الثالث وجنوبه . وهى أرض خصبة ، ازدهرت فيها حضارة " كرما " ، كما شهدت ميلاد حضارة كوش فيما بعد ، فاستطاعت أن تدمر مصر بشتى أنواع المواد الغذائية الغريبة عليها والتى كانت تستوردها أيضاً من بلاد " پونت " ، إلى الشرق من وادى النيل . ومن هنا أيضاً يمكن العبور فى اتجاه المناطق الإفريقية الواقعة فيما وراء خط الاستواء عبر دارفور وكردفان . واستناداً إلى رواية ثلاثة مخريشات من منطقة أسوان فقد أخضع " مرنرع " فى العام العاشر من حكمه زعماء النوبة السفلى بما فى ذلك بلاد " واوات " .



شكل (٢٤) - طرق تغلغل المصريين في اتجاه الجنوب
(نقلًا عن J.Vercoutter, MIFAO, 104, 1657)

بعد أن سيطرت مصر على طرق القوافل ووحدات الصحراء الغربية المتحركة فى بلاد النوبة تمكنت من فتحها وفرض سيادتها عليها . وتحقيقاً لهذا الغرض قام "حرفوف" حاكم الفتين بتنظيم ثلاث حملات . وقد دفن "حرفوف" فى "قبة الهواء" أمام أسوان . ويروى فى سيرته الذاتية المدونة على سطح واجهة مقبرته ، الطريق الذى سلكه مرتين متتاليتين للوصول إلى بلاد "يام" عن طريق إلفنتين ، فى حين سلك فى المرة الثالثة طريقاً آخر :

« كما أرسلنى جلالته للمرة الثالثة إلى بلاد "يام" . ورحلت من الإقليم "الثينى" عن طريق الواحة . واكتشفت أن زعيم "يام" يتجه صوب أرض "التمح" جهة الغرب . وصعدت وراءه وتعقبته وهزمته . فابتهل للآلهة أجمعين من أجل الملك (..) ثم نزلت إلى بلاد "إيماو" (؟) الواقعة فى الطرف الجنوبي من "إرتى" وفى جوف بلاد "زاتو" . وواجهت تحالفاً يقوده زعيم شعوب "إرتى" و "زاتو" و "واوات" . وعدت ومعى ثلاثمائة حمار محملة بالبخور والأبنوس وزيت "حنكو" وحبوب "سات" وجلود الفهود وأنياب الفيلة وعصى الرماية (أو المرتدة) ، ومختلف ماتنتجه تلك البلاد من خيرات . وأدرك زعيم "إرتى" و "زاتو" و "واوات" ، حجم قواتى المتعددة المشكلة من قوات "يام" التى صحبتنى إلى العاصمة بالإضافة إلى الحملة التى كانت تحت قيادتى (...) " (Roccati : 1982, 205.)

يبدأ طريق الواحات من الإقليم "الثينى" ليعبر الواحة الخارجة ثم يسير فى درب الأربعين متجهاً إلى واحة سليمة ، كما يتجه إلى الشمال من الخارجة ليتصل بالطريق المتجه غرباً مخترقاً الواحة الداخلة ثم واحة الفرافرة ليصل إلى حيث يقيم "التمحو" . وقدمت الحفائر الحديثة التى قام بها المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ومنحف أونتراريو الملكى البرهان القاطع على استيطان المصريين فى الواحة الداخلة مع مطلع الأسرة السادسة على أقل تقدير ، إن لم يكن قبل ذلك . وكان أهل الوادى يصلون إلى منطقة بلاط عند مدخل الواحة الداخلة عن طريق درب الطويل الذى يبدأ على مقربة من مدينة منفلوط الحديثة . كان الغرض من هذا الاستيطان استغلال كميات لا بأس بها من المحاصيل الزراعية التى تنتجها الواحة . بالإضافة إلى التحكم فى الطرق التى تربط الجنوب بالغرب وبالشمال . (Giddy : 1987 , 206 - 212) . ومن ناحية أخرى ربما اتضح الدور الحدودى الذى تلعبه الواحة من خلال نص منقوش على دمية نحض على

الكراهية اكتشفت فى مدينة بلاط الزراعيـة ويصب اللـسـعـنـات على قبائل " يام " .
(Grimal : 1985) . وأياً كان الأمر فقد استمر انفتاح مصر على افريقيا واعالى النيل
خلال حكم "بيبى" الثانى المديد الذى كان عصر ازدهار بالنسبة للواحة الداخلة . وقبل
مضى سنة على اعتلاء " بيبى " الثانى عرش البلاد خلفاً لأخيه غير الشقيق أسرع
بالكتابة إلى " حرخوف " ليعبر عن إعجابه الشديد بأخبار رحلته . واستغل " حرخوف "
المناسبة لسجل خطاب سيده فى مكان بارز عند سرد قصة حياته :

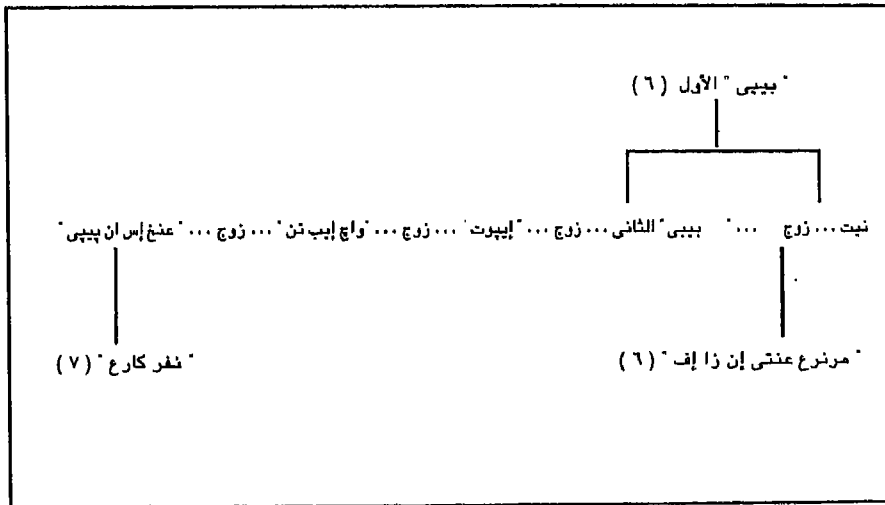
« لقد أخبرتنى (...) أنك أحضرت قزماً من بلاد سكان الأفق فى الشرق
ليرقص رقصات الإله . وهو يشبه القزم الذى أحضره " ورچديدا " مدير خزانة الإله من
بلاد "بونت" فى عهد الملك " أسيسى " . كما أخبرت جلالتي أن هذا القزم ليس له
مثيل بين الأقزام التى سبق إحضارها فى صحبة من سبقوا لهم أن زاروا بلاد " يام " .
(...) ابهر فوراً وعد إلى المقر الملكى . أترك الآخرين واصطحب معك هذا القزم الذى
جلبته من بلاد سكان الأفق حياً سالماً ليرقص رقصات الإله ويدخل البهجة والسرور
إلى قلب ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، " نفركارع " ، فليحيا إلى الأبد ! . وعندما
يأخذ مكانه على متن سفينتك فليحط به الرجال ويقفون على جانبي السفينة منعاً من
سقوطه فى الماء . وعندما ينام ليلاً فى قمرة فليرقد من حوله رجال أكفاء ، على أن يتم
التفتيش عليهم عشر مرات فى الليلة الواحدة . إن جلالتي متشوق لمشاهدة هذا القزم
أكثر من منتجات محاجر " بونت " . إذا نجحت فى الوصول إلى المقر الملكى وبصحبتك
هذا القزم حياً سالماً فسوف يمنحك جلالتي مكافأة أكبر وأعظم من تلك التى منحها
الملك "اسيسى" لـ " أورچدديدا" مدير خزانة الإله(..)." Roccati:1982,206-207

لم ينس " بيبى " الثانى انبهار طفولته ، لما اشتد عوده وبلغ رشده ، فواصل سياسة
إشاعة السلام فى النوبة . وعاونه فى ذلك رجل من رجاله ، خلف " حرخوف " ويدعى "
بيبى نخت " وكنيته " حقا إيب " أى " المتحكم (فى) قلبه " . ودفن هو أيضاً
فى قبة الهواء . وقاد " حقا إيب " ثلاث حملات : الأولى لاستعادة جثمان موظف قتل
عندما سافر فى مهمة إلى منطقة " بيبلوس " لتشسيد سفينة من طراز بيبلوس
(الصالحة للملاحة فى أعالى البحار) للإبحار بها إلى بلاد " بونت " . والحملة الثانية
والثالثة إلى بلاد النوبة . وسرعان ما استحق بعد وفاته أن يرفع إلى مصاف الآلهة بفضل
هاتين الحملتين إلى جانب إدارته الحازمة على ما يظن . فقد قامت فى واقع الأمر عبادته

فى جزيرة إلفنتين منذ بداية الفترة الانتقالية الأولى وحتى نهاية الفترة الانتقالية الثانية . وانتشرت نزعة تأليه الأفراد ، وأمثلتها كثيرة نذكر ، على سبيل المثال تأليه " إيزى " فى إدفو . وتعتبر هذه النزعة السمة المميزة لتعاظم نفوذ السلطات المحلية التى اتسمت بها نهاية الأسرة السادسة . ويمكننا اقتفاء أثرها فى إلفنتين نفسها من خلال تاريخ أسرة النبيل " ميخو " وابنه " سابنى " وحفيده " ميخو " . فقد ظلوا مسيطرين على سياسة مصر فى بلاد النوبة حتى بعد وفاة " پيپى " الثانى بفترة طويلة .

نهاية الدولة القديمة

أخذ سلطان الدولة يتقوض ويضمحل مع ازدياد سلطات المسئولين المحليين فى الأقاليم حتى أصبح هؤلاء عواهل مستقلين سيما مع امتداد حكم " پيپى " الثانى الذى طال عمره .. كما عانت السياسة الخارجية من مزيد من الخمول . واضطر " حقا إيب " إلى مواجهة العديد من المشاكل لحفظ النظام فى النوبة كما تزايدت متاعب من خلفه . فقد أخذت حضارة " كرما " تتطور جنوبى الجندل الثالث وتشكل مع جاراتها الشمالية المعروفة اصطلاحاً بالمجموعة " ج " كتلة وقفت فى وجه السطوة المصرية وظلت تقاومها حتى مطلع الألف الثانى قبل الميلاد . (Gratien :1978 , 307 - 308) .



شكل (٢٥) - مختصر انساب الأسرة السادسة الأجيال ٣ - ٥ .

حكم " بيبى " الثانى البلاد طبقا لتقدير متوارث زهاء أربع وتسعين سنة . ولكن أقل تقدير معروف لمدة حكمه لا يتجاوز تاريخ التعداد الثالث والثلاثين الذى يعادل بكل ثقة مدة حكم تقدر بحوالى خمسين إلى سبعين سنة . وعلى أى حال فالشئ المؤكد أن حكمه كان حكما مديداً استمر لسنوات طويلة . بل لقد دام أكثر من اللازم بالنظر إلى سلطات الإقطاعيين المحليين المتزايدة التى أصبحت فى معظمها وراثية . ونشاهد مظاهر البذخ منتشرة فى جبالات الأقاليم فى " القيس " (القوصية حالياً) وأخميم وأبيدوس وإدفو والفنتين . وترتب على طول مدة حكم " بيبى " الثانى ، التى لم ينافس فيها ملك آخر ، ظهور أزمة حادة فى نظام خلافة العرش إلى جانب تحجر الأجهزة الإدارية . وتذكر قائمة أبيدوس الملكية ملكا يدعى " مرنع " الثانى ، لقب هو أيضاً " عنتى إم زا إف " ، كخليفة لـ " بيبى " الثانى الذى يبدو انه انجبه من الملكة " ذميت " .

كان حكم هذا الملك عابراً فلم يدم أكثر من سنة واحدة . ويبدو أنه تزوج الملكة " نيت إقرت " التى كانت فى رأى مانتون آخر ملكات الأسرة السادسة ، وجاء ترتيبها فى جدول " تورين " مباشرة بعد " مرنع " الثانى " كملك للوجه القبلى والوجه البحرى " . وفى العصر اليونانى استحوذت الخرافة على سيرة هذه المرأة وحولتها الأسطورة إلى " رادويس " الغانية ونسبت اليها تشييد هرم الجيزة الثالث LAIV 513-514 وهى أولى الملكات المعروفات اللاتى تولسن السلطة السياسية وحكمن مصر راجع، Beckerath:1984,58, V. وللأسف فإننا نفتقر إلى أى توثيق أثرى يؤرخ لعهدا . بل نجد أنفسنا فى حيرة من أمرنا إذا أردنا التوصل إلى الترتيب السليم لخليفاتها المحتمل وهو الملك " نفر كارع " بن " عنخ إس إن بيبى " والملك " بيبى " الثانى .

المجتمع والسلطة

آلت نهاية الدولة القديمة إلى فترة غامضة تسارع خلالها اضمحلال الإدارة المركزية ، وصارت الأوضاع الخارجية مصدر تهديد للبلاد مع تزايد ضعف السلطة . واتسعت دائرة المصالح الإقليمية المحلية فأدت إلى تنافس حول العرش ، تحول إلى صدام بين التكتلات الجغرافية التى تتذرع كل منها بالانتساب إلى ذات الشرعية الواحدة . وإذا كان مفهوم السلطة قد ظل دون تغيير أو تبديل ، فلم يعد الاستيلاء عليها أمراً صعب المنال لمن كان يستحيل عليهم المطالبة بها فى الأزمنة الأولى . فمنذ الأسرة الثالثة تطور

شيدت حول هرم حاكم البلاد ، كما أن القوى الإقليمية التى اتسعت دائرة سلطاتها جيلاً بعد جيل تحولت إلى نظام الإقطاعيات بازدياد ما حصلت عليه تدريجياً من امتيازات متنامية دعمت سلطاتها وأفردت لها مكانة بارزة فى التنظيم الهرمى الاجتماعى على المستوى القومى .

ونتيجة لهذه السياسة تضخمت الألقاب فى البلاط الملكى وأصبحت غطاء يخفى وظائف قديمة توارت فى طى النسيان ، وإن بقيت فى صورة ألقاب شرفية . وانتشرت هذه الطريقة ولاقت ترحيباً مع تضخم اختصاصات الأجهزة الإدارية وإعداد موظفيها . وسوف يصبح لويس الرابع عشر ملك فرنسا خير مثال على هذه الطريقة فى التاريخ الحديث. والكتبة هم ركيزة الجهاز الإدارى ونواته النشطة ، وقد تضاعفت مسؤولياتهم مع تزايد الأقسام الإدارية . واتسعت قائمة المناصب القيادية التى يصعب معرفة كنهها الحقيقى . وخير مثال على ذلك لقب " رئيس الأسرار " الذى يشرف على العديد من المناصب . ونذكر من هذه الألقاب دون التقييد بأى ترتيب : " المهام السريسة " و " جميع أوامر الملك " و " القرارات القضائية " و " القصر " و " ما يشاهده رجل واحد " و " ما يسمعه رجل واحد " و " بيت العبادة " و " الكلمات الإلهية " و " الملك الموجود فى كل مكان " . و " ساحة العدل " و " أسرار السماء " الخ ... ومن الأسهل حصر الألقاب الشرفية المحض بالنظر إلى أنها لم تعد تعكس فى واقع أمرها أى مناصب حقيقية . ومن هذه الأمثلة لقب " السмир الأوحى " الذى كان فى بداية الأمر لقباً لمستشار الملك الخاص ، ثم صار فيما بعد تسمية نوعية تطلق على رجال البلاط . ثم لقب " رئيس الشيوخ العشرة فى الصعيد " و " فم مدينة به " و " قاضى مدينة نخن " وجميعها وظائف رمزية . زد على ذلك الألقاب المتصلة اتصالاً مباشراً بشخص الملك مثل " المشرفين على الشعر المستعار " و " حاملى النعال " و " الأطباء " و " المسئولين عن التيجان " و " منظمى الملابس " ، ثم الوظائف الكهنوتية المتصلة بالإله المحلى أو الطقوس الجنائزية ...

ويمكن أن نشبه مجمل الصورة التى تبرز من تنظيم الجهاز الإدارى بهرم يجلس على قمته الملك الذى يجمع بين يديه من الناحية المبدئية كافة الاختصاصات ولكنه من ناحية الممارسة الفعلية لا يضطلع مباشرة سوى بالشئون العسكرية والدينية . إن الوزير " تشاتى " الذى شاهدنا ميلاد سلفه الأبعد فى الأسرة الثانية هو المعبر عن سلطة الملك فى الأمور الجوهرية . وفى عهد " سنفر " ، ولأول مرة ، تم تكليف أمراء من دم ملكى

بشغل هذا المنصب من أمثال " نفر ماعت " و إبنه " حم أونو " ثم " كاوعب " وغيرهم . فالوزير هو رئيس السلطة التنفيذية إذا جاز القول . وتمتد دائرة اختصاصاته من الناحية العملية إلى شتى المجالات . فهو " رئيس جميع الأعمال الملكية " و " رئيس بيت السلاح " و " رئيس قاعات الحلى الملكية " و " حامل أختام ملك الوجه البحرى " الخ ... كذلك يشغل منصب القاضى كما يتضح ذلك من تدخل " أونى " فى قضية حريم " پيپى " الأول . ولكنه لا ينظر بالضرورة فى جميع القضايا . وفى نفس هذا العصر ظهر " حامل أختام الإله " . إنه من الثقات ويختاره الملك شخصياً ويكلفه بمهمة محددة كحملة إلى المناجم أو المحاجر أو رحلات تجارية إلى الخارج أو إدارة إحدى المؤسسات الملكية الاحتكارية الخاصة . لهذا الغرض يضع الملك فرقة عسكرية تحت قيادته المباشرة ، أو أسطولاً بحرياً تحت إمرته كأمر بحر . وظهور منصب الوزير يدل على ضعف السلطة المركزية واتساع دائرة الاحتياجات الإدارية . وفى عهد " پيپى " الثانى أصبح هذا المنصب الواحد منصبين ، فعين وزير مستقل لكل من الوجهين القبلى والبحرى .

وكانت الدوائر الإدارية الأربع الكبرى تتبع الوزير رأساً ، وينبغى أن نضيف إليها الإدارة الإقليمية التى يظل الوزير على اتصال بها من خلال " رؤساء البعثات " . وأولى هذه الدوائر هى " الخزينة " أو كما أطلق عليها " شونة " الغلال المزدوجة التى يشرف عليها " رئيس شونة الغلال المزدوجة " . وتقع على عاتق الخزينة مسئولية إدارة مجمل الاقتصاد وعلى وجه التحديد تحصيل الضرائب الناتجة أساساً من الدائرة الكبرى الثانية : وهى دائرة الزراعة التى تنقسم بدورها إلى وزارتين . فالوزارة الأولى مهمتها العناية بالقطعان وتربيتها وتسمينها . وعملها موزع أيضاً على " بيتين " ، يشرف على كل منهما وكيل يعاونه عدد من الكتبة . وتشرف الوزارة الثانية على الزراعة فى حد ذاتها ، وتشمل " خدمة الحقول " ويرأسها " رئيس الحقول " يعاونه عدد من " كتبة الحقول " ، وخدمة أراضى التوسعات الجديدة على حساب الفيضان " خنتيو شيه " . أما الدائرة الثالثة فهى دائرة المحفوظات الملكية التى تضم الصكوك الملكية ومختلف الشهادات المدنية من عقود ووصايا ، إلى جانب نصوص المراسيم الملكية التى تكون ذخيرة من القوانين تنهل منها الدائرة الرابعة والأخيرة وهى دائرة العدل التى تسهر على تطبيق القوانين " هيو " . وتتناسب أهميتها مع قيمتها الأساسية فى النظام الثيوقراطى كما يشير إليه اللقب الذى يحمله أعضاؤها فى الأسرة الرابعة " عظيم الخمسة فى بيت تحوت " ولقب " كاهن ماعت " فى الأسرة الخامسة ...

هكذا تشكلت الحكومة المركزية ، وكان لها شريك يتمثل فى الإدارة المحلية القائمة على تقسيم البلاد إلى أقاليم . ومعلوماتنا عن أقاليم الوجه البحرى معدومة ، فما حققه التنقيب الأثرى فى الدلتا من نتائج يعتبر شحيحا للغاية . فمعظم الوثائق التى حفظها الزمن تتصل بمصر الوسطى ومصر العليا . ولكن ما نتوصل إليه من تصورات عن مصر العليا ينسحب أيضاً على مصر السفلى . ولاغرو أن الإدارة المحلية قد شهدت أخطر التطورات فى عصر الدولة القديمة ، واستندت هذه التطورات إلى تغيير الوضع القانونى لحكام الأقاليم حيث لم يعودوا ينقلون من أماكنهم وباتت مناصبهم وراثية فى واقع الحال إن لم يكن قانوناً . وجرى تشييد الجبانات الخاصة بالأمرء فى عواصم الأقاليم حيث تواصل توريث منصب الكاهن الجنائزى - خلفاً عن سلف - وهو ما يتفق والتقاليد المتوارثة ، إلى جانب توريث منصب حاكم الإقليم وهو مالا يتفق وهذه التقاليد ! وفى أغلب الأحيان كان الاستثمار الاقتصادى للمنطقة هو ركييزة هذا الإقطاع وهو المهمة الأساسية لحاكم الإقليم باعتباره المسئول عن حسن تنظيم الرى " عيج مر " والمشرف العام على الأملاك " حقا حوت " .

كان من المستحيل أصلاً تصور نقل السلطات على هذا النحو . فأرض مصر ملك لحاكم البلاد ، من الناحية النظرية ، نظراً لكونه تجسيداً للخالق وخليفته على الأرض ، أما الموظفون فهم يؤدون له العمل مقابل إعالتهم وإعاشته لهم . وتعبّر كلمة " إيماخو " فى اللغة المصرية عن هذا الوضع . وهى كلمة يصعب ترجمتها ولكنها تعكس العلاقة التى تربط الرعية بمليكهم . ويمد الملك رعيته بكل مايلزمهم فى هذه الدنيا وفى العالم الآخر من غذاء وحماية . حيث يوفر لهم الامتيازات الجنائزية وكل العناصر الضرورية لتشييد المقبرة ، وهى عناصر يصعب على أى فرد إقتناؤها بوسائله الخاصة ، فليس فى وسعه الحصول على تابوت حجرى أو باب وهمى أو مائدة قرابين أو حتى التماثيل وهى الركائز اللازمة لاستمرار حياة المتوفى فى العالم الآخر . والملك هو ، أولاً وقبل كل شئ ، الضامن لاستمرار خدمة القرابين بفضل المخصصات الجنائزية وصدور مرسوم بإعفاء الأملاك المنوط بها خدمة المتوفى ، من الضرائب . وهذه القاعدة تحكم أيضاً أملاك المعابد فكانت بذلك تحمل فى أحشائها عنصر تقويض للدولة وتعمل على تفتيت الملكية وإفقار الملك . وإذا بدا هذا غير ملحوظ فى البداية إلا أنه كان طريق اللاعودة . فالأرباح التى يحققها أصحاب هذه الامتيازات كانت تشكل خسارة محققة لاقتصاد الدولة حيث أنها لم تكن تخضع لنظام الأجور والمكافآت التى يتم توزيعها بمعرفة الدولة . ولكن هذا ليس هو الأهم . بل

الأخطر من ذلك ماتمخض عن هذه الأوضاع من آليات . حيث أصبحت هذه الأملاك الركيزة التى تنهض على أساسها الإقطاعيات التى يسعى أصحابها إلى الاستحواذ لحسابهم الخاص على الامتيازات التى تتمتع بها أملاك الملك .

وستظل الأطر التى أشرنا إلى خطوطها العامة كما هى دون تغيير أو تبديل على امتداد الحضارة المصرية شأنها شأن أركان المجتمع وركائزه . أيعنى ذلك غياب أى تطور ؟ لا بالطبع ! فقد حدث التطور أساساً فى العلاقات القائمة بين السلطة المركزية وقاعدة المحليات : تدعيم سلطات الوزير أو الوزراء وإعادة تقسيم الدوائر الإدارية وإنشاء المحافظات الخ ... لقد ظلت البنى التى فرضتها هذه الأطر على البلاد دون تغيير يذكر حتى آخر الأزمنة . ظل هرم المراتب الإجتماعية قائماً على نفس القيم ، بينما كان تطور الحياة اليومية غير محسوس تقريباً لاسيما بين أفقر شرائح السكان وأكثرها تخلفاً . حيث ظلت الفوارق طفيفة جداً بين مزارعى الدولة القديمة وبين الواحى (القروى الفصيح) الذى سنلتقى به بعد برهة كأشد المدافعين عن قضيته ، أو الفلاحين الذين أمدوا الإمبراطورية الرومانية بما يلزمها من قمح ...

الفن التشكلى المصرى

كان الفن انعكاساً أميناً لتطور المجتمع . فعبر الخمسمائة سنة التى تفصل بين "جسر" والملكة " نيت إقرت " يمكن للمرء أن يتابع كيف استحوذ الموظفون على بعض ملامح التصوير وأماطه التى كانت وفقاً فى البداية على الملوك أو أفراد العائلة المالكة . إنها المرحلة الأولى من إنزلاق ونيد ، لايمكن اعتباره إشاعة للديمقراطية وإنما هو بالأحرى تضخم تدريجى للقيم السياسية . ويمكن تفسير هذا الانتقال عن طريق نفس الآليات التى انتهت إلى الملكية (بكسر الميم) . إن مايلزم من وسائل لإبداع عمل فنى تتجاوز حدود إمكانيات الفرد العادى . فهل فى وسعنا أن نتصور أن عيناً من أعيان الدولة القديمة على الأقل ، مهما بلغ من سلطان ، فى استطاعته أن ينظم لحسابه الخاص حملة إلى المحاجر لإقتلاع الأحجار ونحت التابوت الحجرى ودعامات الأبواب والتمائيل اللازمة لمقبرته ؟ فتلك هى وظيفة الدولة . فلقد كان نحت التماثيل وحفر النقوش يتم فى الورش التابعة للسلطة المركزية . فالفن إذن هو من عمل موظفين . هذا المبدأ الذى ينهض على أساسه الفن يستبعد أى أبحاث غير نفعية . ويصبح الفن للفن شيئاً لاوجود له . وسواء كانت الصورة على هيئة نحت بارز فى استدارة أو رسم أو نقش فإنها تخدم أحد هدفين : هدفاً سياسياً دينياً أو هدفاً جنائزياً . أما الأول فمقصود على الملك فقط ، فى حين أخذ

الأفراد يستحوذون تدريجياً على الثانى ، ومن ثم غلب على الأفراد نزوعهم إلى الأخذ بالأسلوب الذى ارتضاه الملوك لأنفسهم مع إغفال السمات التى يستحيل نقلها . إن أطر التصاوير أطر محددة فهى تنسج إبداعاتها سواء كانت عن فرد أم وظيفة بأكبر قدر من المصارحة ، وغالباً ما ينصرف هذا الإبداع إلى نماذج نمطية . ولكن بين الحين والحين يظهر توافق مذهل وعجيب بين الواقعية " على الطريقة المصرية " وما يجيش فى نفس الفنان من مشاعر . فالاهتمام بنقل حقيقة الواقع بكل تفاصيله قد خلق عند الفنان كل نزعة ذاتية . وتأكيدهم لذلك فقد لجأ المصرى فى كتابته أو نقشه أو رسمه ، تجنباً للوقوع فى إشراك الإبصار ، إلى تقسيم الكائنات أو الأشياء التى يصورها إلى أكثر عناصرها المميزة . وهذا المبدأ القائم على " المزج بين أكثر من رؤية " للموضوع الواحد ، يقودنا إلى نتائج طريفة وغريبة أحياناً . ويتمحور هذا المبدأ حول الفكرة القائلة بأن التعرف على كل عنصر من عناصر جسم الإنسان على سبيل المثال هو أمر ممكن دون لبس أو مواراة . فأسهل وسائل التعرف على العين مثلاً هو تصويرها من الأمام ، شأنها شأن الأذن والذقن وجمجمة الرأس . والكتفان واليدين أيضاً يصوران من الأمام ، والذراعان من الجانب والوسط من ثلاثة أرباعه ... ومن ثم يعانى الجسم من إلتواءات عجيبة تدعو إلى الحيرة لأول وهلة . وإضافة إلى ذلك لم يستخدم المصريون قواعد المنظور ، علماً بأن بعض التصاوير رغم افتقارها إلى المهارة والدربة تشهد بأنهم كانوا على دراية بها . فتصور صفوف فرق الجيش المتقدمة كل على حدة ، مع توضيح الفراغات بين صف وأخر . كما صور الفنان المصرى منظرين معاصرين بأن رتبتهما فى صفين يعلو أحدهما الآخر . ويصور منزلاً أو حديقة من زاويتين معاً كواجهة وكرسم تخطيطى ، وإن أدى الأمر إلى أن يثنى على جوانب المنظر جزءاً من جدار أو أشجار بمحاذاة مجرى مائى . ولا يختلف الأمر بالنسبة لفن النحت . فالغرض منه إعداد جسد يمكن " الإقامة فيه " إقامة أبدية ومن ثم ضرورة أن يكون أقرب ما يكون إلى الكمال وهذا لا يعنى أن يتجنب الفنان بالضرورة إظهار أى عاهة بدنية . وفى معظم الأحوال يكون تشكيل الجسد أقرب إلى الوضع المثالى من وجه الشخص الذى يحمل بالضرورة ملامح فردية . وينطبق نفس الشئ على أوضاع الجسم التى تشير إلى وظيفة أو إلى حالة ، وهى بالتالى أوضاع نمطية ومقبولة . ويترك الإنتاج الفنى فى جملته انطباعاً بالتمائل والتشابه مع الإهتمام الشديد بالتفاصيل ، مع قدر قليل جداً من التنوع فى الأسلوب بحيث يتعذر تمييز شخصية الفنانين الذين أبدعوا هذه الروائع . وهم على كل حال

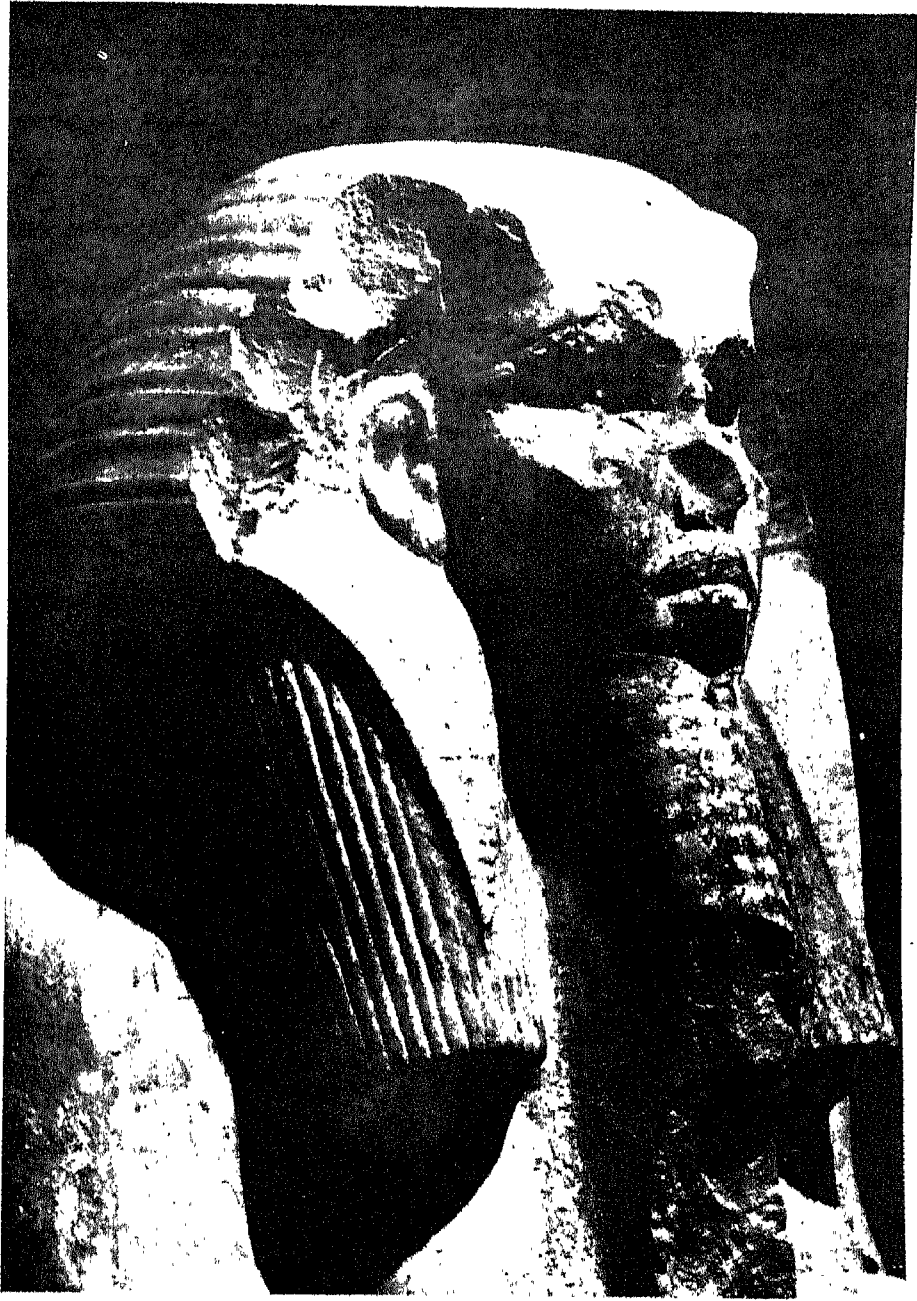
لم يسعوا إلى التفرد من خلال أعمالهم . إنهم فنانون مجهولون ، لم يسعوا إلى عكس ذلك وكان إبداعهم إبداعاً جماعياً . وحافظوا على هذه القاعدة على امتداد الحضارة المصرية سواء فى الفنون التشكيلية أم فى الأدب ، فالفرد يذوب دائماً فى الجماعة البشرية على مستوى الكون وينصهر فيها .

فن نحت التماثيل :

إن المشاهد التى تزين جدران المصاطب قد أماطت اللثام عن الأساليب الفنية التى استخدمها المثال المصرى فى مجال فن النحت . كما ندين بالكثير من معلوماتنا الى الورشة التى اكتشفها جورج ريزنر G. Reisner ضمن المجموعة الجنائزية للملك " من كاورع " حيث عثر على العديد من التماثيل فى مراحل مختلفة من التنفيذ الفنى ، من مجرد مشروع إلى أعمال اكتملت تماماً أو كادت . وهكذا يمكننا أن نتصور مختلف المراحل التنفيذية للإبداع الفنى وما يستخدمه من وسائل . لقد اختلفت التقنية التى استخدمها المصرى لاقتلاع كتل الحجر من المحاجر مع اختلاف صلابة الحجر . فكان يعالج أكثر الأحجار ليونة معالجة مباشرة بواسطة الإزميل ، أما الصخور الصلبة فكان يعتمد فى معالجتها على الأسافين الخشبية ، فتعد ثقب تحشر فيها رويداً رويداً أسافين خشبية بعد بلها حتى يتشقق الحجر وفق خطوط منتظمة . وبعد اقتلاع كتلة الحجر يجرى تهيئتها قبل نقلها إلى الورشة . وكمحلة أولى يتم تشكيل كتلة الحجر لتحديد الإطار العام لما سيصبح تمثالاً . وبعد ذلك وبالتدرج تتحدد ملامح التمثال العامة ولاسيما ملامح الرأس ، ثم توضع بعض اللمسات الدقيقة ، فى بطن وتؤدة حتى يرى النموذج النهائى النور . ثم يركز الفنان على إبراز الذراعين والساقين عن الجسد بتوضيح كل التفاصيل . ثم يصقل التمثال صقلاً نهائياً . أما الأدوات التى يستخدمها الفنانون فهى فى أساسها أدوات حجرية ، وتضم هذه الأدوات بريمة من الظران ومصقلة ومثقاباً وعجينة للحك والصقل ومطرقة وإزميلاً وفى النادر القليل تستخدم المناشير النحاسية . وإذا صنعت التماثيل من الحجر الجيرى أو من الحجر الرملى تم تلوينها فى الأغلب . ولكنها قد تصنع من السيانيت (أى من الحجر الأسوانى) أو الكوارتزيت أو الشست . أما الألبستر فيستخدم عادة فى صناعة الأوانى ويندر استخدامه فى صناعة التماثيل . كما ظهرت أيضاً التماثيل الخشبية التى ستلقى رواجاً واسعاً فى وقت لاحق . وانتشرت أيضاً التماثيل المصنوعة من النحاس وأشهرها تمثالاً " بيبى " الأول و " مرنع " المحفوظان فى المتحف المصرى بالقاهرة (شكل

٣٠)، وتحدد وظيفة صاحب التمثال هيئته ووقفته . ومنذ أقدم الأزمنة يمثل الملك جالساً على عرش ضخم مكعب الشكل ازدان جانباه بعناصر زخرفية متداخلة ومتشابكة أطلق عليها إسم " سماتاوى " وتمثل الشعار النباتى للوجهين القبلى والبحرى وتربطهما قصبة هوائية . ويرتدى الملك النقبة " شنديت " ويضع فوق رأسه شارات السلطة : التيجان أو غطاء الرأس " نيمس " واللحية المستعارة . ويظهر الملك عادة بمفرده . وإذا كان فى صحبة زوجته فإنها تجلس عند قدميه على غرار " حوتب حرس " الثانية " (؟) الجلاسة عند قدمى " جدفـرع " فى بقايا تمثال اللوفر الذى عثر عليه فى " أبو رواش (1 . 11 p1, Vandier : 1958 E12627) . أما تماثيل المجموعات فهى أكثر ندرة . ومن الأمثلة المعروفة مجموعات " منكاورع " فى صحبة زوجته (Boston 11.738) أو التماثيل الثلاثية التى عثر عليها فى الجيزة Vandier:1958, PI..IV - V ونلاحظ تطوراً فى هيئة التماثيل وأوضاعها فى أعقاب الأسرة الرابعة . فهل يعود ذلك إلى الروابط الجديدة التى قامت بين الأيديولوجية الشيوقراطية وواقع السلطة السياسية ؟ ونخشى أن نكون مبالغين فى الأمر إذا جاء ردنا بالإيجاب . ومع ذلك فمن الملاحظ أنه قد بات فى الإمكان تصوير الملك أثناء ممارسته الشعائر . فمن مقتنيات متحف بروكلن تمثال من الشست لـ " پيپى " الأول جاثياً على ركبتيه وجالساً على عقبه وهو يقدم إناءى نبيذ (شكل ٣٢) . ومن التجديدات الأخرى التى أدخلتها الأسرة السادسة التماثيل التى تصور الملك فى طفولته . نذكر على سبيل المثال تمثال " پيپى " الثانى المصنوع من الألبستر ، وهو من مقتنيات متحف القاهرة (JE. 50616) . وربما كان اعتلاء " پيپى " الثانى عرش البلاد فى طفولته من الأسباب الكامنة وراء هذا الابتكار الذى يعبر عن تكيف الأسلوب الفنى مع الواقع السياسى .

ونضرب مثلاً على ذلك بالمجموعات التى يحتفظ متحف بروكلن بأحد أمثلتها والتى تصور " پيپى " الثانى جالساً على ركبتى والدته . وقد صنعت هذه المجموعة من الألبستر أيضاً لارتباط موضوعها بطفولة الملك ومرحلة الرضاعة التى يوحى بها لون الألبستر المائل إلى البياض اللبنى . إن الجمع بين " عنخ إنس مرى رع " الثانية وابنها الذى صور بلامح أقرب إلى ملامح الملك البالغ ولكن فى حجم صغير - منه إلى الطفولة - دليل على انتقال سلطة " پيپى " الأول إلى خلفه من خلال وصاية الملكة الأم .



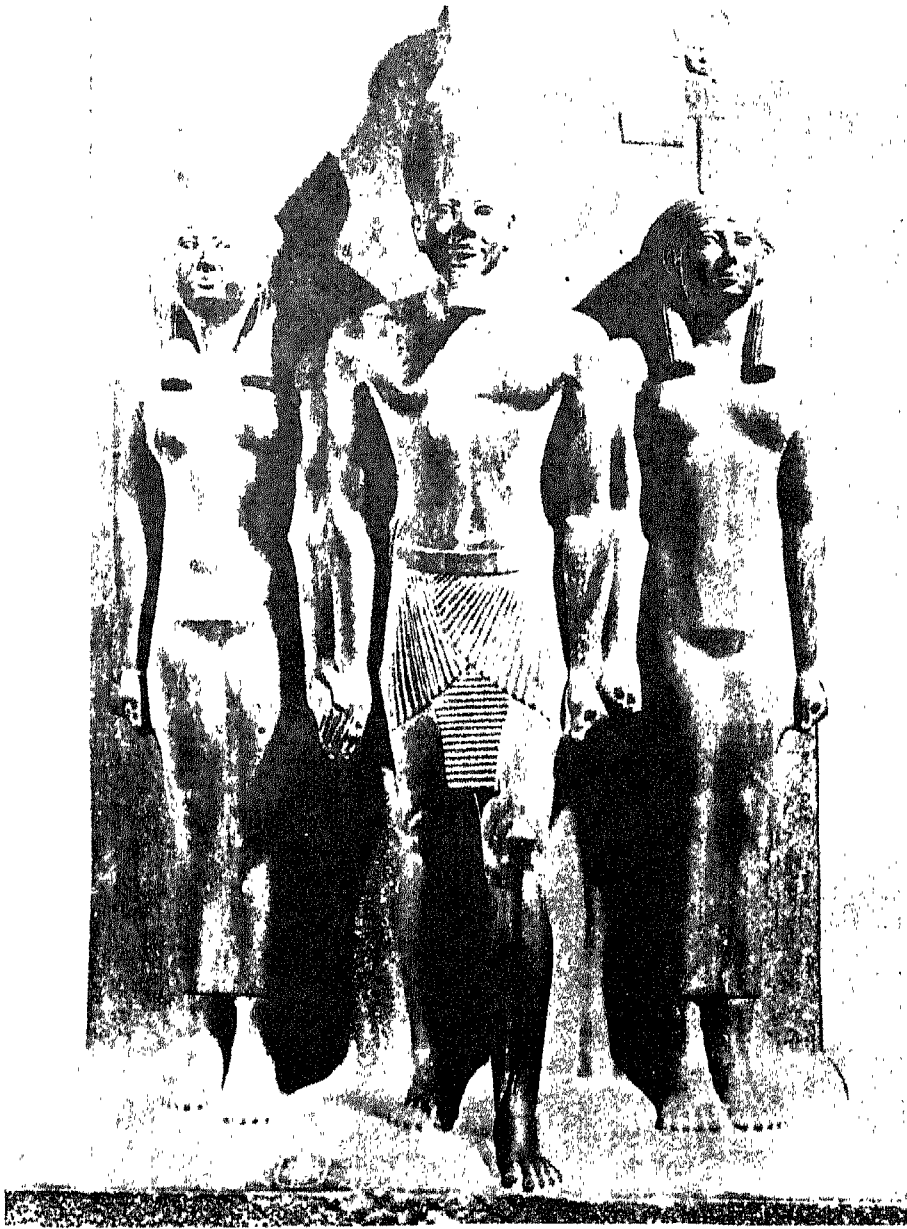
شكل (٢٧) - تمثال " جسر "

من سرداب معبد الجنائزى فى سقارة . من الحجر الجيري الملون . الارتفاع ١٣٥سم القاهرة . المتحف المصرى .

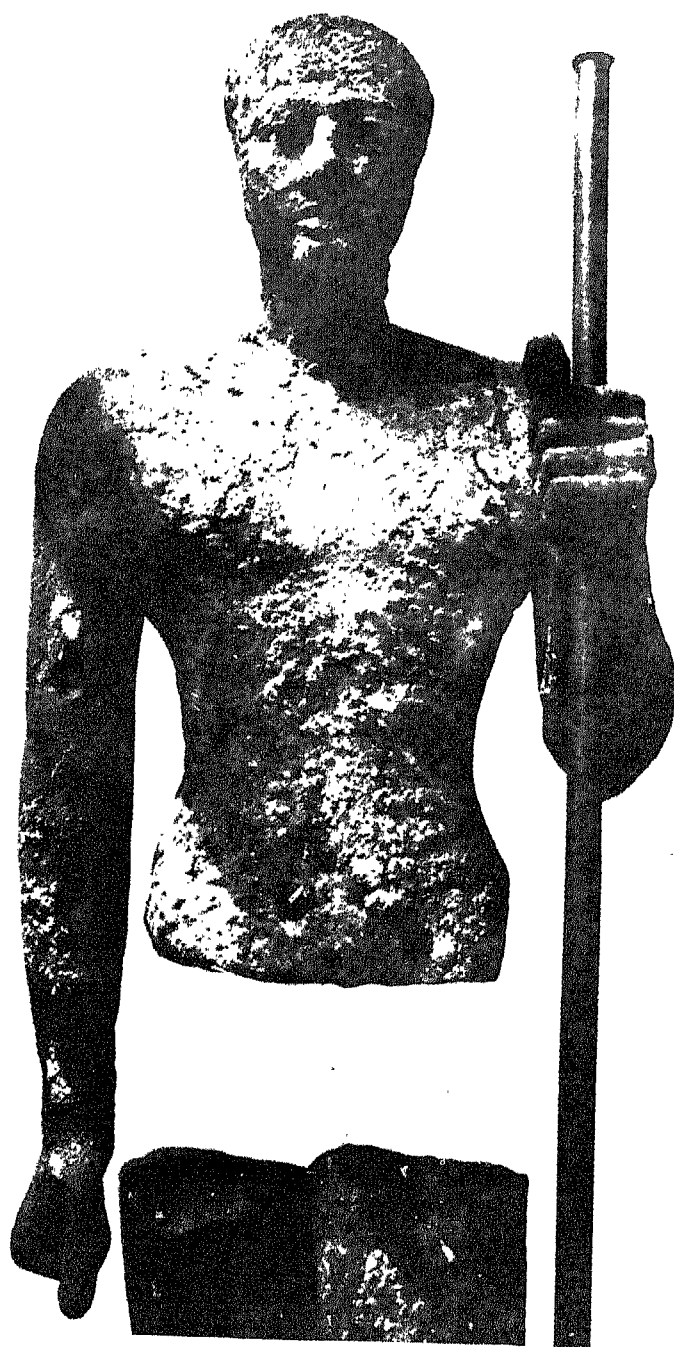


شكل (٢٨) - "خعفرع" فى حماية حورس. من معبد المزار

المجموعة الجنائزية بالجيزة من الديوريت. الارتفاع ١٦٨ سم متحف القاهرة: C.G.C.14



شكل (٢٩) - "منكاورع" و"حتحور" وإله أقليم ديوسبوليس
تتمثل ثلاثى من معبد مزار منكاورع بالجيزة .حجر الشست الارتفاع ٩٧سم.متحف القاهرة : J.E 46499



شكل (٣٠) - "يبيى الأول" و"مرنرع" واقفين

تفصيل: يبيى الأول. من النحاس - متحف القاهرة 33035-33034 J.E33034

شكل (٣١) - "بيبي" الثانى جالساً على حجر "عنخ إن إس بيبي" الثانية.
 مصدره الأصلي: سقارة على ما يظن. من الألبستر. الإرتفاع ٣٩سم متحف بروكلن. ١١٩. ٣٩. ↓



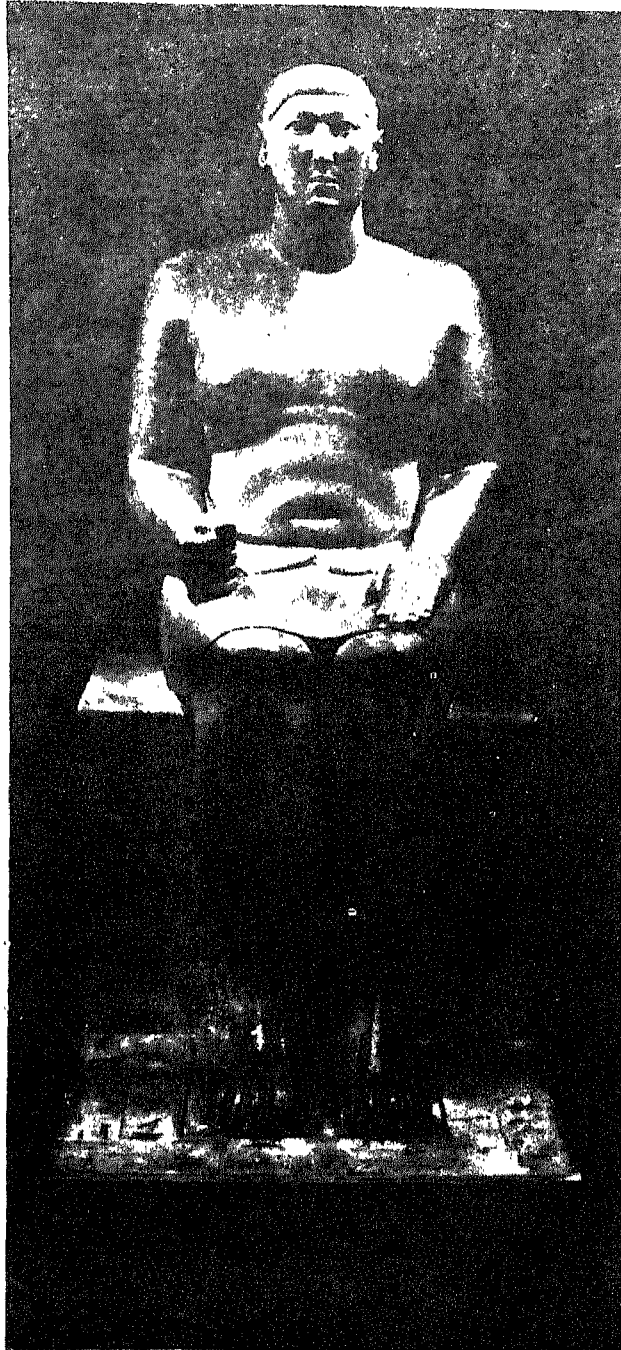
شكل (٣٢) - "بيبي" الأول جاثياً على ركبتيه وهو يقدم إناءى النبيذ.
 حجر الشست : الإرتفاع ١٥سم. متحف بروكلن ١٢١. ٣٩. ↑

وتلتقى أوضاع الأشخاص الجديدة ولاسيما تلك التى تصور الروابط العائلية مع المواضيع التى سبق أن عالجها فن النحت الخاص بالأفراد . وفى حين أخذ النحت يحاكي الأوضاع الملكية الرسمية إلا أنه ظل يتناول مواضيعه الخاصة . وفى أعقاب الأسرة الرابعة تطور أيضاً فن نحت تماثيل الأفراد . فقد تخلف أسلوب النحت عسن حد الكمال الذى نشاهده فى مجموعة " رع حوتب " و " نفرت " أو فى تمثال " حم إيون " . لقد كان عدد تماثيل المدنيين فى الماضى أكبر من عدد تماثيل الملوك ، وزاد عددها فى ظل الأسرتين الخامسة والسادسة كما مالت إلى التخلّى عن القواعد الكلاسيكية دون أن يكون ذلك على حساب نوعيتها . ومن الأمثلة على ذلك تمثال الكاتب المصرى الشهير باللوثر . كما لم تتخل تلك التماثيل عن الأوضاع التقليدية : كالأشخاص الوقوف أو الجلوس وقد صوروا بشارات ووظائفهم ، أو المجموعات العائلية الخ ... بيد أنها تميزت بأسلوب فنى متحرر واهتمام متزايد بنفس الواقعية التى ظهرت بها التماثيل الملكية المعاصرة . إن رقة الإحساس التى يمكن ملاحظتها منذ الأسرة الخامسة أخذت تنتشر وترقى فى أعمال الأسرة

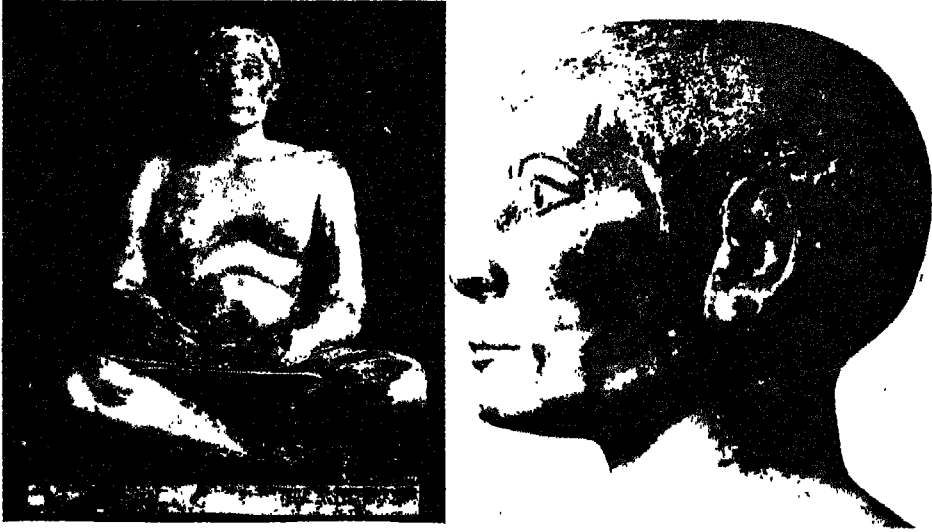


شكل (٣٣) - "رع حوتب" و"نفرت" جالسين .

عشر على التمثالين فى مقبرتهما فى ميدوم من الحجر الجيري الملون. الارتفاع ١٢٠سم متحف القاهرة : CGC 3 et 4



شكل (٣٤) - حم إيون
نقشال من الحجر الجيري. عثر عليه في مقبرته بالجيزة الارتفاع ١٥٧ سم، متحف بليزايوس. هيلدسهايم.



شكل (٣٥) كانت عاقد ساقيه تحته. عشر عليه في سقارة. من الحجر الجيري الملون.

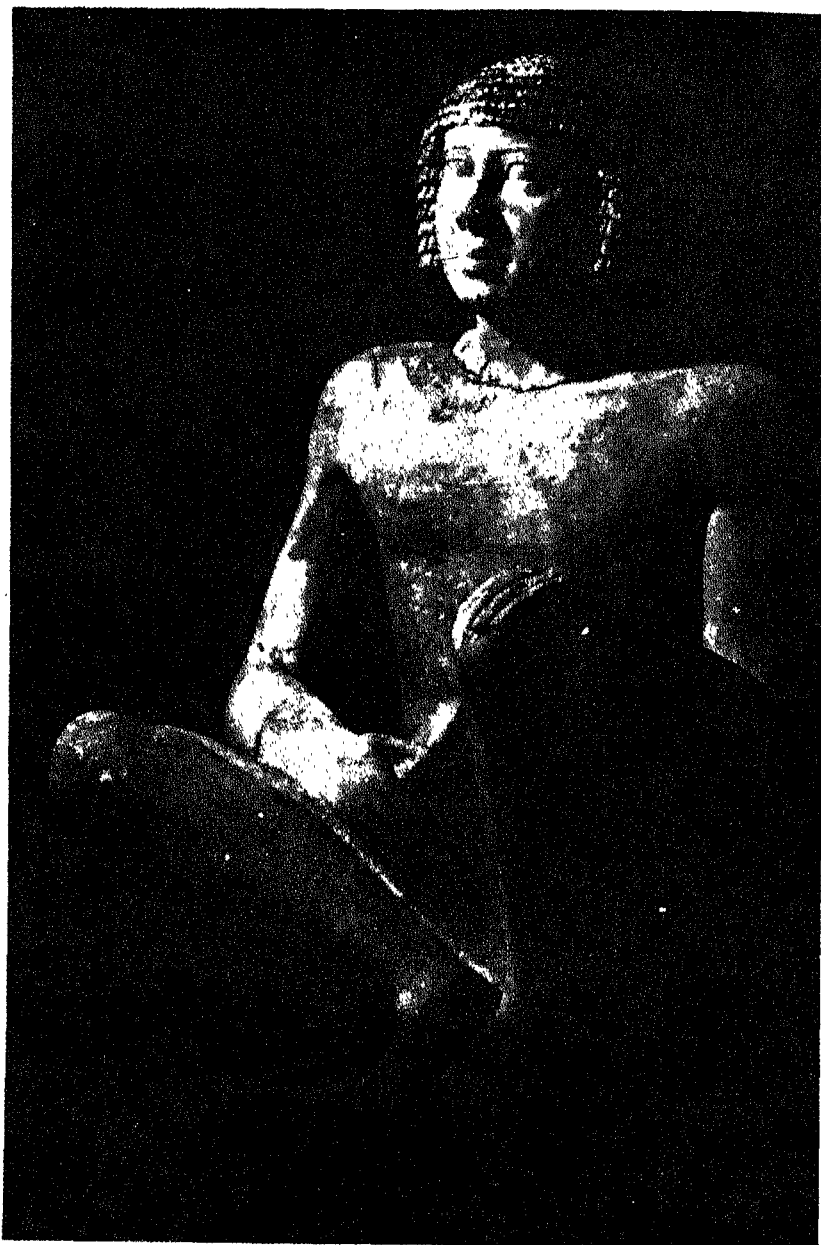
الارتفاع ٥٣سم، متحف اللوفر N2290 - تفصيل الرأس

السادسة بفضل التعمق في أسلوبها الواقعي . ويمكن أن نذكر على سبيل المثال تمثال القزم " سنڤ " أو تمثال " نى عنخ رع " الجميل .واضافة إلى التماثيل المصنوعة من الحجر ظهر مع الأسرة الرابعة أسلوب تقليدى لصناعة تماثيل من خشب كانت أعظم وأروع ما خلفته فنون الدولة القديمة. ونذكر على سبيل المثال تمثال "كاعبر" الذى يبدو وكأنه على وشك أن ينطق حتى أن عمال أوجست مارييت الذين اكتشفوه أثناء تنظيف مصطبة فى سقارة اطلقوا عليه اسم «شيخ البلد» لشدة ما بينه وبين عمدة قريتهم من شبه . كما نشير إلى مجموعة متحف اللوفر المكونة من موظف من مدينة منف وزوجته. ومهد هذا الأسلوب الطريق أمام ما يعرف اصطلاحاً بـ «النماذج» ، وهو شكل فنى جديد انتشر خلال الفترة الانتقالية الأولى ، ويجسد مشاهد النقوش ، وكانت أمثلتها الأولى المصنوعة من الصلصال أو الحجر الملون تسحر الأبواب من شدة واقعيته .

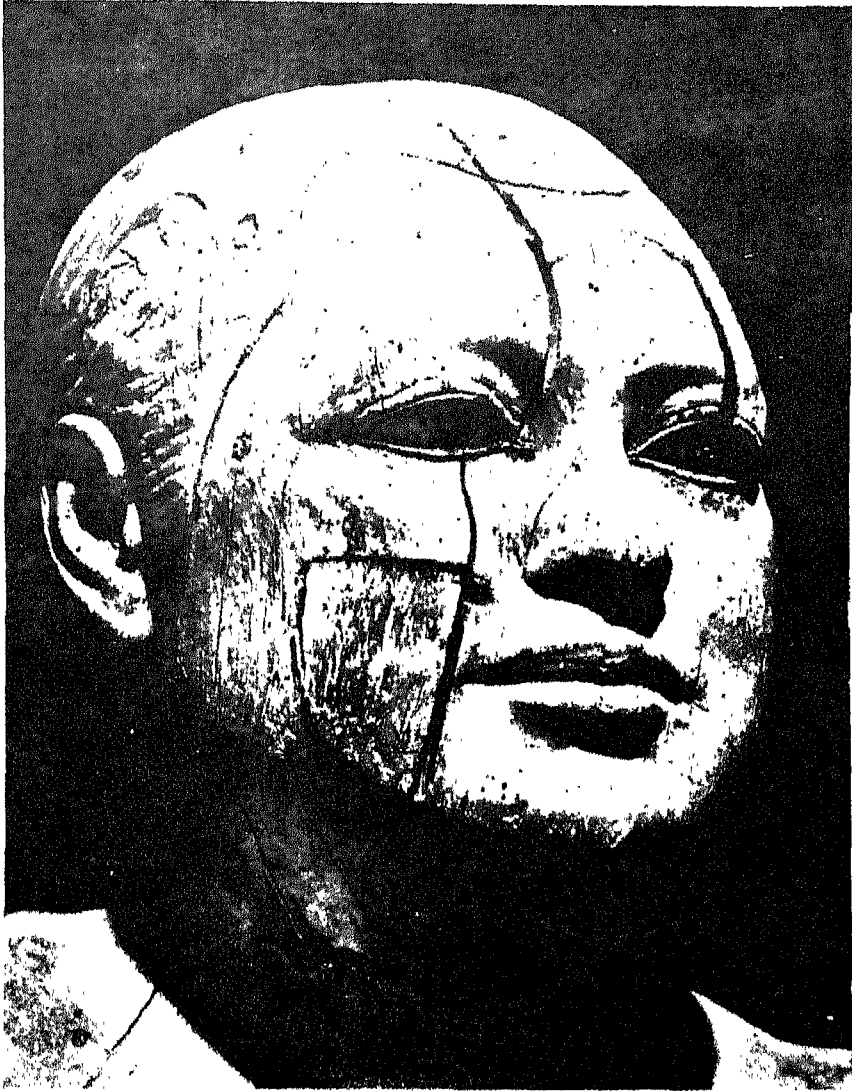
ان طرائق تنفيذ النقوش والرسومات شبيهة بما يتبع بالنسبة لنحت التماثيل. يبدأ العمل بوضع التصاوير على سطوح الحجر الجيرى الأملس الذى يكون جدران المقبرة ، وبعد تسويتها بالحك والكحت يتم صقلها. ويتولى فريق أول تقسيم الجدار الى مربعات صغيرة



شكل (٣٦) - القزم "سنب" وزوجته وابناهما. مجموعة عشر عليها فى الجيزة.
من الحجر الجيري الملون. الارتفاع ٣٣سم. متحف القاهرة. J.E 51281



شكل (٣٧) - "نبي عنخ رع"، جالساً. تمثال عشر عليه في الجيزة.
حجر جيري ملون. الارتفاع ٧٠ سم. القاهرة: المتحف المصري



شكل (٣٨) - كاعبر. تمثال عشر عليه فى سقارة (تفصيل الرأس)
مصنوع من الخشب الارتفاع ١٠٩ سم. القاهرة CGC 34.



شكل (٣٩) - موظف من منف وزوجته (تفصيل)
مصنوع من الخشب. الإرتفاع ٦٩سم. متحف اللوفر N 2293



شكل (٤٠) - صانعة الجعة. تمثال صغير
عشر عليه فى الجيزة
حجر جبرى ملون. الإرتفاع ٢٦سم.
القاهرة : المتحف المصرى .

تسهيلاً لرسم المشاهد المطلوب تصويرها . وتخط الرسومات حتى أدق تفاصيلها دون إغفال المتون الهيروغليفية المصاحبة لها . ثم يبدأ العمل فى أعمال النقش بمعنى الكلمة . ويتم تأجيل العمل فى مواضيع المشاهد . ويبدأ إزالة الخلفية كلها وتسويتها . وقد نحى هذه الأسلوب منذ عهد « خوفو » منحى منطقياً : فبدلاً من إزالة الخلفية ينحصر العمل فى إحاطة كل موضوع بحزب يصل الى العمق الكافى للإيحاء « بالنقش الغائر » . ويستخدم أسلوب الحز لتثبيت كافة تفاصيل المواضيع وخلفيتها . ويعنى النقش الغائر الحقيقى الحفر داخل إطار ثم إزالته ، وهولا يستخدم من الناحية العملية إلا للمدونات الهيروغليفية سواء على سطوح العماثر أو التماثيل أو اللوحات الحجرية . وبتغير أسلوب تشييد المقبرة ظهر أسلوب جديد فى النقش . فالمقابر الصخرية غيرت من طبيعة الجدران التى تحمل التصاوير . فلا بد إذن من مراعاة عدم انتظام سطح المادة المحلية وخشونته على عكس الحجر الجبرى الأملس . ومن هنا نشأت ضرورة تسوية الجدران بالحص أو بكل بساطة بطلاء من المونة المكونة من صلصال مخلوط بالقش أو الرمل . لا يزال الفخرانى أو البناء يستخدمانها حتى الوقت الراهن . ويتم الرسم على هذا الطلاء مباشرة بالألوان المائية ، باللون الأسود الحيوانى والمغرة الحمراء أو الصفراء ومعدن الأزوريت والملاخيت المخلوط أو المسحوق بالنسبة للون الأزرق أو الأخضر . وتضم المواضيع التى تصور على الجدران شتى المشاهد المستوحاة من الحياة على الأرض أو موكب المتوفى الجنائزى .

الفصل الخامس

العقائد الجنائزية

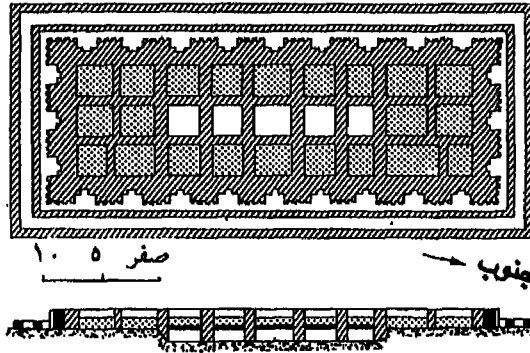
من كوم التراب والحجر إلى المصطبة

لقد سحرت الأهرام منذ تشييدها ألباب كل من شاهدها - كما أنها أصدق تعبير عن عظمة الدولة القديمة. وظل «خوفو» ، فى نظر من خلفه من أجيال ، الملك الذى توصل الى تطوير هذا النمط من المقابر الذى ابتدعه الملك «چسر» ، فبلغ به حد الكمال مستهلاً تحولاً جذرياً فى تطور عمارة المقبرة الملكية . إن القسم العلوى من مقابر أبيدوس وسقارة الذى شيد فوق سطح الأرض قد اتخذ خلال العصر الثينى شكلاً مستطيلاً يشبه مقعداً من الحجر ولذا أطلق عليه عمال أوجست مارييت «المصطبة» . وظلت المصطبة هي الشكل الشائع للمقبرة للدفنات غير الملكية على امتداد الدولة القديمة فى منطقة منف ، وفيما بعد غربى وادى النيل . ويرجح أن المصطبة تحاكي المسكن الدنيوى للمتوفى أو تحتفظ على الأقل بشكله الخارجى . ومع بداية العصر الثينى اتخذت المصطبة شكل كتلة ليس بداخلها بالضرورة حجرات مخصصة للهيكل أو المخازن. وتحد هذه الكتلة جدران من الطوب لها دعامات ودخلات توحى بما يشبه «واجهة قصر» ذات منظور زائف. وتحاط هذه المباني بسور أو سورين لتحديد الأرض المخصصة للمتوفى. وظهر هذا الشكل المعماري نتيجة لتطور كومة التراب والحجر التى ظهرت فى عصر ما قبل الأسرات والتى كانت تغطى الحفرة المسجى فيها المتوفى . ويمكن القول أن فكرة هذه الكومة ترتبط بفكرة الأكمة الأولية التى ظهرت (ت) فوقها الشمس ، الإله الخالق ، حسب رواية علماء اللاهوت فى هليوبوليس ، وتتكون أصلاً من رمال تحاصرها كتل حجر أو اطار خشبى .

ويرقد المتوفى أسفل الكومة فى حفرة بيضاوية أو مستطيلة ، تطور شكلها خلال عصور ما قبل التاريخ ، وإن ظل المبدأ الذى نهضت على أساسه واحداً دون تغيير : فهى المكان الذى يجمع بين صاحب المقبرة ومختلف الوسائل التى وضعت تحت تصرفه لبلوغ العالم الآخر والإقامة فيه. ويسجى الجثمان فى المعتاد على جنبه فى وضع انثناء فوق حصيرة من الغاب فى بعض الأحوال، وقد يلف بكفن . وتوضع فى الحجرة الجنائزية بعض مقتنياته الخاصة وأوان مختلفة القيمة والأهمية تكون نواة الأثاث ، بالإضافة إلى

استخدامها كماعون توضع فيه التقديمات الغذائية التى يحتاج إليها المتوفى . كل ذلك يشكل الحد الأدنى اللازم للمتوفى. ويمكن أن يضاف إليه حسب العصر وحسب ثراء صاحب المقبرة أو أن حجرية وكميات متنوعة من المسؤن . كانت المواد الغذائية توضع فى جرار ، أما المقتنيات النفيسة ، من أسلحة وسكاكين وسهام ظرائية على وجه التحديد وحلى وألعاب التسلية - فكانت توضع فى صناديق .

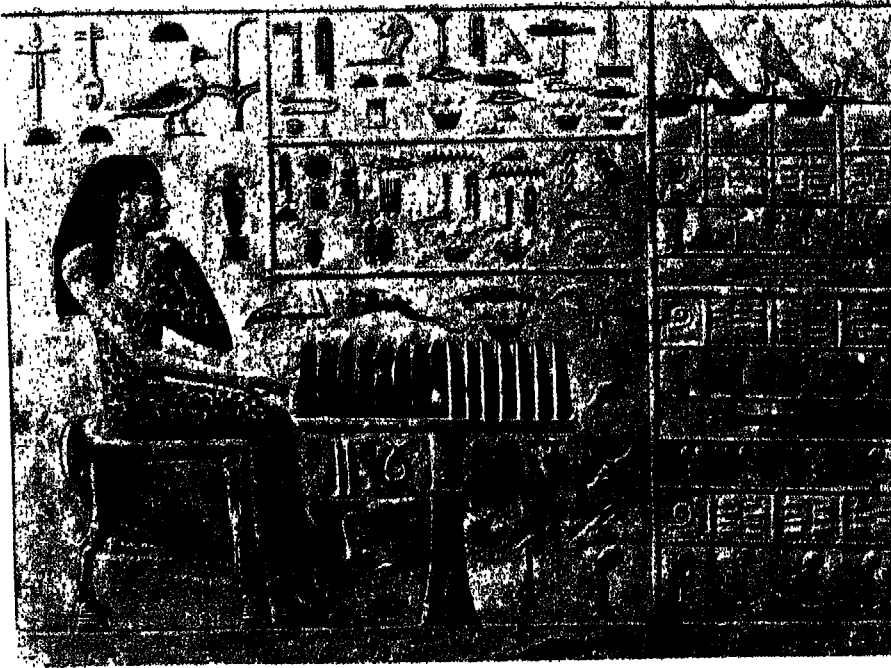
وخلال الأسرتين الأولى والثانية تطورت البنية العلوية للمصطبة كما تطورت بنيته السفلية تطوراً ملحوظاً ، وظهر إلى الوجود نمط المصطبة الكلاسيكى كمحور للشعائر وكتجسيد للمسكن الدنيوى حيث تتعدد أساليب العيش وتنوع ، إلى جانب الرموز التى تؤمن استمرار الحياة فى الآخرة. ومن المكان الذى كانت تقام فيه الشعائر بقى لنا موضع النصب الحجرى الذى يخلد اسم المتوفى اعتباراً من أوائل ملوك العصر الثينى . واقتبس كبار الموظفين منذ وقت مبكر الممارسات التى كانت وقفاً فى بادىء الأمر على حاكم البلاد وحده ، وفقاً للنموذج الكلاسيكى الذى عرفناه لتونا . فما كان يعتبر امتيازاً موقوفاً على الملك أخذ يتسرب بالتدريج عبر مراحل متعاقبة إلى الأفراد العاديين ، وذلك بعد استبعاد رموز الملكية وخصائصها وشاراتها. وجنباً الى جنب مع تطور النصب الحجرية، جنحت مدوناتها إلى الإطناب والاسترسال فيما تسجله فأصبحت لا تقتصر على ذكر اسم صاحب المقبرة بل تقدم أوصافاً دقيقة عن التقدّمات التى ينتظر توفيرها للمتوفى .



شكل (٤١) - رسم تخطيطى وقطاع فى مصطبة فى سقارة معاصرة لحور عحا .
(نقلا عن W. Helck, LÄ V 389)

يحدد هذا التصوير نقطة الانتقال من مملكة الموتى إلى مملكة الأحياء ، ويحدد من الناحية النظرية مكان وضع التقدّمات كما كان يحدث فى العصور الأولى . أما من الناحية

الفعلية ، فقد تداخل مع ما يطلق عليه اصطلاحاً «الباب الوهمى» واندمج فيه . و «الباب الوهمى» تصوير على أساس منظور زائف من نط «واجهة القصر» ، يعلوه حصيرة مطوية. وجاء نتيجة تطور المشكاة ، وهى عبارة عن تجويف فى البناء العلوى لأولى المصاطب وأقدمها. وكان «الباب الوهمى» يسمح على ما يفترض لطاقة المتوفى أو ما أطلق عليه «كا» المتوفى بالولوج إلى العالم الحسى ليستخلص منه ما يلزمه من غذاء ضماناً لاستمرار حياته فى العالم الآخر.

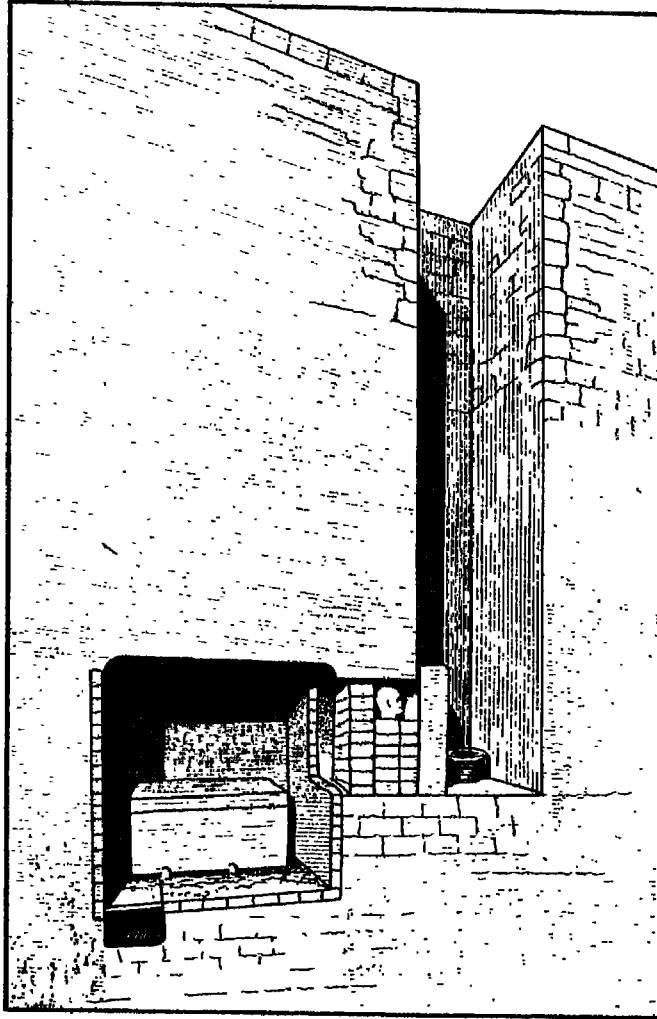


شكل (٤٢) - نصب حجرى الأميرة "نفرت إهابت" . متحف اللوفر .

يصور النصب "قائمة طعام" كاملة لصالح المستفيدة من القران، وهى الأميرة "نفرت إهابت". وكانت معاصرة للملك "خوفو". ودقنت فى إحدى مصاطب جبانة الجيزة. وترتكز قاعلية هذه الوثيقة على عناصر عدة: بادىء ذى بدء، يتنقى التحقق من شخصية صاحبة الشأن بوضوح. كما أنها تصور على النصب ، إلى جانب تدوين اسمها ولقبها الرئيسى. وعلا بنفس المبدأ تم تصوير التقدّمات مادياً. فوضعت فوق منضدة مع فصل كل نوع من أنواع الأطعمة عن الآخر بفضل تصويرها فى اتجاه جانى أو رأسى. فيصبح كل عنصر مرئياً للمشاهد. كما يتم تدوينها فى جدول يعلو المنضدة . وإلى جانب هذه الأوصاف يسجل جدول آخر، فى أقصى اليمين ، تفاصيل الكميات التى تم تقديمها .

العناصر اللازمة لاستمرار الحياة فى العالم الآخر .

يتكون كل فرد فى حقيقة الأمر من عناصر خمسة : الظل، وهو القرين اللامادى لكل شكل من الأشكال التى يمر بها الفرد على امتداد حياته ، وال «آخ» وال «كا» وال «با» وأخيراً «الإسم». وال «آخ» ذو أصول شمسية ، وهو العنصر النورانى الذى يفتح الطريق أمام المتوفى لبلوغ عالم النجوم عند انتقاله إلى العالم الآخر . إنه



شكل (٤٣) - نموذج لبناء المصطبة السفلى .

(نقلًا عن Vandier : 1954, 266)

المظهر الذى تتخذه قوة الآلهة أو الموتى ، وهو روحهم . اما الـ «كا» فهو القوى الحية الكامنة فى كل فرد ، ويتكاثر حسب قوة صاحبها . فلإله «رع» على سبيل المثال أربعة عشر «كاو» . والغذاء أمر ضرورى له للحفاظ على فاعليته ، وإذا تم تجهيز الجسد تجهيزاً ملائماً فإنه يقهر الموت، فان الـ «كا» هو الذى يعاونه ليحى حياة جديدة شبيهة بتلك التى عاشها فى الدنيا . ويعتمد الـ «كا» فى وجوده على ركيزة مادية ، كما يحتاج إلى الغذاء . ولهذا السبب ومنذ وقت مبكر توصل المصريون إلى إيجاد بدائل للجسد المعرض للتلف والتحلل على هيئة تماثيل المتوفى . وجرى العادة على إيداعها فى مكان محدد من المقبرة الملكية يطلق عليه اصطلاحاً «السرداب» . إنه بناء تحت الأرض داخل المصطبة أو فى بنائها السفلى بشكل عام . ويتصل بالانشاءات المخصصة للشعائر من خلال فتحة طويلة صغيرة عند مستوى وجه الإنسان . وهكذا يستطيع التمثال أو التماثيل الموضوعة فى السرداب أن تستفيد من التقدّمات . وإذا كان هذا التقليد وفقاً على الملوك فى بادىء الأمر، إلا أنه سرعان ما انتشر بين الأفراد .

وقد تم تجهيز الحيز الملاصق لحجرة الدفن ليصبح سرداباً ليسهل وصول القربان إلى المتوفى . كما وعليه أيضاً الاستفادة من القربان التى تم وضعها فى قاع البئر عند إتمام مراسم الدفن .

أما الـ «با» فهو أيضاً عنصر لامادى، حامل لقوة صاحبه سواء كان إلهاً أو من الأموات أو من الأحياء . إنه أشبه بقرين الفرد وله استقلاليتة بعيداً عن الجسد . ويصور على شكل طائر ذى رأس بشرية ، وهو يغادر الجثمان لحظة الوفاة ليعود إليه بعد إتمام عملية التحنيط . انه بمثابة «ذات ثانية» للفرد ويمكنه أن يتحاور معها . ويترجمه جمهور العلماء بكلمة «نفس» ، وهى ترجمة اصطلاحية غير دقيقة . أما "الإسم" فهو آخر العناصر الخمسة المكونة للفرد . وكان المصرى القديم يعتبره عملية خلق متجددة للفرد، سواء عند ولادته لما قامت أمه باختيار اسمه تعبيراً عن طبيعته وما يرجى له من مستقبل، أو فى كل مرة ينطق به . ويدور محور سلوك المصرى فى مواجهة الموت حول إيمانه الراسخ بقدرة الكلمة الخلاقة . إن تسمية شخص أو شىء يعنى بعثه إلى الوجود رغم اختفاء شكله المادى ، ومن هنا نشأت ضرورة الإكثار من العلامات الدالة عليه ولتسهيل التعرف عليه . ويجمع الهيكل الجنائزى أو المكان المعدّ للشعائر بشكل عام أكبر عدد ممكن من المعالم الدالة على صاحبها بأكبر قدر من الوضوح حتى يمكن لـ «كا» أن يستمتع دون لبس أو غموض بنصيبه من الخيرات .

ويلبى كل من النصب الحجري والباب هذا الغرض .ويطلق عليهما اصطلاحاً « الباب الوهمى » الذى لقى رواجاً منقطع النظير فى مقابر الدولة القديمة ، واحتل مركز الصدارة فى الهيكل الجنائزى ، وإليه كانت تتجه شتى الزخارف الجدارية مع تفاوت عدد الزخارف من هيكل الى آخر. ويتكون «الباب الوهمى» ، إضافة إلى عناصر أخرى ، من «الكورنيش المصرى» وهو إفريز محفور يكلل فى المعتاد قمة الأبواب والجدران ، ويقلد أطراف سعف النخيل العليا ، فى حين يشكل جريده ، بعد ربطه بعضه ببعض ، جدران الأكواخ البدائية ، كما نراه اليوم وقد تجاوز قمم مونة الجدران التى تحيط بحدائق الريف المصرى نظراً لأن جريد السعف يكون دعامتها الداخلية .

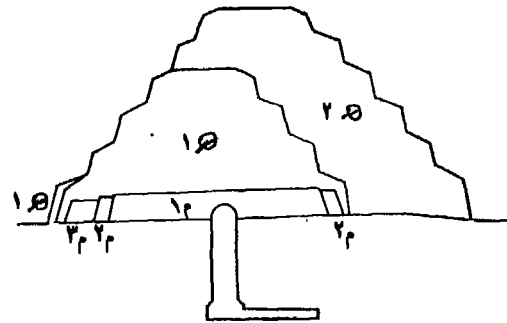
ويوجد النصب الحجري بين عتب الباب العلوى وعتبه السفلى . وكقاعدة عامة يدون على العتب الأول فاتحة نص «نقل القرايين» ، فيكرسها الملك لأحد الآلهة الذى يتولى بدوره تقديمها لصاحب الإهداء لينعم بها . يضمن هذا المبدأ استمرار الشعائر الجنائزية من الناحية النظرية ، حتى بعد اختفاء الأملاك المخصصة للصرف على الانتفاع بالمقبرة وامدادها بالمؤن تحت إشراف كاهن متخصص . إن قراءة متن وصف القرايين كان يعتبر كافياً لتجسيدها فالذى يضمن تسليمها هو استمرار شعائر الإله الذى يتنازل عن جانب منها للمتوفى. بل كان يكفى أن يقرأ هذا المتن من جانب المتوفى أو إحدى التصاویر التى تقوم مقامه ، « فنقل القرايين » هو من وسائل الإبقاء على التصاق المتوفى مع لحمه النسيج الكونى . إن التحامه مع العالم العضوى يضمن له استمرار الحياة بعد الموت على غرار استمرار حياة الكون. أما العتب الأسفل فيعدد ألقابه ، ثم يذكرها فى إطناب فوق سطوح عضادتي الباب الوهمى اللتين تكتنفان الكوة التى تشكل فتحة الباب . وينقش أحياناً على هذه الكوة تصوير يمثل الـ « كا » بالنقش البارز.

أول الأهرامات

يرجع الفضل إلى الملك « جسر » فى تطوير شكل المقبرة الملكية من المصطبة إلى الهرم :

فقد أصبح فى إمكاننا بفضل أبحاث « جان فيليب لوير » Ph . Lauer - J . أن نتخيل المراحل المتعاقبة التى مر بها الانتقال إلى الشكل الهرمى . فقد شيد « جسر » لنفسه فى بداية الأمر مقبرة من النوع الكلاسيكى . إذحفر بئراً كبيرة وصل عمقها إلى ٢٨

مترا وتؤدي الى حجرة دفن من حجر السيانيت أضيفت إليها العديد من السرايب كمخازن حيث عثر على الأواني الحجرية التي سبق أن أشرنا إليها . وتنتهى هذه السرايب بجناح جنازى ازدانت جدرانه بالقيشاني الأزرق، وتقلد إحدى هذه الحجرات العمارة النباتية حيث يعيش على ما يفترض قرين الملك المعروف بالـ "كا" ، وتحاكى حجرة أخرى الصوامع التابعة لدياره . وقد أعاد جان فيليب لوير تركيب أحد السواتر الجدارية عام ١٩٣٨ ، ويعتبر هذا الساتر الجدارى من أروع مقتنيات المتحف المصرى بالقاهرة .

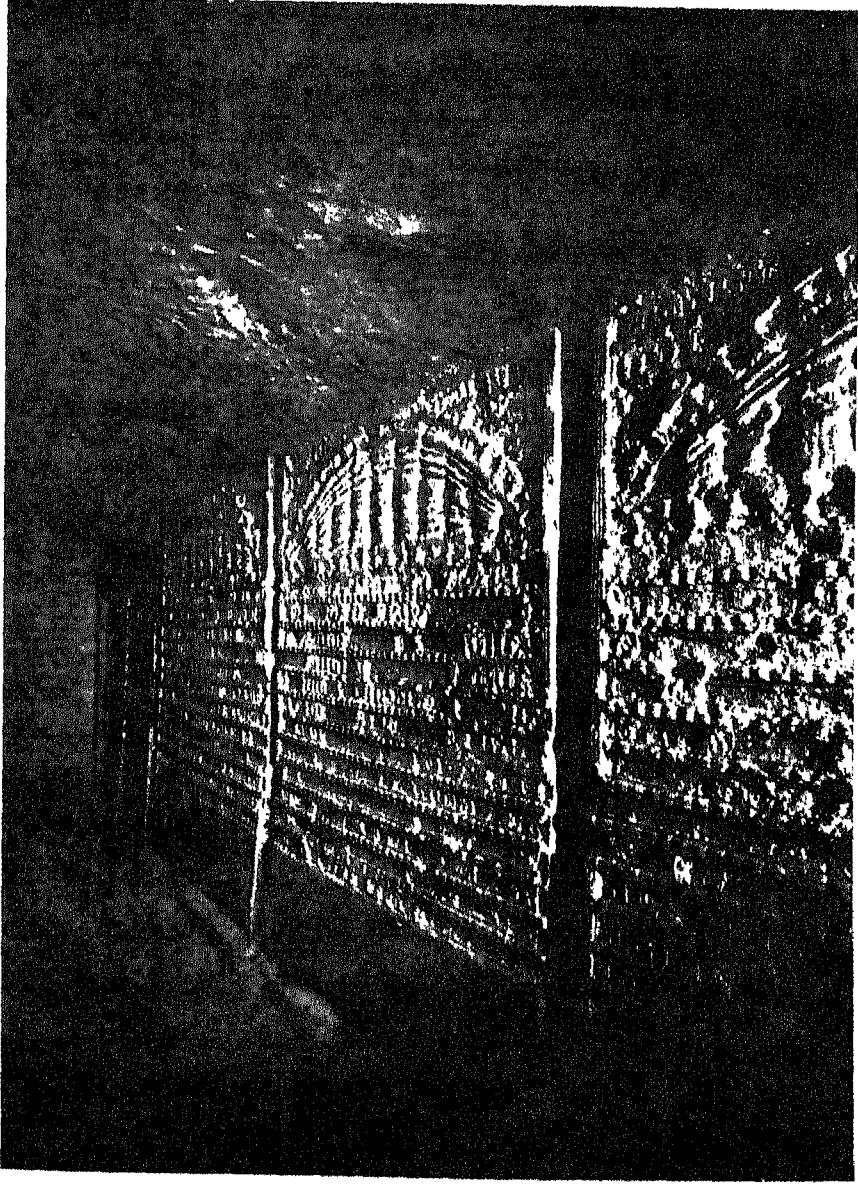


الحالة الأصلية : ٢-٢-١ م
الإضافات المتعاقبة : ٢-١ م

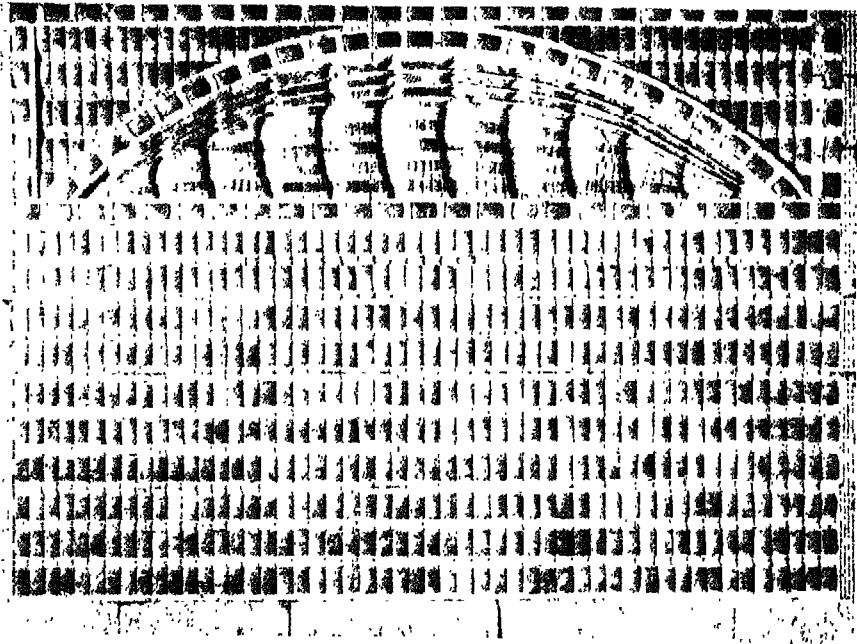
شكل (٤٤) - مقطع فى هرم "جسر" المدرج. سقارة .

وكان من المفروض أن يغلق البئر بسدادة جرانيتية عقب الانتهاء من المراسم الجنائزية ، كما شيدت فوق البئر وملحقاتها كتلة معمارية ضخمة مربعة الأبعاد يبلغ طول كل ضلع من اضلاعها ستين متراً وارتفاعها ثمانية أمتار. ونظراً لأن جميع الحجرات قد نحتت فى البناء السفلى، فان هذه الكتلة المعمارية قد حشيت بالحجر الغفل وغطيت بكسوة مزدوجة من الحجر الجيري، كما حفر على امتداد الواجهة الشرقية عدد من الآبار الإضافية تفضى إلى حجرات جنازية جديدة خصصت لبعض افراد الأسرة المالكة الذين توفوا فى تلك الأثناء . ولاخفاء هذه الآبار، تم إدخال إضافات إلى المصطبة الأصلية ناحية الشرق .

هنا حدث التغير الجذرى الذى غير من المظهر المعمارى الخارجى للبناء والذى فسره «جان فيليب لوير» على أنه تعبير عن رغبة ملحة من جانب المهندس المعمارى لإبراز المقبرة وإظهارها للمشاهد القصى . فقد كان السور الخارجى للمجموعة الجنائزية يخفى المصطبة



شكل (٤٥) - ساتر من القيشاني الأزرق الجناح الجنائزى لهرم "چسر".



شكل (٤٥ مكرر) سائر من القيشاني الأزرق الجناح الجنائزى لهرم "جسر".

القاهرة: المتحف المصرى

البالغ ارتفاعها ثمانية أمتار ، وكمرحلة أولى أحاط إيمحوتب المصطبة الأصلية بهرم ذى أربع درجات، ثم عاد إليه ليزيد من ارتفاعه حتى يصل إلى هرم ذى ست درجات يناهز ارتفاعه نيفاً وستين متراً.

وقد عاد «سخم خت» إلى هذا النمط المعماري فى سقارة ذاتها ، فى حين مهدت أهرام زاوية العريان السبيل لتقنيات جديدة يعتبر هرم «سنفرو» فى ميدوم من أبرز أمثلتها.

وربما تكونت المرحلة الأولي من هرم ميدوم من مصطبة شيد فوقها هرم مدرج صغير. وعند هذا الحد تتوقف أوجه الشبه مع عمائر الأسرة الثالثة . فى حين أن أوجه المقارنة مع هرم الأسرة الرابعة الكلاسيكى متعددة ، من تخطيط الهرم المربع إلى المدخل الواقع جهة الشمال فى صلب البناء الهرمى وتشبيد جزء من شبكة التجهيزات الجنائزية فى جسم الهرم والجزء الآخر فى بنيته السفلى .

لقد أضيفت إلى نواة الهرم الأصلية ست طبقات من الحجر الجيري المحلى إلى جهاته الأربع بزاوية ميل تعادل ٧٥° فشكلت هرمًا ذا سبع درجات، ثم أضيفت إليه درجة أخيرة .

وبعد ذلك كسيت كل درجة من درجاته الثمانية بكساء من الحجر الجيري الناعم المجلوب من محاجر طرة. ولما انتهى البناء من أعمالهم ملؤوا مابين الدرجات، ثم كسوا البناء كله من الخارج بالحجر الجيري فأصبح مظهره الخارجي هرمياً صحيحاً بزاوية ميل قدرها ٥٥٢° / ٥١° وطول كل ضلع ١٤٤.٣٢ متراً وارتفاعه ٩٢ متراً .

لم يكتف «سنفرو» بهذه المقبرة فقد أقدم على محاولة جديدة فى دهشور هذه المرة ، فأقام الهرم «الجنوبى» الذى صادفت أعمال تشييده عدة عقبات . فظهرت ضرورة إعادة بناء العناصر المعمارية الداخلية بعد تعديلها وتعديل ميل زاوية الهرم عند منتصف الارتفاع من ٥٤° ٣١ إلى ٤٣° ٢١ ، ولذا أطلق اصطلاحاً على هذا الهرم بشكله المميز «الهرم المنبعج أو المنحنى» . ورغم عيوب هذا الهرم ونواقصه التى نتجت عن ضعف أساساته إلا انه ينطوى مع ذلك على تجديد بارز. فقد جرى تثبيت كسوته الخارجية مع كل مدماك ، مما زاد من متانتها .

ومرة أخرى لم يتوقف الملك عند هذا الحد . إذ أقدم على محاولة ثالثة فى دهشور أيضاً، ولكن إلى الشمال من الموقع السابق . فشيّد هرمًا جديدًا أقامه على قاعدة أكثر رسوخاً وبزاوية ميل مقدارها ٤٣° ٣٦ منذ البداية . وظل معبده الجنائزى ناقصاً لم يكتمل بناؤه .

مجموعة الجيزة

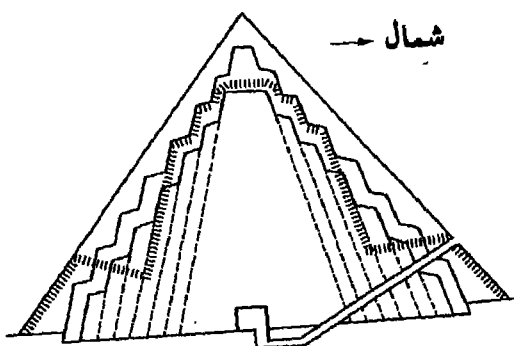
بلغت عمارة الهرم حد الكمال مع هرم «خوفو» فى الجيزة حيث وفرت الهضبة أساساً أكثر رسوخاً من مثيلتها فى دهشور . إنه من أفضل عمائر مصر اتقاناً من الناحية الهندسية ، ومن بين أهرامات مصر فإنه يترك أكثر من غيره فى نفس المشاهد انطباعاً بالشموخ والجلال ، كما أنه سحر ألباب البشر على مر العصور، ومع كل جيل تظهر نظرية جديدة تحاول تفسير كيفية بنائه والغرض منه .

وتروى لنا الحجرات والممرات الداخلية الخطوط العريضة لقصة تشييد الهرم . وفى بداية الأمر اتجهت النية إلى إقامة حجرة الدفن فى قلب القاعدة التى ينهض فوقها الهرم على غرار أسلوب ميدوم وسقارة . ويصل بينها وبين مدخل الهرم الموجود فى جهته الشمالية ممر طويل يميل بزاوية ٢٦° ٣١ . ولكن تم التخلّى عن هذا المشروع لأسباب مجهولة واستبدل بحجرة شيّدت هذه المرة فى بنية الهرم العليا يطلق عليها خطأ «حجرة الملكة» . ويمكن الوصول إليها من خلال ممر متفرع من الممر الأصلي الهابط . وسقف

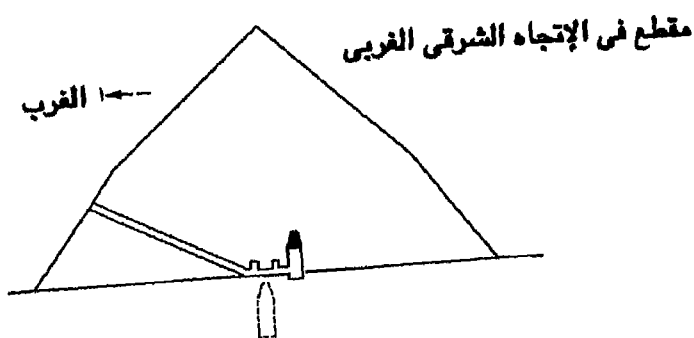
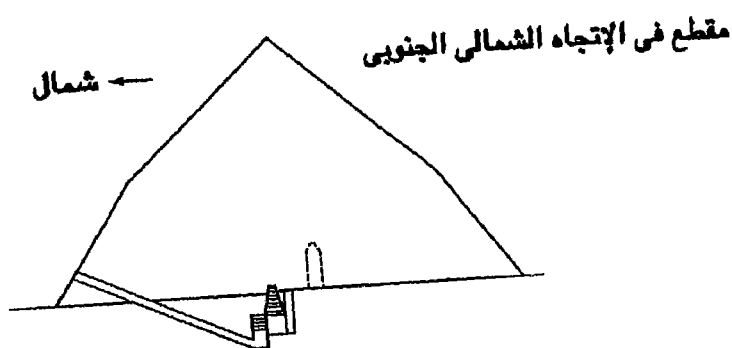
الأسرة	اسم الملك	اسم الهم	الموقع
الثالثة	"جسر" "سخم خت" "خغ يا (؟)"		سقارة البحرية سقارة البحرية زاوية العريان (القبليّة)
الرابعة	"سنفرو" "سنفرو" "سنفرو" "خوفو" "جدفرع" "خعفرع" "منكاورع" "شيسسكاف" "ختنكاوس" "ختنكاوس"	ثابت هو سنفرو" سنفرو الجنوب يشرق فى مجد "سنفرو يشرق فى مجد أفق خوفو جدفرع وأهب النور "خعفرع" عظيم "منكاورع" ربانى (مكان) تظهر "شيسسكاف"	ميدوم دهشور القبليّة دهشور البحرية الجيزة ابو رواش الجيزة الجيزة سقارة القبليّة الجيزة ابو صير
الخامسة	"أوسركاف" "أوسركاف" "ساحورع" "نفر إير كارع" "رع نفر إف" "نئ أوسرع" "نئ أوسرع" "منكاوحدور" "منكاوحدور" "جدكارع إسيسى" "أوناس"	"طاهرة هي منازل أوسركاف" "رع فى الحرم" "يشرق با ساحورع فى أمجاده" "نفر إير كارع هو با" "إن باو رع نفرت ربانية" "دائمة هي منازل نئ أوسرع" " (المكان) يروق لرع" "ربانية هي منازل منكاوحدور" "أفق رع" "إسيسى الجميل" "جميلة هي منازل أوناس"	سقارة البحرية ابو صير ابو صير ابو صير ابو صير ابو غراب دهشور (؟) ابو صير (؟) سقارة القبليّة سقارة البحرية
السادسة	"تيتى" "أبيوت" "خويت" "بيبي الأول" "مرنرع" "بيبي الثانى" "بيبي" "أبيوت" "أاج إيب تن"	"ثابتة هي منازل بقتى" "بيبي دائم وجميل" "مرنرع يشرق فى أمجاده وهو جميل" "بيبي دائم الحياة"	سقارة البحرية سقارة البحرية سقارة البحرية سقارة القبليّة سقارة القبليّة سقارة القبليّة سقارة القبليّة سقارة القبليّة سقارة القبليّة
الثامنة	قا كارع أبا		سقارة القبليّة
الحادية عشرة	نب جيت رع منتوخوتب	"مجيدة هي منازل منتوخوتب"	الدير البحرى
الثانية عشرة	"امتمحات الأول" "سنوسرت الأول" "امتمحات الثانى" "سنوسرت الثانى" "سنوسرت الثالث" "امتمحات الثالث" "امتمحات الثالث" "نفر سويك (؟)"	"امتمحات شامخ وجميل" "شريكة منازل سنوسرت" "با امتمحات" "سنوسرت قوى" "سنوسرت يشرق فى أمجاده (؟)" "امتمحات جميل (؟)" "امتمحات يحيى"	اللشت اللشت دهشور اللاهورن دهشور دهشور هواره مزغونة
الثالثة عشرة	"خنجر"		سقارة

شكل (٤٧) - جدول جامع لأهم أهرامات الدولة القديمة والدولة الوسطى .

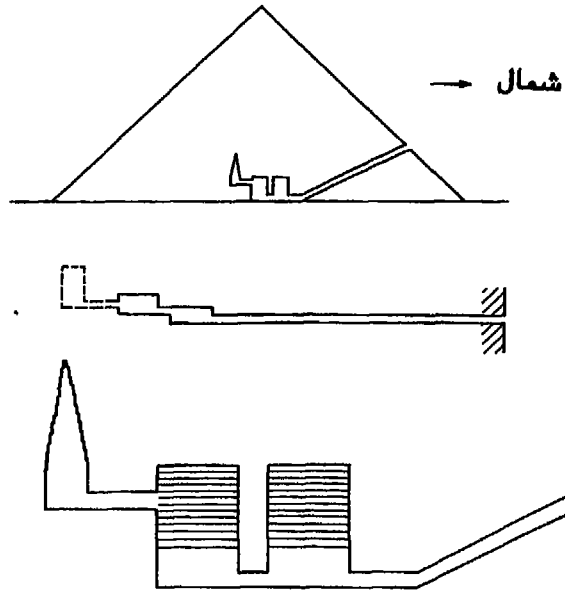
الرقم	ابرز المميزات	طول القاعدة بالمتر	أهم المنقوش
١٤	هرم مدرج	١٠٧.٤	بروكش ، فيرت ، كويل ، لويز .
١٦	هرم مدرج	١١٨.٥٠	زكريا غنيم
٦	هرم مدرج	٨٣.٨٠	بارسانتي ، ريزنر ، دنهام
٣١	الهرم الجنوبي	١٤٤.٣٢	لپسيوس ، ماسپرو ، پتري ، روي ، شتادلمان
٢٧	الهرم المنحني	١٨٨.٦٠	بيرنج ، فايز ، چيكييه ، دي مورجان ، عبد السلام حسين ، فاريل ، أحمد فخري ، شتادلمان
٢٤	الهرم الأحمر	٢١٩.٢٨	پيرين ، فايز ، دي مورجان ، شتادلمان .
٢		٢٣٠.٣٠	فايز ، بورخارت ، پتري ، ريزنر ، يونكر ، لويز
١		١٠٥	فايز ، لپسيوس ، شاسينا .
٣		٢١٥.٢٥	پلزوني ، فايز ، ماريت ، ماسپرو ، پتري ، بورخارت ، يونكر ، باريز ، سليم حسن
٤		١٠٤.٦٠	فايز ، پرنج ، بورخارت ، ريزنر .
٢٢	مصطبة "قروون"	٧٤.٤٠	ماريت ، چيكييه .
-	هرم مدرج	٤٣.٧٠	يونكر ، سليم حسن
-	قبر رمزي	٤٥.٨٠	قرونر .
١٣		٧٣.٣٠	بيرنج ، فايز ، فيرت ، لويز .
٨	معبد شمس		بيرنج ، فايز ، بورخارت ، ريكة .
٩		٧٨.٥٠	بيرنج ، فايز ، بورخارت .
١٠	ناقص	١٠٨	بيرنج ، فايز ، بورخارت ، فيرنر .
١١			بورخارت ، فيرنر
١٢		٧٨.٨٠	بيرنج ، فايز ، بورخارت .
٧	معبد شمس		بورخارت ، شافر ، فون بيسنج
-	لم يكتشف		فايز ، عبد السلام حسين ، فاريل .
-	لم يكتشف		فايز ، بارسانتي ، ماسپرو ، فيرت ، سليم حسن ، عبد السلام حسين ، پيانكوف
١٩		٧٨.٥٠	
١٥	متون الأهرام	٥٧.٧٥	
١٢	متون الأهرام	٧٨.٧٥	فايز ، بيرنج ، ماسپرو ، لوريه ، لويز ، ليكلان
-		١٥.٥٠	لوريه ، فيرت
-	اختفت		لوريه
١٧	متون الأهرام	٧٨.٧٥	فايز ، ماريت ، ماسپرو ، لويز ، ليكلان .
١٨	متون الأهرام	٧٨.٧٥	ماريت ، ماسپرو ، چيكييه ، لويز ، ليكلان
٢٠	متون الأهرام	٧٨.٧٥	ماسپرو ، بوريان ، چيكييه ، لويز ، ليكلان .
-	متون الأهرام	٢٤	چيكييه
-	متون الأهرام	٢٤	چيكييه
-	متون الأهرام	٢٤	چيكييه
٢١	متون الأهرام	٣٠.٦٠	چيكييه
خارج الخريطة	معبد جنائزي		نافيل ، هول ، وينوك
٢٩		٨٤	ماسپرو ، جوتييه ، چيكييه
٣٠		١٠٥	لانسنج ، ليشتجو ، ماس ، وينيك ، أرنولد .
٢٦			دي مورجان ، أرنولد .
٣٤		١٠٤.٢٠	پتري ، برونسون .
٢٥	قبر رمزي	١٠٥	پتري ، دي مورجان ، أرنولد .
٢٨		١٠٢.٦٠	پتري ، أحمد فخري
٣٣			پتري ، أحمد فخري
٣٥		١٠٠.٢٠	پتري ، أحمد فخري
٢٣			چيكييه



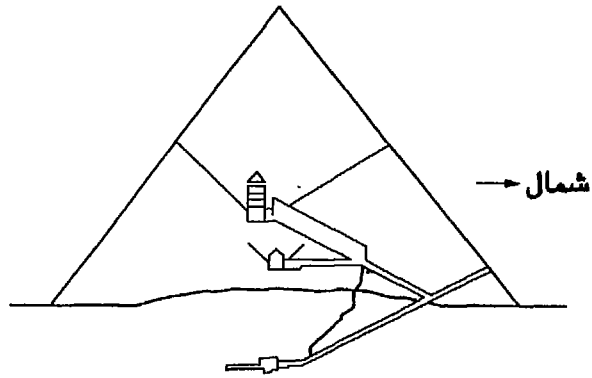
شكل (٤٨) - مقطع لهرم سنفرو بميدوم .



شكل (٤٩) - مقطع للهرم المنحنى لسنفرو بدهشور



شكل (٥٠) - مقطع للهرم " الأحمر " لسنفرود بهدشور



شكل (٥١) - مقطع لهرم خوفو بالجيزة .

هذه الحجرة يتكون من بلاطات على هيئة رقم ٨ . وتم التخلي أيضاً عن هذا التصميم قبل الفراغ من العمل فى مسلكى التهوية اللذين كانا مخططاً لهما أن يصلا إلى سطحى الهرم الشمالى والجنوبى . وفى صورته النهائية يتكون الهرم من بهو صاعد هو «البهو الكبير» الذى يبلغ طوله حوالى ٤٨ متراً وعرضه ٧.٤٠ أمتار وارتفاعه ٨.٥٠ أمتار، ويمكن أن نطلق على قبو البهو السقف المتدرج . ونقطة بدايته عند السرداب الموصل إلى حجرة الملكة ، كما أنه يفضى إلى حجرة الدفن الحقيقية . وتبلغ مساحة «حجرة الملك» ٥٠ و ١٠ أمتار طولاً من الشرق إلى الغرب و ٢٥ أمتار عرضاً من الشمال إلى الجنوب. ويتكون سقفها من تسع بلاطات وزنها الإجمالى ٤٠٠ طن قائمة على ارتفاع ٨٠ و ٥ أمتار من أرضية الحجرة . ويعلو السقف خمس حجرات تفريغ الغرض منها توزيع الضغط. ويتكون سقف الحجرة العلوية منها من بلاطات على هيئة رقم ٨ . وقد عثر على اسم خوفو مدوناً فى حجرات تخفيف الضغط هذه . ونظراً لنهب الهرم منذ العصور القديمة لم يتبقى دليل آخر يشهد على هوية صاحب الهرم واسم مشيده . وتحتوى حجرة الدفن على تابوت مكسورة حافته تتصل بالبهو الكبير من خلال ممر ضيق خصص لإنزال ثلاثة مستارس من الجرانيت الغرض منها حماية الحجرة من أعمال السلب والنهب.

إن حصيلة معلوماتنا عن هرم خوفو ضخمة ، فقد قام العلماء بدراسته وفحصه باستفاضة ووصفوا كل صغيرة وكبيرة فيه . وقد شيد فوق قاعدة طول ضلعها ٢٣٠ متراً، ويصل الى درجة عالية من الانتظام حيث لا تتجاوز فروق أطوالها ٢٥ سم . وتتجه كل واجهة من واجهاته الأربع صوب إحدى الجهات الأصلية . وزاوية ميل الهرم تعادل ٥٢° و٥١° ويبلغ ارتفاعه ٥٩ و ١٤٦ متراً يضاف اليه هريم من الجرانيت على الأغلب ، كان يكلل قمته على ما يفترض .

لم يسجل المصريون سوى النزر اليسير من الأساليب التقنية التى استخدموها عند تشييد ما سيدوه من عمائر . ولكن فى الإمكان تصور هذه الأساليب استناداً الى بعض المناظر والمخلفات الأثرية والدراسة التحليلية للعناصر نفسها والتى تعتمد فى الوقت الراهن على تقنيات غاية فى التطور والتعقيد . ورغم ما تتميز به من دقة فائقة فإنها لا تستغنى فيما تصل اليه من نتائج عن الاعتماد على التفسيرات المنطقية .

وبداية كان يتعين اختيار الموقع المناسب . ومن مقوماته أن يقع على مقربة من

عاصمة البلاد ومن نهر النيل أيضاً ، وأن يتوفر فى الموقع قاعدة صخرية تتحمل كتلة المبانى الضخمة التى ستشيد فوقها ، وأن يقع المكان على الضفة الغربية من النهر المخصص تقليدياً لمملكة الموتى التى تلامسها أشعة الشمس عند غروبها قبل قيامها برحلتها الليلية . وعلاوة على ذلك ينبغى أن يبتعد الموقع بالقدر الكافى عن مياه الفيضانات التى قد تصل إلى مسافة ٣٠٠ متر من الهضبة .

وبعد اختيار الموقع يتولى العمال تسطيط أرضيته الصخرية تسطيحاً دقيقاً بلغ حد الكمال بالنسبة لهرم «خوفو» الذى لا تتجاوز الفروق فى سطح أرضيته ١٨ مليمتراً . وقد تم الإبقاء على النواة الصخرية المركزية لتصبح جزءاً من المبانى، توفيراً للمواد البناء من ناحية ، وحفاظاً على صورة الأكمة الأولية ، التى كانت ترتفع فى الماضى فوق حجرة الدفن، من ناحية أخرى. وتتحدد وجهة الهرم تبعاً لاتجاه أضلاعه التى تتجه ناحية الجهات الأصلية الأربع . ويبدو الأمر واضحاً جلياً بالنسبة للغرب والشرق . ولكنه يزداد صعوبة بالنسبة للشمال . وينبغى استبعاد احتمال وجود قياس ثابت للنجم القطبى ، لما قد يترتب عليه من خطأ أكبر من ذلك الذى نلاحظه على ارض الواقع . ومن المحتمل أن المصريين قد اعتمدوا أسلوباً ينطوى على قدر من البساطة . فاستخدموا جهازاً أطلقوا عليه «مرخت» ، وهو عبارة عن مطمار مثبت فى عمود خشبى يسمح بتحديد الرؤية . فكانوا يسطحون رقعة من التربة ليشكلوا خطأً أفقياً مستويًا ويسجلون من خلاله بواسطة الـ «مرخت» نقطتى شروق وغروب أحد النجوم الثوابت ، ربما كان نجماً من نجوم مجموعة الدب الأكبر . ويحدد مُنصف الزاوية التى ترسمها هاتان النقطتان اتجاه الشمال الحقيقى . (Lauer : 1960 , 99 Sq .)

ثم يبدأ تشييد الهرم وترتفع المداميك . وتوفر المحاجر المحلية الأحجار الخشنة التى تستخدم عادة فى ملء الفراغات الداخلية بمختلف الأحجار الغفل . فقد اكتشف المنقبون فى الركن الشمالى من هرم خفرع آثار اقتلاع أحجار من القاعدة الصخرية ، وإلى الغرب قليلاً عثر على ثكنات تكفى لإيواء ما يناهز ٥٥٠٠ من العمال وعمال المحاجر والحرفيين الملحقين بالجبانة . وقد أقيمت مساكن مشابهة فى أزمنة لاحقة فى اللاهون ودير المدينة . أما الحجر الجيري الأملس اللازم للكسوة الخارجية فيتم اقتلاعه من المحاجر القريبة من طرة . ويستخدم حجر الجرانيت الأسوانى ككساء للمرات والحجرات الداخلية بشكل عام بالإضافة إلى الأماكن المخصصة لإقامة الشعائر . أما غير ذلك من الصخور اللازمة

لإعداد التواييت وقطع البلاط والتماثيل وما شابه ذلك ... فيتم استخراجها أحياناً من أماكن بعيدة جداً . ومن أمثلة ذلك ، حجر الديوريت الموجود الى الغرب من أسوان . ويتم اقتلاع كتل الحجر وصقلها في المحاجر تمهيداً لنقلها على متن صنادل تبخر بها في موسم الفيضان عندما يرتفع مستوى المياه فيمكن الاقتراب من مواقع العمل بقدر المستطاع . هذا ما يرويه علينا «أونى» عندما يتطرق بالحديث عن آخر حملة نظمها بصفته حاكم الوجه القبلى لحساب «مرنر» . لقد وقع على عاتقه تشييد هرم سيده حاكم البلاد ، فسافر إلى النوبة لاستخراج تابوت من البازلت الى جانب عناصر من الجرانيت والألبستر، تم استخراجها من أسوان وحتنوب يقول أونى :

وارسلنى صاحب الجلالة إلى إبهيت لإحضار تابوت الأحياء الذى هو رب الحياة بغطائه ، والهرم النفيس الجليل المخصص للهرم المبجل المسمى «مرى إن رع يشرق فى كماله» . كما أرسلنى صاحب الجلالة إلى إلفنتين لإحضار الباب الوهمى وعتبة الباب والعتب العلوى والمتاريس وكلها من الجرانيت الوردى ، إلى جانب الأبواب والبلاط وهى أيضاً من الجرانيت الوردى واللازمة للحجرة العلوية لهرم «مرى إن رع يشرق فى كماله» . وأبحرت على رأس حملة واحدة من السفن تضم سفناً عريضة وثلاثة صنادل وثلاثة مراكب طولها ٨٠ ذراعاً (...) كما أرسلنى صاحب الجلالة إلى حتنوب لإحضار مائدة قرايين ضخمة من الألبستر الذى تشتهر به هذه المنطقة . وأبحرت شمالاً بهذه [المائدة] المستخرجة من حتنوب فى مدة سبعة عشر يوماً على نفس الرمث . وقد أعددت له رمثاً مصنوعاً من خشب السنط طوله ٦٠ ذراعاً وعرضه ٣٠ ذراعاً ، انتهيت منه فى ظرف سبعة عشر يوماً فى الشهر الثالث من الصيف . ورسوت فى سلام فى مواجهة هرم «مرى إن رع يشرق فى كماله» ، رغم انحسار المياه وضاحتها . كما أرسلنى صاحب الجلالة لشق خمس قنوات فى صعيد مصر ، ولصناعة ثلاثة أرمات وأربعة صنادل من خشب السنط الذى اشتهرت به «واوات» (...) وأنجزت كل تلك المهمة فى سنة واحدة . فتم تعويم السفن وتحميلها بحجر الجرانيت الوردى اللون بكمية كبيرة من أجل هرم «مرى إن رع يشرق فى كماله» (197 - 196 , Roccati : 1982) .

إن موسم الفيضان وارتفاع المياه كان أيضاً الموسم الذى تضع الأيدى العاملة نفسها فيه تحت تصرف الملك وفاء له بحق السخرة الذى يتمتع به عليهم . ومن نافلة القول أن الفلاحين كانوا يشكلون غالبية الأيدى العاملة فى ذلك الزمن . وفى ظروف العمل

تشبيد مدرج أو أكثر مع تغيير زوايا انحداره كلما لزم الأمر . فيُقام المدرج على واجهة الهرم بزاوية قائمة ، وكان عرضه كبيراً عند البداية ثم يتضاءل كلما ارتفعت المداميك ويتزايد طوله مع احتفاظه بزاوية انحدار تعادل واحد الى ١٢ لتسمح للزحافات بنقل الكتل الحجرية . وتمتاز هذه النظرية بالبساطة بالمقارنة مع النظريات الأخرى المنافسة ، عوضاً على أن مخلفات مدارج المنشآت المشيدة من الطوب اللبن التي وجدت بجوار الصرح الأول لمعبد « آمون رع » في الكرنك أو في ميدوم واللشت ، تؤكد المبادئ الأساسية لهذه النظرية . ويتم رفع الكسوة الخارجية مدمكاً مدمكاً إلى جانب الإنشاءات الداخلية . ثم يتم صقلها بدءاً من أعلى وبعد وضع الهرم على قمة البناء .

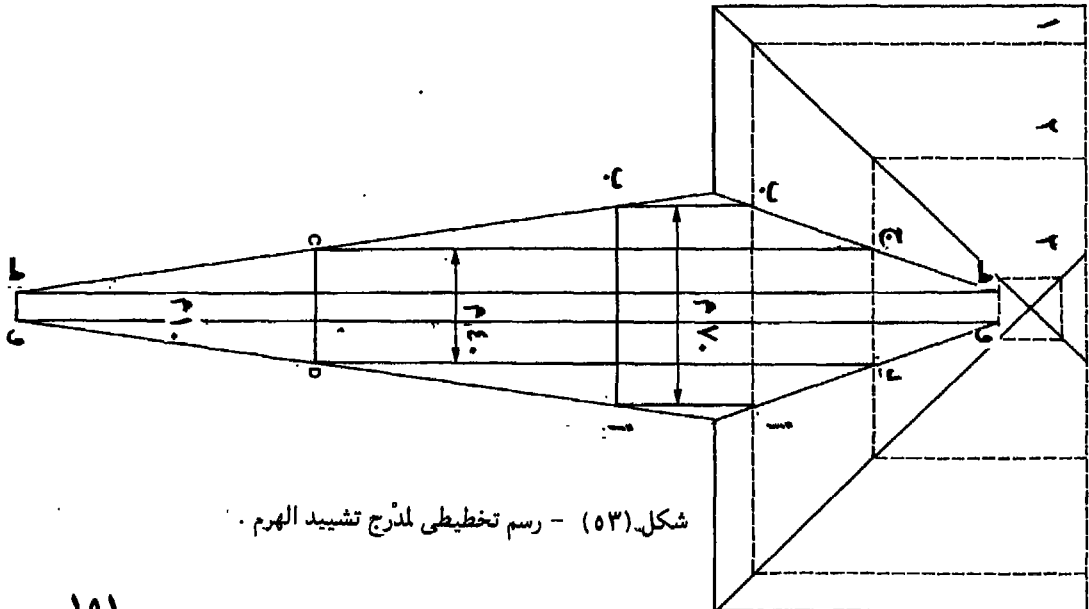
لن يصل هرم آخر الى ما وصل اليه هرم « خوفو » من كمال وشموخ . وفضل « جعفر » أن يشيد هرمه في أبورواش بدلاً من الجيزة ، كما أن وضعه الراهن المتهدم لا يسمح بعقد مقارنة مفيدة . وعلى العكس من ذلك نجد أن هرم « خفرع » ينقل الكثير عن هرم « خوفو » . ويفعل هرم « منكورع » نفس الشيء وإن تناقص حجمه إلى النصف . كما أن إنشاءاته الداخلية الموجودة في البنية السفلية مختلفة إختلافاً جذرياً .

وتحاكي أهرام الأسترتين الخامسة والسادسة المظهر الخارجى لنموذج أهرام الجيزة دون أن تصل أبداً الى شموخها . ويكمن وجه الخلاف الوحيد في تطور الحجرات الداخلية التي استقر تخطيطها العام على وجه التقريب في عهد « أوناس » ، وفي تطور عناصر المجموعة الجنائزية غير الهرم ذاته . « شيسسكاف » هو الاستثناء الوحيد ، إذ لم يشيد هرمًا بل « مصطبة » ضخمة في سقارة القبلية ، تعرف اليوم اصطلاحاً باسم « مصطبة فرعون » . وهى عبارة عن بناء ضخم على هيئة تابوت ضخم يناهز طوله المائة متر وعرضه ٧٥ متراً وارتفاعه ١٩ متراً . ومن الصعب تفسير هذا الارتداد الواضح الى تقاليد جنائزية سلفية ومع ذلك فإنه لم يكن ارتداداً شاملاً وعاماً . صحيح أن مصطبة فرعون قد أحيطت بسور مزدوج ، إلا أنها احتفظت بالطريق الصاعد الذى يعتبر من ابتكارات الأسرة الرابعة . كما وقع اختيار « شيسسكاف » على نظام الأجنحة الجنائزية التى وصلت إليها الأسرة السادسة واحتفظت به فيما بعد . كما شيد ملوكها مقابرهم على مقربة من الملك الذى اعتبروه سلفاً لهم ... ومهما يكن من أمر فمن الممكن الافتراض أن هذا « الارتداد » المعماري يكشف عن المضاعف التى صادفت الانتقال من الأسرة الرابعة إلى الأسرة

الخامسة، نظراً لأن «خنتكاوس» والدة «ساحورع» و «نفرإيركارع» - التى عرفت أنها كانت زوجة ثانية لـ «شپسسكاف» قد شيدت هى أيضاً مقبرة تشهد على «ارتداد» سلفى، وإن شُيدت بعد وفاة زوجها فى الجيزة فى المنطقة الواقعة بين الطريقين الصاعدين لهرمى «خفرع» و «منكارع». إنها بناية مهجنة تجمع بين المصطبة وبين هرم بطبقتين ويبلغ ارتفاعها ١٨ متراً فوق مستوى الأرض. وينسب إلى «خنتكاوس» أيضاً هرم فى "أبو" صير انتهت أعمال تنظيفه حديثاً، ويقع جنوبى هرم نفر إيركارع. وربما كان ارتفاعه أيضاً هو نفس ارتفاع مقبرة «خنتكاوس» الواقعة فى الجيزة. وظل المصريون بعد وفاتها بزمان طويل يقيمون لها الشعائر فى معبدها الجنائزى بالجيزة بصفتها من أسلاف الأسرة الخامسة.

المجموعة الجنائزية

مع حلول الأسرة الرابعة تغير التنظيم العام للمجموعة الجنائزية، كما ظهرت عناصر جديدة. مثل أهرام الملكات التى لم يلحق بها سوى معبد الشعائر، وفيما عدا هذا فهرم الملكة تابع لمجموعة الملك الهرمية. وقد أقيمت ثلاثة أهرام شرقى هرم «خوفو»، خصص الهرم الجنوبي منها لدفن الملكة «حنوتسن». كما ألحق بهرم «منكاورع» من الناحية الجنوبية ثلاثة أهرام صغيرة. ويقوم أكبر هذه الأهرام الثلاثة وأكثرها تطرفاً جهة الشرق مقام الهرم الذى ينهض بجوار الواجهة الجنوبية لهرم «خفرع». إنه الهرم الذى يعرف اصطلاحاً بالهرم «التابع» الذى كان يخصص لقرين الملك، وظهر أول ما ظهر فى



هرم ميدوم ولا يشتمل على تابوت أو منشآت للشعائر، وإن كان له مدخل خاص وهيكل . ويمكن الربط بينه وبين المباني التي شيدت ضمن مجموعة «جسر» فى ملاصقة سورها الجنوبي لاستقبال «كا» الملك ، وتضم مقبرة تذكارية وفقاً للأسلوب الشينى التقليدى إلى جانب هيكل للشعائر .

ويفترض أن سور مجموعة «جسر» يحاكى السور الذى كان مقاماً حول المقر الملكى كما نشاهده منذ أقدم الأزمنة على هيئة «سرخ» .

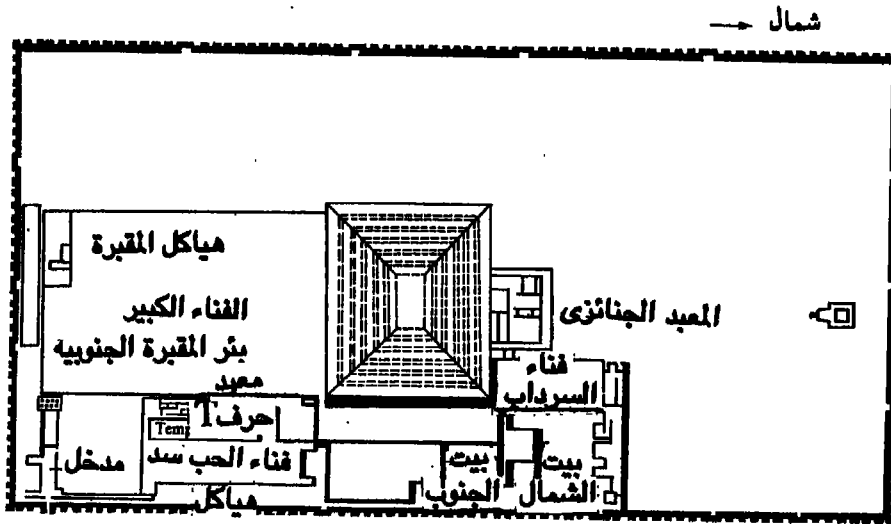
وندخل إلى المجموعة الجنائزية قرب الركن الجنوبي الشرقى من خلال الباب الحقيقى الوحيد من بين الأربعة عشر باباً الموزعة على محيط سور المجموعة . ونعبر ممراً ينهض على جانبيه صفان من الأساطين المقناة . يتكون كل صف من عشرين أسطواناً . ثم نصل إلى أصغر بهو أساطين وهو الذى يفضى إلى فناء شاسع يلتزم بالاتجاه الشمالى الجنوبى ويفصل الهرم عن المقبرة الجنوبية التذكارية . ويؤدى هذا الفناء إلى مجموعة مبانٍ مكرسة لإقامة عيد «السد» . وتتكون من معبد على شكل حرف (T)، ربما كان فى واقع الأمر مقصورة انتظار، ومن فناء أقيم على جانبيه عدد من الهياكل ومنصة . وقد أعدت هذه المباني ليكرر الملك المتوفى مختلف أطوار عيد اليوبيل متنقلاً من مبنى إلى آخر ، عبر الأبواب التى شيدت على امتداد الجدران لتظل مفتوحة إلى الأبد (Lauer : 1988 , 208 Sq) . وعند الفراغ من اتمام الشعائر يتبوأ على التوالى عرش «بيت الجنوب» ثم «بيت الشمال»، حيث تقدم له رجالات الملكتين ولاء الطاعة .

ويشمل القسم الشمالى منشآت خصصت للشعائر الجنائزية بمعنى الكلمة . ومن داخل السرداب كان فى إمكان تماثل «جسر» الموجود حالياً فى متحف القاهرة، أن يشارك فى خدمة التقديمات الجنائزية التى تجرى فى المعبد الملاصق وذلك من خلال فتحتين مثقوبتين عند مستوى ارتفاع عيني التمثال .

ويختفى أسلوب تنظيم مختلف عناصر المجموعة الجنائزية وتجميعها داخل سور واحد مع حلول الأسرة الرابعة ، ليحل محله تخطيط أقل تركيزاً يتمحور حول نقاط رئيسية ثلاث: الهرم ذاته وملحقاته المباشرة ، ثم الطريق الصاعد، فمعبد المزار .

ويشيد «معبد المزار» أو «معبد الوادى» على حافة الأرض المنزرعة ، وفيه يجرى

استقبال المتوفى خلال المراسم الجنائزية . وهو من الناحية النظرية المرسى الذى يرسو عنده المتوفى فى نهاية رحلة نهريّة تحاكي رحلة الإله فى الأمواه السماوية . وقد ظهر أول ما ظهر فى هرم «سنفرو» فى ميدوم عندما استبدلت المجموعة الجنائزية التخطيط الذى اتجه به الشمال إلى الجنوبى بتخطيط ذى اتجاه شرقى غربى . وإلى جانب أن الاتجاه الجديد يلتزم بالفصل بين عالم الأحياء وعالم الموتى فإنه يلتزم أيضاً بالموقع الحقيقى لكل من الوادى والهضبة الصحراوية . ومعبد المزار نقطة انتقالية فى المقام الأول ، اذ يفضى باب المدخل إلى فناء محاط بمقاصير تنهض فيها تماثيل شعائر الملك، وبمخازن المؤن، وهو إلى جانب ذلك مكان تطهر واستقبال . ويشبه فى جميع جوانبه المدخل الى منطقة مكرسة لإقامة الشعائر . وخير شاهد على ذلك التماثيل الأربعة للمجموعات الثلاثية التى عثر عليها جورج ريزنر فى معبد «منكاورع» والمحفوفة حالياً فى متحف القاهرة وفى متحف بروكلن . وهى تكرر تمثيل الملك وإلى جانبه الإلهة حتحور من ناحية ومعبدات أحد أقاليم الصعيد من الناحية الأخرى وهى على التوالى معبدات الأقاليم الثامن عشر والخامس عشر والسابع والرابع من أقاليم الصعيد . وكانت هذه التماثيل على ما يعتقد جزءاً من مجموعة أكبر تمثل أقاليم البلاد .



شكل (٥٤) - رسم تخطيطى لمجموعة "جسر" فى سقارة

وكما يتضح من الأمثلة اللاحقة ، كانت المعبودات المؤنثة تضطلع بمهمة الاستقبال . ومن هذه الأمثلة البوّة " سخمت " التى نشاهدها وهى ترضع الملك « نى أوسر رع » . كما يرجح أن حتحور قد قامت بهذا الدور أيضا إلى جانب الملك « منكاورع » ، إذ تشير إليها مدونات مجموعة التماثيل الثلاثية بصفتها « سيدة الجميزة » . فسيدة الجميزة هى فى واقع الأمر الإلهة الأم المرتبطة بجبانة طيبة سواء على هيئة « إيزيس » أم على هيئة « حتحور » . كما نشاهدها فى وقت لاحق على هيئة شجرة ترضع « تحوتس » الثالث فى مقبرته . (Mekhitarian : 1954 , 38) . وإذا أخذنا بهذا التفسير فبمقدورنا أن ندرك حقيقة وظيفة معبد الوادى بعيداً عن الإطار الضيق الذى حددناه له كمجرد موقع للاستقبال أو التطهر . فهو مكان العودة الى الحياة . فبعد الفراغ من مراسم الدفن تبدأ فيه تماثيل الملك فى ممارسة الشعائر التى أقيمت لصاحبها خلال عملية التحنيط لتظل تمارسها إلى الأبد . ويمكن النظر إلى تلك الممارسات باعتبارها إرهاصات لمقاصير الـ « ماميزى » أو « بيت الولادة » التى أقيمت فى المعابد فى زمن لاحق . كما أنها مكان العودة إلى الحياة لحظة الانتقال من الحياة إلى الموت . ولا يسمح تصميم معبد الوادى بتأكيد ما ذهب إليه البعض من استخدامه فى عمليات التحنيط التى كانت تستغرق سبعة أيام حسب رواية هيرودوت . بل تؤكد العديد من الشواهد تشييد تلك المنشآت خارج نطاق المعبد وربما كانت مبانى مؤقتة غير دائمة . وأيا كان الأمر يظل معبد الوادى هو نقطة عبور المتوفى إلى الهرم .

وينتهى الطريق الصاعد إلى معبد الشعائر وهو آخر نقطة اتصال بين أرض الأحياء وأرض الأموات . وقد يكون الطريق الصاعد مسقوفاً أو مزخرفاً على نحو ما نشاهده فى الطريق الصاعد إلى هرم « أوناس » بسقارة والذى يمتد لمسافة سبع مائة متر . وتشبه المواضيع الزخرفية تلك التى تزين هياكل مقابر الأفراد ولكن بالمقياس اللائق بالملك : من تصوير لتوريد منتجات الأملاك ، ومشاهد اقتصادية ، وتربية الحيوان والقنص والصيد المائى ، وصور الحياة اليومية إلى جانب تشييد المعبد وإمداده بالمؤن ، والمشاهد التى تسجل أهم الأحداث التى وقعت خلال حكم الفرعون . ولا بد أن تلك المشاهد قد ظهرت منذ الأسرة الرابعة ، ولكن يستحيل وصفها نظراً لأن الزمن لم يحفظ لنا وثائق لتوضيح الأمر . كما نشاهد نقل الأساطين الجرانيتية ، التى يوزن بها المعبد من أسوان ، ومراكب الأقاليم والسفن العائدة من حملة بيبيلوس ، والمعارك ضد البدو وتصاوير فريدة بالنسبة لهذا

العصر، تمثل جموع الجائعين القاطنين فى الصحراء ، وفسرها البعض على أنها نذر المجاعة التى ستجتاح البلاد... بعد أربعة قرون !

حتى نهاية الأسرة الثالثة ظل معبد الشعائر ملاصقاً لجهة الهرم الشمالية. ولما تغير اتجاه الهرم بدءاً من هرم ميدوم ليتفق ومسار الشمس، أصبح ملاصقاً لجهة الهرم الشرقية . ويتكون المعبد من قسمين: يشمل القسم الأول ردهة تفضى إلى فناء، أضيف له رواق بدءاً من عهد «خوفو» ، ويطلق على هذا القسم بالتحديد اسم معبد الشعائر . ويضم القسم الثانى المعبد الخاص حيث توضع التقدّمات أمام الباب الوهمى. وتقام تماثيل الملك فى هياكل خاصة تنعم فيها بالتقدّمات وما يقام لها من شعائر. وقد تقف تماثيل الملك فى صحبة بعض أفراد العائلة المالكة على نحو ما نشاهده فى تمثال «جدفرع» المحفوظ فى متحف اللوفر . وتشكل التقدّمات الجنائزية والشعائر المكرسة للتماثيل الملكية الوظيفتين الأساسيتين لنشاط المعبد .

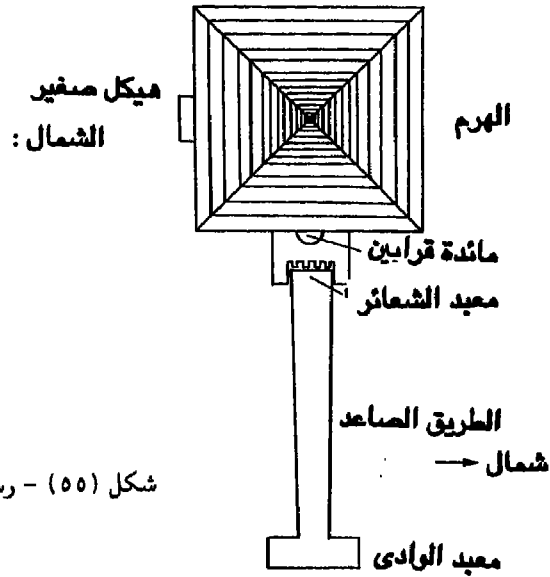
واعتباراً من «ساحورع» ألحقت بمعبد الشعائر بعض المنشآت كالمخازن ، وتزايدت أعدادها ، وأصبح الحد الفاصل بين معبد الشعائر والمعبد الخاص أكثر وضوحاً . وتمحورت الشعائر الملكية فى المعبد الخاص حول عيد « السد » وطقوس التجديد ، لا سيما مشاهد الرضاعة الإلهية . ويركز معبد الشعائر على مشاهد القنص والقتال إلى جانب طقوس إبادة الأعداء . كما تبرز صور الملك فى علاقاته مع الآلهة مع الاحتفاظ بمكان الصدارة للشعائر الخاصة بالتماثيل .

وازدهر عنصر آخر على مقربة مباشرة من الهرم ، فظهرت الحفر المخصصة للمراكب المصنوعة من الخشب . ولقد ظهرت هذه المراكب منذ العصر الثينى لتعاون المتوفى فى ملاحظته فى العالم الآخر يصحبه فيها الإله رع . وقد عثر المنقبون على خمس حفر موزعة عند سفح وجهى هرم « خوفو » الشرقى والجنوبى . وتوصلت أعمال التنقيب فى إحدى الحفرتين الواقعتين جنوبى الهرم عام ١٩٥٤ إلى اكتشاف مركب تم إعادة تجميعه فى الوقت الراهن ليعرض فى المتحف الملاصق للهرم . ولم تكن هذه المراكب تصنع دائماً من الخشب ، إذ تضم مجموعة « أوناس » ما يشبه مركبين من الحجر المرمر جنوبى الطريق الصاعد .

معبد الشمس

ونلتقى بتلك المراكب كعنصر من عناصر فط معمارى آخر ، هو معابد الشمس التى

ظلت حكرًا على الأسرة الخامسة . وهى تشبه المجموعات الهرمية من حيث البنية ، رغم صعوبة المقارنة بينهما ، لكون الأولى معابد وليست مقابر . وتقع معابد الشمس التى حفظها الزمن من الاندثار فى منطقة تمتد من أبو صير إلى أبو غراب . ويعتبر معبد الشمس الذى شيده « نى أوسر رع » فى أبو غراب من أحسن المعابد التى يسهل تصور تصميمها . وربما شيد على طراز معبد الشمس فى هليوبوليس الذى اندثر إلى الأبد تحت وطأة التوسع العمرانى لمدينة القاهرة .



شكل (٥٥) - رسم تخطيطى نموذجى لمجموعة جنائزية .

ويتكون معبد الشمس من نفس العناصر التى تتكون منها المجموعة الهرمية . ونبدأ بمعبد الوادى الذى سجلت على سطوح جدرانته المراسيم التى تحدد إمداده بالتقدمات وهو يرتبط بالمعبد العلوى من خلال طريق صاعد . ويتكون المعبد العلوى من فناء مكشوف يتوسطه مذبح أقيم فى مواجهة الـ " بن بن " وهو الحجر الذى يجسد الشمس كإله خالق ، طبقاً لعقيدة هليوبوليس اللاهوتية ، وهو عبارة عن مسلة ناقصة أقيمت فوق منصة عريضة . ويتكون مذبح معبد " ساحورع " من أربعة مذابح تشكل جزءاً واحداً نحت فى كتلة واحدة من الألبستر . ويتجه كل مذبح نحو إحدى الجهات الأصلية الأربع . وتقام الشعائر فى الهواء الطلق كما هو الحال فى مختلف معابد الشمس المعروفة ، سواء المعابد التى اندمجت فى المعابد الجنائزية التى ترجع إلى الدولة الحديثة أو معابد العمارة حيث أخذ اخناتون يتعبد لقرص الشمس . وكانت هى الأخرى مجهزة بفناء لقصب

الأضاحى . ومن النقوش التى أبقي عليها الزمن تصاوير الشعائر واحتفالات عيد "السد" . كما نجد أيضا عند " نى اوسر رع " مجموعة فريدة من النقوش تزخرف سطوح ممر صاعد يلتف حول قاعدة الـ " بن بن " وتمثل مايعرف اصطلاحا بمشاهد " فصول السنة " والتى سجلت فيما بعد على جدران طريق " أوناس " الصاعد ، كما نجد لها صدى فى وقت لاحق فى " حديقة النباتات " التى تزين القاعات الشمسية الواقعة شرق بهو احتفالات " تحوتس " الثالث فى معبد " أمون رع " بالكرنك ، وأيضا نشيد آتون العظيم الذى وضعه أمنحوتب الرابع (أخناتون) .

ويقدم كل عمل من هذه الأعمال وصفا للخليفة على طريقته الخاصة ، إلى جانب نشيد مكرس لمن أقامها ، وجميعها تصور مشاهد من عالمى النبات والحيوان اللذين يحييان ويعيشان بفضل أشعة الشمس . وفيما بعد ستلقى مشاهد مواكب الأقاليم التى تقدم منتجاتها للملك رواجاً عظيماً ، وسنشاهدها عند " أوناس " أيضا ثم فى المعابد المتأخرة بشكل منظم ودائم .

متون الأهرام

فلنواصل حديثنا عن الهرم ذاته . فكما سبق رأينا " أوناس " عند تصميم المنشآت الداخلية لمقبرته يعتمد تصميمها ظل معمولاً به حتى أواخر الدولة القديمة :

فنحن ندلف إلى الهرم من جهة الشمال لنصل إلى دهليز . وبعد أن نعبر ثلاثة متاريس من حجر الجرانيت سبق أن اشرنا إلى مايشبهها عند الحديث عن هرم " خوفو " ، نصل إلى صالة تفضى من جهة الشرق ، أى من ناحية عالم الأحياء ، إلى سرداب رُصت فيه تماثيل المتوفى . وتفضى من جهة الغرب ، أى من ناحية عالم الموتى ، إلى حجرة التابوت . ومع حلول الأسرة الثانية عشرة تم التخلي عن هذا التصميم لإحباط محاولات اللصوص والنهابين .

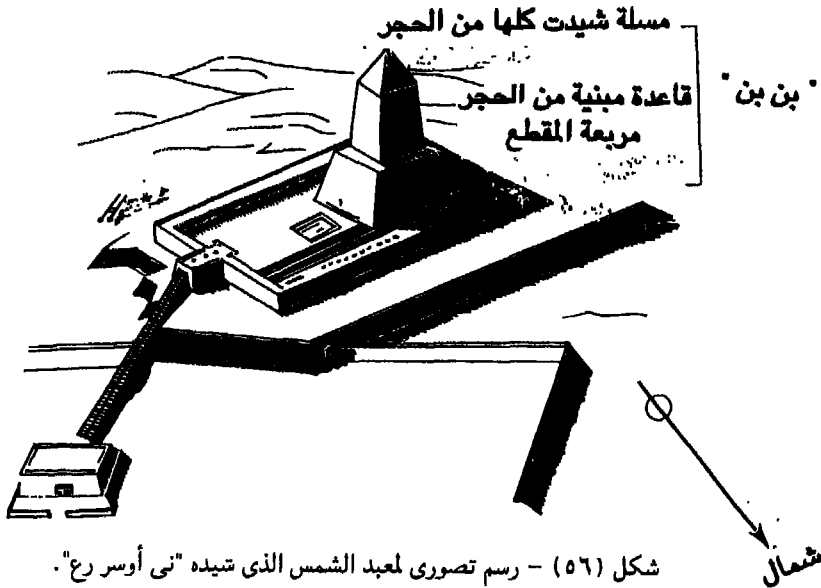
وترجع أهمية هرم " أوناس " إلى أنه أول هرم دُون على سطوح جدرانه الداخلية نصوص جنائزية . ونجد " متون الأهرام " تلك فى مقابر سقارة الملكية عند " أوناس " و " تيتى " و " پيپى " الأول و " مرنرع " و " پيپى " الثانى و " ايبى " . كما نجدها أيضا فى أهرام الملكات " نيت " و " واج إيب تن " و " ايبويت " . كما يرجع وجودها أيضا داخل أهرام الملكات التى اكتشفتها حديثا بعثة الآثار الفرنسية فى سقارة داخل مجموعة " پيپى " الأول الجنائزية . كان " جاستون ماسبيرو " قد اكتشف متون " أوناس " و " تيتى " و " پيپى " الأول و " مرنرع " و " پيپى " الثانى فى عامى ١٨٨٠

و ١٨٨١ . وسرعان ما تولى نشرها . أعاد " كورت زيته " نشرها فى طبعة مقارنة قبيل الحرب العالميه الأولى، ثم استكملها بمقدمة نقدية وشروح وتفسير . بيد أن هذه الطبعة الشامخة قد أغفلت متون أهرام الملكات وهرم " أبيبى " التى تم اكتشافها فى الأعوام ١٩٢٥ - ١٩٣٥ على يدى جوستاف چيكيه G. Jéquier كما أغفلت الشذرات الجديدة التى استخلصت من أهرام " تيتى " و " پيپى " الأول و " مرنرع " بفضل أعمال البعثة الفرنسية فى سقارة التى أخذت على عاتقها إعداد طبعة جديدة لسفر جامع لمتون الأهرام تحت إشراف جان لوكلان J. Leclant . وتتكون هذه المتون من قائمة طويلة من الفقرات ، لا تظهر بعضها سوى عند " أوناس " وإن ظلت فى مجملها تتواتر حتى الملك " أبيبى " . كما وجدت هذه المتون فى سفر جنائزى جامع آخر ترجع نسخته الأولى إلى الأسرة السادسة وعثر عليها فى الواحات الداخلة . وظهرت لتحل محل متون الأهرام اعتبارا من الدولة الوسطى ونعرفها اصطلاحا بـ " متون التوابيت " . وعلى عكس نصوص الأهرام فإن " متون التوابيت " لم تكن حكرا على الملوك . بل لقد عثر حديثا فى معبد " پيپى " الأول الجنائزى على آثار التحول من هذه إلى تلك . وتركت " متون التوابيت " بدورها بصماتها على " كتاب الموتى " فى الدولة الحديثة والعصر المتأخر .

وتكون هذه الفقرات فى مجملها طقساً الغرض منه ضمان انتقال المتوفى إلى العالم الآخر فى سلام ليقيم فى عالم الأبرار . وتقدم بعض هذه الفقرات وصفا لصعوده إلى السماوات ليقيم مع النجوم وليتوحد مع الشمس ولينتقل إلى الوضع الأوزيرى . كما تمده بما يلزمه من نصوص ضرورية لتطهره وما يحتاج إليه من تعويذات سحرية تساعد على اجتياز العقبات التى تقف عائقا فى طريقه . وهى تنسب على مايفترض إلى طقوس ترجع إلى العصور العتيقة ، ضاعت فلم تصل إلينا ، سواء بسبب اندثار شواهدنا ووثائقها أم لأنها تولدت من تقاليد تواترت شفاهة لتضيع فى ظلمات الماضى السحيق .

إن قراءة فقرات " متون الأهرام " تمدنا ببعض العناصر التى تساعدنا على التعمق فى فهم التطورات التى مرت بها الدفنات الملكية على امتداد الدولة القديمة حيث كانت المصطبة هى نقطة البداية . إن بنيتها العلوية التى تضم مسكن المتوفى تحاكى الأكمة الأصلية التى بدأ منها " أتوم " عملية الخلق . فالمقبرة إذن هى صورة للخلق . وقد نتساءل فى هذه الظروف عن السبب الذى دفع " ايمحوتب " إلى إقامة هرم فوق المصطبة بعد أن صارت مربعة الشكل . وحسب الشروح التى توفرها المتون فإن الهدف الذى يبتغيه

الملك هو الصعود إلى السماء ليصبح وجوده وجوداً شمسياً ونجمياً في ذات الوقت . ولتحقيق هذا الهدف وضعت تحت تصرفه وسائل متعددة ومتنوعة ، منها الزوايا الرملية الصاعدة التي لا يزال المعاصرون يرون فيها عملاً من أعمال عفريت لعين ، أو بمعاونة الإله " شو " الذي يحمله بين يديه ، أو يتحول إلى طائر ، ويختار الصقر في أغلب الأحوال لقدرته على الارتفاع إلى السماء أكثر من غيره من الطيور . وقد يلجأ إلى أسلوب أكثر شاعرية فيختار البخور المتصاعد من المبخار إلى أعالي السماء . أو أسلوب مبتذل فيستخدم درجاً أو سلماً صنع من أشعة الشمس . والدرج هو الهرم المدرج . وتستعمل العلامة الهيروغليفية الدالة عليه كمخصص للفعل " يعر " الذي يعني " يصعد " . ولم تبق هذه الوسيلة تحت تصرفه لفترة طويلة ، إذ لم يستمر الهرم المدرج لأكثر من قرن من الزمن . فبحلول الأسرة الرابعة حل محله الهرم الأملس الذي يرمز لحجر " بن بن " وهو شعاع الشمس المتحجر الذي يستخدمه الملك للوصول إلى أعالي السماء . فالهرم صورة وظل لنموذج أصلي ، وفيه تكمن قيمته الحقيقية ، شأنه شأن المركب الذي يصاحبه . وكان الغرض من الانتقال إلى الهرم الأملس ثم ظهور حجر " بن بن " ، التوفيق بين " اتوم " و " رع " لما قام بينهما من تناقض وتعارض . وقد جرت أولى المحاولات على أيدي " جد فرع " و " خعفرع " كما أشرنا إلى ذلك من قبل . بيد أن هذا التناقض لم يجد حلاً له إلا بحلول الأسرة الخامسة باندماج أحدهما في الآخر .



شكل (٥٦) - رسم تصويري لمعبد الشمس الذي شيده " نى أوسر رع " .
(نقلًا عن "لودفيج بورخارت" .)

وهكذا اندمج " أوناس " مع " أتوم " فى العالم الأسفل - " دات " - وهو مقابل الأموات الأولية - " نون " - حيث ينشط الإله الخالق . وانبثق منه على هيئة " أتوم " شمسى ، للولوج إلى " دوات " وهو الأفق . وتروى لنا المتون هذا الانتقال الذى يفترض أن تمثال أبو الهول بالجيزة يعبر عنه . إن دلالة متون الأهرام ومغزاها مرتبطان بموقعها فى المقبرة ، وهى تتطابق مع مراسم الدفن كمرحلة أولى ، ومراسم البعث كمرحلة ثانية .

ففى البداية تستعرض النصوص مسار الموكب إلى المقبرة : فالدهليز تقابله الطقوس التى تمارس فى معبد الاستقبال ، والمرهو المقابل للطريق الصاعد ، والصالة لمعبد الشعائر . وتقوم حجرة الدفن مقام المعبد الخاص . أما السرداب فهو مقام صور الملك . هذا النهج فى تفسير قراءة المتون دخولا إلى التابوت واضح جدا فى هرم " پيپى " الأول . ويعد أن يسجى المتوفى فى التابوت تعود القراءة ثانية ، ولكن فى اتجاه الخارج ، وتحمل معنى البعث وتسبغ على حجرات الهرم دلالة رمزية . ويخرج الملك من التابوت ويغادر الـ " دات " - عالم الأموات الأسفل . لقد صار أتوم . ثم يتجه صوب الصالة التى هى بمثابة الأفق ، ومن هنا يستهل صعوده عبر الممر إلى أن يبلغ المتاريس ، وهى بوابات السموات الموصدة بالمزلاج الذى يرمز إلى عضو التذكير للإله " باباى " . وباجتياز الأبواب يصبح فى سرداب الدفن الذى تحول إلى " دوات " - وهو الليل ، عالم النجوم ، حيث يحقق الخلود بينها ومعها .

مقابر الأفراد :

لا ينحصر اهتمام الملك بعد صعوده إلى السماء فى التمتع وحده بنعيم الحياة الأبدية . ورغم أنه يصبح من رفاق الإله " رع " فإنه لا يتخلى عن مسئولياته نحو رعاياه الذين يتبعونه إلى دار الآخرة والذين يسعون بوسائلهم الخاصة إلى بلوغ الخلود أفرادا ، وإن ظل رجاؤهم معقودا على رعاية الملك لهم . وضمانا لذلك تخلوا عن مصاحبة ملكهم فى نفس مقبرته ، كما كان الحال فى الماضى ، وأخذوا يشيدون مقابرهم الخاصة على مقربة من الدفنة الملكية . فاقبضت مدن جنائزية حقيقية بأكملها ، مقابرها هى المنازل ، تفصلها طرقات وتقسماها إلى أحياء ، تزداد رقيا كلما دنت واقتربت من هرم

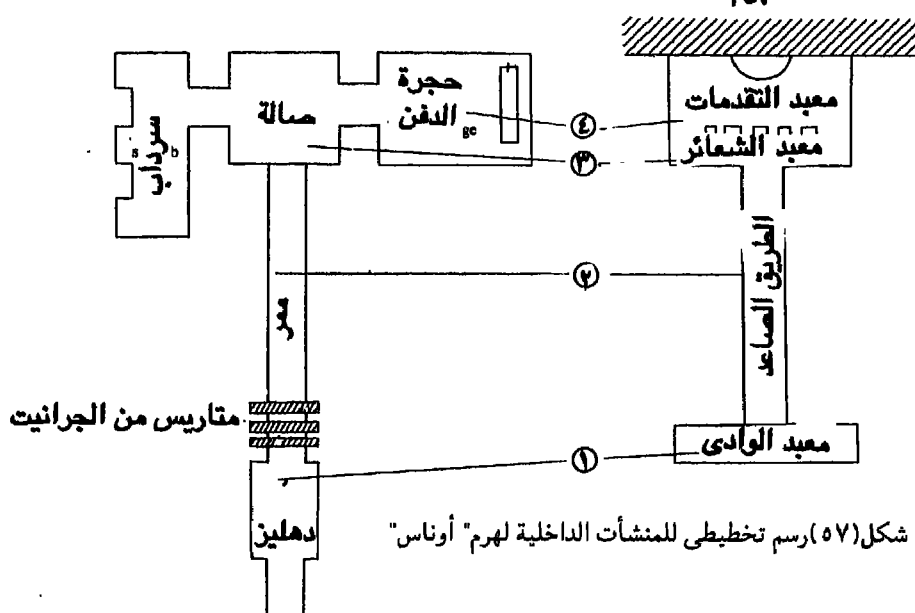
الملك ، طبقا لمستوى صاحبها الاجتماعى . وعلى هذا النحو ينتقل التدرج الطبقي إلى العالم الآخر بعد وفاة الأفراد . فيستمر النبلاء ورجال البلاط والموظفون يشغلون مناصبهم إلى الأبد إلى جوار مليكهم ، كما كانوا فى السابق .

وظلت " المصطبة " هى النمط المعمارى السائد فى مقابر الأفراد فى ظل الدولة القديمة . وينسحب مفهوم " الأفراد " على مجموع السكان باستثناء الملك بل ويمتد ليشمل أفراد العائلة المالكة ايضا . ويزول أى لبس إذا أدركنا أن الأمراء قد اضطلعوا بدور سياسى وتصدروا مسرح الأحداث بصفتهم موظفين حتى وإن ازداد تأكيدهم على الألقاب الدالة على أصولهم أو مصاهرتهم للعائلة المالكة . أما وضع الملكات فمن الأمور التى يصعب تحديدها وتقييمها . فهن لايحظين دائماً بشرف إقامة هرم يلحق بهن زوجهن . وعموماً فإن وجه الشبه بين النمط المعمارى لمقبرتهن والنمط الملكى ، قد يزداد أو يقل حسب أهمية الملكة ودورها ، وهى التى تلقب عادة بزوجة الملك أو والدته . ومن أبرز الأمثلة " حوتپ حرس " و " الدة خوفو . و " خنتكاوس " التى تصورها نصوص مقبرتها فى الجيزة " كوالدة الملكين " ، كما عبدت كمؤسسة للأسرة الخامسة فى " أبو صير . أما " نيت اقرت " فهى الملكة الوحيدة الحقيقية . وللأسف لم يتم الكشف عن الهرم الذى ينسب إليها طبقا لما ترويه الروايات المتواترة .

اقتفت المصطبة فى تطورها أثر الهرم ولحقت به عندما تخلت قرب نهاية الأسرة الثالثة عن البناء بالطوب واستبدلته بالحجر السجلى . ثم شاع خلال الأسرة الرابعة استخدام الحجر الجيرى السليسى أو الصوانى الذى يمتاز بجمال المظهر . ثم أضيفت كسوة من الحجر الجيرى الأملس . لقد جاء التطور أكثر وضوحاً فى الجزء العلوى ، منه فى الجزء السفلى . حتى استقر على النحو التالى كنمط ثابت :

كان تطور حجرة الدفن محدوداً وبطيئاً ، فهى مستقر الجسد فى المقام الأول . انها مربعة أحياناً أو مستطيلة فى أحوال أخرى بل ومستديرة فى بعض الحالات . وفى الأسرة الرابعة كانت تشيد فى الأغلب بالطوب وسقفها من الحجر على هيئة قبو متدرج (راجع ماورد فى هذا الفصل حول " مجموعة الجيزة ") . وتحتوى على تابوت مستطيل ، صنع من الحجر ، سواء الحجر الجيرى أو الحجر الأسوانى ، حسبما يوجد به سخاء الملك . فبفضل كرمه يستطيع صاحب المصطبة أن يحصل على تابوت . اذ يستحيل عليه دون ذلك - كما لاحظنا - أن يتحمل بمفرده أعباء حملة إلى محاجر طرة أو حتنب أو أسوان . ومن الصعوبة بمكان تأكيد تحنيط الجسد من عدمه . لقد اشرنا من قبل إلى أن

الهم



الطقوس والشعائر الجنائزية

لم يسجل المصريون وصفا لعملية التحنيط بتفاصيلها وجزئياتها ، كما لم يصلنا مرجع واحد يتناول هذا الموضوع . ولم تتعرض المناظر صراحة لعملية التحنيط وبالأوضح المطلوب . وما ورد فيها من إشارات وإيماءات يقتصر على الجانب الديني ، ويمرر

الكرام على الأساليب الفنية والتقنية . ونحن نستمد معارفنا الأساسية من الكتاب الإغريق من أمثال هيرودوت ، وديودور ، وبلوتارك وسورفير . وفى استطاعتنا استعراض هذه العملية فى خطوطها العريضة مع دلالتها الرمزية التى كانت محور اهتمام المصرى القديم . وحسبنا أن " نزع اللقائف " هى الوسيلة الوحيدة التى تتيح حقاً الفرصة أمام العلماء لفحص المومياوات بالأساليب الفنية الحديثة وتوفر بعض المعلومات التى تتناقض أحياناً مع الأفكار التى وصلتنا حول التحنيط ، وهو ما سجل أثناء علاج مومياة رمسيس الثانى . كما حدث مؤخراً ، وفى عام ١٩٨٦ ، على وجه التحديد ، أن قام فريق يضم مجموعة من الباحثين فى مختلف فروع المعرفة بفحص مومياة من العصر المتأخر مجهولة الهوية وموجودة حالياً فى متحف مدينة ليون الفرنسية Josset-Goyon:1988 فمئذ الدولة الحديثة على الأقل كانت عملية التحنيط تمر بالمراحل التالية:

بعد الوفاة مباشرة يُنقل المتوفى إلى " بيت التطهر " وهو المكان المخصص لعلاج جثمانه تحت إشراف كاهن جراح إخصائى فى إعداد الجثث للحنيط . فيسجى المتوفى فوق مائدة خاصة ، ويتم استخراج مخه ، كما يتولى الكاهن إحداث شق أسفل البطن فى الجانب الأيسر مستخدماً سكيناً من الظران حسبما تقتضيه الطقوس الجنائزية . وتفرغ أحشاء المتوفى من خلال هذه الفتحة بعد نزع الحجاب الحاجز . أما الأعضاء المستخرجة فيتم معالجتها كل عضو على حدة ثم تحنط وتلف باللقائف . وبعد ذلك ظل المصريون من الناحية النظرية حتى عصر الانتقال الثالث يضعونها فى أوان خاصة . وعثر على آثارها الأولى ضمن أثاث " حوتب حرس " الجنائزى وهى والدة " خوفو " . وبسبب تأويل خاطئ لـ " اثناس كيرشر " تعرف هذه الأوانى اصطلاحاً " بالأوانى الكانوبية " .

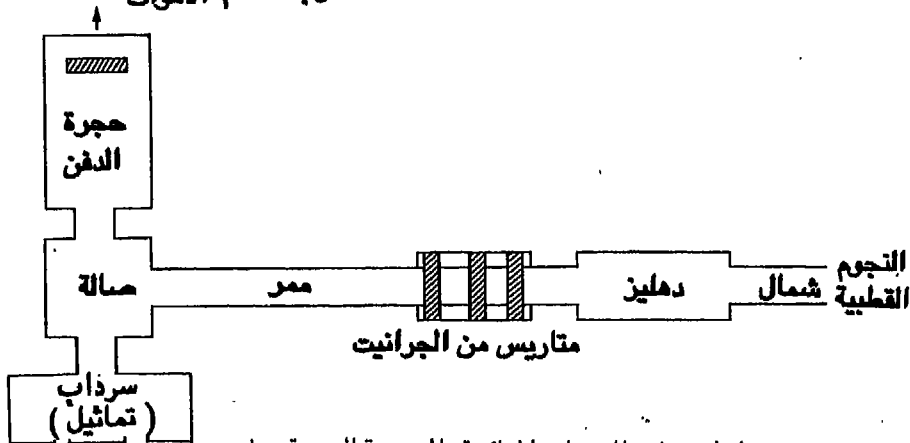
وكانت هذه الأوانى تحت حماية أبناء " حورس " الأربعة " أمستى " و " حابسى " و " دواموتف " و " قبح سنوإف " . ووظيفتهم من الناحية النظرية السهر على سلامة الكبـد والرئتين والمعدة والأمعاء على التوالى . وتوضع الأوانى فى حجرة الدفن . وفيما بعد اكتفى المصرى بحنيط الأحشاء ثم إعادتها إلى مكانها داخل الجسد على هيئة لفة " كانوبية " . أما القلب والكليتان فتبقى حيث هى ، لا سيما وأنه كان من الصعب على كل حال الوصول إليها .

وبعد الانتهاء من إخراج الأحشاء يأتى دور المحنط الذى يتولى " تمليح " الجسم

الذى يوضع فى النطرون لمدة خمسة وثلاثين يوما ، الأمر الذى كان يتسبب فى اسوداد البشرة . وللتقليل من هذا الأثر السلبي لجأ المصرى إلى صبغ بعض أجزاء الجسم بالحنة أو دهنها بالمغرة الحمراء بالنسبة للرجال أو الصفراء بالنسبة للنساء ، أسوة بما كان متبعاً مع التماثيل والنقوش . ويقوم أهل المتوفى فى المعتاد بتوفير قطع من القماش لحشو البطن بلفائف مشبعة بالصمغ والعطور ومختلف الأدهان ، الغرض منها الإبقاء على المظهر الخارجى لجسم المتوفى مع ضمان سلامة حفظه . وتغطى فتحة البطن بلوحة صغيرة يتكفل أبناء " حورس " بحمايتها .

وبعد إعادة تشكيل الجسد على هذا النحو يُنظف ويطهر . ثم تبدأ عملية لف المومياء التى تمر هى ايضا بمراحل متعاقبة . بادىء ذى بدء يلف كل عضو على حدة ، بما

الغرب : عالم الاموات



شكل (٥٨) - رسم تخطيطى مقارن للحجرات الجنائزية والمجموعة الهرمية

الشرق : عالم الاحياء

فى ذلك الأصابع وعضو التذكير بأشرطة كتانية . ثم يلف الجسد بنفس الطريقة بعد أن يغطى بقطعة نسيج كبيرة تقوم مقام الكفن . وتتم عملية اللف تلك وفقا لطقوس دقيقة ومحددة تظل ثابتة لاتتغير ، سواء كان المتوفى ملكا أم فردا عاديا . أما الفارق الوحيد بين شخص وآخر فيكمن فى قيمة التماثيل التى توضع فوق بعض أعضائه ونوعية النسيج المستخدم . واعتبارا من الدولة الحديثة تضمنت لفائف المومياءات نصوصا جنائزية إلى جانب ما يوضع بين ثناياها من قوائم وحلى ، فيوضع أحيانا بين ساقى المومياء نسخة من "كتاب الموتى" ، وأخيرا يغطى مكان الوجه بقناع غالبا ما كان يصنع بأسلوب "الكرتوناج" أو من مواد نفيسة بالنسبة لعلية القوم بالمزج بين الذهب وهو لحم الآلهة واللازورد وهو شعرهم . وابتداء من الدولة الحديثة أخذ هذا القناع يتطور حتى أصبح مجرد " لوح " يغطى الجسد بأكمله يستعمل كغطاء للتأبوت ، وفى مرحلته الأخيرة تحول إلى

مايسمى بـ " بورتريهات " أو صور الفسيوم الشخصية الملونة بطلاء شمعى . وتوسد المومياء فى تابوت ظل هو الآخر يتطور عبر الزمان ، وفى بادىء الأمر غلب عليه دوره كبديل لمنزل المتوفى كما يشهد على ذلك شكله المربع وزخرفة " واجهة القصر " .

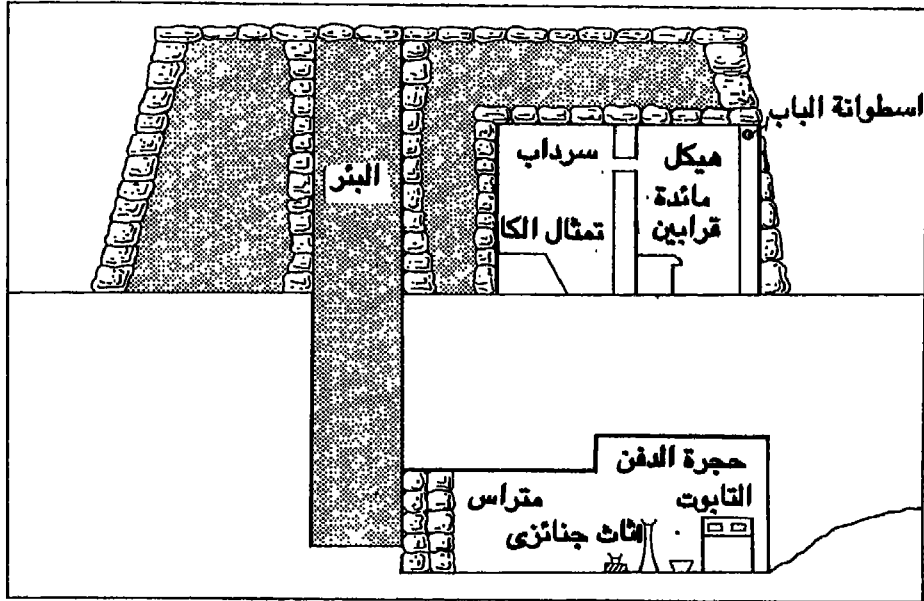
واعتبارا من الأسره السادسة بدأ المصرى يدون فقرات التقديمات على التوابيت التى احتفظت بدورها كباب وهمى . وحملت أفاريزها صوراً توضيحية بديلة للتقديمات ، كما نصادف منذ ذلك الوقت المبكر ، بعض فصول " متون التوابيت " (Vallogia : 1986 - (74 - 78) التى ترجع نماذجها المعروفة إلى الدولة الوسطى على وجه الخصوص . كما تطورت أيضاً أشكال التوابيت والمادة التى تصنع منها . فنميز بين التابوت على صورة صندوق ، المصنوع غالبا من الحجر وقد ينحت فى صخر المقبرة ذاته ، وبين التابوت الذى ظهر مع الدولة الوسطى واتخذ شكل جسم الإنسان .

أما المتاع الجنائزى فيظل كما هو مكونا من نفس العناصر الأساسية من مسند الرأس وأدوات الأكل واللوازم الشخصية وبقايا الوجبة الجنائزية . ومن الآن فصاعدا سوف تغلق حجرة الدفن بمتراس على غرار المقابر الملكية . وتوصد فتحة البئر بعد الانتهاء من المراسم الجنائزية . وقد تجهز بسلم أو بمرم ينتهى عند الفناء الواقع أمام البنية العلوية للمصطبة . أما الهيكل الموجود فى البنية العلوية فقد تعرض لأعمق التطورات . وحتى عهد " سنfro " ظل تخطيط الهيكل تخطيطا صليبيا متعامدا ويقع عند جدار المصطبة الشرقى ، وجاء كتطور منطقى للكوة الأصلية التى كانت تقوم بدور الباب الوهمى . وفيما بعد تغير هذا التخطيط . وصنفها المتخصصون تصنيفا نموذجيا معقدا إلى حد كبير يستند إلى نظام الهيكل العام ووجود الكوات وعدد الحجرات الخ... . وجاء التطور الحاسم من الجيزة مع انتظام استخدام الحجر الذى أحدث تغييرا شاملا فى المظهر الخارجى للمصاطب .

وأمكن زيادة ميل الجدران بالمقارنة مع الجدران المقامة بالطوب ، بالإضافة إلى تخصيص مسطحات ضخمة للزخرفة الداخلية . واقتصرت التوسعات التى حدثت مع الأسرتين الخامسة والسادسة على زيادة عدد الحجرات واستغلالها لتعديل نظام المصطبة العام . وهكذا وصلت المصطبة إلى ذروة ازدهارها فشيء المصرى أجمل النماذج وأقخمها . ثم اندثر هذا النموذج من الدفنان مع سقوط الدولة القديمة .

وفى عام ١٨٦٥ اكتشف " أوجست مارييت " مقبرة " تى " الذى سبق أن اشرنا الى المناصب التى تقلدها على امتداد حياته . ولا زالت هذه المصطبة إحدى القمم البارزة

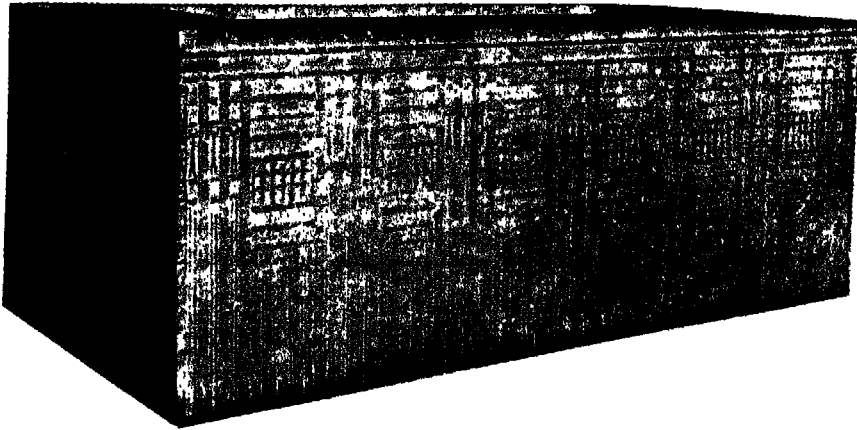
لفنون الدولة القديمة الجنائزية من الناحية المعمارية ، ومن ناحية روعة نقوشها على حد سواء . ويصور الدهليز (١) على جانبي الباب موكب الست وثلاثين ضيعة التي يمتلكها المتوفى وتقديم خيرات المزارع وحظائر الطيور، كما سجل " النداء إلى الأحياء " ، وهى رسالة موجهة إلى كل زائر تدعوه إلى تلاوة فقرات تقديم القرابين لمنفعة المتوفى.



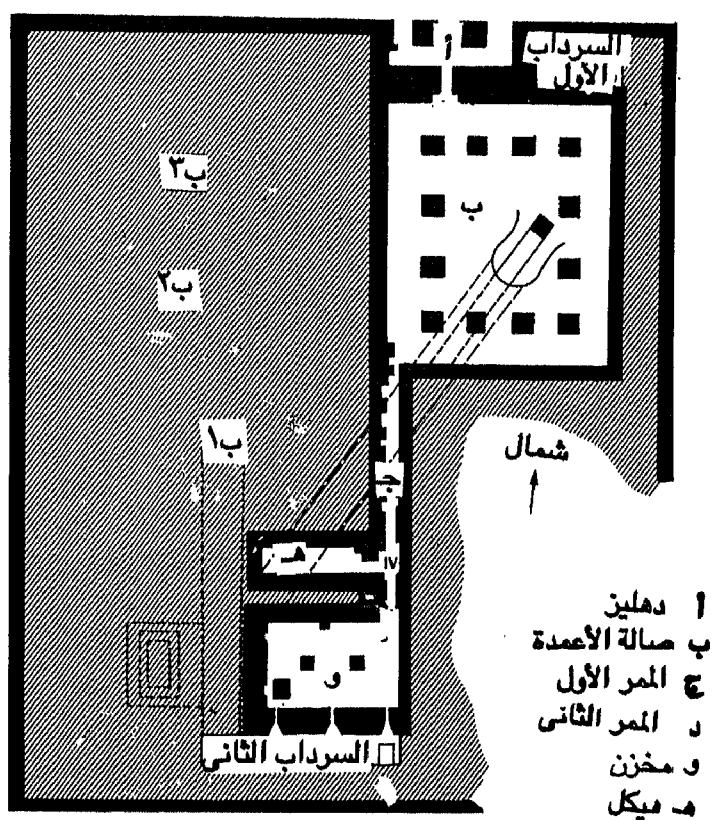
شكل (٥٩) - مقطع طولى فى نموذج نمطى لمصطبة .
(نقلًا عن Desroches-Noblecourt: 1946, 54)

حيث ان تلاوة هذه الفقرات على لسان أحد الأحياء ، يجسدها فيضمن بذلك معاش صاحب المقبرة . وتندلف من الباب إلى صالة الأعمدة (ب) التى زينت جدرانها بمشاهد تروى صورا من الحياة فى الضياع وتقدم مناظر أقفاص الطيور وتدجينها وتقديم الحسابات إلى جانب مشاهد ترتيب الإجراءات الجنائزية ونقل المتاع الجنائزى بينما يتجه "تى" محمولا على محفة إلى مقبرته يصحبه كلبه الأليف . ويطل السرداب الأول على هذه الصالة ، وفيه تم اكتشاف تمثال لصاحب المقبرة نقل إلى المتحف المصرى حيث يعرض الآن . (CGC 95) . كما يوجد بالصالة لوحة باب وهمى باسم " دمج " بن " تى " ومن رجال البلاط أيضا . وعلى مسافة بسيطة وفى الممر الأول يوجد باب وهمى آخر مكرس لزوجته صاحب المقبرة

"نفر حوتب إس" . وتصور النقوش "تى" وهو يمارس مهامه الكهنوتية ومشاهد عزف الموسيقى والرقص وإبحار الزوجين فى رحلة نهريّة . أما مشاهد الممر الثانى (د) فتصور زيارة "تى" لأملاكه فى الدلتا ثم عودته إلى منف ونقل التماثيل ومشاهد تقديم القرابين . ويفتح الممر على الحجرة (هـ) التى كانت تستخدم مخزنا . وتزخر جدرانها بنشاط الفخاريين وصناع الجعة والخبازين وتسليم التقدّمات تمهيدا لتخزينها . وأخيرا وفى أقصى المقبرة يوجد الهيكل الذى يتصل بالسرداب الثانى بواسطة فتحات ثلاث . وعلى جدران الهيكل تتجمع كافة المواضيع السابقة لتوفّر لسيد المكان جميع العناصر الضرورية لمعاشه فى دار الآخرة . ويصور الجدار المواجه للسرداب مواكب الضياع والصيد المائى والقنص فى المستنقعات وتربية الحيوان . أما مناظر الزراعة ونهر النيل فيشاهدها "تى" وأسرته وفى صحبتهم حيواناتهم الأليفة . وتصور مناظر الجدارين الجنوبي والشرقى جنى المحاصيل وحصادها واستعراض الماشية وتقديم الحسابات وشتى الحرف وألوانها .



شكل (٦٠) - تابوت على هيئة "واجهة قصر" . عثر عليه فى أبو رواش . محفوظ فى متحف اللوفر



شكل (٦١) - رسم تخطيطي لمصطبة "تي" في سقارة .

لقد أصبح وجود هذه اللوحات والمشاهد من الضروريات التى تزين جدران جميع الهياكل . وسوف تتحول قرب نهاية الاسرة السادسة إلى صور تشكيلية تعرف اصطلاحا "بالنماذج" . وإضافة إلى ماسبق نشاهد بالطبع مناظر نحر الماشية وقصبها والتقدمات وقد وزعت على جانبى بابين وهميين مندمجين فى الجدار الغربى عند نقطة التماس بين عالم الموتى وعالم الاحياء .

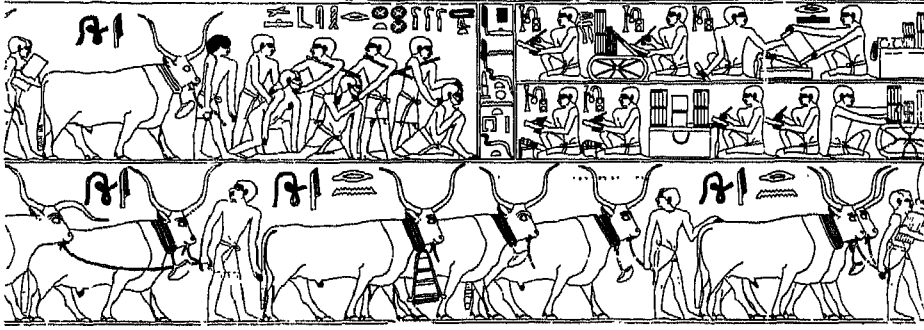
إن الخطوط العامة لزخرفة الهياكل واحدة تقريبا فى جوهرها . فيستقبل المتوفى زواره عند باب المصطبة الذى يحمل صورته وألقابه . وقبله باب المدخل يوجد الهيكل وعلى جداره الغربى باب وهمى واحد أو أكثر يسمح له ولذويه بأن ينعموا بالتقدمات . ويخصص للمتوفى الباب الوهمى الواقع جهة الشمال أما الواقع جهة الجنوب فهو لزوجته . ويزدان جانب الجدار الواقع بين البابين الوهميين بزخارف نباتية أو نقوش تقلد النسيج المطرز . وعلى الجدار المقابل للأبواب الوهمية نشاهد مناظر جنائزية بمعنى الكلمة ، كرحلة الحج النهرية إلى المدينتين المقدستين "بوزيريس" و"ابيدوس" وقد تم تسجيلهما فى القسمين الشمالى والجنوبى من الجدار حسب الوضع الجغرافى لجهة الحج المعنية . وقد زين الجداران الشمالى والجنوبى بمشاهد مستمدة من حياة الضياع كالزراعة وتربية الحيوان والألعاب والفنون والحرف المختلفة . ونشاهد على الجدار الجنوبى مناظر إطلاق البخور للتماثيل القابعة فى السرداب المقام خلف هذا الجدار.

وساد الجانب الأكبر من هذا الأسلوب الزخرفى فى المقابر المنحوتة فى الصخر ، وهو نمط جديد من الدفنيات استحدث خلال الأسرة الرابعة وظهر أول ماظهر منحوتا فى هضبة الجيزة ولاقى رواجا عظيما فيما بعد . وترتيب الحجرات مشابه لترتيب حجرات المصطبة : الصالة فالهيكل ثم السرداب . كما توجد فى الهيكل أيضا فتحة البئر التى تفضى إلى حجرة الدفن أو توجد فى حجرة خاصة . ويكمن الفارق الوحيد بالطبع فى حجم المقبرة . وقد نحتت واجهتها بزوايا مائلة للإيحاء بمدخل المصطبة . فحيثما استحال تشييد المصطبة بسبب طبيعة الأرض حلت محلها المقبرة المنحوتة فى الصخر . حقا لقد أخذت مدن الأقاليم بنفس نمط الدفنيات السائد فى عاصمة البلاد ، غير أن المكان المناسب لم يتوفر لها دائما لإقامتها ، وهو ماحدث فى مصر الوسطى على وجه الخصوص حيث اقيمت الجبانات فى الجرف المشرف على الوادى . ومن هنا جاء اختيارهم للمصطبة "الصخرية" ، كما حدث على سبيل المثال فى جبانة طهنا اعتبارا من الأسرة الرابعة . وقد أقام حكام إقليم



شكل (٦٢) - هيكل "تى" : الباب الوهمى الشمالى

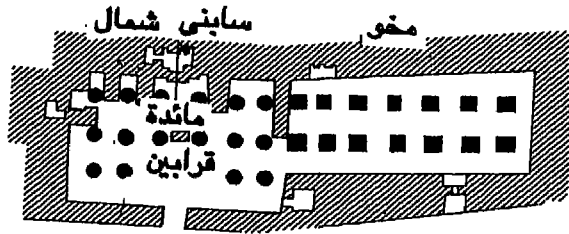
(رسم هنرى فيلد)



شكل (٦٣) - هيكل "تي": موكب الجاموس وتقديم الحسابات (رسم هنري فيلد)



شكل (٦٤) - هيكل "تي": عبور المخاضة.

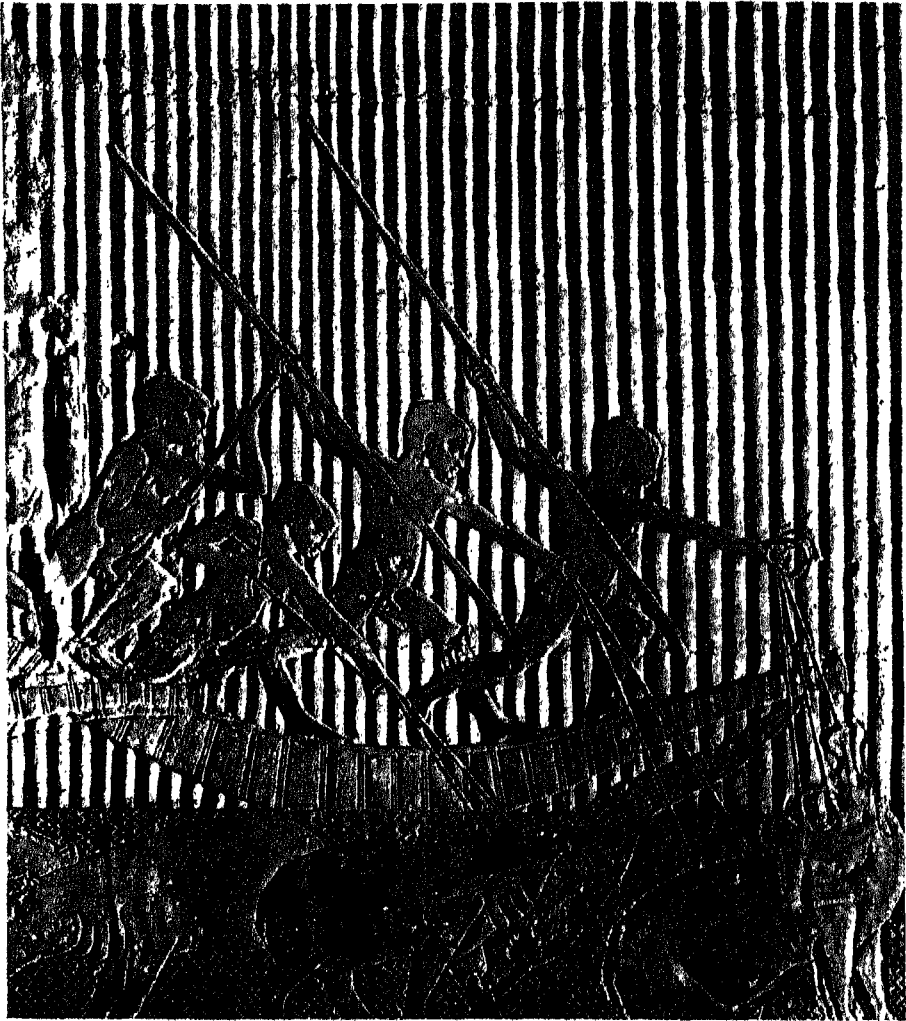


شكل (٦٧) - رسم تخطيطى لمقبرة "سابينى " و "مخو" بأسوان

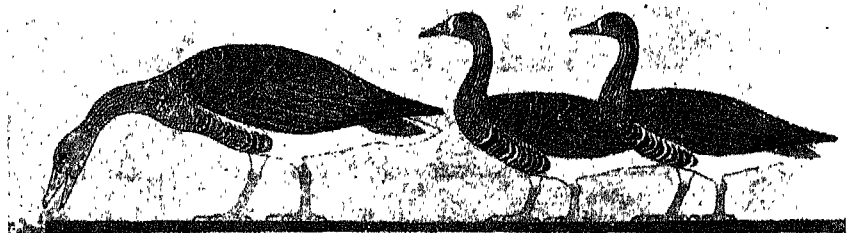
لا تحمل الواجهة أى زخارف. يخترقها باب مزود بقطمتين من الحجر تشبهان النصب الحجرية التى تزين مداخل مصاطب حكام الواحات الداخلة والتى ترجع إلى نفس العصر. وعرض الهيكل ذاته اكبر من عمقه ويتخلله ثلاثة صفوف من الأعمدة. يتكون كل صف منها من ستة أعمدة. وتقع وسط الصف الأوسط من الأعمدة مائدة قرايين. وتوجد مائدة قرايين وسط الصف الثانى من الأعمدة وقد زخرفت المقبرتان بمواضيع تقليدية.



شكل (٦٦) - أوز "ميدوم": من مصطبة "إيتت" بميدوم تصوير على الجص المغطى بطلاء من الصلصال.



شكل (٦٥) - هيكل "تي" : الصيد في المستنقعات.



"الأرنب" هذا النوع من المقابر فى الشيخ سعيد جنوب ملوى . ونذكر منهم حكام الأسرة السادسة الأقوياء " ميرو " و " واو " و " عنخ تيتى " . وأقيمت نفس المقابر فى دير الجبراوى وأسوان بصفة خاصة ، فتضم جبانته حوالى ثلاثين مقبرة من هذا النوع .

لقد جاء هذا التغيير استجابة لضرورة التكيف مع واقع تضاريس الأرض، وأحيانا لاتصلح الأرض لبناء المصطبة التقليدية ولا المقبرة المنحوتة فى الصخر كما هو الحال فى الواحة الداخلة حيث لاتسمح التربة الطينية بإقامة بناء من الحجر . عندئذ يلجأ المعمارىون إلى أسلوب مختلط يمزج بين إقامة حجرة الدفن من الحجر داخل حفرة فى التربة الطينية من ناحية ، ثم تشييد الجزء العلوى من الطوب القائم على أساسات وحشوات صنعت من نفس المادة (Vallogia: 1986,43-48). وصارت الغلبة للمقبرة الصخرية فى نهاية المطاف لاشئ إلا لانتقال مركز البلاد السياسى صوب الجنوب ، فأقيمت الجبانات فى الجرف الصخرى ذاته وليس فوق الهضبة .

مواضيع الزخرفة

تعتبر المناظر التى تزخر بها المقابر مصادر قيمة للإلمام بالحياة الاقتصادية فى الدولة القديمة وإمدادنا بقدر من المعارف حول بعض جوانب الحياة الاجتماعية فيها . كما تحيطنا علماً بالعادات والمعتقدات الجنائزية ذاتها . ونلاحظ فى المقام الأول أن الفرد العادى ينعم فى قبره بعد وفاته بحياة تطابق حياته الدنيوية خلافاً لما يحدث للملك الذى يصعد إلى أعالي السماء ، وأن مجاورة المتوفى للإله ، أى مجاورته للملك ، هو خير ضامن لاندماجه فى عالم الإله ، وأن التنظيم الذى يتحكم فى الجبانة كما عرضنا له من قبل هو تجسيد عينى لمفهوم المجاورة تلك . ومن هنا فإن الملك حاضر كل الحضور فى مقبرة كل فرد من الأفراد : بداية من المنحة التى حصل عليها كل واحد منهم بحق استغلال الأرض التى هى جزء من المنطقة التى ارتبطت بمصير الملك الجنائزى ، وأيضاً من خلال شتى عناصر الهندسة المعمارية الرئيسية كالتابوت والباب الوهمى ومائدة القرابين الخ . . . وأخيراً وليس آخراً ، من السيرة الذاتية لصاحب المقبرة الذى يتبع الملك تبعية كاملة ، فهو " إيماخو " كما سبق لنا القول . كما تقتزن محتويات المقبرة بإسراف شديد فى التدابير الاحتياطية التى تتخذ فى السرداب بغرض توفير أكبر قدر من عمْد الروح وركائزها من قماثيل أو مجرد رؤوس بديلة بالإضافة إلى النصوص والمناظر . فترسم لنا صورة للكون تنحصر أبعاده فى الواقع الأرضى والدنيوى .

وتظل المواضيع الزخرفية متمحورة حول صميم الواقع المرتبط بالمتوفى ، وإن تطورت مع الزمن من حيث التفاصيل . ويمكن متابعة تواصل مختلف مراحل حياة الإنسان ، بدءاً من مراحل الحياة ذاتها بمشاهد الحياة اليومية ، ثم المراحل الأخيرة لانتقال المتوفى من بيت المأتم إلى الأبدية ، ومشاهد المراثى والعويل بجوار جثمان المتوفى والإيماءات الأزلية التى تقوم بها الندابات ، فيتكرر دون ملل أو كلل الأنين الصادر عن قلب يعتصره الأسى والألم لرحيل شخص عزيز . وكأنه مشهد واحد لم يتغير ، يمتد منذ أن وقفت إيزيس و نفتيس تنتحبان على وفاة أوزيريس ، ولا يزال مستمراً حتى يومنا هذا . ثم ينقل الجثمان على متن مركب بمظلة . وتظل النسوة اللواتى أرتدين ملابس الحداد ساهرات عليه حتى يصل الموكب إلى دار التحنيط التى يرعاها الإله أنوبيس حيث تجرى له العمليات التى سبق أن وصفناها . وبعد الفراغ من التحنيط ينقل المتوفى على مايفترض إلى مدينة سايس الواقعة فى الدلتا عن طريق النهر . ويعتبر هذا الطقس الجنائزى رحلة الحج الأولى إلى مكان سوف يقدم فى وقت لاحق طقس " سر " آلام أوزيريس طبقاً لما رواه هيرودوت . ومن ثم تسنح له فرصة التمتع بتقدمة فى المكان الطاهر (واعبت) . وهذه التقدمة غذائية فى المقام الأول ، وتنطوى على طقوس نحر يشارك فيها المعزون ، إلى جانب الكهنة المحنطين والمشرفين على أداء الطقوس . ثم يقوم برحلته الثانية إلى مدينة بوتو المقدسة . وفى واقع الأمر ، لا ينتقل المتوفى إلى هذين المكانين المقدسين بالفعل بل تجرى الطقوس فى إطار الجبانة ذاتها وفى مكانين أطلق عليهما سايس وبوتو . وبعد أن يتوجه المتوفى الى معبد هليوبوليس يصل إلى مدخل الجبانة حيث تنتظره الشعائر الأخيرة التى تكرر انفصاله عن عالم الأحياء : وتجري مجدداً طقوس التطهر بإهراق الماء الطهور وإطلاق البخور بينما تستمر الندابات فى الولولة والنحيب . ثم تبدأ تمثيلية تتعاقب مشاهدنا وتتلاحم مناظرها يمثلها كهنان : فيتجاذبان التابوت متظاهران بالتنافس للحصول عليه . والكاهن الأول هو المحنط الذى يجذب المتوفى إلى عالم الأحياء . أما الثانى فهو الكاهن الجنائزى الذى صار المتوفى من نصيبه ، من الآن فصاعداً . ثم يظهر الـ " تكنو " . إنه شكل مغطى بجلد حيوان وقائم فوق زحافة . ويفهم من اسمه الذى يعنى " الجار " أو " القريب " أنه القوة الحامية فى الجبانة التى تعاون المتوفى فى تحقيق النصر على أعدائه لحظة دخوله المقبرة . ويصطحب الـ " تكنو " المتوفى إلى الغرب ، بينما يسير فى أعقابهما رجال يحملون الأوانى الكانوبية بين أيديهم . ويصل الموكب إلى مدخل المقبرة أمام الباب الوهمى حيث تقام المأدبة الجنائزية كنموذج

أولى للتقدمة المتجددة إلى الأبد . ثم ينتقل المتاع إلى حجرة الدفن ، يليه التابوت وتمثال المتوفى الذى يفترض أن يقوم برحلة حج إلى أبيدوس مدينة أوزيريس المقدسة . ثم توصد حجرة الدفن إلى الأبد بعد أداء شعائر الحماية . عندئذ تدب الحياة فى جدران الهيكل ويدعى المتوفى لينعم إلى الأبد بما يمتلك من خيرات .

الفصل السادس

الصراع من أجل السلطة

الانهيار

يطلق " عصر الانتقال الأول " على المائة والخمسين سنة التى تفصل بين الدولة القديمة والدولة الوسطى . وهذه العبارة لاتعنى شيئاً كما تعنى كل شىء . فمفهوم " العصور الانتقالية " مفهوم مرفوض وغير مقبول تاريخياً . فكل عصر هو رباط يجمع بين مرحلتين من مراحل الحضارة الواحدة . كما أن المصريين لم يعتبروا هذه الفترة انقطاعاً فى تاريخهم ، فلم تحدث قطيعة قط . بل إن زعماء الأسرات المحلية أخذوا ينادون كل فى جانبه بحقه فى المطالبة بهذه الحكومة على اعتبارها الشكل الراشح للمؤسسات . وظل هدف كل منهم استعادة السلطة التى تسربت من بين أيدي ملوك منف .

وتشير حدود الترتيب الزمنى لعصر الانتقال الأول مشكلة . ولكن هناك إجماع على اعتبار أن نهايته تتفق مع النجاح الذى حققه " منتوحتب " الثانى " نب حيت رع " ، وهو الأمير الطبيبى الذى اعتبر نفسه هو وأسلافه ، حكام مصر الشرعيين وليسوا أمراء إقليميين ، فوحد المملكتين بعد أن استردتا استقلالهما كما كان الوضع فى أقدم العصور . وإذا كان هذا الانقطاع متفقاً مع واقع سياسى لاجدال فيه ، إلا أنه لا ينطبق مع التأريخ المصرى الرسمى سواء ذلك الذى أشرف على تسجيله أمراء طيبة أم تاريخ مانتون الذى يأخذ بالتقسيم إلى أسرات . ومن ناحية أخرى يصعب أيضاً تحديد نهاية الدولة القديمة . فهل بدأت هذه النهاية مع الانحطاط البطيء للسلطة الملكية الذى بدأ زحفه فى عهد " بيبى " الثانى ، أم مع انهيار الأسرة السادسة فى فترة اضطراب أحوال نظام وراثته العرش فى أيام " نيت إقرت " أم خلال الأزمة التى اجتاحت مصر فى ذلك العصر ؟

تعكس رواية مانتون عن أحوال الأسرة السابعة اضطراب المصادر التى استقى منها معلوماته إذ يقول أن مصر قد حكمها " سبعون ملكاً فى سبعين يوماً " . وربما اعتمدت هذه الصيغة على تلاعب فى الألفاظ حول الرقم " سبعة " الدال على هذه الأسرة لإبراز قصر مدة حكمها (32 , 1956 : Helck) . اللهم إلا إذا كان الأمر ينطوى على استعارة تدور حول الرقم سبعين الذى يرمز إلى القوة الخلاقة فى قصة الخلق لمدينة هليوبوليس

والتزم المصريون صمتاً شبه مطبق حول أحداث هذه الفترة المظلمة من تاريخهم . وقد وصلتنا من هذه الفترة شهادة وحيدة فى شكل عمل أدبى كتب بأسلوب الإيماءات الغامضة والصور المجازية وإن كنا لنجهل المؤلف الحقيقى لهذا العمل الذى ربما كتب بعد وقوع الأحداث التى يدعى أنه كان شاهداً عليها . وحفظ لنا الزمن منه نسخة وحيدة . وجاءنا النص على لسان شخص يدعى " إيبو ور " فيوضح مختلف التجاوزات وأعمال الإبتزاز التى يقول أنه عاصرها ، وتكشف هذه " المراثى " التى كتبت على طريقة " النبؤات " عن هدف سياسى يكمن وراء أسلوبها واختيار ماتقدمه من عناصر . وإذا يستعرض (إيبو ور) أحوال مصر ، يترحم على النظام الذى ساد فى الماضى ويصف ما حل بالبلاد من خراب ودمار نتيجة لضعف السلطة وضرورة ظهور ملك قوى . وربما كان يقصد بذلك الملك الذى بشرت بمجيئه نهاية النبؤة التى فقدت للأسف ولم تصل إلينا :

" فقد وقعت أحداث لم نسمع عنها منذ ظلمات الماضى السحيق . إذ قامت الغوغاء بخلق الملك ! أجل إن الذى دفن بصفته " الصقر " قد انتزعوه من تابوته ! لقد نهبت حجرة الدفن وسلب ما بها ! ووصل بنا الأمر إلى الحد الذى قامت زمرة من الأفراد - تجهل كل شىء عن أمور الحـكم - بتقويض النظام الملكى فى البلاد " .
(Admonitions 7, 1- 4).

وانتهكت المقدسات انتهاكا مزدوجا : فلم تقف هذه الزمرة الباغية عند حد حرمان البلاد من ملكها المترع على عرشها ، وهو الضامن الأوحد لاستتباب النظام ، بل أقدمت على تدمير جسد الملك المتوفى فحرموا بذلك الأجيال السابقة من حياة الآخرة . ودون التلاعب بالألفاظ فقد قوضوا بفعلتهم الشنعاء هذه ، بنية الهرم الكونى فتصدع وتداعى . وأصبحت مصر " عالماً مقلوباً رأس على عقب " . فوقعت فريسة الفوضى الواقعة لها بالمرصاد لتنقض عليها كلما تقاعس الملك عن واجباته أو اختفى ، وهو خليفة الإله الخالق المتجسد فيه . وخلف هذه الجمل التى يتشدد بها المؤلف نستشف أساساً من الحقيقة تؤكد الشواهد غير المباشرة . ويرى البعض أن الأزمة التى اجتاحت مصر هى ثورة اجتماعية ، وهو أمر مستبعد نظراً لأنها لم تفض إلى شكل جديد من الحكومات . بل استمر النظام القديم . وهونفس ماحدث بعد كل " عصر إنتقالى " فما يرويه " إيبو ور " من أحداث إنما يشبه هبة أكثر شرائح المجتمع حرمانا والتى لم تتحرك بسبب ماتعانيه من ظلم اجتماعى ، وهو أمر بعيد كل البعد عن روح النظام السياسى السائد ،

انما حدث نتيجة تأثيرات خارجية وفدت على مصر لتجد تربة صالحة فى بلد أصابه الوهن والإرهاك . وبالفعل فقد شهدت نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد فترة ساد خلالها مناخ " ساحلى " أصاب فيما اصاب إفريقيا الشرقية على وجه الخصوص ، وجاء القصور الذى أصاب الإدارة المركزية فى مصر ليضعف من آثار القحط المدمرة . وبما زاد الطين بلة حصول حكام الأقاليم على درجات متفاوتة من الاستقلال ، فتجلى عجز الإدارة المركزية عن أن تفرض عليهم تطهير قنوات الري وصيانتها لضمان حسن توزيع مياه الفيضان مع احتمال انخفاض مستواه دون الحد المطلوب لسنوات عدة . ونقدم بملاحظة تدعيما لهذه النظرية وندلل بها أيضاً على تهافت مفهوم " عصر الانتقال " . إذ يبدو أن المجاعة أو القلاقل التى صاحبتهما لم تتعد حدود وادى النيل وانحصرت فيها . فعلى سبيل المثال لم تعان مدينة بلاط الزراعية فى الواحات الخارجة وجبانتها المجاورة من أى تدمير أو انقطاع مع نهاية الاسرة السادسة (Giddy : 1987, 206 sq) .

ولم تستمر هذه المرحلة الحرجة لأكثر من جيل أو جيلين . غير أن العنف الذى قمخض عنها لم يهدأ فى الحال بل امتد لفترة طويلة نسبياً إذا أخذنا بعلمات الأسى والأسف التى عبر عنها ملك هيراكليوبوليس عندما واجه اضطرابات مشابهة . وما هذا الملك على مايعتقد سوى " خيتى " الثالث صاحب " التعاليم " التى وجهها إلى ابنه بعد زهاء قرن من الزمان :

لقد استوليت على " ثنى " فى لمح البصر ... ولكن انتابنى الحزن والأسى إلى الأبد ... لقد وقع أمر منكر فى عهدي : فقد سلبت " ثنى " ونهبت . ولم يحدث هذا حقا نتيجة لتصرفى . فقد علمت بما جدت بعد وقوعه " Mérikarê.XXVI et XLII ويتضح من إعلان " خيتى " الثالث لبراءته أنه لم يكن مسيطراً هو ذاته سيطرة تامة على قواته رغم مرور رده من الزمن على الاضطرابات . كما لم تختف المجاعة فى ظرف سنة واحدة . ونلاحظ أن أجيال الجياع ذات المسلك العنيف ظلت سمة مميزة للمجتمع المصرى لفترة طويلة (Vandier : 1936) . وزاد الوضع الخارجى من تأزم أحوال مصر الداخلية . ولم يصلنا ما يؤكد قيام مصر بأى نشاط خارجى مع من شاركوها الوجود فى أيام الدولة القديمة ، سواء فى سوريا أو فلسطين ، مما يعنى توقف التجارة مع بيبولوس وشرق البحر المتوسط ، أو فى سيناء حيث هُجرت المناجم وتوقف استغلالها . والأدهى من ذلك والامر ، أن البدو " الساكنين فوق الرمال " الذين حاربهم " أونى " فى

زمن سابق أخذوا يجتاحون الدلتا عند نهاية الاسرة الثامنة . ولم تسر الأمور على أفضل من ذلك فى النوبة . وتوقفت الحملات والمبادلات وازدهرت حضارة المجموعة الثالثة بعيدا عن التأثيرات المصرية .

الورثة

فى حين كان وجود الاسرة السابعة صوريا ، فمانعرفه عن الاسرة الثامنة هو أقل غموضا . وقد يصل عدد ملوك هذه الاسرة إلى ثمانية عشر ملكا ، منهم خمسة ملوك على الاقل من الذين وردت أسماؤهم فى القوائم الملكية وأطلقوا على أنفسهم اسم العرش لپيى الثانى: " نفركارع " . واستنتج العلماء أن هؤلاء الملوك الخمسة هم أبناؤه أو أحفاده : ومنهم على الأرجح " نفركارع نبى " وخندو " و " پيى سنب " . كما وصلتنا معلومات عن أواخر ملوك هذه الأسرة كبعض نسخ من مراسيم صدرت لصالح أسرة الوزير " شيمع " وموطنه الاصلى " كويتوس " (قفط) . أما " فاكارع " فهو الملك الوحيد الذى أمكن التحقق منه بكل دقة ، فقد حكم البلاد سنتين طبقا لما ورد فى بردية تورين . وقد جاء ترتيبه الرابع عشر فى قائمة ملوك هذه الأسرة . وقد تم الكشف عن هرمه فى سقارة القبلىة قرب هرم پيى الثانى . ورغم صغر حجمه إلا أنه قد شيد حسب التقليد المنفى كما غطيت سطوحه الداخلية بالمدونات .

وفى حدود هذه الفترة ، أى بين عامى ٢١٦٠ - ٢١٥٠ ق . م على وجه التقريب لم تكن أحوال البلاد على مايرام . فقد سقطت الدلتا فى أيدي الغزاة القادمين من الشرق والذين أطلق عليهم المصريون " الاسيويين " كاسم جنس . وانحصرت سلطة ملوك الاسرة الثامنة عن معظم أنحاء البلاد ، وانحصرت سلطاتهم على ما يبدو فى حدود منطقة منف . أما طيبة فلم تكن قد أصبحت عاصمة الإقليم الرابع حتى ذلك الوقت . وأخذ أمراؤها - وهم خلفاء " ايكنى " يضعون الاسس الراسخة التى سوف تنهض عليها مملكتهم فى المستقبل . أما مصر الوسطى فقد انفصلت لتلتف حول أمراء هيراكليوبوليس عاصمة الاقليم العشرين من أقاليم الصعيد. وقد أطلق عليها المصريون القدماء اسم " نونيسوت " أى الطفل الملكى . وتعرف حاليا باسم اهناسيا المدينة . وهذا الاقليم خصب غنى بخيراته . كما يتميز بموقعه الاستراتيجى على بحر يوسف جنوبى مدخل الفيوم على طريق التجارة بين الشمال والجنوب . وظل بسبب موقعه بعيدا عن الغزوات الزاحفة من الشمال . كما استفاد من زيادة حركة التجارة التى ترتبت على

استعمار النوبة . واستأثر " مري ايبرع خيتى " الأول أمير هيراكليوبوليس بالسلطة. فلم يلق معارضة من حكام الأقاليم الآخرين . وقد عثر على اسمه مدونا فى عدة مواقع وحتى أسوان . وأسس أسرة جديدة هى الأسرة التاسعة حسب مانتون . ولم تدم سنوات حكم هذه الأسرة طويلا فناهزت الثلاثين عاما من ٢١٦٠ الى ٢١٣٠ ق . م . وتلتها الأسرة العاشرة التى استمدت منها شرعيتها . وكانت أسماء العرش التى حملها ملوك هيراكليوبوليس وهى " مري ايبرع " و " نفركارع " و " نب كاورع " تظهرهم كخلفاء للأسر المنفية وربما أبقوا على منف كمركز إدارى (Vercoutter : 1987 , 142) . فقد دفن " ايبسى " فى سقارة حيث عثرت بعثة هانوفر وبرلين الألمانية على جبانة معاصرة له . وهو دليل على استمرار النشاط فى هذا الموقع . (Leclant & Clerc , Or 55 (1986) 256 - 257) كما يفترض أن سقارة قد بقيت الجبانة الملكية فى ظل الأسرة العاشرة . حيث تشير الروايات المتواترة إلى وجود موقع هرم " مري كارع " على مقربة من هرم " تيتى " . ولكن الامر لا يخرج عن مجال الافتراضات . فكل مانعرفه عن هؤلاء الملوك هو أسماءهم فقط . ويجد العلماء صعوبة فى تفسير المعطيات النادرة التى من بها علينا علم الآثار . وفى بلدة دارا الواقعة على مقربة من مدينة منفوط الحديثة ، حيث يبدأ درب الطويل المؤدى إلى الواحة الداخلة عثر المنقبون على سبيل المثال على جبانة بأكملها . ومن الواضح أنها جبانة ملكية . ويرتفع فى وسط الجبانة هرم ينسب إلى ملك يدعى " خوى " الذى يدرج ضمن ملوك الأسرة الثامنة دون دليل قاطع (V . Beckerath : 1984 , 60) إن العودة إلى مباشرة أعمال التنقيب التى بدأها المعهد الفرنسى للدراسات الشرقية بالقاهرة فى الماضى فى بلدة دارا سوف يلقى الضوء على هذه المرحلة من تاريخ مصر الوسطى .

زعماء مدينتى هيراكليوبوليس وطيبة

امتد حكم الأسرة العاشرة إلى أكثر من مائة سنة وتجاوز مدة حكم الأسرة التاسعة القصير . كما لا يكتنف هذه الأسرة الغموض الذى أحاط بالأسرة التاسعة . واتخذ مؤسس هذه الأسرة لنفسه لقب " نفر كارع " . فكان على ما يبدو سابغ ملك يحمل هذا اللقب وأطلق عليه مخربش من حتنوب لقب " مري حتنحور " أى " محبوب حتنحور (Vercoutter : 1987 , 143) أو ربما " مري ايبرع " على الأرجح LÄ VI 1441 n.5 الأمر الذى يوثق روابطه مع تقليد مدينة منف الذى يدعى الانتساب إليه . ونشأت الخلافات بين خليفته وبين جيرانه من زعماء الجنوب الذين قاموا

هيراكليوبوليس (اهناسيا المدينة)	طبيبة	اسيوط الإقليم ١٣ الصعيد	الوعل الإقليم ١٦ الصعيد	هيراكليوبوليس (الأشمونين) الإقليم ١٥
١١٦٠	الأسرة التاسعة " مري إيب رع خيتى الأول			"عما " الثانى
٢١٣٣	(س) " نفر كارع " " نب كاورع (؟) خيتى " الثانى		"باكت" الثانى	"چحوتى نخت "
٢١٣٠	الأسرة العاشرة " نفر كارع مري إيب رع			"چحوتى نخت" الثانى "چحوتى نخت" الثالث "چحوتى نخت" الرابع
٢١١٨ ٢٠٧٠	واح كارع خيتى الثالث " مري كارع "	"خيتى الأول" "نفليسى" "خيتى الثانى"		
٢٠٦٩	" أنتف " الثالث "منتوحتب" الثانى; "سى عنخ إيب تاوى"		"باكت" الثالث	"نهري " "چحوتى نخت "
٢٠٦١	(س)			الخامس
٢٠٤٠	"منتوحتب" الثانى "نب خيت رع" "منتوحتب" الثالث "منتوحتب" الرابع			
٢٠٠٩ ١٩٩٧ - ١٩٩١				

شكل (٦٨) - جدول الترتيب الزمنى للأسرات من التاسعة إلى الحادية عشرة.

مع أسماء حكام أقاليم مصر الوسطى.

بدورهم بالاستيلاء على السلطة . فبعد انهيار حكومة منف المركزية اجتازت مصر مرحلة أولى شهدت خلالها البلاد لعبة تحالف الأقاليم مع السلطة الشرعية أو ضدها . وحاول كل إقليم أن يجرب حظه فعمل على تدعيم مواقعه الخاصة . وقد تخلى جميع الباحثين فى الوقت الراهن عن فكرة إقامة مملكة فى أبيدوس وأخرى فى مدينة كويتوس . حتى وإن استساغ البعض فى الماضى هذه الفكرة نظرا لموقع مدينة كويتوس المتطرف القصى عند مدخل وادى الحمامات . وسرعان ما توثقت منذ وقت مبكر العلاقات بين أفراد عائلة الوزير " شيمع " الذى أشرنا إليه من قبل وجيرانهم فى طيبة ، عندما وقع الصدام بين زعماء هيراكليوبوليس وطيبة . إن السيرة الذاتية للمدعو " عنخ تفى " تكشف النقاب عن هذه الأحداث . وكان " عنخ تفى " رئيس إقليم " حفات " -

المعلقة حالياً - وهو الاقليم الثالث من أقاليم الصعيد . ويقع على مسافة حوالى ٤٠ كيلو متراً جنوبى الأقصر . فلنترك له الكلمة :

" الأمير والحاكم وخازن الملك للوجه البحرى والصديق الأوحد والكاهن المرتل وقائد الجيش ورئيس المترجمين وحاكم المناطق الجبلية والرئيس الأكبر لإقليمى إدفو وهيراكونبوليس . يقول " عنخ تفى " :

" أرسلنى حورس الملك إلى اقليم إدفو للسهر على مصالحه وإعادة النظام إلى نصابه . ونفذت ماطلب منى على الفور ، ... ووجدت ضيعة " خوو " (إدفو) وقد غمرتها المياه وتحولت إلى مايشبه مزرعة أسماك من جراء إهمال المسئول عنها وماأصابها من خراب بسبب تصرفات الملعون . ونشرت الأمن فى ربوع إدفو . فتصالح القاتل على ابن ضحيته أو شقيقه (...) .

" ولم أفرق بين البشر . ولاقى كبيرهم وصغيرهم نفس القدر من اهتمامى . وكنت أنا صاحب الحل الصائب . فأتقدم به عندما تفتقر إليه البلاد ولاتجده ، وذلك بفضل قراراتى الحكيمة . وعندما انعقد العزم على توحيد الأقاليم الثلاثة كنت بارعا فى أقوالى ، ثابتا فى شجاعتى . فأنا عنوان الجسارة ، وليس كمثلى أحد . كنت رجلا مقداما ، أعلن رأيه على رؤوس الأشهاد فى زمن سكت فيه البشر ولم يتكلموا . يومئذ عم الخوف وساد ، بينما خيم الصمت على الصعيد "

" وحضر قائد أرمنت العسكرى وأخبرنى قائلاً : " هيا احضر أيها الجسور ! ابحر جنوبا حتى قلاع أرمنت " . فأبحرت جنوبا صوب المناطق الواقعة غربى أرمنت . ولاحظت أن جميع قوات طيبة وكويتوس قد استولت على قلاع أرمنت بعد أن اقتحمتها ! (...) ورسوت على البر الغربى لأقليم طيبة (...) وسعت صفوة قواتى إلى خوض المعركة فى المنطقة الغربية من إقليم طيبة . فلم يتجاسر أحد على الظهور لمواجهتها وأصاب الهلع الجميع . عندئذ أبحرت جنوبا ورسوت على البر الشرقى لإقليم طيبة (...) وتولت قواتى الجسورة ، اجل قواتى الجسورة ، أعمال الاستطلاع غرب طيبة وشرقها ، سعيا لخوض المعركة . فلم يتجاسر أحد على الظهور لمواجهتها وأصاب الهلع الجميع (...) " .

" وكان الصعيد بأكمله يتضور جوعاً . ووصل الأمر بكل منهم الى أن اضطر الى أكل أطفاله . اما أنا فقد أبيست أن يهلك الناس جوعا فى هذا الإقليم . فقدمت سلفة حبوب إلى الصعيد . ومنحت الشمال حبوب الصعيد . وفى حدود علمى لم يفعل من سبقنى من حكام الأقاليم مايشبه ذلك (...) " .

وبفضل عاشت أقاليم هيراكونبوليس وإدفو والفنتين وأمبوس (كوم امبو) ، ودبّ فيها النشاط .

" (Inscriptions 1 - 3 , 6 - 7 , 10 et 12 = Vandier : 1950 , 161 - 242) "

كان " عنخ تفى " حاكم هيراكونبوليس ماليا إذن لعاهل هيراكيلوبوليس (إهناسيا) وهو " نفر كارع " السابع على الأرجح . ومن الملاحظ أن جذور ألقابه ضاربة فى تربة التقاليد المنفية وتتجاوز حدود منصبه كحاكم محلى ، صحيح أن أمير هيراكونبوليس كان يشغل فى نفس الوقت منصب القائد العام ورئيس الكهنة والمترجمين والمناطق الجبلية (أى الشئون الخارجية) وحامل ختم " ملك الوجه البحرى " . إلا أن الدلائل تشير إلى حجم مملكة هيراكيلوبوليس المحدود . وتبرز سمة أخرى . فبقدر ما يبرز "أونى" ألقابه القومية بقدر ما كان يشعر " عنخ تفى " بأنه فى المقام الاول حاكم مقاطعة . فهو لا يرأس منطقة جغرافية بل هو رئيس ثلاثة أقاليم . كما أنه لم يصبح حاكم إدفو إلا بعد أن تخلص من " خوى " حليف طيبة . هنا أيضا نلاحظ التفاوت بين عبارات التفخيم الملكية وواقع المساومات الدبلوماسية . وأنها تحجب هذا الواقع أكثر مما تعبر عن الاستتباب الحقيقى للأمن والنظام .

ووقعت أهم المعارك حول أرمنت مدينة الإله مونتو فى قلب جنوب مصر العليا . وهى تجسد مدى سلطة زعماء طيبة الذين تحالفوا مع زعماء قفط . وقد التزموا حدود مقاطعتهم بسبب الضغوط التى مارستها عليهم قوات أقاليم مصر العليا الثلاثة الأولى ، ورفضوا خوض أية معارك . ولا يوضح النص الذى استشهدنا به مآل هذه الاشتباكات التى توقفت بسبب انتشار المجاعة دون شك . اللهم إلا إذا كان " عنخ تفى " قد أراد أن يتجنب سرد مآناله من هزائم . فخص الجانب الأخير من سيرته الذاتية لرواية أعماله السلمية . ومن المحتمل أنه قد تكبد الهزيمة وإن كان الانتهاء من تشييد مقبرته دليلا على أنه لم يعرف شخصا الهزيمة .

وكان خصمه وغريمه هو الأمير " أنتف " الأول مؤسس الاسرة الملكية الطيبية . وقد جلس على العرش وتلقب بالاسم الحورى " سهرتاوى " ومعناه " الذى أعاد الهدوء إلى الارضين " . وبعد انقضاء خمسة قرون سوف يتخذ نفس هذا الاسم موحد مصر الطيبى " كامس " . ولا يعتبر " أنتف " الاول ، هذا مؤسس الأسرة الطيبية بل لقد سبقه أميران غيره . وبداية ظهر عميد هذه الأسرة الأمير " أنتف " و قد ورد اسمه فى " حجرة الأجداد "

فى معبد الكرنك هو وخلفه " منتوحوتب " الأول بوصفهما من حكام الأقاليم . وربما كانا معاصرين لأواخر الأسرة الثامنة . وقد بايعا زعماءها ربما من منطلق عدائهم للسلطة الصاعدة فى هيراكليوبوليس . وقد قدمت الشعائر الدينية لـ " إنتف " هذا ، فى عهد " سنوسرت " الأول بصفته مؤسس الاسرة الملكية ، قاما مثل "منتوحوتب " الأول الذى أطلق عليه اسم حورى مختلق هو " تيتى عا " أى " الجد الأول " وهو والد " أنتف " الأول الذى أعلن نفسه الحاكم الأعلى لمصر العليا قبل أن يعلن نفسه ملكاً .

أصبح " أنثف " الأول سيد الجنوب بعد ما حققه من انتصار محتمل على " عنخ تفى " وامتد نفوذه من كويتوس على أقل تقدير ليشمل دندرة والأقاليم الثلاثة التى سيطرت عليها هيراكونبوليس . واستأنف خلفه " أنثف " الثانى "واح عنخ" القتال ضد هيراكونبوليس حيث اعتلى "خيتى" الثالث العرش . ودارت رحى المعارك هذه المرة على أرض مصر الوسطى التى حاول زعماء طيبة انتزاعها من ملوك الشمال .

لقد أصبح من السهل تتبع تاريخ المعارك التى دارت رحاها فى مصر الوسطى خلال هذه الفترة الزمنية بفضل المعلومات التى توفرت من خلال جبانات أهم أقاليم الصعيد الثلاثة وهى الأقاليم الثالث عشر والخامس عشر والسادس عشر . وكانت هرميوبوليس (الأشمونين) عاصمة الإقليم الخامس عشر ، حيث يفترض أن الإله " شو " رفع السماء . وقد دفن امرأؤها فى البرشا على مسافة بضعة كيلو مترات شمالى مدينة ملوى . وتسمح مقابرهم العشر بتخيل تكوين أسرة حاكمة بأكملها ادعت ارتباط نسبها بملوك منف . ويمكن متابعتهم بدءاً من " عحا " الثانى المعاصر للملك " خيتى " الأول ثم " جحوتى نخت " الأول فالثانى فالثالث الذى سلم السلطة فى عهد الملك " نفر كارع " إلى " عحانخت " الذى خلفه " جحوتى نخت " الرابع الذى عاصر الصراع الذى احتدم بين " خيتى " الثالث و " أنثف " الثانى "واح عنخ" ، دون أن يكون طرفا فيه على ما يبدو . ولا يشترك إقليم الأرنب فى الصراع إلا حوالى عام ٢٠٤٠ ق.م خلال الفتح النهائى الذى قاده " منتوحوتب " الثانى . وقد شغل " نهري " حاكم هذا الإقليم منصب الوزير أيضا كما كان على رأس إحدى فرقتى هيراكليوبوليس . واقتصر نشاطه على حماية مقاطعته . يساعده فى ذلك أبناه " كاي " وآخر سيصبح فيما بعد " جحوتى نخت " الخامس الذى حافظ على علاقات حسن الجوار مع طيبة حتى أن أسرته كانت لاتزال تحكم هرموبوليس فى عهد سنوسرت الثالث .

والى الشمال يمتد الإقليم السادس عشر اقليم الوعل . وتقع جبانته فى بنى حسن أمام مدينة المنيا ، وقد ظلت الأوضاع فى هذا الإقليم تشبه إلى حد بعيد الأوضاع السائدة فى الإقليم الخامس عشر المجاور . وكان أمراء الإقليم السادس عشر يرتبطون بصلة قرابة مع أمراء الإقليم الخامس عشر . ولكنهم ظلوا على الحياد فى الصراع الدائر . ثم أصبحوا موالين لطبقة فى عهد " باكت " الثالث المعاصر " لمنتوحوتب " الثانى . وأعطت هذه السياسة أكلها اذ احتفظت هذه العائلة بالسلطة بعد الفتح الطبى .

أما مقاطعة أسيوط فقد عاشت أكثر من غيرها هذه الأحداث إذ كانت قلب هذه المجابهات . ويمكن متابعة تاريخها ابتداء من حوالى عام ٢١٣٠ ق. م فى عهد الأمير " خيتى " الأول الذى يشير اسمه إلى مدى الولاء الذى كان يكنه لزعماء هيراكليوبوليس . ويتفاخر بأنه جُنَّبَ إقليمه المجاعة فلجأ إلى تقنين توزيع المواد الغذائية . بل إنه وسع الرقعة الزراعية بفضل سياسته الحكيمة فى مجال تنظيم الرى . وسار خليفته " تيف ايبى " على نهجه بينما واصل القتال ضد طبقة لحساب الملك " خيتى " الثالث . وبلغت المقاطعة مستوى رفيعاً من الرخاء والازدهار فى عهد " مرى كارع " الذى أقام الامير خيتى الثانى حاكماً : فقام بترميم معبد أسيوط وجمع جيشاً لا يستهان بقوته (شكل ٧١ و ٧٢) .

لم تكن المجابهة بين الشمال والجنوب حرباً مستمرة بل كانت بالأحرى حالة من السلم المزعزع . فاستغل كل معسكر هذه الأوضاع لتدعيم مركزه . لقد ولت وانتهت تلك الايام التى انتشرت فيها المجاعة وعمت القلاقل الاجتماعية . وسيتولى المنتصر توحيد بلاد كانت قد استعادت قواها بالفعل .

فلنعد الى أسرة هيراكليوبوليس . لقد سبق أن رأينا كيف يستعيد " خيتى " الثالث إلى الأذهان فى " التعاليم " التى اوصى بها ابنه " مرى كارع " الممارك التى اندلعت للسيطرة على " ثنى " ، ولكن اهتمامه انصب على الموقف فى شمال البلاد ، فخاض بنجاح معارك التحرير وطرد البدو والآسيويين ، وأعاد تشكيل التنظيم الإدارى للبلاد وقسمها إلى أقاليم وضعت تحت سلطان العاصمة القديمة ، بعد أن كانت " سلطة رجل واحد فى يد عشرة " . وأعاد تطهير قنوات الرى وعمر شرقى الدلتا بالمستوطنين . أما عن الجنوب فإنه ينصح ابنه بان يتوخى الحذر . وأن يحسن إدارته فحسب ، ليضمن رخاء رعاياه " فمن امتلأت داره بالخيرات لا يثير القلاقل . فالغنى لا يعرف الفاقة " . وشجعه على إعادة بناء قوى مملكته مع إقامة جيش قوى ترقياً لأى صدام محتمل مع طبقة .

وكان " خيتى " الثالث آخر ملوك هيركليوبوليس العظام . واتسمت سياسته فى الداخل بقدر كبير من الحكمة ولكنها لم تلق على ما يبدو نجاحا كبيرا فى الخارج . وبالفعل فقد اكتشف اوجست مارييت عام ١٨٦٠ فى منطقة الطارف بجبانة طيبة الهيكل الجنائزى لـ " إنتف " الثانى وبداخله نصبا دَوْن عليه ملك طيبة مسردا يروى فيه فتح صعيد مصر فيقول :

" لقد نقلت الحدود الجنوبية (لمملكتى) حتى إقليم واچت " (الإقليم العاشر من أقاليم الصعيد) . (...) لقد استوليت على أبيدوس والمناطق المحيطة بها . واقتحمت شتى قلاع إقليم " واچت " فصار بوابة (لمملكتى) . (CGC 20512) .

كما نعرف من جانب آخره بفضل التمثال الذى اكتشف فى معبد " حقا إيب " فى جزيرة الفنتين ويصوره مرتديا عباءة " الحب سد " أن سلطانه قد امتد حتى الجندل الأول وربما شمل جانبها من النوبة السفلى . الأمر الذى يؤكد قيام الحملة التى قادها " چيمى " من الجبلين حتى بلاد " واوات " . وعندما حل محله " أنتف " الثالث كانت طيبة قد بسطت سلطتها على الصعيد حتى جنوبى أسيرط . وفى هذه المنطقة دارت رحى المعارك الأخيرة التى انتهت بتوحيد البلاد بشكل نهائى تحت قيادة " منوحثب " الثالث ابن " أنتف " الثالث والذى نستهل به الدولة الوسطى .

الحكمة والتشاؤم

كان من المنتظر ان تصبح المرحلة الانتقالية الأولى بمصر مرحلة جهالة وردة ثقافية . ولكن واقع الأمر كان بعيداً كل البعد عن هذا التصور، إذ حفزت هذه الاضطرابات المصريين فكربا وثقافيا خلافاً لما كان متوقعا.. فتصدوا لمواجهة انهيار بعض قيم المجتمع ، بالبحث عن صياغة جديدة لموقفهم فى الكون . لقد ضعفت صورة النظام الملكى من جراء عجز الملك والصراعات التى احتدمت حول عرش البلاد . وكان النظام الملكى كما عرفنا من قبل قد أخذ يتداعى منذ الأسرة السادسة. ولم تعد الدولة هى الإطار الراسخ الآمن. وحُرِم الفرد من كل حماية وصار عُرضة لعنف من هو أقوى . وجاءت الأعمال الأدبية متأثرة بالقلق الذى تولد عن هذا الموقف، وجاءت جميعها على إختلاف فنونها مطبوعة بتشاور واضح .

سبق أن تعرفنا على «التعاليم الموجهة إلى مرى كا رع» التى ترجع إلى عصر هيراكليوبوليس استناداً الى أن مؤلفها هو "خيتى" الثالث على ما يظن . وقد اقترح هذا الأسم رغم عدم ذكره صراحة بناء على ما ورد فى "التعاليم" من أنها موجهة من سلف

"مرى كارع". ووصلنا هذا النص من خلال ثلاث نسخ ناقصة ترجع إلى الأسرة الثامنة عشرة، نقلت جميعها من أصل يرجع إلى الدولة الوسطى . وربما كان هو أيضا نسخة منقولة . إن استمرار نسخ هذا العمل الأدبي بعد انقضاء زمن طويل على الأحداث التي يسردها يؤكد مدى تقدير المصريين لهذا النص . ويتفق هذا العمل رفيع المستوى في هذه النقطة مع نص آخر لـ "تعاليم" تنسب إلى الملك "امنمحات" الأول الذي يتضح من دراستها أنها أقرب إلى العمل الدعائي منها إلى الشهادة التاريخية . إن تقارب المواضيع التي يعالجها النصان أمر واضح جلي . (Volten : 1945) فيزخر العمالان بالاستشهادات الأدبية وينم بناؤهما الفني عن سعة ثقافة من سطرهما وسعة اطلاعهما على كل ما يُكتب. ولا يهمننا في شيء أن يكون "مرى كارع" قد ألف هذه "التعاليم" الذي يُزعم أنها قد وصلتته عن والده ليبرر بها سياسته أم لم يؤلفها . فأحاديث "خيتي" الثالث تروى على لسان أحد الملوك ما ألفناه وعرفناه من "حكم" الدولة القديمة . نذكر منها حكم "پتاح حوتپ" أو "كاجمنى" التي ربما جمعت أفكارها ، بل تم تأليفها في هذا العصر . وهى عبارة عن توجيهات من الأب إلى ابنه لضمان تحقيق النجاح فى الحياة وفى مهنته . والإبن خليفة الأب فى منصبه ووظيفته . فيواصل النظم التى أقامها الأب بفضل إتقانه تقنية العمل التى ورثها بدوره عن سلفه . إن طريقة توارث المعرفة ، خلفاً عن سلف ، هى وحدها التى تضمن دوام النظام واستقراره . وبالإضافة إلى ما سجلته "التعاليم الموجهة إلى مرى كارع" من "حكم" فطية فإن من سماتها البارزة نظرتها الثاقبة لخصائص مهام الملك . فلا يتردد "خيتي" الثالث فى الاعتراف بما ارتكبه من أخطاء . ويستحث ابنه على مراعاة ذلك . كما يشجعه على معاملة الأعيان وكبار الموظفين باللين ومداراتهم تحنباً لأى مواجهات محتملة معهم ... فما أبعدنا عن عاهل الأسرة الرابعة المطلق الصلاحيات وهيمنته الشمولية ! بل وزيادة على ذلك يشير "خيتي" إلى ما كان يستحيل حدوثه فى وقت سابق من حساب الملك بعد وفاته على أفعاله ومكافأته عليها :

« إنك تعلم أن القضاة الذين يحاسبون التعساء لا تعرف قلوبهم الرحمة يوم محاكمة الأشقياء والنطق بالحكم . وانه لمشهد رهيب أن يوجه أحد الحكماء الإتهام ! فلا تضع ثقتك فى الزمن الذى يمضى مهما طال . فالحياة بالنسبة للقضاة لا تتعدى ساعة زمن . فعندما يصل المرء إلى شاطئ الموت توضع أفعاله بجواره أكواماً . إنه خلود الأبدية ! »

Mérikarê XIX - XX

كما نصادف هذا الاهتمام بالعالم الآخر فى مؤلف معاصر ينتمى إلى فن أدبى مختلف كل الاختلاف. إنه حوار يدور بين يائس من الحياة وروحه أى الـ "با". إنه حوار فريد فى

الأدب المصرى - وقد وصلنا من خلال بردية ترجع الى الأسرة الثانية عشرة محفوظة فى الوقت الراهن فى برلين - ودون على ظهر البردية مؤلف لا مثيل له أيضا، وهو لقاء ابن راع قلق على مصير قطيعه بعد انخفاض مياه الفيضان وبين إلهة... فهل يمكن اعتبار قصة "الراعى والإلهة" قصة خرافية؟ إن المجاز السياسى واضح جلى. ولا يتطلب الأمر البحث وراء تأثيرات "أسطورة جلجامش" فخلفية الاضطرابات والمجاعة بمصر خلفية كافية لتفسير هذا التشبيه أو هذا المثل. ويختلف لون صياغة "حوار اليائس من الحياة مع روحه"، فهى ملاحظات مهمة لشخص يواجه حياة تنن تحت وطأة عنف الأشرار:

"مع من أتحدث اليوم؟

الإخوة صاروا أشراراً

وأصدقاء اليوم لا يعرفون للحب معنى!

مع من أتحدث اليوم؟

إن رغبة التملك تملأ قلوب البشر.

ويحاول كل منهم الاستيلاء على خيرات جاره!

الإنسان المسالم يذبل

والقوى يسحق الجميع!

مع من أتحدث اليوم؟

لقد انتصر الشر فى كل مكان

والخير طُرح أرضاً!"

(, 109 - 103 Lebensmüder)

ويشعر "اليائس" انه أعزل ويستدعى الموت ليخلصه مما هو فيه:

"لقاء الموت اليوم

كالبرء بعد مرض

كمغادرة الدار بعد ألم .

لقاء الموت اليوم

كرائحة المرّ العطرة
كجالس تحت مظلة لينعم بالهواء العليل.
لقاء الموت اليوم
كرائحة زهرة اللوتس
والجلوس عند شاطئ السكرة .
لقاء الموت اليوم
كدرب المطر الهاطل
وعودة الجندي إلى داره .
لقاء الموت اليوم
كانقشاع السماء
والكشف عن لغز محير.
لقاء الموت اليوم
كاشتفاء الإنسان العودة إلى ذويه
بعد طول سنين فى الأسر اللعين !

(Lebensmüder 130 - 142)

كما وصلنا مؤلف من فمط فنى آخر يزخر بإشارات قيمة عن مجتمع العصر
الانتقالى الأول والأخلاق السائدة فيه. إنها قصة لم يحفظ لنا الزمن منها سوى نسخ مدونة
على البردى ترجع إلى أواخر الأسرة الثانية عشرة وأوائل الأسرة الثالثة عشرة ولم تصلنا
أية نسخ لاحقة . مما يدفعنا إلى الاعتقاد أنها لم تشكل جزءاً من التعليم الكلاسيكى
الذى يحصل عليه الكتبة .

إنها قصة فلاح أو بالأحرى واحى من سكان وادى النطرون . كان يكسب قوت يومه
من الإتجار بمنتجات واحته مع وادى النيل فى عهد " نب كا ورع خيتى " الثانى. واثناء
توجهه الى العاصمة وعند نقطة تقع عند مستوى منطقة دهشور مرّ بضبيعة يشرف عليها

موظف جشع يدعى « نمتى نخت » الذى أوقعه فى شرك كان ينطوى على حيلة بسيطة فقد بسط "نمتى نخت" فى طريق الواحى قطعة قماش لجبر حمار الواحى أن يطأ جانباً من حقل يمتلكه. وأثناء مرور الحمار اقتلع بعض عيدان الشعير وأكلها . ورأى المشرف على الضيعة الفرصة سانحة لينقض على الواحى ويقبض عليه ويستولى على ما يحمله من خيرات . وتقدم الواحى بشكواه إلى "رينسى بن ميرو" الذى كان يدير الضياع لحساب الملك والذى كان يبارح منزله لتوه ويهم بالإبحار على متن سفينته :

" يا كبير الأمناء ، يا سيدى ، يا عظيم العظماء . إنك ترعى كل موجود ! إذا هبطت أنت فوق سطح بحيرة العدالة فأبحرت مع هبوب الرياح المواتية وامتلاً شراعك هواءً ، فلن تتباطأ سفينتك فى سيرها . ولن تصاب ساريتها بعطب ولن تتحطم عوارضها ولن يجرفك التيار لحظة رسوك ، ولن يسحبك ، ولن تعانى من متاعب النهر ! لن يخافك أحد . فتتجمع الأسماك من حولك جماعات . وتلمس بيدك من الطيور أسمنها . أنت والد لليتيم . وزوج للأرملة . وأخ للمطلقة . أنت نقبة من ماتت أمه . دعنى أعمل ليطبق صيتك الآفاق ، بعيداً عن أفضل القوانين . إنك ترعى كل موجود . ولا تعرف الجشع . أنت العظيم المنزه من كل دنى ! اقض على الكذب ! لينبثق العدل والحق ! استجب لشكواى ! إنى أرفع صوتى كى تسمعنى وتقم العدل ! أنت الذى يثنى عليه من ينالون ثناء الآخرين ، لأنك طردت البؤس . أجل لقد قبض على أنا لأمثل أمام القاضى وصرت معدماً ! " (Conte du Paysan B1 , 53 - 71) .

وسرعان ما يشك الفلاح فى تواطؤ «رينسى» مع من سرقه عندما وجد أنه لم يستجب إلى عريضته الأولى التى تقدم بها . ولكن "رينسى" نقلها إلى الملك الذى عُرِف عنه ولعه الشديد ببلاغة رجال القضاء . فترك الواحى يترافع عن قضيته حتى تبلغ مرافعاته تسعاً . وقد تكفل طوال هذه المدة بأسرته دون علمه . ومرّ الواحى المسكين بلحظات أمل وضيق . فلما كان يظن أن النصر صار قاب قوسين ويتفاخر قبل الأوان بما حققه ، إذا بهم ينهالون عليه ضرباً . ولما انتهى من دفاعه التاسع أيقن أنه قد خسر كل شئ واستعد لمواجهة الموت فسلم أمره للإله "أنوبيس" . وعندئذ رأى النصر يتحقق . فقد أقر الملك بحقه السليب ووهبه كل ممتلكات مشرف الضيعة "نمتى نخت" لما لمسه من عدم أمانته .

لقد زخرت بلاغة الواحي بزخرف اللفظ وكانت أكثر من مجرد تسلية . فقد بنى كل خطاب من خطابه بحيث يبرز من خلال أسلوب مجازى المجابهة التى تستخدم بين القوى السلبية والقوى الايجابية ، وتمزق مجتمع ذلك العصر . إن التفاؤل الذى يصبغ نهاية القصة يكشف عن طبيعة هذا العمل الأدبى . فالملك بما لديه من سلطان يستطيع أن يعاقب الأشرار ويعيد التوازن إلى سابق عهده . واستناداً إلى هذه النهاية يميل البعض إلى اعتبار ان القصة ترجع إلى الدولة الوسطى . ولكن يجدر الملاحظة أن الشاكى قد تقدم فى نهاية المطاف بحجته الأخيرة عندما لجأ الى الإله "أنويس" . فالواحي يحمل إسم " خو - إن - انبو " الذى يعنى « المحمى من قبل "أنويس" » ، ومن ثم فهو فى حمايته وتحت رعايته . فهل يعنى ذلك أن تأمين العدالة فى الدنيا لا يتحقق إلا بفضل محكمة الآلهة بما تثيره من رهبة فى نفوس الأحياء ؟ ودون الوصول إلى هذه النتيجة قد نكتفى بملاحظة أن المصريين قد تخلوا عن ركونهم المطلق إلى قرار يصدره الملك . وأصبح مصيرهم الجنائزى يتوقف على ما يقدمونه من كشف حساب .

الإنسان يواجه الموت

هذه الفكرة جديدة وترتبط بتطور الدور الجنائزى لـ «أوزيريس» . وقد سبق أن رأينا فى هياكل «المصاطب» أن المتوفى يظل على علاقة بـ «أوزيريس» نظراً لقيامه برحلة الحج إلى أبيدوس ، إذ ساد الاعتقاد أن هذه المدينة المقدسة تضم رفات الإله . كما لُقّب الملك فى "متون الأهرام" بـ "أوزيريس" دون أن يتخلى مع ذلك عن مصيره الشمسى فى العالم الآخر . لقد ظهر "أوزيريس" فى أساطير الخلق الكبرى واندمج فيها . ولكنه بقى فى المقام الأول حلقة فى السلسلة التى تربط الخالق بالبشر . ومع "نصوص التوابيت" التى ظهرت أول ما ظهرت قرب نهاية الدولة القديمة ، إذا بالمتوفى يحاكم أمام محكمة "أوزيريس" !.

ولا يقصد بذلك حدوث ثورة بمعنى الكلمة ، بل تألف بين عنصرين . العنصر الأول هو تداعى سلطة منف الذى يفضى إلى ما اصطلح على تسميته بـ "إشاعة ديمقراطية" الامتيازات الملكية ، وقد لاحظنا ذلك من قبل فى الفن اللاحق على الأسرة الرابعة . كما أن اتساع سلطات زعماء الأسرات المحلية قد لازمه قدر من الاستقلال الجنائزى . فصاروا يتحكمون فى مصيرهم فى العالم الآخر ، ولكن دون الركون إلى الإله الخالق الذى ظل حكراً على الملك . بل اعتمدوا على إله إقليمهم الذى كان يعلو شأنه كلما علا شأنهم . ومن ثم تبرزت الآلهة الصغرى فى الدولة القديمة مرتبة أرقى فى هرم المراتب الإلهية . ونذكر

"واپ واوات" إله أسيوط ، و "خنوم" إله إلفنتين ، و "مونتو" الذى سبق أن شيدت له المعابد فى أرمنت ، والطود والذى أصبحت أمجاده من أمجاد أمراء طيبة ، و " آمون " الذى هجر هرموبوليس ليشارك "مين" إله " كويتوس" (قفط). وتراجعت السمة التى اختص بها فى معاونه المصابين بالاختناق ليصبح "آمون رع" ملك الآلهة من خلال اندماج إلهين... واستفاد "أوزيرس" دون منازع من هذه التحولات التى رسّخت من شعبيته . ولكن هذا لا يفسر كل شىء .

يفوز الملك بعد وفاته بمكانة بجوار "رع" بعد أن أنجز مهمته على خير وجه. فقد كان الحافظ الضامن لتوازن الخلق أثناء حياته . ومن الواضح أن الفرد العادى لا يستطيع أن يعتمد على هذه الحجة كمبرر لقبوله وسط الأبرار. فشرعيته من نفس نوعية الشرعية التى يعتمد عليها الملك . ولكن بعد نقلها إلى مستواه الخاص . فالمطلوب منه إنجاز مهمته فى الدنيا على أكمل وجه ، أى لا يكون قد عرض المجتمع للمخاطر بأى شكل من الأشكال . وقامت أخلاق المجتمع على هذه الأسس ، فكانت حكم "پتاح حوتپ" من أولى مظاهرها مع حلول الأسرة الخامسة . اللهم إلا إذا اعتبرنا أن تأليف هذا الفن الأدبى قد حدث خلال مرحلة الاضطرابات ، فهذا يفسر ذاك . فمن أحجم عن القيام بوظيفته فى المجتمع ، مجرم فى نظر الخالق ولا يحق له بالتالى الاندماج فى الكون بعد وفاته ، بعد أن رفض أن يضطلع بالدور المنوط به خلال حياته . وتلك هى دلالة المسارد التبريرية الواردة فى السير الذاتية التى انتشرت خلال الدولة الحديثة فيما عرف اصطلاحاً " باعلان البراءة " الذى يفصله المتوفى أمام محكمة " أوزيرس " ناقلاً إلى العالم الآخر ما اعتبره ناموس سلوكه فى هذه الدنيا :

«إنى لم أكن جائراً على بشر .

إنى لم أعامل الناس بالسوء .

إنى لم أرتكب خطيئة فى «مكان الحق».

إنى لم أحاول معرفة ما لا ينبغى معرفته.

إنى لم آت شراً.

إنى لم استهل يومى بالحصول على عمولة من جانب من يعملون لحسابى ، ولم يصل اسمى إلى وظيفة رئيس عبيد.

إنى لم أسب الإله .
إنى لم أسلب إنساناً ممتلكاته .
إنى لم أرتكب ما يمقته الآلهة .
إنى لم أتسبب فى ألم .
إنى لم أترك شخصاً يتضور جوعاً .
إنى لم أدفع شخصاً الى البكاء .
إنى لم أقتل .
إنى لم آمر بالقتل .
إنى لم أتسبب فى تعاسة شخص .
إنى لم أنتقص من تقدمات المعابد الغذائية .
إنى لم أدنس خبز الآلهة .
إنى لم أغتصب قرايين الأبرار .
إنى لم ارتكب لواطاً .
إنى لم أزن فى الأماكن المقدسة لإله مدينتى .
إنى لم أقتطع من المكيال .
إنى لم انقص " الأورورا " .
إنى لم أغش فى الأراضى .
إنى لم أطفف الميزان .
إنى لم أغش الموازين .
إنى لم أغتصب اللبن من فم الرضيع .
إنى لم أحرم الماشية من مرعاها .
إنى لم أنصب الشباك لطيور الآلهة .

إنى لم أصطد سمكاً من بحيراتهم .
إنى لم أحبس الماء زمن الفيضان .
إنى لم أضع سداً أمام المياه المتدفقة .
إنى لم أطفىء ناراً متأججة .
إنى لم أبطل الأيام المخصصة لتقدمات من لحم .
إنى لم أبعد القطعان المخصصة لطعام الآلهة .
إنى لم اعترض طريق الإله عند خروجه فى موكبه .

L d M ch.125

بيد أن المتوفى لم يصبح بعد من رعايا "أوزيريس" بشكل كامل. إذ أن مثوله أمام محكمته يستهدف تحقيق حياة فى الآخرة منقولة عن حياة الملك:
« أيا "چحوتى"، لقد أعلنت براءة "أوزيريس" ضد أعدائه
فى محكمة هليوپوليس، فى ذاك اليوم ، عندما وُرث عرش شاطئى "چب"
سيدهم .

فى محكمة بوزيريس ، فى ذاك اليوم ، عندما تمنح العين "واچت" لسيده.
فى محكمة "په - دپ" ، فى ذاك اليوم ، عندما أزيل شعر النائحات .
فى محكمة ليتوپوليس ، فى ذاك اليوم، عندما يقدم طعام المساء فى ليتوپوليس.
فى محكمة "رو - سيتاو" ، فى ذاك اليوم ، عندما يتم حصر جمهرة الناس
وإقامة الساريتين .

فى محكمة أبيدوس ، فى ذاك اليوم ، عندما يقام احتفال عيد "هاكر" عندما
يحاسب الموتى وعند حصر من لا يملكون شيئاً.
فى محكمة هيراكليوپوليس، فى ذاك اليوم عندما يجرى عزق التربة والحفاظ على سرية
الأرض فى "نارف".

هكذا لقد برئ "حورس". والهيكلان راضيان .

وانشرح صدر أوزيريس . إنه حقا "تحوت" هو الذى أعلن براءتى فى محكمة "أوزيريس".

- ومن يعرف كل ذلك يمكنه أن يتحول الى الصقر ، ابن رع .

ومن يعرف كل ذلك وهو على الأرض ... لن تفنى روحه....

إنه لا يفنى أبداً. بل العدو هو الذى يفنى...

أما هو فسوف يأكل الخبز فى دار "أوزيريس".

وسوف يدخل معبد الإله الفائق القوة.

ويتلقى التقدّمات ولا يمكن أن يعيش على الفضلات ! «.

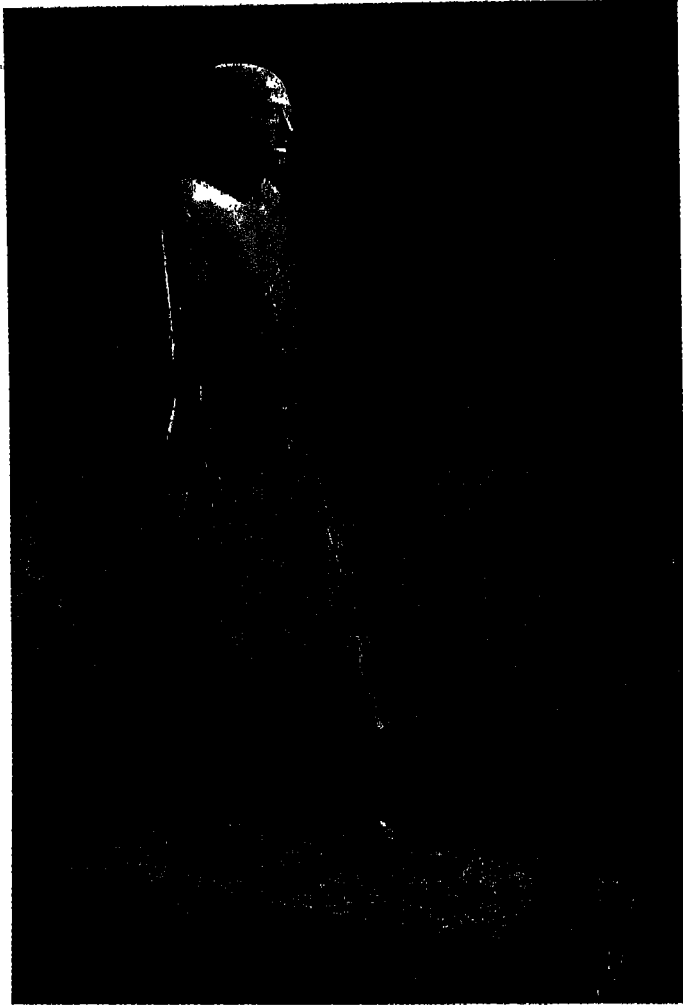
(C T Spell 339)

إن أساس الأخلاق التى صبغت أدب الحكّم أو الأدب الجنائزى هو احترام التوازن الذى تجسده الإلهة "ماعت". إنها تملك المعيار الذى يحدد مدى استقامة سلوك البشر على الأرض . وطبق المصريون هذه الصورة تطبيقاً حرفياً. فكان المتوفى يحاكم أمام محكمة مشكلة من اثنين وأربعين إلهاً، على أساس إله لكل إقليم من أقاليم مصر . وتعتقد المحكمة برئاسة " أوزيريس " ويمثل المتوفى بين أيديهم. وينتظر أمام ميزان ضخم يقف بجواره "تحوت" و "الملتهمة الكبرى" وهى حيوان خرافى نصف أسد ونصف تمساح . واسمه على مسمى ويوحى بوظيفته . ويوضع على إحدى كفتى الميزان إناء صغير يمثل قلب المتوفى، وعلى الكفة الأخرى صورة الإلهة "ماعت" جالسة فوق سلة . وإذا مال ذراع الميزان من أحد جانبيه اللسان قضى على البائس وسلم إلى "الملتهمة الكبرى" . وإذا خرج منتصراً من عملية " وزن القلب " يقف فى حضرة "أوزيريس" الذى يستقبله ليضمه إلى الأبرار .

الفن الإقليمى

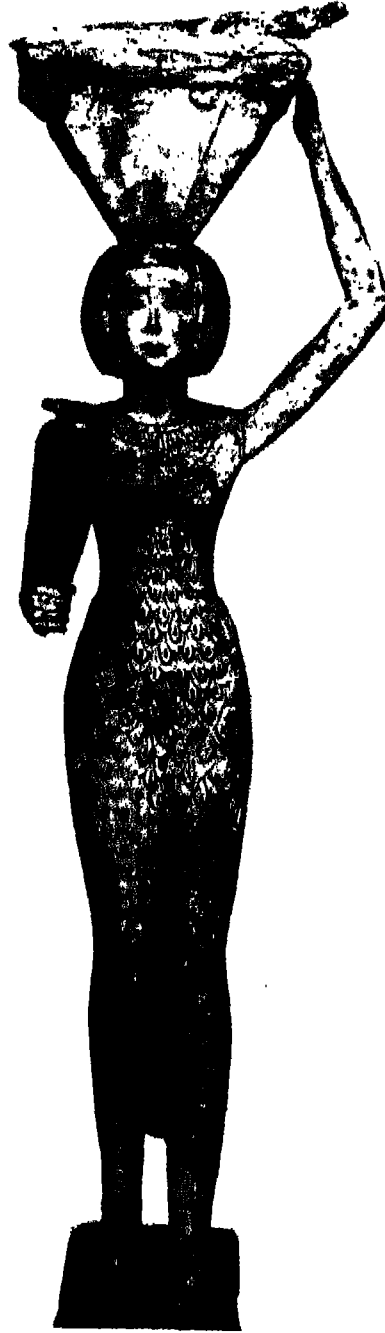
وقد اعتبر الفن أيضاً مرآة لوعى الفرد بذاته كنتيجة لضعف السلطة المركزية. وإذا شق على الباحث متابعة تاريخ مدرسة منف الفنية إلا أنه فى إمكانه أن يفترض أنها اتخذت منحىً هابطاً شأنها شأن حكومة منف المركزية . ولا شك ان العديد من الأعمال الفنية قد جرى تنفيذها لصالح ملوك هيراكليوبوليس . ولكن المدارس الفنية ازدهرت إلى جانب ذلك فى كل إقليم على حدة ، وظلت قواعد الفن هى . بيد أن الأعمال الفنية قد

خسرت الكثير من جراء هجرها لمحاكاة روائع الفن المصرى . ولكنها عوضت ما فقدته بفضل التلقائية التى اكتسبتها وان كان على حساب ظهور بعض السمات الخرقاء التى تعودها البراعة . كما نظبت المصادر التقليدية لامداد المصرى باحتياجاته من الأحجار التى تقتلع من المحاجر عن طريق تنظيم الحملات الضخمة التى تنطلق من العاصمة . ومن هنا نشأت ضرورة استحداث مواد أولية جديدة. وتصدّر الخشب قائمة هذه المواد، فأتاح البحث عن أشكال على قدر كبير من التحرر مع انتشار الواقعية . لقد عثر فى جبانة أمراء أسيوط على كمية كبيرة من القطع الأثرية ومنها تمثال من الخشب لحامل الأختام "ناختى" الذى كان معاصرا للأسرة العاشرة، وهو من روائع هذا الضرب من الفنون.



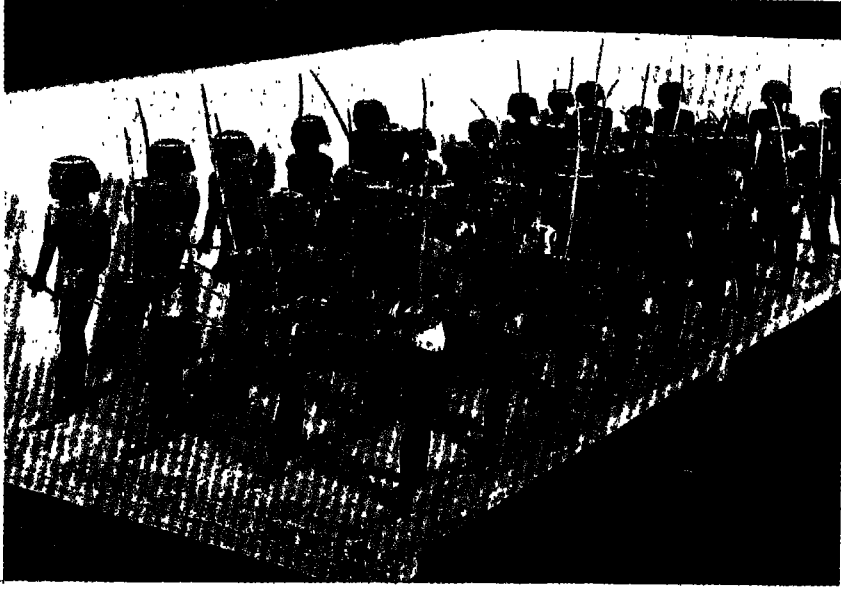
شكل (٦٩) - حامل الأختام "ناختى"

تمثال من الخشب عثر عليه فى مقبرته فى أسيوط. الارتفاع ١٧٥ سم. متحف اللوفر E11937.



شكل (٧٠) - حاملة القرابين

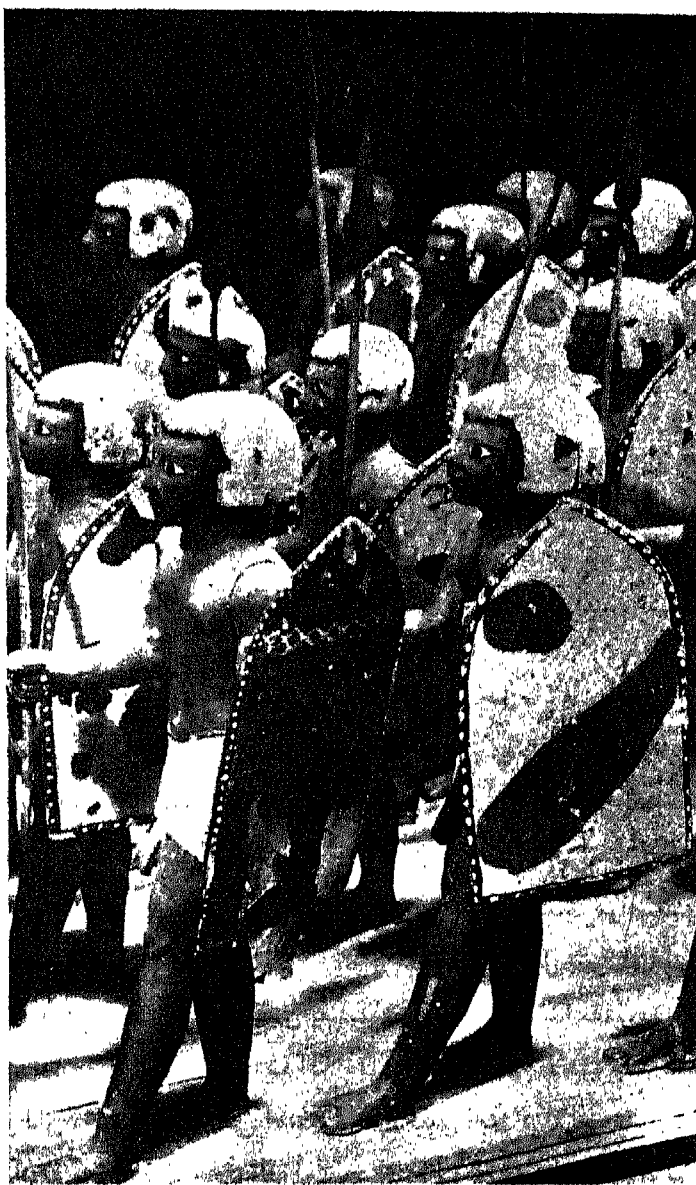
تمثال اكتشف في أسيوط (٢). من الخشب الإرتفاع ١.٠٤ سم. متحف اللوفر E10781



شكل (٧١) - حاملو الأقواس.

مجموعة عثر عليها فى أسيوط من الخشب. الارتفاع ١٩٣ سم. متحف القاهرة CGC257

كما امدتنا هذه المقابر بأروع الأمثلة لما عرف اصطلاحاً بـ "النماذج". وقد ازدهر هذا الأسلوب لأسباب عملية أيضاً. فتنقل "النماذج" بأسلوبها التشكيلي الخاص المشاهد التي كانت تزdan بها جدران الهياكل الجنائزية فيما مضى، إذ أصبح من الصعوبة بمكان زخرفة سطوح جدران المقابر المحفورة فى الصخر. ولذا لجأ المصرى إلى هذه الأشكال من الفنون التطبيقية الوثيقة الصلة بالمشاعر الشعبية الحميمية من حيث مواضيعها أو الأساليب التقنية المستخدمة. وهذا الإنتاج إلى جانب فن نحت التماثيل بشكل عام، يفصلهما عن الدولة القديمة خط واضح، فى حين يعتبر العصر الذى يبدأ بفتوحات "منتوحوتب" الثانى امتداداً له. وتنسحب هذه الملاحظة أيضاً على الأدب وقد بلغ ذروة الكمال الكلاسيكى فلن يحيد عنه إلا فى أضيق الحدود على امتداد الألف سنة التالية. كما تظل العمارة الجنائزية دون تغيير خلال الدولة الوسطى بالنسبة للأفراد على الأقل، فلا يوجد خط فاصل بين جبانات الأقاليم فى أسيوط وأسوان والجبلين وبنى حسن ومير والبرشا أو قاو الكبير، على سبيل المثال، وبين جبانات الدولة الوسطى. ومع ذلك تظهر "المصطبة" حيثما يلجأ الملوك إلى الدفنات الهرمية الشكل. فنشاهد عودة إلى النموذج المنفى الذى أخذ به ملوك الدولة الوسطى وكل همهم هو تأكيد شرعية حكمهم.



شكل (٧٢) - حاملوا الحراب

مجموعة عثر عليها في أسيرط. من الخشب الارتفاع ١٩٣سم. تفصيل متحف القاهرة CGC et 257 e

الفصل السابع الدولة الوسطى

الوحدة ومراحلها الأولى

خلف " منتوحوتب " الثانى سلفه إنتف الثالث حوالى عام ٢٦٠١ ق. م. وعندما تبوأ عرش البلاد تلقب باسم " سى عنخ ايب تاوى " ومعناه " الذى يحمى قلب الأرضين ". وظل سلطانه محصورا بين الجندل الأول و الإقليم العاشر من أقاليم الصعيد شمالا عند الحدود الفاصلة بينه وبين أمراء أسيوط ، وقامت بين المملكتين هدنة فرضتها قواتهما المسلحة فرضا . و انهارت هذه الهدنة إثر نشوب الثورة فى الإقليم " الثينى " الذى عانى مجددا من المجاعة و انقضَّ على زمرة هيراكليوبوليس . فاستولى " منتوحوتب " على أسيوط و اجتاحت الإقليم الخامس عشر دون عناء يذكر . وسقطت هيراكليوبوليس .

و أخيرا نودى به ملكا على مصر القطرين و اختار اسم " نب حيت رع " . واتخذ ابن رع " منتوحوتب " لنفسه اللقب الحورى " نترى حجت " أى " إلهى هو التاج الابيض " ليؤكد أصوله . ومع ذلك لم يبسط نفوذه و سلطانه على طول البلاد وعرضها ، بل استغرقت جهود إقرار السلام سنوات طويلة . ومن الملاحظ فى هذا الصدد أن الواحات الداخلة فى الصحراء الغربية كانت منذ هذا الوقت المبكر ملاذا يلجأ إليه المعارضون السياسيون . و قد قام " منتوحوتب " بمطاردتهم الى هذه الأصقاع . وكان كريما مع أمراء إقليمى " الوعل " و " الأرنب " ، فكافأهم على إخلاصهم ووفائهم فثبتهم فى مناصبهم وفعل الشئ نفسه مع مختلف إقطاعيات الصعيد ماعدا أسيوط . وانتشر المفتشون المعينون من قبل طيبة فى أرجاء البلاد و كلفوا بأعمال الرقابة و لاسيما فى هيراكليوبوليس ، التى عادت إلى وضعها كمقاطعة ، وكذلك هيليوبوليس . وتم نقل العاصمة إلى طيبة و أنشأ منصب " حاكم الشمال " . و أعاد مناصب حاملى الأختام القديمة . ومنصب الوزير وقد وصلتنا أسماء ثلاثة من الذين شغلوا هذا المنصب وهم " داجى " و " ببى " و " إيبى " . واستغرقت شتى هذه الإنجازات على مايفترض حتى العام الثلاثين من حكمه . وهكذا تحققت الوحدة . واختار فى العام ٣٩ من حكمه اسما حوريا جديدا هو " سماتاوى " و معناه " الذى وحد الأرضين " وإذا كان منتوحوتب الثانى موحد البلاد ، فقد كان أيضا بناء عظيما ، إذ واصل أعمال الترميم التى بدأها " أنتف "

الثالث فى إلفنتين فى معبدى الأمير " حقا إيب " و الإلهة " ساتيت " كما شيد العمار فى البلاص و دندرة و الكاب و فى معبد " حتحور " فى الجبلين حيث سجل بالصورة إخضاع الشمال ، و فى أبيدوس حيث ألحق إضافات بمعبد " أوزيريس " . و قام بتجميل معبدى " مونتو " فى الطود و أرمنت . و عند سفح الجرف الذى يشرف على منطقة الدير البحرى شيد مجموعة جنازية على الطراز المعمارى المشتق من مجموعات الدولة القديمة الجنازية .

كما استأنف السياسة الخارجية التى أخذت بها الدولة القديمة . فقاد حملة فى اتجاه الغرب ضد الليبيين الـ " قحو " و الـ " تنحو " ، و فى سيناء ضد البدو الـ " منتيو " . و أمن بصفة قاطعة و نهائية حدود البلاد ضد تسلل الآسيويين و طاردهم حتى نهر الليطانى . و حاول استعادة ما كان لمصر من نفوذ فى النوبة عند نهاية الأسرة السادسة ولو فى حدود استغلال المناجم و صيانة الدروب . و قد جاء الاستيلاء على كركور بخاصة تأميناً لطرق القوافل القديمة . وظلت النوبة مستقلة رغم إقدام مصر على إعادة فتح بعض المناطق كأبى بلاص على سبيل المثال ، إلى جانب الحملات التى قادها حامل الأختام " خيتى " الذى عهد إليه " منتوحوتب " الثانى بمهمة الإشراف على سائر البلدان الجنوبية . و قد وصلتنا أخبار حملتين من هذه الحملات . فنظمت الأولى فى العام التاسع و العشرين من حكم " منتوحوتب " الثانى ، فى حين نظمت الأخرى فى العام الحادى و الثلاثين . فمكتنا المصريين من الوصول إلى بلاد " واوات " . و كانت المحصلة النهائية لهاتين الحملتين الإشراف على جانب مسن النوبة حتى مشارف الشلال الثانى أكثر من كونها احتلالاً حقيقياً .

و توفى " منتوحوتب " الثانى حوالى عام ٢٠١٠ ق.م. بعد حكم استمر واحد و خمسين سنة . و خلفه ابنه الثانى " منتوحوتب " الثالث " سى عنخ تاوى إف " و معناه " الذى يحى أراضيهِ " . فورث عن أبيه بلاداً مزدهرة يسودها النظام . و عندما اعتلى " منتوحوتب " الثالث عرش البلاد كان طاعناً فى السن إلى حد كبير . و لم يدم حكمه لمصر سوى اثنتى عشرة سنة . فواصل خطط تنمية البلاد و نفذ برامج التشييد التى بدأها والده فى أبيدوس و الكاب و أرمنت و الطور و إلفنتين و فى غربى طيبة بالطبع حيث كرس معبداً للإله تحوت . و أقام لنفسه على مقربة من الدير البحرى مقبرة لم يسعه الوقت كى ينتهى منها .

كما قام بتدعيم المراكز المصرية فى شرق الدلتا مقتنياً أثر عواهل هيراكليوبوليس . كما أمر بإقامة التحصينات لتأمين حدود مصر من إغارات الأسيويين ، واستمر التوسع فى هذا النظام الدفاعى . وخلال الدولة الوسطى لم تتوقف أعمال التوسع فى هذا النظام الدفاعى وإن ظل المصريين يعتبرون أن " منتوحوتب " الثالث " وخيتى " الثالث أصحاب الفضل فى المبادأة بإقامته ، كما تشهد على ذلك الشعائر التى أقيمت لهما فى زمن لاحق فى الختاعنة . كما استأنف " منتوحوتب " الثالث نشاطا آخرًا كان يعتمد فى المقام الأول على استعادة السيطرة على النوبة السفلى الأمر الذى كان قد تم فى عهد والده . فجهز فى العام الثامن من حكمه حملة تتكون من ثلاثة آلاف رجل وضعوا تحت قيادة " حننو " . فخرجت من " كويتوس " متجهة إلى وادى جاسوس . وأثناء سيرها قامت بحفر اثنتى عشرة بئراً لتأمين إمدادات المياه اللازمة للحملة التى كان من المزمع تسيرها فى المستقبل إلى البحر الأحمر انطلاقاً من وادى النيل . وأبحرت الحملة إلى « بونت » ، وعادت منها محملة بالخيرات ، وكان من جملة ما جلبت الصمغ العربى . وبعد عودتها استؤنف قطع الأحجار من وادى الحمامات .

وندين للصدفة وحدها باكتشاف شهادة شيقة وعظيمة الفائدة تحدثنا عن الأوضاع فى أواخر أيام حكم " منتوحوتب " الثالث الذى كان مزدهراً فى الظاهر . إنها مراسلات المدعو " حقانخت " الكاهن الجنائزى للوزير " إيبى " فى طيبة . فقد أبقت الظروف بعيداً عن أملاكه فكتب سلسلة من الخطابات إلى أفراد أسرته الذين تولوا إدارة شئون أرضه طوال فترة غيابه . وعُثر على هذه الخطابات فى الدير البحرى فى مقبرة المدعو " مسح " الذى كان هو أيضاً على علاقة وثيقة بـ " إيبى " . وتزخر هذه المراسلات بمختلف البيانات المتعلقة بتوزيع هذه الأملاك وإيجار الأرض والضرائب المستحقة إلى جانب حصر بالملكات مؤرخ بالعام الثامن من حكم " منتوحوتب " الثالث . كما تعتبر بما تحتويه من معلومات مصدراً قيماً حول اقتصاد العصر وقوانينه . ولكن " حقانخت " يشير أيضاً إلى الاضطرابات التى اجتاحت جنوبى الصعيد والمجاعة التى أصابته .

وبالفعل فقد أضحت الأوضاع غامضة مشوشة عندما توفى " منتوحوتب " الثالث حوالى ١٩٩٧/١٩٩٨ ق. م. وقد ترك جدول تورين " فراغاً يغطى سبع سنوات " وهى الفترة المقابلة لحكم " منتوحوتب " الرابع . أما لقب اعتلائه العرش " نب تاوى رع " ومعناه " رع سيد الأرضين " ، فهو يشير إلى اتجاه سياسى للعودة إلى قيم الدولة القديمة . وينقل لنا

مخريش سجل فى وادى الحمامات أخبار الحملة التى أرسلها "منتوحوتب" الرابع فى العام الثانى من حكمه والذى يطلق عليه المخريش لقب "تب تاوى" فحسب . وكانت هذه الحملة تتكون من ألف رجل مهمتهم إحضار التوابيت والتنقيب عن آبار جديدة فى الصحراء الشرقية والبحث عن موقع افضل لميناء يطل على ساحل البحر الأحمر وهو مرسى جواسيس الذى سيفرغ " أمنمحات" الثانى فى وقت لاحق من تجهيزه وتبحر منه الرحلات المتجهة إلى بلاد "بونت" .

أمنمحات الأول

وخرج وزيره " أمنمحات " على رأس هذه الحملة . وهناك شبه إجماع على اعتبار "أمنمحات" هذا و" أمنمحات " الأول خليفة "منتوحوتب" الرابع شخصاً واحداً . وتم الكشف عن مدونة واحدة تجمع دون لبس بين الملكين ، ومن هنا ظهر الفرض القائل بوجود فترة حكم مشتركة وإن كان افتراضاً وهمياً مشكوكاً فى صحته . Murnam : 1977,227-228 . وعلى كل حال فإن "منتوحوتب"

الرابع هو آخر ممثلى سلالة عائلة أمراء طيبة. ومن ناحية أخرى يستهل " أمنمحات؛ أسرة حاكمة جديدة بشهادة إسمه الحورى الذى اختاره وهو "وحم ميسوت" ومعناه "مجدد الولادات" أى الذى يأتى على رأس سلالة جديدة . ورغم هذا التغيير المؤكد فلا شك أن تواصل السلطة ظل قائماً، وإن اعترى الانتقال من أسرة إلى أخرى قدر من الصدمات . فقد ظهر على مسرح الأحداث فى عصر "أمنمحات" الأول اثنان من المطالبين بعرش البلاد، يدعى أحدهما " أنتف" والآخر فى النوبة ويدعى "سچرسينى" الذى ربما اضطر ملك مصر أن يخوض ضده معارك عنيفة طوال سنوات حكمه الأولى . ومع ذلك لم تنفصم الروابط مع الأسرة الحادية عشرة ، إذ ظل الموظفون شأنهم شأن الملوك الجدد يعتزّون بانتمائهم إلى الأسرة السابقة . والأرجح أن هذه الخلافة لم تخرج عن المألوف طالما أن نظام الوراثة عند أمراء طيبة ظل يستند إلى الاختيار أو إلى رابطة الدم . إن لقب "سحوتب إيب رع" الذى اختاره «أمنمحات» اسماً للتتويج ويعنى " الذى يهدئ قلب رع " جاء ليدعم الاتجاه الأيديولوجى الجديد الذى انحاز إليه "منتوحوتب" الرابع. أما لقب أمنمحات وهو الإسم الذى حمّله منذ ولادته ومعناه "أمون فى المقدمة" فهو إعلان للبرنامج السياسى الذى أدى فى نهاية الأمر إلى صيغة "أمون رع" التوفيقية ، وهى الأساس الذى استمد منه الملوك الجدد سلطانهم نتيجة عودتهم إلى لاهوت هليوبوليس ، أما "أمنمحات" فلم يكن من أبناء طيبة وإن كان صعيدياً فى الأصل وهو ابن كاهن يدعى "سن أوسرت" الذى يعنى

"رجل الإلهة العظمى" أنجبه من امرأة تدعى "نفروت" ومسقط رأسها إلفنتين . كما اعتبرته الأسرة الثامنة عشرة المؤسس الحقيقي للأسرة الثانية عشرة .

واعتمد العاهل الجديد على الأدب للترويج للبراهين التي تثبت حقه الشرعى فى وراثة العرش، شأنه فى ذلك شأن أسلافه من ملوك الأسرة الخامسة . واعتمد على أدب النبوءة وصولاً لغرضه فى قصة تحذيرية تروى على لسان أحد حكماء مدينة هليوبوليس يدعى "نفرتى" الذى يوجد العديد من النقاط المشتركة بينه وبين "جدى" الذى ورد ذكره فى بردية وستكار . وتقع أحداث هذه القصة على ما يزعم فى عهد "سنفرو" الذى استدعى "نفرتى" إلى بلاطه تماماً كما حدث لـ "جدى" . أما الدوافع التى تحكممت فى اختيار "سنفرو" فى كلا القصتين فليست واحدة أو متماثلة . لقد سبق أن لاحظنا كيف أضحى العاهل العجوز مع حلول الأسرة الثانية عشرة نموذج الملك الحكيم الدمث الخلق . حتى بات شرف الانتساب إليه مفخرة ومصدر اعتزاز . ويرسم "نفرتى" لوحة قائمة عن آخر أيام حكم الأسرة الحادية عشرة . ومن الغرب حقاً أنها تخص مناطق الدلتا الشرقية فى المقام الأول . وفى ختام روايته يتنبأ بمجىء " أمنمحات " الذى يلقبه " أمينى ":

" لم تعد هليوبوليس مهد الآلهة . وسوف يأتى ملك من الجنوب يدعى "أمينى" . وهو ابن امرأة من الإقليم الأول فى الجنوب وهو من أبناء الصعيد . سيتسلم التاج الأبيض ويلبس التاج الأحمر . فيوحد التاجين وينشر السكينة بين الإلهين ومن يشاءون" .

Néfertî XIIe-XIIIe

وهكذا تكرست شرعية انتقال السلطة من هليوبوليس مهد ملوك الدولة القديمة إلى

الأسرة الثانية عشرة	١٩٩١ -
" أمنمحات " الأول	١٩٩١
" سنوسرت " الأول	١٩٦٢
" أمنمحات " الثانى	١٩٢٨
" سنوسرت " الثانى	١٨٩٥
" سنوسرت " الثالث	١٨٧٨
" أمنمحات " الثالث	١٨٤٢
" أمنمحات " الرابع	١٧٩٧
" نفرو سوبك "	١٧٨٥ - ١٧٩٠

شكل رقم (٧٣) جدول التسلسل الزمنى للأسرة الثانية عشرة

طيبة . وربما كانت الرغبة الملحة فى استمالة شرقى الدلتا تخفى شيئاً من الحقيقة . لقد شيد "امنمحات" الأول العمائر فى بوباستس حيث كان "نفرتى" كاهناً وفى المختاغبة وفى تانيس (Posener : 1961, 39) . وإن كان الجهاز الإدارى قد خضع لهذا التغيير إلا أن الملك الجديد قد اضطر مع ذلك إلى تجهيز حملة إلى إلفنتين بعد وقت قصير من اعتلائه عرش البلاد . وكانت الحملة بقيادة "خنوم حوتب" الأول حاكم إقليم "الوعل" الذى أبحر صوب الجنوب على رأس أسطول مكون من عشرين سفينة . وربما واصل التقدم حتى النوبة السفلى حيث تجمّع انصار "سچرسينى" على ما يظن . كما خرج "امنمحات" الأول فى جولة تفقدية فى وادى الطميلات حيث شيد تحصينات "أسوار الأمير" . وكان من الملوك الذين عُرف عنهم ولعهم بأعمال التشييد . فنفذ أعمالاً ضخمة فى الكرنك ، بقى منها ناووس من الجرانيت حيث كان يقبع فيما مضى تمثال للشعائر إلى جانب مجموعة تماثيل أخرى . وربما كان مؤسس معبد الإله "موت" جنوبى حرم معبد "آمون رع" . وترك آثاراً فى كوپتوس فى معبد الإله "مين" وزخرف أجزاء كبيرة منه ، وفى أبيدوس حيث كرس لأوزيريس مذبحاً من الجرانيت ، وفى دندرة حيث أهدى للإلهة حتحور باباً من الجرانيت أيضاً . وأخيراً وليس آخراً فقد ترك لمساته المعمارية فى معبد "بتاح" فى منف . وهو أمر له مغزاه ودلالته . كما أمر بأن يشيد هرمه فى اللشت على بعد خمسين كيلومتراً جنوبى منف .

وركز "امنمحات" الأول جل اهتمامه على إعادة تنظيم الجهاز الإدارى . واستهمل نشاطه بنقل عاصمة البلاد من طيبة ، فأسس مدينة جديدة على مقربة من اللشت حيث سيقم جبانته ، وأطلق على المدينة إسم "أمن إم حات إئت تاوى" ، ومعناها "امنمحات هو الذى فتح الأرضين" . وقد اختصره المصريون الى "إئت تاوى" . وسار على نهج منتوحوتب الثانى فكافأ حكام الأقاليم المؤيدين لارتقائه عرش البلاد فثبتهم فى مناصبهم . ونذكر على سبيل المثال حاكم إقليم الوعل . وقد قام من ناحية بتدعيم سلطاتهم من خلال إحياء بعض الألقاب القديمة ، وتولى من ناحية أخرى تقليص هذه السلطات سواء بإبعاد بعضهم مثل حكام إلفنتين وأسيوط والقوصية ، أو من خلال إعادة منحه الأراضي . وىروى "خنوم حوتب" حاكم بنى حسن كيف وضع تقسيماً جديداً على أساس المدن فى إطار الإقليم الواحد (Urk . VII , 27 , 13) كما قام بتوزيع الأراضي تبعاً لمستوى الفيضان وأعاد العمل بنظام التجنيد العكسرى .

ويعتبر العام العشرون من حكم " امنمحات " منعطفاً هاماً . فقد اشرك ابنه البكر " سنوسرت " فى الحكم مستهلاً تقليداً ظل سارياً بانتظام طوال الأسرة الثانية عشرة . وتتزامن هذه المشاركة مع تجديد السياسة الخارجية . وأصبح " سنوسرت " ذراعاً لأبيه بتوليه الإشراف على الجيش . وربما كان يهدف من وراء ذلك أن تتعرف الأمم الأجنبية على خليفته المنتظر حتى يتمكن من ممارسة سيطرته عليهم . ولعب أسلوب المشاركة فى الحكم دوراً عظيماً فى عصر الرعامسة عندما أخذت مصر تناضل من أجل السيطرة على الشرق الأدنى . وفى حدود العصر الذى ندرسه فقد اتجهت جهود الملك إلى النوبة . وفى العام الثالث والعشرين من حكمه خرج المصريون بحملتهم الأولى فوصلوا إلى جرف حسين وإلى محاجر الديوريت القديمة الواقعة عند توشكى . وفى العام التاسع والعشرين قامت الحملة الثانية التى سمحت للمصريين بالتغلغل إلى أعماق النوبة فوصلت إلى كرسكو بل وتجاوزتها مع تشييد حصن الحدود عند سمنا الواقعة عند الشلال الثانى . كما تواجد المصريون فى كرما حيث عثر على تمثال لحاكم إقليم أسبوط " حعبي چيفا " ، وإن لم يعتبر ذلك بالضرورة دليلاً على أن " حعبي چيفا " كان حاكماً لها (Vercoutter : 1987 , 158) . بل على العكس يمكن الافتراض أن التمثال قد نقل إليها فى وقت لاحق وفى عهد " سنوسرت " الأول على الأرجح . ومن جهة الشرق الأدنى أحرز القائد " نيسو مونتو " فى العام الرابع والعشرين انتصاراً على البدو ، فأمن بذلك استقلال مناجم الفيروز فى سرابيط الخادم . وفى نفس الوقت عادت العلاقات الدبلوماسية إلى سابق عهدها مع بيبيلوس وعالم بحر إيجه .

الأدب والسياسة :

كان " سنوسرت " فى طريق العودة من حملة شنها فيما وراء وادى النطرون ضد مناوئى النظام ومعارضيه الذين لجأوا عند الليبيين عندما تفجرت أزمة خطيرة باغتيال " امنمحات " الأول فى منتصف فبراير ١٩٩٢ ق.م فى مؤامرة دبرها حريم الملك . ولا غرو أن نظام وراثة العرش لم يكن قد استقر تماماً على النحو الذى تحاول الوثائق التى ترجع إلى هذين العاهلين التأكيد عليه والإيحاء به (Murmane : 1977 , 2sq) . صحيح أن " سنوسرت " الأول قد تربع على عرش البلاد ، ولكن هذه القضية ظلت مع ذلك يكتنفها قدر كبير من الغموض وأصبحت من المواضيع المحببة للأدب الرسمى فتناولوها على أقل تقدير اثنان من الأعمال الأدبية ، سيصبحان مع حلول الدولة الحديثة ، على غرار " نبوة "

نفرتى" ، من كلاسيكيات الأيديولوجية الملكية التى تدرس فى المدارس وتلاقى ذبوعاً وانتشاراً منقطعى النظر .

النص الأول قصة تروى ما ألم بموظف فى الحريم من محن وشدائد. وكان هذا الموظف ويدعى " سنوهى " أحد أفراد حاشية "سنوسرت" العائدة من ليبيا ، عندما سمع عرضاً نبأ اغتيال الملك أثناء إبلاغه لإبنه الأمير الصغير فانتابه الخوف . فهل السبب أنه سمع ما كان لا ينبغي سماعه؟ أم كان هناك سبب غامض آخر ؟ على كل حال لقد غادر فى إثر ذلك ، وقطع الدلتا شرقاً متجهاً شرقاً عبر برزخ السويس وحطّ فى نهاية المطاف فى سوريا حيث استقبله أحد رجال البدو الذين خضعوا لمصر قبل فترة قصيرة وتبناه . ومرت الأيام والسنون . وتروى لنا القصة الأحداث والمفاجآت التى تعرض لها "سنوهى" حتى أضحي زعيم قبيلة قوياً ومحل احترام الجميع . ولكن الحنين إلى الوطن ظل يعذبه ويضنيه ، فطلب العفو من "سنوسرت" الذى لبّى طلبه . فعاد إلى وطنه والتقى بالأبناء الملكيين ومات بين ذويه . هذه القصة زاخرة بالمغامرة ، وليست هذه المغامرات سوى الخلفية التى تبرز وفاء خادم ضل الطريق قبل أن يعود إلى الصراط المستقيم. ويتخلل قصة "سنوهى" موقفان تبلغ فيهما القصة ذروة الجمال الفنى ، أحدهما ثناؤه على الملك الجديد فى حضور الأمير السورى ، والآخر الرد الذى أرسله إلى الملك بعد ان تلقى الإذن بالعودة إلى الوطن:

" يقول سنوهى خادم القصر: فى سلام إذن ! إنه من الأمور الطيبة أن يوافق "كاؤك" على الهروب الذى أقدم عليه هذا الخادم المتواضع دون دراية منه، أيها الإله الكامل ، يا سيد الأرضين. يا محبوب رع ، يا صفى مونتو رب طيبة . أيا أمون يارب عرش الأرضين ، أيا سويك ، أيا رع ، أيا حتحور ، أيا آتوم وتاسوعه ، أيا سويد ، أيا نفرىاو ، أيا سمسرو ، أيا حورس الشرق ، أيا سيدة بوتو (فلتطوق رأسك) ، أيا أيها المجلس المنعقد فوق الأمواه ، أيا مين حورس الساكن فى الفيافى ، أيا "ورت إرت" ، أيا سيدة بونت ، أيا نوت ، أيا حورس الكبير ، أيا سائر الآلهة الأخرى ، أيا أرباب مصر وجذر "الخضرء الكبرى" ، فليمنحك جميعهم الحياة والقوة فى أنفك ، فليجودوا عليك بعطايهم ، فليهبوك الأبدية التى لا نهاية لها والآماد التى لا حدود لها! وتنتشر الرهبة التى تثيرها فى النفوس عبر السهول والجبال حتى تُخضع الدائرة التى يحيط بها قرص الشمس فى مسيرته . إنه ابتهاج الخادم المتواضع إلى سيده بعد إنقاذه من الـ "أمتنى" .

"إن سيد المعرفة الذى يعرف رعاياه ، كان يدرك فى خفايا قصره أن هذا الخادم المتواضع كان يخشى أن يبوح بهذه الأمور . حقا انه لأمر فى غاية الخطورة أن يتحدث المرء فى هذا الأمور. إن الإله الكبير، وهو صورة رع يؤتى الفطنة كل من يعمل من أجل نفسه . إن الخادم المتواضع بين يدي من يسهر عليه . أجل إنى تحت إمرتك . فجلالتك هو حورس الفاتح . وساعدك أقوى من سواعد سائر البلدان(....)".

"أما هروب هذا الخادم المتواضع فلم يكن أمراً متعمداً . وما كان فى قلبى، ولم يكن أمراً مدبراً. ولا أدري ما الذى دفعنى بعيداً عن المكان الذى كنت أقيم فيه . وبدا كل شئ وكأنه حلم، مثلما يتراءى لشخص من أهل الدلتا أنه فى إلفنتين . أو أحد القاطنين فى المستنقعات أنه فى النوبة . لم ينتبنى خوف ولم يلاحقنى أحد . ولم أسمع كلمة شائنة. ولم يرد إسمى على لسان المنادى . ومع ذلك فقد ارتعدت فرائصى . فهرت على قدم وساق بهدى من قلبى. أما الإله الذى أملى على الهروب فقد دفعنى دفعاً . ومن ناحية أخرى فلست بالرجل المعاند المكابر ، لأن من يعرف بلده هو شخص متواضع . فقد أراد رع أن يعم الخوف منك أرض مصر ويسود الرعب منك فى سائر البلدان الأجنبية . وسواء أكنست أنا فى البلاط أم هنا فى هذا المكان ، ففى مقدورك أنت ، حجب هذا الأفق . فالشمس تشرق حسبما يتراءى لك ، والمياه الجارية فى الأنهر لا نشرب منها إلا حسبما تريد . ونسيم السماء تنفسه حسبما تأمرنا به (....) إننا نحى ونعيش من الهواء الذى تمنحه لنا . ألا فليحب رع وحورس وحتحور أنفك المبجل الذى يريد مونتو رب طيبة أن يخلد إلى الأبد " (20 - 18 , 1976 : Lefebvre) .

إن قصة سنوهى من أكثر الأعمال شعبية فى الأدب المصرى . إنها سرد أخلاقى لأحد الموظفين وعودته تائباً نادماً فغفر له بسبب إخلاصه ونزاهته . وقد وصلنا من هذه

القصة بضع مئات من النسخ ، وهو نفس عدد النسخ تقريباً الذى وصلنا من تعاليم "امنمحات الأول".وهو نص أدبى متأثر إلى حد كبير بالنموذج الذى تقدمه التعاليم إلى "مرى كا رع". وكان الهدف منها التأكيد على شرعية خليفة أمنمحات الأول أكثر من إلقاء الضوء على أسباب اغتياله.

وخلافاً "لقصة سنوهى" فإن أقدم نسخ "التعاليم" التى بين أيدينا لا ترجع إلى زمن سابق على النصف الثانى من الأسرة الثامنة عشرة . وكان "سنموت" رجل الثقة لدى الملكة "حتشبسوت" ، على سبيل المثال لا الحصر، شغوفاً بقراءة هذه "التعاليم" مولعاً

بها . وبالطبع لا ينفى ذلك أن يكون هذا العمل الأدبي قد ظهر فى عهد سنوسرت الأول لأغراض تبريرية. ولكن أسلوب سرد الأحداث وطريقة إبراز فكرة المشاركة فى الحكم والمبادئ التى تنهض عليها الحكومة ، تضى على هذا النص قيمته كنموذج أول . وهو ما يفسر مانلاحظه من شيوعه وانتشاره اعتباراً من حكم " تحوتمس " الثالث . وقبل أن يسرد امنمحات الأول أحداث وفاته الخاصة يروى على مسامع خليفته نصائح الحكيم على غرار ما فعله الملك " خيتى " الثالث فى عهد سابق:

" لاتقرب منك الأتباع الذين لا يساوون شيئاً حتى لا يحدث مالم يكن فى الحسبان. لاتختلط بهم وأنت بمفردك . ولا تثق فى أخ . ولا تصاحب صديقاً . ولا تحط نفسك بالمقربين . فلا جدوى من كل ذلك . وإذا رقدت طالبا للراحة فاسهر على نفسك بنفسك. فليس للمرء أصدقاء وقت الشدة ! لقد أجزلت العطاء للفقير . وتوليت تربية اليتامى . وساعدت من لا يملك شيئاً على الوصول لغرضه شأنه شأن من لا يملك . والذين أكلوا من طعامى حاكوا ضدى المؤامرات! والذى مددت له يدي استغل الفرصة لإثارة القلاقل ، والذين ارتدوا كتانى الناعم نظروا إلى كدمية حشيت قشاً! والذين دهنوا أجسادهم بأدهان المر التى تخصنى أخذوا يبصقون على". والصور الحية التى تخصنى - أى البشر- دبروا ضدى مؤامرة شنعاء وخاضوا ضدى صراعات مريرة لم يشاهد مثلها من قبل"

(Enseignement d'Amenmehat I er ,IIa-Vc)

إن موضوع جحود البشر ليس من ذكريات عصر الانتقال الأول . إنما هو تذكير بتمرد البشر (" الصور الحية التى تخصنى ") ضد خالقهم . فبعد أن اندمج الملك مع الإله " رع " سلم سلطاته إلى خليفته على غرار ما حدث فى وقت سابق عندما قرر الإله الخالق أن ينسحب إلى أعالي السماء بعد أن ملّ مخلوقاته إلى الأبد ونفر منهم .

" انظروا لقد دبروا أمر اغتيالى بينما كنت بمفردى ، وقبل أن يعلم رجال البلاط بأننى خولتكم سلطاتى ، وقبل أن نتربع معاً على عرش البلاد . آه! لو ظل فى مقدورى أن أرتب أحوالك! ولكن لم أعد العدة لشيء من هذا ! فما كنت انتظر ما حدث ! وهل كان فى الإمكان افتراض هذا الإهمال من جانب خدمى . وهل يصح أن تقود النسوة المعارك؟ وهل يصح إدخال التمرد إلى قلب القصر؟ ."

Enseignemen d'Amenmegat I er,VIIIa-IXb

ولا يمكن لنص أن يكون أكثر وضوحاً بما يثيره من شكوك حول مشاركة الملكين فى الحكم (46 - 43 , (Helck , GM 67 (1983) ومع ذلك فلما تسلم " سنوسرت "

الأول مقاليد الحكم لم تعم الاضطرابات البلاد ، بل عرف عن حكمه المديد الذى دام خمسا وأربعين سنة أنه عهد أمن وسلم . كما لا يمكن أن نفترض بناء على ما سبق أنه كان المستفيد من المؤامرة ... واقتفى أثر "امنمحات" الأول فى حبه لأعمال التشييد . وتنتشر آثار عمائره فى خمسة وثلاثين موقعا ، إلى جانب هرمه الذى شيده فى اللشت جنوبى هرم والده . وتقع الفيوم على رأس هذه المواقع فكان أول من اهتم بها . وعندما تربع على عرش البلاد اختار اسم "نفر كا رع" برهاناً على انحيازه لعقيدة مدينة هليوبوليس ، وأعاد تشييد معبد "رع أتوم" فى العام الثالث من حكمه ، كما اقام مسلتين أمام صرح المعبد بمناسبة احتفاله باليوبيل الأول فى العام الثلاثين من حكمه . كما امتد نشاطه أيضاً إلى معبد "آمون رع" بالكرنك . وقد نجح هنرى شيفرييه H. Chevrier فى الأعوام من ١٩٢٧ إلى ١٩٣٧ ق . م فى إعادة تشييد مقصورة "سنوسرت" الأول المخصصة لاحتفال عيد "سد" بعد أن قام بتجميع القوالب الحجرية التى كان قد أعاد استخدامها أمنحوتب الثالث عند تشييد الصرح الثالث. والمقصورة معروضة الآن فى المتحف المفتوح الملحق بالمعبد .

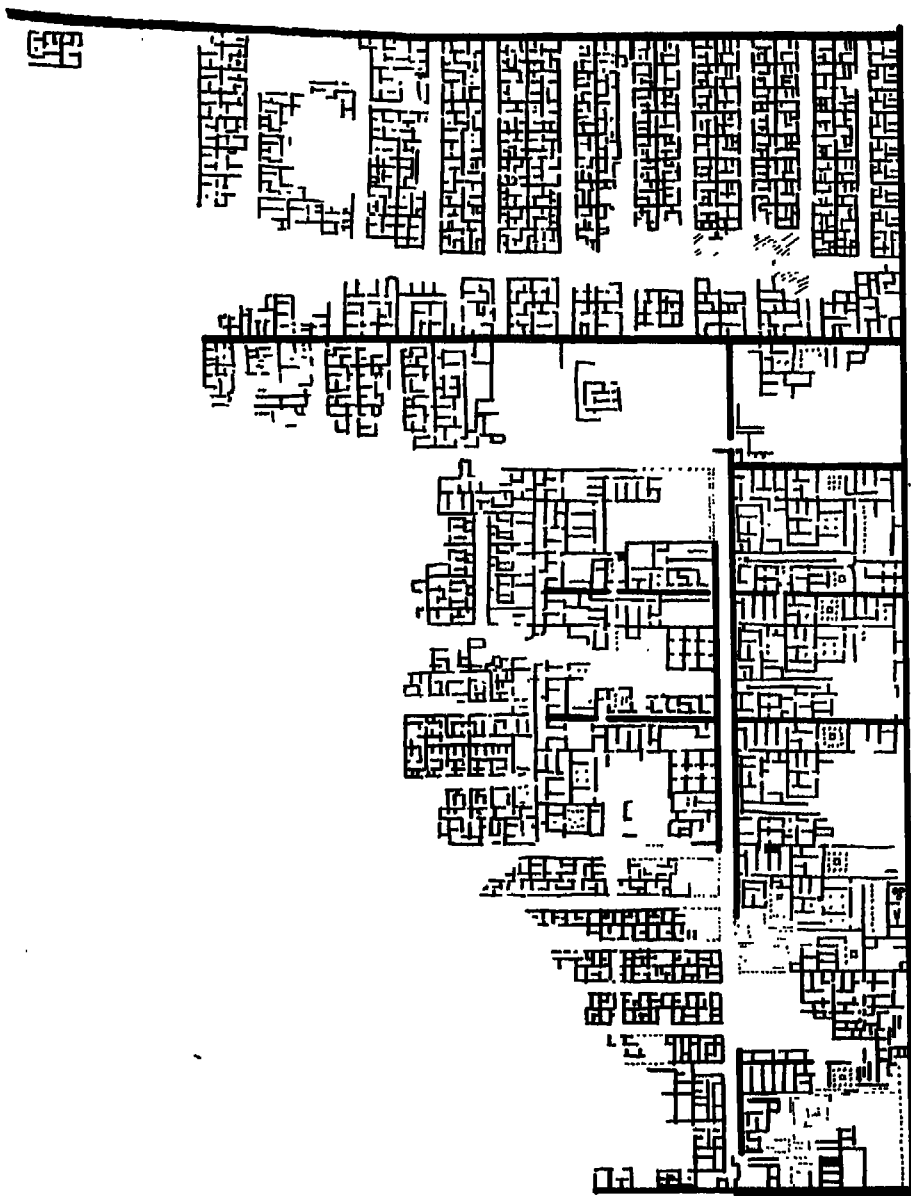
العالم الخارجى:

واصل " سنوسرت " الأول السياسة الخارجية التى نفذها والده على امتداد السنوات العشر الأخيرة من عهده . ففى العام الثامن عشر من حكمه كان "سنوسرت" الأول قد أتم فتح النوبة السفلى. كما أقام حامية عسكرية فى بوهن عند الجندل الثانى ، وفرض سيطرته على بلاد كوش من الجندل الثانى وحتى الجندل الثالث ، وعلى جزيرة صاى ، وأقام علاقات تجارية مع مدينة كرما . ولم يعثر على اسمه فى مكان أبعد من جزيرة أرجو الواقعة شمالى دنقلة . وواصل المصريون العمل فى استغلال مناجم الذهب الواقعة فى الصحراء الشرقية إلى الشرق من كويتوس ، إلى جانب نشاطهم فى محاجر وادى الحمامات حيث اقتلعوا من الكتل الحجرية ما يكفى لنحت ستين تمثالاً لأبو الهول ومائة وخمسين تمثالاً . وتتفق هذه الأرقام مع ما عرف عنه من نشاط واسع فى مجال التشييد، وجرى استغلال محاجر حتنوب مرتين على أقل تقدير فى العام الثالث والعشرين والعام الحادى والثلاثين من حكمه . كما ضمن لنفسه الإشراف على الواحات الواقعة فى الصحراء الغربية وعلى رأسها المنطقة التى تربط أبيدوس بالواحات الخارجة ، وحافظ على حدود مصر الشرقية حماية للأعمال الجارية فى مناجم سرابيط الخادم . لقد دفعت العلاقات

التي أقامها المصريون مع سوريا وفلسطين إلى ظهورهم فى هذه المناطق حتى وصلوا إلى أوجاريت .

وطرحت هذه السياسة الخارجية أكلها فى عهد "امنمحات" الثانى الذى خلف أباه بعد أن شاركه فى حكم البلاد لمدة عامين . وفى النوبة توقفت أعمال الفتح بصفة مؤقتة . وكان قد سبق "لامنمحات" الثانى أن شارك بصفته ولى العهد فى حملة سلمية بقيادة "أمينى" حاكم إقليم الوعل . وظل السلم قائما فى عهده وفى عهد "سنوسرت" الثانى . وتولى الأمراء المحليون استغلال مناجم الذهب والفيروز لحساب الملك وتحت إشراف المصريين . ولم يتم تسجيل سوى حدث عسكرى واحد عند قيام أحد الضباط بتفقد قلعة "أاوات" . كما جرد حملة إلى بلاد بونت قرب أواخر حكمه .

وأخذت مصر تلعب دوراً مؤثراً فى أحداث الشرق الأدنى على وجه الخصوص . لقد عثر المنتقبون عام ١٩٣١ فى ودائع أساسات معبد "مونتو" فى الطود على أربعة صناديق بها "جزية" سورية هى عبارة عن أوانى مائدة مصنوعة من الفضة . وقد لوحظ أن آنية واحدة منها على الأقل قد صنعت على طراز جزر بحر إيجه . كما وجد بهذه الصناديق تائم من اللازورد جلبت من بلاد النهرين . وإذا افترض الباحث أن ما أطلق عليه المصرى القديم لفظة "جزية" إنما هو فى حقيقة أمره مجرد ثمرة التبادل التجارى ، فإن وجود هذه الأشياء فى ودائع الأساسات لخير دليل على الأهمية الكبرى التى احتلتها العلاقات الخارجية فى عهد امنمحات الثانى . وعندنا شهادة على الوجود المصرى فى "رأس شمرا" ، هى تمثال صغير لابنة "امنمحات" الثانى، وفى "مشرفة" و "مجدو" حيث عُثر على أربعة تماثيل ل "چحوتى حوتپ" حاكم إقليم منف . بل لقد استدل فى منطقة أنقرة على آثار لعبادة "سنفرو" فى عهد الأسرة الثانية عشرة . كما حدث فى عهد سنوسرت الثانى أن قام "خنوم حوتپ" حاكم إقليم الوعل باستقبال "إيبشا" وقبيلته وهم من الهكسوس . وقد صورهم على جدران مقبرته فى بنى حسن . ولهذا الحدث دلالة الكبرى اذ يشهد على أن العلاقات كانت متبادلة ولم تسر فى اتجاه واحد فحسب ، فانفتحت مصر على المؤثرات الشرقية التى يمكن ملاحظتها فى الحضارة والفن . فقد عثر فى اللاهون وفى إحدى مقابر أبيدوس على سبيل المثال على قيشانى من عصر "مينوس" . كما وجدت المصنوعات المصرية فى جزيرة كريت . فى حين نزحت أيضاً إلى مصر أعداد كبيرة من الأيدى العاملة جالبة معها تقنيات جديدة ، وبدأت عملية تسلل بطيئة مهدت الطريق أمام السيطرة الآسيوية إذا حانت



شكل (٧٤) - خريطة مدينة كاهون

الفرصة . وفى غضون ذلك كانت مصر المثل الذى سار أهل مدينة "بيبلوس" على هديه . فتلقب زعماءها بالألقاب المصرية واستخدموا علاماتها الهيروغليفية والمنتجات التى صنعت على ضفاف نهر النيل .

الدولة الوسطى فى قمة أمجادها

شارك " سنوسرت " الثانى والده فى حكم البلاد خمس سنوات تقريباً . ثم خلفه وتربع على العرش لمدة خمسة عشر سنة . ويعتبر خليفته "سنوسرت" الثالث النموذج الذى شكل لُحمة شخصية " سنوسرت " كما نسجتْها الأسطورة ، فطغت بذلك على عهد سلفه . وبالرغم من كل ذلك، تعزى إلى "سنوسرت" الثانى مختلف المشاريع الضخمة التى آتت أكلها فى عهد حفيده "امنمحات" الثالث . فإليه يرجع الفضل فى استصلاح أراضى الفيوم التى كانت تغطيها البرك والمستنقعات ، فى أيام الدولة القديمة وينتشر فيها الصيد البحرى والصيد البرى ، كما كانت مدينة " كروكود يلويوليس " (مدينة التمساح) مركزها الحضرى . وتقع هذا الواحة الكبرى على مسافة ٨٠ كم إلى الجنوب الغربى من مدينة منف . وتتوفر فيها الأراضى القابلة للاستصلاح . فتولى "سنوسرت" الثانى إعداد بحر يوسف ليصبح صالحاً للملاحة ، وكان يصب فيما عرف فى زمن لاحق ببحيرة قارون . وألحق به نظاماً للصرف والرى بعد أن شيد سداً عند اللاهون ، ولم يكتمل المشروع إلا فى عهد " امنمحات " الثالث . ولكن ترتب على هذه الأعمال الضخمة ان انتقلت الجبانة الملكية مجدداً لتستقر فى اللاهون بعد أن كانت قد انتقلت شمالاً فى اتجاه دهبشور . ووقع اختيار الملك على قطعة أرض شرق مجموعته الجنائزية وقام بتقسيمها تمهيداً لإقامة العمال الذين التحقوا للعمل بهذه المشاريع الضخمة .

وتعتبر اللاهون أقدم مدينة لاتنشأ نشأة طبيعية يتم الكشف عنها فى مصر. أما المثال الآخر فهو مدينة الحرفيين فى دير المدينة ، وهى ترجع أساساً إلى عصر الرعاسمة ، ولا تزال محافظة على كيائها بدرجة أفضل . كما ظلت لأمد طويل أقدم مثال معروف عن تخطيط المدن وتنظيمها . وفيما بعد أُلقت أعمال التنقيب فى تل العمارنة وفى واحة بلاط وفى جزيرة إلفنتين ضوءاً جديداً على العمارة المدنية .

وتصل أبعاد هذه المدينة الى ٤٠٠ متر فى ٣٥٠ متراً . ومن سماتها الأساسية التى يمكن أن نتعرف عليها فى العمارنة ودير المدينة - عزلتها التامة وانغلاقها على نفسها

بفضل سور يحيط بها من كل جانب- والمدينة مشيدة بالطوب اللبن ويخترقها بابان ، باب لكل حي . وربما كان الحي الغربى أكثرهما ثراء ، فمنازله رحبة وتتوفر فيها كل وسائل الراحة ، فى حين يتكون الحي الشرقى من أكثر من مائتى منزل يتكون كل منها من ثلاث حجرات على الأكثر .

إن تخطيط هذه المدينة ليس كل ما نعرفه عنها . فقد عثر المنقبون على كمية من البرديات فى المنازل وكذلك فى معبد " أنوبيس " الواقع جهة الجنوب . وتضم هذه البرديات نصوصاً متنوعة وتشهد على نشاط فنى واقتصادى وإدارى حقيقى . إنها أعمال أدبية تضم أناشيد ملكية و "تاريخ هاى" وفقرات من "قصة حورس وست" ودراسة فى أمراض النساء ودراسة فى الطب البيطرى وأجزاء من مؤلف فى الرياضيات ، ووثائق قانونية ومستندات حسابية ، ومحفوظات المعابد تشمل الأسرة الثانية عشرة بأكملها . ولكن كل ذلك لا يقودنا إلى الاستنتاج أن اللاهون كانت العاصمة التى حكم منها "سنوسرت" الثانى البلاد . فمن الملاحظ مثلاً أن دير المدينة التى لم تضطلع بأى دور سياسى على الإطلاق قد كشفت عن مادة أدبية تفوق بوفرتهما ما عثر عليه فى اللاهون .

وعندما اعتلى " سنوسرت " الثالث العرش اضطر إلى مواجهة مشكلة الإقطاعيات المحلية بعد أن استأثرت بسلطات واسعة تضارع فى بعض الأحيان سلطة الملك . ويشهد على ذلك البذخ المنتشر فى مقابر بنى حسن أو نشاط عائلة "جحتى حوتب" فى "حنتوب". وكان "سنوسرت" الأول الجدد الأكبر "لسنوسرت" الثالث قد بدأ يتوصل إلى حل لهذه المشكلة عندما قام بتوزيع اختصاصات منصب الوزير . ثم جاء "سنوسرت" الثالث فعقد العزم على القضاء قضاءً مبرماً على سلطات الإقطاعيين الذين أخذوا يتحولون تدريجياً إلى زعماء أسر محلية ويرتكزون فى ذلك على تقاليد عائلية طاعنة فى القدم وربما كانت أحياناً أقدم من تلك التى ينتسب إليها الملك. فألغى منصب حاكم الإقليم ، بلا قيد أو شرط. ، وإن استثنى حاكماً إقليمياً واحداً وهو "واح كا" حاكم "أنتيويوليس" الذى ظل فى منصبه حتى عهد "امنمحات" الثالث . وبمقتضى التنظيم الإدارى الجديد أصبح الوزير يشرف إشرافاً مباشراً على البلاد من خلال ثلاث وزارات . "وعرت" . وزارة للشمال وأخرى للجنوب وثالثة لـ "رأس الجنوب" وتشمل الفنتين والنوبة السفلى . ويدير دولا العمل فى كل وزارة موظف يعاونه مساعد ومجلس "چاچات" يتولى إبلاغ التعليمات إلى رؤساء الأقسام الذين يعتبرون من جانبهم مسئولين عن تنفيذها من خلال الكتبة. وترتب على هذا الإصلاح نتلج مزدوجة ، إذ فقد الأشراف نفوذهم وسلطانهم

وبالتالى صعدت الطبقة الوسطى الأمر الذى يمكن تتبعه من خلال ازدياد النذور المكرسة "لأوزيريس" فى أبيدوس وتعدددها . كما قام الملك نفسه بتطوير الإقليم الذى انحدر منه فشيده معبداً للإله "مونتو" فى المدامود .

بدأت النزعة الإقليمية مع عصر الانتقال الأول وبلغت أوجها فى ظل الدولة الوسطى . ويمكن تتبع تاريخ البلاد من خلال جبانات عواصم الأقاليم . فقد سبق أن التقينا على سبيل المثال فى أسبوط مع " تف إيبى " خلال المعارك التى دارت رحاها بين زعماء هيراكليوبوليس وطيبة ، ومع ابنه الذى عينه "مرى كا رع" وأخيراً مع حاكم الإقليم "خيتى الأول" . ولن تكتمل هذه القائمة إلا بإضافة شخصيتين بارزتين من الدولة الوسطى: الأولى "مسحتى" الذى عاش فى أواخر الأسرة الحادية عشرة وبداية الأسرة الثانية عشرة ، وقد دونت على سطوح تابوتية إحدى أهم نسخ "متون التوابيت" . والآخر هو "حعپى چيفا" الذى كان معاصراً "لسنوسرت" الأول والذى سبق أن اقتفينا أثره حتى مدينة كرمه . وقد أعاد تعمير الإقليم الثالث عشر الذى دمرته الحروب ضد طيبة ، وخلف وراءه عشرة عقود جنائزية تعتبر مصدراً له أهمية كبرى فى دراسة القانون .

أخذت جبانة أسوان فى الازدهار منذ الأسرة السادسة . وزادت شهرة على شهرة بفضل مقبرة "سارنبوت" الأول فى عهد أمنمحات الأول ومقبرة "سارنبوت" الثانى فى عهد أمنمحات الثانى . وإضافة إلى ما سبق ، تجدر الإشارة إلى الجبلين ، والبرشا ، حيث مقبرة "چحوتى حوتپ" الذى عاش فى عهد "سنوسرت" الثالث وإلى قاو الكبير . كما نشير بصفة خاصة إلى بنى حسن التى بلغت أوج ازدهارها فى أيام الأسرة الثانية عشرة ، مع عائلة "خنوم حوتپ" وإلى مير وإلى جبانة إقليم القوصية و "خع خپر رع سنپ" آخر حكامها المعروفين الذى كان معاصراً لسنوسرت الثانى . إن السلام الطويل الذى عم البلاد على امتداد حكم سلقى سنوسرت الثالث قد شجع القبائل السودانية على التسلل إلى الشمال من الجندل الثالث ، مما دفع "سنوسرت" الثالث إلى اتخاذ إجراءات حازمة . فقام بتوسيع القناة التى كان قد حفرها "مرنرع" أيام الأسرة السادسة على مقربة من بلدة الشلال تسهيلاً لعبور السفن فى منحدرات أسوان النهرية . كما استخدمها فى العام الثامن من حكمه عندما شن حملته الأولى ضد بلاد كوش . ثم جرد حملة ثانية فى العام العاشر ، وثالثة فى العام السادس عشر . وفى العام التاسع عشر صعد المصريون مجرى النيل حتى الجندل الثانى ، ونجحوا بفضل حملتى العام الثامن والعام السادس عشر فى بسط نفوذهم حتى بلدة سمنة التى صارت تشكل الحدود الجنوبية لسلطانهم ، وتدعيما

لنفوذهم فى هذه المنطقة أقاموا سلسلة من التحصينات مكونة من ثمان قلاع فى المسافة الممتدة من سمنا إلى بوهن وبنيت جميعها بالطوب اللبن . فشيد سنوسرت الثالث أو أعاد تشييد قلاع غرب سمنا وشرقها (كمة) وجزيرة "اورنارتى" . ومن الجدير بالملاحظة أن المصريين لم يفرقوا بين تشييد أو إعادة التشييد عند صياغة المدونات التذكارية على اللوحات التأسيسية . وتعتبر هذه القلاع المتبقية من أفضل نماذج العمارة العسكرية التى لم تنل منها معاول الزمن .

وقد وصلتنا معلومات عن حملة واحدة شنها "سنوسرت" الثالث ضد "المنتيو" فى الأراضى السورية الفلسطينية ، فاصطدم المصريون مع أهل "سشم" والليطاني" . ان أكوام "نصوص الحض على البغض والكراهية" التى تم العثور عليها فى النوبة ووادى النيل تعطينا فكرة ولو عامة عن أعداء مصر فى الخارج . إنها قماثيل لغرض السحر ، أو هى بكل بساطة شقف من الفخار دونت على سطحوها أسماء الأعداء المطلوب لعنهم وإهلاكهم . وتقترن ممارسة هذه الأعمال السحرية مع المراسم التى تحييها المؤسسات الرسمية عند القيام بشعائر تأسيس المنشآت . فبعد تحطيم الأسناد التى دونت عليها هذه النصوص من خلال شعائر مناسبة ، تُدفن لتظل حبيسة البناية التى تخنقها خنقاً ، تماماً كما يسحق الملك الجالس على عرشه بقدميه الأقواس التسعة رمز البلدان المجاورة لمصر ، أو تثبت بالمسامير خارج المنطقة الواقعة تحت حماية السحر . ولهذه القوائم أهميتها الكبرى ، ولكن شهادتها غير موثوق فيها نظراً للدور الذى تضطلع به ، إذ رأى القائمون على أداء هذه الشعائر أنه من المفيد الجمع بين أعداء الوقت الراهن والقوائم القديمة التى عفى عليها الزمن حتى تعم الفائدة من التعزيم السحرية وتصبح أكثر شمولاً ، وذلك بدلا من وضع قوائم جديدة كاملة ومطابقة للمواقع . وبعد كل ما قلناه نجد أن المصادر المباشرة تؤكد سلامة ما أدرج من أسماء فى هذه القوائم بالنسبة لمنطقة النوبة كأهل "كوش" و "المجاو" وأهل "واوات" والـ "تحسيو" والـ "يونتيو" . أما المعلومات المتاحة عن فلسطين فهى أكثر غموضاً رغم وفرة الأسماء ، ونذكر منها بيبيلوس وأورشليم وسيشم وعسقلان .

لقد أمنت السياسة الخارجية " لسنوسرت " الثالث سيادة مصر فى النوبة حيث قام " أمنمحات " الثالث بتدعيم الحدود عند سمنا وفى الشرق الأدنى ، على حد سواء . فمن كرما فى أقصى الجنوب وحتى بيبيلوس فى أقصى الشمال كانت تقدم "لأمنمحات" الثالث وخلفه فروض الطاعة والولاء . ٥

واستقبلت مصر فى عهده جمعاً غفيراً من العمالة الشرقية من فلاحين وجنود وحرفيين وفدوا إلى مصر وقد شدهم إشعاعها الحضارى وفرص العمل المتوفرة نتيجة مشاريع التنمية فى طول البلاد وعرضها على حد سواء . وبالفعل فقد قاد " أمنمحات " الثالث مصر من خلال حكم دام خمساً وأربعين سنة إلى قمة الرخاء والازدهار ، فدعم السلام فى الداخل كما فى الخارج ، وسارت مشاريع تنمية الفيوم جنباً إلى جنب مع تطور نظم الري وتكثيف العمل فى المناجم والمحاجر ، وبلغ استغلال مناجم الفيروز والنحاس فى سيناء حداً من النشاط المنقطع النظير . وقدمت حصر ما لا يقل عن تسع وأربعين مدونة فى سربيط الخادم وعشر مدونات فى وادى المغارة ووادى نسب فى الفترة الممتدة من العام التاسع وحتى العام الخامس والأربعين من حكمه . وأخذت معسكرات عمال المناجم تتحول إلى حد ما إلى معسكرات دائمة تضم المنازل والتحصينات والآبار والصهاريج والجبانات ، بعد أن كانت موسمية فحسب . وأجريت توسعات فى معبد "حتحور" فى سربيط الخادم ، وأنشئت الاستحكامات للدفاع عن هذه الأماكن ضد إغارات البدو . وسوف يتولى أمنمحات الرابع من بعده إتمام هذه المنشآت . كما تعددت الحملات إلى شتى المحاجر من طرة إلى وادى الحمامات وأسوان وقرب توشكا .

وجد هذا النشاط الاقتصادى صده فى العديد من المنشآت التى تكشف عن عهد " أمنمحات " الثالث كذروة من دولة تحكم حكماً مطلقاً . وبالإضافة إلى نشاطه فى استكمال مدينة سمنة وتشبيد معبد كويان فى النوبة فقد كرس جل اهتمامه للفيوم . وظل اسمه مرتبطاً بها حتى العصر اليونانى والرومانى حيث كان يعبد تحت اسم " لامارس " . وقد عثر فى "بيهمو" على تمثالين عملاقين من الجرانيت يرتكزان على قاعدتين من الحجر الجيرى يصورانه جالساً . وزين معبد الإله سوبك فى كيما فارس . وأقام هيكلًا للإلهة "رنتوت" ، ربة الحصاد ، فى مدينة ماضى . ونذكر على وجه الخصوص تشييده هرمين لنفسه ، الأول فى دهشور والآخر فى هواره . وعلى مقربة من هرم هواره توجد أطلال ما تبقى من معبد الجنائزى الذى أطلق عليه "استرابون" اسم "اللابيرانت" (قصر التيه) لما أراد وصفه .

وظلت الفيوم شغل " أمنمحات " الرابع الشاغل . فقد خلف أباه عام ١٧٩٨ ق.م بعد فترة وجيزة من الحكم المشترك وتولى على ما يفترض استكمال أعمال تشييد معبد قصر الصاغة على مسافة ثمانية كيلو مترات إلى الشمال من بحيرة قارون . كما انتهى

من بناء معبد مدينة ماضى الذى بدأه " أمنمحات " الثالث ، و هو مخصص لـ " للمعبودة رنتوت - الحية التى من جا " والتى سوف يطلق عليها فيما بعد " ترموتيس " ولإله "سويك " الذى هومن " شدت " ، وكان المعبد يضم بهو أساطين صغيرا يشكل قسمه الامامى ، ويفضى إلى هياكل ثلاثة تجمع بين المعبودين " وأمنمحات " الثالث وأمنمحات الرابع . وسيتم توسيعه وإعادة زخرفته فى أزمنة لاحقة و حتى عهد الامبراطور الرومانى "هادريان "

نهاية الاسرة الثانية عشرة

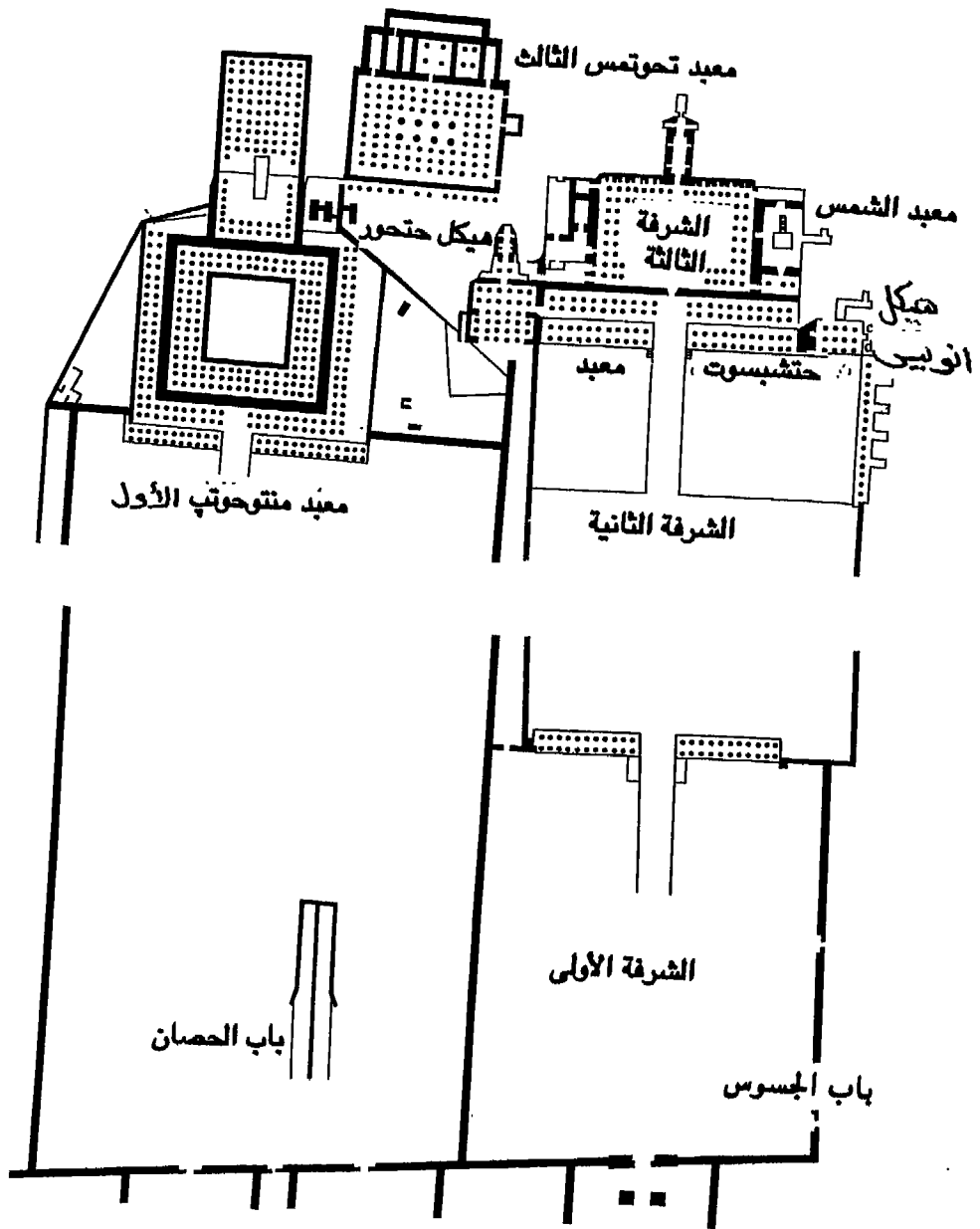
لم يدم حكم " أمنمحات " الرابع أكثر من عشر سنوات ، وعند وفاته أخذت أوضاع البلاد فى التدهور و الانحطاط من جديد . وربما كان وراء ما حدث بعض الأسباب التى كانت قد دفعت إلى انهيار الدولة القديمة . لقد دام حكم كل من " سنوسرت " الثالث وأمنمحات الثالث ما يناهز نصف قرن من الزمن . وبالرغم من ذلك فقد ثارت المشاكل حول وراثة العرش . أل هذا السبب تبوأ حكم البلاد امرأة هى الملكة " نفروسويك " أى "جمال (الاله) سويك " على غرار ما حدث فى نهاية الدولة القديمة ؟ و لأول مرة فى تاريخ مصر يشار إليها كامرأة وفرعون فى آن واحد . وربما كانت أخت (وزوجة ؟) "أمنمحات " الرابع . وإليها ينسب هرم مزغونة الشمالى إلى الجنوب من دهشور ، فى حين ينسب هرم مزغونة الجنوبى إلى " أمنمحات " الرابع فى أغلب الظن . وإذا صح ماقلناه عن هرمى مزغونه لكان معناه أن " نفروسويك " لم تدفن فى هرمها . ويدفعنا ذلك إلى تأييدالرأى القائل بأن الحكم القصير للملكة ، الذى تجمع القوائم الملكية على أه لم يتجاوز ثلاث سنوات ، قد انتهى نهاية عنيفة فى أغلب الظن . ولكن ليس فى وسعنا تأكيد ذلك ، اذ يبدأ عصر الانتقال الثانى بالأسرة الثالثة عشرة التى تعتبر استمراراً شرعياً للأسرة الثانية عشرة سواء على أساس قرابة الدم أو الزواج ، فيما يخص أول ملوكها على الأقل وهو الملك " سخم رع خوتاوى " . ومن ناحية أخرى لم نلاحظ حدوث انقطاع أو انفصال على غرار ما حدث مع نهاية الدولة القديمة . فقد ظلت مصر متماسكة فى الداخل وفى الخارج على حد سواء قرابة قرن ونصف من الزمن ، إلى أن دخلها الهكسوس وفرضوا سيطرتهم على البلاد . بل يبدو أن كل ما فى الأمر هو أن السلطة المركزية أخذت تعاني من أزمات فى إطار حضارة ذات طابع كلاسيكى ثابت .

الكلاسيكية

سبق أن أشرنا إلى بعض الأعمال الأدبية . وتعتبر الدولة الوسطى بأوسع معانيها أى منذ بداية عصر الانتقال الأول وحتى الأسرة الثالثة عشرة - العصر الذى بلغ فيه الأدب واللغة أزهى صورهما ووصل إلى حد الكمال . ونجد نماذج تمثل مختلف الفنون الأدبية إذا صح استخدام هذه المقولة . لقد سبق أن تعرفنا على الكتابات التعليمية من خلال الفن الأدبى المعروف بالتحاليم ونذكر منه " حكم پتاح حوتپ " و " الوصايا الموجهة إلى كاجمنى " وحكم " چدفحور " و " التنبيهات والتحذيرات " و " الوصايا الموجهة إلى مرى كارع " وهى مؤلفات سياسية فى حقيقة أمرها دونت فى معظمها فى وقت لاحق على الأحداث التى تدعى أنها عاصرتها . وفى عهد الدولة الوسطى ظهر إلى النور مؤلف سار على منوال الأدب التعليمى ولقى نجاحاً منقطع النظير . إنه مؤلف يعرف باسم " كميث " ، وهو "تصنيف" شامل وتام من نوع أدب " التحاليم " بلغ حداً من الكمال جعله انعكاساً لكمال مصر " كميث " أى " (الأرض) السمراء" التى تعتبر بدورها صورة كاملة للكون . كما وصلنا أكثر من مائة مخطوط لنص آخر له شهرته ، وعنوانه " هجو الحرف والمهن " ألفه الكاتب " خيتى بن دواوف " فى مطلع الأسرة الثانية عشرة . كما تعرفنا من قبل على " تحاليم أمنمحات الأول " و " نبؤة نفرتى " وهما من الأدبيات السياسية . كما يمكن أن نضيف لهذه القائمة " الوصايا الداعية للولاء للعرش " و " وصايا أب إلى ابنه " أو "الوصايا الموجهة إلى الوزير " . وهى من عهد أمنمحات الثالث .

كما تعتبر الأسرة الثانية عشرة بمثابة العصر الذهبى للقصة المصرية . نذكر منها قصة «الفلاح» وقصة " سنهوى " اللتين تسييران على هدى الأدب الداعى للولاء للعرش الذى تنسج على منواله بردية وستكسار . وترجع أقدم مخطوطات القصتين إلى "أمنمحات" الثالث . كما نذكر " قصة الغريق " التى وصلنا منها مخطوط واحد . وكتبت على ما يبدو فى جو العلاقات الجديدة مع بلاد پونت والدور البارز الذى أخذت تلعبه مع حلول الأسرة الحادية عشرة .

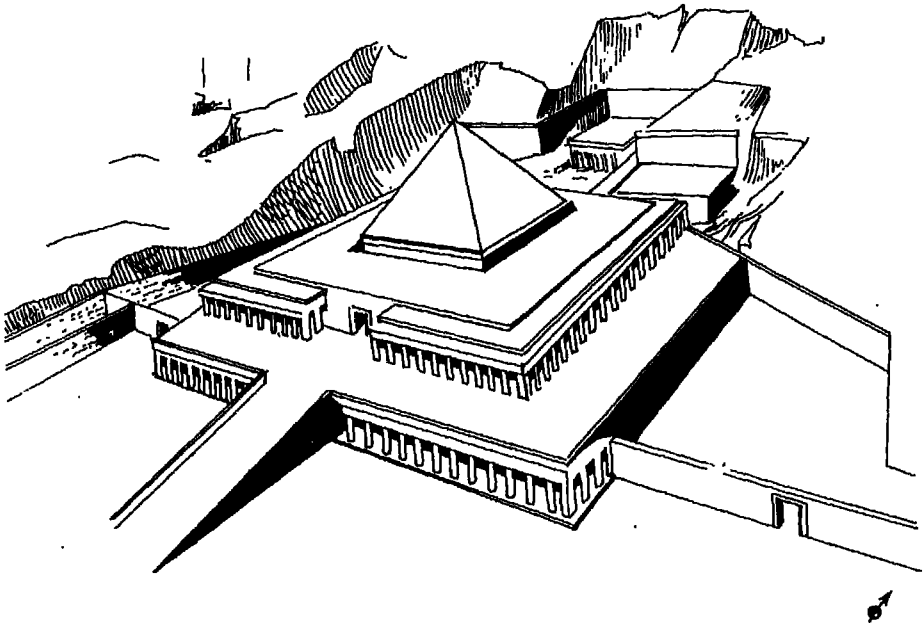
وتجمع هذه القصة بين الميل إلى كل ما هو غريب وأجنبى وبين النزعة الأسطورية . وتتضمن حكاية يسردها أحد المسافرين على مسامع رفيق فى سفره وهو موظف أخفق فى مهمة كان قد كلف بها ، وتدور حول حادث غرقه الذى وقع على ما يبدو فى البحر الأحمر . فلجأ المسافر الغريق إلى جزيرة كل شىء فيها يثير الإعجاب ويمتلكها شعبان ضخمة .



شكل (٧٥) - الدير البحري
المجموعتان الجنائزيتان لمنتوحوتب الثاني وحتشيسوت

ويظهر من سياق القصة أن الشعبان الذى يتمتع بالقدرة على إتيان الخوارق كان الناجى الوحيد من كارثة سماوية ، ربما كان المقصود بها سقوط أحد النيازك ؟ وكان الشعبان يضع يده على منتجات بلاد " بونت " النفيسة وبشر المصرى أن انقاذه وشيك وأجل له العطاء ... ويوفر لنا هذا النص ذخيرة فكرية متنوعة حتى صار من أعمال الأدب المصرى القديم التى حازت على أكبر قدر من الشروح والترجمات .

أما أشهر الروايات الأسطورية فهى فى الغالب قريبة الشبه بالقصص لما تتضمنه من مغامرات . ويرجع تاريخ كتابتها إلى هذا العصر وإن اعتمدت معرفتنا بها على نسخ من عصور لاحقة . ونذكر منها أسطورة " هلاك البشرية " بما لها أيضا من أصداء سياسية . وأسطورة " إيزيس ورع " وأسطورة " حورس وست " . وسبق لنا الحديث عن هذه الأساطير الثلاث . وينطبق هذا القول على كبرى المسرحيات المقدسة ومنها " مسرحية التتويج " و " المسرحية المنسقية " التى ترجع النسخة التى بين أيدينا منها إلى عصر " شباكا " .



شكل (٧٦) - رسم تخيلى للمعبد الجنائزى لمنتوحوتب الثانى بالدير البحرى

أما التيار المتشائم فخير مثال عليه "حوار اليائس من الحياة مع " با " نه (روحه)". ويمكن أن نضيف إليه مصنفاً آخر هو مجموعة أقوال "خع خپر رع سنب" . ونستشهد بنصوص اللاهون كنموذج لدراسة الأناشيد الملكية وهو فن أدبي مختلف . كما وصلتنا أعداد كبيرة من النصوص الدبلوماسية والترجمات الذاتية والروايات التاريخية والمراسلات والنصوص الإدارية والمصنفات فى مختلف التخصصات من دراسات فى الطب والرياضيات (والتى منها نسخ دونت فى عصور متأخرة) إلى جانب الأجزاء التى بقيت من دراسة فى طب النساء والطب البيطرى وعشر عليها فى اللاهون . كما وصلتنا شذرات فى الطب السحرى عشر عليها فى طبية إلى جانب أقدم النماذج لما يعرف اصطلاحاً بالـ "أونوماستيكون" وقد عشر عليه فى الرامسيوم ، ويضم قوائم بأسماء مختلف فئات المجتمع أو الكون من حرف وطيور وحيوان ونبات والقوائم الجغرافية التى كان الغرض منها تعليم تلاميذ المدارس .

وتنم أعمال الدولة الوسطى الأدبية عن أسلوب مرهف عذب. وتجمع بين تقاليد الدولة القديمة وبساطة مفعمة بالإنسانية . ونستشف هذا الأسلوب أيضا فى شتى أنواع الإنتاج الفنى ، بدءاً بالعمارة وصولاً إلى المشغولات الدقيقة . وتتميز " المقصورة البيضاء " التى شيدها سنوسرت الأول فى الكرنك بسلاسة خطوطها الفائقة الجمال . ونجد السمة ذاتها فى معبد قصر الصاغة الخالى من أى زخرف ، أو فى معبد مدينة ماضى ببساطة نسقه على حد سواء . ولسوء الحظ فإننا لا نعرف سوى القليل عن العمائر الدينية التى شيدها ملوك الدولة الوسطى خلافاً لتلك التى أقامها خلفاؤهم ، إلا أنه فى وسعنا أن نقف بأنفسنا على خصائصها من خلال المباني الجنائزية ونخص بالذكر تلك التى أقامها "منتوحوتب" الثانى فى الدير البحرى .

أقام "منتوحوتب" الثانى مجموعته الجنائزية فى البر الغربى لطيبة فى حضن دارة الدير البحرى الصخرية الشامخة التى تشرف عليها قمم الجبل التى ظلت إلى يومنا هذا تتولى حماية مقابر الملوك والأشراف . وقد أخذ منتوحوتب الثانى بالأسلوب التخطيطى الذى اعتمده ملوك الدولة القديمة عند تشييد مجموعاتهم الجنائزية ، من معبد للمزار، فطريق صاعد ، ومعبد جنازى . ولكن أصبحت الدفنة جزءاً من المجموعة المعمسارية ذاتها بعد أن هجرت الشكل الهرمى . وهذا هو الفارق الوحيد بين المجموعات الهرمية للملوك الدولة القديمة ومقبرة "منتوحوتب" الثانى . ولن نحيد كثيراً عن الحقيقة إذا افترضنا

أن فكرة تجسيد الأكمة الأولية فى شكل هرمى قد جرى الحفاظ عليها ، وإن كان ما تبقى من مبان لا يسمح بتأكيد ذلك . ويمكن تصور هذا الشكل الهرمى على النحو التالى .

إن ودائع الأساسات الموجودة أسفل هذه الشرفة التى يعلوها هرم أو مرتفع بسيط (Arnold : 1974 a) ترتبط بالإله "مونتو رع" . فمن الواضح على ما يبدو أن هذه الإنشاءات هى المقابل الطبى لمثيلتها فى هليوبوليس المخصصة لـ "رع حور أختى" . أما جزؤها الملامس للجرف فيضم المقبرة والإنشاءات الشعائرية الملكية التى جمعت بين "منتوحوتب" و "آمون رع" لتصبح صورة مسبقة لما سيطلق عليه فيما بعد " مساكن ملايين السنين " أى المعابد الجنائزية التى عرفتها الدولة الحديثة . لقد اكتشف لورد دوفرين Dufferin عند أواسط القرن التاسع عشر معبد ومقبرة "تيم" ، زوجة الملك . بيد أن أعمال التنقيب الحقيقية جرت فى الفترة من ١٩٠٣ إلى ١٩٠٧ تحت إشراف إدوار نافيل E.Naville وهول E.Hall وحساب جمعية الكشوف الأثرية المصرية Egypt Ex-ploration Society وذلك بعد أن اكتشف هوارد كارتر H . Carter مقبرة باب الحصان التذكارية خلال عامى ١٩٠٠-١٩٠١ . واستؤنفت أعمال التنقيب عام ١٩٢١ واستمرت حتى عام ١٩٢٤ بإشراف ونلوك H . E . Winlock لحساب متحف المتروبوليتان للفنون Metropolitan Museum of Art . وأخيراً أشرف على أعمال التنقيب ارنولد D . Arnold اعتباراً من ١٩٦٧ لحساب المعهد الألمانى ، وسمحت أعمال التنقيب بتخيل أربع مراحل مرت بها أعمال الإنشاء . فى المرحلة الأولى أعدت ساحة يحيط بها سور على شكل منحرف من الحجر المنحوت ويمتد خارج الفناء الشرقى . ويصعب علينا إبداء رأى قاطع حول الغرض منه ، ويرجع تاريخ المرحلة الثانية إلى السنوات التى حمل خلالها " منتوحوتب " اللقب الحورى " نترى حجت " ، أى بين العام العشرين والعام الثلاثين من حكمه على وجه التقريب . فشيّد جدار سور بمحاذاة دارة الجبل وبحيث يحيط بمقبرة باب الحصان ودفنات الملكات اللاتى توفين قبل الملك . ثم تنتقل إلى المرحلة الثالثة وهى المرحلة الرئيسية التى ترجع إلى سنوات حكم الملك التى حمل خلالها اللقب الحورى "سماتاوى" ، أو بين العام الثلاثين والعام التاسع والثلاثين من حكمه ، وفيها شيدت الشرفة التى تضم نواة مركزية وممشى يطل على القسم الخلفى المكون من فناء به بواكى وهو أساطين والهيكل والمقبرة الملكية. أما المرحلة الرابعة فقد بدأت قبل الانتهاء من المرحلة الثالثة ، وتضمنت الانتهاء من الطريق الصاعد وإعداد وتصنيف الجدار الداخلى للفناء وتشبيد بواكى الفناء إلى جانب الأفنية المحيطة بالمشى وقدس أقداس " آمون رع " .

أما معبد المزار فما زال مدفوناً تحت الأراضى الزراعية لكوم الفصاد ولم يتم الكشف عنه حتى الآن . ومن هنا كان يبدأ الطريق الصاعد . كان طريقاً مكشوفاً مرصوفاً بالطوب ويرسم حدوده حائط من الحجر الجيري . كان الطريق الصاعد يمتد لمسافة ٩٥٠ متراً . وتنهض على جانبيه تماثيل للملك فى صورة أوزيرية ، ويفصل بين كل تماثيل وآخر مسافة تسعة أمتار تقريباً ، وقد عثر ونلوك على كمية كبيرة من حطام هذه التماثيل . ويفضى الطريق الصاعد إلى الفناء الأول الذى طوره منتوحوتب نفسه وبدل فيه قبل أن يعتدى "تخوتس" الثالث فيما بعد على جانب منه عندما أقام الطريق الصاعد المؤدى إلى هيكل حتحور الذى شيده متاخماً لشمالي معبد "منتوحوتب" الثانى . وتحد مؤخرة الفناء باكية مزدوجة يخرج عند منتصفها أحدهم صاعد يفضى إلى الشرفة وتقوم على جانبيه خمس وخمسون شجرة إثل وصفان من أربع شجرات جميز تظلل كل منها تماثلاً يمثل الملك جالساً وقد ارتدى زى احتفالات عيد "سد" . وسقف كل باكية محمول على أربعة وعشرين عموداً مربع الشكل ويحمى جذاراً عليه كسوة من الحجر الجيري تصور نقوشه الحملات العكسرية الآسيوية ومشاهد الملاحة الشعائرية . وفيما بعد استندت حتشبسوت إلى أدق تفاصيل هذا المعبد كنموذج حى للمعبد الذى شيده بجواره .

وقد لعبت الصدفة وحدها دوراً بارزاً فى اكتشاف هوارد كارتير مدخل مقبرة "منتوحوتب" الثانى التذكارية فى فناء المعبد . فقد تعثرت خطى جواده أثناء سيره فى هذه المنطقة عند منخفض أرضى فوق هذا الموقع فكان هذا الحدث وراء إطلاق اسم "باب الحصان" على هذه المقبرة . كانت الأختام ماتزال فى موضعها على باب المقبرة . وبنفتح الباب على ممر يبلغ ١٥٠ متراً طويلاً منقور فى الصخر ويتجه جهة الغرب ليفضى إلى حجرة سقفها معقود وتقع أسفل الهرم . وعُثر فى هذه الحجرة على تماثيل ملكى مجهول اسم صاحبه وهو من الحجر الرملى الملون . ويمثل ملكاً يرتدى زى عيد "سد" . كما عثر على تابوت مجهول اسم صاحبه أيضاً وإلى جانبه بعض القرابين . وبالحجرة قُوْهة بئر عمودية تفضى إلى حجرة ثانية تقع على عمق ثلاثين متراً وتحتوى على أوانٍ ونماذج ثلاث سفن . ولا يظهر اسم "منتوحوتب" إلا على صندوق خشبى عُثر عليه فى بئر تقع عند منتصف الممر الأول .

وترجع الشرفة إلى مرحلة التشييد الأولى حيث دمجت الهياكل الستة ومقابر الملكات كاهنات حتحور سيدة الموقع فى مبنى واحد .

أما مقبرة الملك الحقيقية فقد أقيمت غربى قدس الأقداس . وللوصول إليها نعبّر ممراً طويلاً يبدأ من الرواق ويمر أسفل بهو الأساطين ، وتقع حجرة الدفن أسفل صخر جرف الجبل ، وقد عُشيت بكسوة من الجرانيت . وحتى عهد " رمسيس " الحادى عشر كانت لا تزال بعيدة عن أعمال السلب والنهب حسبما جاء فى تقارير محاضر الجولات التفتيشية التى جرت عقب انتشار سرقات المقابر الملكية. ولم يعثر فى حجرة الدفن سوى على ناووس من الجرانيت والأليستر ونماذج سفن وعصى وصولجانات .

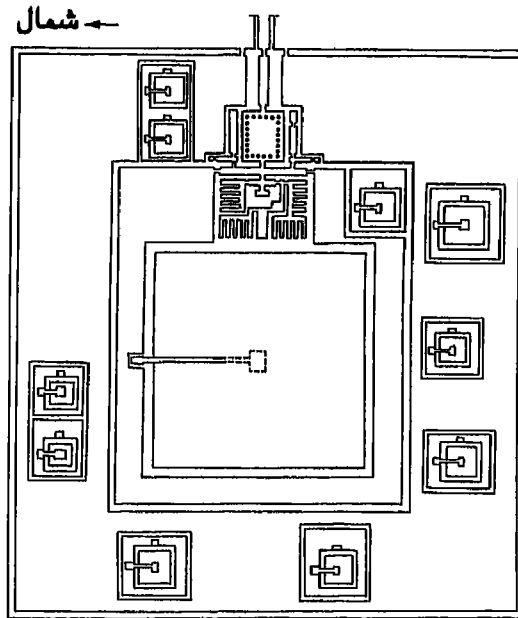
وقد ظل عنصر الإبداع فى أبحاث "منتوحوتب" المعمارية مرتبطاً بمدينة طيبة . وعندما أقدم خلفاؤه على نقل العاصمة ، عادوا إلى الارتباط بالتنظيم الذى اعتمدته مدينة منف عند تشييد المجموعة الجنائزية . فاختراروا منطقة سقارة الجنوبية موقعاً لمقابرهم، ومالوا بادىء الأمر إلى الأخذ بتخطيط المنشآت الجنائزية التى راجت فى أواخر الأسرة السادسة . وكانت اللشت وهى عند منتصف الطريق بين دهشور وميدوم ، أول موقع استخدمه " أمنمحات الأول" و"سنوسرت الأول"

وشيد " أمنمحات " الأول شمالى الموقع هرماً يشبه فى خطوطه العريضة النموذج المعمارى الذى ساد فى الأسرة السادسة ، سواء من ناحية ميل زاوية الهرم وهى ٥٤° أو من ناحية أبعاده التى تصل إلى ٨٤ متراً طويلاً لكل ضلع و ٧٠ متراً ارتفاعاً ، وشيده بأحجار مجلوبة من "أبو" صير والجيزة ، وكسيت سطوحه بالحجر الجيرى الأملس المجلوب من طرة . وقد زالت الكسوة تماماً فى الوقت الراهن . ومدخل الهرم فى الجهة الشمالية خلف باب وهى من الجرانيت يظلمه هيكل صغير . وتقع حجرة الدفن تحت المستوى الراهن للمياه الجوفية . واكتمل بناء المعبد الجنائزى فى فترة "مشاركة" سنوسرت الأول فى الحكم . وجاء الأحدور والمجموعة على غرار تصميم هرم بيبى الثانى . ومقابر أميرات البيت المالك تتأخم الجانب الغربى من الهرم ، فى حين تقع مقابر أعيان الدولة إلى الجنوب الغربى مسنه ، ومن بينها المقبرة التذكارية للوزير " إنتف أكر " الذى شغل هذا المنصب فى عهد امنمحات الأول وفى عهد خلفه " سنوسرت " الأول . وقد دُفن " إنتف أكر " فى مقبرته بالشيخ عبد القرنة بجبانة طيبة . (TT.60) ولكنه عاد إلى التخييل القديم الذى يصور الموظف مرافقاً لسيدة إلى العالم الآخر.

وقام " سنوسرت " الأول بتشيد هرمه جنوبى هذا الموقع . وقد أحيط بسور من الحجر يلتف من حوله سور من الطوب . وهرمه أكبر من هرم سلفه إذ يبلغ طول ضلعه ١٠٥ أمتار فى حين أن ارتفاعه ٦٠ متراً فقط . وترتب على ذلك انكسار شديد لزاوية

الميل إذ تبلغ ٤٩ فقط . واعتمدت أعمال التشييد أسلوباً تقنياً مختلفاً أقل تكلفة ويجمع بين دعامات على شكل عوارض مركزية مكونة من جدارين متقاطعين من الحجر وبين حشوة من الدبش غطيت بكسوة من الحجر الجيري المجلوب من طرة . ولا يزال المشاهد في الوقت الراهن يرى بعض بقاياها وآثاره ، وخلاف هرم " كا " الملك توجد تسعة أهرام تابعة . وفيما عدا هذا فقد أخذ هرم سنوسرت الأول أيضاً بتخطيط هرم " پيپى " الثانى . وعندما قام " جوتييه " J . E . Gautier بالكشف عن المجموعة الهرمية عام ١٨٩٤ عثر على عشرة تماثيل تمثل " سنوسرت " الأول جالساً على عرش مكعب ذى مسند ظهر منخفض - وقد زخرف كل منها بزخارف متنوعة تدور حول موضوع الـ "سماتوى" . وهو الرمز الشعارى لاتحاد الأرضين (شكل ٨٠) . وكان المصريون قد أخفوا التماثيل على عجل فى حفرة عميقة خوفاً من سرقتها على ما يبدو ، وهى معروضة الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة .

أما " أمنمحات " الثانى فقد عاد واتجه جهة الشمال فأقام مقبرته فى دهشور ، كما دفن حفيده " سنوسرت " الثالث فى نفس هذه المنطقة ، فى حين اكتفى "أمنمحات" الثالث بن " سنوسرت " الثالث بإقامة مقبرة تذكارية .



شكل (٧٨) - رسم تخطيطى لهرم سنوسرت الأول فى اللشت

وعاد هرم " أمنمحات " الثانى إلى الأخذ بالتقنيات التى استخدمها هرم " سنوسرت " الأول ، ولكن يصعب علينا التوصل إلى وصف هذا الهرم وصفا دقيقا نظرا لما لحق به من دمار شديد . وتجدر الإشارة الى أنه قد تم الكشف غربى حرم الهرم على مقابر الأميرات " إيتا " و " إيتاورت " و " خنومت " وهى من أبرز المقابر ، وما عثر عليه فيها من حلى ومجوهرات معروض الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة .

أما " سنوسرت " الثالث فقد اختار الأساليب التقنية التى اعتمدها أبوه فى اللاهون . فشىد هرمه فوق نواة صخرية ، على هيئة شبكة من الجدران الحجرية وتم حشوها بالطوب اللبن ، واستخدمت كسوة من الحجر الجيري المجلوب من طرة . ومدخل الهرم عبارة عن بئر تقع غربا وتفضى إلى حجرة الدفن المشيدة من الجرانيت الأحمر . كما أقيمت جنوبى المجموعة الهرمية وغربها مصاطب الأشراف وأحيطت بسور من الطوب اللبن . أما فى الشمال فتوجد مقابر الأميرات " نفرت حنوت " و " مريريت " و " سنت سنيتيس " . وقد حفرت على شكل مقاصير ودهاليز . وإلى جانب ما عثر عليه فيها من توابيت وأوان كانوبية ، فقد أمدتنا بمجموعة من الحلى ، وفى مقدمتها الصدریات الرائعة التى تحمل اسم كل من " سنوسرت " الثانى و " سنوسرت " الثالث ، وهى من مقتنيات المتحف المصرى بالقاهرة .

وشيد " أمنمحات " الثالث مقبرة تذكارية من الطوب اللبن كان لها فيما مضى كسوة من الحجر الجيري . وبسبب مظهرها الراهن ، فقد أطلق عليها اصطلاحا " الهرم الأسود " . وكان كبير الحجم إذ يناهز طول ضلعه مائة متر وتعادل زاوية ميله 20° ٥٧ ، وكان يعلو قمته هرم . أما مدخله ومعبد الجنازى فمن الجهة الشرقية . وكان تخطيط بنيانه السفلى غاية فى التعقيد وربما جاء متأثرا بتخطيط مجموعة " جسر " الجنازى فى سقارة ، كما احتوى على تابوت من الجرانيت . (Lauer : 1988 , 198) .

كذلك استخدم ملوك الأسرة الثالثة عشرة موقع دهشور وعلى رأسهم الملك " حور " الأول " إويت إيب رع " . ويحتفظ متحف القاهرة بتمثال " كا " الملك المصنوع من الخشب . ولا يمكن اعتبار أن جبانات ملوك الأسرة الثانية عشرة قد أقيمت فى منطقتى اللشت ودهشور دون غيرهما . بل نجد أن " سنوسرت " الثانى و " أمنمحات " الثالث اللذان ارتبط اسمهما باستصلاح إقليم الفيوم قد عقدا العزم على أن يدفنا على مقربة منه . فدفن العاهل الأول فى اللاهون ، فى حين دفن الثانى فى هواره .

شىد هرم اللاهون إلى شمال السد الذى أقامه " سنوسرت " الثانى وعند حافة الأرض الزراعية . وهو على شكل مربع يبلغ طول ضلعه ١٠٧ امتار ويزاوية ميل قدرها

٣٥°٤٢ درجة. ويحتمل أن ارتفاع الهرم كان حوالى ٤٨ مترا . ويقع مدخل الهرم جهة الجنوب من خلال بئر تفضى إلى مجموعة ممرات معقدة تلتف حول حجرة الدفن وهى تشبه التفاف الأمواه حول الجزيرة التى شيدت فوق أرضها مقبرة أوزيريس فى مدينة أبيدوس ، على ما يظن . وتم الكشف عن تابوت من الجرانيت داخل الهرم وعثر بجواره على صل من الذهب . وتتميز مقبرة "سات حتحور إبونت " دون غيرها من مقابر الأميرات بما عثر عليه فيها من حلى أصبحت الآن موزعة بين متحف المترو بوليتان ومتحف القاهرة .

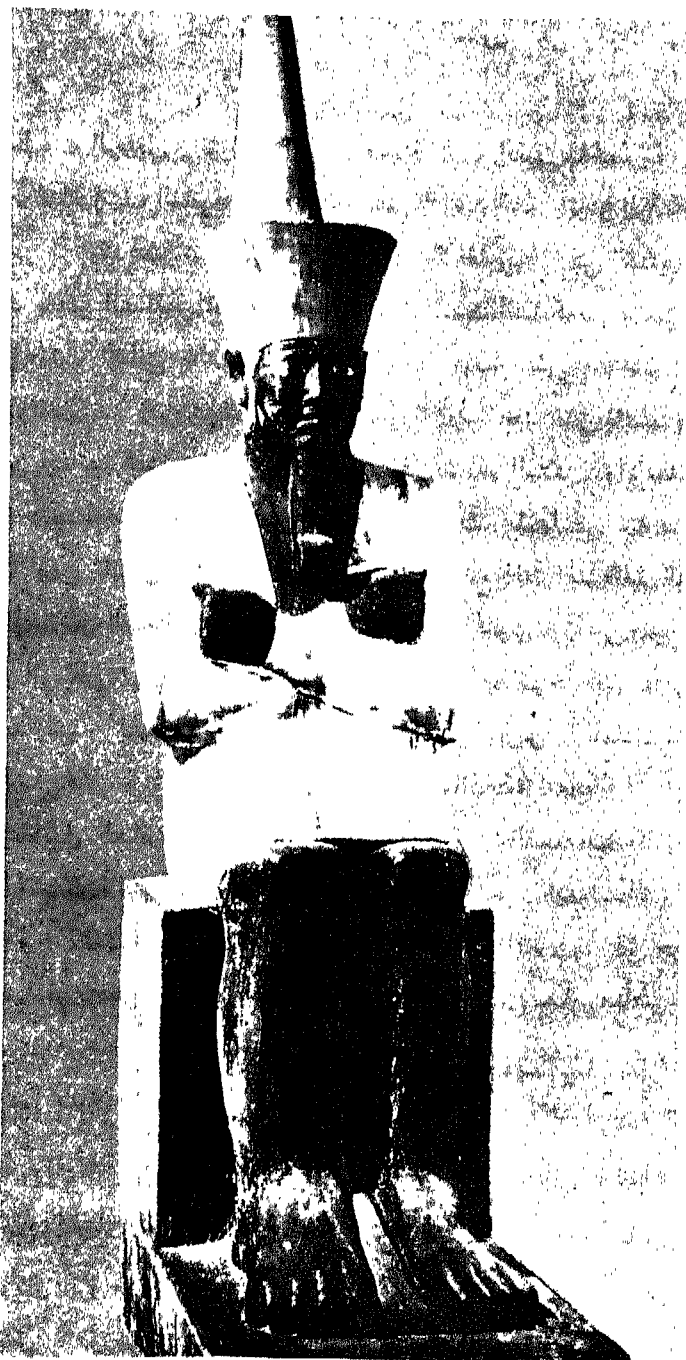
إن أوجه الشبه بين الهرم الذى شيده "أمنمحات" الثالث فى هواره على مسافة ٩ كم جنوب شرق مدينة الفيوم وبين هرم " سنوسرت " الثانى عديدة ، إذ تضم حجرة الدفن تابوتا من الجرانيت وتابوتا ثانيا أصغر من الأول كان مخصصا لـ " نفرويتاح " ابنة امنمحات الثالث التى دفنت على مسافة كيلو مترين جنوبى هذه المنطقة . فى حين دفنت الأميرات الأخريات فى دهشور . كما أقيم المعبد الجنائزى أيضا جهة الجنوب وهو الذى أطلق عليه سترابون اسم " اللابيرانت " أو قصر التيه . يتكون " اللابيرانت " من ثلاثة صفوف من الوحدات المستقلة المتجاورة التى شيدت على مساحة ٢٠٠ فى ٣٠٠ مترا . وقد عثر فيه على أجمل تماثيل أمنمحات الثالث فى وضع الجلوس (CGC 385) . ولا شك أن هذه المباني كانت مخصصة لعبد " سد " . ويمكن تشبيهها بمثيلتها فى مجموعة " جسر " بسقارة . كما أن أوجه الشبه بينها وبين مجموعة أمنمحات الثالث كثيرة ومتعددة . ويبدو أن " سوبك نفرو " هى التى أكملت المعبد . ولكن يستحيل تحديد الهدف من هذه الأعمال ، وهل استهدفت اتمامه كما يظن أم إقامة شعائر عبادة " امنمحات " الثالث بعد ان تم تأليهه .

لقد تركزت الدولة القديمة بصمات واضحة وعميقة على فن نحت التماثيل الملكية رغم تخلى عاهل البلاد فى الدولة الوسطى عن وضعه السابق كإله لا يمكن المساس به . بيد أن تطور هذا الفن كان نسبيا أكبر من تطور فن نحت تماثيل الأفراد التى انحصر التجديد فى أوضاعها فى إطار ما استعارته من النماذج الملكية . فلأول مرة تصادفنا تماثيل صغيرة على شكل مومياء موضوعة فى كوة . وقد استمدت أصولها من التماثيل الأوزيرية الضخمة . كما تأثرت تماثيل المصلين والملتحقين بالعبادات بفن نحت التماثيل الملكية . ويعتبر " التمثال المكعب " هو الابتكار الوحيد الحى الذى ابتدعه ذلك العصر . ويصور شخصا جالسا وقد ثنى ساقيه قرب ذقنه مكونا كتلة لن يبرز منها بمرور الزمن سوى الرأس . لقد ولدت هذه الأشكال من المباحث ذات الأغراض الهندسية التى شاعت

فى عصر الانتقال الأول فأصبحت إسناداً مواتية للمتون التى زخرت بها سطوحها خلال العصر المتأخر .

اصطبغت البدايات الأولى لأسلوب مدينة طيبة الفنى بالحشوة . ونذكر على سبيل المثال تمثال إنتف الثانى مرتديا رداء عيد " سد " . وتبدو الرقبة من خلاله غائرة فى الكتفين . وقد عثر عليه فى قدس أقداس " حقايب " فى إلفنتين . كما نذكر فى هذا الصدد بعض التماثيل التى ترجع إلى هذا النمط التشكيلى والتى عثر عليها فى معبد منتوحتب الثانى بالدير البحرى والموزعة حاليا على متاحف القاهرة وبوسطن ونيويورك ولندن . وفى عهد " أمنمحات " الأول أخذ الفن يلفظ من هذه الحشونة ويخفف من وطأتها تحت تأثير المدارس الفنية فى شمال البلاد . والأمثلة على ذلك واضحة جلية من خلال بعض النماذج التى عثر عليها فى منديس (Caire JE 605 20) وفى تانيس (Caire JE 37470) . ومع ذلك فقد ظلت الفوارق محسوسة وأكثر وضوحا بين الشمال والجنوب ، طالما بقى ملوك مصر موزعين بين موطنهم الأصلي وبين مصر الوسطى . وخلف " سنوسرت " الأول وراءه انتاجا فنياً غزيراً يمكن توزيعه بين عدة مدارس . فقد أمدنا معبد الكرنك بتمثالين كبيرين " لسنوسرت " الأول واقفا وهما من إنتاج مدرسة طيبة الفنية (Caire JE 38286 - 38287) . أما اعمال اللشت الفنية والتماثيل العشرة التى سبقت الإشارة إليها والدعائم الأوزيرية إلى جانب التماثيل الخشبية التى عثر عليها فى معبد " ايمحوتب " (Caire JE 44951) و (MMA 14.3.17) فتنتمى إلى مدرسة الفيوم . فى حين نجد أن إنتاج مدرسة منف لم يزدهر فى مدينة منف فحسب بل امتد إلى سائر مناطق البلاد الشمالية واقترن بعودة صريحة إلى التقاليد الملكية ، فصنعت فى عهد " سنوسرت الثانى " تماثيل تصور ملوك الأزمنة الغابرة ، من أمثال " ساحورع " و " نى أوسررع " و " چسر " .

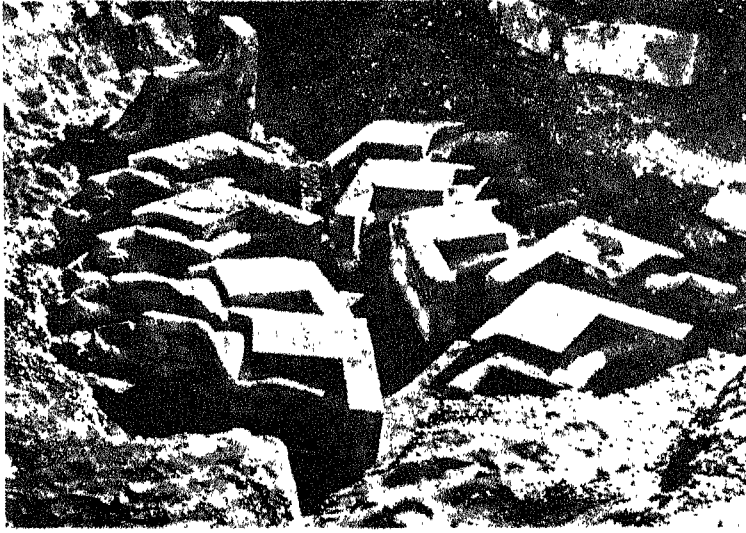
وظل الاتجاه الكلاسيكى مزدهراً فى عهدهى " أمنمحات " الثانى و " سنوسرت " الثانى . وكان أبرز ما يكون فى التماثيل التى أعيد استخدامها فى وقت لاحق فى موقع مدينة تانيس . وزخرت فترة حكم خلفيهما بأعمال فنية بلغت شأوا كبيرا فى الرقى . ونخص بالذكر المجموعة التى تصور ملامح وجه " سنوسرت " الثالث التى عثر عليها فى معبد المدامود وهو فى مقتبل العمر أو طاعنا فى السن على التوالى ، بغرض إبراز



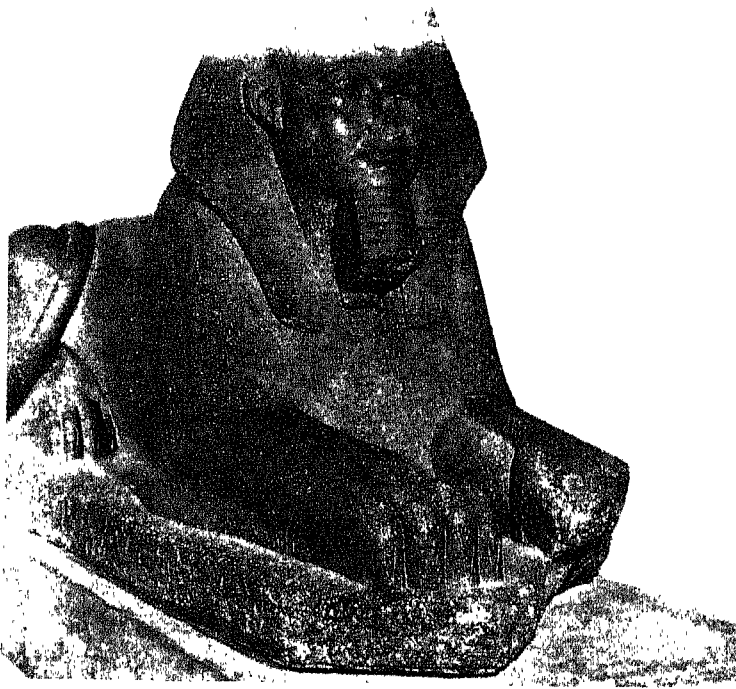
شكل (٧٩) - "منوحوتب" الثانى مرتدياً رداء "عيد" سد".

وقد عثر على التمثال فى مقبرته التذكارية بالدير البحرى. من الحجر الرملى الملون. الإرتفاع ١٨٣ سم.

متحف القاهرة: JE36195



شكل (٨٠) - تماثيل سنوسرت الأول في خبيثة اللشت.



شكل (٨١) - تمثال لأبو الهول يمثل "أممحات" الثاني.

عشر عليه في تانيس واغتصبه كل من "أبيي" و"مرنپاح" وشاشانق الأول. من الجرانيت الوردى.

لإرتفاع ٢٠٦ سم. الطول ٤٧٩ سم Louvre A23



شكل (٨٢) (أ) - "سنوسرت" الثالث في مقتبل العمر
تمثال عشر عليه في المدامود. من الجرانيت الأسود الإرتفاع ١٢٠سم. Louvre 12902



شكل (٨٢) (ب) - سنوسرت الثالث - طاعناً فى السن .
رأس تمثال عثر عليه فى المدامود "من الجرانيت الأسود الأرتفاع ١٥ سم. Louvre 12960

الجانب البشرى الذى اكتسبه الملك بشكل واضح مع حلول عصر الانتقال الأول . كما نذكر مايشبهها من تصاوير " أمنمحات " الثالث (CGC 385) التى عثر عليها فى هواره . وتضم عددا من تماثيل أبو الهول وتماثيل الشعائر كتجسيد لموضوع سبق أن صادفناه قرب نهاية الدولة القديمة وهو يمثل الملك جاثيا رافعا أوانى النبيذ مقدمة وقربانا (CGC 42013 ، جاءت من الكرنك - والخرطوم ٤٤٨ ، وقد عثر عليه فى سمنة) وقد عثر على مجموعة كاملة من التماثيل التى ترجع إلى أواخر عهد " أمنمحات " الثالث ، وإن نسبت إلى عصر الهكسوس استنادا إلى أسلوبها المتميز الخارج على المألوف . وهى مجموعة تماثيل " أبو " الهول التى عثر عليها فى تانيس وبوباستس والكاب وتماثيل الملك وهو يرفع مقدمة من الأسماك (CGC 392) . وهذه التماثيل هى فى واقع الأمر تعبير عن نزعة سادت شمال البلاد وامتدت آثارها الى أزمنه لاحقه .

إن الدولة الوسطى هى أزهى عصور الحضارة المصرية وهى عصرها الكلاسيكى بكل معنى الكلمة . ومع ذلك فهى ليست أطول هذه العصور من الناحية الزمنية ولا أفضلها توثيقا . انه لا يوجد عصر نجهل عنه مانجهله عن الدولة الوسطى فى المجال المعمارى . فنجد مثلا أن معابد عظيمة كمعابد آمون رع بالكرنك وتانيس لم يبق منها

أثر سوى الأحجار التى أعيد استخدامها فى عمائر جديدة . ومن ثم يستند تقييماً هذا إلى ماوصلنا من آثار فحسب ، والتى تعبر جميعها عن قدر من الاعتدال ، يقربها أكثر فأكثر من دائرة بنى البشر بالمقارنة مع ضخامة الأهرامات وشموخها . كما ينبغى أن نولى تعاظماً شأن المراكز الاقليمية أهمية خاصة ، إذ يبدو أن البلاد بأسرها قد أخذت تدخل عهداً من التوافق مقتربة من وضع كان فيما مضى من نصيب أقلية ، دون أن تنزلق مع ذلك إلى المزايدات الصاخبة . إن الصورة التى تقدمها الدولة الوسطى هى صورة توازن يشبه ما عرف عن حكم الإلهة " ماعت " . هذا مانستشفه على الأقل من الأدب ، وهو المصدر الوحيد الذى بلغ درجة رفيعة من الرقى فى عصر الدولة الوسطى بالمقارنة مع غيره من عصور . لقد سبق أن لاحظنا أن الإبداعات الأدبية التى تشكل جوهر ولب الثقافة المصرية قد جرى تأليفها فى جانبها الأكبر فى ظل الدولة الوسطى ، وهى تعبير عن مفهوم حضارى ساد فيما بعد وصار النموذج الذى لا يمكن أن يتجاهله المصريون . ومن هذا المنطلق فإن الإمبراطورية التى أسسها الملوك الذى حملوا أسماء " أمنمحات " و" سنوسرت " هى بحق العصر الكلاسيكى فى مصر .

الفصل الثامن

الفـزو

عصر الانتقال الثانى

وإضافة إلى ما سبق ينبغي أخذ الوضع الدولى بعين الاعتبار . فقد سبق ورأينا كيف استعادت مصر تدريجياً سيطرتها على النوبة وفرضت سيادتها على الشرق الأدنى . إن تدفق العمالة الآسيوية وزيادتها زيادة ملحوظة فى عهد "امنمحات" الثالث على وجه التحديد ، كانت السبب وراء بداية حركة هجرة متصلة وسلمية ولكنها ثابتة دؤوبة ، أدت إلى استقرار بعض الشعوب فى شمال البلاد . وقد جاءت هذه الهجرة بعد أن طردت من مواطنها الأصلية تحت ضغط الهجرات القادمة من الشرق ، حتى إذا آن الأوان نزعته هذه الجماعات إلى الاتحاد لتحتل المناطق التى تطولها . وعادت الآليات التى كانت وراء سقوط الدولة القديمة إلى الظهور ، وتتمثل فى إضعاف الدولة وما ترتب عليه من انفراط عقد وحدة البلاد . وأخذت سلطة مصر الحقيقية تتحصن فى جنوب البلاد .

لم يبدأ "عصر الانتقال الثانى" فجأة مع نهاية الأسرة الثانية عشرة ، كما لا يعتبر مرحلة تاريخية فى حد ذاتها شأنه فى ذلك شأن عصر الانتقال الأول . وكل ما فى الأمر أنه يساعد على رسم حدود ترتيب زمنى يسهل استخدامه فى حدود المعلومات اليقينية التى وصلتنا والتى لا تتجاوز بداية العصر ونهايته . فبدأ تاريخ هذا العصر بوفاة "سويك نفرو رع" حوالى عام ١٧٨٥ ق . م . وينتهى باستيلاء "أحمس" على السلطة حوالى عام ١٥٦٠ ق . م ، مستهلاً عصر الدولة الحديثة . وبين هذين التاريخين تمتد مرحلة بأكملها تناهز قرنين من الزمن . ونحن نجهل النصف الأول من هذه المرحلة جهلاً مطبقاً . ولا تتعدى معلوماتنا فى واقع الأمر الأسماء الواردة فى القوائم الملكية . وفى القسم الأول من هذا العصر حكمت الأسرة الثالثة عشرة وحدها مصر . ثم دخلت فى تناقص مع أمراء "أخسويس" و "أواريس" فى الدلتا الذين شكلوا أترتين من الهكسوس هما الأسرة الخامسة عشرة والأسرة السادسة عشرة ، المنافستان للأسرة السابعة عشرة الطيبية، وإلى أن قام "أحمس" بطردهم .

وتذكر قوائم الملوك نيفاً وخمسين ملكاً للأسرة الثالثة عشرة . ولكنها لا تتفق فيما بينها على ترتيب تعاقبهم على عرش مصر . فلا نعرف يقيناً أن كان أول ملوكها هو "سخم رع خوتاوى " (CAH II3 , 13 , 42 Sq) أو " أوجاف " (راجع (V.Beckerath: 1984,67)؟ ويمكن طرح نفس هذا السؤال مع كل ملك من هؤلاء الملوك الذين تعاقبوا بإيقاع متسارع ، حتى ظن بعضهم أن اختياريهم قد جاء طبقاً لنظام انتخابي ظل معمولاً به فى المرحلة الأولى من حكم ملوك النسب الطيبى . وتدور بخلدنا فرضية لها ما يغرينا على قبولها . فقد تركز نشاط هؤلاء الملوك " الصوريين " فى طيبة فى المقام الأول مع استمرار عاصمة البلاد فى " إاث تاوى " حتى حوالى عام ١٦٨٤ . كما احتفظت مصر بقدر من السلطة كان يكفى للإبقاء على هيبتها فى الداخل وقوتها فى الخارج . فمن المغرى حقاً أن نفترض فى ظل هذه الظروف أن .

١٧٨٥	سخم رع خوتاوى
	أمنمحات الخامس
	سحوتب إيب رع (الثنائى)
	أمنمحات السادس (أمينى الأسىوى ؟)
	حورنچ حر إيتف
	سوبك حوتب الأول
	رينى سنب
	حر الأول
	أمنمحات السابع
	وچاف
	سنوسرت الرابع
	خنجر
	سمنخ كارع
	سوبك إم ساف الأول
	سوبك حوتب الثالث
	نفر حوتب الأول
	ساحتحور
	سوبك حوتب الرابع
	سوبك حوتب الخامس
	نفر حوتب الثانى
	نفر حوتب الثالث
	يع إيب
	إيبى
	إينى

١٦٧٤	ديدو مسيو الأول

شكل (٨٣) - الترتيب المحتمل لتعاقب ملوك الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة

الجهاز الإدارى هو الذى احتفظ بين يديه بالسلطة فى واقع الأمر ، من خلال منصب الوزير الذى كاد أن يصبح مستقلاً عن البلاط الملكى .

الاستمرارية

وتعطينا بعض الوثائق التى حفظها الزمن انطباعاً مبدئياً بوجود تواصل واستمرارية بين الأسرة الثالثة عشرة والأسرة الثانية عشرة . فقد شيد " سخم رع خوتاوى " المنشآت فى الدير البحرى والمدامود . وذكرت عمائر الصعيد والوجه البحرى اسم خليفته " امنمحات " الخامس . أما " حورنچ حر إيتف " والذى يعنى اسمه " حورس المنتقم لأبيه " - أو إذا أردنا الدقة فى التعبير فمعناه " القيم على مصالح أبيه " ، تماماً كما فعل حورس بمصالح " أوزيريس " - فقد وجد اسمه مدوناً فى الختاعنة .

وإذا تتبعنا ملوك هذه الأسرة نصل إلى " سوبك ام ساف " الأول الذى ذكر اسمه على المدونات المعمارية فى المدامود . كما أقام العمائر فى ابيدوس و الكرنك و الطود وإلفنتين . وشيد " سوبك حوتپ " الثالث صف أساطين وأبواب فى معبد " مونتو " فى المدامود . ووجوده مسجل فى الكاب . و الأهم من كل ذلك الوثيقتان الإداريتان اللتان ترجعان إلى عهده وأبقى عليهما الزمن . الوثيقة الأولى عبارة عن بردية تضم قائمة موظفين و يحتفظ بها متحف بروكلن فى الوقت الراهن . أما الثانية فهى بردية بولاق رقم ١٨ وتسجل واردات ومصاريف البلاط الملكى أثناء إقامته لمدة شهر فى مدينة طيبة . وتسجل هذه الوثيقة أسماء ثلاث وزارات (" وعرت ") . أنشئت إحداها على الأقل فى عهد " سنوسرت " الثالث و هى " رأس الجنوب " . أما الوزارتان الأخريان فهما " الخزينة " و " ديوان الإنشاءات " . كما تنطوى شخصية " سوبك حوتپ " الثالث على أهمية أخرى . فمن المعروف انه لاينحدر من اصول ملكية ، بل هو ابن أمير طبيعى يدعى "منتوحوتپ " . دفن جميع هؤلاء الملوك وفقاً لتقاليد الدولة الوسطى ، وعثر المنقبون على بعض أهرامهم . فقد عثر عام ١٩٥٧ فى دهشور على هرم " امينى الاسيوى " الذى يرجح أن يكون هو و " امنمحات " السادس شخصاً واحداً . و دفن " خنجر " فى سقارة القبلية فى هرم مشيد من الطوب اللبن له كسوة من الحجر الجيرى وحجرة دفن من حجر الكوارتزيت . كما يوجد على مقربة منه هرم أضخم منه لانعرف هوية صاحبه . وأخيراً يبدو أن " نفرحوتپ " الأول مدفون فى اللشت على مسافة قصيرة من " سنوسرت " الأول.

وأغرب ما فى الأمر دون شك ، أن مصر قد استطاعت المحافظة على مكانتها فى الخارج . وفى النوبة عثر على تسجيلات لارتفاع الفيضان عند مدينة سمنة فى مستوى الجندل الثانى ترجع الى السنوات الأربع الأولى من حكم " سخم رع خوتارى " . ولا نجد آثارا للحكم المصرى فى عهد " امنمحات " الخامس ولكن مصر استمرت تفرض سلطانها على النوبة السفلى فى ذلك العصر وحتى عهد " أوجاف " على الأقل إذ عثر على تمثال له فى سمنة . ويسجل مخربش فى شط الرجال قيام " سوبك ام ساف " بحمله إلى النوبة . كما نعلم أن سلطة نفرحوتب قد امتدت حتى الجندل الأول على أقل تقدير . كما أن تطور الأحداث فى الشرق الأدنى قد نحي منحى مشابهاً . إذ لم تتغير الأوضاع فى ظل حكم امنمحات الخامس و "سحوتب ايب رع " الثانى . فظلت بيبلسوس على سبيل المثال على ولايتها لحكام مصر . بل إن " حورنخ حر إيتف " قد لقب بـ " الأسىوى " . و ربما كان مرد ذلك إلى سياسته الخارجية النشطة التى ضاعت معالمها للأسف إلا إذا استثنينا الجعران الذى يحمل اسمه و عثر عليه فى مدينة اريحا . و لكن هذا الضرب من الوثائق معرض بحكم تكوينه و طبيعته إلى اتساع دائرة انتشاره دون ان يعنى ذلك بالضرورة وجودا مصريا فى أماكن انتشاره . و من ناحية أخرى فقد عثر فى بيبلسوس على نقش يفيد إن هذه الإمارة كانت لاتزال تابعة لمصر فى ظل حكم "نفرحوتب " الأول .

"نفرحوتب" الأول و "سوبك حوتب" الرابع

يشكل عهد " نفرحوتب " الأول نقطة تحول ، فقد احتفظ بالسلطة على مدى إحدى عشرة سنة ، و تبين مجموعة ألقابه ماقام به لتنظيم الأوضاع فى البلاد . فلقبه الحورى " جرج تاوى " يعنى " الذى أسس الأرضين " . أما لقبه النبئى أو لقب السيدتين فهو " اوب ماعت " ومعناه " الذى يفصل الخير (عن الشر) " . فإلى جانب الصعيد امتدت سلطته فى واقع الأمر إلى أقاليم الدلتا ما عدا الإقليم السادس الذى كانت عاصمته " اخسويس " أو بلدة قدم على مقربة من كفر الشيخ ، عاصمة الاسرة الرابعة عشرة ، حسب رواية مانتون ، و التى عاصرت الأسرة الثالثة عشرة و أسرة الهكسوس التى سوف تقفز إلى مسرح الأحداث فى وقت لاحق فى " أواريس " .

أما " سوبك حوتب " الرابع شقيق " نفرحوتب " الأول فقد استمر حكمه ثمانى سنوات . وفى عهده سيطر الهكسوس على مدينة أواريس أو " حات أورث " بالمصرية

القديمة " و تعنى " القصر العظيم " ، وجعلوا منها عاصمتهم . و صارت مركز إشعاع لتأثيرهم المتنامى على سائر أنحاء الدلتا . وقد ساد الاعتقاد فى وقت سابق أنه يمكن مطابقتها مع مدينة تانيس . ولكن المعلومات التى وفرتها الحفائر التى أجراها " منفريد بيتاك " M . Bietak انتهت إلى أن أواريس هى الختاعنة حاليا والموقع المشترك لتل الضبعة الذى سيصبح فى وقت لاحق " بررمسيس " ويقع على مسافة سبعة كيلو مترات شمالى فاقوس . وقد جرت هذه الأحداث فيما بين عامى ١٧٣٠ ، و ١٧٢٠ ق . م استنادا إلى النص المدون على سطح لوح أقيم فى عهد رمسيس الثانى وأعاد إكتشافه أوجست مارييت عام ١٨٦٣ (38 - 33 , Paris : 1976) .

وقد أقيم هذا اللوح احتفاءً بذكرى تأسيس معبد الإله " ست " فى "أواريس" وهو فى واقع الأمر مؤرخ بالعام ٤٠٠ واليوم الرابع من الشهر الرابع من فصل الفيضان من حكم ملك الوجهين القبلى والبحرى العظيم فى جسارته " سيتى " ، ابن رع وصفيه ، ومحبوب رع حور أختى . وإذا أخذنا بالراى القائل أن هذا اللوح نسخة منقولة عن لوح أقدم ، يرجع إلى عهد حور محب ، يصبح التاريخ المشار إليه هو تاريخ كتابة النص الأسمى وليس تاريخ إقامة اللوح وبالتالي يرجع تأسيس المعبد إلى عام ١٧٢٠ ق . م .

الهكسوس :

جاء استيلاء الهكسوس على الحكم فى شمال البلاد بالتدريج و على مراحل . فقد وطدوا أقدامهم فى فرعشة و تل الصحابة عند مخرج وادى الطميلات ، و فى بوباستس وإنشاص وفى تل اليهودية على مسافة عشرين كيلو مترا شمال هليوبوليس . واستغرق هذا الزحف قرابة خمسين سنة لينتهى عام ١٦٧٥ فى عهد الملك رقم ٣٣ أو ٣٤ فى قائمة ملوك الأسرة الثالثة عشرة وهو الملك " ديدومسيو " الأول . و إذا صح أن هذا الملك هو نفسه " توتيمايوس " الذى ذكره " مانتون " ، يمكن القول أن الهكسوس قد تمت لهم السيطرة على مصر فى عهده . وربما كان تطابق الشخصيتين متفقا مع حقيقة أن "ديدومسيو" هو آخر من عرفهم من ملوك الاسرة الثالثة عشرة من خلال آثار طبيه و الدير البحرى و الجبلين . و مع ذلك لايمكن القول بأن نهاية حكمه قد وضعت نهاية للأسرة الثالثة عشرة . بيد أن سلطة خلفائه انحصرت فى إطار محلى وسرعان ما اختفت هى أيضا بشكل نهائى فى عام ١٦٣٣ ق . م .

أسس أسرة الهكسوس - و هى الاسرة الخامسة عشرة حسب رواية " مانتون " - ملك يدعى " سالييتس " . وربما كان هو نفس الملك الذى ظهر اسمه على سطوح

بعض الأختام تحت اسم " شيشى " و التى عشر عليها فى كرما ، و هو ما يدعونا إلى الافتراض أن النوبة قد تحالفت منذ البداية مع الهكسوس ضد أهل طيبة . وقد يكون هو أيضا نفس الملك الذى يدعى " شارك " الذى كان معروفا فى منف . تُرى من يكون هؤلاء الهكسوس ؟ و الاسم تصحيف يونانى للاسم الذى عرفهم به المصريون و هو " حقاو خاسوت " أى " زعماء البلدان الأجنبية " . ولاتنطوى هذه التسمية على أى مفاهيم عرقية أو تحديد واضح لأصولهم . فخلال الدولة القديمة و الدولة الوسطى انطبقت هذه التسمية على كل اجنبي سواء جاء من فلسطين أو من النوبة . وتمتد تسمية الهكسوس لتشمل على وجه التقريب الأقوام الذين أطلق عليهم المصريون اسم " الآسيويين " واصطدموا بهم فيما سبق من أزمنة ، وهم الـ " عامو " والـ " سيتيو " والـ " منتيو " الآسيويون والـ " رتنو " . واذ اتسمت آخر مرحلة من مراحل استيلائهم على السلطة بالعنف ، فقد تقبل السكان استيطانهم خلافا لما توحى به النصوص التى ترجع إلى بدايات الدولة الحديثة والتى تجنح إلى العديد من صور التطرف و الغلواء تعبيرا عن نزعاتها الوطنية . وتوضح قائمة موظفى بردية بروكلن - التى سبق الإشارة إليها - تعايش المصريين و الآسيويين فى سلام ودون صدامات . زد على ذلك أن ملوك الهكسوس كانوا بنائين عظاما ، خلفوا من ورائهم المعابد و التماثيل و النقوش و الجعارين كما شجعوا على نشر الأدب المصرى و انتشاره . فبردية " رند " Rhind على سبيل المثال ، مؤرخة بالعام الثالث و الثلاثين من حكم الملك " ايببى " الأول خصم والد " كامس " اللدود . و حتى لو اعتبرناها مجرد صورة منسوخة لأصل طيبى إلا أنها تفصح عن تقدير ثقافى أكيد .

ودشن الهكسوس أسلوبا جديدا فى الحكم أضحى دون غيره وراء نجاح سياسة كل غاز و كل محتل أخذ به . فقد انصهروا فى القالب المصرى السياسى بدلا من فرض الهياكل التنظيمية الحكومية الخاصة بهم . و لم يقف ذلك دون احتفاظهم بهويتهم الثقافية التى تظهر بوضوح فى العمارة " و قلاع الهكسوس " أو فخاريات تل اليهودية رغم ما يمكن أن نبديه من تحفظات . واعتمدوا الخط الهيروغليفى فى تدوين أسمائهم وتبنوا الألقاب الملكية المصرية و نقلوا النماذج التشكيلية التى شاعت فى الدولة الوسطى الخ ... وفيما يتعلق بالمعتقدات الدينية فقد ساروا على هدى المسلك الذى سلكوه فى الأمور السياسية فأقاموا ديانة رسمية " على الطريقة المصرية " تمحورت حول الإله " ست " فى " أواريس " وهو غريم " أوزيريس " . و اكتفوا بأن أبرزوا سماته السامية . ولم يتحد " ست " بالإله " بعل رشف " أو إله الحيثيين " تشوب " سوى فى وقت لاحق ، كما احتفظوا أيضا

بعبادة " عنات عشتاركت " ولكنهم لم يستبعدوا الآلهة المصرية . واستمر الملوك يحملون إسم " رع " الذى ظل فى عداد ألقابهم الملكية .

وكان الضرر الذى لحق بمصر من جراء وجودهم أقل مما ادعته المصادر المصرية اللاحقة ، بل إنهم تركوا بصمات غائرة فى الحضارة المصرية بعد أن حطموا بلا رجعة عزلتها الشبيهة بعزلة الجزر . فعلى الصعيد الدينى والحضارى والفلسفى خلق وجودهم النبع الذى نهل منه ملوك الدولة الحديثة . أما إضافاتهم فى مجال الأساليب التقنية فهى لا تحصى ، ولاسيما فى المجال العسكرى ، وعلى رأسها استخدام الفرس لجر العربات والذى ثبت وجوده لأول مرة فى عهد " كامس " ، حتى وإن عاش الفرس فى وادى النيل منذ زمن سابق وأقبل القوم على تربيته . كما مهدوا الطريق أمام المصريين للولوج إلى تكنولوجيا التسليح العصرى القائمة على صناعة البرونز التى مكنت فراغة الدولة الحديثة من التفوق على منافسيهم من زعماء بلدان الشرق .

الأسرة ١٣ الأسرة ١٤	الأسرة ١٥ - الأسرة ١٦ (الهكسوس)	طيبة
١٦٧٤ ديدومسيو١ ديدومسيو٢ سنب ميو چدكارع منتو إم ساف ...	٦ ملوك حتى حوالى ١٥٦٧ سالىتس	رع حوتب إنتف الخامس سوبك إم ساف الثانى چحوتى منتو حوتب السابع نب إرى أو الأول إنتف السابع
١٦٥٠	يعقوب حار خيان	
١٦٣٣		سناختان زع تاعا الأول (القديم) سقنن رع تاعا الثانى "الجسور" كامس
١٥٧٨ ١٥٧٠	" أيببى " الأول " أيببى " الثانى	بداية الأسرة الثامنة عشرة
(١٥٥٣)		

شكل (٨٤) - جدول الترتيب الزمنى لأسرات الهكسوس وطيبة .

ويعتقد أن "سالييتس" المعروف باسم "شيشى" أو "شارك" قد انطلق من منف ليحكم البلاد قرابة واحد وعشرين عاما . وامتد سلطانه ليشمل الدلتا و الوادى حتى الجبلين . كما سيطر على دروب القوافل ليضمن و سائل الاتصال بحلفائه فى النوبة . ودامت هذه الأوضاع حتى عهد "أبييى" الأول الذى تنازل عن جانب من سلطاته لإحدى عائلات الهكسوس الموالية له . و قد أطلق عليها مانتون الأسرة السادسة عشرة ، وهى على كل حال تسمية غير دقيقة لاتتفق مع واقع الأمر .

ملوك طيبة

وقامت فى وجه أبييى الأول أسرة جديدة ظهرت إلى الوجود فى طيبة منبثقة من فرع محلى للأسرة الثالثة عشرة . وقد أسسها "رع حوتپ" و اختار من جديد اللقب الحورى "و عع عنخ" . وتحدد بردية تورين خمسة عشر ملكا لهذه الأسرة ، فى حين تحدد قائمة الأجداد التى أقيمت فى الكرنك عددهم بتسعة ملوك ورد ذكر عشرة منهم على عمائر طيبة . وعثر فى طيبة على سبع مقابر لهؤلاء الملوك بالإضافة إلى ملك ثامن لم يرد اسمه فى القوائم الملكية . وتولى هؤلاء الملوك حكم أقاليم الصعيد الثمانية الأولى من إلفنتين و حتى أبيدوس لفترة دامت خمسة وسبعين عاما ، وهو ما يعادل على وجه التقريب الأقاليم التى سيطروا عليها خلال عصر الانتقال الأول . و كانت مواردهم الاقتصادية هزيلة فلا سيطرة لهم على الطرق المؤدية إلى المناجم والمحاجر على وجه الخصوص . غير أنهم استطاعوا أن يحافظوا بوسائلهم الخاصة على حضارة الدولة الوسطى . فتولى "رع حوتپ" على سبيل المثال ترميم معبدى "مين" فى "كوپتوس" وأوزيريس فى أبيدوس . وأمر ملوك طيبة بأن يدفنوا فى منطقة دراع أبو النجا أسفل هرم من الطوب . فمهدوا بذلك الطريق للهرم الذى سيعلو هياكل الأفراد الجنائزية فى الدولة الحديثة . وجرى الحفاظ على "التعاليم والوصايا" المصرية المتواترة من خلال نسخ النصوص الأدبية والتقنية . وإلى هذا العصر ترجع بردية "بريس" Prisse التى تضم حكم "پتاح حوتپ" ووصايا "كاجمنى" . أما "نشيد العازف على الجنك" فتزدان به مقبرة "أنتف" السابع ...

كان "يعقوب حار" الذى اشتهر أيضا تحت اسم "يعقوب بعل" خليفة "سالييتس" ومعاصراً لـ "رع حوتپ" . و من المرجح أن حكمه دام ثمانية عشر عاما . وتشهد الأختام على وجوده من غزة إلى كرما . وأقام علاقات حسن الجوار مع الملوك الثلاثة الذين خلفوا "رع حوتپ" . و كان أولهم "إنتف" القديم الذى اختار "واپ

ماعت " اسماً حوريا له تيمنا بانتسابه إلى " نفرحوتب " الأول . ودام حكمه ثلاث سنوات ونصفاً وأشرف على دفنه فى دراع أبو النجا - أنتف السادس وهو أخوه الأصغر وخليفته الذى حكم حكماً عادياً . وقد جاء فى بردية "أبوت " Abbott التى سجلت محضر الحملات التفتيشية على المقابر الملكية فى طيبة ، بعد ما حل بها من سلب ونهب فى ظل حكم " رمسيس " التاسع ، ان دفنته كانت لاتزال سليمة أيام الاسرة العشرين ، بيد أنه لم يتم الكشف عنها حتى الوقت الراهن ، وإن كان من المؤكد أنها نُهبت فى العصر الحديث والدليل على ذلك هو هريم المقبرة الذى بين أيدينا إلى جانب صندوق أوانى الأحشاء وتابوت صغير على هيئة آدمية كان يضم بردية " بريس " Prisse على ما يفترض . ولم يستمر حكم " أنتف " السادس سوى بضعة شهور ، ويحتفظ متحف اللوفر بتابوته . والمعلومات المتوفرة عن خليفته " سويك ام ساف " الثانى هى من أكثر ما وصلنا من معلومات عن ملوك الاسرة السابعة عشرة . كانت سنوات حكمه التى امتدت ستة عشر عاماً مزدهرة ، و أقام العمائر فى الكرنك و أبيدوس . كما أشارت إلى مقبرته برديات " أبوت " Abbott و "أمبراس" Ambras و امهرست وليوبولد " الثانى-Am herst - Léopold II بصفته أحد ملوك مصر العظام الذين جهزت مقبرتهم بفاخر الأثاث الجنائزى و نفيسه .

و خلال حكم " سويك ام ساف " الثانى و بين عامى ١٦٣٥ / ١٦٣٣ ق . م . على وجه التقريب كانت الأسرة الثالثة عشرة تعيش آخر أيامها . وأعقبها فى مدينة "أخسويس" الأسرة الرابعة عشرة التى لم تعمر لأكثر من جيلين أو ثلاثة . أما فيما يتعلق بالهكسوس فإن " خيان " قد خلف " يعقوب حار " . وسنجانب الصواب إذا قلنا أنه أسس امبراطورية بمعنى الكلمة . بيد أنه من الثابت أنه قد عثر على اسمه مدونا فى داخل البلاد وفى خارجها على حد سواء حيث وجد على سطح أحد العناصر المعمارية فى الجبلين " وبوباستس " فى مصر . أما فى الخارج فقد عثر على اسمه مدونا على سطح جرة فى قصر " كنوسس " ، بالإضافة إلى مجموعة الجعارين وعلى بصمات بعض الأختام فى فلسطين وعلى أسد من الجرانيت فى بغداد . و ينهض ذلك دليلاً على إقامة علاقات تجارية بلغت المستوى الذى كانت عليه فى الدولة الوسطى . ومن ناحية أخرى لا يوجد أى دليل على قيام علاقات التبعية بين النوبة ومصر ، بل على العكس من ذلك حيث تولى ملك يدعى " نج " السلطة فى " كوش " بمعاونة ضباط مصريين واتخذ من بوهن عاصمة له وامتد ملكه من إلفنتين حتى الجندل الثانى وربما حتى كرما . إن النصوص التى تسرد

علينا الصدام المحتامى بين طيبة و الهكسوس تشير إلى أن مملكة كوش قد تحالفت مع الهكسوس وأن حكمها استمر إلى أن استولى " كامس " على بوهن . وكانت مظاهر التصوير فى أبرز صورها واضحة فى كافة نواحي الحياة فى هذه المملكة سواء فى ألقاب الموظفين أو أنماط العمائر أو عبادات الآلهة ، شأنها شأن مملكة نياتا فى زمن لاحق . وفى نفس الوقت أخذت شعوب المجموعة "ج" المتمركزة فى النوبة بين توشكا ودكة تستقر فى المنطقة الممتدة بين دير ريفة شمالا وحتى المعلا جنوبا . ومن سمات هذه الشعوب دفناتهم الملكية الزاخرة بالمتاع الحربى ، وهى دفنات بيضاوية الشكل تعرف اصطلاحا "بالمقابر القدور" " Pan - Graves " . ويمكن اعتبارهم والـ " مچاو " شعبا واحدا ومن بين صفوفهم خرجت طليعة الفرق الضاربة للوك طيبة .

أما معاصرو " خيان " من ملوك طيبة فهم قوم خاملو الذكر . ومنهم المدعو "چحوتى" الذى لم يدم حكمه سوى عام واحد ولم يخلف وراءه سوى صندوق لأوانى الأحشاء يحمل اسمه ، وقد أعيد استخدامه فى وقت لاحق . ثم منتوحوتپ السابع ومدة حكمه لاتزيد أيضا عن العام الواحد ، وعثر له فى إدفو على قناتلين من الحجر الجيرى يمثلان أبو الهول . أما "نب ارى أو" الأول فقد ظهر اسمه على " اللوحة القانونية " التى عثر عليها فى الكرنك . وقد سجل عليها صفقة تجارية بين " وعرت " الشمال ومكتب الوزير . وفيما بعد برزت شخصيتان : " انتف " السابع فى طيبة و" أببيى " الأول فى جانب الهكسوس . وكان انتف السابع من أوائل من ثبت نشاطهم على الصعيد العسكرى والتنظيم الإدارى ، وأقام العمائر فى " كويتوس " وأبيدوس والكاب والكرنك ، كما أصدر فى العام الثالث من حكمه مرسوما حول معبد الإله "مين" فى " كويتوس " يعرب عن الطابع الأوتوقراطى لسلطة طيبة . ويظهر الآسيويون والنوبيون فى صورة الأعداء المهزومين فوق سطح كتلة وجدت وسط المبانى التى شادها فى معبد الإله " مين " وأيضا فوق قاعدة تمثال تحمل اسمه عثر عليها فى الكرنك . وبالطبع ربما كان الأمر مجرد ترديد لموضوع تقليدى اعتمدته لغة الشعارات الملكية ، ولكن من الملاحظ أنه قد وضع مع " انتف " السابع عند دفنه المتاع الجنائزى الخاص بالمقاتلين ورجال الحرب، كما وُضع داخل تابوته قوسان وستة سهام وهى حاليا من مقتنيات المتحف البريطانى . كما أن موضع مقبرته فى دراع أبو النجا شمالى مقابر أسلافه لهو إشارة واضحة إلى تدشينه لسلسلة جديدة من المقابر . وتأكيذا لذلك نستشهد بالمصير الذى

عرفته بعد وفاتها زوجته "سويك ام ساف" التى دفنت فى إدفو ، اذ اعتبرها التقليد المتواتر من أسلاف الأسرة الثامنة عشرة .

وفى عهده عاشت طيبة فى سلام مع الهكسوس الذين كان يحكمهم "إيبيى" الأول الذى امتد حكمه أربعين سنة حسبما جاء فى جدول تورين . وقد أشرنا من قبل إلى بردية "رند" الرياضية التى تم نسخها فى عصر الهكسوس عن أصل طبيى ، الأمر الذى يمكن أن ينهض دليلا على وجود علاقات سلمية بين الجانبين ، بل وربما وصل الأمر إلى حد الولاء من جانب طيبة لمملكة الشمال . ولا ينهض هذا الفرض على أساس ما نلاحظه من تواجد " إيبيى " الأول حتى الجبلين فحسب ، إنما أيضا على أساس علاقات النسب التى ربطت بينه وبين العائلة المالكة فى طيبة على ما يبدو . ومن هنا لا نغفل إلى استبعاد هذا الفرض . وبالفعل فقد عثر على إناء يحمل اسم ابنته "حريت" فى مقبرة "أمنوحتب" الأول . وربما تناقلت الأجيال هذا الاناء على أثر زواجها الذى جعل منها إحدى أسلاف الأسرة الثامنة عشرة... ومهما يكن من أمر فما أبعدنا عن البغضاء كما جاء وصفها فى النصوص اللاحقة . كما لقّب " إيبيى " الأول بـ " ملك الوجهين القبلى والبحرى " على لوحة أحد الكتبه وعلى سطوح العديد من الجعارين .

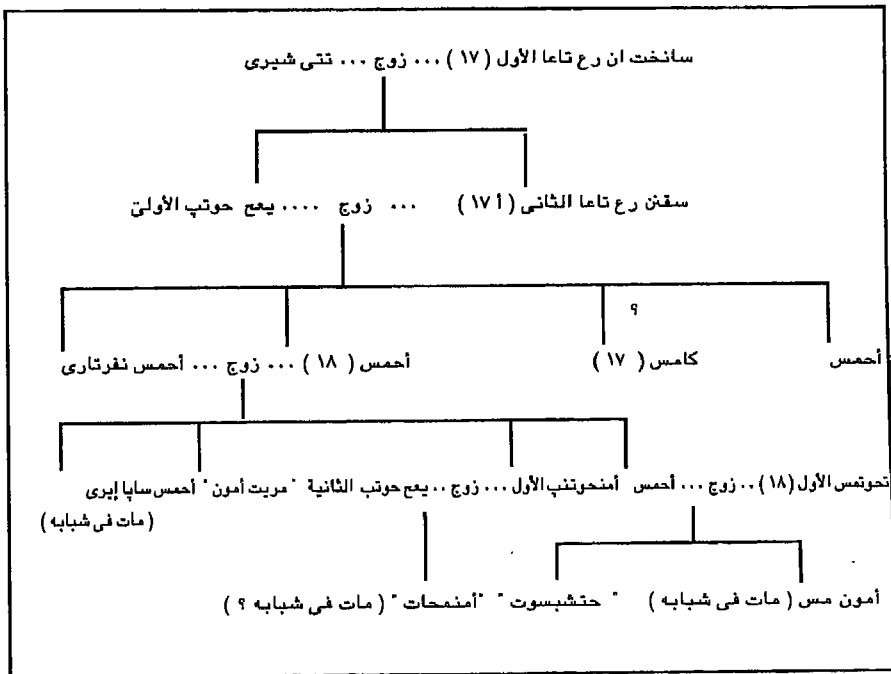
وقرب نهاية عهد " إيبيى" الأول بدأ الصراع المكشوف مع طيبة حيث تولى الحكم "تاعا" الأول الملقب " بالكبير " خلفا لإنتف السابع . وقد امتد العمر بزوجه " تتى شيرى " إلى أوائل الأسرة الثامنة عشرة . كما كرمت بعد وفاتها بصفتها جدة " احمس " محرر مصر العظيم . وجاء "سقن رع تاعا" الثانى وشهرته " الجسور " ليخلف " تاعا الأول " وتزوج من الملكة "يعح حوتپ" الأولى والدة " احمس " .

لقد حفظ لنا الزمن مومياء "سقن رع تاعا" الثانى من أعمال النسلب والنهب التى جرت فى ظل حكم "رمسيس" التاسع ، وأخفيت مع غيرها من رفات ملوك مصر بعيدا عن التهديدات كانت تتعرض لها فى الخبيثة التى اكتشفها جاستون ماسبيرو عام ١٨٨١ . إن آثار ما تحمله من ميتة عنيفة تؤكد ما حدث من مجابهة بين الشمال والجنوب . كما وصلتنا شهادتان تختلفان من حيث القيمة . الشهادة الأولى سرد قصصى يحمل عنوان "الصراع بين إيبيى وسقن رع " ، ولم يبق من هذه القصة سوى البداية التى وصلتنا بفضل النسخة التى سطرها الكاتب "بنتاؤور" الذى عاش فى عهد "مرنبتاح" . أما المصدر الآخر فهو رواية رسمية مؤرخة بالعام الثالث من حكم " كامس " وقد دونت بطريقتين

مختلفتين : أولاهما فى أجزاء من لوحين من الحجر يكملان بعضهما البعض كان الملك قد أقامهما داخل الكرنك . وثانيهما فى نسخة مسطورة على لوح صغير هو من المقتنيات التى جمعها لورد " كارنرفون " Lord Carnarvon . وترجم النص الأول هذه المجابهة على شكل مناظرة بين الملكين تعتمد على الأحاجى . على النحو التالى :

" فى هذه الأيام حل البؤس بالأراضى المصرية وعاشت دون سيد - له الحياة والصحة والقوة - كملك هذا الزمان - وفى هذه الأيام كان الملك سقن رع - له الحياة والصحة والقوة - حاكما - له الحياة والصحة والقوة - على المدينة الجنوبية (طيبة) . فى حين ساد البؤس مدينة الآسيويين ، بينما كان الأمير " أيبى " - له الحياة والصحة والقوة - فى أوارس . ومع ذلك كانت البلاد قاطبة تقدم له التقدّمات بفضل ماغنمته من خيرات . وبالفعل فقد غمره الجنوب بالعطايا وأغدق عليه الشمال أيضا بمحاصيل الدلتا الطيبة .

" وفى ذلك الوقت اتخذ الملك " أيبى " - له الحياة والصحة والقوة - من "سوتخ" (ست) إلها . ولم يقدم الولاء لأى من آلهة البلاد إلا للإله " سوتخ " . وشيد له معبدا أبديا ، أحسن بناؤه . وكان على مقربة من دار الملك " أيبى " - له الحياة والصحة والقوة . وكان يذهب يوميا مع بزوغ كل فجر جديد لتقديم الأضاحى (...) إلى سوتخ.



شكل (٨٥) - العائلة المالكة وأصول الأسرة الثامنة عشرة .
مختصر الأنساب من الجيل الأول إلى الجيل الرابع .

وكان عظماء القصر - له الحياة والصحة والقوة - يقفون أمامه وهاماتهم مكللة بالغار على نحو ما يحدث فى معبد رع حور أختى " . (Lefebvre : 1976, 133 - 134) .

وربما فرضت الأحداث على " سقن رع " أن يخوض المعارك حتى مشارف القوصية . وعند وفاته اعتلى ابنه " كامس " العرش ، واتخذ لنفسه القباها تفصح عن برنامج . ما يقال عنه أنه برنامج حربى ، اذا اعتمدنا على أسمائه الحورية الثلاثة فحسب ، وأولها " خعى حرنسيت إف " ويعنى " الذى توج على عرشه " . وثانيها " حور نفرخاب تاوى " ويعنى " حورس الكامل الذى انحنت له الأرضان . وثالثها " سقفا تاوى " ويعنى الذى " يطعم الأرضين " . كما يمكن أن نشير إلى اسمه ال " نبتى " وهو " وحم منو " ويعنى " مجدد التحصينات " وهكذا تسرد نصوص اللوحين ولوح كارنارفون الصغير استئناف الأعمال الحربية ضد الهكسوس . اذ تقول :

"عندئذ تساءل الملك موجهها كلامه إلى كبار رجال البلاط من أفراد حاشيته قائلاً: "كيف لى أن أتحقق من سلطتى ؟ وهناك ملك يحكم فى "أواريس" وآخر فى كوش وأظن أنا عاجزاً عن التصرف إذ يشاركنى الحكم آسيوى وزنجى ! " (Kamose , 83) .

وتجاهل الملك نصيحة رجال البلاط الذين فضلوا البقاء ساكنين فى المنطقة الممتدة من القوصية إلى إلفنتين وعدم المخاطرة بضياح القطعان والخيرات التى يمتلكونها فى شمال البلاد ، وهو ما يؤكد وجود علاقات سلمية بين المملكتين . وزحف الملك على رأس قواته المؤلفة من ال "مچاو " حتى بلغ " نفروسى " على مقربة من بنى حسن حيث ألحق الهزيمة بجيش المدعو " تيتى " بن " بيپى " :

" لقد جعل من " نفروسى " وكرا للأسبوين . وامضيت الليل فى سفينتى . وكنت منشرح الصدر . ومع ضياء الصباح انقضضت عليه كالصقر . وعند الظهر دحرته بعد أن قوضت أسوار المدينة وأعملت فى قواته تفتيلاً " . (Kamose , 89 - 90)

ولسوء الحظ ينتهى نص اللوح الأول عند هذا الحد . أما نص اللوح الصغير فينتهى بعد ذلك بقليل . وعندما يواصل اللوح الثانى سرده للأحداث نجد أن كامس ينهال سبا وتحقيراً على عدوه حسبما تمليه تقاليد " المسرد الملكى " . ثم جرد حملة بحرية ضد ممتلكات الهكسوس الواقعة فى مصر الوسطى ، وربما واصل سيره حتى بلغ مشارف الإقليم الرابع عشر من أقاليم الوجه البحرى أى حتى منطقة " أواريس " . وكفل لنفسه

الرقابة على البضائع التى تنقل عبر النهر . واستولى على الجبلين وهرموبوليس على أقل تقدير . والتقط رسالة موجهه من " أبيبى" الى ملك كوش :

" التقطت رسالة جنوبى الواحات أثناء صعود حاملها إلى بلاد كوش . واكتشفت أنه فى خطاب سطره ملك " أواريس" بخط يده ويقول : " عا أوسر رع" - "أبيبى" - ابن رع " يحيى ابنه ملك كوش . لم أعلنك نفسك ملكا دون أن تحيطنى علما ؟ وهل بلغك مافعلته مصر معى ؟ فالعاهل القائم عليها - كامس - فليوهب حياة وعمرا ! يشن الهجمات على ممتلكاتى رغم أننى لم أناصبه العداء . لقد عاملنى كما عاملك تماما ! لقد وقع اختياره على بلدين لينشر فيهما الخراب ... بلدى وبلدك . وعاث فيهما فساداً . هيا ! احضر ! لا تخف ! إنه هنا فى الوقت الراهن حيث يلاحقنى . فلا أحد يترقبك فى مصر . ولن أتركه يرحل قبل وصولك " . (Kamosé , 94) .

عندئذ توقفت العمليات الحربية بمعنى الكلمة . و عاد " كامس " الى طيبة لينقش قصة مآثره و بطولاته . ولم يتطرق الحديث إلى تحقيق النصر . ولذلك يمكن الافتراض على أكثر تقدير انه أمن لنفسه طريق القوافل قاطعا و سائل الاتصال بين الشمال و بلاد كوش . فهل تسمح تلميحات " أبيبى " بتأكيد انه عاد ليوحتل النوبة من جديد ؟ ولا ريب أنه استهل حركة بدأت معه و جاء ختامها على يدى " أحمس " . و يبرهن على ذلك المخريش الذى عثر عليه فى توشكا و يشرك الملكين معا ، ومن المحتمل أن الجعران الذى يحمل اسم " كامس " والذى عثر عليه فى مدينة فارس قد نقل إليها فى وقت لاحق على انتهاء حكمه .

وأسس ملك طيبة فى بقعة بين طيبه ودندرة أملاكا تحمل اسم " سچفا تاوى " الذى اشتق من اسمه الحورى . كما شيد فى الكرنك ناوساً إلى جانب عدد من اللوحات الحجرية ، وظلت مقبرته فى دراع أبو النجا سالمة لم ينل منها السارقون عندما وقعت الجبانة فريسة السلب والنهب فى عهد " رمسيس " التاسع . ولكن تم نقل تابوته من باب الاحتياط إلى خبيثة الدير البحرى فكان أول من اعتدى عليه سلايو ونهبواالعصور الحديثة . و بالفعل فقد تم العثور عام ١٨٥٧ على تابوت على هيئة آدمية و هو تابوت غير ملكى ، ولكنه تابوت كامس على الأرجح . و كل ما كان يحتويه هو مومياء تحولت إلى كومة تراب و بعض المقتنيات النفيسة .

إعادةفتح مصر

عند وفاة " كامس " بدا أن كل طرف يحتفظ بمواقفه . ويشير لوح " كامس "

بوضوح إلى " أبيبى الأول عا أوسر رع " بصفته عدو " كامس " . وفى أعقاب هذه المعارك خلفه على ما يعتقد " ابيبى قن رع " الذى لا يظهر اسمه جنوبى " بوباستس " ، إلا إذا استثنينا خنجرا تم شراؤه من سوق تجارة الآثار بالأقصر ، و لايعنى ذلك بالضرورة العثور عليه فى هذه المنطقة . و من المرجح أن سلطاته قد تقلصت إلى حد كبير وقد أنجز بعض الأعمال فى معبد " بوباستس " واكتفى باغتصاب تماثيل أسلافه : نذكر منها على سبيل المثال تمثالين من الجرانيت " لأمنمحات " الثانى نقلا فيما بعد إلى تانيس (Louver A23 - Caire JE 37478 bis) وتمثالين كبيرين للملك " سمنخ كارع " من ملوك الأسرة الثالثة عشرة . إن مسائل الترتيب الزمنى هذه غير واضحة . و لا نعرف عن " كامس " تاريخاً متأخراً أبعد من العام الثالث من حكمه الذى ورد على سطح لوح حجرى . و من الأمور المحيرة أيضا أنه تلقب بثلاثة أسماء حورية فى حين لا يوجد مايقطع بأنه احتفل بعيد اليوبيل . وأخيرا فهل يعتبر تابوته المتواضع دليلا على وفاته المفاجئة أم غير المرتقبة .

لكل هذه الأسباب نتوقف فى حيرة عند تحديد تواريخ حكم "أحمس " الذى يبدأ عام ١٥٧٠ ق . م ، أو وفقا للحساب الفلكى ، عام ١٥٦٠ أو ١٥٥١ ق . م ، لينتهى عام ١٥٤٦ أو ١٥٣٧ / ١٥٢٧ ق . م . وكانت موميأوه جزءاً من المجموعة التى عمل "رمسيس " التاسع على تأمين حفظها . ونستخلص من الوضع الراهن للمومياة أن صاحبها كان فى الخامسة والثلاثين من عمره عندما قضى نحبه . بينما حدد " مانتون " حكمه بخمس وعشرين سنة . ومن المعتقد أنه استأنف القتال ضد الهكسوس فى العام الحادى عشر من حكمه . وامتد القتال فى الدلتا لسنوات عديدة استولى خلالها على منف ثم "أواريس " . ولم يتم القضاء نهائيا على هيمنة الهكسوس إلا فى وقت لاحق عندما تمكنت القوات المصرية من احتلال مدينة شاروحيين الحصينة الواقعة جنوب غرب فلسطين إذ كانت بمثابة المؤخرة التى تنطلق منها عمليات " الآسيويين " العسكرية . ووقعت آخر مراحل إعادة فتح مصر قبل العام السادس عشر من حكم " أحمس " . ويقدم لنا القائد العسكرى " أحمس بن السيدة أبانا " من أهالى الكاب رواية عن هذه الحملات العسكرية تعتبر من أفضل ما وصل إلينا من حيث وفرة تفاصيلها . وقد وردت فى ثنايا سيرته الذاتية التى سجلها فى مقبرته :

" فيما بعد لما أسست بيتا جندت على متن " سفينة الشمال " تقديرا لما أبديته من بسالة وإقدام . ورافقت عاهل البلاد - له الحياة و الصحة و القوة - و تابعت مترجلا حيثما تقله عجلته الحربية . وضرينا الحصار حول مدينة " أواريس " وأظهرت بسالة

وإقداماً كجندى مشاة فى حضرة صاحب الجلالة . عندئذ ألحقت بالسفينة " الأمجاد فى منف " . وجرت معركة بحرية عند بلدة " بچكو " على مقربة (؟) من " أواريس " واستوليت على المدينة وأحضرت يدا وأحيط حاجب الملك علما ونلت ذهب الشجاعة . وتجددت الاشتباكات فى هذه المنطقة واستوليت على مدينة أخرى و أحضرت يدا . ونلت من جديد ذهب الشجاعة . واحتدمت المعارك فى مصر ذاتها جنوب هذه المدينة . وعدت و معى أسير . واضطرنى الأمر أن اخوض فى الماء لأدفعه أمامى بعيدا عن المدينة حيث اعتقلته . وعبرت النهر سباحة و أنا احمله . وأخطر حاجب الملك بما حدث . ومرة ثانية كافأنى الملك بالذهب . وتُركت أواريس لقمة سائغة لأعمال السلب والنهب . وغنمت منها رجلا و ثلاث نسوة أى أربعة اشخاص . ومنحنى إياهم صاحب الجلالة كعبيد . وضربنا حصارا حول مدينة شارو حين استمر ثلاث سنوات . ثم أمر صاحب الجلالة بسلبها و نهبها . وغنمت منها امرأتين ويذا ونلت أيضا ذهب الشجاعة . أما الأسرى فقد صاورا عبيدا فى خدمتى " (2 - 5 , 2 , 3 , IV . Urk) إن الترتيب الزمنى لآخر ملكين من ملوك الهكسوس يشوبه شئ من الاضطراب . ويتفق تيهما فى الفترة الممتدة من العام العاشر الى العام الخامس عشر من حكم " أحمس " . وأحدهما هو " عا زح رع " آخر ملوك الأسرة الخامسة عشرة . وقد وجد اسمه مسجلاً على مسلة فى " تانيس " وربما كان مطابقا للملك " اسيت " طبقا لرواية " مانتون " او " خامودى " حسب جدول تورين . أما الآخر فهو " أبيبى " الثالث آخر ملوك الفرع التابع للأسرة السادسة عشرة . ويظهر اسمه على بعض العماثر وعلى خنجر عثر عليه فى سقارة . كما أن المصادر المتاحة لاتوفر لنا أدنى المعلومات عن آخر أيام الهكسوس . وكان من الواضح عندما خرج " أحمس " فى العام الثانى والعشرين من حكمه على رأس الحملة التى قادتة إلى شواطئ نهر الفرات ليصبح أول ملك مصرى يصل إلى هناك ، أنه لم تصادفه أدنى مقاومة خلال زحفه أو على أقل تقدير أثناء سيره فى منطقة " چاهى " الواقعة فى بلاد الشام .

وبعد طرد الهكسوس تولى أحمس إعادة فتح النوبة حيث نتابع مرة ثانية مآثر " أحمس بن أبانا " :

" بعد أن أجهز جلالته على آل " منتيو " فى آسيا . صعد جنوبا إلى " خنت نفر " (فى النوبة) لإبادة حاملى السهام النوبيين . وحدثت مذبحة كبرى . وغنمت رجلين وثلاث أيدي . وكوفئت مجددا بأن وهبت ذهبا كما وضعت امرأتان فى خدمتى

كأمتين . عندئذ هبط جلالته شمالا راضيا بما أحرزه من انتصارات . فقد أخضع شعوب الجنوب و الشمال " . (Urk . 5 , 4 - 14) .

ولكن هذه الحملة لم تكن حاسمة . فقد ثار شخص يدعى " عاتا " وربما كان خليفة " نج " :

" فقدم " عاتا " من الجنوب . وكان مقدرا له أن يهزم فأمسك آلهة الصعيد بخسناقه . والتقى به جلالته عند بلدة " تنتعا " . وأسره جلالته . ووقعت جميع قواته بين يدي جلالته غنيمة حرب . ووهبت محاربين في مقتبل العمر مكافأة على استيلائى على سفينة " عاتا " الحربية . فمنحت خمسة أشخاص وخمس " أرورات " من الارض في مدينتى . وعمول طاقم السفينة نفس المعاملة . عندئذ ظهر هذا الخسيس الذليل المدعو " تيتى عن " لقد تجمع من حوله المتمردون . وقضى عليه جلالته و أباد قواته . أما أنا فقد وهبت ثلاثة اشخاص و خمس " أرورات " من الأرض في مدينتى " (Urk : IV , 5 , 16 - 6 , 15) .

و لا غرو أن " تيتى عن " كان مصريا يعارض النظام الطبيى الجديد . وعلى أى حال فقد وطد أحمس نفوذه فى النوبة على ما يفترض عندما شيد أول معابد الدولة الحديثة فى " صاى " جنوب بوهن أو بالتأكيد عندما أقام مركز الإدارة المصرية فى بوهن . وعين "تورى " قائدا عليها . وهو موظف سوف يصبح اول نائب للملك فى عهد " امنحوتپ الاول " . مع أن والده " زاتايث " قد مارس مهام هذا المنصب على ما يبدو و إن لم يحمل بالتحديد لقب وظيفته .

توفى أحمس تاركا العرش لابنه " أمنحوتپ " الأول الذى رزق به من زوجته "أحمس نفرتارى " ، و خلال سنوات حكمه الذى دام خمسة و عشرين عاما أكمل تحرير مصر وعاد بعلاقات مصر الخارجية إلى سابق عهدها عند نهاية الدولة الوسطى . ومع استرجاع الأساس الذى كانت مصر قد فقدته والذى أضيفت إليه الإسهامات الآسيوية القيمة انطلق خلفاؤه ليقودوا مصر فى زحفها للسيطرة على الشرق الأدنى لفترة من الزمن دامت خمسمائه سنة .

الباب الثالث الإمبراطورية

الفصل التاسع

التحامة

أحمس

أعيد تنظيم البلاد بعد فتحها . ويقدر ما يمكننا الاهتداء إلى رأى سليم ظلت الهياكل الإدارية تعمل فى حدود الأطر التى كانت قد وضعتها الدولة الوسطى وأبقى عليها حكام الأقاليم وحافظوا عليها . وقد سعى "أحمس" كمرحلة أولى إلى أن يضمن ولاء الحكام . ولم يولِّ العائلات القديمة التى كانت قد أبعدت خلال الأسرة الثانية عشرة وما كان فى استطاعته الاعتماد إلا على عدد قليل من النقاط القوية تنحصر فى المقاطعة التى انحدر منها وطيبة و الكاب . وفى الحقيقة أننا لانعلم شيئا عن إعادة التنظيم الإدارى . ولكن يمكن استخلاصها من الأوضاع التى آل إليها الجهاز الإدارى فى الأسرة الثامنة عشرة . ولاريب أنه اختار الأعيان المحليين الذين ساندوا القضية التى دافعت عنها طيبة وكلفهم بشغل المناصب الهامة ، و لكن هل أقدم "أحمس" على توزيع الأراضى ؟ و إن حدث ذلك ، فمن غير المحتمل أن يتجاوز حدود المكافأة لإحد المحاربين القدماء ، على غرار ما حدث مع "أحمس بن ابانا" . ومن المرجح ان الجهاز الإدارى الجديد قد عاد وأخذ على عاتقه مسئولية تنظيم الرى ومن ثم الإشراف على النظام الضرائبى . ولكن لا يستبعد إن تكون مهمته قد انحصرت فى مجرد استرجاع ماتركه الهكسوس ، إذ كانت أحوال البلاد مزدهرة . وقيام زعماء طيبة باستئجار المراعى فى الدلتا من "الآسيوبين" لخير شاهد على فاعلية النظم التى كان معمولاً بها .

استمر الانفتاح على الشرق الأدنى على الصعيدين الاقتصادى والفنى . وهو الانفتاح الذى استهله المصريون من قبل فى ظل الأسرة الثانية عشرة بشكل واضح وواصلوه فيما بعد . لقد وضع الانفتاح أسس استيراد المواد الأولية وما ترتب عليه من إبداع فنى . ومن الأمثلة الجيدة لهذا الاتجاه مانستشفه من خلال النص المنقوش على سطح اللوح الحجرى (CGC 34001) الذى خصصه "أحمس" فى معبد آمون رع بالكرنك لتخليد ذكرى أعماله وأعمال والدته الملكة "يعع حوتپ" . فقد صنعت المنتجات النفيسة التى يقدمانها "لآمون رع" من المواد الأولية التى أخذت تتدفق على مصر . فجاءت الفضة والذهب من آسيا والنوبة واللازورد من آسيا الوسطى و الفيروز من سيناء ... وقد خلف المصريون وراءهم آثارا لمختلف أنشطتهم فى سربيط الخادم على

شكل قطع نذور تحمل اسم " أحمس نفرتارى " وضعت فى معبد حتحور . كما أن بعض حلى "يعح حوتپ " باسم " أحمس " مطعمة بالفيروز . وهناك غيرها من الحلى ذات المواضيع المتأثرة بحضارة كريت القديمة قد صيغت من الفضة و اللازورد . ولا ينهض ذلك دليلا على قيام علاقات تجارية مع جزيرة كريت و لكنه يشير على ما يفترض إلى تأثيرات وافدة عن طريق بيبيلوس بفضل العلاقات التجارية التى أقامتها مصر معها . ودليلنا على ذلك ماورد على سطح لوح الكرنك من بناء سفينة من خشب الأرز مكرسة "آمون رع" . وأخيرا يدرج هذا اللوح عالم بحر إيجيه فى عداد البلدان التى أخضعتها مصر بالإضافة إلى النوبة و فينقيا . وربما لم يتعد الامر ضربا من ضروب البلاغة الكلامية .

وفى عهد " أحمس " استأنف المصريون تشييد العمائر الدينية والجنازية ، واعتمدت أساليب تقنية رفيعة المستوى . إن مجرد تأمل المتاع الجنازى للملكة " يعح حوتپ " لخير دليل على مانقوله . كما أن رقة ورشاقة الحفر على سطوح الألواح الملكية التى خلفها "أحمس " فى أبيدوس والكرنك لاتقل فى شىء عن أمهات أعمال الدولة الوسطى ، وتضارع أفضلها . ومن ناحية أخرى لم يثبت و جود أى تقاليد فنية فى الدلتا خلال هذا العصر ، إذ يبدو أن فن الهكسوس قد نضب قبل رحيل الآسيويين .

لم يخلف لنا الزمن سوى القليل مما تبقى مماشاده " أحمس " من معابد . وربما كان السبب وراء ذلك أنها أقيمت فى معظمها بالطوب اللبن . ونحن نعلم أنه شيد المبانى فى بوهن حيث عثر على عناصر باب يحمل اسمه فى معبد " آمون رع " بالكرنك ، وفى معبد " مونتو " بأرمنت . كما أقام فى أبيدوس ضريحين تذكاريين من الطوب فى القسم الجنوبى من الجبانة ، أحدهما لنفسه و الآخر للملكة " تتى شيرى " . وأعاد فتح محاجر طرة فى العام الثانى والعشرين من حكمه ربما بغرض تشييد معبد للإله پتاح فى منف وأخر فى الأقصر ليصبح ، على ما يظن ، معبد " الحريم الجنوبى " للإله " آمون " . ولم ينجح فى اتمام هذه المشاريع وهو على قيد الحياة . ومع ذلك فقد حظى بفضله الإله "آمون" فى طيبة بمكانة متميزة على حساب عبادات مصر الوسطى ومصر السفلى . ولربما كان ذلك هو السبب الذى أظهر " حتشبسوت" فيما بعد كصاحبة الفضل فى إصلاح وترميم معابد مصر الوسطى التى دمرها و خربها الهكسوس .

دفن " أحمس " فى دراع أبو النجا ، وقدمت له بعد وفاته الشعائر الجنازية فى ضريحه التذكارى بأبيدوس ، و شاركته فى هذه الشعائر جدته و جارتة " تتى شيرى "

التي تعتبر بالفعل إحدى الشخصيات النسائية الثلاث اللاتي سيطرن على بدايات الدولة الحديثة . فرغم أصولها غير الملكية إلا أنها تعتبر الجدة الكبرى للسلالة الحاكمة ، فاستحقت بهذه الصفة أن تقدم لها الشعائر خلال الأسرة الثامنة عشرة . وعمرت طويلا حتى عاصرت حفيدها . فشاركتة لوحا حجريا هو من مقتنيات الكلية الجامعية بلندن (University College) . ويظهر " أحمس " نفسه وهو يقدم لها الشعائر على سطح اللوح الذي كرسه لها في هيكلها الجنائزي في أبيدوس حيث ضريحها التذكاري وأملأها الجنائزية ، على غرار ما خُصص لها في منف .

وكانت "يعح حوتپ" الاولى ثانی الشخصيات النسائية اللاتي قدمت لهن الشعائر . وقد توفيت بين العام السادس عشر والعام الثاني والعشرين من حكم ابنها . وفي اللوح الذي أقامه " أحمس " بالكرنك يقول عنها مايلي :

" هي التي أقامت الطقوس ووضعت مصر تحت رعايتها . كانت تسهر على قواتها وتحميها . لقد أعادت الهاربين وجمعت شمل الفارين . لقد نشرت السلام في ربوع الوجه القبلي وطردت المتمردين " (Urk. IV , 21,9- 16) .

إن التلميحات إلى الدور الذي اضطلعت به الملكة الأم بالقرب من ابنها الحدث في السنوات الأولى لأمر واضح جلي . إنها وصاية فعلية على العرش ، وإن لم يذكر ذلك صراحة . وقد تركت هذه الوصاية اثرا على باب بوهن الذي سبق أن اشرنا إليه ، فدون اسم الأم جنبا إلى جنب مع اسم ابنها .

واخيرا فإن " أحمس نفرتاري " زوجة " أحمس " هي آخر الملكات اللاتي قدمت لهن الشعائر في طيبة ، واستمر ذلك حتى عهد "حريحور" في نهاية الألف الثانية قبل الميلاد . كانت على قيد الحياة عندما توفى زوجها ، وعثرنا على آثار لوجودها حتى العام الاول من حكم " تحوتس " الأول ، وتعتبر شخصيتها المفتاح لفهم بدايات الدولة الحديثة . وفي العام الثامن عشر أو العام الثاني والعشرين من حكم " أحمس " تخلت عن وظيفه الكاهنة الكبرى الثانية لآمون وحصلت في المقابل على مخصصات بغرض الإنفاق على مَجْمَع " أملاك الزوجة الإلهية " . فكانت أول من شغلت هذا المنصب . وعلى سطح اللوح الذي سجل عليه هذا العقد نراها في صحبة ولي العهد " أحمس ساپا ايرى " الذي وافته المنية قبل أن يتولى العرش . وبعد وفاة زوجها اضطلعت بوصاية العرش نظرا لصغر سن ابنها " أمنحوتپ " الأول الأمر الذي حال دون تولية مقاليد الحكم . وشاركت في غضون

ذلك فى كبريات الأحداث التى مرت بها المملكة . ويظهر اسمها فى ربوع البلاد من جزيرة صاى وحتى طرة . وأضحت بعد وفاتها محل عبادة حظيت بشعبية فائقة . وسواء شاركت ابنها هذه العبادة أم لم تشاركه ، فقد ذكرت فى الفرائض الشعائرية التى قدمت له . كما ظهرت فى العديد من مقابر الأفراد والعديد من المباني سواء فى البر الشرقى أو البر الغربى من طيبة على امتداد الفترة التى تبدأ بالملك " تحوتمس " الثالث وتنتهى بعصر الرعامسة عند منعطف الألف الأولى قبل الميلاد . وقد ناهز عدد مقابر الأفراد هذه ، الخمسين وتعدت هذه المباني الثمانين ، ومع ذلك فقد ظلت دير المدينة مركز عبادتها الرئيسى .

صدر الأسرة الثامنة عشرة

إن التذبذب الذى أشرنا إليه فى تحديد التواريخ الخاصة " بأحمس " يؤدى الى فارق زمنى فى تحديد بداية عهد " أمنحوتب " الأول يناهز ربع قرن من الزمن . وفيما مضى أجمع الباحثون على اعتبار عام ١٥٥٧ بداية عهده . (Drioton & Vandier 1962)

الأسرة الثامنة عشرة	الهكسوس	
أحمس	عازاح رع أبيى الثالث	١٥٥٢ (١٥٦٠) ١٥٤٢
أمنحوتب الأول		١٥٢٦ (١٥٣٧)
تحوتمس الأول		١٥٠٦ (١٥٢٦)
تحوتمس الثانى		١٤٩٣ (١٥١٢)
تحوتمس الثالث		١٤٧٩ (١٥٠٤)
حتشيبسوت		١٤٧٨ (١٥٠٣)
تحوتمس الثالث		١٤٥٨ (١٤٨٢)
أمنحوتب الثانى		١٤٢٥ (١٤٥٠)
تحوتمس الرابع		١٤٠١ (١٤٢٥)
أمنحوتب الثالث		١٣٩٠ (١٤١٧)
{ أمنحوتب الرابع		١٣٥٢ (١٣٧٨)
أخناتون		١٣٤٨ (١٣٧٤)
سمنخ كارع (؟)		١٣٣٨ (١٣٥٤)
توت عنخ آتون		١٣٣٦
توت عنخ آمون		
أى		١٣٢٧
حور محب		١٣٢٣
		(- ١٣١٤)

شكل (٨٦) جدول الترتيب الزمنى للأسرة الثامنة عشرة .

ولكن من المتفق عليه أنه قد تم رصد الشروق الاحتراقى لنجم الشعرى اليمانية فى عهد " أمنحوتب " الأول ، الأمر الذى يتيح لنا تأريخا مطلقا انطلاقا من تحديد مطلع دورة جديدة من دورات الشعرى اليمانية . وقد سجلت بردية " إيبيرز " Ebers هذه الظاهرة وفصلتها على النحو التالى :

" العام التاسع من حكم ملك مصر العليا ومصر السفلى - چسركارع " - فليحيا الى الأبد ! عيد غرة العام الجديد : الشهر الثالث من شهور الصيف ، اليوم التاسع : شروق سويدة " . (Urk. IV 44, 5 - 6) .

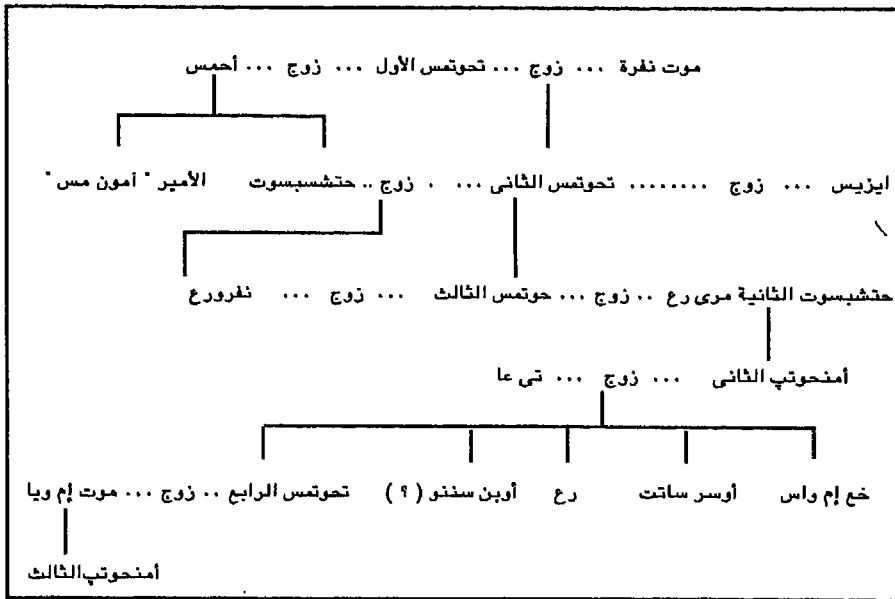
وإذا كان المقصود بذلك هو الشروق الاحتراقى لنجم الشعرى اليمانية (Helck, GM 67 (1983), 47-49) فإنه يعطينا الحساب الفلكى عام ١٥٣٧ ، وهو ما يعادل ١٥٤٦ كبدية لحكم أمنحوتب الاول، $CAH I^3, 1, ch. VI et II^3$ (308) شريطة أن يكون الرصد الفلكى قد تم فى مدينة " منف " . ولكن مع افتراض أنه تم فى مدينة طيبة التى كانت عاصمة البلاد على ما يظن ومن ثم فهى المكان المعنى ، فينبغى تعديل جميع التواريخ بمقدار عشرين سنة لتقع الظاهرة الفلكية عام ١٥١٧ وتتويج "أمنحوتب " الاول عام ١٥٢٦ (LÄ I 969)

ومن ثم اعتلى " أمنحوتب " عرش البلاد فى صيف او خريف ١٥٢٦ على ما يظن . ورسم لنفسه برنامجاً ركز فيه كل اهتمامه على البلاد الأجنبية . فاسمه الحورى "كا او عف تاو" يعنى " الثور الذى أخضع البلاد " . واختار لنفسه الاسم النبى " أعا نيرو " و يعنى " الذى يثير ذعرا شديدا " و فيما بعد سيستعيد رمسيس الثانى إلى ذاكرته هذين الاسمين فيجمع بينهما ليصبحا اسمه الحورى (Grimal : 1986 , 694) . ومع ذلك فقد عم السلام سنوات حكمه الإحدى والعشرين سواء فى الداخل أو فى الخارج . وظلت النوبة هادئة . و يسرد علينا " أحمس بن ابانا " أخبار الحملة التى شنّها على الـ "يونتيو" . وربما لم يتعد الأمر مجرد إغارة خاطفة . وإلى هذا العصر ينتمى "أحمس بن نخبت" الذى أصبح فى آخر أيامه معلم ومربى ابنة " حتشبسوت " . وكان رجل حرب معاصراً " لأحمس بن ابانا " . وخلف هو أيضا وراءه سيرته الذاتية على جدران مقبرته فى مدينة الكاب . و يشير إلى قيام حملة ضد كوش . وربما كانت نفس الحملة ؟ لقد قام " أمنحوتب " بتعيين " تورى " نائبا للملك فى " كوش " وشيد فى حيزة صاى معبدا ليصبح علامة الحدود الجنوبية لنفوذ مصر وسلطانها . كما سلمت آسيا

الأول البيضاء ، والعديد من الأحجار المتفرقة المأخوذة من منشآت " أمنحوتب " الأول أيضا واستخدمها فى وقت لاحق " تحوتمس " الثالث فى تشييد بعض القاعات . ولم يكن "أمنحوتب " الأول أوفر حظاً فى الدير البحرى حيث قامت " حتشپسوت " بإزالة مقصورة قدس الأقداس التى أقامها من الطوب اللبن للإلهة حتحور . وقد حفظ لنا الزمن آثارا قليلة لما شاده فى صعيد مصر من منشآت فى إلفنتين و كوم أمبو و بمعبد نخب بالكاب وفى أبيدوس . وفى المقابل يبدو أنه لم يبق أى نشاط فى الوجه البحرى وظل ينتهج السياسة التى رسمها والده .

كما توصل أحد رعاياه و يدعى آمنحسوت إلى اختراع الساعة المائية، (112 - 111 , 1975 : Helck) التى ترجع أقدم نماذجها المعروفة إلى عهد " أمنحوتب " الثالث (Caire JE 37525) . أما بردية " إبيرز " التى عشر عليها فى الأقصر وتعتبر المصدر الرئيسى لمعارفنا حول الطب المصرى القديم فقد تم تحريرها فى عهده . وهى محفوظة الآن فى ليبزج . وقد اكتمل أيضا فى عصره ، على الأرجح ، النص النهائى لكتاب "إمى دوات " وهو الكتاب الرئيسى من بين الكتب الجنائزية الملكية . وأقدم ماوصلنا منه وجد مسجلا على جدران مقبرة " تحوتمس " الأول . ويميل رأى السائد اليوم إلى اعتبار أن النسخة الأصلية ترجع إلى الدولة الوسطى ، لا بل إلى الدولة القديمة .

وتعبير كتاب " إمى دوات " تسمية نوعية تشمل مجمل الكتب الجنائزية الملكية . وكانت الغاية منه أن يحل إلى حد ما محل كبرى المؤلفات السابقة ، و أن يقوم قبل كل شئ بوصف " ما هو فى العالم الآخر " كما يتضح من عنوانه ، إلى جانب امداد المتوفى بالمفاتيح الشعائرية التى تعينه على الولوج إلى هذا العالم . إنه تصنيف وصفى ينقسم إلى اثنتى عشرة ساعة يتمركز فى وسطه المسار الليلى للشمس ، و عرف رواجاً كبيراً حتى عصر العمارنة . وبعد احتجاج قصير شاع من جديد بدءاً من عهد " سبتى " الأول وحتى نهاية الأسرة العشرين . و فيما بعد وحتى فتح " الإسكندر " أقبل عليه الأفراد و اتخذوه كتاباً لهم . ونجهل أين أقام " أمنحوتب " الأول مقبرته . فهل دفن فى دراع أبو النجا ؟ ربما كان آخر ملك يقع اختياره على هذه المنطقة ليدفن فيها نظراً إلى أن خلفه " تحوتمس " الأول كان أول من دفن بجبانة وادى الملوك . و قد تصدرت مقبرة " امنحوتب " الأول التقرير الذى أعدته لجنة التحقيق فى العام السادس عشر من حكم " رمسيس " التاسع و الذى نسخته بردية " أبوت " Abbott . ولم تسمح المعالم التى ذكرها



شكل (٨٨) - العائلة المالكة خلال الأسرة الثامنة عشرة مختصر الأنساب من الجيل الرابع إلى الجيل التاسع .

هذا التقرير بنحديده مكان المقبرة بكل دقة (PM I 599) ولكن الشيء الوحيد المؤكد أن أمنمحتوب الأول قد عدل من بنية المجموعة الجنائزية تعديلاً جذرياً إذ فصل المقبرة عن المعبد الجنائزي. وحذا كل من خلفوه حذروه، فشيده كل منهم " مسكن ملايين السنين" فى البر الغربى لطيبة.

حتشيسبوت

نظرا لوفاة " أمنمحات " بن " أمنمحتوب " الاول ، فقد خلفه " تحوتمس " الأول وهو ابنه من زوجة ثانوية . و قد ثبت شرعية توليه العرش بزواجه من " أحبس " أخت "أمنمحتوب " الأول . و انجب منها بنتا هى " حتشيسبوت " وولدا هو " آمون مس " الذى لم يتول العرش . وبالمقابل تزوجت أخته من أخيها غير الشقيق الذى أنجبها أبوها من "موت نفرة " إحدى محظياته . و سوف يتولى هذا الأخ غير الشقيق العرش تحت اسم "تحوتمس " الثانى . وللمرة الثانية لم يثمر زواج " تحوتمس " الثانى من " حتشيسبوت " عن وريث ذكر . بل أنجب منها ابنة وحيدة هى " نفرورع " التى زوجها أمها على ما يبدو من " تحوتمس " الثالث ابن زوجها من إحدى المحظيات التى تدعى " إيزيس " .

استعرضنا الخطوط العريضة للمشاكل التى اعترضت طريق وراثة العرش لخلفاء " أحبس " . وأوجد تطبيق مبدأ الزواج من الاخت غير الشقيقة مرتين حلا أرضى جميع الأطراف . ولكن " تحوتمس " الثانى توفى عام ١٤٧٩ ق . م إثر مرض على

الأرجح . ولم يدم حكمه سوى أربع عشرة سنة ، و ترك ابناً ذكراً سيصبح فيما بعد "تحوتمس" الثالث ، ولكنه كان أصغر من أن يتولى مقاليد الحكم . ومن هنا اضطلعت زوجة "تحوتمس" الثانى بالوصاية على العرش ، وكانت هى زوجة أب "تحوتمس" الصغير أيضا . وقد وصلنا وصف لهذه الوصاية على لسان " انينى " احد كبار الموظفين كان مشرفا على مخازن غلال آمون و شغل هذا المنصب منذ عهد " امنحوتب " الأول و حتى عهد "تحوتمس" الثالث . وورد هذا الوصف فى سياق سرده لسيرته الذاتية التى نقشها على لوح وضعه تحت باكية مقبرته الصخرية بمنطقة شيخ عبد القرنة (TT 81)

" ثم صعد (الملك) إلى السماء وانضم إلى الآلهة . وحل محله ابنه ملكاً على الأرضين . وصار ملكاً على عرش من أنجبته و لكن اخته (أى أخت الملك المتوفى) الزوجة الملكية "حتشپسوت" كانت تدير شئون البلاد و تشرف عليها . وكانت الأرضان تخضعان لحكمها وتسلم لها الضرائب بعد جبايتها " (3 , 60 - 13 , Urk . IV 59) .

وفى العام الثانى أو الثالث تخلت "حتشپسوت" عن هذا الأسلوب فى ممارسة الحكم وتوجت نفسها " ملكا " ، واتخذت لنفسها جميع الألقاب الملكية . فلقت "ماعت كارع" أى " (الإلهة) ماعت هى "كا" (الاله) رع " و أيضا " خنمت أمن حات شپسوت " أى " التى يعانقها آمون هى الاولى بين السيدات " . ومن الناحية الرسمية أصبح " تحوتمس " الثالث شريكها فى الحكم فحسب . ولتبرير اغتصابها للسلطة قامت بتحجيم سلطات "تحوتمس" الثانى ، فابتكرت قصة مشاركتها لأبيها فى الحكم . وضمت هذه الرواية إلى مجموعة النصوص و التصاوير التى ازدانت بها جدران معبدها الجنائزى الذى شيدته فى دارة الدير البحرى على مقربة من المعبد الجنائزى " لمنتحوتب " الثانى . ويعنى هذا النص بشباب "حتشپسوت" ، وهو سرد له دلالة الأسطورية والسياسية فى آن واحد . و سوف يسير على منواله فيما بعد " تحوتمس " الثالث فى الكرنك .

ففى المشهد الأول يعلن آمون فى حضور التاسوع الإلهى عن نيته أن يقدم لمصر ملكا جديدا . فقام " تحوت " بترشيح الملكة "أحمس" زوجة تحوتمس الاول واوصى بها خيرا . فزارها آمون واحاطها علما بأنها ستلد بنتاً هى من صلبه و تقوم بتسميتها " التى يعانقها آمون هى الاولى بين السيدات " . عندئذ ، وبناء على طلبه تولى خنوم الإله

الفخارى تشكيل الطفلة وقرينها على دولاب الفخار . ووصفت " أحمس " ابنتها وقدمتها "آمون" الذى سهر على تربيته بمساعدة " تحوت " وأرضعتها الإلهة حتحور .

ثم تتوالى مشاهد التتويج . فبعد مراسم التطهر يقوم آمون بتقديم " حتشيسوت" إلى آلهة التاسوع وتنتقل فى صحبتهم إلى الشمال . و يتولى " آتوم " تنصيبها على عرش البلاد وتتسلم التيجان ومجموعة ألقابها الملكية . لقد نادى بها الآلهة " ملكا " ولم يتبق سوى أن يحذو البشر حذوهم . فقدمها والدها البشرى " تحوتس " الأول إلى البلاط وعينها شريكة له فحيها جميع الحضور . وفى أعقاب إعلان ألقابها تجرى مراسم تطهر أخرى . (5 - 265 , 1 - 216 , Urk . I)

وأشركت " حتشيسوت " أباه فى شعائرها الجنائزية فكرست له هيكلا فى معبدها بالدير البحرى . وقد عثر فى مقبرتها (VdR 20) على تابوت لتحوتس الأول الذى كان له تابوت آخر فى مقبرته . (VdR 38) وللأسف لانستطيع أن نؤكد أن اهتمام "حتشيسوت" بشرعيتها قد وصل حد إعادة دفن سلفها فى مقبرتها الخاصة ، إذ وجدت مومياء تحوتس الأول فى خبيثة الدير البحرى بعد أن سُجِّى فى تابوت ثالث (CGC 61025) .. قام " بى نجم " باغتصابه بعد مرور أربعة قرون من الزمن .

ودام حكمها للبلاد حتى عام ١٤٥٨ ق . م . المقابل للعام الثانى والعشرين من حكم " تحوتس " الثالث بعد أن استعاد عرشه . ويبدو أن المعارضة التى واجهتها وهى على قيد الحياة كانت أقل قدرا مما يمكن استخلاصه من حجم الحنق والغضب اللذين أبداهما ابن زوجها فى محو ذكراها بعد وفاتها . لقد حكمت بالاعتماد على بعض الشخصيات البارزة التى احتل " سنموت " مركز الصدارة بينهم . فقد ولد من اسرة متواضعة من أرمنت ، وحقق فى عهدها أعظم النجاحات المهنية فى تاريخ مصر القديمة . فكان الناطق بلسان الملكة إلى جانب أنه شغل منصب الرئيس الأول لاستقبال العائلة المالكة ورئيس استقبال الإله آمون . فكان مسئولاً عن جميع الانشاءات الأمر الذى أهله للإشراف على نقل وإقامة المسلات التى شيدتها " حتشيسوت" فى معبد "آمون رع " بالكرنك وتنفيذ أعمال معبدها الجنائزى بالدير البحرى . وقبلته أمر بحفر مقبرته الثانية (TT 35) إلى جانب مقبرته بجبانة الشيخ عبد القرنه (TT 71) قد أوعز فيما مضى النمامون من معاصريه بأنه نال مانال من نعم و حظوة بفضل علاقاته الوثيقة والخاصة بالملكة . ولكن يبدو فى واقع الأمر أن الدور الذى اضطلع به فى

تربية "نفروع" ابنة "حتشيسوت" الوحيدة كان وراء اهتمام الملكة به حتى صار من المقربين إليها . كما أشرف "سنى من" أحد إخواته على حضانتها و شغل منصب رئيس استقبال الاميرة . وتجمع العديد من التماثيل بين الاميرة "وسنموت" الذى كان واسع الثقافة . إن إنجازاته كمعمارى لخير دليل على ذلك ، إلى جانب الصور الفلكية التى تغطى سقف مقبرته بالدير البحرى و العثور على مائة وخمسين لحافا فى مقبرة بجبانة القرنة ، وتضم العديد من الرسوم لاسيما تصميمان لنفس المقبرة ومختلف القوائم والحسابات و التقارير و نسخا لنصوص دينية وجنازية وأدبية نذكر منها على سبيل المثال " هجو الحرف والمهن " و " قصة سنهوى " ووصايا " امنحات " (الخ : Hayes) (1942) وتصدر "سنموت" مسرح الأحداث طوال ثلاثة أرباع فترة حكم "حتشيسوت" ثم فقد حظوته دون وجود سبب واضح على وجه التحديد . وافترض البعض أنه بعد غياب "نفروع" التى ربما وافتها المنية فى العام الحادى عشر من حكم والدتها ، أخذ "سنموت" يتقرب إلى "تخوتمس" الثالث ، الأمر الذى دفع "حتشيسوت" إلى التخلّى عنه فى العام التاسع عشر من حكمها أى قبل ثلاث سنوات من اختفاءها .

وفى الدير البحرى استعاد "سنموت" الفكرة العامة التى كانت وراء تصميم معبد "منتوحوتب" الثانى (شكل ٧٥) ، وأخذ بعين الاعتبار مسار السور الشمالى لحرم هذا المعبد عند تحديد اتجاه المبانى الشامخة التى شادها "حتشيسوت" . وتنطوى الأصالة المبدعة لهذه المجموعة المعمارية فى انقسامها إلى شرفات متتابعة توفر سلسلة متتالية من المسطحات المنفصلة تتزاوج فى انسجام وتجانس تام مع الدارة الطبيعية لجرف الجبل . وللوصول إلى الشرفة السفلية كان يمر الداخل عبر صرح تحيط به الأشجار على ما يحتمل . ولبلوغ الشرفة الثانية يسلك الداخل أحدورا محورياً تقوم على جانبيه باكيثان . ويعادل ارتفاع الشرفة الثانية بالنسبة للأولى ارتفاع الباكيثان اللتين ينهض تماثلان أوزيريان شامخان عند طرفيها الشمالى والجنوبى . وتصور زخارف الباكية الجنوبية عملية نقل وإقامة مسلات الكرنك ، أما زخارف الباكية الشمالية فتصور مشاهد القنص والصيد . وانشئت الشرفة الثانية على نفس النمط السابق . وتصور باكيثان الشمالية قصة الحملة إلى بلاد "بونت" ، أما الباكية الأخرى فتسرد قصة الزواج الإلهى وتقوم مقام معبد الولادة أو "الماميزى" ، ويفضى القسم الشمالى من الشرفة الثانية إلى مقصورة قدس الأقداس للأله أنوبيس وقد نقر هيكلها فى صخر الجبل . أما القسم الجنوبى فيحده جدار داعم له دخلات وخرجات ، وبين هذا الجدار وبين السور المحيط بحرم المعبد أقيم ممر

اليونان	كريت	ايران	بلاد النهرين		فلسطين
			الجنوب	الشمال	
العصر اليوناني القديم الوسيط ١٥٨٠ - ١٨٥٠	المتناوي الوسيط الثاني ١٧٠٠ - ١٨٥٠ المتناوي الوسيط الثالث ١٥٥٠ - ١٧٠٠	العصر العيلامي القديم ١٥٠٠ - ٢٠٠٠	الأسرة الأولى في بابل ١٨٩٤ - ١٥٩٦ حمورابي ١٧٩٢ - ١٧٥٠	العصر الآشوري القديم شماشي اداد زمرى ليم الذي من ماري	كتعان الوسطى الهكسوس
الميكاني الأول ١٤٥٠ - ١٥٨٠	المتناوي الحديث الأول ١٤٥٠ - ١٥٥٠	العصر العيلامي الوسيط ١٥٠٠ - ١٠٠٠	العصر الكاشي ١٦٩٥ - ١٦٥٥	امبراطورية الميتاني ١٣٦٠ - ١٥٠٠	كتعان الحديثة البرونز الحديث ١١٠٠ - ١٥٠٠
الميكاني الثاني ١٤٥٠ - ١٤٠٠	المتناوي الحديث الثاني ١٤٥٠ - ١٤٠٠	جلبان (١) أ	كريدناش ١٤٤٥ - ١٤٢٧	سانستار الأول ارتاتاما الأول شوتارنا الثاني ارتا شومارا تو شراتا ماتي واذا	
الميكاني الثالث ١٤٠٠ - ١١٠٠	المتناوي الحديث الثالث ١٤٠٠ - ١١٨٠	تشو جازميل	المرحلة الآشورية الوسطى ١٣٦٠ - ٩٠٠ أشور اوباليت الأول ١٣٦٠ اداد نيراري الأول ١٣٠٠	شالمانصر الأول ١٢٧٣ توكولتي نينورتا ١٢٤٤	
		جلبان (١) ب	مليشباخ الثاني ١٢٠٢ - ١١٨٨	توكولتي نينورتا ١٢٤٤	
	المتناوي الأدنى ١١٨٠ - ١٠٦٠	ادوات برونزية لورستان ١٢٠٠ - ٧٥٠	نبوخذ نصر ١١٣٩	تيجلات پيلاسر الأول ١١١٢ - ١٠٧٤	
الميكاني الأدنى	العصر الهندسي الأول				

شكل (٨٩) - جدول مختصر : مصر والعالم القديم في عصر البرونز الوسيط وعصر البرونز الحديث

الاناضول				مصر	
المنطقة الشرقية	المنطقة الجنوبية	المنطقة الوسطى	المنطقة الغربية		
	ملكة حلب ١٨٠٠ - ١٦٥٠	نهاية بوزاز كوى (٤) بيتخاننا الذى من كوشار انيتا الذى من كوشار امبراطورية الهيثين القديمة ١٦٨٠ - ١٥٠٠ لابارناش الأول ١٦٨ - ١٦٥٠ خاتوشيليش الأول ١٦٥٠ - ١٦٢٠ مورشيليش الأول ١٦٢٠ - ١٥٩٠ تيبينوش ١٥٢٥ - ١٥٠٠	طروادة (٥) ١٩٠٠ - ١٨٠٠ طروادة (٦) ١٨٠٠ - ١٣٠٠	عصر الإنتقال الثانى الهكسوس (الأسرات ١٣ - ١٧)	حوالى ١٨٠٠
	ادريس الذى من آلالاخ	امبراطورية الهيثين الحديثة ١٤٦٠ - ١١٨٠ تودخاليش الأول ١٤٦٠ - ١٤٤٠ ارنواندناش الثانى ١٤٤٠ - ١٤٢٠ خاتوشيليش الثانى ١٤٢٠ تود خاليش الثالث ١٤٠٠ ارنواندناش الثانى ١٣٨٥ شو بيلو ليو ماش الأول ١٣٧٥ ارنواندناش الثالث ١٣٣٥ مورشيليش الثانى ١٣٣٤		الدولة الحديثة الأسرة ١٨ أحمس أمنحوتب الأول تحتمس الأول تحتمس الأول تحتمس الثانى حتشيسوت تحتمس الثالث أمنحوتب الثانى تحتمس الرابع أمنحوتب الثالث أمنحوتب الرابع توت عنخ آمون أى حور محب الأسرة ١٩	١٦٠٠ ١٥٨٠ - ١٠٨٥ (١٥٥٢-١٠٦٩) ١٥٤٦ (١٥٢٦) ١٥٢٦ (١٥٠٦) ١٥١٢ (١٤٩٣) ١٥٠٣ (١٤٧٩) ١٤٨٢ (١٤٥٨) ١٤٥٠ (١٤٢٥) ١٤٢٥ (١٤٠١) ١٤١٧ (١٣٩٠) ١٣٧٩ (١٣٥٢) ١٣٦١ (١٣٣٦) ١٣٥٢ (١٣٢٧) ١٣٤٨ (١٣٢٣)
	العصر الذهبى نى اوجاريت ١٤٠٠ - ١٢٥٠	مواتاليش ١٣٠٦ اورختى تشوب ١٢٨٢	طروادة (٧) أ ١٣٠٠ - ١٢٦٠	رمسيس الأول سيتى الأول رمسيس الثانى	١٣٢٠ (١٢٩٥) ١٣١٨ (١٢٩٤) ١٣٠٤ (١٢٧٩)
	معركة قادش	خاتوشيليش الثالث ١٢٧٥ تود خاليش الرابع ١٢٥٠ ارنواندناش الرابع ١٢٢٠	طروادة (٧) ب ١٢٦٠ - ١١٠٠	مرنتاح أمون مس سيتى الثانى سى پتاح تاوسرت	١٢٣٦ (١٢١٢) ١٢٢٢ (١٢٠٢) ١٢١٦ (١٢٠٢) ١٢٠٩ (١١٩٦)
الإمارات الهيثية ١٢٠٠ - ٧٠٠		شوبيلوليماش الثانى ١١٩٠	بداية الإستعمار اليونانى	الأسرة ٢٠ ست نخت رمسيس الثالث رمسيس الرابع رمسيس الخامس رمسيس السادس رمسيس السابع رمسيس الثامن رمسيس التاسع رمسيس العاشر رمسيس الحادى عشر	١٢٠٠ (١١٨٨) ١١٩٨ (١١٨٦) ١١٦٦ (١١٥٤) ١١٦٠ (١١٤٨) ١١٥٦ (١١٤٤) ١١٤٨ (١١٣٦) ١١٤٧ (١١٢٨) ١١٤٠ (١١٢٥) ١١٢١ (١١٠٧) ١١١٣ (١٠٩٨)
					١٠٥٠

يمكن الوصول إليه أيضا ابتداءً من الشرفة السفلية ويفضى إلى الهيكل المخصص "للتحور" . ويمكن بلوغ بهو الأعمدة الثانى فى هذا الهيكل مباشرة عبر باكية الشرفه العلوية الملاصقة لفناء تكتنفه الأعمدة . وشيد فى الناحية الشماليه معبد شمس يضم مذبحا أقيم فى فناء مفتوح إلى جانب هيكل صخرى يقدم فيه تحوتمس الأول الشعائر إلى الإله "أنوبيس" . ونقرت مقصورة قدس الأقداس الرئيسية فى صخر الجبل وتقوم على جانبيها كوات تضم تماثيل الملكة . ويوجد ثلاثة هياكل على التوالى خصصت الأولى لاستراحة المركب المقدس .

وضم حزب الملكة أيضا كاهن آمون الأكبر "حپوسنب" الذى ربطته بالعائلة المالكة روابط نسب من خلال والدته السيدة "يعح حوتپ" ، وكان سليل عائلة ذات شأن . وإذا كان والده "حاپو" مجرد كاهن مرتل لآمون فقد شغل جده "ايمحوتپ" منصب الوزير فى عهد تحوتمس الأول . لقد أشرف "حپو سنب" على الأعمال التنفيذية لتشييد معبد الدير البحرى ثم أسند إليه منصب الكاهن الأكبر "لآمون" وعين أخاه كاتبا لخزانة " آمون " . ولن يفوتنا بالطبع الإشارة إلى حامل الأختام " نحسى" الذى خرج على رأس الحملة التى أرسلتها "حتشپسوت" فى العام التاسع من حكمها إلى بلاد پونت لتواصل التقليد الذى درجت عليه الدولة الوسطى . وقد تم تسجيل أخبار هذه الرحلة باستفاضة على جدران معبدها الجنائزى . وتعتبر هذه الرحلة حدثاً بارزاً فى سياسة حتشپسوت الخارجية التى اقتصرت على استغلال مناجم وادى المغارة بسيناء وحملة عسكرية إلى النوبة حيث استبدلت الملكة نائب الملك "سنى" الذى كان مايزال فى منصبه فى عهد "تحوتمس" الثانى وأحلت محله آخر يدعى "إنينى" . كما انضم إلى فريق معاونيها الخازن "چحوتى" (TT 110) رئيس الاستقبال والمحارب القديم " أمنحوتپ " (TT 73) الذى أنجز على خير وجه إقامة مسلتي الكرنك ، والوزير "اوسرآمون" الذى شغل هذا المنصب منذ العام الخامس من حكم "حتشپسوت" .

ولما استعاد تحوتمس الثالث عرشه حوالى عام ١٤٥٥ ، كانت أمامه فترة حكم سوف تمتد ثلاثة وثلاثين عاما نفذ خلالها سياسته التى مكنت مصر من فرض سيادتها على آسيا والجنوب دون منازع بعد أن أحجمت " حتشپسوت " طوال سنوات حكمها عن أى نشاط عسكرى تدعيما للمكتسبات التى حققها "تحوتمس" الأول الذى كان قد شن حملة وقائية ضد بلاد "رتنو" ونهارين وتمكن من إقامة لوحة حدود على ضفاف نهر الفرات

كما عمل على بسط نفوذ مصر وسيطرتها فى النوبة حتى جزيرة " ارجو " الواقعة عند الجندل الثالث حيث أقام قلعة " طمبس " ، فاستطاع أن يسجل فى العام الثانى من حكمه أن امبراطوريته كانت تمتد من الجندل الثالث وحتى نهر الفرات (Urk IV 85, 13-14) ودعم "تحوتمس" الثانى ماكسبته مصر من نفوذ فشن حملتين : الأولى فى النوبة فى العام الأول من حكمه لسحق ثورة فى كوش. والأخرى جنوبى فلسطين ضد البدو " شاسو" واستمر فى زحفه حتى وصل مدينة " فى يا" فى بلاد نهارين (قلعة المودك حالياً).

تحوتمس الثالث وأمجاده

وبمجرد اعتلاء "تحوتمس" الثالث العرش اضطر إلى التصدى للثورة التى اجتاحت الإمارات الآسيوية المتحالفة ، فى أعقاب وفاة "حتشپسوت" . وقام هذا التحالف الذى تزعمه أمير قادش بتحريض من الميتانى . واضطر "تحوتمس" الثالث إلى القيام بما لا يقل عن سبع عشرة حملة عسكرية قبل أن ينجح فى السيطرة على الأوضاع المتأزمة . والميتانى هى التسمية السياسية التى عرفت بها حضارة "الحوريين" المعاصرة "للكاشيين" فى بابل . وقامت امبراطوريتهم على أنقاض امبراطورية "حامورابى" فبلغت أوج ازدهارها فى القرن الخامس عشر ق . م . ويقع قلب الإمبراطورية فى المنطقة المحصورة بين دجلة والفرات جنوب جبل "طوروس" ، وتمتد لتشمل سوريا وكردستان شمالا ثم تصل إلى أرض فلسطين وهى المنطقة التى شهدت المواجهه بين "الميتانى" وبين المصريين منذ عهد "أحمس" . فكان هدف المصريين رد " الآسيويين " الذين يهددون حدودهم ومطاردتهم بعيدا قدر استطاعتهم . أما هدف الميتانى فكان توريط منافسيهم الخطرين فى نزاعات محلية شريطة ألا يتجاوزوا سوريا حتى لا يتحولوا إلى تهديد مباشر لإمبراطوريتهم . وتحقيقا لأهدافهم أذكروا نار الصراعات التى مزقت منذ أمد بعيد هذه الإمارات الصغيرة، فتبنوا سياسة بعيدة النظر بنوها على أساس تغيير تحالفاتهم حسبما تقتضيه المصلحة .

ومرت المجابهة بين المصريين والميتانيين بمراحل خمس ، يمكن متابعتها من خلال " الحوليات " التى نقشها " تحوتمس " الثالث فى معبد آمون رع على مقربة من مقصورة المركب المقدس . وكان لتدوين هذه النصوص هدفان : أحدهما تذكارى والآخر عملى .. فهى سرد للأحداث وفقا لأسلوب درامى ارتبط بالروايات الملكيه التقليدية يصاحبه بيان تفصيلى بالغانم التى جلبتها الجيوش المصرية - بعد كل حملة على حدة والتى كرست " لآمون رع "



شكل (٩٠) - حتحور ترضع تحوتمس الثالث. تفصيل
اغتنصب أمنحوتب الثانى هذا التمثال. الدير البحرى .
حجر رملى ملون. الطول ٢٢٥سم. الارتفاع ٢٢٠ سم. متحف القاهره CGC 445

فى المرحلة الأولى تصدى "تحوتس" الثالث للأخطار التى كانت تحتاج إلى حلول عاجلة وملحة . ففى العام ٢٢/٢٣ من حكمه شن حملة عسكرية استطاع من خلالها إعادة فتح بلاد "رتنو" . فبدأ مسيرته من شرق الدلتا وصعد إلى غزة متجها إلى " يحم " (وهى بلدة " إيما " حاليا ، وتقع جنوب غرب جبل " الكرمل ") . ثم وصل إلى سهل "مجدو " بعد أن عبر ممرا جبليا . وسقطت مدينة " مجدو " بعد حصار دام سبعة شهور كاملة وعندئذ استطاع أن يواصل سيره إلى صور . وفى الطريق إليها استولى على مدن "ينوعمو " و " نوجس " (نهاسة جنوب حلب) و"مهرنكارو" . وهكذا نجح فى تحطيم الجناح الغربى للتحالف المعادى ثم أخذ يتقدم صوب المرافىء التقليدية التى تطل مصر من خلالها على البحر المتوسط .

تحققت هذه الفتوحات نتيجة للحملات الثلاث التالية التى شنها من العام الثانى والعشرين وحتى العام الرابع والعشرين . فقام كل عام بجولة تفقدية لضمان جباية الجزية التى فرضت على المغلوبين وفى عدادهم أمراء آشور و"رتنو" . كما استولى على محصول قمح سهول "مجدو" ونقله إلى مصر بالإضافة إلى عينات عديدة من الحيوانات والنباتات السورية . وقد خلد ذكرى هذا الجانب من حملة العام الخامس والعشرين فصور " حديقة نباتات " حقيقية على جدران القاعة التى أنشأها بالكرنك شرقى بهو الاحتفالات . وهذه "الحديقة" ماثلة لما ورد من أوصاف فى معبد " حتشيسوت " بالدير البحرى عن نباتات وحيوانات بلاد "پونت" . ويضطلع كلاهما على ما يعتقد بنفس دور "مشاهد فصول السنة " للملك " نى "أوسر رع " من حيث التأكيد على عالمية عبادة الشمس التى التزم بها ثلاثتهم .

ومن العام التاسع والعشرين إلى العام الثانى والثلاثين هاجم "تحوتس" الثالث "چاهى " و" قادش " . وفى البداية عمل على تأمين الواجهة المظلة على البحر ، فاستولى على مدينة "أولازا " عند مصب نهر " البارد " التى كانت فى قبضة أمير "تونيب " المتحالف مع قادش و" نهارين " . كما استولى على " ارداتا " الواقعة على مسافة بضعة كيلو مترات جنوب غرب طرابلس . وبعد أن اجتاحت القوات المصرية منطقة " ارداتا " وأتلفت ما بها من محاصيل وبساتين فأكهة استولت على " چاهى " التى أسبغت عليها النصوص أوصافا جعلت منها " كابوا " سوريا الشرق :

"عندئذ اكتشف جلالته أشجار سائر بلاد "چاهى" مثقلة بما تحمله من ثمار . وأخيرا اكتشف النبيذ وهو يفيض كالماء من معاصرهم . والقمح جمعه فى البيادر فى

كميات تجاوز حبات رمال الشاطئ . وأخذ الجيش منها
كفايته " . (Urk. IV 687,9 - 688,1)

وبقيام الحملة السادسة فى العام التالى وصل المصريون إلى سوريا عن طريق البحر
ثم واصلوا السير حتى وصلوا " قادش " فاجتاحوها هى والمناطق المحيطة بها . ثم ارتدوا
ثانية صوب الشاطئ وأخذوا بعد ذلك يتقدمون نحو " سيميرا " الواقع شمال مصب
النهر الكبير لينقضوا فيما بعد على " ارداتا " التى كانت قد تمردت على الحكم المصرى
على ما يبدو خلال هذه الفترة . وتجنباً لقيام ثورات أخرى تبنى " تحوتمس " الثالث سياسة
نقلتها عنه روما فيما بعد . فقرر أن يرافقه إلى بلاط مصر ستة وثلاثون من أبناء زعماء
البلاد المفتوحة كرهائن . وأمر بتربيتهم تربية مصرية قبل أن يعيدهم إلى بلادهم ليخلفوا
أبائهم . ومع ذلك لم تصل عملية إقرار السلام إلى منتهاها . فقد قاد الملك فى العام
التالى حملة سابعة ضد " اولازا " ، وفى أعقاب استسلام أولازا خضعت الموانئ الفينيقية
وأمن الملك ما يصلها من إمدادات من مناطق البلاد الداخلية ليحول دون انقلاب الأوضاع
من جديد . وبعد عودته إلى مصر استقبل وفدا حضر من بلد آسيوى - لم يتم التحقق من
اسمه - لتقديم فروض الولاء والطاعة للمليك مصر .

وحتى الآن كانت الحوليات تكتفى بسرد المعارك التى دارت رحاها فى مناطق
سوريا وفلسطين . وفى العام الحادى والثلاثين أشارت " الحوليات " للمرة الأولى إلى
الجزية التى سلمتها " كوش " و " واوات " . واستمر ظهور هذين الاسمين حتى العام
الثامن والثلاثين من حكمه ، ولكنهما ترددا فيما بعد بشكل متقطع دون أن يعنى
ذلك بالفعل ظهور القلاقل أو الاضطرابات . وسوف يكتفى " تحوتمس " الثالث بشن حملة
واحدة قرب نهاية حكمه فى العام الخمسين للوصول بحدود الإمبراطورية حتى الجندل
الرابع حيث بسطت مصر نفوذها من قبل . وبالفعل ترجع أقدم وثيقة معروفة من
جبل " البركل " إلى العام السابع والأربعين من حكم تحوتمس " الثالث .

ودخلت الحروب الآسيوية طورا جديدا فى العام الثالث والثلاثين بوقوع الصدام
المباشر مع " الميتانى " . وكان نهر الفرات يعترض الطريق إليهم ويحميهم ، فهو حاجز
طبيعى لا بد من اختراقه للوصول إليهم . فأمر " تحوتمس " الثالث ببناء سفن نهريه ، يتولى
الجيش سحبها عبر الأراضى السورية . ووصل المصريون إلى " قطنة " أى إلى مدينة
" مشرفة " الواقعة شرقى نهر العاصى واحتلوها ، ثم واصلوا سيرهم متجهين إلى نهر
الفرات ، فعبره " تحوتمس " الثالث وأقام لوحا تذكاريا إلى جانب اللوح الذى أقامه جده ،

ثم صعد شمالا . وأتى على الأخضر واليابس فى المنطقة الواقعة جنوب " قرقيش " . وهزم جماعة معادية وعبر ثانية إلى الغرب . ثم عاد ادراجه إلى نهر العاصى عند مستوى مدينة " نى " التى سترسم من الآن فصاعدا الحدود الشمالية للنفوذ المصرى ، اذ كانت مدينة حلب تعتبر من مواقع " الميتانى " المحصنة المتقدمة . وفى هذه الأصقاع خرج فى رحلة لصيد الفيل ، شأنه فى ذلك دون ريب شأن جده "تحوتمس" الأول. ثم عاد إلى مصر بعد أن أمن إمداد الموانىء الفينيقية بالمؤن ، وهو الأمر الذى سيداوم عليه عند خروج كل حملة . وفى نفس هذا العام دفع الـ "رتنو" الجزية ، إلى جانب الجزية التى قدمها كل من خضعوا له من الناحية النظرية فى أعقاب عبوره نهر الفرات وهم أهل " بابل " و " أشور " و " الحثيون " .

وكرست الحملات التسع التالية لمحاولات إخضاع قوات الميتانى فى نهارين . وفى العام الرابع والثلاثين من حكمه وأثناء حملته التاسعة سحق "تحوتمس" الثالث ثورة "چاهى" واستولى على " نوجس " . واضطر إلى العودة إلى المنطقة فى العام التالى ، لمواجهة تحالف "ميتانى" جديد شمال غرب حلب ، وربما استطاع أن يحقق نجاحا أكبر من الذى أحرزه فى العام السابق إذ نرى الحثيين مضطرين إلى دفع الجزية . اما قصة حملتى السنتين التاليتين فقد فقدتا ، ويحتمل أنهما لم تحسما الأوضاع ولم تفعلأ أكثر مما فعلته الحملات السابقة . واضطر الجيش المصرى أن يغير على منطقة " نوجس " ، وعندئذ انضم "الألاخ" إلى زمرة الشعوب التى تدفع الجزية ، وأصبح أمير حلب لا يسيطر إلا على املاكه فحسب . وفى العام التالى اقتضت أعمال "تحوتمس" الثالث العسكرية على سحق ثورة البدو " الحاسو " . ولم يشن حملة جديدة إلا فى العام ٤٢ ، عندما قام بحملته السادسة عشرة والأخيرة ضد " چاهى " ، حيث أخذت الإمارات الفينيقية تنحاز من جديد إلى جانب " الميتانى " ، فاستولى على ميناء " أركاتو " على مقربة من طرابلس ، واجتاح " تونيب " . ثم زحف على منطقة " قادش " واستولى على ثلاث مدن وأجهز على فريق ميتانى قوى . ووضع هذا النصر حدا للمنازعات بين مصر والميتانى لمدة عشر سنوات ، فكان له أصداء ملموسة ، وفرض على مدينة " أدنا " وهى إحدى مدن " قلقلية " فى آسيا الصغرى دفع الجزية لمصر . وكانت السنوات الأخيرة من حكمه أكثر هدوءا ، فخضع الشرق الأدنى مؤقتا للنفوذ المصرى وأقامت مصر علاقات ودية مع بحر إيجه .

لم يكن " تحوتمس " الثالث محاربا عظيما فحسب ، بل إنه واصل البرامج الإنشائية التى بدءها تحوتمس الأول الذى كلف المهندس " انينى " بالبدء فى تغيير وجه معبد " آمون

رع " بالكرك . كما أنجز أعمالاً معمارية فى الدير البحرى ومدينة هابو ، سوف نتطرق إليها فيما بعد . وفى أواخر حكمه ازدهر نشاطه المعمارى حتى نافس ما قامت به "حتشپسوت " من نشاط . ورغم ما بذل من جهد فى تحطيم اسمها من على سطوح العمائر ليحكم عليها بأسوء ميتة يمكن أن تلحق بمصرى وهو موت النسيان ، فقد حافظت حتشپسوت على وجودها فى أرمنت فى معبد "مونتو " الذى قام " تحوتمس " الثالث بتوسيعه . وفى بنى حسن حيث شيدت معبدا للإلهة " باخيت " ، سوف يطلق عليه الإغريق " أسيبوس ارتيميدس " Speos Artémidos بعد أن وحدوا الإلهة " باخت " بإلهة الحرب "أرتيميدس " . وقد أتم "تحوتمس " الثالث زخرفته ، ماعدا القسم الداخلى من قدس الأقداس الذى سيتولى سبتي الأول إكماله . وسجلت "حتشپسوت " عند مدخل هذا المعبد بياناً بالمنشآت التى خصصتها للآلهة فى مصر الوسطى ، فرسمت معابد القوصية و" انتينوى " (قاو الكبير) وهرمبوليس (17 , 389 - 4 , 386 , Urk . IV) كما شيدت معابد أخرى صخرية منها هيكل مخصص لحتحور فى " فارس " شمال وادى حلفا وآخر فى قصر أبريم وفى جبل السلسلة . كما شيدت فى النوبة معبد بوهن فى السنوات الأولى وأقامت معبد "ساتيس" فى إلفنتين و" خنوم " فى " قمة " . أما " تحوتمس " الثالث فقد بذل من الجهد والنشاط فى مجال التشييد مثلما فعل فى حروبه ضد " الميتانى " . وفى النوبة أقام المنشآت فى بوهن وصاى وفارس ودكة وأرجو وكوبان وسمنة وجبل البركل. أما فى الوادى ، فبالإضافة إلى ماشيده فى طيبة ، تنتشر منشآته فى كوم أمبو وأرمنت والطود والمدامود وإسنا ودندرة وهليوبوليس ، إلى جانب العديد من مواقع الدلتا التى لم يحفظ لنا الزمن شيئاً من آثارها .

"أمنحوتب" الثانى و"تحوتمس" الرابع

وقبل وفاة تحوتمس الثالث بسنتين أشرك معه فى الحكم ابنه "أمنحوتب " الثانى الذى ألحجه من زوجته الثانية"حتشپسوت " الثانىة " مرى رع" . وبصفته خليفته قام " أمنحوتب " الثانى بكافة الترتيبات الخاصة بالشعائر الجنائزية عند دفنه فى وادى الملوك (VdR 34) وترك "تحوتمس" الثالث وراءه ذكرى ملك عظيم سرعان ما نسجت من حوله الأساطير . وخلد المصريون ذكريات عبور نهرالفرات على وجه الخصوص ولم ينسوها . بل صارت الحملات السورية خلفية الأحداث التى تروى استيلاء القائد العظيم "جحتى" على مدينة "جوى"

ونقلت إلينا هذه القصة بردية " هاريس ٥٠٠ " Harris 500 . فتروى لنا كيف استطاع القائد العظيم أن يستولى على مدينة "جوى" وهى يافا الحالية بفضل حيلة أصبحت جزءاً من تراث الأدب العالمى ، ابتداء من استيلاء الملك الفارسى " داريوس " على بابل إلى قصة على بابا والأربعين حرامى ، مروراً بقصة حصان طروادة . فلجأ إلى الحيلة لاغتيال أمير "جوى" الذى قدم إليه كموفد . ثم أدخل إلى المدينة بهدف الاستيلاء عليها مائتى مقاتل مختبئين فى سلال كبيرة .

أجل لقد كفلت له مآثره ومنشأته الخلود. بيد أن التقليد المتواتر ينسب إليه سببا آخر للخلود وصفه الكتبة بأنه أبقى من العمائر. فقد لاحظنا ولعه الشديد بعالم النبات ، كما مارس صناعة الخزف . ولم يجد غضاضة فى استخدام قلم الكاتب ، طبقاً لما ورد على لسان وزيره " رخمى رع " الذى كان على رأس مثقفى عصره والذى تعتبر مقبرته فى الشيخ عبد القرنه (TT 100) من أبرز وأروع مقابر الدولة الحديثة ، فجمعت بين الفنون الأدبية وفن الخزف . كان تحوتمس الثالث مثقفاً ثقافة رفيعة ، فاستغرق عند الضرورة فى قراءة نصوص الأزمنة الغابرة وأظهر اهتماماً بالأجداد والأقدمين وتحول هذا الاهتمام إلى اتجاه عام شاع بين أبناء عصره . إن القائمة التى أعدها فى الكرنك للأجداد والرعاية التى أحاط بها منشأتهم ، وإن دلت على عمق تقواه ، فإنها تشهد على حس مرهف بالتاريخ ، هو من سمات كل ملك عظيم رفيع الشأن .

وخلفه " عا خروأمنحوتب " الثانى . فترك ذكرى عاهل أقل ثقافة بكثير من سلفه ، ومع ذلك فقد استطاع أن يحافظ على ازدهار بلاده وقوتها . وكانت قوته البدنية التى خرجت عما هو مألوف ، مفخرته الأساسية الوحيدة . ويحكى أنه قتل بيده سبعة أمراء فى " قادش " أثناء الحملة الأولى التى شنها على سوريا فى العام الثالث من حكمه . وربما اشتهر إلى جانب قوته بقدر من الشراسة كان خليقاً بإثارة الرعب فى نفوس أعدائه . فعلق أجسادهم على أسوار طيبة ونباتات... عبرة لمن يتعظ .. ومن المفيد بمكان المقابلة بين هذا الموقف والمكانة المتميزة التى خص بها ممارسة الرياضة العسكرية من رماية وقنص وتجديف ، وكلها أنشطة ارتبطت بالتأثيرات الآسيوية التى نلاحظها أيضاً فى المعتقدات الدينية ، مع انتشار عبادتى " عشتارت " إلهة الفروسية و " رشفت " . إن هذا الإسهام الواقد عن طريق الممر السورى الفلسطينى ، هو استمرار للحركة التى بدأت أيام الدولة الوسطى ، وتعززت بفضل تدفق المواد الأولية التى جلبت من هذه البلاد لسد احتياجات الإقتصاد المصرى بعد أن انتقل إلى تكنولوجيا البرونز . فجاء القصدير من سوريا والنحاس من قبرص والفضة من كيليكيا . كما وفدت من هذه البلدان الأيدى

العاملة المتخصصة . فانضم الأسرى إلى صفوف الحرفيين الأجانب المقيمين فى التجمعات العمالية على نط التجمع الذى كان قائما فى دير المدينة .

كما توسع التقليد الملكى فى عصور لاحقة فى تسجيل الألعاب الرياضيه (Decker: 1971). وترجع أصول رياضة قنص الأسود التى مارسها مرتجلا ، أوقنص الحيوانات المتوحشة عموماً إلى بواكير التاريخ المصرى . كما أنها جزء من نظام الخلق كما لاحظنا من قبل . ونجد هذه النزعة إلى ابراز القوة فيما اختاره الملك لنفسه من ألقاب . إنه حورس " الثور القوى الشديد البأس " ، أو " ذو القرنين الحادين " أو حورس الذهبى " الذى استولى على سائر البلدان بالقوة " .

واستنفذ هذه القوة فى حملات ثلاث على سوريا . وقد سبق الإشارة إلى الأولى التى حدثت فى العام الثالث من حكمه وجاءت نتيجة للثورة التى حاولت نهارين القيام بها خلال انتقال السلطة إلى الفرعون الجديد ، وانتهت هذه الحملة بسقوط " قادش " دون أن تحسم الأوضاع ، مما ترتب عليه ضرورة القيام بحملتين أخريين توجهتا مباشرة ضد " الميتانى " : إحداهما فى العام السابع والأخرى فى العام التاسع ، فى أعقاب الثورة التى نشبت فى سوريا بتحريض من " قرقميش " . ووقعت المواجهة فى منطقة تقع عند مستوى مدينة " نى " وأسفرت عن ضياع كل المنطقة الواقعة بين نهر العاصى ونهر الفرات من مصر ، وإن عاد المصريون محملين بالمغانم الوفيرة التى جمعوها عند قيامهم بسلب ونهب الـ " رتنو " . وكان فى عداد الأسرى ٣٦٠٠ "عابيرو" ، وهم من جنس آخر غير جنس الـ "خاسو" الذين ذكروا فى أعقابهم . وهناك إشارات إليهم فى " كبادوكيا " ، فى القرن التاسع عشر ثم فى "مارى" فى القرن الثامن عشر وأخيراً فى "الألاخ" . إنهم العبرانيون الذين ورد ذكرهم فى "ألواح العمارنة" ، وقد اندمجوا فى المجتمعات التى استقروا فيها بعيداً عن موطنهم الأصيل حيث زاولوا أعمالاً هامشية كمرتزقة أو خدم . وقد وردت إشارات إليهم فى قصة الاستيلاء على "جوبى" ، وظهروا فى مصر فى عهد "تحوتمس الثالث" كعمال فى بساتين الكروم على جدران مقبرتى الكاهن الثانى لآمون "پو إم رع" (TT 39) و" أنتف " الرسول الكبير للملك (TT155). ووضعت هاتان الحملتان نهاية للمجابهة التى احتدمت بين مصر و" الميتانى" . وفى عهد تحوتمس الرابع تغيرت العلاقات بينهما تماماً ، وبدأ " الميتانى " يتقربون من عدو الأمم . فقد تأسست امبراطورية "الحيشيين" الحديثة على يدى " تود خالياش " الثانى لتهدد المواقع الميتانية . فى ذلك الحين كانت حلب قد انتقلت تبعيتها من معسكر إلى آخر ، وحالت حروب الأناضول وحدها دون تزايد تهديد "الحيشيين" . ومن

المحتمل أيضا أن الميتانيين والمصريين قد نجحوا فى التوصل إلى اتفاق يرضى الطرفين ، يتخلى بموجبه الطرف الأول للطرف الثانى عن فلسطين وجزء من سواحل البحر المتوسط مقابل شمال سوريا . وتؤكد الجولة التى قام بها "تحوتس " الرابع إلى نهارين وجود مثل هذا التقسيم . فقد تخلى ملك مصر عن " الألاخ " " للميتانى " ، بل مضى إلى أبعد من ذلك عندما تقدم بطلب الزواج من إحدى بنات " ارتاتاما " الأول . لقد عقد العزم على إتمام هذه الزيجة فى الحقيقة تأكيدا على المجرى الجديد الذى بدأت تسلكه العلاقات بين العدوين القديمين .

أما التركة التى خلفها وراءه "تحوتس " الثالث فى النوبة فكان حملها خفيفا . فقد ساد السلام فى ربوعها فى عهد "أمنحوتب" الثانى الذى عين رفيق السلاح "أوسرسات" نائبا للملك فى النوبة . كما يمكن متابعة أعماله الإنشائية من قصر إبريم حتى سمنة . ويبدو أن بعض القلائل قد تفجرت أثناء انتقال السلطة إلى خلفه ، ومن المحتمل أنها كانت السبب وراء قيام "تحوتس " الرابع فى العام الثامن من حكمه بحملة ضد القبائل التى تسلت إلى بلاد " واوات " إذا صحت الرواية التى سجلها اللوح الذى أقيم فى جزيرة " كونوسو " (Urk . I V 1545 sq) . ومع ذلك لم تتباطأ حركة التجارة أو أعمال تشييد المعابد ، وتولى " أمنحوتب " الثانى زخرفة قسم من معبد كلابشة وواصل الأعمال التى بدأها "تحوتس " الثالث فى عمدا ، حيث شيد " تحوتس " الرابع أيضا فناء تكتنفه الأساطين احتفالا بيويله الثانى .

كما شيد " أمنحوتب " الثانى العديد من المنشآت فى أقصى الصعيد بالكركنا والمدامود والطود وأرمنت . وأمر بأن يقام له معبد جنازى لم يصلنا منه شئ . وزخارف مقبرته بوادى الملوك قليلة جداً (VdR 35) وبها بعض المشاهد الإلهية ونسخة كاملة من كتاب " إيمى دوات " وترجع أهميتها إلى سبب آخر ، فقد عثر فيها فكتور لوريه عام ١٨٩٨ على مومياوات "تحوتس" الثالث (VdR 34) و"مرنپتاح(سى پتاح) (TT47) و"سيثى" الثانى (VdR 15) و"ست نخت" (VdR 14) و"رمسيس" الثالث (VdR 11) و"رمسيس" الرابع (VdR 2) وكانت المومياوات قد نقلت إلى هذه المقبرة حماية لها من النهابين والسايلين فى أيام الأسرة الحادية والعشرين بإشراف كبير الكهنة "بى نچم" .

وبعد وفاة " أمنحوتب " الثانى خلفه "تحوتس " الرابع الذى آل إليه الحكم على ما يظن فى أعقاب الوفاة المبكرة لأخيه الأكبر الذى كان من المفترض أن يرث العرش

وبالفعل فقد نحت الملك لوحة أقامها بين قدمي تمثال " أبو " الهول بالجيزة تخليداً لذكرى قيامه بعمل من أعمال التقوى والورع له طابعه الخاص . إذ كان الإله العظيم كما هو الحال في أيامنا هذه مدفوناً على الدوام تحت رمال الصحراء التي تتراكم بفعل الرياح حول جسده يوماً بعد يوم ، وكان يحلو للأمير الشاب أن يخرج للصيد في هضبة الجيزة ، وكثيراً ما كان يرقد إذا انتصف النهار في ظلال " أبو " الهول لينام ويستريح :

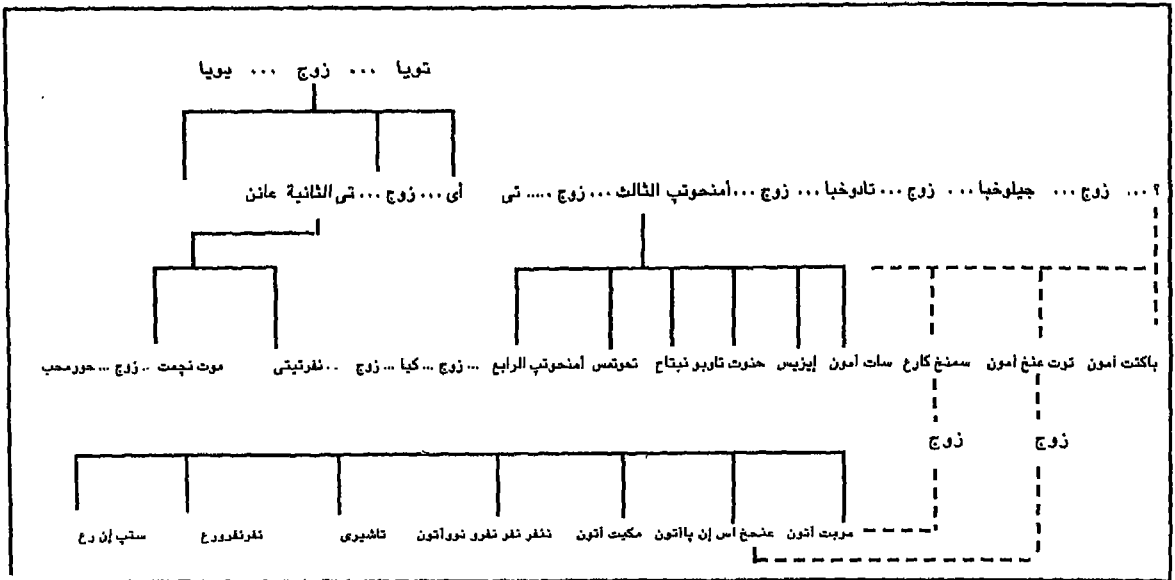
"حدث في يوم من الأيام أن خرج الابن الملكى تحوتس في نزهة عند الظهيرة . واستراح في ظل الإله العظيم . فغشيه النوم والشمس في كبد السماء . ورأى في المنام جلالة هذا الإله المبجل يتحدث بلسانه وكأنه أب يخاطب ابنه قائلاً : تطلع إلىّ والقي نظرة علىّ ، أيا ابني تحوتس . فانا والدك " حورام أخت خپرى رع آتوم " . سوف أهبك مملكتي الأرضية . وأقيمك على رأس الأحياء . وتلبس التاج الأبيض والتاج الأحمر على عرش "جب" الورائى . وتصبح الأرض طولاً وعرضاً وكافة ما تنيره عين رب الكون (...) ملكاً لك . هيا ! راقب حالى . فالألم شملنى وفت أوصالى . وجسدى حل به الخراب . ورمال الصحراء التي انتصب فوقها ، تزحف علىّ (...) " . (C. Zivie: 1976, 130-131)

وازاح " " تحوتس " " الرمال عن جسد الإله الذى وهبه عرشاً ما كان ليحلم به ... ولكنه لم يستفد به سوى تسع سنوات إذ وافته المنية هو الآخر في سن مبكرة وهو في الثلاثين من عمره تقريباً . ويتوارى خلف هذه القصة الجميلة هدف سياسى لا بد وأن لاحظناه من قبل عند "أمنحوتب" الثانى، كما أن وجود الأمير في منف لا يبعث على الدهشة فى شيء . فقد جرى العرف منذ عهد " تحوتس " الأول أن يقضى ولى العهد فترة تنشئته وتربيته فى " منف " . والأمر الملفت للانتباه هو اهتمامه العظيم بأهله . فقد واصل تجهيز المعبد الذى أقامه أمنحوتب الثانى على مقربة من " أبو " الهول ، كما عثر على ودیعة اساس تحمل اسمه فى معبد "بتاح" "بمنف" . وربما كان للأمر دلالة فى الرغبة فى موازنة سلطان طيبة التى عاش أشرفها وأعيانها حياة ترف وبذخ . وتقدم لنا مقابر عظماء المملكة وكبرى شخصياتها فكرة عن الأبهة والبخوة التى كانت من نصيبهم فى محياهم . نذكر منهم على سبيل المثال : "أمن إم أيت" (TT 29) وأخاه " سن " نفر (TT 96) حاكم مدينة طيبة و" قن آمون " الرئيس الأول لاستقبال القصر الملكى فى منف ، وأخاه " كا إم حرى إب سن " الكاهن الثالث لآمون (TT 98) وكبيرى

كهنة آمون " مري " و " آمن إم حات " (TT 97) ، ورئيس مخازن الغلال " من خپر رع
نسب " (TT 79) و " اوسرحات " (TT 56) و " خعى " الذى يحتفظ متحف تورين
بكنوزه الخ....

أمنحوتب الثالث وبلوغ الأسرة الثامنة عشرة أوج ازدهارها

إذا كان فن التصوير قد مال إلى بلوغ أوج ازدهاره فى عهد " تحوتمس " الرابع ،
فبحدوث مزيد من الإفتتاح فى عهد " أمنحوتب " الثالث نراه يبلغ حدا من الرقة



شكل رقم ٩١ : العائلة المالكة ونهاية الأسرة الثامنة عشرة . مختصر تسلسل الانساب من الجيل التاسع إلى الجيل الحادى عشر .

والرشاقة لن يعرفها فى أى عهد لاحق بما فى ذلك العهود التى تدفق فيها على الورش الملكية كل ثمين ونفيس أنتجته آسيا والنوبة . ولد " أمنحوتب " الثالث فى طيبة من " موت إم ويا " إحدى محظيات " تحوتمس " الرابع . وقد ظن البعض خطأ أنها ابنة " أرتاتاما الأول " . وكان فى الثانية عشرة من عمره عندما اعتلى عرش البلاد ، وتولت أمه الوضاية على العرش . وفى العام الثانى من حكمه على الأكثر تزوج من " تى " التى لا تنتمى إلى العائلة المالكة ، وكان تأثيرها حاسما على مستقبل الأسرة . والمملكة " تى " هى ابنة " يويا " أحد أعيان أخميم الذى لعب أيضا دورا سياسيا بارزا بصحبة زوجته " تويا " ، إذ مهد الطريق أمام أحد ابنائه الآب الإلهى " آى " ليخلف " توت عنخ آمون " فى أصعب الظروف . وأنجب " أمنحوتب " الثالث من " تى " ستة أبناء : الأول ويدعى " تحوتمس " على ما يظن ، وتوفى قبل اعتلائه العرش . أما الثانى فسيعرفه التاريخ باسم

"أمنحوتب" الرابع. كما أنجب أربع بنات سوف تحمل اثنتان منهما لقب ملكة وهما "سات آمون" و"إيزيس".

وفى ظل الأسرة الثامنة عشرة فرضت الروابط العائلية نفسها على سياسة البلاد على غرار ماحدث فى الأسره الخامسة . فكانت المناصب الحكومية الرئيسية موزعة على أفراد العائلة المالكة ، أو على عكس ذلك حيث إذا فرض واقع السلطة السياسية نفسه فرضا ، بحيث يستحيل تجاهله ، يصبح الزواج هو الوسيلة لتكريس هذا الواقع . حدث ذلك مع "تحوتمس" الأول ثم مع "آى" و "حور محب" ، فى وقت لاحق . ونضيف فى هذا الصدد أن زواج "أمنحوتب" الثالث و "تى" ، كان بعيدا كل البعد عن قصة الحب التى تصورها البعض . كان "يوبا" ضابطا بسلاح المركبات الحربية ومشرفا على خيول الملك ، وقد افترض البعض أنه كان من أقرباء الملكة الأم "موت إم ويا" ، وكان بالتالى من احوال "أمنحوتب" الثالث . وعين ابنه "آى" مشرفا على خيول الملك فى عهد حفيده ، وكان من قبل قد عين ابنه الثانى "عائن" فى منصب الكاهن الثانى للإله آمون فى طيبة " وكبير الرائين " فى معبد الإله رع بالكرنك .

تركت "تى" بصماتها على شئون البلاد بشخصيتها القوية وعمرها المديد . فقد امتد بها العمر إلى مابعد وفاة زوجها ، ووافتها المنية فى العام الثامن من حكم ابنها "أمنحوتب" الرابع بعد أن ارتبط اسمها بسياسة الملكين كزوجة أولا ثم كأم ، ودفعت بمكانة الزوجة إلى مركز الصدارة باعتبارها "زوجة الملك العظمى" التى حلت محل الملكة الأم ، الصورة التقليدية للنظام الأمومى . وشاركت "تى" زوجها كطرف مكمل له . فهى إلى جواره - تشخيص للإلهة "ماعت" . ومن ثم تتمتع بنصيبها من امتيازات المآدب والولائم . كما شاركت فى كبرى الأعياد الشعائرية بما فى ذلك عيد "سد" . وصورت على شكل "أبو" الهول ، وخصص لها زوجها معبدا فى "سدنقة" الواقعة بين الجندل الثانى والجندل الثالث ، كما أسهمت بنصيب كبير فى رسم سياسة البلاد الخارجية وسيرت دفعة البلاد فى السنوات الأولى من حكم ابنها اثناء وصايتها عليه . وخلال هذه الفترة ألقت إليه ، على مايقن ، شيئا من أسس العقيدة الجديدة التى قام بتطويرها فيما بعد . واصطحبته بالفعل إلى العمارنة حيث دفنت بعد وفاتها . وسوف يتولى "توت عنخ آمون" نقل موميائها إلى موطنها لتدفن هى ومومياء "سمنخ كارع" فى المقبرة رقم ٥٥ من مقابر وادى الملوك .

ساد السلام عصر "أمنحوتب" الثالث الذى لم يشهد سوى عمل عسكري واحد ، على شكل حملة رادعة قام بها فى بداية حكمه ، وفى العام الخامس على وجه التحديد . إن

العلاقات التى سادت بين مصر والشرق الأدنى خلال السنوات الباقية من حكمه دليل واضح على ما تمتعت به مصر من إشعاع حضارى فى آسيا وحوض البحر المتوسط . ونتابع مسار هذا الإشعاع من خلال الدلائل التى أثبتت وجود اسم " أمنحوتب " الثالث فى جزيرة " كريت " و " ايتوليا " فى بلاد اليونان والأناضول واليمن وبابل وآشور ... كما حفظ لنا الزمن مصدر معلومات آخر حول سياسة مصر الخارجية فى ذلك العصر . فقد عثرت إحدى الفلاحات المصريات عام ١٨٨٧ على مجموعة ٣٧٩ لوحة صغيرة على مقربة من القصر الملكى فى تل العمارنة دونت عليها نصوص بالمسمارية ، وهى الكتابة الدبلوماسية لذلك العصر ، وتضم المراسلات التى تبادلها كل من امنحوتب الثالث وأمنحوتب الرابع مع ملوك الشرق الأدنى . وبفضل مقارنة ما توفره هذه المراسلات من معلومات مع محفوظات " بوغازكاي " عاصمة " الحيثيين " والحوليات " الأشورية البابلية " ، يمكن متابعة علاقات التبادل التى قامت بين القوتين بالإضافة إلى النكبات التى أمت " بالميتانى " واستمرار انحسار قوتهم . وجاء زواج " أمنحوتب " الثالث من " جيلوخيا " ابنة " شوتارنا " الثانى فى العام الحادى عشر من حكمه تأكيداً للتقارب المصرى الميتانى . ولكن حدث فى الثلث الأخير من حكمه أن انضم " عبدى اشيرتا " أمير " امورو " إلى صف " الحيثيين " لعقد تحالف الغرض منه إزاحة نير المصريين . وتدهورت الأوضاع فى العاصمة " الميتانية " ، إذ قام " توحى " زعيم الحزب الموالى " للحيثيين " فأعلن نفسه وصياً على العرش بعد أن أقدم حزيه على اغتيال " ارتاشومارا " بن " شوتارنا " الثانى البكر . وانتقم " توشراتا " لأبيه واسترد الحكم ووطد من جديد تحالفه مع مصر بأن زف ابنته " تادوخيا " إلى " أمنحوتب " الثالث . كما ظلت بابل شديدة القلق بسبب جارها الميتانى ففعلت نفس الشيء . وتزوج " أمنحوتب " شقيقة "قادشمان أنليل " أولاً ، ثم ابنته . ولم تنجح علاقات النسب المتشابكة القائمة على هذه الزيجات فى التصدى على الوجه الأكمل للأطماع الإقليمية التى تحرك مختلف الأطراف ، فبابل تتطلع إلى فرض سيطرتها على " آشور " التى تعتبر من توابع " الميتانى " من الناحية النظرية . وسيجد " آشور اوباليت " الأول صعوبة كبيرة فى الحفاظ على التوازن بين الطرفين ، ولن ينجح فى الحفاظ على استقلاله النسبى إلا بفضل سياسة بارعة جاهرت على الملأ بإعلان صداقتها لمصر . وظهر " الحيثيون " كقوة صاعدة برزت كمركز مؤثر قرب نهاية حكم " أمنحوتب " الثالث ، ومع بداية حكم " أمنحوتب " الرابع واعتلى الأمير " شوبيلوليوماش " العرش . وخصص السنوات العشر الأولى من حكمه لإقرار السلام فى الأناضول ، ثم توجه إلى سوريا الشماليه فاستولى على حلب وجعل من

لبنان حدود الحِيثِيِّين الجنوبية . أما فى مصر فقد خلف أمنحوتب الرابع والده ، ولم تهب مصر لنجدة الحليف "الميتانى" الذى اضطر للرضوخ .

وعلى امتداد نصف القرن الذى سبق هذه الأحداث كانت مصر فى أوج اشعاعها الحضارى وفى ذروة القوة . وكان " أمنحوتب " الثالث أعظم من عرفتهم مصر فى مجال التشييد والبناء ، فقد أقام العمائر فى طول بلاد النوبة وعرضها . فشيّد فى إلفنتين معبداً صغيراً تكتنفه الأساطين وينسب إلى "تحوتس" الثالث . أما فى وادى السبوع فقد خص " آمون رب الطرق " بمعبّد صخرى صغير . وبدأ يشيّد فى عنبيّة معبداً للإله " حورس " الذى من " ميعام " . كما أسس معبّد كوة ومعبّد سسبى الذى أقام " أمنحوتب " الرابع فوقه معبّد " چم آتون " . كما شيّد معبّد صولب المخصص لعبادته هو وزوجته بالاشتراك مع " آمون " ، فكان هذا المعبّد فاتحة تقليد سار على هديه ملوك الأسرة التاسعة عشرة إلى حد كبير . وإلى جانب معبّد سدنقة فقد خص مرقسة وكوبان وجزيرتى " صاى " و " ارجو " بعناصر معمارية . وفى مصر ذاتها أقام المنشآت فى " أتريبس (أتريب) وبواستس (تل بسطة) . وشيّد معبداً لحورس عملاً بسيرة اسلافه القائمة على نهج هليوبوليس . كما بدأ أعمال إنشاء سيرابيوم سقارة . وفى الوادى يمكن مشاهدة ماشيده فى الكاب و " سمنو " قرب الجبيلين ، وفى أبيدوس وهرموبوليس ، حيث أقام تماثيل شامخة برأس قرد ، مازلنا نشاهدها فى أماكنها . أما فى طيبة فقد شيّد فى الأقصر معبداً يعتبر " الحريم الجنوبى " لآمون رع . كما كرس ستمائة تمثال للإلهة " سخمت " وضعها فى معبّد الإلهة " موت " فى آشر إلى الجنوب من سور معابد الكرنك . ويّزدان متحف اللوفر ببعض هذه التماثيل الرائعة (شكل ٩٢) . وفى البر الغربى شاد لنفسه قصراً فى ملقطة . وبنى معبداً جنازياً ضخماً قام مرنبتاح " بهدمه عند تشييد معبده الخاص فلم يترك منه سوى التمثالين الشامخين اللذين أقيما على جانبى الصرح .

عند قيام المرشدين بشرح الآثار للرحالة الإغريق الأوائل اختلط عليهم الأمر وهم يتحدثون عن " نب ماعت رع " و هو لقب " أمنحوتب " الثالث ، فنطقوه بعد تصحيّسه " ميموريا " على وجه التقريب ، فساد الاعتقاد أن التمثال الضخم الواقع إلى الشمال هو للبطل " ممنون " بن " اورورا " قائد الفرق الإثيوبية الذى قتله " أخيلوس " خلال حرب طروادة ، وأن مقبرته على مايقال موجودة أسفل التمثال . وفى العام ٢٧ ق.م. وقع زلزال فى المنطقة . فتفككت من جرائه كتل أحجار التمثال ، وأحدث صدعا أخذ

يطقطق مع بزوغ كل نهار عندما تساعد حرارة الشمس على تبخر الرطوبة التي تراكمت طوال الليل . و تعززت الاسطورة ، و اعتقد الناس أن ممنون يبعث بالتحية إلى أمه عند ظهورها كل صباح بما يصدر عنه من أنين . وللأسف قام الامبراطور الرومانى " سيبتيموس سفيروس " بدافع من التقوى بترميم ماتصدع من الأثر ، فصمت التمثال الى الأبد .

تتميز العمائر التى شيدها " أمنحوتب " الثالث ، سواء لأغراض رسمية أم دينية برقة ورشاقة تعتمدان على إجادة مهارات الصنعة إجادة تامة بدون منازع . ونلتمس التأثيرات الشرقية فيما بلغه التشكيل من تحرر ، و هو مالا يتفق و الصرامة التى لازمت الفن فى بدايات الاسرة الثامنة عشرة . وتمهد الطريق أمام رقة المشاعر التى سادت الإنتاج الفنى فى تل العمارنة . ونذكر على سبيل المثال تقنية " الاردية ذات الثنايا اللينة " كما تظهر فى تمثيل أواخر عهد " أمنحوتب " الثالث (شكل ٩٣) . وإن دلت هذه الارهاصات لفن العمارنة على شىء فإنما تدل على أن الابحاث الصوفية التى انكب عليها من سيلقب فى المستقبل بأخناتون ، لم تولد فجأة ، بل نشأت تدريجيا فى البلاط الملكى حيث عاشت النزعات العقلانية بسماتها الشرقية . ان اهتمام أمنحوتب الثالث بمدينة هليوبوليس يوضح أن صعود نجم عبادة " آتون " كان نتيجة منطقية لتجديد معابد العاصمة الدينية العتيقة لمصر . و لايعنى ذلك بالطبع أن هليوبوليس قد انفردت دون غيرها بهذه المكانة المتميزة ، فقد شجع الملك أيضا العبادات الرسمية الخاصة بحلول الأرباب فى الحيوانات ، فشىد السيرايوم ليصبح مقبرة العجل أبيس . والقاسم المشترك بين اهتمامات الملك فى هذه الحالة و تلك ، هو عدم ارتباط هذه العبادات بطيبة . و هنا يكمن على الأرجح المبرر الذى دفع " أمنحوتب " الرابع إلى قطع صلاته مع " آمون رع " بسبب هيمنة كهنة طيبة على شئون الدولة و الدين . فقد ازداد نفوذهم فى اعقاب الانشاءات الضخمة التى نفذها " أمنحوتب " الثالث فى الكرنك طلبا لمساعدة الآلهة على شفائه من المرض الذى أصابه ، فى اعقاب احتفاله بعيد " سد " الأول فى العام ٣٤ من حكمه . وتكشف تصاوير صولب ، ومقبرة " خرواف " رئيس خدم الزوجة الملكية العظمى (TT 192) عن إنسان أصابه الوهن والهزال ويعانى من آلام مبرحة واضحة للعيان . كما خص " أمنحوتب " الثالث الإلهة " سخمت سيدة أشر " وربة الشفاء والإبراء بستمائة تمثال . بل أرسل له حموه " توشراتا " تمثالا " لعشتارت " له القدرة على الشفاء . ولكن ذهبت كل الجهود وكل المحاولات لشفائه أدراج الرياح ، ولم

تتمكن الآلهة من تجنب القدر، فاحتفل أمنحوتب الثالث للمرة الثانية بعيد " سد " فى العام ٣٧ من حكمه قبل أن يتزوج " تادوخيا " مباشرة . فإذا راعينا فترة الثلاثين سنة اللازمة عند احتفاله بعيد " سد " لأول مرة ، فلا بد من اختزال هذه الفترة إلى العُشر بالنسبة للأعياد اللاحقة . و مات أمنحوتب الثالث فى العام ٣٩ من حكمه بعد أن أشرك ابنه فى الحكم فى آخر أيامه على مايفترض . و تزخرف جدران مقبرته (VdR 22) بنسخة من كتاب "إمى دوات " . و قد سلبت المقبرة و نهبت خلال الأسرة الحادية و العشرين ولكن أمكن الحفاظ على موميائه مع غيرها من المومياوات التى تم تجميعها فى مقبرة "أمنحوتب " الثانى . والموميااء لشخص فى الخمسين من عمره ، تغلب عليه المرض . فقضى نحبه .

وباختفائه زالت من الوجود مصر المبادئ اليقينية ، على الصعيد السياسى والدينى . زالت مصر الدولة التى أضحت بفضلها قوية ، ومحل احترام الجميع فى الداخل كما فى الخارج . وأحدثت الاضطرابات التى سببتها فترة حكم ابنه القصيرة تغييرات جذرية فى توازن السلطة ، فدفعت فراعنة مصر إلى طرح مشكلة أساس الحكم الثيوقراطى بكل وضوح ، والعلاقة بين ما هو دنيوى و ما هو روحانى .

الفصل العاشر إخنا تون

خلفاء أمنحوتب الثالث

اعتباراً من ١٣٧٨ / ١٣٥٢ حكم " أمنحوتب " الرابع البلاد بمفرده و اختار لنفسه عند تنويجه لقب " نفرخپرو رع " و معناه " كاملة هي تحولات رع " وأرفق به صفة " رع ان رع " و معناه " و حيد رع " . أما بقية ألقابه فتربط بينه وبين طيبة ، و إن أطلق عليها اسم " هليوبوليس الجنوب " ، فى لقبه كحورس الذهبى . وقد لاحظنا من قبل أن أهيمه هليوبوليس ترتبط بمنف مقر تربية الأمراء و تنشئتهم ، دون أن يعنى ذلك بالضرورة مقاومة عقيدة آمون .

و تظل مشاركته فى الحكم مع " أمنحوتب " الثالث من المواضيع المثيرة للجدل . فإذا اتفقنا على وجود هذه المشاركة فلا يمكن تأكيد مدتها . إذ يرى البعض أنها بدأت فى العام ٢٨ - ٢٩ من حكم " أمنحوتب " الثالث ، فى حين يفضل البعض الآخر العام ٣٧ - ٣٩ . وفى الحالتين ، تبرهن فترة المشاركة فى الحكم على أن الأفكار التى مهدت " لثورة " العمارنة كانت من الانتشار بمايكفى ليظهر تأثيرها فى الأعمال الرسمية التى رأت النور فى السنوات الأخيرة من حكم أمنحوتب الثالث . وإلى جانب ذلك فإن إتمام مراسم تنويج " أخنا تون " فى الكرنك لخير دليل على أنه لم يدخل فى صراع مكشوف مع كهنة " آمون رع " ، فى بداية الامر على الأقل .

كما أن الاستمرارية العائلية واضحة للعيان . حتى أننا لانشعر بالغرابة و سط أفراد العائلة المالكة فى العمارنة ! فقد تزوج " إخناتون " ابنة خاله " نفرتيتى " . وهى ابنة " آى " و " تى " الثانية ، أى حفيدة " يويا " و " تويا " . ومن الجلى إذن أن حضور عائلة أخميم ظل مؤثرا فى قلب أحداث العمارنة . كما استمر من خلال " موت نچمت " أخت " نفرتيتى " وزوجة " حورمحب " . ولربما كان لها ضلع فى اختيار الموقع الجديد فى مصر الوسطى عاصمة جديدة للبلاد . ومهما يكن من أمر الأصل ، فإن الروابط التى جمعت بين " أمنحوتب " الرابع و " نفرتيتى " كزوجين لها سمة سياسية غالبية وأعمق من تلك التى جمعت بين " أمنحوتب " الثالث و " تى " . فقد اشتركا سويا و على غرارهما فى الاحتفالات . ولكن الجديد فى الأمر أن يصورهما الفن

الرسمى و منذ بداياته الأولى فى مشاهد عائلية كانت تعتبر حتى هذه اللحظة مشاهد من الحياة الخاصة ، تصويرها من الأمور غير المستحبة . و مع ذلك لم يضطلع كلا الزوجين بدور مماثل. ففى نشيد " آتون " العظيم ، نرى على سبيل المثال أن الملك وحده هو الذى يتعرف على الإله .

انتظر " أمنحوتب " الرابع العام الثانى من حكمه ليزيح الإله آمون رع من مكانه ويضع بدلا منه الإله " آتون " . وقبل ان يخطو هذه الخطوة شرع ينفذ برنامجا من الإنشاءات التقليدية . فبمناسبة افتتاح محاجر الحجر الرملى بجبل السلسلة ، صور نفسه وهو يحمل التقدّمات للإله آمون . (Urak, IV, 1962) . كما وضع اللمسات الأخيرة فى زخرفة معبد " أمنحوتب " الثالث فى صولب . ومع ذلك فالإنشاءات التى بدأها فى الكرنك من أجل الإله " آتون " ، تظهر تصميميا واضحا على التجديد والتغيير مع قدر من التسرع . فقد أمر بقطع الأحجار من محاجر الحجر الرملى ليسهل إعدادها وبأحجام صغيرة ، تيسيرا على فرق السخرة الضخمة المكونة من الأيدى العاملة غير المدربة على التعامل معها . وحذا عالم الآثار رمضان سعد حذو التقاليد المحلية المتوارثة وأطلق على هذه القوالب اسم " الثلاثات " . وقد حليت بزخارف يغلب عليها طابع الخشونة . ولكن أسلوبها واقعى يأخذ بالسهل الممتنع وينحى منحى الأيديولوجية الجديدة التى تولى الملك تلقينها بنفسه للفنانين ، و هو ما سجله مخربش فى أسوان قام بتدوينه " باك " كبير نحائى الملك . وقد حفظ لنا الزمن هذه القوالب من الاندثار التام وربما بفضل صغر حجمها . فبعد العودة إلى الدين القويم والإله " آمون " ، دُكت المنشآت التى أقامها الفرعون صاحب البدعة الآتونية ، شرقى حرم معبد " آمون رع " وصار عاليها سافلها . و أعاد " حور محب " استخدام هذه القوالب كخشوة للصرح التاسع بخاصة . و تم استخراج ١٢ ألف قالب من قوالب " الثلاثات " عند فك هذا الصرح تحت إشراف المركز الفرنسى المصرى لمعابد الكرنك "Centre Franco-Egyptien des Templesde Karnak خلال السنوات العشر الأخيرة. وأصبحت هذه القوالب محل دراسة مستفيضة وهى مصدر يفوق كل تقدير لمعرفة تاريخ عبادة " آتون " .

وفى العام الرابع من حكمه انتقل الملك فى صحبة الملكة إلى الموقع الذى كشف عنه " اتون " ذاته و الذى سيصبح عاصمة البلاد الجديدة ، و أطلق عليه " أخت آتون " ويعنى " أفق القرص (الشمس) " ، وشرع فى العام التالى يقيم منشأته

الجديدة . و كان الموقع الجديد عبارة عن دائرة فسيحة فى حوض جبال شامخة على بعد حوالى عشرة كيلو مترات إلى الجنوب من ملوى على البر الشرقى من النيل . وتمتد الدائرة ليصل انبساطها إلى خمسة و عشرين كيلو مترا من الشيخ سعيد شمالا حتى الشيخ عبد الحميد جنوبا . إنه مكان بكر يشبه تل الرمال بهليوبوليس الذى كان نقطة الانطلاق لخلق الكون . ووضع الملك علامات حدود حول هذا المكان بلغت أربعة عشر لوحا ، أحد عشر على البر الشرقى و ثلاثة على البر الغربى . وكان على المدينة أن تكون المقابل لمدينة طيبة من حيث طبيعتها و أسماء منشآتها . كما ستصبح هليوبوليس جديدة بفضل جبانيتها الملكية و المدينة و المقبرة المخصصة للعجل " منيفيس " .

الإصلاح الدينى

تظهر ألقاب الملك الجديدة للمرة الأولى على ألواح الحدود فى البر الشرقى معلنة للبلاد عقيدة " آتون " الجديدة . فقد بدل اسمه الحورى " الثور القوى والريش العالى " الذى يعبر عن قدر كبير من الروابط بمدينة طيبة إلى " الثور القوى محبوب آتون " كما تغير اسمه " النبتى " من " عظيم " المُلْك فى الكرنك " إلى " عظيم المُلْك فى أفق قرص (الشمس) " . ويتغير اسم حورس الذهبى من " الذى ارتقى بالتيجان فى هليوبوليس الجنوب " إلى " الذى ارتقى باسم آتون " واحتفظ باسم التنويج و غير "أمنحوتب " إلى " أخناتون " ، ومعناه " راض عنه هو آتون " . إنه مجرد استبدال "آمون " " بآتون " .

ولا ينطوى التغيير فى حد ذاته على أى عقيدة ثورية . وهو أبعد ما يكون عن الديانة المنزلة ، كما يحلو للبعض تصويره بغرض الكشف عن جذور المسيحية . فى حين لا يعدو الأمر أكثر من مصدر مشترك نهلت منه الحضارات السامية . وفى الحقيقة فقد تابعنا منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة علو نجم عبادات هليوبوليس كامتداد لحركة استهلتها الدولة الوسطى : فصبغت أهم الآلهة بصبغة شمسية ، على غرار ما حدث للاله "آمون" بطريقة مباشرة من خلال الشكل التركيبى للاله " آمون رع " . وتتفق هذه الحركة مع مثيلتها التى ظهرت عبر الكتب الجنائزية مثل " كتاب ما هو موجود فى العالم الآخر " و " أناشيد الشمس " أو " كتاب البوابات " . وتركز على الدور المحورى الذى يلعبه الإله " رع " فى الخليفة وفى الحفاظ على الحياة . فالحديث هنا عن التوحيد أمر مبالغ فيه ، (Assmann , 1984 , 235 sq.) طالما أن التركيز على " رع " لم يستبعد

غيره من الآلهة . ولكن من الأمور المؤكدة أن الكثير من الصلاحيات المتنوعة قد اندمجت في الشمس كإله خالق بكل معانى الكلمة . وقد اختار " أمنحوتب " الرابع أن يتعبد لمظهره الحسى المتمثل فى قرص الشمس الذى حدد لاهوت هليوبوليس دوره بشكل واضح منذ زمن الدولة القديمة . والنتيجة التى نتوصل اليها لها صبغة عالمية تشبه الوحداية من حيث المظهر. فكثيرا ما عُقدت المقارنات بين نشيد " آتون العظيم " المسجل على الجدار الغربى من مقبرة " آى " بالعمارنه و المزمور ١٠٤ من مزامير داود :

" عندما تغرب الشمس فى الأفق الغربى ،

يغرق الكون فى الظلمات و كأنه مات .

و ينام الناس فى المضاجع و قد لفوا رؤوسهم ،

فلا يرى المرء اخاه .

ويمكن أن تسرق كل ما وضعوه من أمتعة تحت رؤوسهم ، دون أن يلحظوا ذلك !

والسباع خرجت من عرينها ،

و مختلف الزواحف تلدغ .

و يغلف الظلام كل شىء و يرقد العالم فى سكون .

فالذى خلقهم يستريح فى أفاقه .

و عند الفجر ، عندما تشرق فى الأفق ،

و تتألق كقرص الشمس أثناء النهار ،

فتبدد الظلمات و تنشر أشعتك ،

عندئذ تعم الأعياد الأرضين ،

و يستيقظ الناس و يقفون على أقدامهم .

لقد نهضوا بفضلك أنت !

و اذ يطهرون أجسادهم و يرتدون ملابسهم

يرفعون سواعدهم ابتهاالا لشروقك .

والكون بأسره يدب فيه النشاط و يعمل.

و الماشية راضية بمروجها .
 و الأشجار و الأعشاب نضرت و اخضرت .
 و الطيور ترفرف بعيدا عن أعشاشها .
 فتنشر أجنحتها و تسبح لك .
 و تقفز المواشى على أقدامها .
 وسائر الطيور و سائر الدواب ،
 تحيا جميعها عندما تشرق من أجلها .
 و تبحر السفن نزولا و صعودا .
 و الطرق غدت مفتوحة بعد ظهورك .
 وعلى سطح النهر تقفز الأسماك فى حضرتك:
 لأن اشعتك تنفذ إلى أعماق البحر شديد الاخضرار .
 و بفضلك تنمو بذرة الحياة فى النساء ،
 ياخالق النطفة فى الرجال ،
 أنت تُحيى الطفل فى بطن أمه ،
 أنت الذى يهدىء من روعه بما يوقف دموعه ،
 إنك " مربية " من لا يزال فى بطن أمه ،
 إنك واهب نسيم الحياة لكل خلائقك ،
 عند خروجها من الرحم لتتنفس يوم مولدها ،
 فتفتح فمها و قدمها بكل احتياجاتها .
 وبينما لا يزال الفرخ يزقزق فى بيضته
 تمده بالنسمة الداخلية التى تبث فيه الحياة .
 لقد حددت له اللحظة التى يحطم فيها غلاف البيضة من الداخل
 فيخرج منها مزقزقا فى الزمن المحدد ،
 ليسعى على قدميه لحظة خروجه (...) .
 ▪ (Daumas : 1965 , 322 - 323)

وفى ظل الأسرة التاسعة عشرة سوف يستعيد الملك شخصيا هذه الآليات ليجمع فى شخصه مختلف أوجه الخالق . وتكمن أصالة إخناتون فى أنه يبلور سائر هذه الجوانب فى وحدة شملها قرص الشمس كمظهر حسى للخالق . كما أنه فى متناول البشر من كل حذب و صوب . ونجح " إخناتون " فى عرض صورة يسهل إدراكها مع تجنب الوسائل غير المباشرة التى تعتمد على كهنوت متخصص كحلقة بين البشر وبين الإله وبعيدة عن كل فهم وإدراك . فـ " آتون " إله يمكن مشاهدته مشاهدة حقيقية بكل معنى الكلمة على عكس " آمون " الإله " الخفى " .

وبقى إرساء أسس التناظر الذى يستند اليه تفويض قدرات الخالق إلى الملك . فقد جعل إخناتون من قرص (الشمس) فرعونا سماويا . فسجل اسمه داخل الخراطوش الملكى (الإطار الملكى) شأن اسمه الخاص . أن القاب " آتون " واضحة جلية . إنه " رع حور اختى المتجلى فى الأفق " و " باسمه شو الذى هو فى قرص (الشمس) " . فقرص الشمس شكل من أشكال الخالق على غرار الملك الذى يعتبر كُفأه الأرضى . انه الارتداد إلى نهج الأcnوم التقليدى بعد إدخال تغييرات طفيفة عليه . كما أخذ آتون على عاتقه مسئولية الموتى . وهو ما يبدو منطقيا بالنظر إلى قيامه بسائر أدوار الشمس الخالقة . ومع ذلك فقد ظل أوزيريس يتبوأ مكان الصدارة حتى وسط افراد العائلة المالكة . وتشهد على ذلك التماثيل الأوزيرية الشامخة التى تصور الملك . ومع ذلك فقد توارت الشعائر التقليدية بعض الشيء .

وانعدم تقريبا الأثر الذى تركه هذا الإصلاح على جموع الشعب ، وذلك لسببين : الأول سرعة اعتكاف البلاط الملكى فى " آخت آتون " . كما لم تسنح الفرصة ليقف الشعب على الطقوس الجديدة ، إذا استبعدنا منشآت الكرنك . أما السبب الثانى فأشد عمقا ، و هو تعارض هذه العبادة مع التكوينات الهيكلية للمجتمع . اذ ظلت الجماهير الشعبية مرتبطة بالقواعد الدينية التقليدية . بل لقد تم الكشف عن ابتهالات للإله آمون فى قرية العمال بتل العمارنه ! أما أدنى الفئات الاجتماعية فلا ينبغي المغالاة فى مدى معرفتها بهذه الديانة و بأسرار السلطة التى ظلت حبيسة فى المعبد والقصور . و جاء تصاعد التقوى الشعبية و انتشارها فى ظل الدولة الحديثة ليكشف عن اهتمامات بدائية بسيطة و قدر ضئيل من الاهتمامات الميتافيزيقية لدى عامة الناس . وعلى كل حال فإن الصورة العامة لإخناتون ليست على هذا القدر من الأصالة التى اعتادت الروايات التقليدية المعاصرة أن ترسمها له . فقد أبقى على أبهة التراكيب اللفظية والصيغ البيانية

التي ارتبطت بأسلافه . كما شاع أنه ملك مسالم ، نظرا لأنه لم يشارك فى المعارك التي هزت الشرق الأدنى فى عهده . ومع ذلك فقد صور نفسه وهو يبىد أعداء المهزومين . و لم تظهر هذه الصور على التصاوير التي نهجت أسلوبا كلا سيكيا كواجهة الصرح الثالث بالكرك فحسب ، بل ظهرت أيضا على سطوح " الثلاثات " حيث تشاهد " نفرتيتى " وهى ترفع الدبوس " حج " على رؤوس الأعداء المهزومين (Hall : 1986 , fig36 - 40) . كما لم تمس " ثورته " الجهاز الإدارى الذى ظل على وضعه مع بقاء معظم الموظفين فى مناصبهم . وعلى الصعيد السياسى وطدت " الثورة " الحكم المطلق الثيوقراطى . فالملك هو " فتى آتون الجميل " والوسيط الحتمى بين البشر وقرص الشمس . وبوصفه وسيطا أدى له رجال الدولة العبادات وصوروا ذلك فى مدخل مقابرهم . إن تخصيص عبادة للملك قلل من أهمية الآلهة الأخرى . فلم ينبق لهم سوى دور هامشى . و لكن واقع ارتباط مصير رجال البلاط بعد الموت بمصير مليكهم إنما يعنى العودة إلى الأصول الأولى . كما يتفق مع نزعة التنقيب عن الماضى التي كانت قسمة من قسمة عصر " أمنحوتب " الثالث ، شأنه شأن أسلافه . ونذكر على سبيل المثال : البحث عن الحوليات القديمة وعن قبر " أوزيريس " فى أبيدوس الخ

وتركت حركة الإصلاح أثرها الواضح فى مجال الاقتصاد والفن بخاصة . لقد أغلق إخناتون بعض المعابد أو حدد على الأقل أوجه نشاطها . وضم ممتلكات الكهنوت إلى أملاك التاج . وترتب على ذلك أولا تزايد المركزية الإدارية و سلطتها التنفيذية المتمثلة فى الجيش . وجاء وقف العمل بالقضاء المحلى ليضع العراقيل أمام عمل الجهاز الإدارى فتفشى الفساد و المحسوبية مما دفع " حور محب " إلى التصدى لهما فى وقت لاحق . لقد جاء تشييد العاصمة و المعابد الجديدة على حساب الاقتصاد بصفة عامة ، والاقتصاد الإلهى بصفه خاصة . صحيح أن نظام الأملاك الإلهية يقوض أسس كل سياسة تنزع إلى توطيد أركان مركزية الإدارة . ولكن التخلى عنه يقضى على شبكة متكاملة من الإنتاج وإعادة التوزيع فى غياب هياكل جديدة بديلة .

ومن ناحية أخرى تركت " الآتونية " فى الفنون والآداب بصمات أكثر عمقا ، واستمر تأثيرها إلى حد ما مدة اطول . ففى مجال الأدب لم تحدث تغييرات جذرية إذ تعليم الفنون الأدبية التقليدية ، وظل تلاميذ المدارس يدرسون قصة سنوهى . ولكن الفضل يرجع للأيدىولوجية الجديدة فى الانتشار المتزايد لروح الحرية التي عمت الأعمال المعاصرة ، وبرزت على وجه الخصوص فى مجال الشعر كالأناشيد و الترانيم الإلهية و الملكية .

فأرعى الشاعر العنان للإبداع الفنى . وسوف نلتقى مع جانب من هذه الروح الإبداعية التى تتصف بمزيد من التلقائية عن ذى قبل فى الأعمال التاريخية فى عصر الرعامسة . إن السمة البارزة لما أدخل من إصلاحات على الفنون الأدبية هو انتقال لغة الحديث إلى النصوص الرسمية . لقد سادت فى الماضى النزعة المحافظة فى مدارس الدولة ، فحافظت على لغة الدولة الوسطى التى تعرف باللغة " الكلاسيكية " وأبقتها على حالها . أما إخناتون فقد أدخل لغة الحياة اليومية إلى أمهات الأعمال الأدبية التى تناولت موضوعاتها بأسلوب أقرب إلى اللغة القبطية منه إلى لغة "متون الاهرام " بفضل تطعيمها باللهجات الشعبية والاقتباسات الأجنبية .

لقد نهل الانفتاح الأدبى من نفس الروح التى نهل منها الفن ، و لكن دون أن يصل إلى تجاوزه . ولقد سبق أن لاحظنا أن المثالية الرسمية أخذت تتراجع منذ عهد أمنمحات الثالث لتفسح الطريق أمام نوع من الواقعية ، أكثر حسية ، ولا تتردد فى إبراز ملامح الجسد باستخدام أساليب تقنية نذكر منها على سبيل المثال " الأردية ذات الثنايا اللينة " . كما يظهر هذا السخاء المفرط فى معالجة الأحجار فى فن الرسم . فالخطوط أقل صرامة واستخدام الألوان أكثر ليونة . كما تطورت " الموضة " لتتمشى أكثر مع " العصر " ، فظهرت طرز حديثة لتصفيف الشعر وأزياء جديدة ، إلى جانب الاهتمام ببعض التفاصيل البسيطة فى أساليب التصوير : كاحتواء المحجر للعين والخطوط الانسيابية التى قدمت لنا العيون " اللوزية الشكل " التى اشتهر بها " إخناتون " . كما نلاحظ ثنايا الرقبة والأذان المثقوبة الخ وعلى كل حال لم تلق هذه التغييرات إجماعا عاما ، فمقبرة الوزير " رع مس " على سبيل المثال (TT 55) من أجمل مقابر الشيخ عبد القرنه ، وهى مثال حى للأسلوب الكلاسيكى . وتعرف برشاقة خطوطها الفائقة .

ومنذ العام الثانى من حكمه دفع إخناتون هذا الاتجاه إلى مزيد من المغالاة فيما يخصه هو وعائلته ، وأسرف فى الواقعية إلى حد أنها قاربت الكاريكاتير . واتخذ بروز ملامح الوجه وهبوط البشرة مظهرا مَرَضِيَا شديدا للوضوح فى التماثيل الأوزيرية التى نحتها المثال " باك " لسيده . ويميل البعض إلى تفسير انتفاخ بطن هذه التماثيل بأنه تجسيد لما أصاب جثة " أوزيريس " من فساد بفعل السائل المفاوى . وعلى مر السنين أخذت الخطوط تفقد الكثير من حدتها وإن ظلت تتجاوز الحدود التى أقرتها التقاليد المتوارثة التى بقيت مع ذلك حافظة على أساليبها وقواعدها وظهت



شكل (٩٣) - تمثال لأمعنوتب الثالث بدون رأس.

من السريتين . الارتفاع ٢٣ سم MMA.30.80.74



شكل (٩٢) - الإلهة سخمت جالسة . الكرنك

من حجر الديوريت الارتفاع ٢٤٦ سم متحف اللوفر A8

موضوعات جديدة . ولكن الصورة التي تمثل أفراد العائلة ظلت قاسما مشتركا بين كل المشاهد لاسيما مشاهد العبادات . (شكل ٩٤) ولا يتضمن الموضوع جديدا اللهم إلا استخدام مشاهد من " الحياة اليومية " مضفية على التصاوير مسحة إنسانية قوية . فنشاهد الأشخاص في أوضاع و مواقف تصبو إلى بساطة ما هو طبيعي و تترك انطبعا بالخصوصية . وما حدث هنا أشبه بالأساليب التي اتبعت مع انفتاح الأدب الرسمي على اللغة العامة الوطنية . إنه نزعة إلى تبسيط الشكل مع التخفيف من حدة خطوطه الأساسية . وتراجع دور هذه الخطوط في إبراز حدود الشكل ، وأصبحت السيمتريّة في الفن أكثر خفاء . وظهر المنظور الزائف ، وانفتح المجال أمام التعبير عن العواطف ، فانطلقت دون قيد بعد أن تداعت الحدود الصارمة . وزحف فن الحياة اليومية والموضوعات الطبيعية ليشمل التصاوير التقليدية التي تشبعت بالنضارة وببساطة التعبير الجياش بقدر



شكل (٩٤) - العائلة المالكة في تل العمارنة
تقدم القرابين لقرص الشمس. كتلة من الألبستر من تل العمارنة: (البهو الرئيسى بالقصر الكبير)
الارتفاع ١٠٥ سم متحف القاهرة. T30/10/26/12

شكل (٩٦) - تمثال أوزيرى ضخمة لإخناتون.
من شرق الكرنك. من الحجر الرملى الارتفاع .
٣١سم متحف القاهرة. JE 49528



شكل (٩٥) - الملكة "تى".
رأس عشر عليه فى الفيوم. من الأبنوس الارتفاع ٩٥ سم Berlin . 21834



شكل (٩٧) - رأس غير كامل لنفرتيتى.
من تل العمارنة من حجر الكوارتزيت الارتفاع ٣٣سم. متحف القاهرة JE 59286

مافقدت من إتقان للأساليب الفنية . وشاعت فى أواخر عهد " أخناتون " الدراسات الفنية نقلاً عن الطبيعة . فصممت بأسلوب هادىء يتسم بالصفاء . وقد تم الكشف فى موقع العمارنة ، فى مرسوم النحات " تحوتمس " ، عن العديد من الرسومات الأولية وقوالب وصور شخصية لأفراد العائلة المالكة . نذكر منها على سبيل المثال رأس نفرتيتى الذائع الصيت والموجود حالياً فى متحف برلين . وتعتبر هذه الصور (شكل ٩٩) عن مدى تحكم الفنان فى فنه وعن مشاعره المرفهة وتخلصه كلية من الجنوح إلى المبالغة الذى ساد السنوات الأولى من عهد " أخناتون " ، وسيترك هذا المناخ الفنى أثره على الإنتاج الفنى اللاحق . إن فن المرحلة التى تغطى نهاية الأسرة الثامنة عشرة وبدايات الأسرة التاسعة عشرة قد احتفظ بالانطباع الحسى للكتلة ورقة الخطوط ورشاقتها (شكل ١٠٠) وهو مايمكن التعرف عليه فى إنتاج عصر سبتى الأول على وجه الخصوص . .

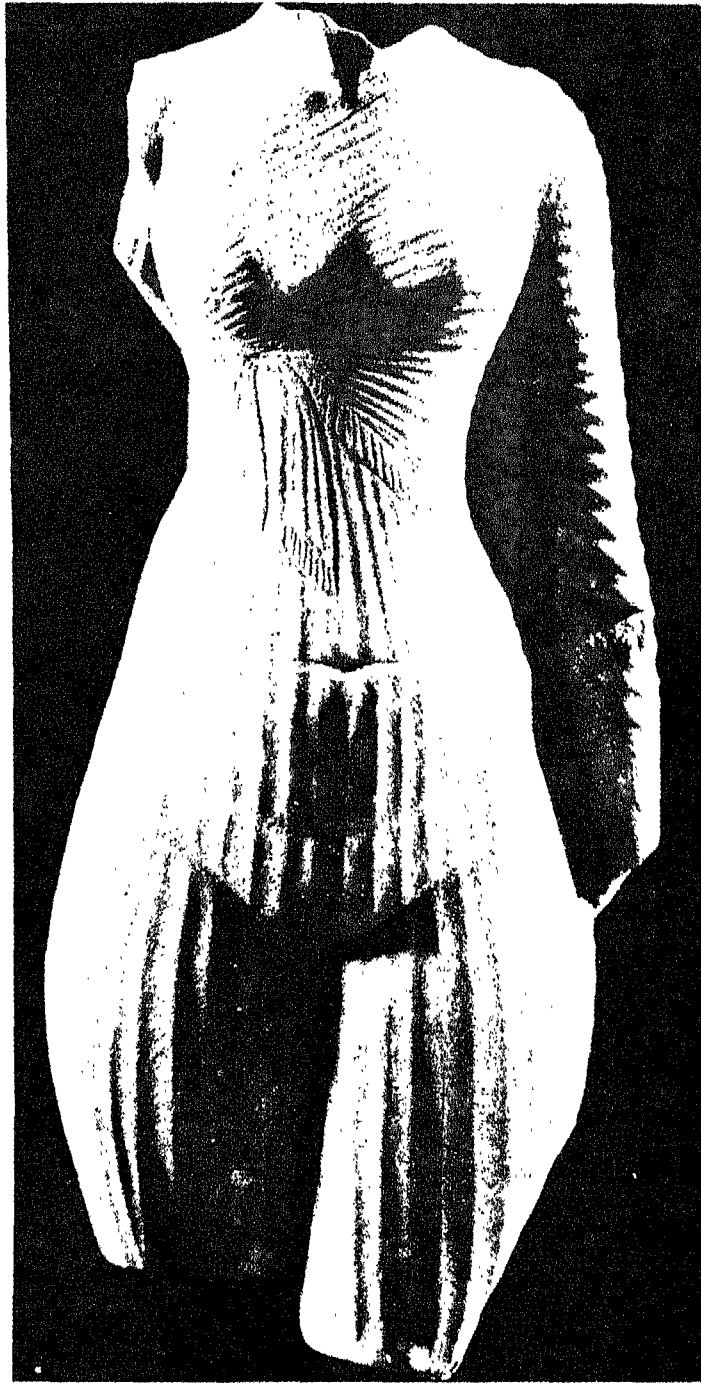


شكل (٩٨) - إخناتون ونفرتيتي

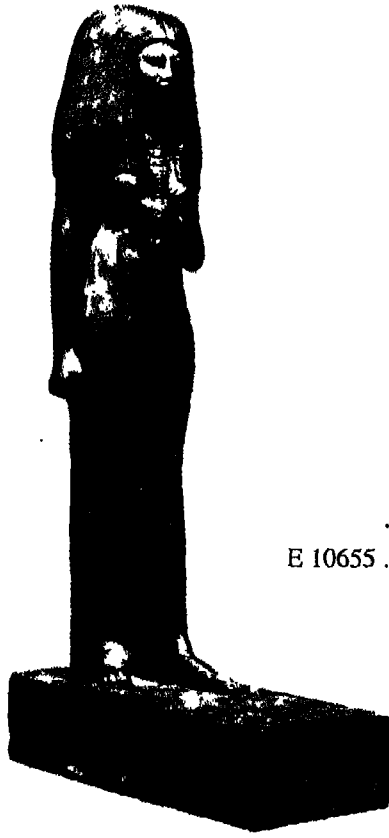
حجر جيري ملون الارتفاع ٢٢ر٥ سم متحف اللوفر E 15593

العائلة المالكة

جاء إنشاء المدينة والانتقال إليها فيما بين العام الخامس والعام السادس من حكم " إخناتون " وهو تاريخ احتفال العائلة المالكة بالذكرى الثانية لاختيار هذا الموقع وتكريس أحد عشر لوح حدود في البر الغربى لمناسبة قيامها بزيارة رسمية للمدينة . ويحدد نص الألواح بكل دقة أبعاد هذه الأملاك ويعلم الالتزام بعدم زيادة حدودها ، ويقسم على ذلك . لم يقصد الملك بهذا التعهد سوى رسم حدود أملاك المدينة الجديدة . وقد فهم البعض خطأ على أنه تصميم على عدم مغادرة " أفق آتون " من الآن فصاعداً . وفى العام الثامن من حكمه أمر الملك بحفر ألواح حدود المجموعة الثانية ، وأقام فى العام الثانى عشر من حكمه احتفالات مهيبه على النمط التقليدى بما

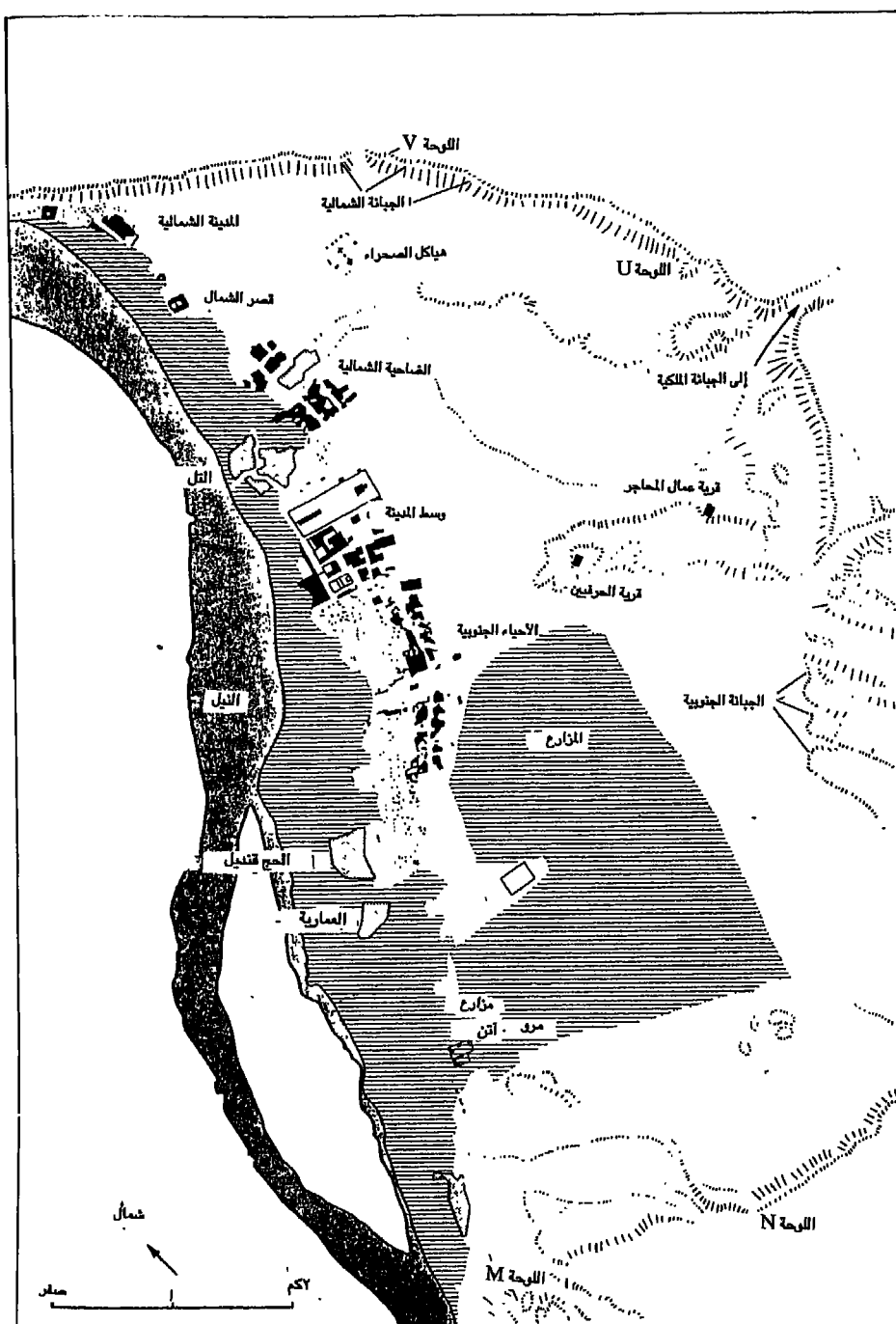


شكل (٩٩) - جذع أميرة من تل العمارنة حجر الكوارتزيت الارتفاع ٢٩سم. متحف اللوفر E 25409



شكل (١٠٠) - السيدة "توى" واقفة .
من الخشب الارتفاع ٣٤سم. بداية الأسرة ١٩ متحف اللوفر . E 10655

يتضمنه من تقديم الجزية الواردة من البلدان التابعة . وقد صورت هذه المناظر فى مقبرتى " مرى رع " الثانى و " حوى " فى جبانة تل العمارنة . وفى نفس السنة قامت الملكة " تى " وبصحبتها الأميرة " باكت آتون " بزيارة بلاط تل العمارنة ، حيث استقر مقامها . وكان تفسير البعض لهذه الاحتفالات واقامة الملكة الأم إلى جوار ابنها دليلاً على أن إختاتون لم يحكم بمفرده إلا اعتباراً من هذا التاريخ . ومن الصعب تقييم هذا البرهان .. وتوفيت فى نفس هذه السنة " مكت آتون " وهى إحدى بناته الست .. ومن المحتمل أن الدور الذى لعبته " نفرتيتى " أخذ يتراجع بعد العام الثانى عشر . بل يبدو أنها انفصلت عن زوجها استناداً إلى ظهور " مريت آتون " إحدى بناتها فى الاحتفالات الرسمية بجوار الملك بدلاً منها . ويظل هذا الانفصال الظاهر مثيراً للجدل . فهل كانت وراءه أسباب سياسية ؟ ولم تغادر " نفرتيتى " المدينة ، فقد خصص لها مدفن فى جبانة المدينة . ولكنها عاشت فى عزلة حتى وفاتها فى العام الرابع عشر على ما يبدو . ويسود الغموض السنوات الثلاثة الأخيرة من حكم " إختاتون " . فقد



شكل (١٠١) - خريطة لتل العمارنة. البر الشرقي .

وقعت البلاد فريسة الاضطهادات المعادية " لآمون " التى تظهر فى المقام الأول فى حملة تهشيم وكشط أسماء الإله وإزالتها من على سطوح جميع المباني والمنشآت . وسوف يلقي " إخناتون " وإلهه نفس المصير بعد عدة سنوات عندما أخذ القوم يحطمون أسماءهما .

واستند البعض إلى مشهد من مقبرة " مرى رع " ، يرجع إلى العام الثانى عشر من حكم " إخناتون " ويصوره وجهاً لوجه مع " سمنخ كارع " وزوجته " مريت آتون " ليخلصوا إلى وجود فترة مشاركة فى الحكم بين الملكين . ولم يقدّم الدليل على هذه

المشاركة وإن ظلت أمراً محتملاً ، حيث من المؤكد أن " نفر نفروآتون سمنخ كارع " قد تبوأ عرش البلاد . وتتوسط فترة حكمه عهدهى كل من إخناتون وتوت عنخ آتون . وربما استمر حكمه سنتين . فهل اقتصر حكمه للبلاد على مجرد مشاركة فى الحكم أم أنه حكم البلاد بمفرده لعدة شهور ؟ يصعب القطع برأى فى هذا الموضوع إذ نفتقر إلى المعلومات حول شخصيته ، وما نعرفه عنه متناقض . فهجر موقع العمارنة فى السنوات الأولى من حكم "توت عنخ آتون " الذى خلفه ، قد قلب الأمور رأساً على عقب . لقد دفن إخناتون على الأرجح فى تل العمارنة ولو صورياً . أما جثمان " سمنخ كارع " الذى توفى عن عمر يناهز العشرين فقد عثر عليه فى مقبرة بوادى الملوك مخصصة له (VdR 55) ولكن كل ما فى المقبرة من الأثاث الجنائزى حتى اللفائف التى تضم جثمانه يؤكد أنه قد أعيد دفنه فى هذه المقبرة وربما كان ذلك بعد نقله من تل العمارنة إلى طيبة. كما أنه ليس وحده فى هذه المقبرة إذ تضم رفات أخرى ربما كانت رفات " تى " . ومن ثم يوجد اعتقاد عام بأن جميع أفراد الأسرة المالكة قد تم نقلهم فى عهد "توت عنخ آمون" ، ولم يبق فى جبانة "أخت آتون" سوى التوابيت الحجرية حتى دمرها عمال المحاجر فى عصر الرعامسة.

" أفق آتون "

لا يوجد شيء مؤكد فى تعاقب الملوك الذين خلفوا إخناتون أو الروابط التى جمعتهم بهم على وجه الخصوص . (شكل ٩١) . ومن المرجح أن " سمنخ كارع " ثم " توت عنخ آتون " هما الوريثان الذكران الوحيدان الممكنان ، سواء كانا ابنى عم أو ابنى أخ إخناتون . وقد أكدا شرعيتهما فى التربع على عرش البلاد بأن تزوج كلاهما بإحدى بنات الملك .

وكان " توت عنخ آتون " فى التاسعة من عمره عندما خلف " سمنخ كارع " وتزوج من الأميرة " عنخ إس إن پآتون " . وفى بداية الأمر أقام فى الحى الشمالى

من مدينة " أخت آتون " . وسرعان ما نراه يغادر تل العمارنة لينقل مقره الرسمى إلى منف ويستخدم قصر ملقاة مقرأ ملكياً مؤقتاً فى طيبة . وكان وجود " أخت آتون " يعتمد فى المقام الأول والأخير على إقامة بلاط الملك فيها . وبعد وجود دام قرابة الثلاثين عاما تركها الجميع تقريباً ، ولم يخلف القوم وراءهم إلا ما هو عديم القيمة أو لا يستحق أن ينقل . نذكر على سبيل المثال بقايا نشاط الحرفيين ومرسم الفنان " تحوتس " وأعماله الأولية ونسخة من المراسلات الدبلوماسية أو ما يعرف اصطلاحاً بألواح العمارنة إلخ ومع بداية عصر الرعامسة ترك الموقع مهجوراً تماماً لصالح هرموبوليس على البر الآخر من النهر . وإنكب عمال المحاجر على فك أحجار " الثلاثات " التى شيدت بها المنشآت والمباني لاستخدامها فى مبان جديدة .

وعاد الموقع إلى الصحراء التى ابتلعتة ووقع فى طى النسيان الذى فرضه عليه خلفاء إخناتون . وتولى ولكنسون Wilkinson ولپسيوس استكشاف بعض المقابر المنحوتة فى الصخر . ثم جاء اكتشاف " رسائل العمارنة " عام ١٨٨٧ ليشد انتباه الباحثين إلى العاصمة المنسية . وتولى فلنדרز پترى F.I. Petrie أولى الحفائر فى هذه المنطقة عام ١٨٩١ . فاكشف القصر الملكى ، وأعد مسحاً شاملاً للمنطقة بمساعدة هوارد كارتر H. Carter وكانت حصيلة هذه الحملة امتلاء ١٣٢ صندوقاً وجدت طريقها إلى متحف الأشموليان (بمدينة أكسفورد البريطانية) . وفى عام ١٨٩٣ قام بتنظيف المقابر الصخرية ، وفى عام ١٩٠٢ بدأت جمعية " الكشف الأثرية " فى لندن Egypt Exploration Fund أعمالها فى الموقع . وفى الفترة من ١٩٠٤ إلى ١٩١٤ حصلت جمعية الإستشراق الألمانية Deutsche Orient Gesellschaft على امتياز التنقيب فى المنطقة تحت إشراف لودفيج بورخارت L. Borchardt . وباشرت بالكشف عن الحى الشرقى فى المدينة .

وعثر على مرسم الفنان " تحوتس " وبه عشرون قطعة تمثل الرؤوس الملكية والنماذج والأقنعة ، ومن بين هذه القطع رأس نفرتيتى الذى نقل على جناح السرعة إلى برلين . وبعد الحرب وفى الفترة من ١٩٢١ حتى ١٩٢٦ عكفت " جمعية الكشف الأثرية " على تنظيف المدينة والكشف عنها . ودخل عملها فى سباق مع الزمن خوفاً من لصوص المقابر . فتم الكشف عن قرية الحرفيين مع دراسة الرسومات والمقابر ، وتم تنظيف الجزء الشمالى من المدينة . ومنذ عام ١٩٧٧ عادت جامعة كمبردج تدرس الموقع دراسة منهجية ،

فأجرت مسحا جديدا للمنطقة، وقامت بتنظيف قرية الحرفيين وتسجيلها ودراسة مختلف البقايا الأثرية .

تقع المنطقة الحضرية إلى الشمال من الموقع ، وتضم المعبد الكبير والمقر الرسمي للملك . وإلى الشمال والجنوب توجد ضاحية تفصل بين وسط المدينة والقصر الشمالى وحديقة " مارو آتون " المخصصة للترفيه والصلاة . وتقع قرية العمال فى منتصف الطريق المتجه إلى الجبانة المحفورة فى صخر الجرف .

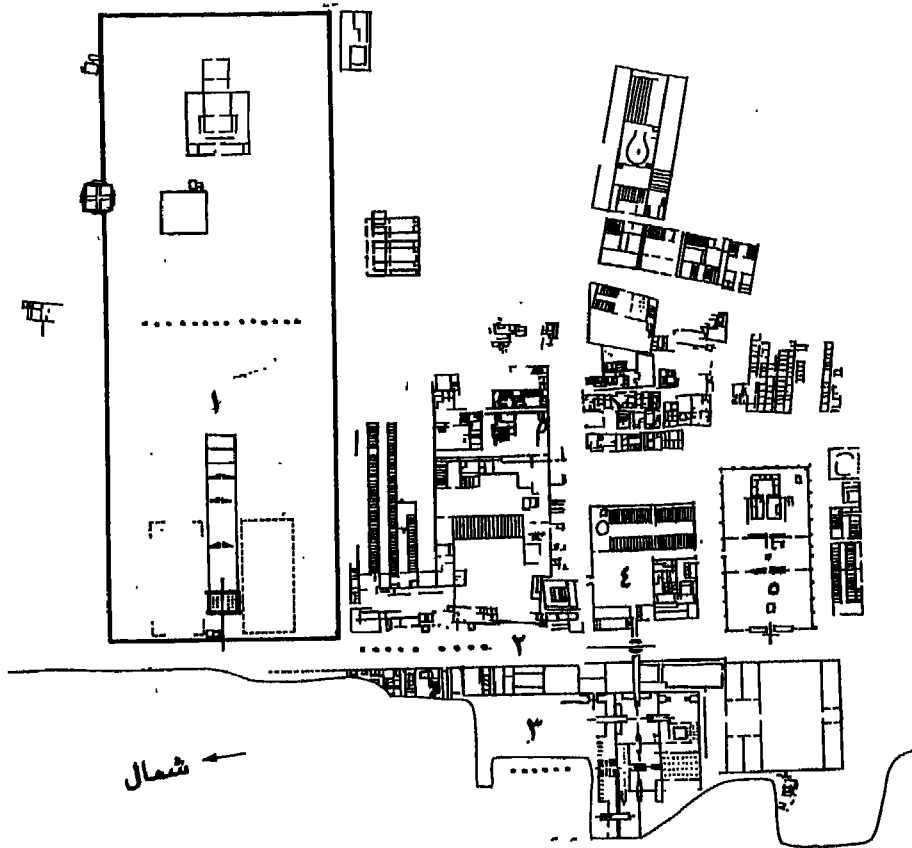
وتمتد المباني لمسافة تسعة كيلو مترات ولايتجاوز عمقها أبداً الكيلو متر الواحد . والمعمار الحضري الوحيد هو القرب من القصر الملكى فلا تفرقة اجتماعية بين أحياء الأثرياء وأحياء الفقراء حيث كانت الحاجة وحدها هى التى تحدد بكل بساطة المكان الذى يقيم فيه المرء . وتغطى المدينة شبكة من الطرق المتقاطعة عمودياً ، فتخترق ثلاث طرق المدينة من الشمال إلى الجنوب وتربطها معاً شوارع تجرى من الشرق إلى الغرب . ويخترق قلب المدينة طريق فسيح يفصل بين القصر والمعبد القائمين على جانبى المقر الملكى الرسمى . ويربط القصر الملكى بالمعبد قنطرة تمتد فوق الطريق وتسهل الانتقال بينهما .

ويمتد القصر على طول الطريق ، ويضم بالترتيب ، من الشمال إلى الجنوب (شكل ١٠٤) محل إقامة عامة الناس (أ) والحريم (ب) قبالة القنطرة التى تمتد فوق الطريق ، والقصر فى حد ذاته (جـ) ثم المخازن (د) وقاعة التتويج (هـ) . ويضم محل إقامة عامة الناس بيوت الخدم وفناء المدخل والمخازن ويربط بينها ممر يفضى إلى بيتى الحريم القائمين على جانبى فناء يمكن الوصول إليه من الشارع مباشرة أو من خلال الفناء الكبير المحفوف بتمائيل ضخمة للملك والملكة ، والذى يطل مباشرة على القصر .

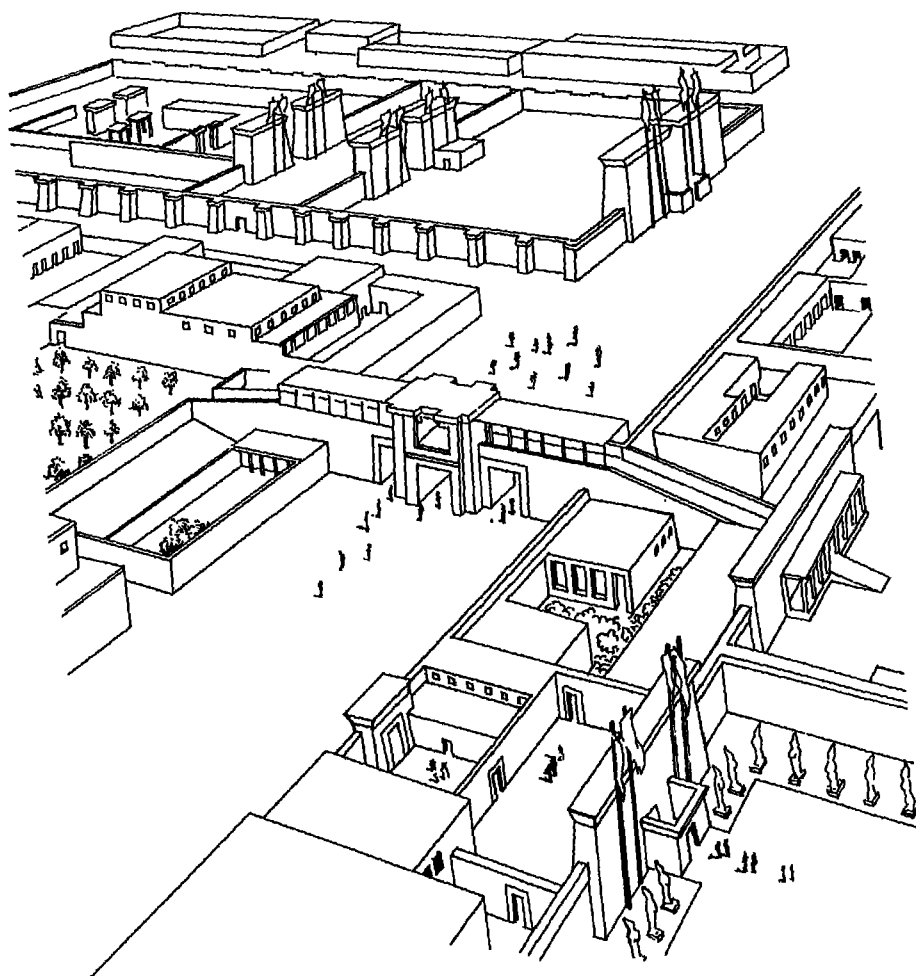
أما تنظيم حريم الشمال فهو على غرار البيوت التقليدية . حيث أقيم صفان من خمس عشرة حجرة على جانبى حديقة غناء تزدان بحوض ماء . وزخرفت الحجرات بمنظر نهر النيل التى تصور منافع الدلتا بحيواناتها ونباتاتها . وكان هناك فناء يفصل بيوت الحريم عن مساكن الخدم الشمالى . وأقيمت فى الجنوب أجنحة سكنية صغيرة تحيط ببهو يحتل وسطها ويمكن الوصول إليه من خلال الحديقة عبر يهو أساطين . وينهض حريم الجنوب على الجانب الآخر من المعبر وأقسامه موزعة على غرار بيت حريم الشمال ولكنه عمودى عليه . وتتميز هاتان المجموعتان السكنيتان بسماط المسكن الخاص بإنغلاقه وعزلته ، بعيداً عن المعابر وأعين المارة مراعاة لخصوصية المكان ونزلاته .

يضم الطرف الجنوبي من القصر عدداً من أبهاء الأساطين ويفضى أكبرها إلى قاعة العرش. أما مايمكن تسميته القصر بالمعنى الدقيق الضيق للكلمة فقد شيد عمودياً على سلسلة المباني السابقة وعلى امتداد محور القنطرة التي تمتد فوق الطريق . إنه بمثابة نقطة عبور بين الفناء الكبير وقاعة العرش وبين النهر والمقر الرسمي للملك على الجانب الآخر من الشارع .

وفى الوسط يوجد فناء يفضى من ناحيته الشمالية إلى جوسق للاستقبال وإلى أحودرين على الجانبين الآخرين ينتهيان بفناءين متماثلين من جهة النهر . ويفضى الفناء ، ناحية المقر الملكي الرسمي ، إلى بهو مركزي فى الجهة الجنوبية. وكان البهو يفضى إلى قاعتين ذاتى صفات موازيتين للفناءين فى وسطهما إما تمثل للملك أو مذبح . كما كان



شكل (١٠٢) - خريطة وسط المدينة



شكل (١٠٣) - منظور لمركز المدينة

البهو يوصل إلى قاعة العرش القائمة فى الجنوب . ويعبر القنطرة كان الملك يصل إلى مقره الرسمى بعد أن يمر أمام مسكن الباب . صحيح أن ترتيب وتنظيم مختلف أقسام المقر الرسمى للملك يختلف بعض الشيء عن بيت الحريم ، إلا أن الفكرة التى حددت خطوطها العريضة واحدة . فيتوسط المبنى حديقة تفضى إلى المخازن فى الجهة الشرقية وإلى المجموعات السكنية فى الجهة الجنوبية . أما مساكن الخدم فهى منفصلة عن مساكن السادة ولا تتصل بها إلا من خلال باب الخدم . وأما الأجنحة الملكية (ب) فلا تتصل بقاعات الاستقبال (١) . وتضم دهليزاً وقاعة كبيرة سقفها محمول على أساطين . وهذه القاعة متصلة بالهيكل العائلى (ج) والأجنحة الخاصة (د) ، أما أجنحة الأميرات فمعزولة .

إن الأمثلة على هذا النوع من محال الإقامة كثيرة ومتعددة . نذكر منها قصر الشمال الذى تنتظم عناصره المعمارية حول حوض ماء يزدان بأقفاص الطيور والسياح . إنه " ترجمة معمارية جرفية لنشيد آتون " (521 , 1968 : Michalowski) . وتوفر فيها جميعاً مظاهر الترف ووسائل الراحة بما يتعارض مع التنظيم الصارم لقرية الحرفيين (شكل ١٠٩) .

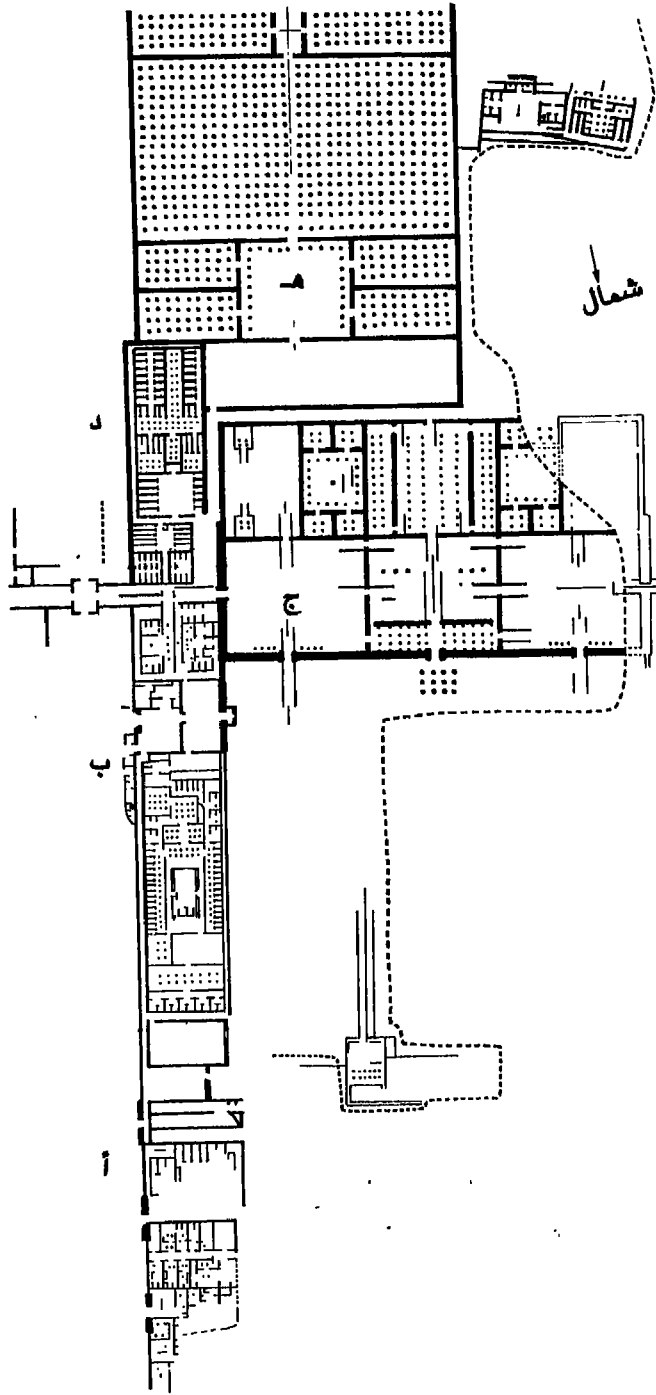
وتصطف المساكن فى نظام دقيق وتخترقها خمسة شوارع من الشمال إلى الجنوب . ويحيط بالقرية سور منيع به بوابة واحدة وضعت عليها الحراسة ، وإلى يمين المدخل شيد منزل أكبر من باقى المنازل ، وقد خصص على ما يبدو للمشرف العام على المدينة . ويتكون المنزل النموذجى من أربع حجرات : الصالة ثم حجرة الاستقبال فالمطبخ فحجرة النوم . وفى بعض الأحوال يوجد سلم للصعود إلى سطح المنزل . أما المعبد (شكل ١١٠) فهو أقرب إلى معابد الشمس التى عرفتها الأسرة الخامسة منه إلى المعابد الكلاسيكية . ومع ذلك يتقدمه صرح منقول من المعابد الكلاسيكية ، يتكون من برجين مبنيين يمثلان الأفق الذى تشرق منه الشمس . ولكن العتب العلوى الذى يربط فى المعتاد بين البرجين مكوناً الباب هو عتب مفروق وفقاً لأسلوب العمارنة المعمارى . ومن ناحية أخرى حلت سلسلة متعاقبة من الأفنية المفتوحة محل التصميم الكلاسيكى الذى ينقل المرء تدريجياً من ضوء النهار إلى أسرار قدس الأقداس .

وقد هدم المعبد ودكت أسواره دكاً بعد أن هجر القوم الموقع . وتوصل العلماء إلى تخطيط المعبد بدراسة خنادق الأساس المغطاة بالجبس ورسم عليها باللون الأسود جميع

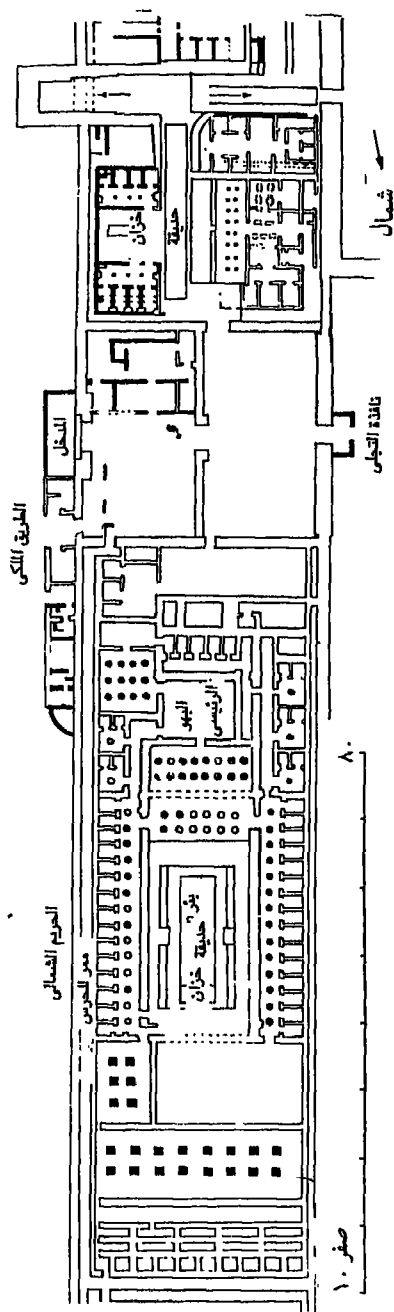
التفاصيل المعمارية للبناء . وبعد الخروج من الصرح نعبر صرحاً ثانياً يفضى إلى " پړخای " وهى مقصورة، توصلنا إلى الفناء الأول من مجموع ستة أفنية . ويشكل الفناء الأخيران قدس الأقداس الحقيقى أو " چم آتون " . وقد شيدت الأفنية الأربعة الأولى على نفس الأسس التخطيطية ، وفى مؤخرة كل فناء باكتتان بينهما احدور محورى يتجه صعوداً ناحية الشرق ، وأقيمت فيهما موائد القرايين . أما الفناء الخامس فتكتنفه الهياكل على امتداد محيطه . وأقيم فيه المذبح الرئيسى على مايعتقد .

انتقام آمون

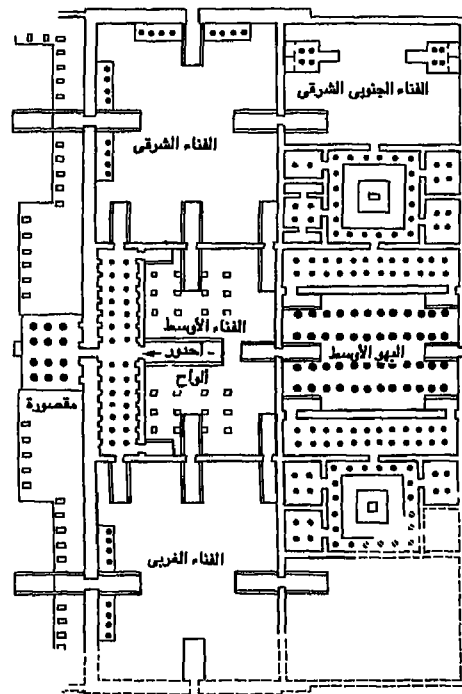
ويعتقد أن العودة إلى عقيدة " آمون " القوية قد حدثت تحت تأثير الأب الإلهى " آى " الذى هدى وسدد خطى " توت عنخ آتون " صاحب مرسوم إحياء العبادات السابقة . ويسهب المرسوم فى الحديث عن الأوضاع المؤسفة التى تردت فيها البلاد بسبب ضلالات أمنحوتب الرابع . ووضع هذا المرسوم فى معبد آمون رع بالكرنك أسفل الصرح الثالث (Urk. IV 2025 - 2032) وبموجب الإجراءات التى أعلنها ، عادت الأوضاع إلى سابق عهدها ، كما كانت قبل اعتلاء أمنحوتب الرابع العرش . فقام أولاً بتغيير اسمه من " توت عنخ آتون " ويعنى " الصورة الحية لآتون " إلى " توت عنخ آمون " ويعنى " الصورة الحية لآمون " . وجهز لنفسه مقبرة على مقربة من مقبرة أمنحوتب الثالث . وأمر بالبدء فى أعمال تشييد معبده الجنائزى فى مدينة هابو لن يتبقى منه سوى قنثال ضخم للملك . . . سوف يغتصبه " حور محب " لنفسه . كما أضاف المبانى إلى معبد الكرنك ، وأتم نحت أسد من حجر الجرانيت فى صولب وهو صنو أسد أمنحوتب الثالث . وإن لم يسعفه الوقت ليقيمه فى مكانه حيث مات بعد تسع سنوات عن عمر يناهز التاسعة عشرة . وكشف فحص موميائه عن جرح فى منطقة الأذن اليسرى مما دفع البعض إلى الاعتقاد بأن وفاته كانت بسبب نزيف فى المخ . وأيا كان السبب وراء وفاته فقد مات فى شرخ الشباب دون أن ينبج ذرية من زوجته " عنخ إس إن آمون " . فهل يمكن اعتبار أن الجنينين الذين عثر عليهما داخل مقبرته هما مولودان ميتان صحبا أباهما إلى العالم الآخر ؟ لقد افترض الكثيرون تفسيرات جريئة لتسليط الضوء على هذا الملك الشاب . فحدث ظروف عصره المأساوية بالبعض ليقرروا له مصيراً رومنسياً ، ودعموا وجهة نظرهم بالحالة التى وجدوا عليها مقبرته (VdR 62) فالوقائع المثيرة التى أحاطت باكتشاف " هوارد كارتر " مقبرة " توت عنخ آمون " ، ألهمت الخيال ، لاسيما بعد أن خرج علماء المصريات إلى الجماهير معلنين أن ما اعتبروه



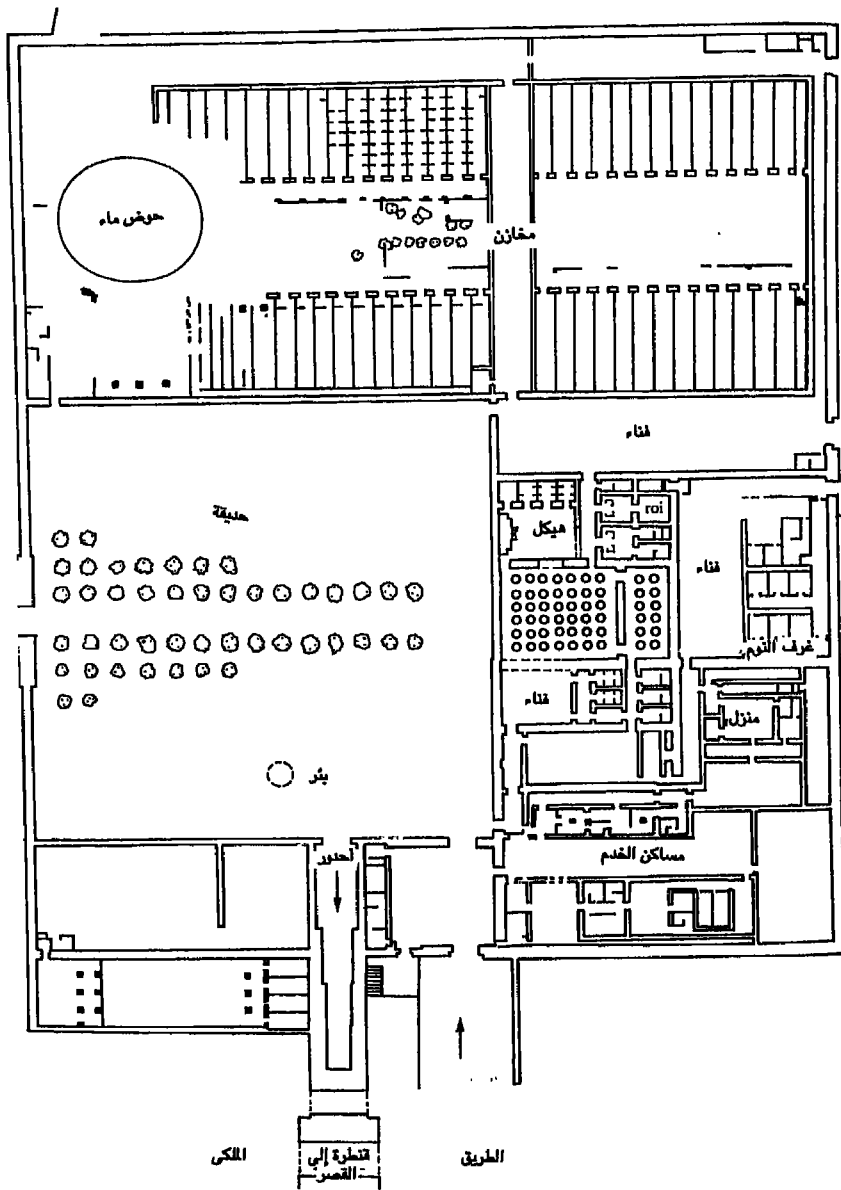
شكل (١٠٤) - مسقط أفقى عام للقصر الكبير بتل العمارنة.



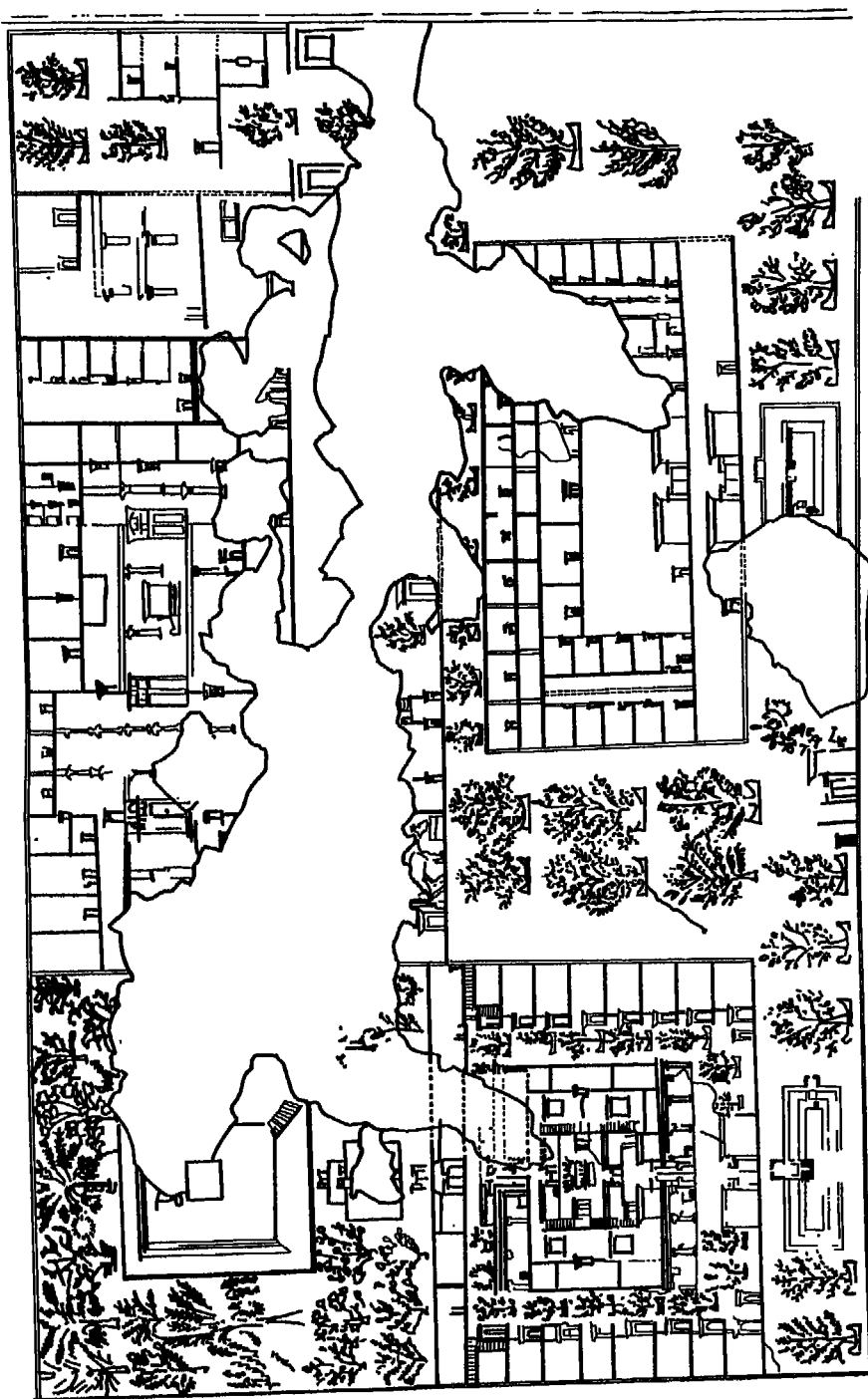
شكل (١٠.٥) - مسقط أفقي للقصر



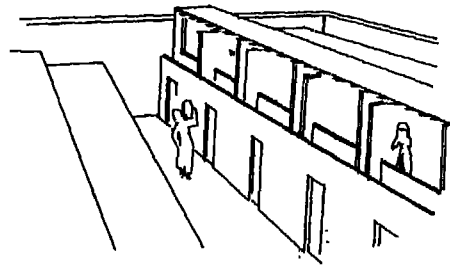
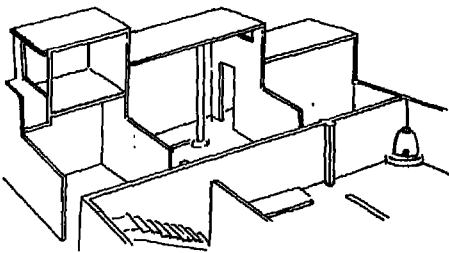
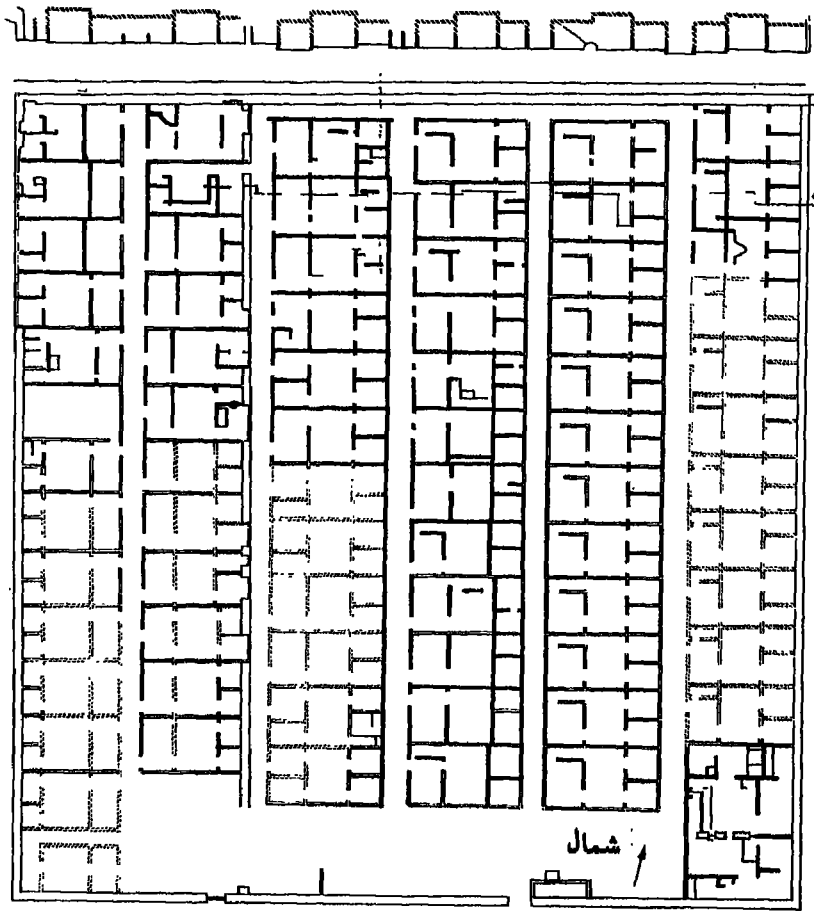
شكل (١٠.٦) - تفصيل بيت الحرم.



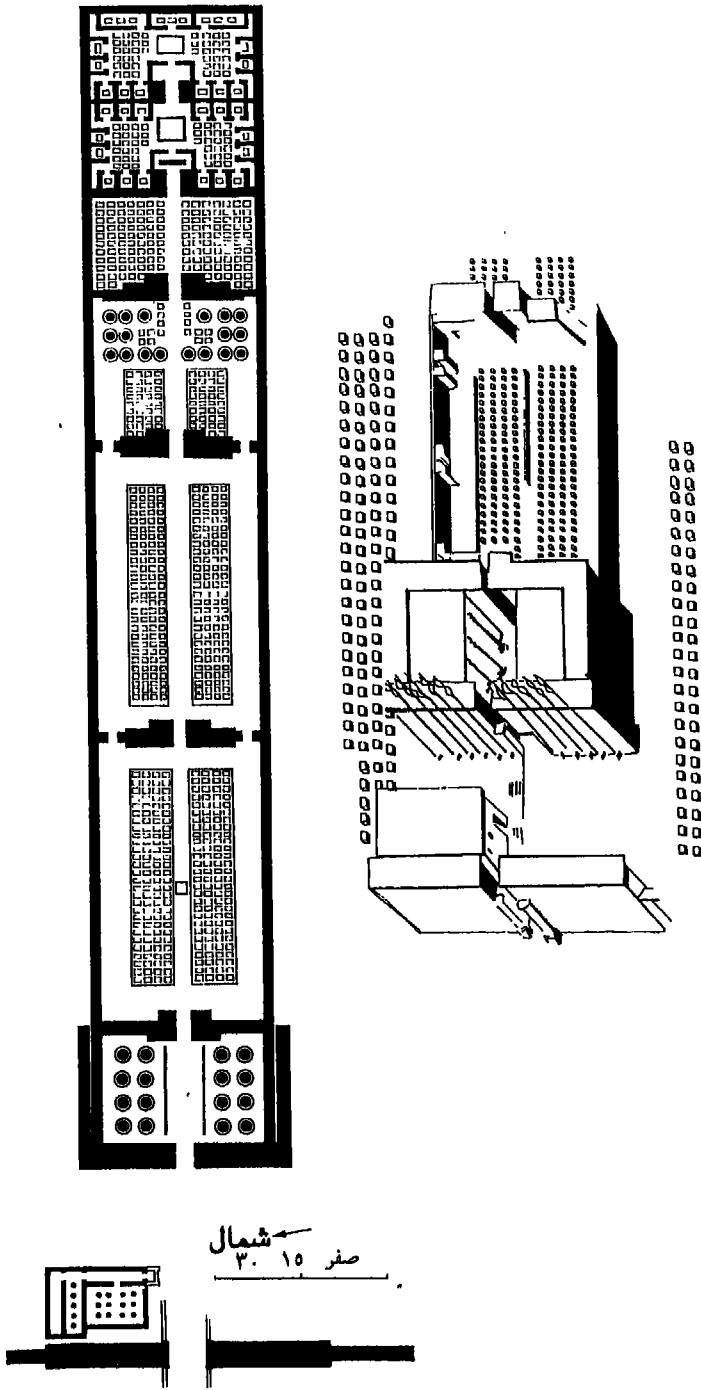
شكل (١٠٧) - مسقط أفقى للمقر الرسمى للملك.



شكل (١٠٨) - الأملاك الملكية كما صورت في مقبرة "مرى رع" الثانى.



شكل (١٠٩) - قرية الحرفيين شرقى المدينة.



شكل (١١٠) - مسقط أفقى ومنظور المعبد الكبير فى تل العمارنة.

شكل (١١١) - المعبد الكبير فى تل العمارنة - نقلا عن المقابر المجاورة.

فى الماضى كنزاً وبذخاً لم يعهد من قبل ، ليس سوى مخلفات جمعت على عجل ، بل وأخذ جانبها الأكبر من سقط متاع سلفى الملك لإعداد دفنة فرعون مغمور ، سلب كل سلطاته ، وقضى حياته كما تصوره ينفق وقته هائماً فى بستان آية فى الإبداع فى صحبة زوجته الشابة .

وجاء موته ليضع نهاية لسلالة " أحمس " . ورفعت أرملة الملك المتوفى توسلاتها إلى " شويلوليوماش " ملك الحيشيين " ورجته أن يرسل أحد أبنائه ليكون زوجاً لها ويصبح فرعون مصر ، فقبل وأرسل الأمير " زنانزاخ " ... ولكنه لم يصل أبداً إلى مصر ! ولم تتحقق وحدة إمبراطورية الحيشيين والإمبراطورية المصرية . وفى مقبرة " توت عنخ آمون " نرى " آى " - وكان وزيراً للملك المتوفى - يقوم بأداء شعيرة فتح فم مومياء الملك . وهى الشعيرة التى كان يضطلع بها - حسب التقاليد المتوارثة - ابن المتوفى ، أى وريث العرش . وهناك سؤال يفرض نفسه : هل تزوجت " عنخ إس إن آمون " من " آى " بعد وفاة زوجها ؟ ولكن أمر هذا الزواج يظل من باب الافتراضات وذلك لضياح كل أثر لـ " عنخ إس إن آمون " بعد وفاة " توت عنخ آمون " ، كما صور " آى " نفسه فى مقبرته فى صحبة زوجته " تى " الثانية . أما عن مدة حكم هذا الأخير فلم تدم سوى أربع سنوات . وبذلك كان أمامه فسحة من الوقت لإضافة بعض المباني فى الكرنك والأقصر وتخصيص معبد صخرى للإله " مين " بأخميم وأن يعد لنفسه معبداً جنائزياً وقصراً ملحقاً به فى مدينة هابو ، سوف يتولى " حور محب " فيما بعد توسيعه . وقد دفن آى فى وادى الملوك على مقربة من مقبرة " أمنحوتب " الثالث فى مقبرة (VdR) (23) ، لم تكن فى الأصل مخصصة له على ما يظن .

فإذا صح أن الحملة التى استعرت نيرانها لتكفير ذكرى الفرعون الضال قد ظلت متأججة منذ عودة العقيدة القويمة ، فلا يمكن الجزم بأن وقائع أحداث العمارنة قد أسدل الستار عليها فى عهد " آى " . أجل فان المشرف السابق على خيالة الملك لم يكن ينتمى إلى السلالة الملكية المنحدرة من أحمس ، ولكن ارتباطات عائلته بالأسرة المالكة كانت من القوة بحيث غدا من الصعب اعتبار عهده قطيعة حاسمة بالماضى . لقد أملت الظروف أن يتقدم الصفوف رجل صفر اليدين ، ليتولى قلب صفحة الماضى دون رجعة . وكما يحدث فى المعتاد فى مثل هذه الظروف ، اضطلع بهذه المهمة رجل من رجالات الجيش هو " حور محب " القائد العام للقوات المسلحة . ولا ينبغى الخلط بينه وبين " پآتون إم حب " القائد العام لقوات أمنحوتب الرابع . واستهل حورمحب حياته السياسية فى عهد " توت

عنخ آمون " فصور نفسه إلى جواره في مقبرته التي أقامها في منف ، بما يعنى أنه صار الناطق بلسان الملك في الشئون الخارجية . وكان مسئولاً عن حملة المساعى بالدبلوماسية لدى حكام النوبة والتي كللت بالنجاح بالزيارة التي قام بها أمير " ميعام " (عنبية) إلى بلاط " توت عنخ آمون " ، وسجلت وقائعها في مقبرة نائب الملك " حوى " . كما كان إلى جانب " توت عنخ آمون " فى " المظاهرة " التي شنها فى فلسطين لإثبات وجود مصر فحسب . وتكشف لنا المصادر المسمارية أن الحثيين قد أغاروا على " أمكا " فى سهل انطاكية شرقى لبنان انتهاكاً لحرمة أراضٍ تحت الهيمنة المصرية . وقد استولى المصريون على " قادش " كتدبير انتقامى . وحرصوا أهل " نوجس " على الثورة ، فاستعادوا سيطرتهم على المنطقة لعدة سنوات ، إلى أن قام " الحثيون " باسترداد " قادش " و " أمكا " فى أعقاب إغتيال " زانزراخ " . وخلال هذا الهجوم أسر " شوبيلوليوماش " المصريين الموجودين فى " أمكا " ، واصطحبهم معه . ولسوء حظه كان من بين الأسرى مرضى مصابون بالطاعون . فلم تمض إلا سنوات قليلة حتى صار الطاعون من الأمراض المستوطنة فى مملكة الحثيين ... فلم يتردد بعضهم فى تفسير ماجرى على أنه علامة من علامات غضب الآلهة على الذين تجرأوا فنقضوا إتفاقية السلام . لذا فبعد أن تولى "مورشيليش" الثانى الحكم فى أعقاب الأحداث التى أشرنا إليها ، أعاد " أمكا " إلى المصريين تكفيراً عن انتهاك الحرمات فى وقت سابق . وطوال عهد حور محب ظلت الحدود ثابتة تقريباً عند الأراضى اللبنانية .

كان حور محب قبل كل شىء المصلح الذى أعاد النظام إلى نصابه . وتشير إلى ذلك مجموعة ألقابه التى تعتبر برنامج عمل . إنه حورس " الثور القوى صاحب القرارات الفطنة " . إن الفعل " سپد " المستخدم هنا هو لفظة متخصصة لوصف " إشاعة النظام " ، وسوف يستخدمه غيره من المشرعين من أمثال أحمس الثانى . ويسير لقب " حورس الذهبى " على هدى لقبه السابق : " الذى يجد رضاه فى ماعت يعمل على تنمية الأرضين " وهنا أيضاً نجد أن الفعل " هرو " الذى ترجمته بلفظة " يرضى " له دلالة قانونية محددة ارتبطت بتنفيذ القانون . والإصلاح يمر بالضرورة عبر إعادة بناء مათهدم . ويشير اسمه " النباتى " إلى هذا المعنى الجديد : " معجزاته العديدة فى الكرنك " ، إذ شهد عصره فى الحقيقة حركة بناء واسعة . فقد أجرى توسعات لحسابه فى معبد " آى " الجنائزى بمدينة هابو ، ونقر فى الصخر معبداً على البر الغربى فى جبل السلسلة ، وآخر فى جبل عدة خصصه للإلهين آمون وتحوت . وتأكيداً على أهمية مدينة منف ، شيد بها

المنشآت داخل حرم معبد پتاح ومعبد هليوبوليس . ولكنه ركز جل اهتمامه على الكرنك ، وهو ما قصده من اختيار لقبه " النبتى " . فبدأ بتشيد بهو الأساطين وأقام ثلاثة صروح ، أولها الصرح الثانى الذى كان الغرض من إقامته رسم حدود بهو الأساطين من الناحية الغربية . وعلى المحور الشمالى الجنوبى شيد الصرحين التاسع والعاشر . وحشا هذه الصروح بأحجار " الثلاثات " التى توفرت له عند هدم معبد آتون شرقى الكرنك . وأقام طريقاً يصل بين الصرح العاشر ومعبد " موت " على جانبيه تماثيل " أبو " الهول برأس كبش . كما أقام أمام الصرح العاشر لوحاً حجرياً سجل عليه المرسوم الذى أصدره لإعادة النظام إلى نصابه فى ربوع البلاد . وحدد فيها التدابير الضرورية لمواجهة التجاوزات التى نشأت بسبب نظام المركزية الذى أخذ به " أمنحوتب " الرابع ، بعد أن اتضح أن المرسوم الذى صدر فى عهد " توت عنخ آمون " لم يكن من القوة بما يكفى للتصدى له ، إذ ظلت المحاكم تجمد نشاطها والفساد متفشياً حتى بعد انهيار النظم التى أقامتها ثورة العمارنة . وبموجب تلك التدابير عين القضاة ، وأقام المحاكم الإقليمية ، وأعاد للقضاء الدينى المحلى اختصاصاته . وتوزعت السلطة القضائية بين الوجه القبلى والوجه البحرى فتقاسمها وزير طيبة ووزير منف . كما انعكست ازدواجية البلاد فى الجيش أيضاً ، فأعيد تنظيم رتبته ووزعت على دائرتين عسكريتين : دائرة الشمال ودائرة الجنوب .

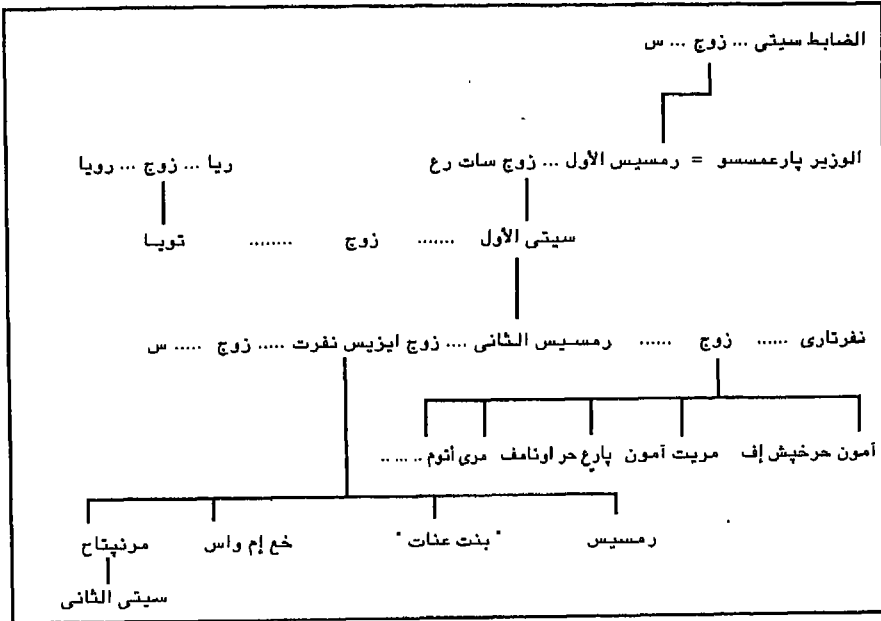
وعند وفاته بعد حكم دام سبعة وعشرين سنة دفن فى المقبرة التى شيدها فى وادى الملوك وليس فى المقبرة التى شيدها لنفسه فى منف أيام إقامة بلاط " توت عنخ آمون " فيها . وتحتفظ مقبرته (VdR 57) ببصمات من عصر العمارنة تتجلى فى غط الأزياء وأسلوبها المميز . كما جاءت بابتكار تقنى ، فأحلت النقش الغائر محل الرسم على الجص والطلاء كما أضيفت موضوعات جديدة ، فضمت المقبرة النسخة الأولى من " كتاب البوابات " وهو من أهم الكتب الملكية الجنائزية فى عصر الرعامسة . وقد بدأ العمل فى المقبرة متأخراً على الأرجح إذ أن نقوشها لم تكتمل .

ولم يترك " حورمحب " على الأرجح وريثاً ذكراً على قيد الحياة عند وفاته ، فنقل السلطة إلى قائد عسكري ينحدر من الدلتا ، سوف يؤسس أسرة جديدة ، هى أسرة الرعامسة .

الفصل الحادى عشر الرعامسة

نسب أسرة الرعامسة وموطنها الأصلي

لا تنتسب عائلة " رمسيس " الأول إلى العائلة المالكة ، بل هى من العسكريين وموطنها الأصلي شرق الدلتا ، وربما كانت منطقة قنطير مسقط رأسها . أما الملك فهو ضابط سابق ، شغل منصب وزير قبل أن يتوج ملكاً ، وكان اسمه " پارعمسسو " أو



شكل (١١٢) - مختصر شجرة أنساب عائلة "رمسيس" الثانى.

"رعمسسو" . ويمكن الافتراض أن " حورمحب " قبل وفاته قد اختاره شريكاً له فى العرش لما كان له من نفوذ سياسى . كما تزوج " رمسيس " من ابنة أحد العسكريين هى " سات رع " ورزق منها ولداً سوف يحمل اسم " سیتی " عند توليه العرش .

إن اسم " حورس الذهبى " الذى اختاره ، هو تعبير عن تصميمه على السير على نهج " حورمحب " ومواصلة مابدأه من أعمال : " فهو الذى يثبت "ماعت" فى ربوع الأرضين . " وفى ذات الوقت عمل مافى وسعه لتأكيد التوجه الجديد للبلاد باختياره

اسماً للعرش ، يبرز ماحظى به الإله رع من علاقة متميزة . فاسم العرش " من بحتى رع " يعنى " ثابتة هى قوة رع " . كما يعبر الاسم الذى عرف به منذ الولادة عن نفس المعنى وهو " رع مسسو " ويعنى " رع هو الذى أنجبه " ، بل إنه مضى قدماً إلى الأمام مؤكداً مقام الصدارة الذى يحتله لاهوت هليوبوليس ، منضوياً تحت شفاعة " آتوم " ، كما تجلّى ذلك فى اسمه " النبتى " : " الذى توج ملكاً ، المختار من " آتوم " . ومن أهم النتائج التى ترتبت على ثورة العمارنة انقطاع الصلة بين السلطة وطيبة وارتباطها بمنف سعيّاً وراء المنابع الأصلية للثيوقراطية من ناحية ، وتجنباً لما يمكن أن يعتبر تدعيماً لمركز كهنة طيبة من ناحية أخرى ، مما قد يؤدى إلى صدام جديد . ولم يقف ذلك حائلاً دون إسهام رمسيس الأول فى برنامج زخرفة الكرنك خلال مدة حكمه القصيرة التى دامت سنتين فحسب . وإن ركز جل جهده فى أبيدوس ، فشيد هيكلاً ومعبدًا صغيراً تكفل ابنه بإستكمالهِ .

وبالنظر إلى قصر مدة حكمه فمن المتعذر تقييم النتائج المباشرة لهذه السياسة تقييماً سليماً . ولكن دراسة مقبرته التى شيدها فى وادى الملوك (وادى ١٦) تشير انطباعاً بحدوث ارتداد إلى الخلف . صحيح أن النقش الوحيد الذى يزخرف المقبرة هو "كتاب البوابات " الذى يقلد النموذج الوارد فى مقبرة " حور محب " ، لكن الأثاث الجنائزى أقرب إلى أسلوب بدايات الأسرة الثامنة عشرة ، منه إلى الأسلوب الذى اشتهر به ابنه .

ولما جلس " سيتى " الأول على عرش البلاد خلفاً لأبيه ، كانت فترة طويلة قد مضت على اشتراكه معه فى الحكم ، ربما ترجع إلى بداية حكمه . كما عينه " رمسيس " الأول فى منصب أشبه بمنصب الوزير والقائد العام المسئول عن السياسة الخارجية . وقد نشأ نظام المشاركة فى الحكم على ما يبدو من اهتمام الرعامسة الشديد بتجنب الوقوع فى مشاكل وراثية العرش التى قضت على الأسرة الثامنة عشرة . ويركز " سيتى " الأول كثيراً على هذه المشاركة ، فتحتل ممارسة شعائر الإبن لوالده مكان الصدارة فى أبيدوس (15 , 114 - 110 KRI - 1) . كما واصل أعمال الإصلاح الداخلية بعد وضعها فى إطارها التاريخى تبريراً لشرعية نسبه الخاص ، فصور نفسه فى معبده الجنائزى بأبيدوس واقفاً فى صحبة ابنه ، وخليفته " رمسيس " الثانى ، متعبداً أمام خراطيش (الأطر الملكية) من سبقوه من فراعين مصر . وتضم القائمة ٧٦ اسماً تبدأ

بالمملك "مينا" لتنتهى عند " سیتی " الأول . كما وضع أسس كتابة التاريخ الرسمى للأسرة الثامنة عشرة وصدر الأسرة التاسعة عشرة . وجاء ترتيب الملوك على النحو التالى : أحمس وأمنحوتب الأول وتحوتمس الأول وتحوتمس الثانى وتحوتمس الثالث وأمنحوتب الثانى وتحوتمس الرابع وأمنحوتب الثالث وحور محب و " رمسيس " الأول . ويلاحظ استبعاد جميع ملوك عصر العمارنة ، تماماً كما تم إزالة أسمائهم من فوق سطوح جميع المنشآت والمباني . ويظل غياب اسم " حتشبسوت " من الأمور البارزة إذ يعتبرها كاتب القائمة معتصبة للعرش رغم كل ما بذلته من جهود . وسوف يعاد استخدام هذه القائمة كما هى ، حتى عهد " رمسيس " الثالث ، ولكن بعد إضافة الملوك الجدد تبعاً .

وحافظ " سیتی " الأول على العلاقة المتميزة التى تربط عائلته بالشمال . فالمرسوم الذى أعلنه فى العام الأول من حكمه (16 , 39 - 7 , 37 - KRI) لصالح معبد بوهن صادر عن منف . وامتلك أيضاً قصراً فى قنطير كما اهتم بطيبة التى ظلت عاصمة البلاد . ويظهر اتجاهه هذا من خلال ما اختاره من ألقاب . إنه حورس " الثور القوى " مُحى الأرضين بعد أن تم تنويجه فى طيبة " . ومع ذلك وسعياً وراء كسب ود المركزين الدينيين ، ذكر بالتناوب ضمن الصفات الملحقه باسمه عند التتويج " من ماعت رع " عبارتي " ملك طيبة " و " ملك هيلوبوليس " . كما أضاف إلى " سیتی " وهو اسمه عند الولادة عبارة " محبوب آمون " أو " محبوب پتاح " .

كما تجلت سياسة التوازن هذه فى إعلاء شأن الإله ست فى أواريس وتشيد (أو إعادة تشيد) معبد رع فى هيلوبوليس . وقد وصلنا نموذج نذرى لهذا المعبد باسم سیتی الأول عثر عليه فى تل اليهودية . وفى الوقت نفسه بدأ تشيد جانب من بهو الأساطين فى الكرنك الذى سيتولى رمسيس الثانى استكمالَه . وشيد أيضاً بهو أساطين فى النوبة لمعبد جبل البركل ، ويرجع نقشه التذكارى إلى العام الحادى عشر من حكمه .

أما أهم منجزات عهده الذى لم يدم سوى أربع عشرة سنة ، فكانت فى مجال السياسة الخارجية . ألم يقع اختياره على كل حال على لقب " ذو الساعد القوى مجدد الولادات وطارد الأقواس التسعة " ليصبح اسمه النبئى ؟ وكانت تركة العمارنة مثقلة بالمشاكل ، رغم استئناف العمليات العسكرية فى آسيا فى عهد حور محب ورمسيس الأول . وقد تم الكشف عن بعض آثارها فى " بيت شان " (بيسان) على مقربة من نهر

الأردن فى ودائع أساسات المعبد الجنائزى الذى شيده سبتى الاول فى أعقاب حملته العسكرية الأولى . ويمكن القول بصفة عامة أن فلسطين بأسرها كانت تكن العداء لمصر التى لم تحتفظ سوى بقلاع " بيت شان " (بيسان) و"رحوب" و " مجدو " .

واتجه إلى آسيا منذ السنة الأولى من حكمه . فانطلق من " زالو" متجها إلى رفح . وأثناء تقدمه اضطر إلى خوض المعارك ضد " الشاسو " المتمركزين عند رفح على ما يظن من أجل السيطرة على الآبار التسع على امتداد الطريق . فاستولى على رفح وغزة فى أرض كنعان . ثم أرسل قوات خاصة إلى " بيت شان " (بيسان) ورحوب بعد أن هاجم المدينتين تحالف من حماة و " پلا " تسانده جماعات العايطرو فى الجبل . وبينما اتجه فيلق رع إلى " بيت شان " (بيسان) تقدم فيلق آمون صوب حماة ، أما فيلق ست فقد سار صوب " ينوعم "، ثم سار المصريون شمالاً فدخلوا عكا وصور وتوغلوا فى لبنان ، وعند العودة استولوا على " پلا " .

استغل سبتى الأول ماحققته هذه الحملة من إنجازات للقيام بحملة أخرى فى العام التالى ليصل إلى قادش . وإذ تم له إقرار السلام مؤقتاً فى بلاد " الأمور " استطاع تنظيم حملة ثالثة ضد الليبيين فى هذه المرة . ولكن نجاح مصر فى إعادة مركزها فى الشرق الأدنى إلى سابق عهده كان يحتاج إلى القيام بحملة رابعة إلى آسيا . ونفتقر إلى التفاصيل حول هذه الحملة ضد الحيثيين . واستطاع المصريون تأمين سيطرتهم على سوريا فامتد نفوذهم إلى الجنوب من قادش التى عادت تلعب دورها كمدينة حدودية . وعقد الملك " مواتالى " اتفاق سلام مع منافسه . ولكن هذا الاتفاق لم يدم طويلاً وإن كان قد سمح لكل طرف بتدعيم قواته .

فلنقترب أكثر من مصر ، ففى شبه جزيرة سيناء عاد النشاط إلى مناجم الفيروز منذ أيام رمسيس الأول . وقد واصل سبتى الأول العمل فيها كما مهد الطرق الموصلة إلى مناجم الذهب فى صحراء إدفو . فقام فى العام التاسع من حكمه بتجهيز آبار وادى المياه ووادى عباد . أما فى النوبة فقد واصل استغلال مناجم وادى العلاقى ، دون أن يصادف أية مقاومة ، إذا استثنينا الحملة التى شنّها لتحجيد " إيريم " والتى سجلها نقش عثر عليه فى قصر إيريم .

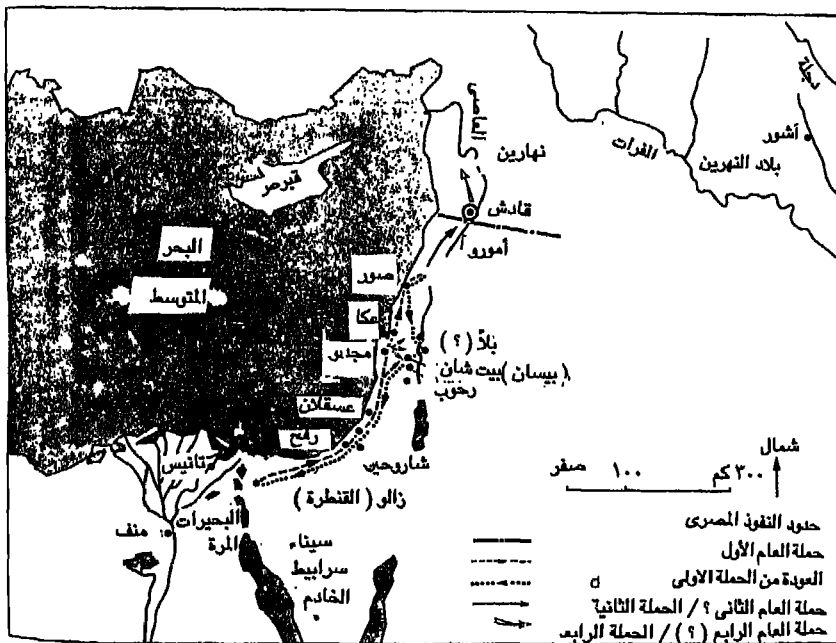
أما مقبرته المنحوتة فى صخر جبل وادى الملوك (وادى ١٧) فهى من أهم المقابر حيث تضم أكبر عدد من الكتب الجنائزية والزخارف . ومن أبرز ما فيها السقف المغطى

بالمناظر الفلكية الرائعة . ومازال أسلوبها المميز قريباً من فن العمارة من حيث رشاقة ورقة التشكيل . وتبرز هاتان السمتان بوضوح فى المعبد الجنائزى الذى شيده الملك فى القرنه . ولكن فى استطاعة المرء أن يتذوق دقة ونعومة فن سيتى الأول فى أبيدوس أكثر من أى مكان آخر حيث شيّد معبداً جنائزياً آخر وأقام على مقربة منه " الأوزيريون " أو قبر " أوزيريس " .

يرجع استخدام هذا الموقع إلى عصر نقادة على أقل تقدير . والشاهد أن أبيدوس ظلت على مر التاريخ من كبريات مدن مصر المقدسة .

وعلى حافة الأرض المنزرعة وإلى الجنوب الشرقى من المدينة جمع سيتى الأول داخل سياج واحد بين مايفترض أنه قبر أوزيريس الذى أعاد تشييده وبين معبده الجنائزى

جاء تخطيط المعبد الجنائزى على شكل حرف L الإفرنجى . بحيث تقع مقصورة قدس الأقداس الرئيسية عمودية على سلسلة الأفنية وأبهاء الأساطين المتعاقبة، وقد شيّد من الحجر الجيري الناعم فوق أساس من الحجر الرملى . وكان ينهض فى الواجهة صرح (١)



شكل (١١٣) - حملات "سيتى" الأول فى الشرق الأدنى.

"رع حور أختي" والرابعة (د) للإله آمون والسادسة (و) للإلهة إيزيس والسابعة (ز) للإله حورس. أما مقصورة الوسط (هـ) فتطل على جناح مكون من ثلاثة هياكل مخصصة للإلهة إيزيس وللملك على هيئة أوزيريس ولإله حورس.

ويتصل القسم الجنوبي من بهو الأساطين الثانى بقاعتين مخصصتين للإلهين "پتاح - سوكر" و"نفر توم" (٨) وممر الحوليات (٩) حيث مشهد سیتی الأول وابنه يتعبدان للخرطيش أو للأطر التي تحتوى أسماء ملوك مصر وهو المشهد الذى سبق أن أشرنا إليه. ومن خلال ممر عمودى (١٠) على الممر السابق يمكن الوصول إلى سلم يفضى إلى سطح المعبد. ومن أهم المنشآت المتبقية قاعة مكرسة لمراكب الشمس (١١) وقاعة للأضاحى (١٢).

وإلى جانب قيمة هذه المناظر الجمالية الفريدة فى بابها، يفصح هذا المعبد عن الفلسفة من إقامة المعبد الجنائزى. فالغرض منه مشاركة الملك المتوفى فى الشعائر التى تقدم للعائلة الإلهية المحلية والتوسع فى قاعدة تحويل التقدّمات بفضل اندماج الملك المتوفى مع إله المدينة. ومما يزيد من دلالة اختيار أبيدوس لهذا الغرض أن أوزيريس هو إلهها المحلى. ومن ثم تصبح مشاركة سیتی الأول لشعائر أوزيريس خير ضامن لاستمرارية ذريته. فهو الأب الأكبر وصاحب الفضل فى غرس البذرة الأولى التى خرج منها من خلفوه من ملوك مصر، تماماً كما أن ذرية حورس قد خرجت من صلب أوزيريس. لهذا السبب شيد "الأوزيريون" غربى معبده، وإن كان من الأصوب القول أنه أعاد تشييده.

و "الأوزيريون" هو مقبرة أوزيريس، وتأسس على ذلك فهو الدفنة النموذجية المثلى التى جاءت غيرها من دفنات المصريين على صورتها. نبدأ بيثر عمقها عشرة أمتار تفضى إلى ممر طويل مبنى من الطوب اللبن والحجر الرملى (١٣) طوله ١١٢ متراً ويتجه من الغرب إلى الشرق، وتغطى الزخارف حوائط الممر. نشاهد فى قسمه الغربى "كتاب مايوجد فى العالم الآخر" و"كتاب البوابات"، وفى القسم الشرقى كتاب "الإمى دوات". ويفضى الممر إلى صالة (١٤) مزينة بكتابات البوابات "و" كتاب الموتى "و" كتاب الكهوف. ثم يخترق الممر ممراً صغيراً ينحدر انحداراً خفيفاً ومزينا أيضاً " بكتاب الموتى " أيضاً، يؤدى إلى صالة صغيرة تفضى إلى حجرة الدفن، وهى قاعة مستطيلة الشكل سقفها مرفوع فوق عشرة أعمدة من الجرانيت الوردى وفى وسطها جزيرة محاطة

بالماء . وحفر تجويفان أحدهما لوضع التابوت والآخر لأواني الأحشاء . ويلتف حول القاعة إفريز يفضى إلى سبع عشرة كوة موزعة على امتداد محيط القاعة . وتقع القاعة الأخيرة شرقاً (١٧) وسقفها من الحجر الرملى الأصفر المنحوت ، وتضم فى قسمها الجنوبى الشرقى نصاً درامياً ، وفى قسمها الشمالى الغربى تصويراً يمثل الإلهة " نوت " وقد رفعها الإله " شو " وأجرام السماء ومسار الشمس ليلاً وبناء المزولة الشمسية و... . قيامة سيسى الأول .

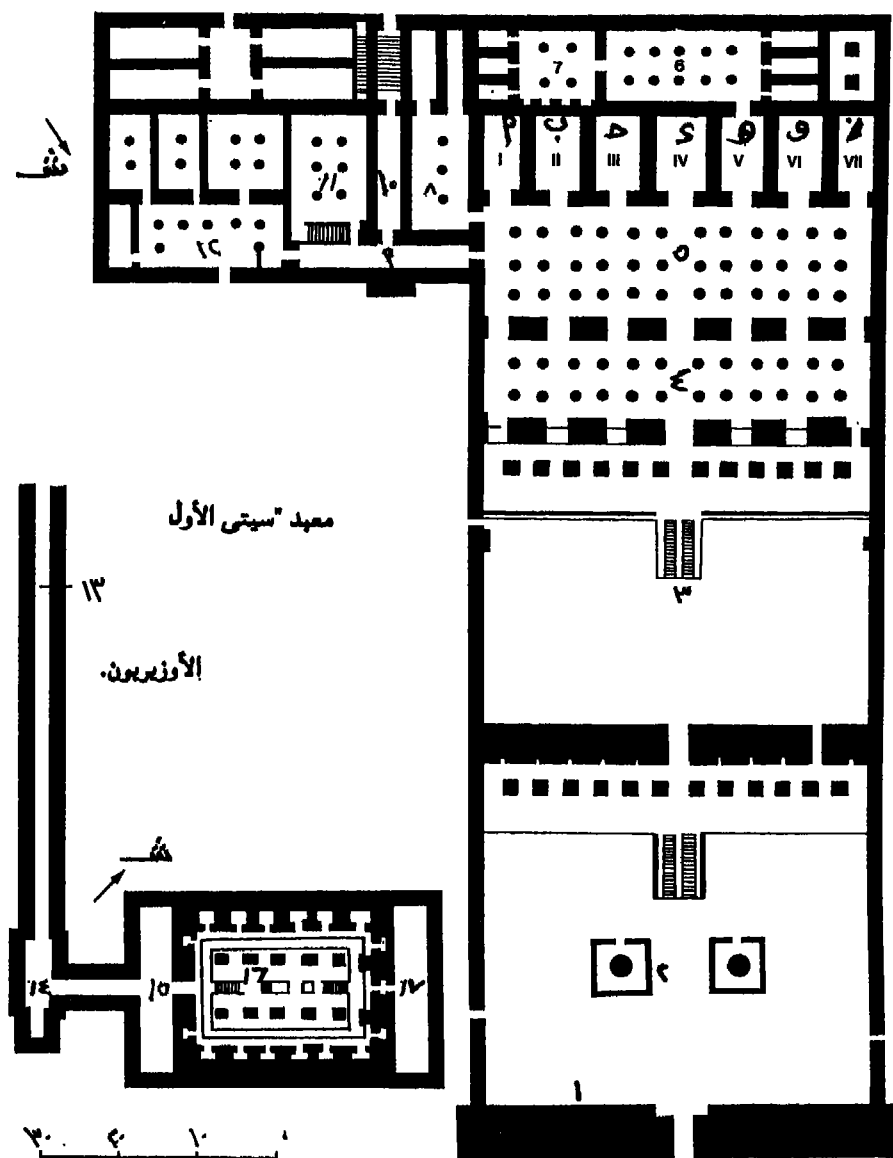
فالمقبرة تخليد لذكرى مصير أوزيريس الجنائزى بعد أن استعادت إيزيس من الأمواه الجسد المنتفخ بالسائل اللمفاوى . لقد انبعث هذا الميلاد الجديد نتيجة الاختمار الذى يعيد إلى الأذهان " أوزيريس رب النباتات " ، فتوضع الحبوب فى وعاء على هيئة الجسد الإلهى لتنبث وتنمو . كما أن حجرة الدفن ، شأنها شأن المعبد ، هى أيضاً رمز مصغر للكون . إنها الأكمة المنبعثة من الخواء الأول . إنها الركيزة التى استخدمها الخالق لبث الحياة فى الكون .

"رمسيس الثانى" والصدام بين المصريين والحيتيين

خلف "رمسيس الثانى" أباه حوالى عام ١٣٠٤ أو عام ١٢٧٩ / ١٢٧٨ . ويرجع هذا الاختلاف إلى اختلاف طريقة حساب تاريخ الشروق الاحتراقى للشعري اليمانية كما ورد فى بردية إيبز Ebers . ورمسيس الثانى هو بالتأكيد من أشهر فراعنة مصر ورمز حضارتها ، شأنه شأن الأهرامات . لقد بلغت أمجاده عنان السماء ، ففاقت أمجاد غيره من الفراعنة وما نعرفه عن عصره لاتضاهيه معارفنا عن غيره من عصور مصر القديمة . فعلى امتداد قرابة سبعة وستين عاماً حكم فيها البلاد ، زخرت مصر بالعمائر التى أقامها فى كل ربوع وادى النيل ، وترك بصمات واضحة فى تاريخ الشرق الأدنى يصعب محوها ، كما كانت شخصيته الفريدة الفذة معلماً بارزاً فى عصر خرج على المؤلف فاشتهر بالمواجهات العنيفة التى احتدمت بين كبرى إمبراطوريات الشرق .

وبحلول العام الثانى من حكمه ، وقبل أن يواجه الحيتيين ، اضطر رمسيس الثانى إلى التصدى لغارة القراصنة " الشردانا " فهزمهم فى معركة بحرية وضمهم إلى جيشه . ولم تبدأ المعارك الحربية إلا فى العام الرابع من حكمه ، فقام بحملته على سوريا .

وسارت هذه الحملة بالمصريين من ثارو (القنطرة) إلى أرض كنعان وصور ثم بيبلوس ، ثم توغلوا شرقاً فى بلاد " الأمورو " وفاجأوا الأمير " بنتشينا " حليف "الحيتيين" ، فقدم لهم فروض الولاء والطاعة ثم عادوا أدراجهم إلى مصر عبر فينيقيا .



شكل (١١٥) - معبد "سیتی الأول الجنائزى والأوزيريون.

التواريخ	مصدر	أمور	ترقيش	الحبيبون	آشور	بابل
١٢٧٩	رسمين الثاني	بنخشينا شفايتلي	انسي تشوب الاول	موراتالي مورشيش الثالث خاتشالي الثالث	اداد نيراري الاول شالمانصر الاول توكلتي نورتا الاول	كاد شمان تورجو كادشمان انليل الثاني كودور أنليل شاجار اكتي شورياش
١٢٧٤ - ١٢٧٥ ١٢٧٠ - ١٢٧١ ١٢٦٧ - ١٢٦٨ ١٢٦٣ - ١٢٦٤ ١٢٦٢ - ١٢٦٣ ١٢٤٩ - ١٢٥٠ ١٢٣٩ - ١٢٤٠ ١٢٣٥ - ١٢٣٦ ١٢٣٣ - ١٢٣٤ ١٢٢٩ - ١٢٣٠ ١٢٢٥ - ١٢٢٦ ١٢١٤ - ١٢١٥	مرينطاج أمون من سيتي الثاني سي پتاج تاورت	سوسجاما		ارنوق انداش الاربع الثالث		
١٢١٢						
١١٩٩ - ١٢٠٢ ١١٩٦ - ١٢٠٢ ١١٩٠ - ١١٩٦ ١١٨٨ - ١١٩٦						

شكل رقم (١١٩) الأسرة الخامسة عشرة ومعاصرها البارزون

وفى العام الثانى انطلق المصريون من " پررمسيس " ، عاصمة البلاد الجديدة الواقعة شرقى الدلتا ، ومروا بأرض كنعان حتى بلغوا الجليل ثم واصلوا سيرهم حتى منابع نهر الأردن ، فيما وراء بحيرة الحولة ، واخترقوا وادى البقاع شرقى لبنان ليتجهوا صوب "كوميدو " . ثم وصلوا إلى قادش التى قدر لها من جديد أن تصبح الأرض التى احتدمت فوقها المواجهة بين الإمبراطوريتين حيث دارت رحى أشهر معارك تاريخ الشرق الأدنى القديم .

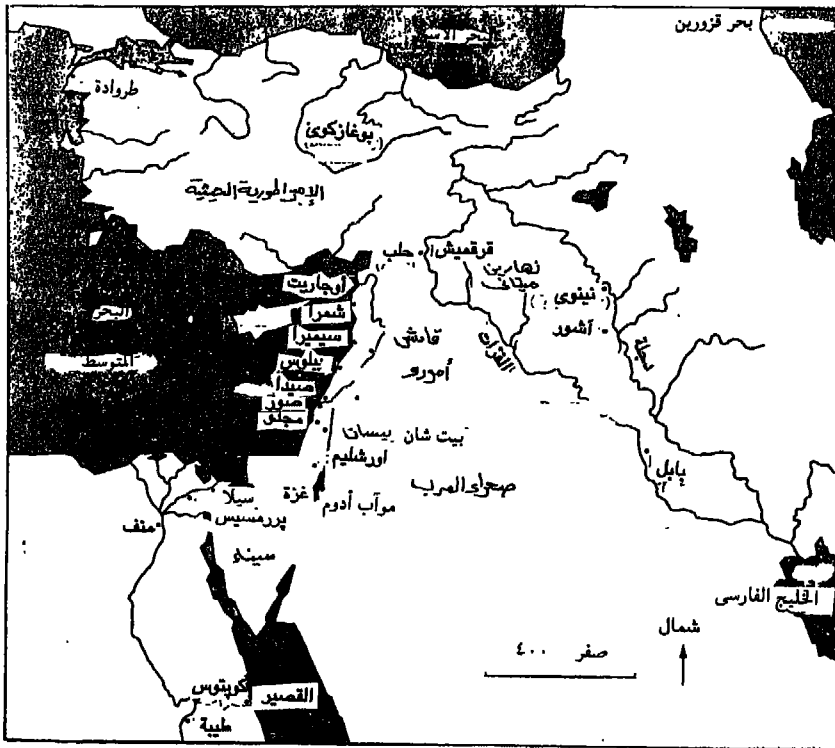
ومعركة قادش فى نظر رمسيس الثانى هى من أعظم المآثر الحربية التى وقعت فى عهده . وسجلت وقائع المعركة مراراً وتكراراً على جدران معابده المختلفة . فدونت على الجدار الخارجى من معبده فى أبيدوس ، وفى ثلاثة مواضع مختلفة من معبد أمون رع بالكرنك : فى الركن الشمالى الغربى من فناء الخبيئة ، والواجهة الغربية من الجدار الغربى من فناء الصرح التاسع ، والنسخة المعاد نقشها على السطح الخارجى من الجدار الجنوبي من بهو الأساطين . كما سجلت مرتين فى معبد الأقصر ، الأولى على سطح البرج الشمالى من صرح المعبد ، والأخرى على جدران الفناء الأمامى . كما دونت على برجى صرح الرامسيوم ، وأخيراً فى معبد أبو سمبل على الجدار الشمالى من القاعة الكبرى . ويمكن أن نضيف إلى ماسبق النسخ المدونة على لفافات البردى ، وهى بردية " ريفات " **Raifé** وبردية سالييه الثانية **Sallier II** * وظهر بردية شيلستر بيتى الثالثة **Chester Beaty III** . وهكذا يمكن القول أن عدد ماوصلنا من روايات عن معركة قادش يبلغ حوالى ثلاث عشرة رواية . وقد تضافرت ثلاثة فنون أدبية فى عرض هذه الروايات ، هى فن الشعر والفن الوثائقى وفن التمثيل . وتأسيساً على ماسبق تعتبر معركة قادش الحدث الحربى المصرى الذى تجمع عنه أكبر قدر من الوثائق . لقد تضافرت التصاوير والمتون لسرد هذه الملحمة حتى صارت النموذج الأمثل لانتصار المصريين على البلدان الأجنبية ، وتأكيداً لفرض فرعون سيطرته على الكون بأسره . وتقدم هذه المجموعة شهادة تاريخية لامثيل لها . ويمكن التلطف من غلواء الأساليب البلاغية الرسمية بالاعتماد على النسخة الأكاديمية الوحيدة التى وصلتنا . وإليك بعض النصوص المختارة :

" عندئذ استنفر صاحب الجلالة قوات المشاة والمركبات الحربية و " الشردانا " الذين جلبهم صاحب الجلالة من حملاته المظفرة . لقد تسلموا كافة التجهيزات وتعليمات الحرب . " واتجه جلالته شمالاً ، على رأس قوات المشاة والمركبات الحربية ، وبدأ مسيرته فى اليوم التاسع من الشهر الثانى من فصل الصيف من العام الخامس من حكمه دون أدنى معوقات . وتجاوز جلالته حصن " سيللا " وتقدم قوياً جسوراً وكأنه إله مونتو . وارتعدت

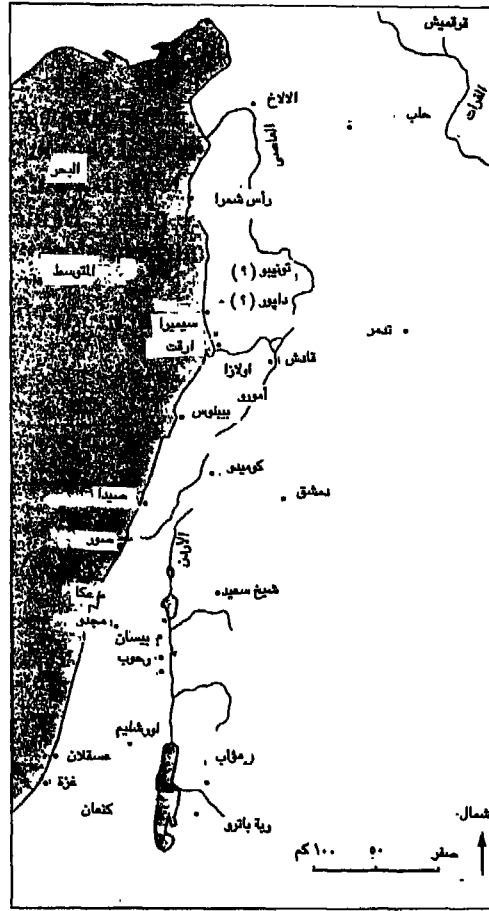
فرائص أهل البلدان التي مر بها وسعى إليه زعماءها يقدمون له الجزية . وأحنى العصاة ظهورهم وهم يرتعدون خوفاً من سلطة صاحب الجلالة ! وتخترق قواته الدروب وكأنها تنتقل عبر طرق مصر (...) " (KRI - II - 11 , 1 - 13 , 15) .

ووصل المصريون إلى مشارف " قادش " :

" لقد وصل إليها الحيثيون الأخساء ، بعد أن عقدوا حلفاً مع سائر البلدان الممتدة حتى البحر . وصل إليها الحيثيون تصحبهم قوات من بلاد نهرين و" أورزاوا " و" دورنى " و" كشكش " و" ماسا " و" بدسا " و" إبرونا " و" كريسكا " و" لوكيا " و" كيزوادنا " و" قرقيش " و" أوجاريت " و" قدى " و" نوجس " و" موشانيت " وقادش (. . .) وانتشروا فى التلال والوديان كأسراب الجراد . ولم يدخر "الحيثيون" أموالهم وتجردوا من كل نفيس لشراء أهل البلدان ليصبحوهم فى حروبهم " (KRI-II,16,1-20,10)



شكل (١١٧) - الشرق الأدنى فى عهد رمسيس الثانى.



شكل (١١٨) - حروب رمسيس الثاني في سوريا.

وعندما ظهرت الفرقة المصرية الأولى ، كانت قوات الحيثيين لها بالمرصاد ، خلف "قادش". وتركها قمر ثم انقضت على الفرقة الثانية ، بينما كانت الفرقة الثالثة تعبر مخاضة "شبتونا" :

"واخترقوا الحصار المضروب حول المدينة واتجهوا الى الجنوب من قادش . وداهموا قوات فرقة رع وأوسعوها تقتيلا ، بعد أن باغتها أثناء تقدمها ، ولم تكن على أهبة الاستعداد. وتراجع مشاة الجلالة مع مركباته الحربية . أما صاحب الجلالة فكان متوقفا شمالي مدينة قادش على البر الشرقي من نهر العاصي . وأحيط جلالتة علما بما حدث . فهب جلالتة مثل والده "مونتو" . وأخذ عدة الحرب وارتدى الزرد . وكان مثل

"بعل " فى أوج نشاطه . والفرس الذى حمل جلالته هو " المنتصر فى طيبة " من خيول الحظيرة الكبرى لـ " اوسر ماعت رع " - الذى اصطفاه "رع" و محبوب " آمون " . (16 , 29 - 7 , KR I - II 26) "وانطلق جلالته مسرعا . وانقضّ على صفوف "الحِيثِيِّين" وكان وخيدا لم يصحبه احد ! وتقدم صاحب الجلالة ليلقى نظرة على من حوله . ورأى ألفين وخمسمائة مركبة حربية تحاصره وتتجه اليه ومعها قوات استطلاع الحِيثِيِّين الأُخْسَاء والبلدان التى تؤازرهم (...) . (KRI-II-30,1-31,15)ϕ

واتجه الملك إلى آمون بعد أن تخلى عنه رجاله :

" أستغيث بك أيا والدى آمون .

" اننى وسط قوم غرباء .

" لقد تحالفت كل البلدان الأجنبية ضدى

" ووجدت نفسى وحيدا بمفردى .

" لقد هجرتنى جيوشى الجرامة ،

" وانصرف عنى أفراد المركبات الحربية .

" وعبثا ناديت عليهم ،

" فلم يستجب أحد لندائى .

" وإنى على يقين من أن آمون خبز معين وأفضل

" من ملايين المشاة ،

" ومئات الآف المركبات الحربية ،

" وعشرة آلاف أخ وابن ،

" اتحدوا جميعا فى حمية (...) .

" كنت ارفع تضرعاتى وأنا فى أقاصى البلدان الأجنبية .

" وسمُع صوتى فى هليوبوليس الجنوب .

" واذا آمون يستجيب لندائى :

" ماداً لى يد العون ، فأثلج صدرى .

" ومن خلفى سمعت صوته محدثاً ... وكأنه قاب قوسين منى :

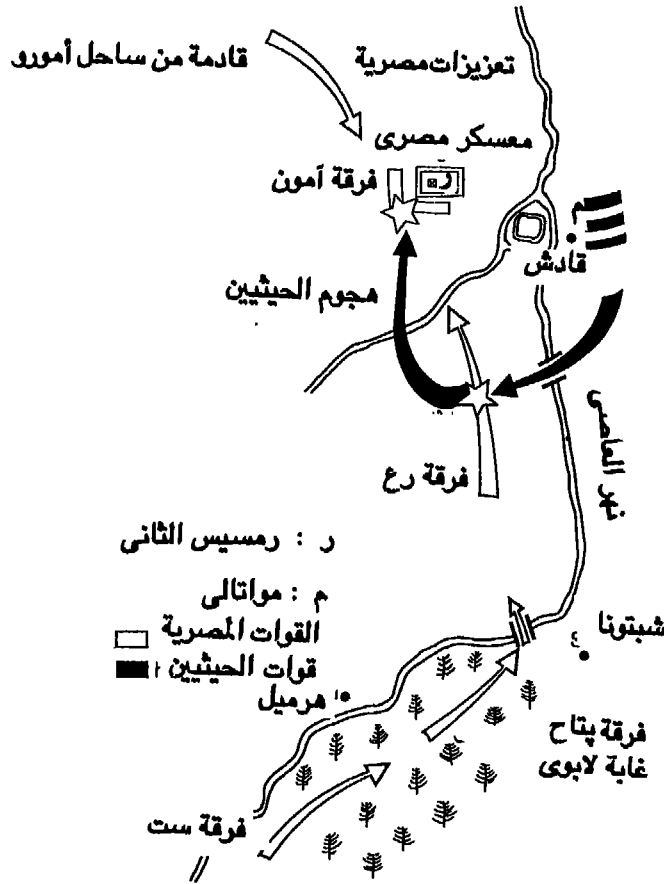
" تشجع ! إنى معك .

" إنى والدك وسندك القوى .

" إنى افضل من مائة رجل :

" فأنا سيد الانتصار وأحسب كل باسل مقسداً

. (KR I - II 39 , 13 - 44 , 5)



شكل (١١٩) - معركة قادش. تحركات القوات.

فشارت حميته نتيجة وجود الرب الإله الى جواره . وأوسع أعداءه تقتيلا ومزقهم إربا إرباً . وندد بقواته على ما أبدته من جبن .

وفى اليوم التالى بعث مواتالى إلى رمسيس الثانى يطلب عقد هدنة قائلا :
" يعلن خادمك المتواضع على الملأ إنك ابن رع الذى ولدك من صلبه واستودعك مختلف البلدان المتحدة . أما القطر المصرى وبلاد الحيثيين فهم خدامك . لقد وهبهم إياك والدك الإله رع . لا تلجأ إلى استخدام ما أوتيت من سلطة ضدنا . أجل إن سلطاتك لعظيمة . وقوتك تثقل وطأتها على " الحيثيين " . ولكن هل من الصواب قتل خدامك ، لتظل مرهوب الجانب منهم ، ودون رحمة ؟ انظر لما يحدث . بالأمس قضيت يومك فى ذبح مائة ألف رجل . وعدت اليوم ولم تُبق على حياة الورثة . فلا تتوسع فى الاستفادة من تفورك ، أيها الملك الظافرا فالسلم أفضل من الحرب . امنحنا نسيم الحياة ! "
(KRI,II / 92,6-95,11)

وانسحب رمسيس الثانى بعد أن حقق نصرا لم يكن من النصر فى شىء . فكل ما فعله أنه أنقذ جيشه . فبمجرد أن اعرض عن الحيثيين قام " مواتالى " بعزل " بنتشينا " امير " أمورو " ونصب مكانه " شابيلى " ليقضى بذلك على وجود إقليم " أبا " . فأقام فى سوريا سدا منيعا حقيقيا للتصدى لمصر . وفى غضون ذلك تطورت الأوضاع بين " الحيثيين " و " آشور " . وقام " ادادنيرارى " الأول بإخضاع " هانيكالبات " الواقعة بين دجلة والفرات ، وهى بمثابة قلب دولة " الميثانى " وكانت قد انحازت الى جانب " مواتالى " . وكما فتح " الحيثيون " جبهة ثانية ، واجه رمسيس الثانى بدوره المشاكل على الجبهة الغربية . فاضطر الى التصدى لإغارات الليبيين وأقام سلسلة من التحصينات بين قرية راقودة ومرسى مطروح لمراقبة تحركات البدو .

وعندما اتجه مرة أخرى إلى سوريا فى العام السابع من حكمه كان عليه أن يحسب حساب مملكتى " مؤاب " و " أدوم صير " الحديثتين الدائرتين فى فلك الحيثيين ، بالإضافة الى جماعة " الخاسو " التى أخذت تغير على أرض كنعان . ولإجهاز على هذه المقاومة قسم قواته إلى جيشين فى حركة كماشة بارعة . وقاد الجيش الأول " آمون حر خبش إف " فطارد " الخاسو " فى النقب وحتى البحر الميت واستولى على " أدوم صير " ، واخترق أراضي " مؤاب " حتى وصل " ربة بترو " . وفى غضون ذلك زحف رمسيس الثانى على أورشليم وأريحا واجتاح مؤاب من ناحية الشمال واستولى على

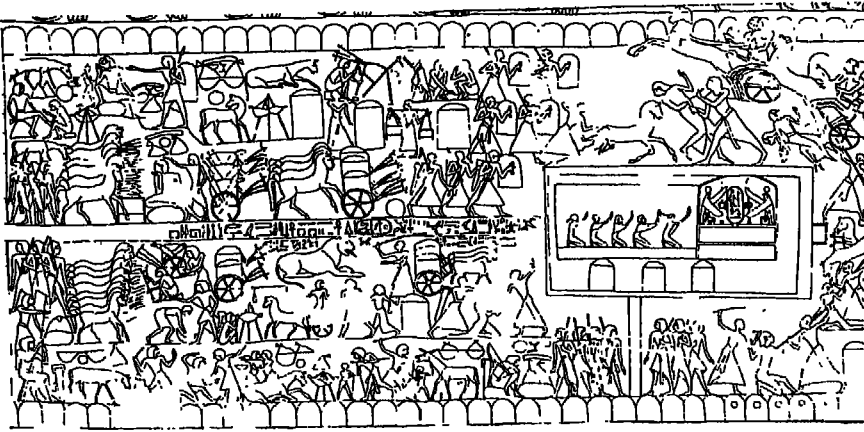
ديون ثم التقى بقوات " آمون حر خبش إف " . وزحف الجيشان معا على حاصبيا ودمشق عبر أراضى " عمون " واستوليا على " كوميدو " . وهكذا سيطر المصريون من جديد على إقليم " أبا " .



شكل (١٢٠) - هجوم الحيشيين وهجوم رمسيس الثانى المضاد .

ثم أقاموا فى العام ٩/٨ بتدعيم مراكزهم فجردوا حملة جديدة إلى بلاد الشام فعبروا جبال الجليل واحتلوا عكا ثم زحفوا فى اتجاه الشمال بمحاذاة الساحل . واستولوا أثناء تقدمهم على صور وصيدا وببيلوس و اרכת وسيميرا الى الشمال من نهر الكلب . وواصلوا السير حتى دابور حيث أقيم قنثال لرمسيس الثانى . ووصلوا أخيرا " تونيبو " التى لم تشاهد مصريا واحدا منذ نيف ومائة وعشرين سنة!

واستطاع " رمسيس " الثانى أن يعزل قادش وأمورو عن الشمال مستغلا المشكلات المتزايدة التى أحدثت بالحيشيين ودفعتهم إلى التقهقر فى سوريا حيث استعاد "بنتشيننا " سلطاته بفضل التقدم الذى أحرزته القوات المصرية ، كما سجلوا تراجعاً فى نهارين . وبالفعل فقد استطاع " شالمناصر " الأول بعد أن تبوأ عرش آشور أن يخضع "هانيكالبات " إخضاعاً تاماً ونهائياً. وحاصرت التهديدات الخارجية امبراطورية الحيشيين. أما التهديدات الداخلية فلا تقل عنها خطورة . حيث تفجرت أزمة داخل الأسرة المالكة عقب وفاة " مواتالى " فاغتصب ابنه غير الشرعى " أورهى تشوب " عرش البلاد من عمه " خاتوشالى " وقام بنفيه إلى " هاپيكيس " وجلس على عرش البلاد واختار لنفسه لقب " مورشالى " الثالث ، وترك الملك قرقميش مهمة مواجهة المصريين والتصدى



شكل (١٢١) - النصر.

لهم . وحاول استرداد " هاپكيس " من عمه ولكنه هُزم ، وهكذا استعاد " خاتو شالى " الثالث عرشه ، و نفى ابن أخيه إلى شمال سوريا حيث حاول أن يوطد علاقاته مع بابل التى خاضت صراعا علنيا مع " آشور " و " عيلام " . وقام " خاتو شالى " الثالث للمرة الثانية بإبعاد ابن أخيه المشاكس ، وربما إلى قبرص هذه المرة ، و حاول من جانبه تدعيم علاقاته مع بابل فسعى الى عقد اتفاقية مع " شالناصر " . ونصل إلى منعطف هام فى علاقات مصر بالحيثيين " . فقد لجأ " أورهى تشوب " إلى مصر فى العام الثامن عشر من حكم " رمسيس الثانى ، وطالب " خاتو شالى " الثالث بتسليمه . فاستنفر "رمسيس " الثانى قواته و شن حملة على " أدوم " و مؤاب " لسحق تمرد الأمراء المحليين ، ثم عاد ادراجه إلى مصر عبر أرض كنعان . وبعد مرور ثلاث سنوات وقع مع "خاتو شالى " الثالث ، أول معاهدة فى التاريخ بين دولتين ، واحتفظت كل من عاصمتى الامبراطوريتين بنسخة من المعاهدة مدونة بلغتها الخاصة . ونحن ندين للصدفة وحدها بأن الزمن قد حفظ لنا فى كل من البلدين نسخته الخاصة بهذه المعاهدة . والنسخة المصرية صورة من النص الأصلي الذى كان محفورا على لوح من الفضة ، وقد نقلت على لوحين من الحجر . الأول فى الكرنك و الثانى فى معبد . " الرامسيوم " (KRI , II , 225 - 232) . وتضم المعاهدة بنودا خاصة بتسليم

المنشقين السياسيين ، كما وضعت الأسس الراسخة لسلام دائم . و الدليل على ذلك أنه لن تحدث مواجهات عسكرية بين البلدين طوال ماتبقى من حكم " رمسيس الثانى " . وتوطدت العلاقات الشخصية بين العائلتين المالكتين حتى يمكن تتبعها من خلال ستة وعشرين خطابا موجهة إلى خاتو شالى الثالث و ثلاثة عشر إلى زوجته " بودوخيا " . وتبادل أفراد العائلتين المراسلات و الهدايا . بل إن رمسيس الثانى قد تزوج من اميرتين "حيثيتين " . فتزوج الأولى فى العام الثالث والثلاثين من حكمه بعد أن احتفل للمرة الثانية بعيد " سد " . وخرج لاستقبالها فى موكب سلمى مهيب ، والتقى بموكب نظيره الحيشى عند دمشق حيث تأخى الجيشان . و حُدد ذكرى هذا الحدث على سطح لوح حجرى بنص سجلت منه نسخ فى أبو سمبل، إلفنتين و الكرنك و عمارة غرب و عكشة و فى العام السادس والثلاثين من حكم " رمسيس الثانى " زار مصر ولى عهد الحيثيين الذى سيجمل لقب " تودخالياش " الرابع عندما يصبح ملكا . و من المحتمل أن والده " خاتوشالى " الثالث قد زار مصر فى العام الأربعين . وبعد انقضاء أربع سنوات تزوج " رمسيس " الثانى من إحدى أميرات الحيثيين . واستمرت العلاقات السلمية فى عهده " تودخالياش " الرابع " وارنو وانداس " الثالث .وقد حافظت التقاليد بعد ذلك على ذكرى العلاقات الودية التى ربطت بين البلدين . و سجلها نص مدون فى وقت لاحق يرجع إلى العصر البطلمى ويسرد كيف أرسل ملك مصر إلى أمير بختان تمثالا لـإله " خنسو " يجلب الشفاء (Louvre C 284) .

الخروج

من الممكن افتراض أن العبرانيين قد خرجوا من مصر خلال عهد رمسيس الثانى . لقد تحدثنا من قبل عن " العايطرو " و ظهورهم فى الوثائق المصرية فى عصر " تحوتس " الثالث . وقد ثبت وجودهم فى مصر فى ظل حكم رمسيس الثانى ، كما استخدموا فى نقل الاحجار إلى معبد ورد اسمه فى بردية " ليدن " Leyde348 وورد اسمهم أيضا فى بردية " هاريس " رقم ١ Harris . كما نعلم أن عددا منهم يناهز الثمانمائة فرد حسبما ذكرته إحدى المدونات كانوا يعملون فى محاجر وادى الحمامات فى عهد " رمسيس " الرابع . وزاولوا فى عصر " رمسيس " الثانى صناعة الطوب . و ورد ذكر جماعة من " العايطرو " على مقربة من الحريم الملكى فى " مى ور " (مدينة الغراب) فى الفيوم . ولاتشير المعلومات التى وصلتنا إلى حدوث ثورات من أى نوع.

بل على العكس تشير المعلومات حول الجماعة الرئيسية التى بلغتنا أخبارها وهى مجتمع الحرفيين فى أرض مدين (أو إيلات حاليا) ، أنه كان مجتمعا حرا ارتبط بمصر بعلاقات تجارية وثيقة . و كشفت حفائر إيلات عن وجود معبد محلى مكرس للالهة تحتجور إلى جانب ما بها من عبادات محلية .

ولاتتحدث المصادر المصرية عن " خروج " العبرانيين من مصر . ترى ما الذى كان يدعو المصريين أن يولوا الحدث نفس اهتمام العبرانيين به . و المرجع الوحيد عند الحديث عن مملكة اسرائيل الناشئة هو لوح يرجع إلى العام الخامس من حكم "مرنپتاح " نقرأ على سطحه اسم إسرائيل (11 , 19 - 7 , 12 , IV , KRI) . وللاستدلال على تاريخ الخروج توفر لنا الوقائع حدان : الأول ، هو إقامة " شعب الله المختار " فى الصحراء مدة أربعين سنة أو مايعادل جيلا كاملا على وجه التقريب . و الآخر هو الاستيلاء على مدينة أريحا عقب وفاة النبی موسى . واستنادا إلى هذا الحدث الأخير نصل إلى عام ١٢٥٠ كتاريخ أقصى ، وحد أخير للأحداث . ويعود بنا ذلك إلى بداية القرن الثالث عشر .

و يمكن إعادة ترتيب و قائع التاريخ على النحو التالى (Paris: 1976,X III Sq., d'après H. Gazelles) :نشأ موسى على ما يعتقد نشأة مصرية حسبما ورد فى الكتاب المقدس (سفر أعمال الرسل : الاصحاح السابع : الآية ٢٢) ، ليمثل جماعته فى التعامل مع الإدارة المصرية . بل إن نشأته فى البلاط (سفر الخروج : الإصحاح الثانى : الآيتان ١٠ و ١١) ، لاتعنى بالضرورة أنه كان من المترددين على أفراد حاشية الملك - وهى حاشية " حور محب " على ما يفترض - أو أنه كانت تربطه بهم علاقات ألفة . بل لایتعدى الأمر بكل بساطة أنه تمتع بالتعليم الذى يحصل عليه كل شخص مطلوب تأهيله للعمل فى سلك الوظائف العامة . و فى عهد سيتى عاد إلى ذويه ، واتفق ذلك مع بداية انشاء تحصينات شرقى الدلتا و بناء المدينة التى سيطلق عليها " پررمسيس " . ثم تعاقبت الأحداث : من اغتيال موسى (عليه السلام) الحارس المصرى ثم هرويه إلى " مدين " وزواجه ، فنزول الوحى عليه و العليقة المتقدة نارا ، ثم عودته إلى مصر التى تتفق و السنوات الأولى من حكم "رَمسيس " الثانى . ومن السهل إدراك الأسباب التى حدثت بالملك إلى رفض رحيل العبرانيين للاعتكاف والأختلاء إلى أنفسهم فى الصحراء التى كانت من المناطق غير

الخاطفة التى اضطر نائب الملك " ستاو " أن يشنها ضد الليبيين القاطنين فى " مرمريكا " (مراقبة) فى العام الرابع و الاربعين من حكمه . وبسط المصريون نفوذهم على أنحاء النوبة و مابها من مناجم الذهب التى غمرت خزينة الدولة . ووطد رمسيس الثانى سلطانه ، فطور المنشآت القائمة ، و شيد سبعة معابد فى المنطقة الممتدة من الجندل الأول إلى الجندل الثانى . وقد تضافرت جهود الأسرة الدولية لإنقاذها من الغرق مع ارتفاع مستوى المياه فى بحيرة ناصر فى أعقاب الحرب العالمية الثانية . وفى " بيت الوالى " على بعد خمسين كيلو مترا جنوب أسوان أمر " رمسيس " الثانى بنقر معبد صخرى فى بداية حكمه . ويتكون المعبد من صالة أمامية و صالة ذات أسطونين و قدس أقداس مكرس لآمون والآلهة المحلية . و قد أعيد بناء المعبد فى الوقت الراهن بجوار معبد كلايشة ، وهو يضم العديد من المشاهد الحربية .

وفى العام الثلاثين من حكمه أقام الملك معبدا صخريا فى " الدر " على البر الشرقى من نهر النيل . و هذا المعبد هو " بيت رمسيس مرى آمون فى بيت رع " و مكرس للإله " رع " رب السماء " و لآمون رع فى الكرنك . و هو أضخم من معبد بيت الوالى . و يضم بهوى أساطين متعاقبين ، وربما كان يتقدمهما فناء و صرح . ويفضى البهوان إلى مقصورة قدس أقداس مثلثة ، تقام فيها الشعائر لتماثيل " رمسيس " الثانى بالاشتراك مع " رع حور اختى " و " پتاح " .

وبعد مرور خمس عشرة سنة أقام فى جرف حسين على البر الغربى معبدا أطلق عليه " بيت پتاح " و أشرف على تشييده نائب الملك " ستاو " . إنه نصف معبد صخرى وخصص لعبادة " پتاح " ، و " پتاح تاتن " و " حتحور " بالاشتراك مع رمسيس " الإله العظيم " ، ويمتد طريق للكباش يؤدى الى صرح يفضى إلى فناء تكتنفه أروقة بتماثيل أوزيرية ضخمة . و تشكل و اجهة الفناء الغربية صرحا ثانيا منحوتا فى و جه الجبل . وبعد عبوره نصل إلى قدس الأقداس الذى تتقدمه قاعة تكتنفها تماثيل أوزيرية ضخمة . إنه نفس المسقط الأفقى الذى أقيم على أساسه معبدا "أبو" سمبل فيما بين العام الرابع و العشرين والعام الحادى والثلاثين من حكم رمسيس الثانى . و قد كرس أكبرهما للملك بالاشتراك مع " آمون رع " و " پتاح " و " حور اختى " . اما أصغرهما فقد كرس " لنفرتارى " بالاشتراك مع حتحور .

وتولى رمسيس الثانى ترميم المعبد الذى شيده " أمنحوتب " الثالث فى وادى السبوع ولحق به الضرر فى فترة الاضطهادات الآتونية . كما شيد معبداً كرسه للإله رع



شكل (١٢٣) - أهم المواقع فى النوبة فى عصر رمسيس الثانى.

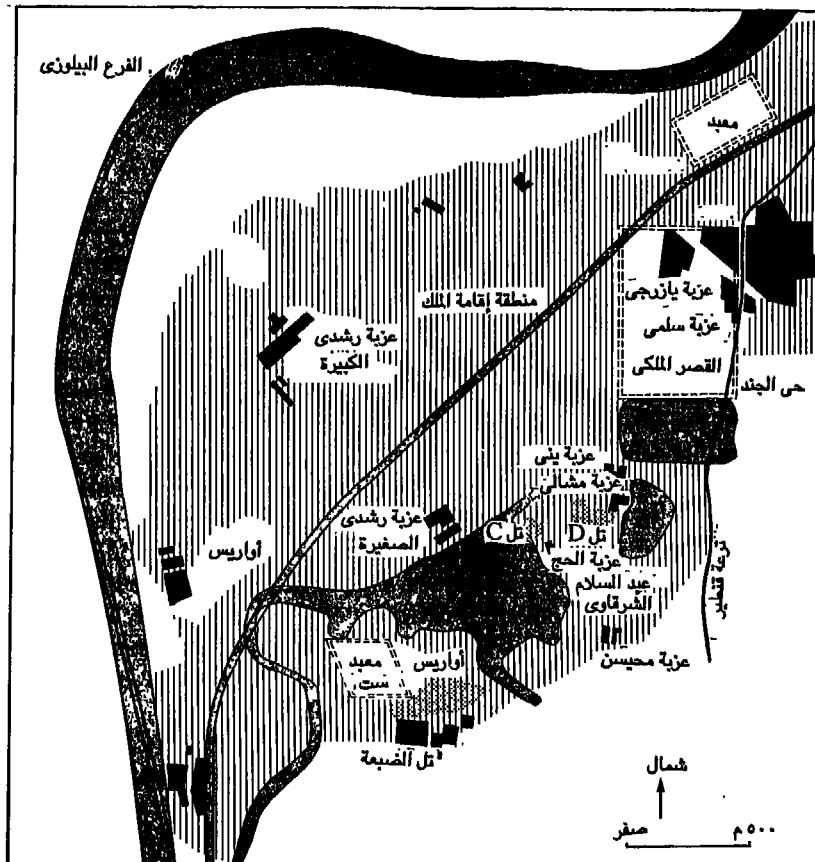
ولشخصه كإله ، والمقصود فى واقع الأمر عبادة " صورته الحية فى النوبة " وهو ما فعله ايضا فى " عكاشة " ، جنبا إلى جنب مع عبادة الإلهين " آمون " و " رع " . وكان لهذه العبادة مايقابلها فى مصر من خلال تماثيل الملك المقامة أمام المعابد . وتجربى هذه العبادة وفقا لشعائر محددة لها منشأتها الخاصة . اذ لايرتبط الامر بتأليه حقيقى للملك بل بعبادته كأقنوم الهى ، فلايعبد لشخصه بل كمظهر للإله الذى يمثله . و تنبع فلسفة هذه العبادة من نفس الفلسفة التى عرضنا لها عند الحديث عن " مسكن ملايين السنين " . فهى تخلق تعاونا متبادلا بين الإله والملك تدعيما لوضع كل منهما .

كما أقام " رمسيس " الثانى المنشآت فى " عمارة غرب " ، وهى موقع استراتيجى ينتهى عنده طريق " واحة سليمة " ، وملتقى السودان وواحة دنقل . وانتهى من تشييد مدينة " بيت رمسيس مرى آمون " التى أسسها " سيتى " الأول والتى أصبحت مقر محافظة " كوش " مع بداية الاسرة العشرين . و شمال شرق المدينة أمر باقامة معبد التزم الاتجاه الشمالى الجنوبى وكرس لآمون رع و آلهة الجندل و له شخصيا . وفى المعبد و على جدران بهو الأساطين و سط التصاوير التقليدية للبلدان الخاضعة لمصر ، نشاهد قائمة بالأمم التى هزمتها مصر و قد نقلت كما هى دون تغيير من معبد " أمنحوتب " الثالث فى " صولب " ، وإن كان جانب كبير من القائمة قد غدا غير مطابق لحقائق العصر وواقعه . ومن الملاحظ فى هذا المعبد أن الملك يلجأ فى حقيقة الأمر إلى أساليب أشبه بأعمال السحر التى تحض على المقت والكراهة التى عرضنا لها عند الحديث عن التماثيل الصغيرة التى شاعت خلال الدولة القديمة و الدولة الوسطى وكأنه يريد أن يفرض سلطانه و وفقا لنموذج أولى ومثالى لا يتقيد بزمان أو عصر . وتأسيسا على ذلك من حقنا الاقتراض أن بلدة " عمارة غرب " كانت ترسم الحدود الجنوبية للإمبراطورية المصرية أو الأقاليم الحدودية ، إذا جاز التعبير .

اتسعت الإمبراطورية المصرية وأصبحت تمتد من الجندل الخامس وحتى شمال سوريا فكان ذلك سببا جوهريا و كافيا للتخلى عن طيبة كعاصمة للبلاد نظرا لموقعها القصى وماتفرضه مقتضيات السياسة الخارجية . و حل محلها موقع جديد شرقى الدلتا اقرب إلى الجيران الآسيويين وإلى مسقط رأس العائلة المالكة . ومن المفارقات أننا لم نتأكد من موقع هذه العاصمة إلا منذ اقل من عشرين سنة . لقد بحث عنها العلماء فى تانيسس وبلوزيوم وسيلا إلخ إلى أن اكتشف محمود حمزه فى الثلاثينات قصرا من عصر

المرامسة فى بلدة " قنثير " ورأى فيها لبيب حبشى عاصمة رمسيس الثانى . لقد أثبتت الأبحاث التى أجراها المعهد الألمانى للآثار بالقاهرة تحت إشراف منفريد بيتاك . M Bietak أن "برمسييس " تقع فى حقيقة الأمر عند تل الضبعة بالقرب من فاقوس أى فوق موقع مدينة " أواريس " القديمة . كما أن لوح العام ٤٠٠ الذى سبق الحديث عنه قد خلد ذكرى إعادة الاستيلاء على الموقع فى أواخر حكم حور محب على الأرجح ، حيث عثر فى الموقع على عناصر معمارية تحمل اسمه .

كما شيد فيها سبتي الأول قصرأ تم الكشف عن بعض بقاياها . ومع ذلك يعتبر " رمسيس " الثانى صاحب قرار اختيارها عاصمة للبلاد ، وبدأ يشيد المدينة فى جد ذاتها . واحتلت " برمسييس " مكانة دولية بارزة عززها استقبالها



شكل (١٢٤) - موقع برمسييس
(نقلًا عن M. Bietak, LÄ E V 138)

لوفد الحيثيين من أجل السلام فى العام الحادى والعشرين من حكم " رمسيس " الثانى . ولم يكن الغرض من اختيار العاصمة الجديدة دبلوماسيا فحسب ، بل إنه أتاح للملك أن يقلص علاقاته بطيبة مع توطيد الروابط التى تجمع العائلة المالكة بمدينة هليوبوليس ومنف . وسوف تظل " پرمسيس " عاصمة مصر حتى آخر عصر الرعامسة . و هذا غالبية الفراعنة حذو رمسيس الثانى وأضافوا إليها المنشآت . وبحلول الاسرة الثانية والعشرين سوف يستبدل الموقع بمدينة " تانيس " ، بسبب تغيير مسار فرع النيل "البيلوزى" ، على الأرجح . وسوف تستخدم العاصمة القديمة كمحجر لبناء العاصمة الجديدة .

معابد مصر

أزال " رمسيس " الثانى كل أثر بقى من مرحلة العمارنة . فسمح بهدم مدينة " آخت آتون " بغرض إعادة بناء و توسيع مدينة هرميوبوليس على البر المقابل من النيل . كما شيد لنفسه فى البر الغربى من طيبة معبدا جنائزيا هو " مسكن ملايين السنين المتحد مع طيبة " أو " مقبرة الملك أوسيميندياس " حسب رواية " ديودور " ، وسوف يصبح هذا المعبد هو النموذج الذى نقل عنه " رمسيس " الثالث عند تشييد معبده فى مدينة هابو (شكل ١٢٦) .

شيد " رمسيس الثانى معبده ملاصقا لمقصورة قدس أقداس " سيتى " الأول ، وعلى امتدادها ، وطور تخطيطها الذى يتكون من فناء يفضى عبر أحدور صاعد (٢) وباكية ، إلى فناء تكتنفه الصفات (٣) وينتهى ببهوى أساطين (٤) أقيمت من خلفهما القاعات المخصصة للشعائر (٥) . وللوصول إلى معبد " رمسيس " الثانى نعبصرحاً (٦) يؤدى إلى الفناء الأول (٧) الذى تطل عليه جهة الجنوب باكية (٩) من خلفها قصر يتكون من قاعة استقبالات (١٠) تفضى إلى قاعة العرش (١١) . وإلى الخلف من هذا القصر توجد أجنحة سكنية تحملنا على الاعتقاد بإمكانية إقامة الملك بها لفترات قصيرة . وينتهى الفناء الاول (٧) بأحدور يصل عبر صرح ثان شامخ إلى الفناء الثانى الذى تكتنفه الصفات (١٥) . ويحف بالأحدور قمثالان أوزيريان ملكيان ضخمان لم يبق منهما سوى قمثال واحد (١٤) ، وتنهض قماثيل أوزيرية ضخمة تمثل الملك على الجانبين الشرقى والغربى من الفناء الثانى . و ابتداء من هذه النقطة وعلى غرار معبد " سيتى " الأول فى أبيدوس ، يكتنف محور المعبد الرئيسى محوران ثانويان موازيان . وتخترق

المحاور الثلاثة بهو أساطين كبيرا تتعاقب وسطه ثلاثة أبهاء صغيرة على التوالي ، سقف الأول (٢٠) منها يحمل مناظر فلكية . و نصل أخيرا إلى مقاصير قدس الأقداس : فى الوسط المقصورة الرئيسية (٢٣) والى الشمال منها مقصورة المراكب (١٩) وإلى الجنوب معبد مصغر (١٨) يضم صالة و بهو أساطين و مقصورة قدس أقداس مثلثة لثالثوت طيبة و سیتی الأول .وعلى خط مواز لهذا المعبد الصغير شيد معبد مكرس "لأوزيريس" (٢٥) . وتحيط بهذه المباني منشآت الشعائر و المخازن و المباني الإدارية ، ويلتف من حولها سور ضخيم من الطوب اللبن .

يوجد قاسم مشترك يجمع بين هذه المجموعة المعمارية و معبدى " حتشبسوت " فى الدير البحرى " و سیتی " الأول فى أبيدوس . إنها الفلسفة التى أملت مشاركة الملك للآلهة المحليين فى نفس الشعائر . كما يجسد الرامسيوم المبدأ الذى أملى التخطيط التقليدى للمعبد المصرى ويتحكم فى اتجاهه مسار الشمس فى السماء : فأقيم مدخل المعبد فى الناحية الشرقية بحيث تخترق أشعة " رع " المشرقة الصرح الذى يمثل جبلا مزدوجا فتلامس قمثال الشعائر القائم على محور المعبد فى أقصى جهته الغربية . كما أن المعبد ليس بالمكان الذى يختلئ فيه المؤمنون وتأملاتهم . بل إنه مسكن الإله فحسب . ولذلك جاء تصميمه مشابها لخطه خلق الكون الذى يسهر الإله على استمراره و تجديده مع شروق الشمس عند مطلع كل نهار . وتنظم المباني بشكل عام على محور واحد يمتد فى المدخل وحتى قدس الأقداس . و يسمح المسار بالدنو من الأرباب بالتدرج ، عبر عدة مراحل تقابلها مستويات متعاقبة للطهارة اللازمة للاقتراب من الإله . ويتحقق ذلك بالانتقال المتدرج من النور إلى الظل الذى يتحول الى ظلمة فى قدس الأقداس حيث يقبع الإله . ويقترن ذلك بارتفاع تدريجى لأرضية المعبد حتى تبلغ أعلى مستوى لها ، أسفل الناووس الذى ينهض وكأنه اقيم فوق التل الأزلى المنبثق من " نون " . وتخرج سيقان بردى الأساطين من المادة السائلة ، وترفع حواملها السماء التى صُورت على السطوح الداخلية لبلاطات السقف . ويحتاج المعبد إلى ثلاثة عناصر على الأقل لترجمة هذا الانتقال : فناء مفتوح كمدخل قد يخلو من أى عنصر معمارى ولكن من الضرورى أن يحد المدخل صرح يتكون من برجين على شكل شبه منحرف يمثلان الأفق . و كما أسلفنا فقد جُطم هذا الحاجز فى العمارنة رمزيا ، فأزيل من باب المدخل عتبة العلوى الذى يعتبر المكان المخصص لظهور الإله فى المعبد التقليدى . ويفضى الفناء الى بهو الأساطين . وقد ترتفع أرضية الباكية الوسطى بعض الشيء ، بحيث ينقسم البهو إلى ثلاثة أروقة ارتفاع أسقفها غير متساوٍ ، و ترتبط الاسقف بواسطة شبانيك على شكل درابزين حجرى

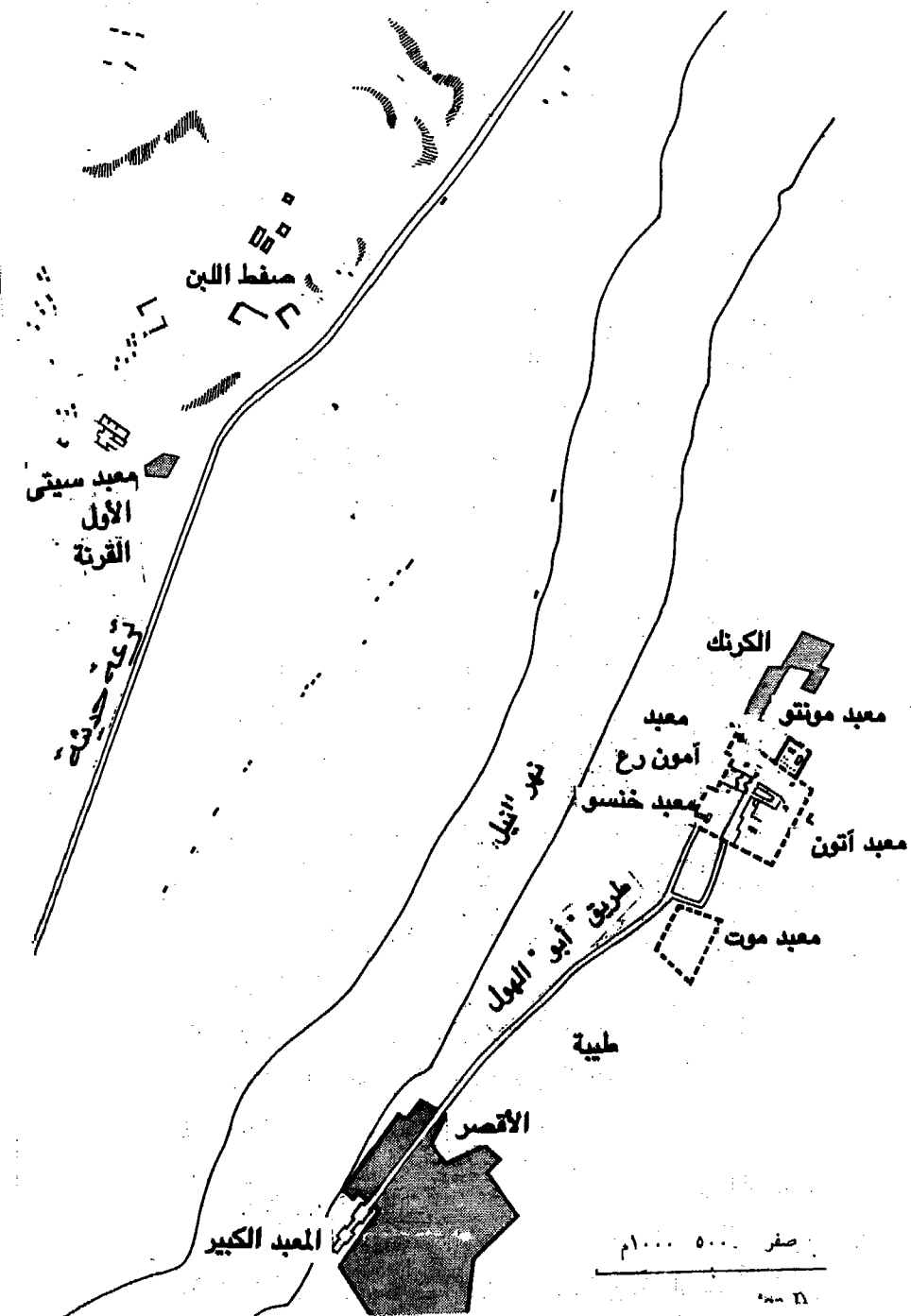
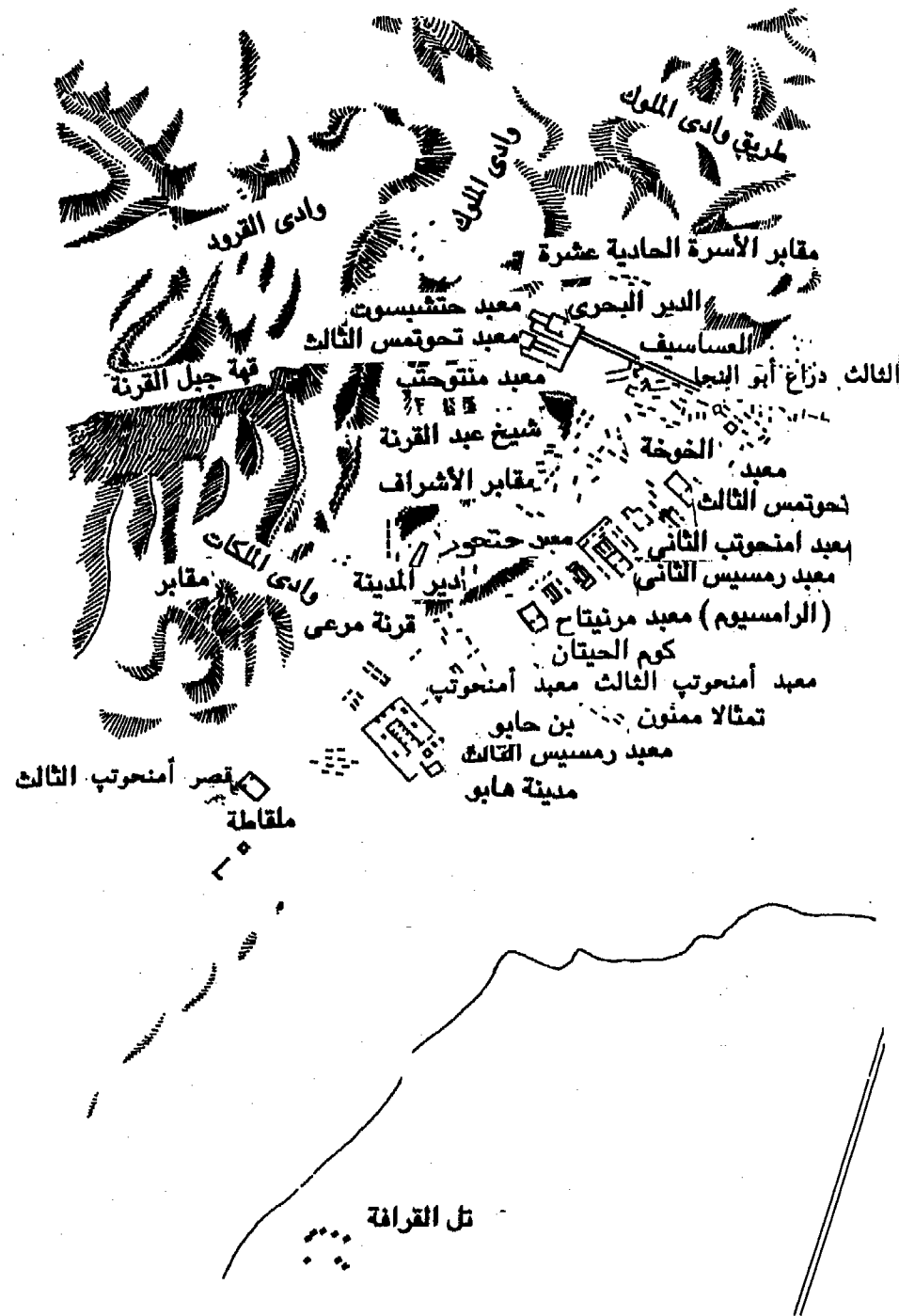
ينفذ منها ضوء خافت . و يعتبر هذا الغيش وهذا الضوء المحدود مكان تطهر كبير الكهنة الذى يملك و حده حق الاقتراب من الإله حيث ينتهى من تزيينه ويقدم مايلزمه من طعام وخدمة . ويحل الكاهن الأكبر عادة محل الملك فى الممارسة اليومية لشعائر المعبد . وبعد أن يتطهر الكاهن الأكبر فى ال " پردوات " يدخل إلى " ادبتون " أو " المكان الحريز المنيع " الذى تقع أمامه أحياناً حجرة للقرابين . وتكتمل هذه المجموعة المعمارية بإقامة مرساة أمام المعبد لاستقبال المركب الإلهى اثناء المواكب الدينية .

هذا النظام الذى يحدد توزيع أقسام المعبد هو الحد الأدنى الذى يلتزم به تخطيط مختلف المباني المخصصة لأداء الشعائر . وليس هناك جمود فى تطبيق هذا النظام . فقد تفرض المتطلبات أو ثراء الإله إضافة زيادات : بدءاً بإقامة الهياكل الملحقة أو إعداد الدروب المعدة لطواف المواكب ، علاوة على العماثر التى تضاف باستمرار على مر السنين . ونذكر على سبيل المثال معبد الأقصر (شكل ١٢٧) كمثال حى على الإضافات التى تلحق بالمعبد الأصلي فتضاعف من مساحته ، بل قد تحوله إلى مدينة كما هو الحال بالنسبة للكرنك ، وهو ما سنوضحه فى الفصل التالى .

يرجع الاسم العربى لمعبد الأقصر إلى معسكرات القوات الرومانية **Castra** التى عسكرت فيه فى عهد " الامبراطورية " . وحفظ لنا الزمن المعبد - شأنه شأن العديد من المواقع الأثرية المصرية نظراً لتراكم طبقات المدينة فوقه ، ويشهد على ذلك مسجد أبى الحجاج . وقد اكتشف المعبد أثناء تنفيذ مشروع للصرف وتم تنظيفه بعد عام ١٨٨٣ .

بدأ أمنحوتب الثالث تشييد المعبد مستخدماً بعض العناصر المعمارية القديمة ، ومنها مايرجع إلى الأسرة الثالثة عشرة . التزم المعبد بصرامة بالمعايير الكلاسيكية فهو يبدأ بالصرح ثم يليه فناء مكشوف تكتنفه الصفات ، فهو للأساطين يفضى إلى بهوين صغيرين جداً للأساطين . وتلاصق آخرهما مقصورة " الماميزى " فاستراحة المراكب التى كانت أصلاً عبارة عن مظلة من الخشب . ثم شيد مكانها " الإسكندر " استراحة من الحجر . وأخيراً قاعة القرابين ، فقدس الأقداس . وتكون هذه الأجزاء فى مجموعها معبد " الحريم الجنوبي " التابع لمعبد آمون - رع بالكرنك .

كما أمر " توت عنخ آمون " أن تسجل على الجدران المحيطة بصفى أساطين رواق الطواف (٧) مناظر موكب عيد " أويت " ورحلة آمون السنوية التى تنتهى عند الأقصر . أما باقى زخارف الجدران والأساطين فقد استكملها " آى " و " حور محب " .

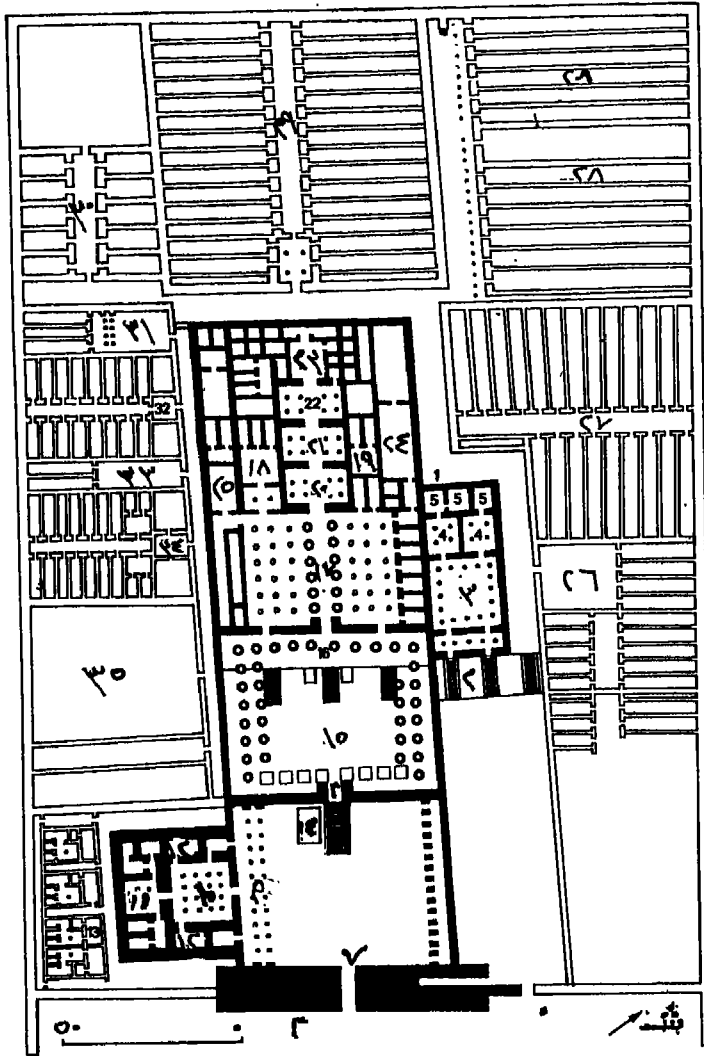


شكل (١٢٥) - خريطة عامة لطيبة. (نقلًا عن Leclant: 1979-fig431)

و "سيتى الأول" وأجرى " رمسيس " الثانى التوسعات فى المعبد ، فأضاف الأجزاء الواقعة أمام معبد " أمنحوتب " الثالث . أما صفا اساطين رواق الطواف (٧) التى كانت حسب تصميم " أمنحوتب " الثالث نقطة وصول طريق قماثيل " أبو " الهول التى تربط معبد الأقصر بمعبد الكرنك ، فقد أعاد " رمسيس " الثانى استخدامها للربط بين فناء أمنحوتب الثالث وفناء أمامى جديد تكتنفه الصفات (٨) . وشيد صرحا شامخا على جانبيه مسلتان وستة قماثيل ضخمة فى مواجهة طريق قماثيل " أبو " الهول المتجه إلى الكرنك . وقد نقلت المسلة الغربية إلى باريس حيث تزيّن ميدان " الكونكورد La Concorde " .

لقد تغير محور المعبد بسبب تغير تحديد الجهات الأصلية عندما قام " رمسيس " الثانى بتوسعاته . ويرجع الفارق بين المحور الجديد ومحور أمنحوتب الثالث إلى فارق زاوية نقطة رصد شروق نجم الشعرى اليمانية التى حددت اتجاه المعبد ناحية الشرق ، فى كل من عهدى أمنحوتب الثالث و " رمسيس " الثانى . وقد شهد المعبد أعمالا إنشائية أخرى ، حتى أنه استضاف فى عهد " دقلديانوس " قاعة خصصت لإقامة شعائر الإمبراطور (٤) وقد شغلت بهو الأساطين الصغير الأول .

توفى " رمسيس " الثانى بعد حكم مديد هو من اطول ما عرفته مصر . وخلف وراءه بلدا بلغ أوج قوته وإشعاعه الثقافى ، الى جانب المشكلات المرتبطة بوراثته العرش . لقد قارب عدد أولاده المائة ، اذا صحت الروايات التقليدية المتواترة . فرمسيس الثانى الذى شارك فى الحقيقة فى أربعة عشر عيداً من أعياد " سد " ، فقد العديد من أولاده أثناء حياته ونذكر منهم " سات حور خبش إف " الذى أصبح ولياً للعهد اعتباراً من العام التاسع عشر . ثم " رمسيس " الذى حل محله فى العام الخامس والعشرين . وأخيراً الأمير " خع إم واست " وكان عالماً أثرياً ، قام بترميم عمائر منف ، وكان على قدر كبير من الثقافة . وارتبط اسمه بشعائر عبادة پتاح من العام الخامس عشر ، باعتباره كاهن "سم" فى بداية الأمر ، ثم صار كبير الكهنة . وبصفته هذه أشرف على احتفالات اليوبيل التسعة الأولى التى أقيمت على شرف أبيه . وتوفى فى العام الخامس والخمسين ، تاركاً مكانه لولى العهد "مرنپتاح" الذى اعتلى عرش البلاد عند وفاة أبيه . ودفنت مومياء " رمسيس " الثانى فى وادى الملوك (VdR 7) ثم انتهى بها المطاف فى خبيئة الدير البحرى.



- | | | |
|---------------------------|----------------------------------|--------------------------------|
| ٢٤ فناء مكشوف وقاعة أعمدة | ١٢ عشر حجرات جانبية | ٥ سور حرم المعبد |
| ٢٥ معبد أوزيريس | ١٣ أجنحة سكنية | ٦ مقصورة قدس أقداس سيتي الأول |
| المخازن | ١٤ تمثال ضخيم | ١ ودائع أسامات باسم سيتي الأول |
| ٢٦ المربع الأول | ١٥ الفناء الثاني | ٢ المدخل |
| ٢٧ المربع الثاني | ١٦ البايكة الغربية | ٣ فناء تكتنفة الصفات |
| ٢٨ المربع الثالث | ١٧ بهو أساطين | ٤ بهو أساطين |
| ٢٩ المربع الرابع | ١٨ معبد مصغر لثالث | ٥ قاعات الشعائر |
| ٣٠ المربع الخامس | ١٩ طيبة وسيتي الأول | ٦ معبد رمسيس الثاني الجنائزي |
| ٣١ مبنى إداري | ٢٠ مقصورة المراكب | ٧ الصرح الأول |
| ٣٢ المربع السادس | ٢١ بهو أساطين (سقف بمناظر فلكية) | ٨ الفناء الأول |
| ٣٣ مبنى إداري | ٢٢ بهو أساطين | ٩ الصرح الثاني |
| ٣٤ المربع السابع | ٢٣ بهو أساطين | ١٠ باكية |
| ٣٥ فناء كبير مستطيل | ٢٤ مقصورة قدس الأقداس الرئيسية | ١١ قاعة الاستقبالات |
| | | ١٢ قاعة العرش |

شكل (١٢٦) - مسقط أفقي للرامسيوم (معبد رمسيس الثاني الجنائزي)

مصاعب وراثه العرش بعد رمسيس الثانى

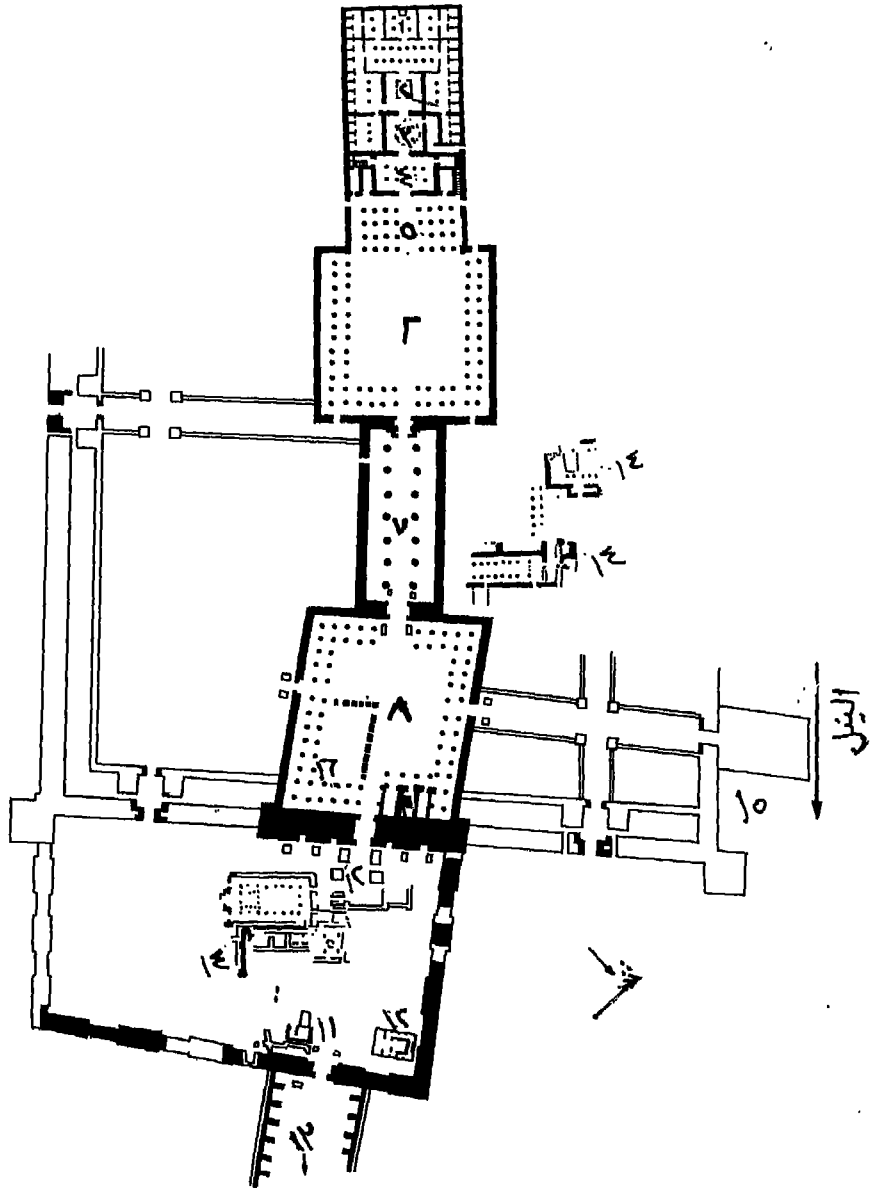
لم تستمر الأسرة التاسعة عشرة أكثر من جيل بعد وفاة " رمسيس " الثانى . ولم يشر اعتلاء " مرنپتاح " العرش أى مشاكل ، على ما يبدو ، إذ تم اختياره من قبل أبيه وهو لا يزال على قيد الحياة ولم يكن سوى ابنه الثالث عشر الذى رزق به من زوجته الملكة "إيزيس نفرت " التى أنجبت له ثلاثة أولاد من قبله . واستمر حكمه أقل من عشر سنوات ، ورزق من زوجته التى كانت تحمل هى أيضا اسم " إيزيس نفرت " ابنا يدعى " سبتى مرنپتاح " سوف يصبح فيما بعد الملك " سبتى " الثانى .

وأبقى مرنپتاح على " پررمسيس " عاصمة لمصر ، ولكن مكانة مدينة منف تعاظمت فى عهده اذ شيد فيها قصرا ، ثم معبدا كرسه لإقامة شعائره الجنائزية ، وبدأ العمل فى معبد للإله پتاح . وعثر على آثار لنشاطه فى ميناء هليوبوليس وفى هرموبوليس حيث استكمل ، على الأرجح ، المعبد الذى بدأ رمسيس الثانى فى تشييده . وفى بلدة " السرايرية " الواقعة شمال المنيا أقام معبدا منحوتا فى الصخر وكرسه للإلهة حتحور " سيدة اللهبين المتأججين " . كما أقام معبدا صخريا فى جبل السلسلة . وربما شيد معبدا فى دير المدينة ؟ ولكنه اغتصب على كل حال " أوزيريون " أبيدوس والمعبد الذى خصصه " منتحوتب " " الثانى " " لحتحور " فى دندرة . كما شيد معبدا جنازيا بمواد البناء المتخلفة عن هدم معبد أمنحوتب الثالث فى طيبة وأخيرا ، وليس آخر ، دفن فى وادى الملوك (VdR 8)

ترتبط أبرز أحداث عهده بالسياسة الخارجية. فقد ظل " مرنپتاح " يتمتع فى آسيا بنتائج المعاهدة التى عقدها " رمسيس " الثانى فى العام الحادى والعشرين من حكمه بين مصر و " الحيثيين " . بل إنه امد " الحيثيين " بالقمح عندما أصابهم المجاعة . واستقرت الحدود بين الإمبراطوريتين عند خط يمتد من دمشق إلى بيبلوس ، واحتفظت مصر بحماياتها فى مناطق سوريا وفلسطين . ومع ذلك فقد اضطر " مرنپتاح " أن يجرّد حملة ضد عسقلان وجزر وإسرائيل ، كما سحق تمردا فى كوش . ويبدو أن الليبيين القاطنين فى " مرماريكا " كانوا وراء هذا التمرد ، فقد بدأت ليبيا تلعب دورا متزايدا التأثير على الأحداث الجارية فى البحر المتوسط . وسبق أن اضطر رمسيس الثانى إلى التصدى لمحاولات الشرادنا ، فأقام غربا سلسلة من التحصينات . كانت هذه الشعوب قد وصلت قبل قرن من الزمن الى ارض " التحنو " مع غيرها من الشعوب القادمة عبر

البحر المتوسط بعد أن دفعته إلى الجنوب الهجرات الهندو - أوروبية ، ومنها شعب "الليبو" الذي اشتق منه اسم ليبيا الحالي ، وشعب " المشاوش " والتعزيزات البشرية التي زحفت وراءه من شعوب هندو - أوروبية سعيًا وراء مناطق جديدة تستقر فيها ، كشعوب " الأكواش " و " الشاكالاش " و " التورشا " التي قدمت من شواطئ الأناضول ومن جزر بحر إيجه . وأطلق المصريون على هذه الجماعات البشرية اسمًا نوعيًا واحدًا شملها جميعًا وهو " شعوب البحر " . وحاول تحالف من هذه الشعوب الإغارة على مصر في أواخر السنة الخامسة من حكم " مرنبتاح " . وبأغت هجومهم المصريين الذين تأخر ردهم شهرًا من الزمن ، ولكنهم تمكنوا من صدهم ودحرهم وقتلوا منهم ستة آلاف مقاتل وأسروا منهم ستة آلاف جندي . وتدل ضخامة هذه الأرقام على أهمية هذا الصدام الذي كان مجرد محاولة أولى فحسب إذ سوف تزحف موجة الهجوم الثانية بعد عشرين سنة في عهد رمسيس الثالث .

وساد الغموض السنوات الخمسة عشر الأخيرة من الأسرة التاسعة عشرة . أما الرواية التي سجلت في وقت لاحق عن هذه الفترة في عهدي " ست نخت " و " رمسيس " الرابع فلا تلقى الضوء على الموقف نظرًا للصورة المظلمة التي تعمدت رسمها عن هذه السنوات . وبوفاة مرنبتاح تفجرت أزمة وراثية العرش ، وكان ذلك متوقعًا بالنظر إلى طول مدة حكم "رمسيس" الثاني . فوفاة أولياء العهد تبعًا واختيار " مرنبتاح " لتولي السلطة رغم ترتيبه الثالث عشر، كانا سببًا في ما احتدم من صراع بين أفراد الجيل اللاحق من العائلة المالكة الذين خرجوا من صلب رمسيس الثاني ، وتولى أحدهم السلطة ويدعى " آمون مس " الذي ربما كان ابن " تاخعيت " من بنات رمسيس الثاني التي لا نعرف عنها شيئًا . أما هو فقد تزوج الملكة " تي عا " وأنجب منها ابنًا سوف يخلف أباه ويدعى " سي پتاح " . ويبدو أن حكم " آمون مس " قد دام خمس سنوات، إذا أخذنا بما ورد في بردية " سالت ١٢٤ Salt " ومن الصعب تتبع ما تركه هذا الملك من أثر على المباني لما عرف عنه فيما بعد من اغتصابه منشآت أسلافه . ولكن جاء خليفته ليمحو بدوره اسمه ! وظلت مقبرته في وادي الملوك (VdR10) ناقصة لم تكتمل، وتم إتلافها عن عمد وقصد . وقد وصلنا مصدر هام للمعلومات عن هذا العصر جدير بالثقة إلى حد كبير ، هو محفوظات جماعة الحرفيين بدير المدينة التي نجح العلماء في إعادة تصنيفها ، وتسجيل المصاعب التي واجهتها الحكومة للوفاء بمسئولياتها ، والمواظبة على إمداد القرية بالمؤن ، وانفجار الاضطرابات في منطقة طيبة .



١٢ هيكل روماني مكرس
لزيوس - هليوس - سراجيس
١٣ الطريق المقدس
١٤ كنائس
١٥ المرسى ومقياس النيل
١٦ مسجد أبي العجاج

٦ فناء امنحوتب الثالث الامامي
٧ رواق الطواف (امنحوتب الثالث)
٨ فناء رمسيس الثاني
٩ استراحة تالوث طيبة
١٠ مسلة مازالت قائمة في مكانها
١١ معبد حتحور

١ مقصورة قدس اقداس امنحوتب الثالث
٢ مقصورة الإسكندر لاستراحة المراكب
٣ الماليزي
٤ هيكل روماني
٥ بهر اساطين

شكل (١٢٧) - مسقط أفقي لمعبد الأقصر



شكل (١٢٨) - رمسيس الثانى جالساً ممسكاً بالصولجان "حقاً"، بين "آمون حر خبش إف". من ناحية

وزوجته فى الناحية الأخرى. تقشال عشر عليه فى الكرنك. من الجرانيت الارتفاع ١٩٠ سم

(متحف تورينو - Museo egizio 1380)



شكل (١٢٩) - "حعبي" يكتب .
تمثال الكوارتزيت . الارتفاع ٦٩سم (CGC 42184)

أعمال الأغتصاب والتعدى

بعد خمس سنوات حل "سيتى" الثانى محل "آمون مس" ، و "سيتى" الثانى هو الوريث الشرعى "لمرنبتاح" ، وقد ساد الهدوء النسبى على ما يبدو طيلة فترة حكمه الذى دام ست سنوات . واذا لم يخلف لنا الزمن شيئا عن سياسته الخارجية ، فمن الملاحظ مع ذلك استمرار النشاط فى مناجم سراييط الخادم . كما وضع برنامجاً للانشاءات كان تنفيذه أقل طموحا من ألفاظه الرنانة . ومع ذلك فقد خلف لنا آثاراً فى هرمبوليس حيث استكمل زخرفة معبد "رمسيس" الثانى ، كما شيد فى الكرنك معبد لاستراحة المركب المقدس فى الفناء الأول من معبد "آمون - رع" بالإضافة إلى عدد من الزيادات التى أضافها للمعبد "موت" .

وتزوج " سيتى " الثانى ثلاث ملكات مما ترتب عليه تعقيدات فى نظام وراثه العرش . فقد اتخذ من " تاخعت " الثانية زوجة أولى إلا أنه لم ينجب منها على ما يبدو وريثاً للعرش . ولكنه رزق من زوجته الثانية الملكة " تاوسرت " ابناً حمل إسم " سيتى - مرنتپاح " مثل أبيه ، إلا أنه توفى للأسف طفلاً قبل وفاة أبيه ، فارتقى عرش البلاد الأمير " رمسيس سى پتاح " ابن الملكة الثالثة . وبالنظر إلى صغر سنه على ممارسة سلطانه ، فقد اضطلعت " تاوسرت " زوجة أبيه بدور الوصاية على عرش البلاد . ولم يشكك الجهاز الإدارى قط فى شرعية الملك الصغير ، فأعرب الضباط المصريون عن ولائهم للملك البلاد فى المخريشات التى خلفوها فى النوبة . لقد حكم البلاد فى ظل الوصاية الثانية لكل من زوجة أبيه و " باى " حامل الأختام " الذى أقام الملك على عرش أبيه " . ولم يذكر المصريون هذا الشخص كما لم يذكروا " تاوسرت " بالخير . وشغل " باى " منصب الكاتب الملكى فى خدمة " سيتى " الثانى ، ويروى التقليد المتواتر أنه غرر بأرملة الملك المتوفى التى عينته مشرفاً على كل الخزانة . ومن الواضح أن مكانته فى البلاط الملكى بلغت مستوى رفيعاً حتى أنه استطاع أن يجهز لنفسه مقبرة فى وادى الملوك VdR13) ومن المتفق عليه أنه أجنبى الأصل ، وأنه الشخص الذى تشير إليه بردية " هاريس " (Harris) بعبارات أبعد ما تكون عن الزلفى والمداينة عندما تتحدث عن الفوضى التى سادت عصره :

" سادت مصر الاضطرابات . وأصبح كل شخص يضع قانونه الخاص . وعلى امتداد عدة سنوات لم تعرف مصر حكومة ، قبل أن تنتقل إلى عصر " الآخرين " . وتحكم الأعيان وعمد القرى فى البلاد ، وذبح الإنسان زميله ورفيقه ، غنياً كان أم فقيراً . وسيطرت على مصر خلال السنوات " الفارغة " عائلة غريبة كان " إرسو " السورى واحداً من أفرادها واعتبر نفسه من الأعيان . وبصفته الإدارية سيطر " إرسو " على البلاد بأسرها ، وتآمر هو وأعوانه للسطو على الناس ، وعوملت الآلهة كما لو كانت من البشر ، فلم تقدم لها القرابين فى معابدها « (بردية هاريس رقم ١ : ٧٥ : ٢ - ٦) .

ويمكن أن يعنى إسم " إرسو " بالمصرية القديمة الشخص الذى كون نفسه بنفسه " أى " العصامى " . وربما كان أسلوباً تهكمياً للإشارة إلى " باى " لحرمانه من الوجود والمروءة إلى العالم الآخر بعد الوفاة ، وهى الحالة التى يمكن أن يصل إليها المتوفى بمجرد النطق باسمه الحقيقى . كما أن عدم ذكر الإسم الحقيقى للمتوفى هو أسلوب شاع

فى النصوص السياسية ، وسوف نجد تطبيقاً له خلال المؤامرة التى تم تدبيرها ضد رمسيس " الثالث . أما السنوات " الفارغة " فتشير إلى الزمن الذى ظلت فيه السلطة شاغرة بعد أن شغلها عائلة مغتصبة .

وبعد انقضاء ثلاث سنوات ، أحدث " سى پتاح " تغييراً فى الإسم الذى اتخذته عند اعتلائه العرش ، فاستبدل " رمسيس سى پتاح " بإسم جديد هو " مرنيپتاح سى پتاح " (Drenkhahn : 1980, 15) . وبعد ثلاث سنوات توفى ودفن هو أيضاً فى وادى الملوك (VdR 47) وقد أزيل خرطوشه الملكى فى بادئ الأمر ثم أعيد ثانية ، ولم يعثر على معبد الجنائزى الذى لم يكتمل بناؤه على الأغلب . أما " تاوسرت " فقد دام حكمها سنتين . وإذا كان عصرها هو فى حقيقة الأمر أقل ازدهاراً مما يسوحى به الأديب الفرنسى تيوفيل جوتييه (Théophile Gautier) ، فقد تركت أثراً فى سيناء وفلسطين . وسجلت هليوبوليس نشاطها الإنشائى بالإضافة إلى طيبة بالطبع حيث شيدت معبدها الجنائزى جنوب الرامسيوم . وأقامت مقبرتها فى وادى الملوك (VdR 14) .

الأسرة التاسعة عشرة	١٢٩٥ - ١١٨٨
رمسيس الأول	١٢٩٥ - ١٢٩٤
سيتى الأول	١٢٩٤ - ١٢٧٩
رمسيس الثانى	١٢٧٩ - ١٢١٢
مرنيپتاح	١٢١٢ - ١٢٠٢
أمون مس	١٢٠٢ - ١١٩٩
سيتى الثانى	١١٩٩ - ١١٩٦
سى پتاح	١١٩٦ - ١١٩٠
تاوسرت	١١٩٠ - ١١٨٨
الأسرة العشرون	١١٨٨ - ١٠٦٩
ست نخت	١١٨٨ - ١١٨٦
رمسيس الثالث	١١٨٦ - ١١٥٤
رمسيس الرابع	١١٥٤ - ١١٤٨
رمسيس الخامس	١١٤٨ - ١١٤٤
رمسيس السادس	١١٤٤ - ١١٣٦
رمسيس السابع	١١٣٦ - ١١٢٨
رمسيس الثامن	١١٢٨ - ١١٢٥
رمسيس التاسع	١١٢٥ - ١١٠٧
رمسيس العاشر	١١٠٧ - ١٠٩٨
رمسيس الحادى عشر	١٠٩٨ - ١٠٦٩

شكل (١٣٠) - جدول الترتيب الزمنى للأسرتين التاسعة عشرة والعشرين

وقد اغتصب " ست نخت " مقبرتها وأكملها ، نظراً لأن الحفر الذى أجراه فى المقبرة رقم ١١ ، والتى كان يزعم أن يخصصها لنفسه ، قادت العمال صدفة إلى المقبرة المجاورة رقم ١٠ ، وهى مقبرة " أمون مس " . و يعلن " ست نخت " طرد الغاصب (KRI 671,10 - 672,14) وتنعتة بردية هاريس رقم ١ بأنه صاحب الفضل فى إعادة النظام إلى ربوع مصر . ومن الواضح أن الانتقال إلى أسرة جديدة لم يقترن بالعنف . فقد أبقي " ست نخت " نائب الملك فى كوش " حورى بن كاما " مع ملاحظة أنه يدين بتعيينه إلى " مرنيتاح سى پتاح " وليس إلى " تاوسرت " . كما أبفى سَمِيَه الوزير حورى فى منصبه . ولم يدم حكم " ست نخت " سوى عامين . وكان ابنه الذى رزق به من الملكة " تى مر إن إيزيس " والتى يعنى اسمها " تى حبيبة إيزيس " هو الذى خلفه على عرش مصر ويعتبر آخر ملوك الدولة الحديثة العظام .

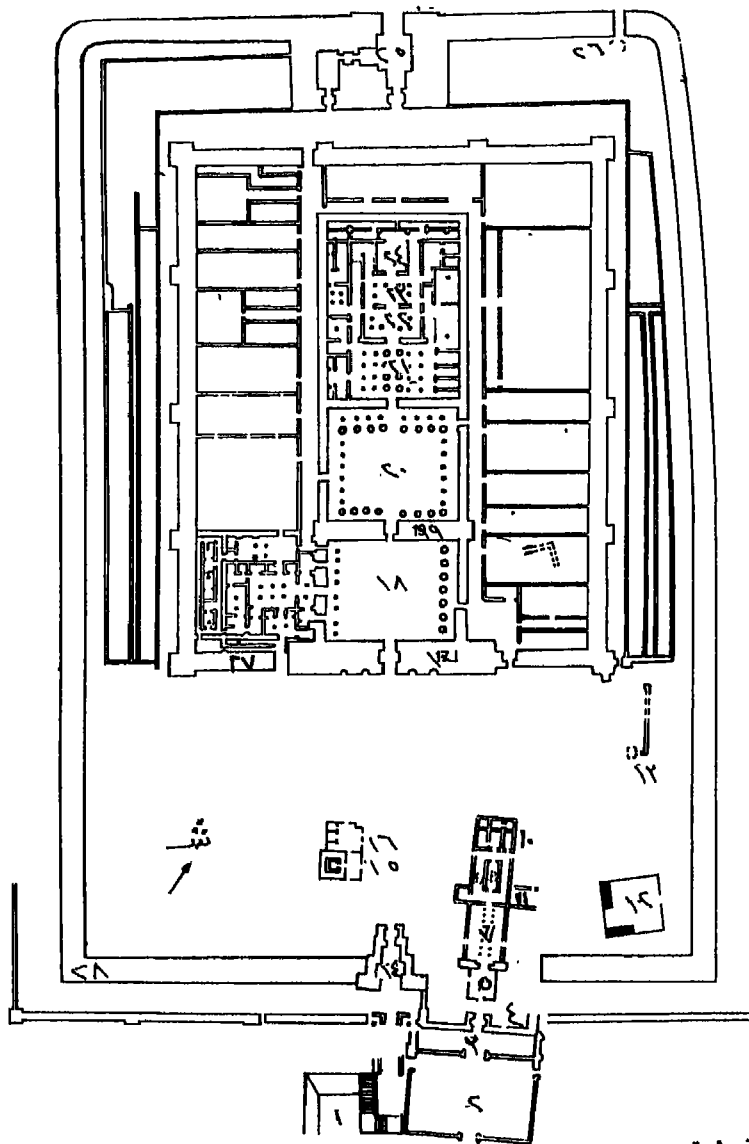
رمسيس الثالث

منذ البداية اتخذ رمسيس الثالث من " رمسيس " الثانى نموذجاً يقلده ويحاكيه . وحذا خلفاؤه حذوه ، ولكنه يظل أكثرهم تصميماً على التشبه به ، سواء بما اختاره من ألقاب ملكية أم بالمعبد الجنائزى الذى شاده على نموذج الرامسيوم . وإذا لم ينجح حقاً فى بلوغ عظمة سلفه المجيد ، فقد عادت مصر فى ظل حكمه تفرض للمرة الأخيرة نفوذها الأكيد على الشرق الأدنى . وتخرج موقفه فى الخارج على غرار الموقف الذى واجهه " رمسيس " الثانى . فالليبيون الذين تصدى لهم " مرنيتاح " وطردهم عاودوا الكرة وهاجموا غرب الدلتا ، فهزمهم " رمسيس " الثالث وأدمج قسماً من قواتهم فى الجيش المصرى . إلا أن انتصاره لم يكن ساحقاً بل كان نسبياً بجميع المقاييس . ففى العام الحادى عشر من حكمه ، ولم يكن قد مر ست سنوات على المعركة الأولى ، اجتاحت مصر موجة جديدة من الليبيين ، ولكن المصريين حققوا نصراً جديداً ، وألحق الأسرى كمرتزقة فى الفيوم والدلتا . وتحمل أجساد هؤلاء القوم أثر وضعهم المستعبد الذليل إذ تم كيهم بالحديد المحمى . لقد فقدوا كافة ممتلكاتهم وعلسى رأسها قطعانهم التى ألحقت بممتلكات " أمون " ، كما وقعوا أسرى هم ونساؤهم وأطفالهم . واستطاعوا أن يتكاثروا وينجبوا الذرية التى جددت الآليات التى كانت قد مهدت للغزوات التى شهدتها مصر فى أواخر الدولة الوسطى . وشيئا فشيئاً ، تألفت جماعات ليبية إلى هذا الحد أو ذاك ، جانب منها من أبناء المهزومين ، وجانبها الآخر من المستوطنين الذين نزحوا عبر

غرب الدلتا سلمياً ، وتركزت هذه الجماعات فى مناطق محددة ثم استولت على السلطة عندما غرقت الدولة فى بحار الفوضى .

وفى العام الثامن من حكمه وفى فترة ما بين الحريين الليبيتين تصدى " رمسيس " الثالث لغزوة جديدة شنتها شعوب البحر والبلستى (أو الفلستينيون) الذين انضموا إليهم . واستطاعت حاميات فلسطين أن توقف زحفهم البرى ، غير أنهم تسلموا إلى الدلتا عبر مصبات النيل الشرقية فالتقى بهم " رمسيس " الثالث فى معركة بحرية سرد وقائعها هى والحملتين الآخرين على جدران معبد الجنائزى فى مدينة هابو. وقد أحيطت بمشاهد مستمدة من الحوليات ونوادرها ، فنرى المصريين وهم يخوضون معارك وهمية ضد الحيثيين والسوريين والنوبيين ... نُسخت مناظرها من المشاهد المصورة على جدران الرامسيوم .

يقع المكان الذى اختاره " رمسيس " الثالث لإقامة معبد الجنائزى على بعد حوالى كيلو متر واحد إلى الجنوب من الرامسيوم . إن اسم مدينة هابو الذى يطلق حالياً على هذا الموقع يقصد به المدينة المسيحية التى استقرت خلف أسوار المعبد والتى انتقلت فيما بعد إلى إسنا مع الفتح العربى . كان الموقع تابعاً لمعبد الأقصر خلال الأسرة الثامنة عشرة ، فهو " الأكمة الغربية " للمعبد . وظلت هذه الذكريات حية حتى العصر المتأخر وتجسدت فى دفنة " آمون كاموتف " وموكب " إمن إم أيت " . وبحلول الأسرة الحادية والعشرين أصبح المكان مأوى لسكان المناطق المجاورة الذين أسسوا فيه مدينة تحولت إلى مطرانية فى العصر المسيحى ، وقد أطلق عليها " يات چامت " واختصارها " چيمة " التى أصبحت باليونانية " طيبى " (Thebai) . وتهىئ لنا هذه المدينة ، استراتيجياً ، تشكيلاً من طبقات أرض متراسة ومتعاقبة بدءاً من الأسرة الحادية والعشرين وحتى الفتح العربى ولكنها للأسف لم تجد الاهتمام الذى يليق بها . لقد هجرها القوم مع الفتح العربى ، وكانت على حالها تقريباً عندما اكتشفها أوجست مارييت عام ١٨٦٠ وقام بأعمال التنظيف الأولية التى أصلها جريبو E. Grébaut وجورج دارسى G. Da-ressy . واقتصر عملهما على إخلاء المكان بأسرع ما يمكن من المباني المشيدة بالطوب النئى للوصول إلى الطبقات القديمة . وقام تيودور ديفيز Th. Davies عام ١٩١٢ بالتنقيب عن معبد " رمسيس " الثالث . وفى عام ١٩١٣ نهب " جامعو السباح " المنشآت المشيدة بالطوب اللبن لاستخدامها سماًداً للأرض الزراعية . وقام المعهد الشرقى

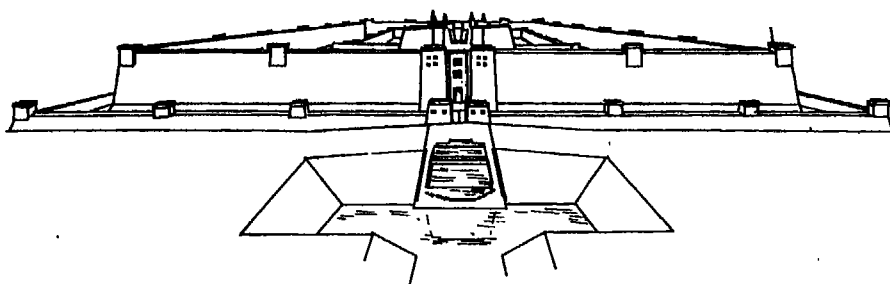


- ١٩ الصرح الثاني
- ٢٠ الفناء الثاني
- ٢١ بهو الأساطين الأول
- ٢٢ بهو الأساطين الثاني
- ٢٣ بهو الأساطين الثالث
- ٢٤ مقصورة المركب
- ٢٥ باب غربي محصن
- ٢٦ باب رمسيس الثالث
- ٢٧ القصر
- ٢٨ سور الحرم

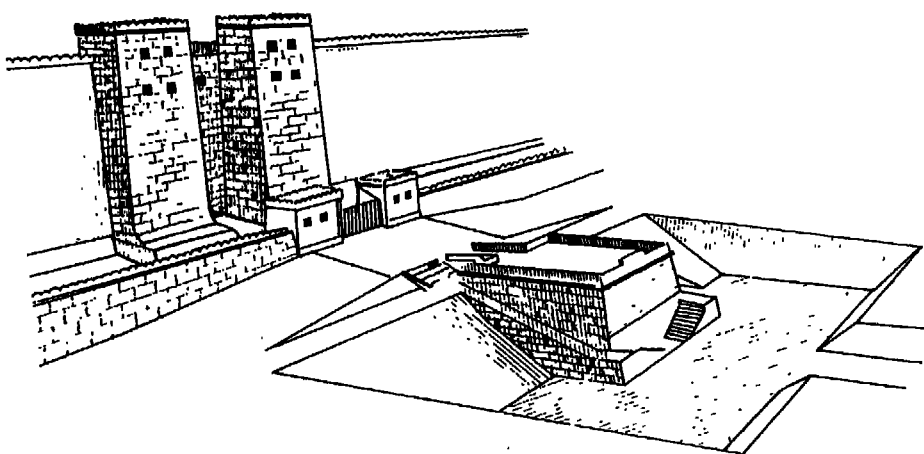
- ١٣ مقياس النيل
- ١٤ بوابة
- ١٥ هيكل عابدات الإله
- ١٥ هيكل امنربيس
- ١٦ هيكل نيتوكريس
- وشين أوبت الثانية
- والملكة محتى إن وسخت
- المعبد الجنازى لرمسيس الثالث
- ١٧ الصرح الأول
- ١٨ الفناء الأول

- ١ المرسى
- معبد الأميرة الثامنة عشرة
- ٢ فناء من العصر الروماني
- ٣ رواق من العصر البطلمي
- ٤ الصرح الأول (بطلمي)
- ٥ الفناء الأول (نختم الأول)
- ٦ الصرح الثاني شباكا
- ٧ فناء ذو أعمدة من العصر الصاوي
- ٨ مقصورة المركب
- ٩ فناء ذو صافات
- ١٠ القاعات الغربية
- ١١ قاعة هكر (أكوريس)
- ١٢ البحيرة المقدسة

شكل (١٣١) - معابد مدينة هابو



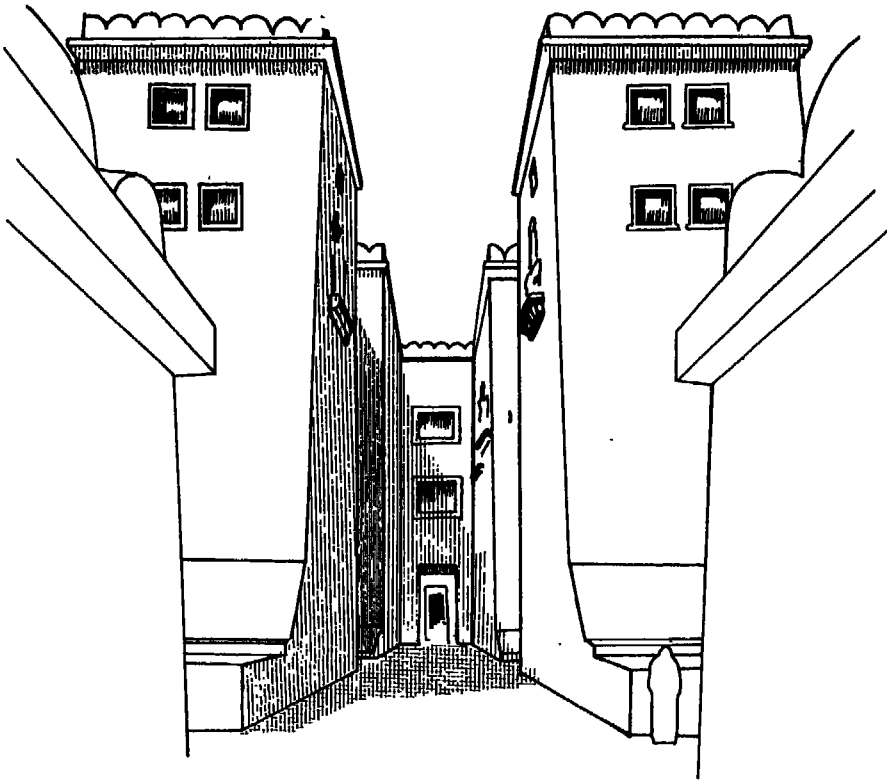
شكل (١٣٢) - منظور رسم تخيلي لأسوار مدينة هابو: من ناحية الشرق



شكل (١٣٣) - تفصيل المرسى والبوابة

Oriental Institute بشيكاغو بإعداد تقرير عن المعابد على امتداد ست مواسم من ١٩٢٧ وحتى ١٩٣٣ .

وعندما استقر رأى " رمسيس " الثالث على إقامة معبد جنائزى فى هذا المكان كان الموقع يضم مجموعة مبان (شكل ١٣١ / ٩ - ١١) بدأ تشييدها " أمنحوتب " الأول وأكملتها " حتشبسوت " و " تحوتمس " الثالث . وأضيفت إليها تباعاً سلسلة من الزيادات آخرها فى العصر الرومانى (٧ - ٢) . وأحاط " رمسيس " الثالث هذه المجموعة المعمارية بسور يشكل محيطاً مترامياً يفسح المكان لرحبة تفصل الصرح الأول عن المدخل الشامخ الذى يفضى إلى رصيف المرسى (١) . وما زالت هذه المباني تحتفظ بالخطوط العامة للشكل الخارجى للمعبد المصرى .

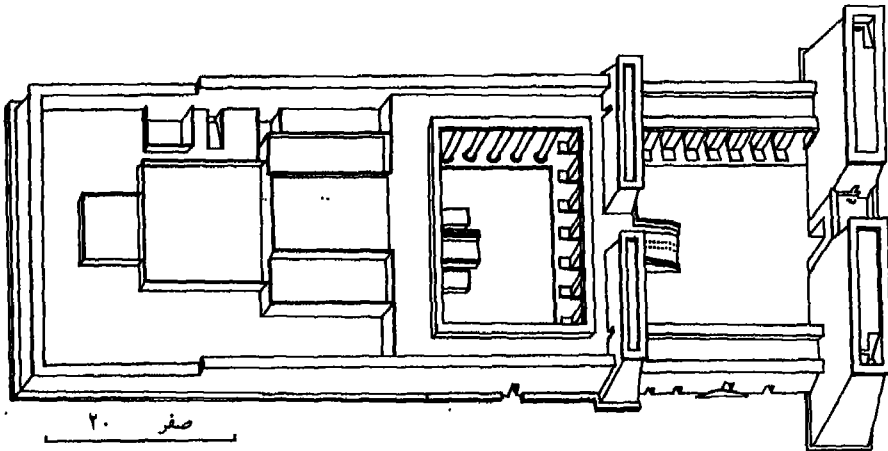


شكل (١٣٤) - مسقط رأسى. منظور واجهة: مجدل" (القلاع السورية)

أما المعبد فى حد ذاته فله سوره الخاص ، وقد أخذ عند تشييده بالنموذج التخطيطى للرامسيوم . وتتوسط المعبد منشآت الشعائر . أما المخازن والمبانى الملحقة فتنتشر على طول محيط المعبد . وينهض صرحان (١٧ - ١٩) على التوالى يفضى كل منهما إلى فناء ، ثم نعب ثلاثة أبهاء أساطين متعاقبة لنصل تدريجياً إلى قدس الأقداس . ويفضى الفناء الأول (١٨) إلى القصر (٢٧) الذى يتكون -بالإضافة إلى قاعات الاحتفالات - من الأجنحة الخاصة ، المجهزة بحمام .

وصورت معارك " رمسيس " الثالث على السطوح الداخلية للمعبد والسطوح الخارجية لسور حرم المعبد . ونشاهد على الواجهة الخارجية للصرح الأول (١٧) شعائر تقديم المغانم " لآمون " وتكريسها له . ودون على البرج الشمالى وقائع الحرب الليبية الثانية . ويحمل جدار سور حرم المعبد مسرداً للحملات العسكرية التى قادها الملك ، وفى المقام الأول المعركة البحرية التى خاضها ضد شعوب البحر .

كان الغرض من هذه المناظر أن يشاهدها جمهور المؤمنين الذين حُرّم عليهم دخول المعبد الذى أصبحت له وظيفة إعلامية ، كما أنه أيضا كان مكانا يمارس فيه الملك مختلف أوجه نشاطه لصالح الإله . فالمعبد يمثل الكون المتمركز حول الإله الذى يسهر الملك على إقامة شعائره . والنصوص والمناظر العسكرية هى آثار بمعنى الكلمة ، تنقل إلى الأجيال القادمة أشهر الأحداث وقيمتها كنموذج أولى يتعدى مفهوم الزمن:



شكل (١٣٥) - مسقط رأسى للمعبد الجنائزى لرمسيس الثالث

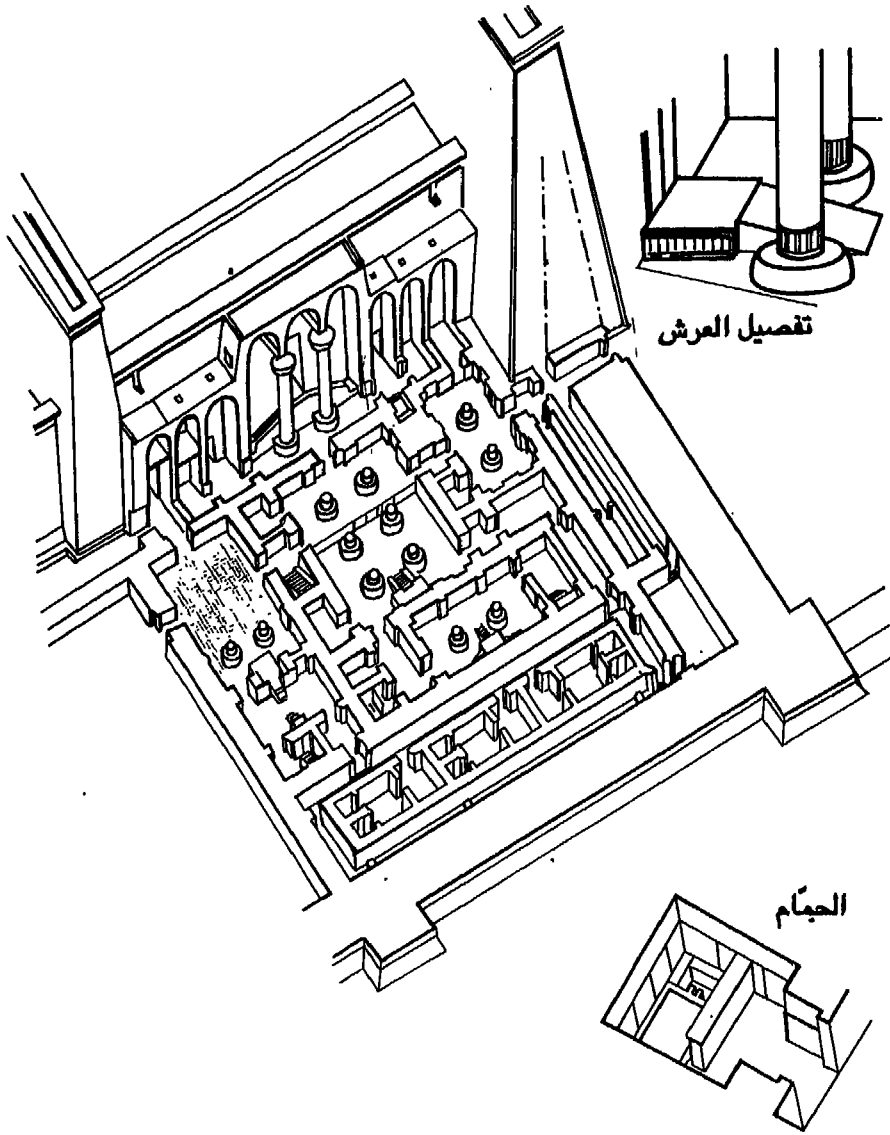
" فرمسيس " الثالث يهزم تحالف الليبيين وشعوب البحر شر هزيمة ، وينضم إليهم الأعداء الذين هزمهم "رمسيس " الثانى . وهكذا يلتقى التاريخ بالأسطورة بفضل عملية استبدال تحيل التاريخ إلى مادة للطقوس الدينية . ولهذا السبب صورت حروب "رمسيس" الثالث داخل المعبد فى الفناءين الأول والثانى جنباً إلى جنب مع إحياء مناسبات دينية محض ، كموكب الإله " مين " ، أو تصورات لها طابعها السياسى القاطع كقائمة أبناء " رمسيس " الثالث المدونة فى الرواق الغربى من الفناء الثانى على غرار قائمة أبناء " رمسيس " الثانى فى الرامسيوم .

واكتمل بناء معبد مدينة هابو فى العام الثانى عشر من حكم " رمسيس " الثالث الذى لم يشيد قدر ما شيد " رمسيس " الثانى ، المثل الأعلى الذى حذا حذوه . ومع ذلك فقد شيد الكثير . حيث العديد من الأعمال فى معبد الأقصر وفى الكرنك بخاصة . فبدأ العمل فى معبد " خنسو " وهو الإله الإبن فى ثالث طيبة . وأقام معبداً لاستراحة المركب المقدس فى المكان الذى أصبح فيما بعد الفناء الأول . واستناداً إلى رواية بردية " هاريس " رقم ١ التى تقدم فى قسمها التاريخى أخبار عهده ، فقد أقام العمائر فى " پررمسيس " وهليوبوليس ومنف وأتريب وهرموبوليس وأسيوط وثنى وأبيدوس وأومبوس وكويتوس والكاب وفى النوبة وفى سوريا ... كما جرد الحملات إلى عتكا (" قنا ") لإحضار النحاس وكذلك إلى بلاد بونت . ولكن حكمه لم يسلم مما يكدر صفوه . فابتداءً من العام الثانى عشر واجه المتاعب سواء على الصعيد السياسى أو على الصعيد الاقتصادى . فعزل وزيره المقيم فى أتريب ، واضطر إلى مراقبة تسليم المؤن المخصصة للمعابد بانتظام . وقد ثارت نفس المشكلة عند نهاية عهده وتأخر صرف أجور جماعة دير المدينة لمدة شهرين مما تسبب فى وقوع أول إضراب تتوفر عنه المعلومات. لقد توقف العمال عن العمل وتوجهوا إلى الوزير " تا " المقيم فى الرامسيوم ورفعوا إليه شكواهم . ولاشك أن أسباب هذه المشاكل اقتصادية فى المقام الأول ، وإن أفصححت أيضاً عما أصاب سلطة الدولة من وهن فى مواجهة سلطة الكهنة الذين اتسعت أملاكهم وتعزز سلطانهم أكثر مما ينبغى . كما لم تهدأ شدة الصراعات داخل الأسرة الحاكمة وهى تلك الصراعات التى أدت إلى سقوط الأسرة التاسعة عشرة . لقد تزوج " رمسيس " من المدعوة " إيزيس " ابنة " حابا جيلات " ، وكانت من أصل سورى ، وهو أمر غير مستهجن فى حد ذاته . وحذا " رمسيس " الثالث حذو " رمسيس " الثانى فأطلق على أبنائه أسماء الملك العظيم . ولم يكتف القدر بهذا الحد من المحاكاة . فقد وافت المنية أيضاً العديد من أبنائه أثناء حياته وهم " پارع

حر أونا مف " (المقبرة 42 VdQ) و " ست حر خبش إف " (المقبرة 43 VdQ) " خع
إم واست ٤ (المقبرة 44 VdQ) و " رمسيس " و " أمون حر خبش إف " (المقبرة
55 VdQ) وإضافة إلى ماسبق فقد انتهى عهده بمؤامرة دبرتها فى الحرم
الزوجة الثانوية " تبيى " بالنظر إلى عدم وجود زوجة ملكية عظمى معترف بها من قبل
الملك، فتآمرت ليعتلى ابنها " بنتاؤور " عرش البلاد . ووصلنا العديد من النسخ الأصلية
من البرديات التى تحكى وقائع محاكمة المتآمرين فى عهد " رمسيس " الرابع وأهمها
البردية المحفوظة حالياً فى متحف تورين .

وضمت " تبيى " إلى جانبها نساء الحرم وكبير الخدم وكبير السقاة بل اتصلت إحدى
سيدات الحرم بأخيها قائد قوات كوش . كما كان قائد بالجيش ضالعا فى المؤامرة ،
وبلغ مجموع المتآمرين ثمانية وعشرين . وتشير إليهم النصوص بأسماء مستعارة
شائنة أمثال " الشر فى طيبة " و " رع يمقته " إلخ ... وكان الغرض منها وصم
جريمتهم الشنعاء إلى الأبد . ووضع المتآمرون خطة غاية فى البساطة بقدر ما هى
شيطانية . فقد عقدوا العزم على تنفيذ مخططهم أثناء الإحتفال بعيد الوادى فى مدينة
هابو . ومن الأساليب التى لجأوا إليها الشعوذة بواسطة قماثيل سحرية صغيرة . وفشلت
خططهم وقدموا للمحاكمة أمام محكمة مكونة من اثنى عشر من كبار الموظفين من
المدنيين والعسكريين . وتم إعدام الجانب الأكبر من المتآمرين (سبعة عشر متآمرا) ،
وسُمح لسبعة منهم بالانتحار ومن بينهم " بنتاؤور " . وتشعبت القضية حتى أن القضاة
أنفسهم لم يكونوا بمنأى عن توجيه الاتهامات إليهم ، فألقى القبض على خمسة منهم
بتهمة التواطؤ ، أو لمجرد قرابتهم بالنساء المتورطات فى المؤامرة ، وحكم على أحدهم
بالأنتحار وقُطعت أنوف ثلاثة آخرين وصُلّمت آذانهم . أما الخامس فقد أكتفى بتوجيه
اللوم له .

وانتهت حياة " رمسيس " الثالث إذن بعد أن حكم مدة إثنين وثلاثين سنة دون أن
يحقق المجد الذى حققه النموذج الذى اهتدى به . كما واجه فى حفر مقبرته مصاعب
عديدة ، إذ أوقف العمال حفرها (3 VdR) وواصلوا العمل فى مقبرة أخرى هى
مقبرة " ست نخت " التى كان العمال قد بدأوا العمل فيها ، وتعرف اصطلاحاً بمقبرة
العازفين على القيثارة . (11 VdR) وبينما كانت أعمال الحفر تسير على قدم وساق



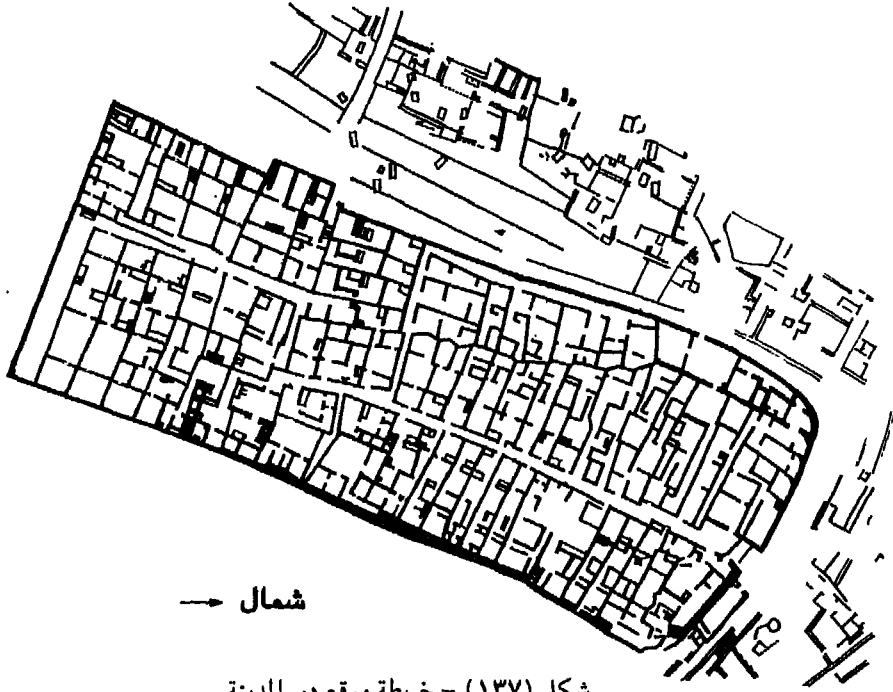
شكل (١٣٦) - منظور رسم تخيلي للقصر. تفصيل العرش والحمام

وبعد أن فرغ العمال من نقر الممر الثالث وجدوا أنفسهم في مقبرة " آمون مس " (رقم ١٠ من مقابر وادى الملوك) ، فتم تعديل محور المقبرة ليصبح موازياً للمقبرة المجاورة . وقد عثر على مومياء الملك في خبيثة الدير البحرى وملامحها هى ملامح رجل فى الخامسة والستين من عمره مات ميتة طبيعية على ما يبدو .

وخلفه ثمانية ملوك فى أقل من قرن من الزمن ، حملوا جميعا اسم " رمسيس " ، كما انتسبوا إلى " رمسيس " الثانى الذى أصبح إلى هذا الحد أو ذاك رمزاً وفؤجاً لأمجاد ماضى البلاد التليد . وخلف " رمسيس " الرابع والده وواصل ملاحقة المتآمرين . وكان قد بلغ الأربعين من عمره عندما اعتلى عرش البلاد وأكد تصميمه على حبس الهبات على البلاد وسجلها فى بردية (هاريس) رقم ١ . وكان يطمع أن تمنحه الآلهة العمر المديد بما يتجاوز عمر " رمسيس " الثانى مقابل ماخصهم من منشآت فى سنوات حكمه الخمسة الأولى حتى اعتبر نفسه بناءً عظيماً . ولكن الآلهة لم تستجب لصلواته وابتهالاته ، فتوفى بعد سنتين من ذلك ، ودون أن يحقق برنامجاً يتفق وطموحاته المعلنة . واضطر إلى التخلي عن تشييد معبد جنائزى قرب الطريق الصاعد لمعبد الدير البحرى بعد أن كان مخططاً له أن يكون شامخاً واكتفى بأن شيد منشأة صغيرة بين المعبد الجنائزى لأنحوتب بن جابر ودير المدينة . ومع ذلك فقد أنجز بعض الأعمال فى أبيدوس وهليوبوليس وفى الكرنك ، حيث أقام التماثيل وزخرف جانباً من معبد " خنسو " . كما ترك اسمه فى بهو الأساطين بالكرنك وفى الأقصر والدير البحرى وفى الرامسيوم وفى منف وقفت والمدامود وأرمنت وإسنا والطود وإدفو والكاب وبوهن وجرف حسين وعنيبة . وعثر على جعارين تحمل ألقابه فى فلسطين نفسها . وقاد الحملات إلى محاجر وادى الحمامات وإلى سيناء . وفى عهد " رمسيس " الرابع كان لمجتمع دير المدينة شأن عظيم لم تعرفه طوال حكم الأسرة العشرين ، فقد ضاعفت الدولة الفرق ليصل عدد العاملين بها إلى مائة وعشرين فرداً .

مجتمع الحرفيين بدير المدينة

يبقى مجتمع الحرفيين بدير المدينة مصدراً وثائقياً على جانب كبير من الأهمية لعصر الرعامسة . انه مجتمع منغلق على نفسه ومحدود على كل حال ، حيث يضم مائة وعشرين من العاملين إلى جانب أفراد عائلاتهم . وبالرغم من ذلك تحتل اسهاماته مكان الصدارة فيما أمدنا به من معارف سواء فيما يتعلق بتخطيط المدن والعادات الاجتماعية والجنائزية والأدب ، أو فيما يخص حياة الناس فى أرجاء البلاد عامة . بحيث متابعة تطور المجتمع من جيل إلى آخر على امتداد فترة زمنية تصل إلى ثلاثة قرون . إن الكشف عن آلاف النصوص المدونة على الأوستراكا (أو اللخاف) وزهاء مائتى بردية قد أماط اللثام عن هذه الذخيرة من المعارف .



شكل (١٣٧) - خريطة موقع دير المدينة
(نقلًا عن Michalowski : 1958, 533)

تقع القرية في مجرى وادى قديم وتمتد من الشمال إلى الجنوب بين جبل قرنة مرعى والجرف الغربى لطبية . و " دير المدينة " اسم حديث مشتق من إسم الدير الذى أقامه الرهبان المرتبطون بمدينة " جيمة " فى القرن الخامس الميلادى داخل معبد المدينة القديمة . بل إن الدير ذاته - وكان شقيقه هو القديس " إيزيدور " - قد استعار اسمه من الإسم القديم " ياحب إمن " بعد تصحيفه إلى " فيبامون " . وفى عصر الرعامسة أطلقوا " ست ماعت " أى " مكان الحق " على المدينة وجبانيتها الواقعتين على امتداد التل الغربى .

وترجع بداية الموقع إلى الأسرة الحادية عشرة فلقد كان امتدادا لجبانتي دراع أبو النجا والدير البحرى . ولا تظهر قرية الحرفيين إلا مع بدء العمل فى وادى الملوك حيث أسسها " تحوتمس الأول " . كانت تتكون فى البداية من حوالى ستين منزلاً أقيمت فى أعماق وهددة الوادى ويحيط بها سور ، وتظهر بعض الهياكل فوق منحدر التل ، خصصها أهل القرية لإقامة شعائرتهم . ولم يعثر المنقبون على مخلفات تدل على استمرار عمال دير المدينة فى مزاوله نشاطهم خلال عصر العمارنة .. فهل اصطحب المنحوتب الرابع معه الحرفيين إلى " آخت آتون " ؟ من الصعب إبداء رأى قاطع ، إذ لا يعقل أن نجد من يجاهر

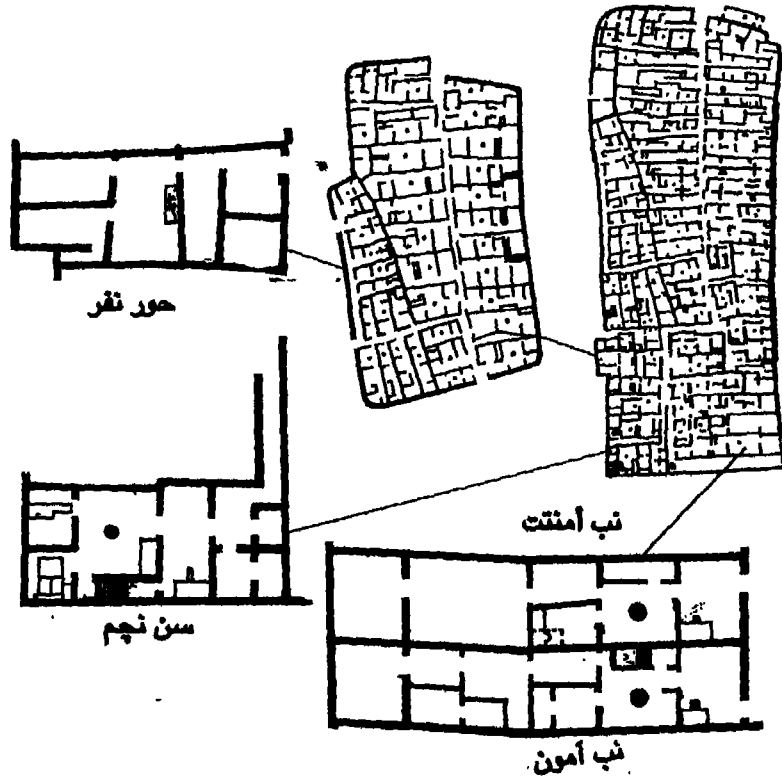
فى المستقبل بانتمائى إلى هذا التراث. والمعلومات المتوافرة حول الحرفيين فى تل العمارنة لم تتناول هذه النقطة بوضوح وصراحة ، إذ كل مايمكن الجزم به هو أن النشاط قد عاد ليدب من جديد فى دير المدينة فى ظل حكم " حور محب " فتوسعت القرية وفقاً لتخطيط حضرى محدد ، واستبدلت المقابر الفردية التى أقيمت فى أول عهد المدينة بمدافن عائلية فى التل الغربى الذى خصص لها من الآن فصاعداً .

والأسرتان التاسعة عشرة والعشرون هما عصر ازدهار دير المدينة . إذ بلغ عدد العمال مائة وعشرين عاملاً ، وعندئذ قارب عدد سكان القرية الألف ومائتى نسمة . وهذا الحد الأقصى يناظر عدد سكان القرية فى ظل كبار ملوك الأسرة التاسعة عشرة عندما بلغ نشاط الجبانة الملكية التى يعمل فيها العمال أوجه . وبحلول نهاية الأسرة التاسعة عشرة نشبت الاضطرابات التى سبق الإشارة إليها والتى تمخضت عن المشاكل الاقتصادية ، بقدر ماأثارها انعدام أمانة الموظفين المسئولين عن إمداد القرية بما يلزمها من مؤن وقموين . وفى صدر الأسرة العشرين عاد النشاط إلى سابق عهده ، وأخذ يزداد ويتسع ، إلى أن عمّت الإضرابات وانتشرت فى أواخر حكم " رمسيس " الثالث . وبعد المحاولات التى بذلها " رمسيس " الرابع من أجل تطوير إمكانيات المجتمع ، انخفض عدد العاملين من جديد إلى ستين فرداً فى عهد " رمسيس " السادس . واعتباراً من هذا التاريخ أخذ نجم المجتمع فى الأفول . ومع تصاعد الاضطرابات فى ظل حكم " رمسيس " التاسع انتشرت أعمال السلب والنهب فى منطقة طيبة . وخلال الأسرة الحادية والعشرين تشتت مجتمع الحرفيين بعد أن استقر فى دير المدينة مايناهز الخمسة قرون ، وانسحب العديد من أفرادهم ليهتموا خلف أسوار مدينة هابو، شأنهم فى ذلك شأن الفلاحين المقيمين فى المنطقة .

ومع ذلك لم تكن هذه نهاية الموقع . ففي الأسرة الخامسة والعشرين قام " طهرقا " بتشيد هيكل مكرس " لأوزيريس " ، أعيد استخدام قوالبه فى عصر لاحق مباشرة عندما شُيد مدفن " عابدة الإله : عنخ نس نفر إيب رع " ، فى العصر الصاوى . ولهذا السبب أقامت الفرق المكلفة بهذا العمل بصفة مؤقتة فى القرية . وفى العصر البطلمى أصبحت " بطلمية هرميو " (المنشأة ، حالياً) غرب سوهاج عاصمة لجنوب الصعيد بدلاً من طيبة . ولكن " جيمة " شهدت توسعاً منقطع النظير ، حيث امتدت المنشآت حتى دير المدينة . وأعيد تشيد معبد حتحور وماعت وتجميله . واستغرقت جميع هذه الأعمال

مائة وخمسين سنة . وفى غضون ذلك سكن القوم فى المساكن القريبة ، وعاد البعض إلى استخدام الجبانة لحسابهم الخاص فأفرغوها من محتوياتها وباعوا الأثاث والأماكن بعد أن صارت خاوية . وكانت هذه هى أولى أعمال النهب والسلب . وجاء النساك ليكملوا ما بدأه غيرهم ، فاتخذوا من المقابر المفتوحة سكناً لهم إلى أن جاء الفتح العربى ليطردهم من كانوا يشغلون الموقع . وقس على هذا ، إلى أن دبت الحياة فى الموقع من جديد مع حلول القرن التاسع عشر عندما زاره جان فرانسوا شامبوليون ونسخ زخارف بعض هذه المقابر . وكانت قيمة أولى المكتشفات لا مثيل لها . فلم يتردد " سالت " و " دروڤيتى " فى الانطلاق بحثاً عن الآثار بشتى الوسائل . وعندما تم الكشف عن مقبرة " سن نجم " عام ١٨٨٥ كان قد مضى نصف قرن على تعرض الموقع لأعمال السلب والنهب . وغذت هذه القطع الثمينة كبريات متاحف العالم ، فنذكر متحف تورين وحضور " اسكيابرىلى " خصيصاً إلى مصر بغرض استكمال مجموعته القيمة . ونشير أيضاً إلى متاحف لندن

قرية الحرفيين فى وضعها الثانى والثالث



شكل (١٣٨) - رسم تخطيطى للقرية وبعض المنازل .

وباريس ومتحف برلين الذى نقل إليه " ريتشارد لپسيوس " جدراناً كاملة من بعض المقابر ومع مطلع القرن العشرين ، وفى أعقاب اقتحام جامعى الآثار للموقع تحول إلى لقمة سائغة لأطماعهم . وأصبحت الحاجة ماسة إلى الأساليب العلمية لاستكشاف الموقع ! فقام " جاستون ماسپرو " بترميم المعبد البطلمى . وأجرت بعثة ألمانية بعض الجسات قبل الحرب العالمية الأولى . وعام ١٩١٤ حصل المعهد الفرنسى للدراسات الشرقية IFAO على هذا الامتياز . وقام " بروير " B. Bruyère بتنظيف القرية والجبانة فى الفترة من ١٩٢٢ إلى ١٩٤٠ ثم من ١٩٥٤ إلى ١٩٥٨ .

وزادت معارفنا عن العمارة الجنائزية وأساليبها الفنية نتيجة لهذه الحفائر . فمقابر الحرفيين التى شادوها فى غير أوقات عملهم هى آية فى البراعة والمهارة ، حتى أن المرء يستطيع أن يقارن بسهولة بين المظهر الخارجى لهذه المقابر التى اعتمدت فى تنفيذها على مواد بسيطة وأولية وبين مقابر الأشراف . إنه فن " التقليد والمحاكاة " : فيصبح اللبن بعد تلوينه وزخرفته شبيهاً بالحجر . وجرت العادة على حشو الصروح الواقعة أمام الهياكل بما تخلف عن أعمال الهدم الخ .. وقد أضفى فن الاقتباس هذا طابعه على أسلوب تشييد المنازل باستخدام كتل الصخر الضالة التى تمتاز بالطوب المقام عند الضرورة فوق أوتار كمرات من خشب . وتشبه هذه الأساليب الفنية تلك التى لاتزال مستخدمة فى المساكن المنتشرة فى ريف مصر فى الوقت الراهن . وتقدم مقابر الحرفيين صورة للحياة اليومية أكثر صدقاً من تلك التى تصورها مقابر الأشراف ، وفى نفس الوقت يمكن متابعة كثافة الجماعة واستمراريتها فى الدفنات العائلية ، فلم إلاماً أفضل بنسجها الاجتماعى .

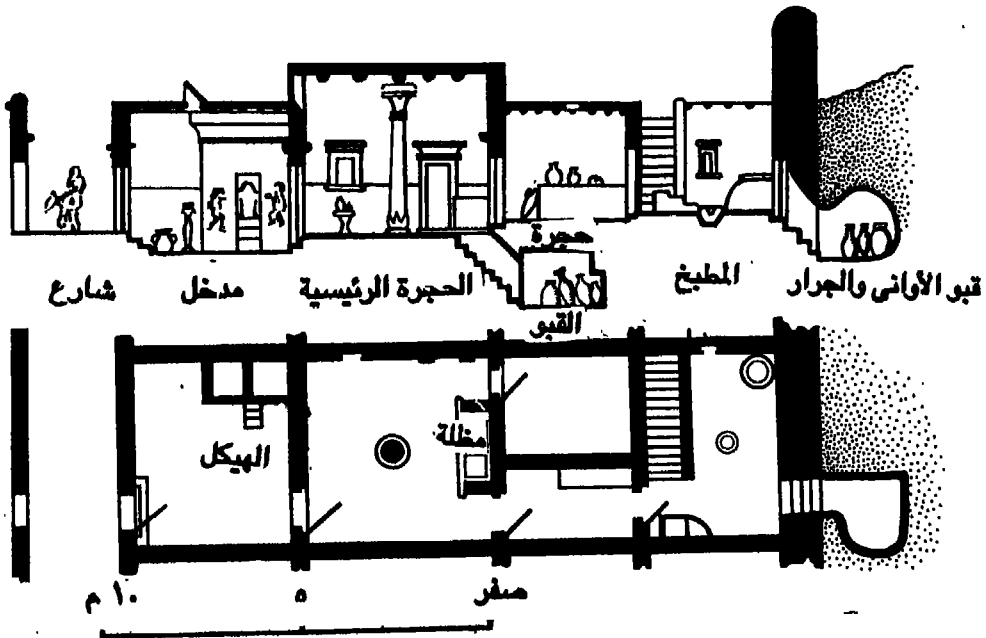
تعتبر قرية دير المدينة حتى الوقت الراهن أفضل مثال للتخطيط الحضرى المنظم الذى تم الكشف عنه . ومساحة القرية محدودة لا تتعدى مائة وواحد وثلاثين متراً فى خمسين متراً ، وتضم سبعين منزلاً بالإضافة الى خمسين منزلاً شيدت خارج سور القرية . كان القسر والإكراه هما اللحمة التى تُوحد أفراد هذا المجتمع الذى استقر فى هذه القرية ، فهم عمال مكلفون بحفر المقابر الملكيه وتجهيزها وزخرفتها مقابل مايتقاضون من أجر . لقد فرضت عليهم طبيعة عملهم العزلة ولو لمجرد أنهم يعرفون الكثير عن أماكن توزيع المقابر الصخرية وما تحتويه . وما هو جدير بالملاحظة أنه لم يتورط أى عامل منهم فى

أعمال السلب والنهب التى وقعت الجبانة الملكية فريسة لها فى ظل حكم " رمسيس " التاسع . وللأسف لا ينسحب هذا الحكم على ما حدث من سلب ونهب فى الأيام الأخيرة من حياة هذا المجتمع ... ولا يعرف عن أهل القرية أنهم عاشوا فى وضع مستعبد ، ماعدا الأجانب الذين جلبوا للاستفادة بتخصصهم النادر، إلا أن وضعهم من الناحية العملية كان أشبه ما يكون بشكل من أشكال العبودية ، ومن ثم يستحيل أن نستنتج من أوضاع هذه القرية قوانين للتخطيط يمكن تطبيقها على السكن فى الريف أو فى الحضر بشكل عام . ويعكس تخطيطها تنظيمًا اجتماعيًا شديد الخصوصية كان معمولاً به فى الحملات التى اعتاد الملوك إرسالها إلى المناجم أو المحاجر ، وهو تخطيط مقتبس على كل حال من الأنظمة السائدة فى البحرية . فتخطيط القرية أشبه بتخطيط السفينة ، إذ يخترقها من الشمال إلى الجنوب محور يرسم حدود حى شرقى وآخر غربى (هما ميمنة السفينة وميسرتها) ، ويقطن كل حى فريق من العمال : الفريق الأيمن والفريق الأيسر ، ويعملان بالتناوب . وعند طرفى الشارع بابان يقف عندهما حارس ويغلقان ليلاً . وأزيل الباب الجنوبى فى أعقاب التوسعات التى طرأت على القرية (فى دورها الثالث) وفُتح باب جديد فى الجهة الغربية وأضيفت شوارع عرضية للوصول إلى الحى الجديد .

وأغلب الظن أن المنازل لم تختلف عن مثيلتها فى أى مكان آخر ، وهى تطل على أزقة ربما كانت مغطاة لحماية الناس من أشعة الشمس كما هو الحال فى قرى واحات صحراء ليبيا . والجدران مطلية باللون الأبيض ، أما الأبواب الحمراء فقد دون فوقها اسم شاغل المنزل . وقد شيدت المنازل دون أساسات وبنيت بالحجر الغفل إلى ارتفاع ١٥٠ سم فوق مستوى سطح الأرض ثم استكمل البناء بالطوب اللبن . اما الأسطح فهى من اللبن المقوى بدعامات من الخشب .

وتفتقر المنازل إلى الأفنية والحدائق ... أما حيوانات النقل الضرورية للأعمال الشاقة وأبسط الأشغال فقد وضعت فى زرائب خارج القرية . ومن الشارع ندخل إلى الحجرة الأولى حيث المذبح الموجود داخل ما يشبه الصوان وفوقه مظلة وقد زينت حوائطه بمنظر الحدور والأحرام وتصاوير الإله " بس " الخ ... وتنخفض الحجرة عن مستوى أرضية الشارع بدرجتين أو ثلاث ، وتؤدى فيها النسوة فروض الشعائر المنزلية لربات الحياة اليومية وللأجداد وهى وتزخر بمختلف الأدوات من موائد قرايين ومسارج وأوانى وما يلزم لأداء هذه الشعائر . إنه مكان للاستقبال والتطهر العائلى . ثم تنتقل إلى الحجرة الثانية

وهى أكبر حجرات المنزل وأجملها زخرفاً ، وسقفها أعلى من باقى أسقف المنزل . وتتوفر الإضاءة للحجرة بواسطة شباك داخل طاقة له فتحات حجرية . والسقف مرفوع فى المعتاد فوق أسطون أو أسطونين ، ويمكن أن يدون إسم صاحب المنزل على قاعدتها . والأثاث الرئيسى بالحجرة هو الأريكة المخصصة ، كما فى الوقت الراهن ، لاستقبال الضيوف . ويهبط من الحجرة سلم يفضى إلى مستودع تحت الأرض لحفظ كل نفيس تمتلكه الأسرة ، وتقع مخازن المؤن فى مؤخرة المنزل . وظل المكان الفاصل بين حجرات الاستقبال وحجرات الحياة الخاصة قائماً ومماثلاً للجناح الحريم فى تل العمارنه . ويوجد المطبخ فى مؤخرة المنزل ومنه نصل الى قبو الأوانى والجرار ، وقد يكون هذا القبو مقبرة سابقة أعيد استخدامها لهذا الغرض . ومن المطبخ يمكن أيضاً الوصول إلى سطح المنزل وهو مكان يستريح فيه القوم ويتبادلون أطراف الحديث فى جو المساء المنعش ونسيم الليل العليل ، كما يستخدم أيضاً كمكان لوضع مختلف المهملات تماماً كما يحدث فى أيامنا هذه ! ويضم المطبخ أدوات الخبز وطهى الطعام من رُحى وأجران ومعاجن وجرار ماء وأفران . وهو مغطى فى جانب منه بشباك من فروع الشجر للحماية من أشعة الشمس .



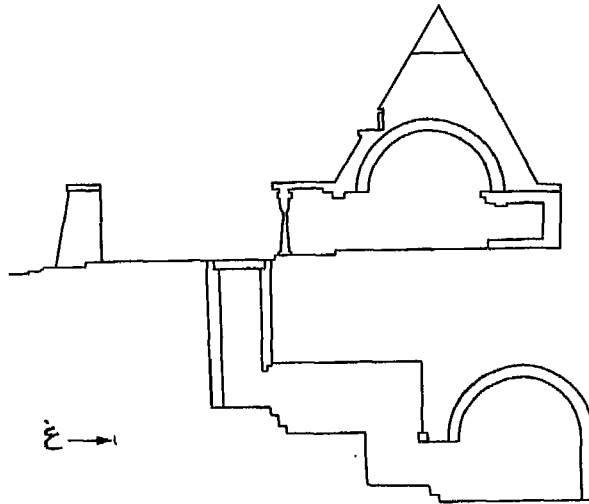
شكل (١٣٩) - نموذج مغطى لمنزل

وعثر فى القرية على الأدوات الحضرية المعتادة الضرورية للاستعمال اليومي والفخاريات ومعظمها مستعمل ومهشم وكلها أشياء لم يحملها القوم معهم عندما هجروا المكان ، أو استردوها كالاعتاب المصنوعة من الخشب . وكالمعتاد كانت المخلفات من بين أهم المكتشفات . فعثر على أولى مجموعات الأوستراكا (أو اللخاف) وسط نفايات المنازل خلال الموسم ١٩٣٤/١٩٣٥ . أما البئر التى حفرت شمالى الموقع للحصول على الماء فجاءت على رأس الاكتشافات وكانت قد طمرت فى العصر البطلمى أثناء تنظيف منطقة المعبد ، واستخرج منها حتى عام ١٩٤٨ خمسة آلاف أوستراكا أو شقفة فخار تحمل سطوحها المدونات والزخارف وبدأ نشرها منذ عام ١٩٣٤ ولم تنته عملية النشر بعد . إن دراستها ، ودراسة زهاء مائتى بردية مابين أدبية ووثائقية خاصة بدير المدينة ، تعطينا صورة على قدر كبير من الدقة عن الحياة الذهنية لهذا المجتمع وأسلوب انتقال الثقافة الكلاسيكية فى داخله .

كان أهم ما يشغل بال الحرفيين هو إمداد القرية بالماء . وللحصول عليه كان من الضروري انتقال العمال المكلفين مع حميرهم إلى الرامسيوم أو مدينة هابو لاغتراف الماء بالشوايدف فى حركة مكوكية ذهابا وإيابا ، فيعبرون تحت أنظار رجال الشرطة النوبيين المكلفين بحراسة القرية . كما يبدأ من القرية مدق يخترق الجبل لينتهى إلى وادى الملوك حيث يعمل العمال . ويوجد فى الطريق محطة يتوقف عندها العمال لينالوا قسطا من الراحة وهى عبارة عن أكواخ بنيت بالحجر ، دون مادة رابطة إلى جانب الهيكل .

وتجمعت الأماكن المخصصة للشعائر إلى الشمال من الموقع . وهى مصليات أو هياكل إقليمية صغيرة تتكون من حجرة مغطاة أو مفتوحة تجتمع فيها الجمعيات الدينية . وعلى امتداد الجدارين الجانبيين مصطبتان تم الكشف عن مواضع ارتكازهما على الجدار وأسماء أصحاب المقاعد المبنية بالحجر ، وهى خمسة مقاعد على اليسار وسبعة على اليمين . ووضعت فى الحجرة الجرار المملوءة بالماء اللازم للتطهر ، وعلى الجدران ألواح حجرية ونذرية . ويتقدم فناء أمامى تفصله جدران منخفضة عن الحجرة تحيط بالباب بحيث تسمح للمشاهدين بمتابعة الاحتفالات الدينية . ويفضى الفناء إلى ناووس على شكل مظلة بداخلها تمثال الإله . وتكتمل أقسام المصلى بحجرة حفظ الأدوات اللازمة للشعائر . ومن أفضل الأمثلة على ذلك هو المعبد نفسه والهياكل المنتشرة شمال سور القرية ، ومن أحسنها حفظا هى الهياكل التى كرس " رمسيس " الثانى أحدها لآمون وكرس " سيتى "

الأول ثانيها " لحتحور " وثالثها لعبادة " أمنحوتب " الأول و " احمس نفرتارى " . ولم يحفظ لنا الزمن ثماثيل الشعائر ، وإن بقى تمثال مسن الحجر يمثل " امنحوتب " الأول و " مرت سجر " الإلهة المحلية وهى على شكل حية ، وتمثال آخر من الخشب يمثل " احمس نفرتارى " . كما كان العمال يقيمون الشعائر للإلهة آمون فى الأقصر والكرك ، وللآلهة مين وبتاح و " سوبك " و " حورس فى الأفق " الأرميتى و " تاورت " - وهى إلهة على هيئة فرس النهر - و " موت " و " رنوت " وملوك الدولة الحديثة المدفونين فى وادى الملوك . وكانت الجمعيات الدينية تسهر على إقامة هذه الشعائر فتتناوب عليها كل بدورها . وإضافة الى ماسبق واستكمالاً لما عرضنا له ، نشير إلى المعبد الصغير المنقور فى الصخر والمكرس للإله " بتاح فى وادى الملكات " ومرت سجر ، والقائم على الطريق إلى وادى الملكات على بعد بضعة امتار من دير المدينة .



شكل (١٤٠) - دير المدينة
قطاع فى مقبرة نمطية من الأسرة التاسعة عشرة .

وخصت الجمعيات الدينية هيكلاً " حتحور " بتكريمها وأحاطته بجبل احترامها ، فكان أفخمها وأضخمها . وفى البداية كان المعبد مجرد مصلى شيدته " تحوتس " الأول واستمرت أعمال الصيانة فيه حتى عهد " أمنحوتب " الثالث أقيم من حوله العديد من المعابد الصغيرة الأكثر بساطة وطوقه " سيتى " الأول من الناحية الشمالية بمعبد صغير يضم رحبة ودرجا وفناء مبسطاً وصرحاً وبهو أساطين وناووساً . وأعاد " رمسيس " الثانى

تشيد معبد على أنقاض معبد الأسرة الثامنة عشرة وهجر هذا المعبد مع نهاية الأسرة العشرين . وفى العصر البطلمي هدم " بطليموس " الرابع " فيلو پاتور " المعبد القديم الذى شيده " رمسيس الثانى " وأقام مكانه معبدا من الحجر الرملى وبدأ يعمل فى زخارفه التى استكملها " بطليموس نيوس ديونيزوس " . وكان قيصر هو آخر من أضاف إليه عندما شيد " الإيزيون " .

أما الجبانة فقد مرت بمرحلتين شأنها شأن القرية . فى المرحلة الأولى أخذ سكان القرية يقيمون مقابرهم دون الالتزام بتخطيط عام . واعتبارا من الأسرة التاسعة عشرة أخذوا يقيمونها على السفح الشمالى الغربى للجبل ووزعوها أحياء حسب القرابة أو الجماعة التاريخية . واعتمدت المقابر نمطا معماريا مركبا . فجمعت بين هرم هليوپوليس كبناء علوى والمقبرة الصخرية النوبية التى جلبها معهم العمال المهاجرون . كما تأثرت أيضا بالمقابر الصخرية فى وادى الملوك . وسرعان ما اضطر الحرفيون تحت الضغط السكانى إلى إقامة دفنة واحدة للعائلة الواحدة . وتختلف سمات كل مقبرة باختلاف الوضع الاجتماعى لصاحبها وعصره ، وإن ظلت البنية ثابتة . وتتكون المقبرة من فناء وهيكلى ويثر وحجرات دفن غير منفصلة . وتتجمع العائلة حول أحد الحرفيين المشهود لهم بالكفاءة ، وقد يكون رئيس فريق عمل ، وتتجه المقبرة قدر المستطاع ناحية المعبد الجنائزى للملك الذى عاش هذا الرئيس فى خدمته .

كانت المقبرة تشبه فى بداية عهدها ما يطلق عليه اصطلاحا " النمط النوبى " . إنه عبارة عن قبو من الطوب يرتفع على هيئة حنايا مائلة . ولا يتيح هذا الأسلوب المعمارى ، وهو من أقدم الأساليب المعروفة ، إقامة قبو حقيقى . يبدأ البناء من قمة جدارين رأسيين متوازيين ويستند على جدار ثالث عمودى عليهما . وتقل مراقد الطوب بأسلوب تجريئى لتشكلى حنايا تتماسك بفعل ثقلها . وسرعان ما ظهر بناء علوى جديد للمقبرة أخذ يزاحم شكله السابق ، إذ جاء بالهرم كعنصر زخرفى ، وكآخر مرحلة من مراحل إشاعة الديمقراطية التى وضعت فى متناول الأفراد رمز هليوپوليس الملكى كما عرفته الدولة القديمة . وهذا الهرم صغير الحجم ، ويوضع فوق الهيكل أو يضمه . إنه هرم أجوف ، مبنى من الطوب إذا كان الهيكل المقببى جزءاً منه . أما إذا كان يعلو ظلة الواجهة فإنه يُشيد بالطوب أو الحجر ويُحشى بالأنقاض . ويواجه الهرم الشمس المشرقة ويمكن أن يبلغ ارتفاعه من ثلاثة إلى ثمانية أمتار .. أما طول ضلع القاعدة فمن مترين إلى خمسة أمتار . ثم يبطن الهرم ويبيض ويعلوه هريم من الحجر مزخرف بالنقوش .

ونصل إلى المقبرة من خلال درج فخم فى وسطه مزلقة لصعود التابوت . ويمر المدخل عبر صرح يفضى إلى فناء تكتنفه جدران عالية طليت باللون الأبيض . وتوجد فى المؤخرة واجهة الهيكل ، تتقدمها ساحة تكتنفها الصفات ، ويرتفع الهرم فوق الهيكل . وفى هذا المكان كانت تجرى مراسم الدفن وأعياد الموتى . وبهذه المناسبة يُعد القوم حوانيت غطوها بالخيام وحوض ماء وكل ما يلزم لإقامة وليمة . ويقومون بتجديد " الأوشابتي " أو " الشاوبتي " كما كانت تسمى فى ذلك العصر ، وهى تماثيل صغيرة تتولى نيابة عن المتوفى القيام بالأعمال المطلوبة منه من أجل أوزيريس . وتقدم القرابين ويحرق البخور أمام الألواح الحجرية المعلقة على الجدران وتحت الظلة القائمة فى مؤخرة الفناء للحفاظ على الألواح الحجرية الكبيرة وتماثيل صاحب المقبرة . وإلى الخلف يوجد الهيكل المزين بمجموعة من الصور الشخصية ومشاهد تصور العائلة والأقارب . وقبالة المدخل فى المؤخرة يوجد الناووس المحفور فى صخر الجبل ، ويضم تماثلاً للمتوفى أو حتّحور على هيئة بقرة وتمثالاً لأمنحوتب الأول أو أى إله حامٍ آخر .

أما البئر فقد حفرت فى الفناء أو فى الهيكل . وبعد رفع بلاطة ، يمكن النزول مباشرة حتى نصل إلى باب خشبى توضع عليه الأختام بعد كل دفنة . أما المدفن فهو عبارة عن منزل حقيقى تحت الأرض ، ويضم الممرات والسلالم والحجرات . والحجرات مقبأة بشكل عام وطلّيت باللون الأبيض ومزخرفة ، وهى مكدسة بالآثاث المزيف إلى جانب بعض ما كان يمتلكه المتوفى . وكان المدفن الواحد يضم بضعة عشرات من الدفّنات ، فقد ضم مدفن " سن نچم " مثلاً عشرين تابوتاً .

وظلت زخارف حجرات الدفن تقليدية جداً حتى الأسرة التاسعة عشرة ثم جنحت نحو المزيد من الروحانية تحت تأثير المقابر الملكية ، فانتشرت مجموعات من الصور الورعة المأخوذة عن كتاب الموتى وقريبة الشبه بالمواضيع الميثولوجية التى تزخرف جدران منازل القرية . ويعتمد أسلوب الرسم على الألوان المائية المبسوطة فوق طبقة من طلاء الصلصال أو الجير . ويتكون طلاء الصلصال من الرمل المخلوط بالصلصال والمضاف إليه الجير ويوضع على الطوب اللبن مباشرة ، ومن ثم ينبغى التمييز بينه وبين المونة التقليدية . ثم يوضع التصميم العام للرسم بخطوط حمراء مع تعديله باللون الأسود بعد تصحيحه باللون الأبيض ، وهو ما يمكن أن نستشفه من طلاء المغرة الصفراء الذى يوضع فوق الرسومات الأولية . وتستخدم الألوان على وتيرة واحدة لا تباين فيها . فبشرة الرجال بالمغرة

الحمراء ، وبشرة النساء بالمغرة الصفراء ، وحواف الثياب البيضاء باللون الأسود. أو الأحمر ، ويستخدم اللون الأخضر والأزرق لاستكمال التفاصيل . وشاعت الألوان المتعددة على خلفية باللون الأصفر فى الأسرة التاسعة عشرة . وغدت من سمات بعض المقابر مثل مقبرة " سن نجم " (TT 1) وباشد (TT 3) . وفيما بعد وربما ، بسبب انتشار الفقر فى الموقع ، انتقل التصوير إلى الزخرف الأحادى اللون على خلفية بيضاء ، ومثال ذلك مقبرة " نب إن واعت " (TT 219) أو " إيرى نفر " (TT 290) . وتصور المشاهد رسوم " كتاب الموتى " التوضيحية وعلى جانبيها المتون التفسيرية . وقد رتبت فى صفوف رأسية أو على شكل بردية مفتوحة حسب تعاقب المشاهد الجنائزية المتوالية (TT 290) فحجرة الدفن هى إذن تطور للتأبوت ، ويزدان سقفها بموضوعات هندسية فى معظم الأحوال . ولئن اختفت معظم مقابر الأسرة الثامنة عشرة إلا أن مقابر عصر الرعامسة ظلت فى حالة جيدة جدا من الحفظ فى أغلب الأحوال . ونذكر على سبيل المثال مقبرة " سن نجم " (TT 1) التى وصلتنا سالمة ، ومقبرة " باشد (TT 3) الذى كان هو أيضا خادما فى مكان الحق ، والنحات " إيسوى " (TT 217) وكان معاصرا " لرمسيس " الثانى " و " أمن نخت " (TT 218) وعائلته (TT 219) (220) و " إن حرع " مدير الأعمال فى عهد " رمسيس " الثالث و " رمسيس " الرابع الخ

ويضم هذا المجتمع الصغير طوائف الصنائع بدءا من البنائين إلى الفنانين التطبيقيين . ولم يعثر إلا على كمية بسيطة من الحلى فى هذه المقابر فالمواد الأولية اللازمة لصناعتها لا تتفق وإمكانات الحرفيين المتواضعة . وفى المقابل استخدموا المينا وعجينة الزجاج على نطاق واسع . ويزودنا الفخار بنماذج كاملة لأشهر المواضيع المصرية ، إلى جانب العديد من القطع التى صنعت بأساليب تقنية مستوردة ، أو تمثل موضوعات شاعت فى حوض البحر المتوسط . ونضيف إلى ماسبق العديد من الأشياء الصغيرة المتنوعة ، ومختلف التماثيل الصغيرة والنجارة الدقيقة وصناعة السلال والحبال والحصر الخ وجميعها عناصر تساعدنا على تقييم حياة هذا المجتمع الذى كان يضم ١٢٠٠ نسمة وفقا للتعداد الذى جرى فى أيام الأسرة العشرين لسكان دير المدينة . كما ضم المجتمع نماذج من مختلف الأعراق والأجناس من نوبيين وسوريين وليبيين ... أما المصريون فكانت لهم الغلبة . ووضع هذا المجتمع تحت الإشراف المباشر لوزير طيبة الغربية تراقبه قوات حفظ النظام الساهرة - التى لا تغفل عنه لحظة . وكان المجتمع مكونا من

فريقى عمل وصل كلاهما إلى ستين فردا فى أزهى الفترات ، ويرأس كل منهما مهندس أو مقاول ، كما يضم كاتباً أو أكثر ورسميين ومصورين وحفارين ونحاتين ونقاشين وعمال جص وبنائين وعمال محاجر وعمال مناجم وعمالاً غير مهرة ومساعدين ومختلف الصبية . ويقوم كاتب ملكى بدور الوسيط مع الإدارة ويسجل فى دفتر اليومية ما تم تنفيذه من أعمال والأدوات المستخدمة والأجور اليومية والعمال الغائبين وكل ما يجد من أحداث . ويرأس الكاتب المحكمة الخاصة بالورش يعاونه فى ذلك أحد عشر عضواً من فريق العمل . وكان العمل موزعاً على فترات زمنية كل منها عشرة أيام لا يبارح العمال أثناءها مواقع العمل حيث يقيمون فى الملاجىء المؤقتة المقامة على المدق المؤدى الى وادى الملوك . وبعد الانتهاء من عملهم يحصلون على يوم أجازة يستغلونه فى قضاء حاجياتهم الشخصية .

وتؤمن الإدارة تزويد القرية بما يلزمها من المواد التموينية المخزونة فى مستودعات المعابد المجاورة ، وكما لاحظنا لم تكن الإمدادات منتظمة على الدوام . كانت هذه العائلات تعيش فى انطواء وعزلة . وترتب على تعدد الزوجات والزواج بين أقرباء العصب أن ظهر نظام الأسرة الكبيرة - بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة - التى يعمل أفرادها فى مهنة أو حرفة واحدة . وتأسس على ذلك تبلور سلم هرمى للمراتب الاجتماعية . وكانت حياة هذا المجتمع مضطربة جداً حيث أخذت حوادث السرقة والزنا والثأر والجرائم والسلب والنهب تتلاحق فى الجو الخائف لهذا العالم الصغير . وقد حدث فى عهد " رمسيس " الثانى على سبيل المثال أن أحد العناصر السيئة السمعة ويدعى " پانب " اختار تسلياً يقضى بها وقته أقل ما توصف به أنها مزعجة للآخرين . فقد وجد متعته فى رجم المارة بالحجارة ! ولم يقف عند هذا الحد ، بل استولى على أحجار منحوتة من معبد سيتى الأول القريب جداً ليزين بها مقبرته . وبعد ما اقترفه من سرقات اغتال ذات يوم " نفرحوتب " (TT216) رئيس فريق عمله ، فى أعقاب مناقشة حادة . كان غرضه من فعلته هذه أن يحل محله فأعتقلته السلطات ، ولكنه أفرج عنه عندما تدخل بعض أصحاب النفوذ لصالحه .. وشغل وظيفة رئيسه وأقام لنفسه مقبرة جميلة (TT 211) ومن ثم أصبحت الجريمة مفيدة فى دير المدينة . ونسوق مثالا آخر على صحة قولنا . فقد اتهم شخص يدعى "أمن ويا " بسرقة مقبرة " رمسيس " الثالث ولم تثبت عليه التهمة لعدم وجود دليل فلم يقدم للمحاكمة . ولكنه كان السارق بالفعل ، فعند تنظيف مقبرته اكتشف المنقبون ما سرقه مخفياً فى حجرة الدفن ...

وقد عرفت القرية أنواعا أخرى من الترفيه أرقى وأسمى كالأعياد الدينية ، وعلى رأسها عيد الوادى وأيام العطلات بمناسبة دفن الملوك واللقاءات التى تنظمها الجماعات الدينية . وكان العمال يتولون بالتناوب منصب الكاهن " وعب " أى الكاهن المتطهر للقيام بمواكب الطواف . وإذا حلّ الدور على أحد العمال انسحب إلى الصحراء معتكفاً فى خلوة فترة من الزمن يصوم خلالها متطهراً . كما شاركت النساء أيضاً فى المواكب الدينية . ومن المناسبات الهامة أيضاً دفن أحد سكان القرية ، الأمر الذى يعنى انتقاله إلى داره الأخيرة التى أقامها رويداً رويداً على مر السنين .

ومن المفارقات حقاً أن الصورة التى تنبعث من هذا المجتمع الصغير المنصرف تماماً وكلية نحو أمور الموت بحكم تكوينه ذاتة ، قد خلفت أيضاً انطباعاً بوجود حياة صاخبة تزخر بالأسى والأفراح الأبدية لشعب بأسره .

ملوك وكهنة

خلف " رمسيس " الخامس " أمون حرخيش إف " أباه عام ١١٤٨ . وتوفى بعد أربع سنوات بمرض الجدري ، على ما يفترض ، دون أن يجد أمامه متسعاً من الوقت لاستكمال برنامج طموح دفعه إلى فتح محاجر جبل السلسلة ومناجم سيناء . وفضلاً عن مقبرته التى أقامها فى وادى الملوك (VdR 9) فقد شيد معبداً جنائزياً على مثال معبد "رمسيس " الرابع ، وإنشاءات فى هليوبوليس وبوهن . وإلى عهده ترجع بردية ولبور Wilbour الموجودة حالياً فى متحف بروكلن وهى عبارة عن نص ضريبى طويل . ومن عهده أيضاً وصلتنا بدايات مجموعة من الأناشيد الملكية التى ترجع أحدث نسخها إلى أيام " رمسيس " السابع (Condon: 1978) . كما وصلتنا وثيقة أخرى من طراز آخر هى بردية تورين ١٨٨٧ التى تروى لنا وقائع فضيحة مالية تورط فيها كهنة إلفنتين (Sauneron : 1962 , 13 , Sq.) . وتكشف الكثير عن حقيقة الفساد المستشري فى الجهاز الإدارى .

وعلى عكس سلفه لم تنصلح الأمور فى عهد " رمسيس " السادس " أمون حرخيش إف " الثانى وهو من أبناء " رمسيس " الثالث . وحتى نهاية الأسرة العشرين سوف يحتدم الصراع بين الفرعين : فرع الذرية المباشرة من ناحية ، وفرع إخوة "رمسيس" الثالث وأبناء إخوته من ناحية أخرى . وفى عهده نقص عدد العاملين فى فريق العمل بدير المدينة ليعود إلى ستين فرداً . صحيح أن البلاد لم تكن فى حالة حرب أهلية فعلية

ومع ذلك فقد صارت ساحة للعديد من أعمال قُطّاع الطرق التى تكشف عن مدى ضعف الحكومة .

وسجل رمسيس السادس خرطوشه فى الكرنك وفى العديد من المعابد الأخرى، ولكن اهتمامه انصب بخاصة على إضافة اسمه إلى قائمة أبناء " رمسيس " الثالث فى مدينة هابو التى كانت قد أغفلته فى الأصل هو ووالده . فهل تشير فعلته إلى حرب الخلافة التى استعرت بين أفراد العائلة المالكة ؟ أما المقبرة التى بدأها " رمسيس " الخامس فى وادى الملوك (VdR 9) ليدفن فيها فقد أدخل عليها " رمسيس " السادس التوسعات لتصبح مثواه الأخير . ومن ثم انتظر صاحب المقبرة الأصلي سنتين بعد وفاته قبل أن يرقد رقدته الأخيرة .

تعددت مظاهر الانحطاط ، وأخذ نفوذ مصر وسلطانها ينحصران تدريجياً داخل حدود الوادى ، فكان " رمسيس " السادس آخر ملوك الدولة الحديثة الذين عثر على اسمهم مسجلاً فى سيناء . وظلت سلطة كبار كهنة " آمون " فى الصعيد فى سائر أنحاء المملكة ، وإن حافظت " إيزيس " ابنة " رمسيس " السادس على الروابط مع الكهنة بصفتها الزوجة الإلهية " لآمون " .

وخلفه رمسيس السابع عام ١١٣٦ ، وازدادت مصر بؤساً على بؤس . ويمكننا متابعة ارتفاع الأسعار فى مصادر دير المدينة . ودام حكم رمسيس السابع سبع سنوات ولم يخلف اسمه إلا فى القليل من المواقع فى تل اليهودية ومنف والكرنك والكاب . وخلفه " رمسيس " الثامن " ست حر خيش إف " عام ١١٢٨ ، فلم يدم حكمه سوى سنة واحدة ، وهو أحد أبناء " رمسيس " الثالث الذين كانوا لا يزالون على قيد الحياة .

أما " رمسيس " التاسع فقد دام حكمه ثمانى عشرة سنة واتسعت دائرة نشاطه وفاقته من خلفوه . وقد عثرنا فى بلده عمارة غرب على ألقابه مسجلة فى العام السادس من حكمه وعلى اسمه فى مدينة جزر فى فلسطين وفى الواحات الداخلة وفى انطنوه . وأقام المنشآت فى هليوبوليس حيث تركزت معظم أعماله ليؤكد عزم العائلة المالكة المتزايد على السعى الحثيث صوب الشمال . ولم يمنعه كل ذلك من زخرفة الجدار الشمالى من الصرح السابع فى معبد آمون - رع فى الكرنك حيث تعاقب على التوالى فى منصب كبير الكهنة " رمسيس نخت " ثم ابنه " نس آمون " و " أمنحوتب " فى العام العاشر من حكمه . ونجح " رمسيس نخت " بفضل سلسلة من المصاهرات والزيجات العائلية فى إقامة

شبكة متشعبة ضمت كهنة " آمون " الثانى والثالث والرابع وعمدة مدينة طيبة والعديد من الأعيان . وإذ نجح فى التحكم فى مصالح كهنة طيبة الأساسيين استطاع أن يدعم سلطان كبار كهنة آمون بشكل قاطع .

ولكن الفترة الأخيرة من حكم " رمسيس " التاسع تلطخت بفضيحة كبرى تكررت أيضاً فى عهد " رمسيس " الحادى عشر " وحريحور " . فقد انتشرت سرقات الجبانة الملكية التى دفن فيها " رمسيس " التاسع (VdR 5) هو وإبنه " مونتو حر خيش إف " (VdR19) . كما نهبت أيضاً العديد من الجبانات المدنية . ووقعت أعمال السلب



شكل (١٤١) - رمسيس التاسع يقدم الأسرى لآمون
رسم تخطيطى على الحجر الجيرى من وادى الملوك (وادى ٦) الارتفاع ٢٩ر٥ سم متحف القاهرة (CGC 23721)

والنهب فى العام السادس عشر من حكمه ، وتم تسجيلها فى " دفتر يوميات " دير المدينة " (Valbelle:1985,42) ونقلها عن الدفتر أربعة عشر مصدراً دونت جميعها على ورق البردى (Peet : 1930) . وتأسيساً على ذلك أمكن ترتيب وقائع ماحدث على النحو التالى :

كان الوزير " خع إم واست " ممثل السلطة وحاكم طيبة ، فكان بالتالى رأس الموظفين الإداريين المدنيين . وكان " پاسر " الثالث عمدة مدينة طيبة الشرقية ، وكان " پاورعا " عمدة طيبة الغربية يعمل تحت رئاسته والمسئول المباشر عن الجبانة .

وفى العام التاسع من حكم " رمسيس " التاسع تسلمت عصابة من النهابين وال슬ابين إلى داخل مقبرة " رمسيس " السادس الذى دفن قبل خمس عشرة سنة فحسب، كما تسللوا إلى مقبرة أخرى . ولكنهم اختلفوا حول تقسيم الغنائم فهدد أحدهم زملاءه بإفشاء سرهم . كانوا خمسة ظلوا يحفرون المقبرة طيلة أربعة أيام ثم استولوا على النفيس والتمين من محتويات المقبرة . ولا تحدد مصادرنا مصيرهم ، ولكن يفترض أن عقابهم كان رادعاً نظراً لوصول لجنة للتفتيش على المقبرة . وقد وضعت اللجنة الأختام عليها من جديد .

وفى أعقاب ذلك طفقت العصابات تهاجم مقابر ملوك الأسرة السابعة عشرة التى أضحت بعيدة عن المسالك المطروقة فسقطت فى طى النسيان وخفت الحراسة المفروضة عليها . كما هاجمت هذه العصابات مقابر وادى الملكات . ولا غرو أن هؤلاء النهابين والسلابين كانوا قطاع طرق عاثوا فى المنطقة فساداً ، وكانوا على ما يعتقد من الليبيين فى معظمهم وكانت العناصر المحلية متواطئة معهم . وربما كان على رأسهم عمدة طيبة الغربية ذاته الذى غض النظر عما يحدث تحت سمعه وبصره على حد قول عمال دير المدينة . وأحيط " ياسر " علماً بأعمال النهب والسلب والشبهات التى تشير بأصبع الاتهام إلى " پاورعا " . فأعد تقريراً رفعه إلى " خع إم واست " الذى دعا إلى تشكيل لجنة تحقيق فى العام السادس عشر من حكم " رمسيس " التاسع . وفحصت اللجنة عشر مقابر فوجدتها سليمة ، مثل مقبرة " امنحوتب " الأول ، كما اكتشفت حدوث محاولات لسرقة بعض المقابر الأخرى ، مثل مقبرتي " إنتف " الخامس و " إنتف " السادس . أما مقبرة " سوبك إم ساف " الثانية فقد دخلها اللصوص عن طريق إحدى المقابر المدنية المجاورة وتعرضت جميعها للنهب . وفى أعقاب ذلك جرت عدة اعتقالات ، واعترف أحد المشتبه فيهم أنه اعتدى على المقبرة الصخرية التى دفنت فيها الملكة " إيزيس " زوجة " رمسيس " الثالث ! وانتقلت هيئة العدالة إلى موقع الأحداث ، ولكن المشتبه فيه لم يتمكن من التعرف على الأماكن التى أشار إليها واختلط عليه الأمر ... وأقفل باب التحقيق القضائى وسط صيحات الاستنكار من جانب أهل دير المدينة الذين أخذوا ينددون بالفساد . وقدمت الدعوى إلى الوزير كقضية اكتملت أركانها القانونية . ومثل المتهمون أمام محكمة انعقدت جلساتها على البر الشرقى فى الكرنك فى معبد " ماعت " فى حرم مونتو . واعترف " أمون پانفر " قاطع الأحجار بأنه شارك آخرين فى نهب مقبرة " سوبك إم ساف " الثانية وسرد تفاصيل ما حدث . قال أنهم

كانوا سبعة عندما تسللوا إلى داخل المقبرة عبر نفق حفروه ، ثم شرح كيف اعتدوا على التابوت ونهبوا الخلى بأن أشعلوا النار فى المومياة كسبا للوقت وتصرفوا على هذا النحو أيضاً مع الملكة " نوب خاس " وما زاد من قبح الفضيحة الشنعاء أن جميع اللصوص كانوا من العاملين فى المعابد المجاورة . وتنفس عمال دير المدينة الصعداء بعد أن أطمأنت نفوسهم إلى عدم وجود رفقاء السوء بينهم ! وحكم على معظم السبعة عشر مذبأ بأن يرفعوا على الخازوق .

وفيما بعد عادت أعمال النهب والسلب إلى وادى الملكات ووادى الملوك ولكنها وقعت هذه المرة بالتواطؤ مع بعض أفراد دير المدينة . فقد سطا للصوص على مقبرة " رمسيس " السادس الصخرية فى عهد " رمسيس " الحادى عشر ... وحاولت السلطات جاهدة على أثر ذلك أن تحافظ على جسد الملك فأخذت تنقله تباعاً من مكان إلى آخر حسب مقتضيات الظروف . وعلى سبيل المثال يمكن متابعة مختلف الأماكن التى نقلت إليها مومياة رمسيس الثانى بفضل المحضر المسجل على سطح غطاء آخر تابوت وسدت فيه . ففى البدء وضعها الكاهن الأكبر " حريحور " فى مقبرة " سيتى الأول " ، فى العام السادس من عصر " تجديد الولادة " المقابل للعام الخامس والعشرين من حكم " رمسيس " الحادى عشر ... وفى وقت لاحق ، فى أيام الأسرة الحادية والعشرين ، وفى عهد " سى آمون " قام الكاهن الأكبر " پى نجم " بنقل المومياة إلى خبيثة الدير البحرى ومعها مومياة " سيتى " الأول .

قام " پى نجم " الثانى بإعداد هذه الخبيثة فى مقبرة " إن حعپى " زوجة " أحمس " ، بعد أن أدخل عليها التوسعات قمشياً مع الظروف الجديدة . كما وضع فيها أيضاً أربعين تابوتاً لملوك مصر وكبار كهنتها من الأسرة السابعة عشرة وحتى الأسرة الحادية والعشرين وهم " تاعا " الثانى " وأمنحوتب " الأول " وأحمس " " وتحوتمس " الأول والثانى والثالث و " سيتى " الأول ورمسيس الأول والثانى والتاسع والدة " پى نجم " الأول ابنة كبير الكهنة " من خپر رع " إلخ ... كما دفن هو وزوجته فى نفس المقبرة . ولنجح جاستون ماسپرو فى حماية هذه الخبيثة عام ١٨٨١ . وفى عام ١٨٩٨ اكتشف فكتور لوريه خبيثة أخرى تقف شاهداً على أعمال السلب والنهب التى اجتاحت جبانة طيبة فى زمن سابق على حكم " پى نجم " الثانى وفى ظل حكم " پى نجم " الأول . وقد استخدم هذا الملك مقبرة " أمنحوتب " الثانى ، فأمر بأن يوضع فيها " تحوتمس " الرابع

وأمنحوتب " الثالث " ومرنتپاح " " وسى پتاح " و " سيتى " الثانى و " رمسيس " الرابع والخامس والسادس ، والذي ذلك بالإضافة إلى " أمنحوتب " الثانى صاحب المقبرة وكان يشغلها أصلاً . وكان " مونييه " M. Maunie قد عثر قبل ذلك بوقت طويل ، وفى عام ١٨٥٠ على وجه التحديد ، على خبيثة فى العساسيف تضم ستين مومياء . كما تم العثور فى الدير البحرى على خبيثتين أخريين ، اكتشف مارييت أولاهما عند قيامه بتنظيف معبد الدير البحرى عام ١٨٥٨ وكانت تضم واحداً وسبعين تابوتاً لكهنة " مونتو " ، أما ثانيتهما فقد اكتشفها " دارسى " عام ١٨٩١ عند مدخل باب الجاسوس وتضم ١٥٣ تابوتاً ومائتى تمثال لكبار كهنة " آمون " فى عصر لاحق للأسرة الحادية والعشرين .

تشهد أعمال السلب والنهب هذه على افتقار مصر العليا إلى الأمان ابتداءً من عهد " رمسيس " التاسع وتفاقم الأوضاع فى ظل حكم الملوك الأخيرين من ملوك الأسرة العشرين ، حتى أن الشك يدور حول عدد سنوات حكم " رمسيس " العاشر " آمون حرخيش إف " الثالث الذى يميل البعض إلى تحديدها بثلاث أوتسع سنوات ، وهو آخر ملك ثبت سيطرته على النوبة وحتى عنيبة على أقل تقدير . وكانت النوبة آخر البلدان الخارجية التى بقيت تابعة لمصر فنفوذ مصر فى سوريا وفلسطين كان قد أصبح أثراً بعد عين منذ زمن طويل .

وبعد وفاته دفن فى وادى الملوك (VdR 18) وخلفه " رمسيس " الحادى عشر الذى دام حكمه سبعة وعشرين سنة ، كانت التسع عشرة سنة الأولى منها فقط على هذا القدر أو ذاك من الفاعلية . وتفاقم الاضطرابات فى منطقة طيبة حيث بالإضافة إلى ما لاحظناه من انتشار أعمال السلب والنهب فى المنطقة وانعدام الأمن فيها يبدو أن المجاعة قد تفشت فى الوجه القبلى مما تسبب فى تلك الاضطرابات . كما احتدمت صراعات عميقة بين الكهنة الذين أخذوا يستأثرون بالامتيازات حتى كادوا يصبحون أندادا للملوك . فصور الكاهن الأكبر " أمنحوتب " نفسه فى الكرنك بقامة تماثل مليكه ، تعبيراً عن مدى استخفافه بسلطته . ولكن يبدو أنه تعدى حدوده أكثر مما ينبغى طرده " رمسيس " الحادى عشر فى السنوات الأولى من حكمه . واندلع مايشبه الحرب الأهلية مما أضطر " پانحسى " نائب الملك فى كوش إلى التدخل فى طيبة ذاتها ، بل إنه وصل إلى هاراداي شمالاً . وخلف " رمسيس نخت " الثانى على ما يبدو الكاهن الأكبر " أمنحوتب " .

وقبل العام التاسع عشر من حكم " رمسيس " الحادى عشر بقليل برز على مسرح الأحداث " حريحور " كبير الكهنة الجديد الذى كان ذا شخصية قوية . وإذا نجعل أصوله الحقيقية فإنه ينحدر على الأرجح من عائله ليبية . وتقدم لنا نقوش معبد " خنسو " فى الكرنك الذى استكمله عرضاً متتابعاً لتزايد سلطاته تدريجياً إلى أن حصل على ما يشبه الألقاب الملكية ، فترسخت سلطته المطلقة على الوجه القبلى قاطبة دون أن يصبح فرعوناً . إنه بداية عصر " تجديد الولادة " الذى استعار عبارة " وحم ميسوت " التى سبق أن استخدمها مؤسسو الأسرات الجديدة .

لقد أقام العصر الجديد نوعاً من التوازن بين رجال ثلاثة : أولهم الملك الذى ظل من الناحية الرسمية سيد اللعبة وإن سُلبت كل سلطاته حتى أن " رمسيس " الحادى عشر لم يجد بعد وفاته حوالى عام ١٠٦٩ من يتولى استكمال المقبرة التى أعدت له فى وادى الملوك (VdR 4) أما الشخص الثانى فكان " سمنس " المسئول عن إدارة شمال المملكة انطلاقاً من المقر الملكى فى " پر رمسيس " ، وكان يآتمر من الناحية المبدئية بأمر كهنة " آمون " ، وكانت " پر رمسيس " تعيش آخر أيامها قبل تفكيك أحجارها لتستخدم فى تشييد مدينة تانىس . أما الشخص الثالث فى هذه الزعامة الثلاثية غير المتعادلة الأطراف فهو " حريحور " الذى جمع بين يديه مختلف المناصب الدنيوية والدينية كما كان قائد الجيوش فى مصر العليا والنبوة ، مما دفع " نحيسى " إلى الانفصال ، فانحصرت حدود مصر من الآن فصاعداً فى وادى النيل فيما بين أسوان والبحر المتوسط .

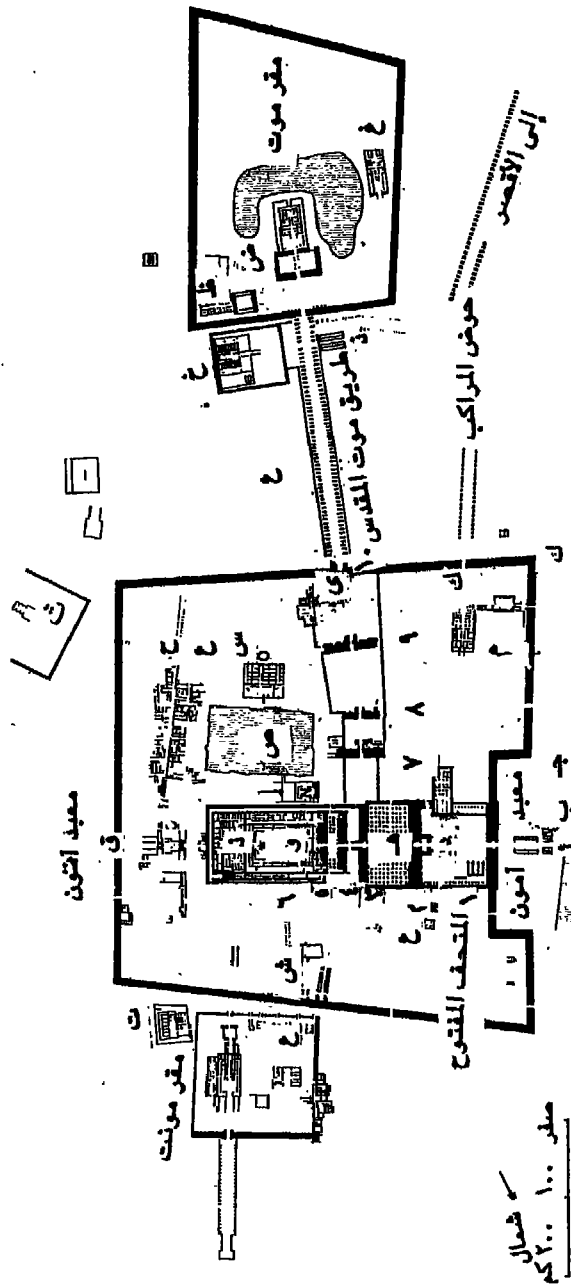
ولم تستمر هذه المشاركة فى الحكم بعد وفاة رمسيس الحادى عشر . حيث تقاسم الوجه القبلى والوجه البحرى السلطة ، وعادت كل مملكة إلى حدودها الطبيعية كما حدث فى كل أزمة واجهتها البلاد . فأسس " سمنس " فى الشمال أسرة ملكية جديدة إدعت انتسابها إلى العائلة المالكة واتخذ من تانىس عاصمة جديدة للبلاد . أما فى الجنوب فقد عاد كبار الكهنة إلى جذور الثيوقراطية ، فعملوا جاهدين وبتصميم أكبر من الأزمنة الغابرة على تطابق الأسطورة والتاريخ ، مستندين فى سعيهم لتحقيق سياستهم إلى أملاك إلههم الذى كان أول المستفيدين من إمبراطورية الرعامسة الشاسعة حتى أضحى هذا الإله أكثر ثراء من فرعون وأقوى منه .

الفصل الثانى عشر مقر آمون وأملاكه

معبد الكرنك

لقد دون جميع فراعنة الدولة الحديثة دون استثناء دونوا على الأقل أسماءهم فى معبد " آمون - رع " بالكرنك . و يستحيل على الزائر فى العصر الحديث ألا يأخذ بتشعب الموقع وتعقيداته وما يزخر به من ثروة أثرية . فاعمال التشييد لم تتوقف فى المعبد على مدى ثلاثة آلاف سنة .

أعاد اكتشاف الموقع فى مطلع القرن الثامن عشر الكابتن " نوردن " (Norden) الذى أعد عنه أولى الرسومات ، و القس " بوكوكيه " (Pococke) الذى وضع أول مسقط أفقى له . وجاءت الحملة الفرنسية لتبدأ المرحلة الأولى لدراسة الموقع دراسة علمية . واتخذت عدة خطوات للتعرف عليه ، بدءاً من كتاب " وصف مصر " ثم زيارة چان فرانسوا شامپوليون عام ١٨٢٨ والتقارير التى كتبها كل من " كرونستراند " (B. Cronstrand) وديفيد روبرتس (D. Roberts) و " لوت " (N. L' Hôte) و " هورو " (H. Horeau) . ومع انفتاح محمد على على أوروبا حضر علماء الآثار إلى مصر ، ولكنهم لم يأتوا وحدهم للأسف . ففى أعقاب عملية تحديث الاقتصاد المصرى وخاصة تشييد مصانع السكر أعيد فتح " محاجر المنشآت " المتمثلة فى المعابد المصرية نظراً لسهولة استغلالها . و هو ما تكرر حدوثه منذ العصر الرومانى عندما اختفى تماماً معبد " آمون " الذى يرجع إلى الدولة الوسطى . ومن ناحية أخرى اقتحم الفلاحون المكان ونقلوا منه " السباخ " بغرض تسميد أراضيهم فواصلوا تخريب الآثار والشواهد الأثرية . استغاث " شامپوليون " و " ريفو " (Rifaud) ثم لوت ، ودقوا ناقوس الخطر محذرين مما شاهدوه من سلب ونهب شارك فيه العديد من الأدعياء الذين نصبوا أنفسهم منقبين ، والتنقيب منهم براء . ولكن باءت جهودهم بالفشل فى مواجهة المصالح الاقتصادية الملحة . لقد أصدر محمد على عام ١٨٣٥ مرسوماً لحماية الآثار القديمة . و لكن بعد مرور خمس سنوات كانت صروح طريق موكب الطواف مازالت تستخدم كمحاجر و فى أعقاب انتقال مسلة الأقصر إلى باريس وجدت " حجرة الأجداد " طريقها إلى باريس حيث نقلها " پريس دافين " (Prisse d' Avennes)



شكل (١٤٢) - خريطة عامة لمعابد الكرنك
(نقلًا عن Traunecker et Golvin, 1984, 20-21)

أ : منصة تشرف على الجوى المائى المرتبط بالنيل . الساحة الأمامية مزينة بطريق كياش .
ب : مقصورة إستراحة " هكر " حيث توضع مركب الإلهى قبل إبحارها على متن سفينة
ج : أحواض النخل من الجوى المائى .
د : قناء كبير . فى الوسط جوسق طهرقا . على اليسار إستراحة سبتى الثالث المثثة .
هـ - بهو الأساطين العظيم . فى القناء الواقع بين الصرحين الثالث والرابع مستلطان بقت واحدة
(تحوتس الثالث) .
و : القسم الأوسط لمبد أمن . معبد النواة الوسطى كان مقاماً فى المنطقة الخالية . وقد هدمه العمال لصنع
الحجر الجبرى . فى الجانب الغربى . مقصورة قليب اريمانوس
من الجرانيت . وكانت تضم مركب الإله .
ز : أخ منو . معبد اليوبيل تحوتس الثالث .

ح : حرم تحوتس الثالث وأجنحة الكهنة
المشرفة على البحيرة المقدسة
ط : مساحة من العصور الرومانى . استخدمت عند
نقل المملة إلى اسطنبول .
ي : قناء الصرح العاشر ومبنى امتحوتب الثانى
وهو عبارة عن إستراحة للمركب .
ك : بوابة يواريجيتوس
ل : فيكل تختنبو .
م : قطاع معبد خنسو . إله القمر وأمن أمن
ومعبد أوت - مكان وادة أوزيريس الأسطورية
ن : مبنى طهرقا . معبد التجديد الإلهى .
س : المخازن
ع : ميائل أوزيريس فى العصر المتأخر
ح : معبد أوزيريس
و : البحيرة المقدسة . إطار الملاحة المقدسة

ق : معبد الشرق " أمنو السميع " موقع مسلة الاوتان
د : البوابة الشرقية العظيمى
هـ : معبد يتاح . إله منب العظيم .
و : كنز تحوتس الأول
ز : معبد خنسو الذى أكل خطه فى طبية .
ح : معبد " أمنو كاموتف " من مظاهر أمن النجيب
د : إستراحة أمنو التى شيدتها الملكة حتشبسوت
هـ : معبد موت " ربة أمنو " .
ط : معبد خنسو الطفل
ع : معبد إستراحة رئيس الثالث

١٠ - ١
الصورح

إلى متحف اللوفر عام ١٨٣٤ . وكان لابد من الانتظار حتى عام ١٨٥٨ عندما أنشئت مصلحة الآثار ليبدأ " مارييت " أعمال تنظيف المعابد .

انكب " مارييت " على أعمال التنظيف الأولى فى الفترة من ١٨٥٨ إلى ١٨٦٠ ثم ، نشر عام ١٨٧٥ مجلدين تحت عنوان " الكرنك : دراسة طوبوغرافية وأركيولوجية " (*Karnak, étude Topographique et archéologique*) ثم باشر " جورج ليجران " (*G. Legrain*) هذه الأعمال فى الأعوام من ١٨٩٥ وحتى ١٩١٧ . وأنجز على خير وجه أعمال ترميم بهو الأساطين ومحاولة إعادته إلى حالته الأولى مستخدماً أسلوب " الأنستيلوز " *anastylose* . وقام بتنظيف فناء الصرح الأول و معبدى استراحة المركب اللذين شيدهما " سيتى " الأول " ورمسيس " الثالث . واكتشف خبيثة فناء الصرح السابع . ونشر تقاريره العلمية فى مجلة مصلحة الآثار : " حوليات مصلحة الآثار المصرية " (*Annales du service des Antiquités de L'Égypte*) وفى " مجموعة الدراسات (*Recueils de travaux*) وهى إحدى المجلتين الفرنسيتين الكبيرتين المتخصصتين فى تلك الفترة .

وفى عام ١٩٢٩ صدر كتاب " الكرنك " *Karnak* الذى ظل مؤلفه - العالم "كاپار " (*Capart*) - يعمل فيه حتى وفاته عام ١٩١٧ . وخلفه " پييه " *M. Pil-let* من ١٩٢١ وحتى ١٩٢٦ فافرج ما بداخل الصرح الثالث الذى شيده " أمنحوتب " الثالث ليكتشف بقايا ستة عشر أثراً من عهود سابقة استخدمت كحشو للصرح . و قام بتنظيف ممر موكب الطواف الجنوبى وهياكل الكرنك الشمالية و معبد موت ودعم الصرح العاشر واكتشف تماثيل " إخناتون " الأوزيرية الشامخة شرقى سور " معبد آمون - رع " . ونشر نتائج أعماله فى كتاب صدر له عام ١٩٢٨ تحت عنوان : " طيبة " *Thèbes* . " وكان هنرى شيفرييه " (*H. Chevrier*) هو ثالث المهندسين الذين تولوا مسئولية الكرنك فأشرف على أعمال التنقيب فى الفترة من ١٩٢٦ إلى ١٩٥٤ مع توقف أثناء الحرب العالمية الثانية . وانتهى من تفريغ حشوة الصرح الثالث ، وبدأ أعمال التنقيب فى الصرح الثانى وأعاد بناءه . وأجرى المجسات فى منشآت الدولة الوسطى ثم انصرف إلى إعادة بناء المبانى التى أعيد استخدامها خلال الدولة الحديثة وهى هيكل الاستراحة الذى شيده " أمنحوتب " الأول من الألبستر و " المقصورة البيضاء " ومقصورة " حتشبسوت " وأعدّها للنشر . واعتباراً من عام ١٩٣١ أقام أعضاء " المعهد

الفرنسي للآثار الشرقية " (IFAO) شمالى الكرنك فى معبد " مونتو " حيث بدأ "روبيشون" (C . Robichon) " وفاريل " (A . Varille) أعمال التنقيب التى واصلها من بعدهما منقبو المعهد و لايزالون مستمرين فى أعمالهم إلى يومنا هذا . وانتهت أعمال تنظيف معبد " آمون - رع كاموتف " ومدخل معبد " موت " عام ١٩٣٦ . وقام "فاريل" عام ١٩٥٠ بتنظيف هيكل " تحوتس " الثالث الشرقى ونشر نتائج أبحاثه حوله ، وباشر " پول بارجيه " (P. Barguet) تنظيف المسلة الوحيدة " لتحوتس " الثالث ... ثم نشر بعد ثلاث سنوات دراسة عنوانها " معبد آمون رع بالكرنك " Le Temple d'Amon-Rê à Karnak لاتزال المرجع الذى يعتد به فى هذا المجال . وأخيراً وليس آخراً اتفقت مصر وفرنسا عام ١٩٦٧ على التعاون لحماية معابد الكرنك ودراساتها دراسة علمية من خلال مركز فرنسي مصري Centre Franco-Égyptien AE وعلى امتداد عشرين سنة انتهى المركز من تفريغ مابداخل الصرح التاسع وأعد دراسات مستفيضة حول التلف الذى يصيب المباني الأثرية . كما اكتشف مساكن الكهنة حول البحيرة المقدسة ، و أعاد بناء حجرة الأجداد وهيكل " هكر " (أكوريس) الواقع أمام الصرح الأول وواصل دراسة أحجار معبد " إخناتون " التى أعيد استخدامها الخ ... كما اهتم بصيانة وعرض وحماية هذا الموقع الذى يعدّ من أهم مزارات مصر . وفى غضون ذلك تولت بعثة كندية دراسة مباني العمارة الواقعة شرقى المعبد . كما قامت بعثة أمريكية بدراسة معبد " موت " .

و إذا صحّ ماورد فى قائمة " حجرة الأجداد " فإن تأسيس المعبد يرجع إلى الأسرة الثالثة . و لكن الفرص تبدو ضئيلة جداً فى الوصول إلى اكتشاف مباشر يؤكد هذا الزعم نظراً لشدة الدمار والتخريب اللذين لحقا بأكثر أجزاء المعبد قدماً . وقد أقيمت فى المعبد منذ الدولة القديمة على الأرجح شعائر عبادة " مونتو " الإله المحلى . و كان وجود المعبد أمراً مؤكداً فى عهد " أنتف " الثانى وقد أطلق عليه " مسكن آمون " و كان اسمه الكلاسيكى " إبت سوت " الذى يعنى " الذى يُعدّ الأماكن ويحصيها " يطلق أصلاً على هذا القسم من المعبد الواقع بين الصرح الرابع وهو احتفالات " تحوتس " الثالث . وقد وجد هذا الاسم مسجلاً على " المقصورة البيضاء " لسنوسرت الأول .

وتغطى مجموعة معابد الكرنك مساحة تاريخية ممتدة تبدأ بالأسرة الحادية عشرة وتنتهى بالعصر الرومانى ، بل ويمكن القول أننا نكاد نكتب تاريخ مصر اعتماداً على

تاريخ معابد الكرنك . و ينقسم الموقع إلى ثلاث مجموعات : مجموعة معبد آمون - رع -
مونتو (الكرنك الشمالى) ، ثم مجموعة " آمون - رع " ، فمجموعة " موت " (الكرنك
الجنوبى) . ولاننسى أن نضيف معبد الأقصر وهو " حريمه الجنوبى " .

شُيد سور " مونتو " قبل سور معبد آمون - رع من الطوب اللبن . ويضم مقصورة
قدس أقداس مكرسة لـ " مونتو - رع " ، ثم مرسى خاصاً بها فى الناحية الشمالية ، يربط
بينهما طريق مقدس ، وأخيراً البحيرة المقدسة . والمقصورة من أعمال أمنحوتب الثالث
الذى أعاد استخدام بناية سابقة " لأمنحوتب " الثانى . وقد أدخلت عليها التعديلات
والتوسعات فى عصر الرعامسة شأنها فى ذلك شأن معظم منشآت الكرنك . و فى وقت
لاحق أضاف إليها طهرقا بوابة شامخة تكتنفها الأعمدة التى أعيد بناؤها فى العصر
البتلمى . ويلاصقها من الناحية الجنوبية معبد للإلهة " ماعت " يرجع إلى الأسرة الثامنة
عشرة على أقل تقدير . و فى الناحية الشرقية معبد " حريارح " وهو من العصر
الأثيوبي . و على مقربة من سور معبد " مونتو " الجنوبى أقامت " عابدات الإله "
ستة هياكل أوزيرية (ع) .

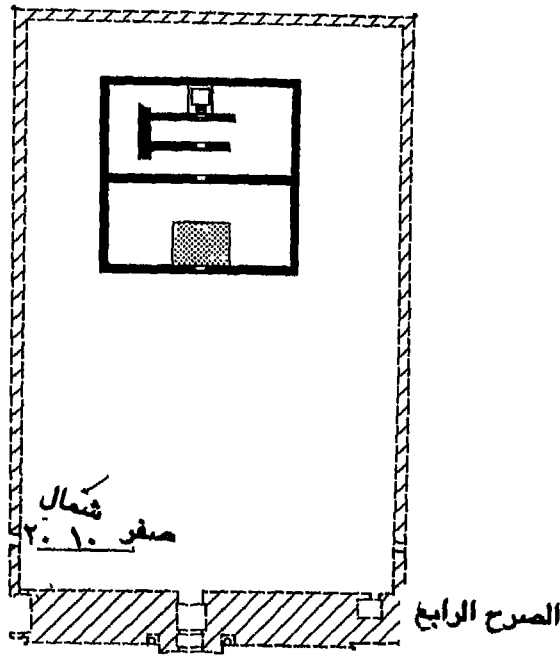
وإذا واصلنا السير ملتفين حول سور معبد " آمون - رع " متجهين إلى الناحية
الشرقية ، فسنجد على امتداد محور المعبد الرئيسى موقع الـ " جم پا آتون " الذى شيده
" إخناتون " . و قد دمر عن آخره ، وإن احتفظ " معبد بن - بن " فى الـ " جم پا آتون "
بآثار حريق . ثم نصل بعد ذلك عند الناحية الجنوبية إلى معبد " خنسو " : " الحاكم فى
طيبة " و الذى يصعب تحديد تاريخ تأسيسه . ويقتنى متحف برلين قوالب حجرية
" لتخوتس " الثالث نقلت من هذا المعبد الذى جرى ترميمه فى العصر البتلمى . كما
عثر فيه شامپوليون على لوحة " بختان " (Louvre C 284) التى سبق الإشارة
إليها . ومن ثم يمكن القول أن " تخوتس " الثالث هو الذى أقام هذا المعبد بما أنه يعتبر
النموذج والمثل الأعلى للمؤسس للعلاقات التى تربط مصر بملوك آسيا الصغرى وعلى هذا
النحو صورت لوحة " بختان " " رمسيس " الثانى .

ويلتف سور حرم " موت " حول مساحة تناهز العشرة هكتارات . وقد أعيد
بناء هذا السور فى عهد الإمبراطور الرومانى " تيبيريوس " ، ويربطه بالسور الجنوبى لآمون
رع طريق مقدس ينتهى عند الصرح العاشر . والمبنى الرئيسى فى الحرم هو المعبد المكرس
للإلهة موت العنصر الثانى المكون لثالث طيبة . و معبد موت هو المبنى الرئيسى فى حرم
" موت " ويحيط به من ثلاث جهات بحيرة " آشر " ذات الشكل المميز . وقد جاءت

التمثيل التي كرسها " أمنحوتب " الثالث للإلهة " سخمت " من الفناء الأمامي . كما يفترض أنه أقام هذا المعبد أيضاً مكان بناية " حتشبسوت " . وحفظ لنا الزمن من هذا المعبد هيكلًا لـ " آمون - رع كاموت إف " أى " آمون - رع ثور أمه " واستراحة المركب المقدس . وشملت التوسعات الاستراحة وتم زخرفتها فى عهد سيتى الثانى وأيام طهرقا الذى برز كواحد من أهم من اهتموا بإعادة بناء الكرنك أخيراً فى العصر البطلمى . وأقيمت فيها شعائر خاصة بعبادة موت بصفتها أم خنسو الذى خصص له أيضاً معبد فى حرم " آمون رع " . كما شيد له " تحوتس " الرابع معبدًا فى حرم موت لم يكتمل إلا فى العصر الإثيوبي . إنه معبد " خنسو الطفل " ويلعب دوراً شبيهاً بالـ . مامبزي " (بيت الولادة) كما توضحه مشاهد الولادة الملكية المصورة فى فناء المعبد .

أما الامتدادات الوحيدة الموجودة فى الناحية الغربية فهى لمعبدى استراحة المركب . ويرجع الأول إلى العصر اليونانى الرومانى ، ويرجع الثانى إلى " هكر " وإن بدأ " نفرتس " الأول تشييده .

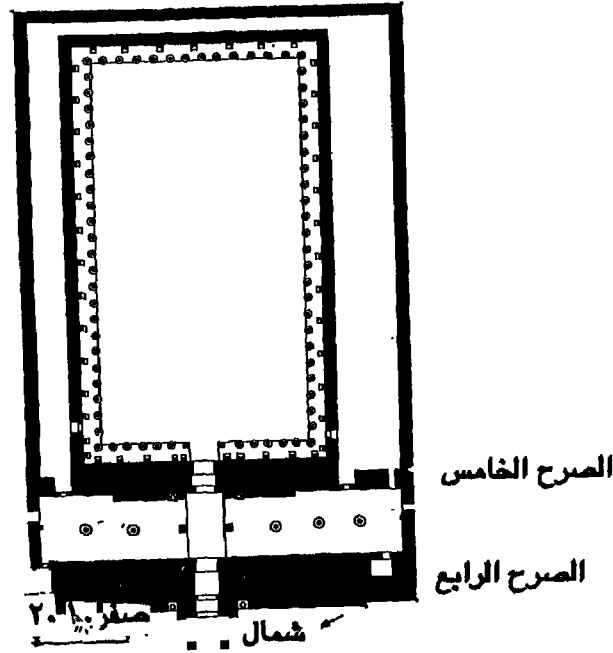
تزودنا هذه الإطلالة السريعة على أحرام معابد الكرنك بالفلسفة التى أملت على المعبد تطوره ونموه على مرّ السنين و العصور . فكاد كل ملك من ملوك مصر يُقدم على تعديل أو إضافة إلى ماشيده أسلافه من منشآت لتترك فى مجملها انطباعاً لمبانٍ تكدرت وتزاحمت فى فوضى تامة . فالزائر فى العصر الحديث القادم من المرسى ليعبر الصرح الأول يرجع فى واقع الأمر بالزمن القهقرى . فيبدأ من المباني الأحدث ليصل إلى أقدمها تبعاً للتسميات التقليدية التى أطلقت اصطلاحاً على العمائر من الصرح الأول و حتى الصرح السادس على امتداد المحور الغربى الشرقى ، ومن السابع إلى العاشر على المحور الشمالى الجنوبى . وقد أخذ المعبد يتوسع انطلاقاً من المعبد الواقع عند " فناء الدولة الوسطى " (الشكل ١٤٢) و فى اتجاه الغرب أى فى اتجاه منفذ الخروج . كما توسع المعبد فى الاتجاه المقابل ناحية الشرق بتأسيس معبد مقابل والتوسع فى منشآته وهو معبد للشمس يواجه الشمس المشرقة . وفى الوقت نفسه استطال عمر موكب الطواف الممتد من الشمال إلى الجنوب و الذى يربط أسوار أحرام مونتو و آمون رع وموت . واعتباراً من عهد " أمنحوتب " الثالث كان الممر يشكل الحدود الغربية للمعبد فى حد ذاته ، ويفصل بينه وبين المنشآت الجديدة التى لم تكن سوى امتدادات للطريق الذى يدخل منه المركب المقدس .



شكل (١٤٣) - المعبد القديم

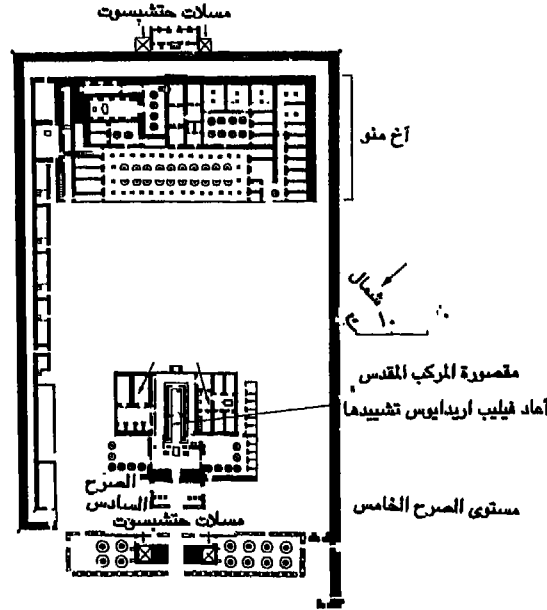
كان المعبد قائما فى الأصل فى المساحة المحصورة بين ماسيعرف فى وقت لاحق ببهو الاحتفالات لتحوتس الثالث و قدس أقداس المركب المقدس. و كان يضم ، كما يعتقد ، قاعتين متتاليتين إلى جانب قدس الأقداس وهو الحد الأدنى الضرورى لتشكيل معبد . وظل هذا التخطيط كما هو دون تغيير إلى ان أدخل عليه "تحوتس" الأول بعض التعديلات بمساعدة المعمارى "إنينى" . ولانعرف كيف كان شكل هذه المنشآت قبل عصر "تحوتس" الأول فهياكل الاستراحات التى أعيد استخدام كتلها فى وقت لاحق تفترض وجود طريق طويل يمتد من المرسى إلى المعبد وزع عليه عدد من المحطات لاستراحة المركب المقدس .

صور المعمارى "إنينى" فى مقبرته فى الشيخ عبد القرنة (TT 81) المنشآت التى شيدها لحساب مليكه . لقد أقام حول المعبد سوراً ، يسد منفذه صرح (الخامس) . وبعد رسم حدود الفناء أحيط بصفات تكتنفها تماثيل "أوزيرية" شامخة فى الأغلب . وكان الصرح المشيد من الحجر الرملى المزدان بالحجر الجيرى يفضى إلى بهو أساطين من خلال باب تكتنفه سارتان رفعت عليهما البيارق وقد أطلق عليه " بهو الأساطين الفخم ذو الأساطين البرديه " . كان سقفه من الخشب ، وتنهض على امتداد جدران البهو تماثيل



شكل (١٤٤) - منشآت تحوتس الأول

ملكية شامخة ترتدى تاج الوجه القبلى أو تاج الوجه البحرى على التوالى . ويحيط بهذه المجموعة سور ثانٍ له مدخل على شكل صرح ثانٍ (الرابع) وقاعدته على الأقل مبنية من الحجر الرملى . وكانت الواجهة الغربية للمعبد تشكل مدخله وتزدان بأربع سوارٍ ووضع أمامها " تحوتس " الأول مسلتين لم يبق منهما فى الوقت الراهن سوى المسلة الجنوبية . وتؤلف مجموع هذه العماثر الـ " إيت سوت " على وجه التحديد ، ويمكن اعتبارها النموذج الذى استوحاه " أمنحوتب " الرابع عند تشييد معبد " آتون " فى العمارنة . أما المرحلة الرئيسية الثانية فى تطور عمارة المعبد فتتفق وعهد " حتشبسوت " و" تحوتس " الثالث إذ أخذ الأخير يخرب ما شيدته الأولى أو يدخل عليه التعديلات . أقامت " حتشبسوت " قرب واجهة قدس الأقداس الغربية مقصورات للقرايين وأمامها إستراحة للمركب يطلق عليها اصطلاحاً " المقصورة الحمراء " . وأقامت فى العام السادس عشر من حكمها مسلتين من جرانيت أسوان الوردى غلفتها بسبيكة الإلكتروم ، ولم يبق منهما سوى المسلة الشمالية أمام الصرح الخامس والواقعة إذن فى قلب بهو الأساطين الذى شيده " تحوتس " الأول . وشيدت قدس أقداس كرسنه للشمس



شكل (١٤٥) - منشآت حتشبسوت وتحتمس الثالث

المشرقة ملاصقاً للصور الشرقي لتحتمس الأول وأقامت أمامه مسلتين. وسوف يحل محل قدس الأقداس في وقت لاحق بهو الاحتفالات الذي أقامه "تحتمس" الثالث. ويغلب على الظن أن حتشبسوت قامت بتشييد معبد "موت سيدة آش" ، كما أشرنا إلى ذلك في وقت سابق . واستبدلت بالصرح الثامن المبنى من الطوب وسط ممر المركب الطواف صرحاً آخر مبنياً من الحجر .

وأدخل " تحتمس " الثالث على الـ " إيت سوت " تعديلات جذرية ، فأخفى عن الأنظار مسلتي " حتشبسوت " داخل حجرة صندوقية صماء فلم يظهر منهما سوى رأسيهما المدببين ، وربط هذه البناية بالصرح الخامس فأنشأ أمامه قاعة أمامية . كما أضاف صفين من الأساطين إلى الأساطين التي أقامها " تحتمس " الأول واستبدل بالسقف الخشبي الذي يغطي بهو الأساطين هذا سقفاً آخر من الحجر .

وقسم " تحتمس " الثالث الفناء الواقع شرقي الصرح الخامس والفاصل بينه وبين المقصورات التي أقامتها " حتشبسوت " ليقم في وسطه صرحاً جديداً (السادس) . وصور على سطوحه النصر الذي أحرزه في " مجدو " . وشيد وسط مقصورات " حتشبسوت " استراحة للمركب من الجرانيت الوردي . ولكن هذه الاستراحة تهدمت وأقام فيليب

أريدايوس مكانها استراحة جديدة لاتزال قائمة حيث هي ، وهي نسخة طبق الأصل من استراحة "تخومس" الثالث . وصورت على الجدار الجنوبي الخارجى لقدس الأقداس مشاهد التأسيس وموكب المركب المقدس .

وأعاد " تخومس " الثالث تقسيم الفناء شرقى الصرح السادس إلى ثلاثة أقسام: الأول عبارة عن قاعة وسطى سقفها مرفوع على عامودين من الجرانيت الوردى . وتمثل زخارف العامود الجنوبي النبات الشعارى للوجه القبلى أما العامود الشمالى فتمثل زخارفه النبات الشعارى للوجه البحرى . أما القسمان الآخران فيشكلان فناءين جانبيين أمام هياكل " حتشبسوت " . وهذا الجزء من المعبد له دلالة استراتيجية ، فهو المكان الذى يقف فيه الملك فى حضرة الإله بعد أن تظهر للمرة الأخيرة . وقد أمر أن ينقش على جدرانه النص الذى يعرف اصطلاحاً بنص " الشباب " إلى جانب " حولياته " .

وبدلاً من قدس الأقداس للشمس المشرقة الذى أقامته حتشبسوت شيد تخومس الثالث معبداً للتجديد وهو المكان الذى تحلّ فيه على الملك القدرة الإلهية أثناء عيد "سد" وقد أطلق على هذا المعبد إسم " آخ منو " ويتكون من أربعة أقسام رئيسية . يشكل القسم الأول المدخل وهو ممر طويل يخترق سورى تخومس الأول ويفضى إلى ردهة تطل عليها تسعة مخازن عبر ممر يمتد من الشرق إلى الغرب . وخصصت المخازن لحفظ مايلزم الاحتفالات من ملابس ومنتجات . ويمتد عبر إفريز المخازن الستة الأولى نص تذكارى طويل حول تأسيس المعبد ، يبلغ فيه " تحوت " الآلهة المجتمعين بالمرسوم الذى أصدره " آمون - رع " بتتويج تخومس الثالث ملكاً على مصر . أما باب الردهة الغربى فيفضى إلى بهو الاحتفالات فى حد ذاته ، وهو بهو أساطين يلتف من حوله اثنان وثلاثون عاموداً مربعاً . ويرفع حمالات الرواق الأوسط صفان من عشرة أساطين تيجانها من الطراز المعروف اصطلاحاً بتيجان " عيد سد " . وطلّى سقف الرواق باللون الأزرق ورصّع بنجوم ذهبية . ودونت ألقاب تخومس الثالث على حمالات السقف كما صور الملك على الأعمدة مرتدياً على التوالى تاج الجنوب وتاج الشمال حسب وضع الأعمدة واتجاهها . ويصور الحائط الجنوبى من الجدار الشرقى مراسم اعتلاء الملك عرش البلاد . وعند مدخل بهو الاحتفالات يقف "تخومس" الثالث ليقدم القرايين لأسلافه الذين فارقوا الحياة مثل "سيتى" الأول فى معبده فى أبيدوس وهو المكان المعروف بـ " حجرة الأجداد " الموجودة حالياً فى متحف اللوفر وإن أعيد إقامة نموذج لها فى نفس المكان . و القسم الثالث فى الجنوب الشرقى وهو مكرس لعبادة الإله "سوكر" ، ويضم قدس الأقداس وهيكل المركب

المقدس "وناووس" الأَقْنوم الإلهى على شكل صقر محنط وتمثال الشعائر و المخازن . و توجد إلى الشمال الشرقى مقصورتا قدس الأقداس ،اعاد الإسكندر بناء إحداهما.كما توجد حجرات "آمون" الخاصة وتعرف احداهما " بحديقة النباتات " . وقد سبق الإشارة إلى دلالتها .

أحاط "تحوتمس" الثالث كل هذه المباني بسور ، هو امتداد لسور تحوتمس الاول شرقاً ويلتف من حولها شمالاً وحتى مستوى الصرح الخامس .كما ضَمَن هذه المجموعة سوراً ثانياً يبدأ من الصرح الرابع جنوباً ليلتقى بالصرح الخامس شمالاً تاركاً مساراً للعابرين . وشيد "تحوتمس" الثالث إلى الشرق من هذا السور الأخير معبداً ملاصقاً يكتنفه صف من الأساطين .ونشاهد فى ناووس المعبد " آمون " جالساً بجوار الملك وقد وضع يده على كتفه - كما شيد هذا المعبد بمناسبة الاحتفال بيويل الملك .

وأعدت البحيرة المقدسة ، وعلى المحور الشمالى الجنوبى شيد الصرح السابع المرتبط أيضاً باليويل ، ونُقشت على واجهتى الصرح المشاهد التقليدية لذبح أعداء مصر فى الجنوب وفى الشرق . كما يتقدم الصرح تماثيل شامخة على جانبى المدخل . ان التمثالين الشامخين القائمين أمام واجهة الصرح الجنوبية كانت تتقدمهما مسلتان ، لم يبق منهما سوى قاعدة المسلة الشرقية . وقدنقلت المسلة الغربية فى عهد "ثيودوسيوس" الأول إلى القسطنطينية حيث أقامها "بروكلسيوس" فى مضمار سباق الخيل عام ٣٩٠ م .

كذلك نشط " أمنحوتب " الثانى فى الكرنك . ولكن الإضافات الرئيسية لم تأت إلا على أيدي "تحوتمس" الرابع " وأمنحوتب " الثالث على وجه الخصوص إذأضاف كل منهما هذا القدر أو ذاك من الإنشاءات . ولكن الخطوط العريضة لـ " إيث سوت " بقيت مع ذلك كما هى دون مساس . وانصبت الأعمال الإنشائية من الآن فصاعداً على الأقسام الواقعة أمام المعبد أى طريق موكب الطواف غرباً أو الإنشاءات الخارجة عن نطاق قدس الأقداس فى حد ذاته .

نجد "تحوتمس" الرابع فى رفع مسلة المعبد الشرقى لتحوتمس الثالث المعروفة بإسم " تخن وعتى " أى " المسلة الوحيدة " والتي لم تصبح فى قلب هذا المعبد إلا بعد التوسعات التى أجراها رمسيس الثانى بفترة طويلة ، وبالتحديد فى عهد " بطليموس " الثانى " يوارجيتس " الثانى ، وهى اكبر المسلات المعروفة ، إذ يزيد ارتفاعها على ثلاثة

وثلاثين متراً وربما نقلت لهذا السبب إلى روما فى عهد " قسطنطيوس " الثانى عام ٣٥٧ م ليزدان بها سيرك " مكسيموس " . وقد اكتشفت محطمة تحت أنقاض هذا السيرك . وترتفع شامخة اليوم فى ميدان القديس " يوحنا لاتران " فى روما .

وكان " تحوتس " الرابع أول من استهل أعمال التشييد غرب الصرح الرابع وأقام فى الساحة الممتدة أمام الصرح مبنى ذا أعمدة . ثم جاء أمنحوتب الثالث ليستخدم جانباً منه لتشبيد الصرح الثالث إلى جانب مواد البناء التى حصل عليها من العديد من المباني التى تقارب الاثنى عشر مبنى . وكان هذا الصرح هو مدخل المعبد كما تشهد على ذلك مناظر المركب المقدس التى يزدان بها الصرح ، وظل على هذا النحو حتى عصر العمارنة . وأغلق " أمنحوتب " الثالث ممر موكب الطواف المتجه إلى معبد " موت " وكلف " أمنحوتب بن حابو " بإقامة صرح من الطوب . ثم جاء " حور محب " واستبدل به صرحاً آخر من الحجر .

وفى أثناء ثورة العمارنة لم يشهد المعبد أعمالاً إنشائية الا تلك المتعلقة بمعبد " آتون " الذى شيده " أمنحوتب " الرابع شرقاً . ودب النشاط فى الموقع على استحياء فى عهد توت عنخ آمون الذى أقام تماثيل " لآمون " و " آمونت " فى فناء الصرح السادس ، إلى جانب بعض تماثيل " أبو " الهول برأس كبش التى يحتل أنه أقامها على جانبى الطريق المؤدى إلى المعبد . وقد أدخل " حور محب " على المعبد تعديلات جوهرية إذ شيّد ثلاثة من صروح المعبد العشرة . وأدخل لمسة جمال على الممر الذى يربط الصرح العاشر بمعبد موت . فأقام على جانبيه تماثيل " لأبو " الهول برأس كبش .

وسدّ فناء الصرح الثامن على المحور الشمالى الجنوبى بجدارين من الحجر الرملى وصرح جديد هو الصرح التاسع . واستبدل حور محب بالصرح الجنوبى الصرح العاشر . ونقش أمامه لوح المرسوم الذى أصدره من أجل إعادة النظام إلى ربوع البلاد .

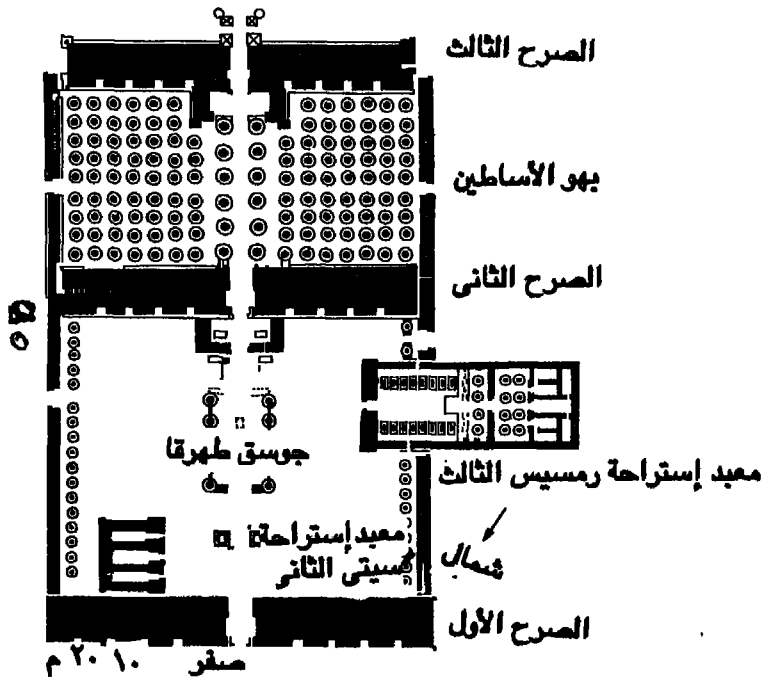
واستهل بناء الصرح الثانى الذى أكمله " رمسيس " الأول . ولم يفزع من زخرفة بابيه إلا فى عهد " بطليموس " بوار جتيس " الثانى ، وأقامه " حور محب " فى نهاية صف مزدوج من سبعة أساطين بردية يافعة يبلغ ارتفاع الأسطون الواحد ٢٢ متراً وسوف يصبح الإثنا عشر إسطوناً الأولى جزءاً من بهو الأساطين . ونؤكد اثنى عشر أسطوناً فقط حيث أنه ضم الأسطونين القائمين فى الطرف الغربى إلى الصرح الثانى .

وبفضل هذه الصروح أخذ المعبد يقترب أكثر فأكثر من شكله الراهن كما أتاحت هذه الصروح على وجه الخصوص مواراة الجانب الأكبر من منشآت " أمنحوتب " الرابع فأعيد استخدام قوالب " الثلاثات " لحشو الصرحين الثانى والتاسع . لقد اختفت منشآت

الفرعون صاحب البدعة الآتونية من الكرنك غير أنها لم تندثر تماماً كغيرها من المنشآت التى أعيد استخدامها كمواد بناء فحفظ لنا الزمن القوالب بنقوشها وزخارفها وإن حُرِّم على القوم مشاهدتها . إن اللعنات التى انهالت على ذكرى الملك الذى أدين بما ارتكبه من آثام فى حق " آمون " ، امتدت إلى ماشيده من مبانٍ ولكنها لم تتعرض للإله " آتون " نفسه .

وأضاف " سيتى " الأول إلى المعبد عنصراً معمارياً جديداً هو بهو الأساطين المهيِّب (أ) وهو من أفخم ماشيد من مبانٍ ، وكان يطلق عليه " معبد سيتى مرنيتاح مضئ فى مسكن آمون " ، والذي أكمل " رمسيس " الثانى زخرفته .

وعرض البهو ضعف عمقه . ويتكون من إيوانين عدد أساطين كل إيوان ٦٦



شكل (١٤٧) - من الصرح الأول إلى الصرح الثالث

أسطونا أحادية الطراز تصطف فى سبعة صفوف موزعة على جانبى صفيين من الأساطين فى الإيوان الأوسط تيجانها على شكل زهرة بردى يانعة . ويوجد فارق كبير فى الارتفاع بين أساطين الوسط وأساطين الجانبين يصل إلى ستة أمتار . واستغل هذا الفارق لوضع نوافذ حجرية تسمح بسقوط ضوء خافت على جانبى الإيوان الأوسط . ويتكون البهو من محورين : الأول هو محور المعبد ، والثانى عمودى على الأول ، ويربط بين بابين أحدهما

فى الشمال والآخر فى الجنوب . وقد أقيم البهو فوق رديم من عهد " أمنحوتب " الثالث . وشيدت أساطين الإيوانين الجانبيين فوق أوتار مرتبة أسفل بلاط قليل السمك ومكونة من تكدس بارتفاع مترين من قوالب " الثلاثات " يفصل بينها ترصيف من تربة دكّاء وزلط .

قام " رمسيس " الثانى بزخرفة القسم الجنوبى من البهو بالنقش الغائر . وهو فناء يعبر منه الملك متجها إلى مكان التطهر القائم فى القسم الشمالى من البهو المعروف بإسم " پردوات " حيث يرتدى الملابس الكهنوتية ويتطهر للمرة الأخيرة قبل الولوج إلى المعبد على وجه التحديد - وتسجل النقوش على سطوح البهو الداخلية هذا الإنتقال ، من مشاهد تأسيس ومواكب الطواف ودخول الملك فى القسم الأول وتقديم القرابين فى القسم الثانى . أما السطوح الخارجية لجدران البهو والتي يشاهدها المؤمنون فقد سُجل عليها على غرار معبد مدينة هابو الحملات العسكرية التى شنها " سيتى " الأول فى القسم الشمالى (حملات سوريا وفلسطين فى الجانب الشرقى والحملات ضد الليبيين والحشيين فى الجانب الغربى) وحملات " رمسيس " الثانى فى القسم الجنوبى (معارك فلسطين فى الجانب الغربى ومعركة " قادش " فى الجانب الشرقى) . وتنتهى كل حملة من الحملات السابقة بتقديم الغنائم قرباناً إلى ثالوث طيبة على مقربة من كل باب من البابين اللذين أصبحا بمثابة الصرح .

كان تشييد بهو الأساطين تطويراً للمعبد . فانتقلت نقطة الاتصال بالخارج إلى جهة الغرب بحيث تتحكم فى المجموعة المعمارية الواقعة داخل حرم " تحوتس " الثالث أى الـ " إيت سوت " - بعد اتساع حدوده - إذا صحّ ، القول ، أيضاً فى العمائر الواقعة خلف الصرح الثالث بما فى ذلك ممر موكب الطواف ومقاصير قدس الأقداس الشرقية . واقتصرت المرحلة التالية من تطوير المعبد على تعبيد طريق المدخل أمام الصرح الثانى إذ كان فى عهد " رمسيس " الثانى عبارة عن " طريق مقدس " على جانبيه تماثيل " أبو " الهول برأس كبش أو ما يعرف اصطلاحاً " بطريق الكباش " الذى ينتهى عند المرسى حيث يرسو المركب المقدس مبحراً عبر قناة متفرعة من النيل. وأقام " سيتى " الثانى أمام المرسى (شكل ١٤٢ أ) مسلتين وشيد استراحة للمركب أمام الصرح الثانى (شكل ١٤٧) لمراكب أعضاء ثالوث طيبة . أما " رمسيس " الثالث فقد أقام استراحة خاصة به فى الناحية الأخرى من محور المعبد وإلى الشرق قليلاً (شكل ١٤٧) . إنه نموذج معبد مصغر ، يتكون من صرح ثم فناء تكتنفه صفة ثم بهو أساطين فقدس الأقداس ، وقد زخرفت سطوح الجدران الخارجية بمشاهد من موكب الطواف للمراكب المقدسة خلال رحلتها إلى الأقصر فى عيد " أويت " .

وأحاط " شاشانق " الأول الساحة التى ستصبح فى وقت لاحق فناء الصرح الأول برواقين ، وتحكم فى المدخل بإقامة بوابة سيحل محلها فيما بعد الصرح الأول . وأزاح تمثيل " أبو " الهول برأس كبش بعيداً عن الممر الأوسط ناحية الجانبين الشمالى والجنوبى لهذا الفناء الجديد . ثم جاء " طهرقا " وهو من ملوك الأسرة الخامسة والعشرين فشيّد جوسقاً أمام ردهة الصرح الثانى يشبه صف أساطين " أمنحوتب " الثالث . ثم جمع " بطليموس " الرابع " فيلوباتور " بين الأساطين بجدار جانبى .

وفى عهد " طهرقا " قام " مونتو إمحاح " بترميم جدران أسوار المعبد ، أما الأسوار الحالية فتتبع إلى الأسرة الثلاثين ، وكذلك الصرح الأول على ما يبدو والذى ظل دون أن يكتمل . إن المساحة الحالية التى تضمها أسوار المعبد تبلغ ٤٨٠ متراً فى ٥٥٠ متراً وسمك جدرانها حوالى ١٢ متراً بارتفاع ٥٢ متراً . لقد شيّدت هذه الأسوار بحيث تتعاقب مرافد الطوب اللبن ، مقبرة ثم محدبة على التوالى ، لتصور قناوج أمواه " نون " راسمة حدود الكون الذى يجسده المعبد كمكان للخلق . وتخترق الأسوار خمسة أبواب تمثل كل منها نقطة تتجمع عندها هذه الأمواج . فتتوقف للسماح بمرور الشمس المشرقة فى اتجاه معبدها شرقاً ، ومونتو ، شمالاً ، وموت فى اتجاه معبده ، وآمون - رع فى اتجاه معبد الأقصر جنوباً .

ولم يقتصر تطور المعبد فى الخطوط العريضة على المحور الممتد من الشرق إلى الغرب كما عرضنا لها ، بل أضيفت العديد من الزيادات نذكر منها عند السور الشمالى المعبد الذى شيّده " تحوتمس " الثالث للإله پتاح " جنوبى سوره " ليحل محل معبد قديم من الطوب ، واستمرت أعمال ترميمه حتى عصر البطالمة . أما المقاصير الشرقية المكرسة " لآمون رع حور أختى " والواقعة شرقاً ، فقد قام " رمسيس " الثانى بوضع اللمسات الأخيرة للمظهر الذى ظلت عليه . وعند البحيرة المقدسة الواقعة عند تقاطع المحورين ، أقام طهرقا أثراً كرسه لعبادة الجعران " خپرى " على مقربة من التمثال الشامخ لهذا الإله . وأعاد " رمسيس " الثالث تشييد معبد " خنسو " الذى تحدثنا عنه من قبل ليحل محل المعبد الذى شيّده " أمنحوتب " الثالث . واستمرت الأعمال الإنشائية طوال عهد الرعامسة من " رمسيس " الرابع وحتى " رمسيس " الحادى عشر . وتولى " حريحور " زخرفة سطوح المبنى كلما ارتفعت جدرانه . كما تم تطوير معبد " خنسو " فى الألف الأولى قبل الميلاد فأقام طهرقا مقصورة أخرى أمام الصرح الذى زخره " پى نجم " وشيّدت بوابة ضخمة تعرف اصطلاحاً بباب العمرة ترجع زخارفها إلى عهد " بطليموس " يوار جتيس " الأول ، وأقيم هيكل كرس للإلهة " أيت " غرب معبد ،

خنسو". وتحول الهيكل إلى معبد فى العصر الأثينى ولكن لم تكتمل زخارفه إلا فى عهد الإمبراطور الرومانى أغسطس . وإذ خصص المعبد أصلاً لعبادة " أبت " دون سواها فقد أخذ يتحول بالتدريج ليصبح قصر أوزيريس . أما التغيير الذى طرأ على الفرض من إنشائه فظاهرة اقترنت بصعود نجم أوزيريس وعبادته اعتباراً من الأسرة الثانية والعشرين . حيث انتشرت هياكل " أوزيريس " وكبار كهنته شمال حرم " آمون " منذ ذلك الحين وحتى عصر الإمبراطور تيبريوس ...

ونلاحظ أن الأعمال الضخمة قد توقفت من الناحية العملية فى المعبد مع ملوك الأسرة الثلاثين ، وإن لم ييخل كل من جلس على عرش مصر فيما بعد بتقديم إسهامه إلى المعبد بإضافة لمسة جمال أو ترميم هذا المبنى أو ذاك . ويبدو أن المعبد قد ازدحم من شدة ما تكس فيه ، حتى عانى من الاختناقات فى بعض أقسامه لاسيما مداخله ومسالكه فعقد أولو الأمر عزمهم فى عصر البطالة على إخفاء كل ما تراكم داخل المعبد ، مما لم تعد هناك حاجة ماسة إليه وأصبح فى ذات الوقت لقمة سائغة يسيل لها لعاب اللصوص ، وقرروا دفنه فى فناء الصرح الثامن . ومن مجاسن الصدف أن سعيد الحظ " جورج ليجران " قد اكتشف هذه الحبيثة عندما عثر فى السنوات ١٩٠٣ - ١٩٠٥ على ثمانمائة تمثال وسبعة عشر ألف قطعة برونزية مبعثرة فى معظم انحاء الفناء . ومن الأشياء النفيسة التى عثر عليها نذكر على سبيل المثال تماثيل لـ " أبو الهول " أحدها " لأمنحوتب " الأول ، وساعة مائية " لأمنحوتب " الثالث وأعمدة " لسنوسرت " الأول وكتلاً حجرية أخذت من هيكل أقيم بمناسبة عيد اليوبيل " لأمنحوتب " الأول ، إلى جانب باب من الحجر الجيرى نقش اسمه عليها وأجزاء من هياكل وتماثيل لسنموت ، الخ ... إن المكان الذى عثر فيه على هذه الأشياء يدفعنا إلى استنباط أماكن وجودها قبل إخفائها ..

إن وجود كل هذه القطع الأثرية ، ربما حفز علماء الآثار إلى القيام بجولة أخرى من أعمال التنظيف قد تقودهم إلى مزيد من الإكتشافات ، كما تعطينا فكرة عن مدى ثراء مقر آمون وأملاكه ، وما كان يتمتع به كهنته من نفوذ ، حتى تسنى لهم أن يستولوا على مقاليد الحكم فى عهد رمسيس الحادى عشر . وبالقياص إلى الفراعنة فإن ماشيده الكهنة وما زخرفوه من مبانٍ قليل نسبياً . ومع كل ذلك ، فلا يمكن إغفال حضورهم البارز . وكفانا فى هذا الصدد أن نذكر المساكن التى أقاموا فيها إلى الشرق من البحيرة المقدسة (شكل ١٤٢ : ح) . إن تنظيف هذه المساكن سيساعدنا بالتأكيد يوماً ما على ان نفهم بشكل افضل هذه الفترة التى لاتزال شديدة الغموض والاضطراب.

الباب الرابع

خاتمة المطاف

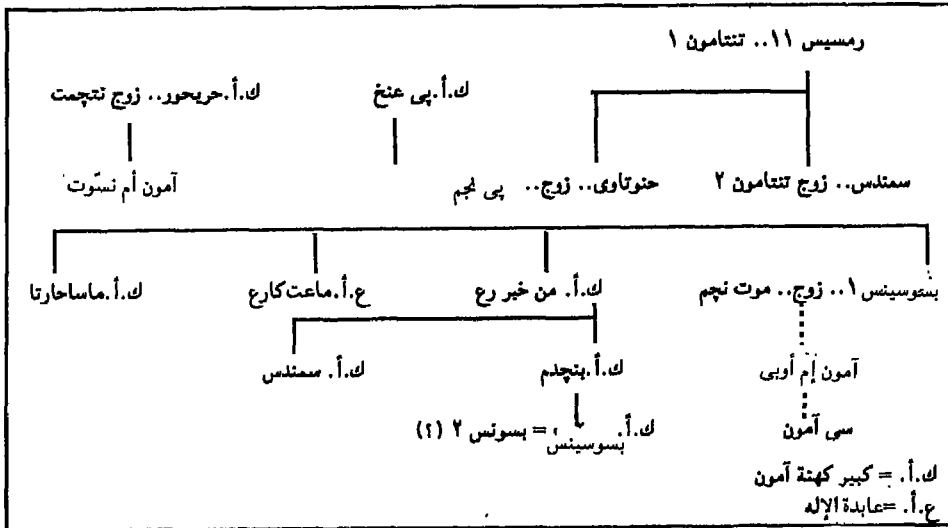
الفصل الثالث عشر

عصر الانتقال الثالث

سمندس وبى نجم

أعلن " سمندس " نفسه ملكاً عند وفاة " رمسيس " الحادى عشر ، مؤكداً انتماءه إلى سلالة الرعامسة بما اختاره لنفسه من ألقاب . إنه حورس " الثور القوى محبوب رع ، الذى يستمد قوة ساعده من آمون ، ليعلى من شأن ماعت . ونجehl كل شىء عن أصوله ، وكل ما قيل عن القرابة التى تربطه " بحريحور " بعيد عن الحقيقة . وعلى العكس ، فالأقرب إلى الصواب أن نفترض أنه قد استمد شرعيته فى الحكم من زواجه من إحدى بنات " رمسيس " الحادى عشر .

وجاء تنويجه ليصبح نهاية " لعصر تجديد الولادة " . وأعترفت طيبة بسلطته رغم مافى الأمر من غرابة حيث من المؤكد أنه لا يجرى فى عروقه الدم الملكى . وإليه يرجع الفضل فى ترميم جانب من سور معبد الكرنك الذى جرفه فيضان النيل ذات مرة ونقل العاصمة " بر رمسيس " إلى تانيس . واستناداً إلى بعض الإكتشافات الحديثة يرجح حدوث أول استيطان فى تانيس فى عصر الرعامسة فى أعقاب تحرك الفرع الفيروزى للنيل (Yoyotte : 1987, 56) . كما اتخذ " سمندس " من منف مقراً له وياشر منها



شكل (١٤٨) - جدول انساب الأسرة الحادية والعشرين

الأعمال الجارية فى معبد الأقصر ، الأمر الذى يدفعنا إلى الاعتقاد باستعادة العاصمة القديمة مكانتها السياسية وأنها أصبحت المقر الرسمى الملكى أو أن تانيس كانت مازال تحت التأسيس و التجهيز وهو مايعتبر أقرب إلى الصواب ، إذ دفن فى تانيس عند وفاته بعد حكم دام بضعاً وخمساً وعشرين سنة .

عندما أعلن "سمندس" نفسه ملكا كان قد تغير لتوه شاغل منصب كاهن "آمون" الأكبر فى الكرنك للمرة الثانية . فقد سبق أن خلف " پى عنخ " سلفه "حريحور" فى أواخر حكم "رمسيس" الحادى عشر حوالى عام ١٠٧٤ ، وأصوله مجهولة كأصول سلفه . وقد أسند إليه الكاهن الأكبر - وهو حموه على ما يظن - القيادة العسكرية للوجه القبلى فحاول دون جدوى أن يفرض سيطرته على النوبة ، وظل يقاتل متمردى "پانحسى" حتى العام الثامن والعشرين من حكم "رمسيس" الحادى عشر . وعلى العكس فقد ترك " پى

الأسرة العشرون	كبار كهنة طيبة
رمسيس الحادى عشر عصر تجديد الولادة	أمنحوتب حريحور پى عنخ
الأسرة الحادية والعشرون	پى نجم الأول كبير الكهنة پى نجم الأول ملكا ماساحرتا . كبير الكهنة من خيبرع رع
سمندس	سمندس پى نجم الثانى
أمن إم نسوت بسوسينس الأول أمن إم أوى	بسوسينس
أوسركون القديم سى آمون	
بسوسينس الثانى	
١٠٦٩ - ١٠٩٨ ١٠٨٠ ١٠٧٤ - ١٠٧٠	
١٠٥٥ - ١٠٧٠ ١٠٤٣ - ١٠٦٩ ١٠٣٢ - ١٠٥٤ ١٠٤٦ - ١٠٥٤ ٩٩٢ - ١٠٤٥ ١٠٣٩ - ١٠٤٣ ٩٩٣ - ١٠٤٠ ٩٨٤ - ٩٩٣ ٩٩٠ - ٩٩٢ ٩٦٩ - ٩٩٠ ٩٧٨ - ٩٨٤ ٩٥٩ - ٩٧٨ ٩٤٥ - ٩٦٩ ٩٤٥ - ٩٥٩	

شكل (١٤٩) - جدول الترتيب الزمنى للأسرة الحادية والعشرين.

عنخ " وراء ذرية . فخلفه ابنه " پى نجم " كبيراً للكهنة وقائداً أعلى لقوات الوجه القبلى عام ١٠٧٠ ، واحتفظ بهاتين الوظيفتين طوال مدة حكم " سمنس " واعترف بسلطته نظراً لأنه لم يستأثر لنفسه بحق الملوك السيادى المترتب على حمل الألقاب الملكية ، شأنه شأن " حريحور " . فقضية المومياوات الملكية مثلاً التى عرضنا لها من قبل والتى بت فيها بمفرده وصولاً إلى حل لها قد وقعت فيما بين العام السادس والعام الخامس عشر من حكم " سمنس " . وقد زاول " پى نجم " نشاطه خلال هذه الفترة ككاهن أكبر فى مدينة هابو والكرنك و الأقصر وحتى مدينتى الحيبة وأسوان اللتين رسمتا حدود سلطاته.

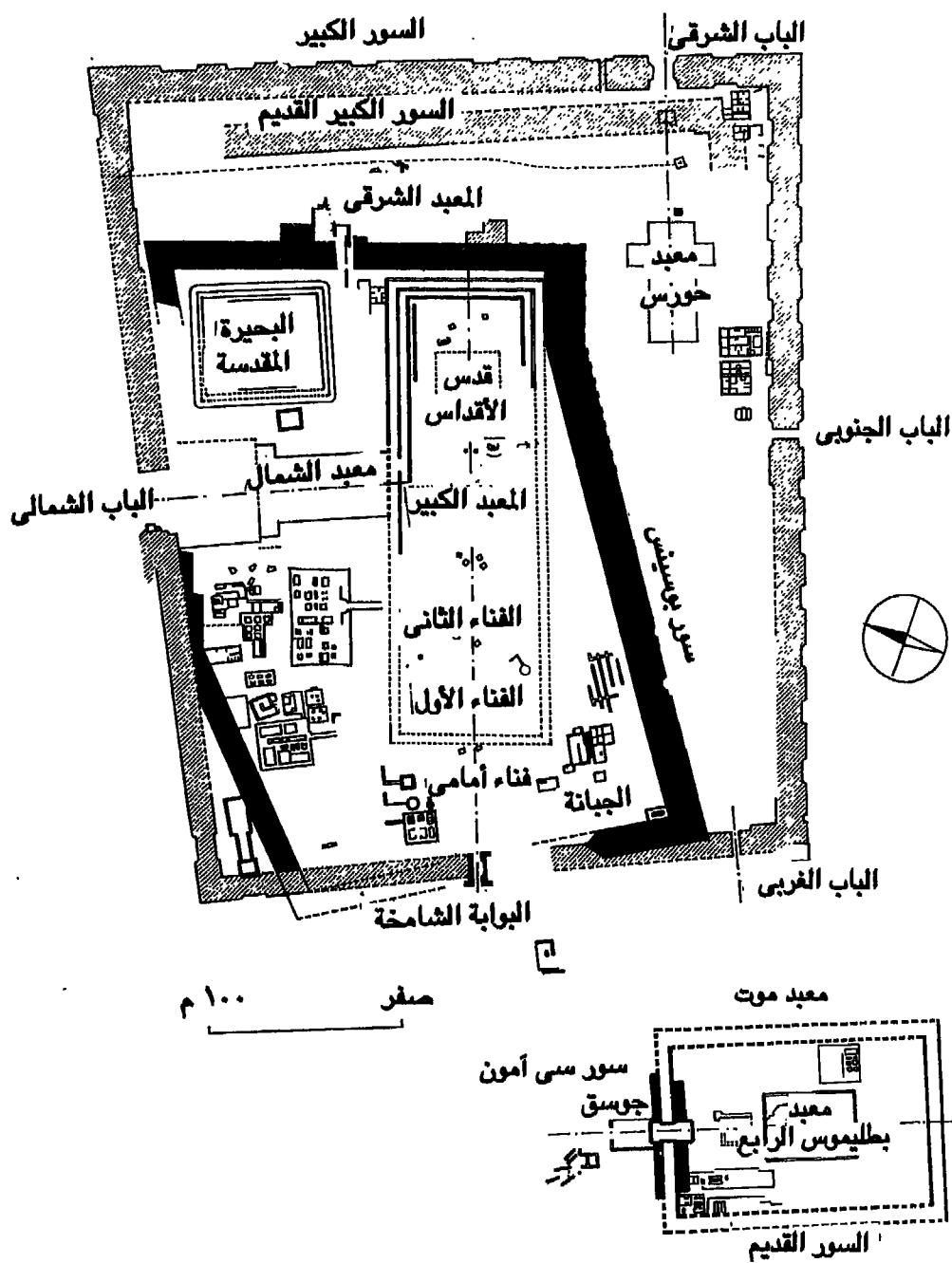
وفى العام السادس عشر من حكم " سمنس " اتخذ " پى نجم " لنفسه ألقاباً ملكية تكشف بوضوح عن أصول سلطاته . فهو حورس " الثور القوى الذى تُوجّ فى طيبة ، وهو محبوب آمون " ، ومن الآن فصاعداً وضع اسمه داخل الإطار الملكى (الخرطوش) . ونجد اسمه مسجلاً فى طيبة وقفط وأبيدوس ... وتانىس . غير أنه لم يستحوذ على الحق السيادى المترتب على حمل الألقاب الملكية ، وإن تولى عن منصب كبير الكهنة وفوض لشغله ابنه " ماساخرتا " ومن بعده ابنه الآخر " من خپر رع " عام ١٠٤٥ . ماهى إذن طبيعة هذه السلطة التى استأثرت باختصاصات فرعون ولكنها اعترفت فى نفس الوقت بمرکز الصدارة له ؟ إن تتبع تاريخ العلاقات بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية يوضح ببساطة الأسباب التى أدت إلى اغتصاب الامتيازات الملكية . لقد لاحظنا تصاعد قوة كهنة طيبة خلال الأسرة الثامنة عشرة ، فكانوا أول المستفيدين مادياً من فتوحات الإمبراطورية و السند الضرورى لهذا السياسة . إن " حتشبسوت " شأنها شأن " تحوتمس " الثالث أو " تحوتمس " الرابع قد استمدت شرعية ارتقاء عرش البلاد من ظهور الإله شخصياً . أو من التبليغ الربانى الذى يؤكد هذه الشرعية . لقد ناضل أمنحوتب الرابع ضد هذه السطوة ، ولكنه مع ذلك لم يغير شيئاً من الأسس الثيوقراطية لنظام الحكم فاكتمل بأن هجر آمون . ولكن خطواته قادتة إلى تأسيس فلسفة لاهوتية ظلت تنمو وتتطور طوال عصر الرعامسة فتمخضت عن إنشاء منصب الزوجة الإلهية لآمون خاصة . كان هذا المنصب من نصيب إحدى أميرات البيت المالك منذ أن تلقبت به " أحمس نفرتارى " ، فكانت أشبه بالمدد الذى يغذى الروابط التى توحد بين الملك والإله الذى فوضه سلطانه ، فكانت زوجة الإله دون أن تترث شيئاً من طبيعته ، وأيضاً زوجة الملك فى بعض الأحيان ، وهى صنو الملك عند ممارسة الشعائر الدينية . لقد تتبعنا هذه الشركة بين الزوجين الملكيين ابتداءً من " أمنحوتب " الثالث ومع " إختاتون " الذى أوجد تناظراً دقيقاً بين العائلة الإلهية

والعائلة الملكية . ومافتي " رمسيس " الثانى يقيم هذا النهج على نسق ثابت حتى استقرت لزوجته عبادة موازنة لعبادته فى " أبو سمبل " . ومن ثم صار شغل " حريحور " الشاغل منذ أن بدأ " عصر تجديد الولادة " هو التعرف على كفو العائلة الإلهية على الأرض . فهل ترى من وريث شرعى للإله غير العائلة الحاكمة ؟ لا بالطبع . فمن الضرورى إذن الفصل بين السلطة الزمنية التى يتحمل كبير الكهنة مسئولياتها ، وسلطة فرعون التى منحها إياه آمون ، ومن الأهمية بمكان التمييز بينهما . ويقف هذا التمييز وراء الواقع الذى دفع كهنة آمون إلى مدّ سيطرتهم على الوجه القبلى بعد أن خرج عن سيطرة فرعون . ومن ثم تمحورت سياسة كهنة آمون حول تأييد سلطة فرعون ، ولكن بعد إخضاعها لإرادة " آمون " المبلغة عن طريق الوحي . فقد شيدت تانيس على مثال مدينة طيبة كنموذج نقلت عنه ليصبح التناظر بين " آمون " طيبة " وآمون " تانيس " تاماً . وحسبنا أن نلاحظ من جديد هذه الموازنة بين " آمون " طيبة و " آمون " نياتا فى العصر الأثيوبي . فظهور " پي نجم " فى تانيس هو إذن أمر منطقي . ومن ناحية أخرى ، وحفاظاً على واقع السلطة تزوج " پي نجم " من " حنوت تاوى " من الأسرة المالكة (شكل ١٤٨) ، وأنجب منها أربعة أولاد : الفرعون " بسوسينس " الأول " ، و " ماساخرتا " و " من خپر رع " اللذين توليا منصب كبير الكهنة على التوالي ، وبنثاً واحدة هى " ماعت كارع " التى جمعت بين الزوجة الإلهية ورئيسة اللواتى اعتزلن الدنيا وعشن فى خلوة مع آمون فى منصب واحد هو منصب " عابدة الإله " وزوجة الإله التى حرمت على سواه . وتبنت الفتاة التى اختارتها لتخلفها تجنباً للمشاكل التى قد تنشأ عند انتقال سلطات منصبها . (Gitton: 1984, 113-114) ومن ثم تتجسد الأم الإلهية مرتين : مرة فى شخص " عابدة الإله " ، وهى أم الإله الطفل التى لا تراث عن الإله شيئاً ، ومرة ثانية كزوجة الملك وهى الأم الجسدية لخليفته .

ولن يستقر النظام الجديد إلا بوفاة " سمندس " ومع تنويع " بسوسينس " الأول . وفى غضون ذلك انقسمت البلاد بالفعل لتصبح موزعة بين كبير الكهنة وفرعون . فالأول تجسيد لإرادة آمون الذى أعطى تفويضة للثانى ، وهو ما يعرب عنه نص يحتفظ به فى الوقت الراهن متحف بوشكن فى موسكو عبارة عن تقرير لـ " ون آمون " السفير الموفد إلى فينقيا لإحضار الأخشاب اللازمة لمركب آمون المقدس فى طيبة فى أواخر عهد " رمسيس " الحادى عشر على ما يظن ولا يرد فيه ذكر " لسمندس " إلا بصفته حاكماً للشمال . فما أبعدنا عن الأمس عندما كان لمصر الكلمة العليا فى الشرق الأدنى . إذ أن " ون آمون " لم

يضطر إلى دفع ثمن ما حصل عليه من أخشاب فحسب بل سلبه اللصوص مايملك أثناء سفره ، ولم يوافق أمير بيبيلوس على تسليم طلبية الخشب إلا بعد مساومات خسيصة وبأسعار مجحفة (Leclant : 1987, 77 sq) . وحتى عهد " سى آمون " انحسر تأثير مصر على ما يظن عن مناطق نفوذها التقليدية فيما سبق من عهود . تصدرت دولة إسرائيل مسرح الأحداث السياسية . كان " شاوول " أول ملوكها ثم تبوأ العرش داوود الملك من ١٠١٠ وحتى ٩٧٠ ق . م واختار أورشليم عاصمة له . ويمكن الاقتراض أن مهام مصر قد أُنحصرت في عهد " بسوسينس " الأول في قيام قوات الأمن الداخلي بمجرد تأمين حدودها الشرقية (Kitchen: 1986, 287) .

ب وفاة " سمندس " تقاسم وصيان السلطة . أولهما ابن حريحور على ما يظن (Kitchen : 1986, 540) ويدعى " نفركارع - آمن إم نسوت " أى " آمون ملكاً " . والثانى " بسوسينس " الذى جلس بمفرده على عرش البلاد بعد وفاة الوصى الآخر وحتى عام ٩٩٣ ق . م . وكان " آمن إم نسوت " معاصراً للأيام الأولى من ولاية " من خپر رع " كبير الكهنة الذى تصدى لآثار الحرب الأهلية التى احتدمت فى طيبة ضد سلطة الكهنة الصاعدة ، فأبعد المعارضين إلى واحات الصحراء الغربية الخاضعة ، إلى هذا الحد أو ذاك ، لإشراف الزعماء الليبيين . ثم أصدر مرسوماً بالعفو عنهم استناداً إلى الوحي الذى أعلنه آمون (لوح اللوفر C ٢٥٦) . ويشكل صدور هذا العفو بداية سلسلة التنازلات التى قدمها العرش لكبريات عائلات رجال الدين فى طيبة الذين أصابهم الضرر من جراء قيام من خلفوا حريحور بتجريدتهم من كل امتيازاتهم ، وما كان هؤلاء سوى مهاجرين ليبيين ! إن عزوف عائلة كبير الكهنة عن الاستحواذ على المناصب الكهنوتية فى أيام ولاية كبير الكهنة " پى نجم " الثانى خلافاً لما جرت عليه العادة فى عهد " پى نجم " الأول ، قد جاء دليلاً على تصميم قاطع على تهدئة الأوضاع . ومع ذلك فقد تراكت حقوق الانتفاع بين أيدي نساء القبيلة إضافة إلى مايمتلكه ذووهم من حقوق ، حتى قارب إجمالى مايمتلكون ثلث أراضى مصر العليا (Kitchen : 1986 : 275 - 277) . وبفضل التدابير التى لجأ إليها " من خپر رع " عاد شىء من الهدوء إلى ربوع البلاد ، والدليل على ذلك المتاع الجنائزى الذى ظل بعيداً عن أعمال السلب والنهب التى وقعت ضحيتها المقابر الملكية فى طيبة ، فأمكن إرساله إلى تانيس ليستخدمه من جديد ملوك الأسرة الحادية والعشرين .



شكل (١٥٠) - خريطة عامة لمدينة تانيس.
(نقلًا عن الخريطة التي أعدها A. Lézine. 1951)

طيبة وتانيس

فى العام ١٠٤٠ / ١٠٣٩ تحققت الوحدة المركبة للبلاد دينياً وسياسياً من خلال شخصية " بسوسينس " الأول ، " النجم يشرق فى المدينة " . وأكد بكل وضوح انتسابه الى طيبة، فهو حورس " الثور الذى توج فى طيبة " ولقبه " النبتى : " البناء (بتشديد النون) العظيم فى الكرنك " فكان اسما على مسمى . وفى العام الأربعين من حكمه قام كبير الكهنة " من خپر رع " بجولة تفقدية فى معابد الكرنك . ، وبعد انقضاء ثمان سنوات بْدىء فى تشييد سور لتحديد الحرم الشمالى لمعبد " آمون " ، حماية له - منذ ذلك الوقت المبكر - من زحف المباني السكنية القريبة منه ، كما اتخذت تدابير ماثلة فى معبد الأقصر . وعلى كل حال فقد توطدت روابط " بسوسينس " الأول بكهنة " آمون " فزف ابنته " أستمخب " إلى كبير الكهنة " من خپر رع " كما تولى هو نفسه وخلفاؤه من بعده منصب كبير كهنة " آمون " فى تانيس ، وأعلن حقه فى خلافة " رمسيس " الحادى عشر ، واتخذ لنفسه ايضاً لقب " رمسيس بسوسينس " . وهو من اعظم المشاركين فى بناء المعبد الذى كرس فى تانيس لثالوث " آمون " و " موت " و " خنسو " حيث قام بتشيد سور المعبد .

ومن المحتمل أن مشاركته لم تقف عند هذا الحد إذا صحت المعلومات التى نقلتها آثار المباني التى أعيد استخدامها فى زمن لاحق . ولكن الوضع الراهن للموقع لايساعد على إضافة شىء إلى حصيلة معارفنا . ونظراً لأنه لم يتم الكشف بعد عن المدينة فإننا لجهل مدى إسهامه فى تشييدها .

فى نهاية القرن التاسع عشر استطاع " فلنדרز پترى " أن يحدد موقع تانيس . ومنذ الاكتشافات الأولى تم الربط بينه وبين عاصمة الهكسوس بالنظر إلى ما عثر فيه من آثار عديدة ترجع إلى هذا العصر . كما أمكن الربط بين هذا الموقع و " پررمسيس " بعد أن عثر فيه على آثار " لرمسيس " الثانى بكميات كبيرة . ويتصدر " پيير مونتيه " (Pierre Montet) المنقبين الذين أجروا حفائرهم فى هذا الموقع فى الأعوام من ١٩٢٩ وحتى ١٩٤٠ ثم واصلها من ١٩٤٦ وحتى ١٩٥١ . ودافع طويلاً عن الرأى القائل بأن "أواريس " و " تانيس " و " پررمسيس " - مدينة واحدة بالرغم من الاكتشافات التى ترجع أساساً إلى عصور لاحقة . أما الأبحاث الراهنة التى يشرف عليها چان يويوت (J.Yoyotte) وفيليب بريسو (Ph.Brissaud) منذ نيف وعشرين سنة فقد

مصر	فلسطين	فينيقيا	سوريا	مملكة آشور	مملكة بابل	الأناتول
١٠٦٩ - ١٠٩٨	رسميس الحادى عشر	جدعون	المملكة الحثيثة	تيجلات پيلاسر الأول	أنليل نادين أبلى ماردوك نادينا هي ماردوك شابيك زيرى أداد أباليد يتا	بداية الاستعمار الأيونى والدورى والأيليونى
١٠٤٣ - ١٠٦٩	سمندس	يفتيا	الحدثة	أشاريد أباليكور أشور بلگالا شماشى اداد الرابع أشور ناصير پال الأول	ماردوك زر	
١٠٣٩ - ١٠٤٣	أمن إم نسوت بسوسينس الأول	شمشون	الأراميون	شلمناصر الثانى أشور نيرارى الرابع أشور رابى الثانى	نابو شوسليپور سيمبار شيك أولما شاكينشومى	
٩٨٤ - ٩٩٣	آمن إم أوبى	صموئيل	حداد زار			
٩٧٨ - ٩٨٤	أوسركون القديم	شاول	حيرام	أشور ريشيشى الثانى تيجلات پيلاسر الثانى أشور دان الثانى	ماريتتا بالوسپور نابوموكين - أبلى نينورتاكو دو روسور ماريتتا يدين	
٩٥٩ - ٩٧٨	سى أمون	داوود				
٩٤٥ - ٩٥٩	بسوسينس الثانى	سليمان				
٩٢٤ - ٩٤٥	شاشانق الأول	إسرائيل				
٨٨٩ - ٩٢٤	أوسركون الأول	رحبعام		أداد نير ارى الثانى توكولتى نينورتا الثانى أشور ناصير پال الثانى	شماش موداميق نابو شو ميشكون نابو بلا - إدينا	
٨٧٤ - ٨٨٩	شاشانق الثانى تكلوت الأول	أبى بعل	بن حداد الأول			أورارتو آرام
٨٥٠ - ٨٧٤	أوسركون الثانى	يحيماك		شالمناصر الثالث	ماردوك زاكير شومى الأول	صار دور الأول إشيبونى
٨٢٥ - ٨٥٠	تكلوت الثانى	إيليبى بعل شيبنتبعل	حزاقيل			منوا ارجشتى الأول سردور الثانى
٧٧٣ - ٨٢٥	شاشانق الثالث پدى باست أوسركون الثالث رود أمون	معركة قرقر	بن حداد الثانى	شماش اداد الخامس اداد نيرارى الثالث شالمناصر الرابع أشور دان الثالث أشور نيرارى الخامس	ماردوك بالاتسواقى بابا هيادين ننورتا أبلا ماردوك بلزرى اريا ماردوك نابو شو ميشكون	

شكل (١٥١) - مختصر الترتيب الزمنى لأهم دول الشرق الأدنى القديم حتى الغزو الأثيوپى

تركزت حول التحليل الاستراتيجى لدراسة طبقات التل الذى شيد فوقه الموقع . وانتهت هذه الدراسات إلى لفت الأنظار إلى أن الموقع قد شغله السكان فى عصر الرعامسة (49 - 25 - 1987 : Yoyotte) .

ويصعب تقديم تفسير تاريخى لمدينة تانيس . فبالإضافة إلى المباني المتهدمة التى ترجع إلى عصرى الهكسوس والرعامسة ، فقد دُمرت جميع المباني المشيدة من الحجر الجيرى لاستخدامها فى صناعة الجير الحى . ومع ذلك يمكن أن ننسب إلى "بسوسينس" الأول تشييد سور المعبد الكبير ونواته الداخلية بالاستناد الى ودائع الأساسات . أما الباب الشامخ الشرقى ومباني آمون الأساسية فترجع الى الأسرة الثانية والعشرين . وينسحب نفس الشيء على معبد خنسو الواقع شمالى معبد " آمون " والمتعامد عليه . أما مباني "بسوسينس" الأول فقد صارت أثرا بعد عين ، ولم يتبق منها سوى قوالب الحجر التى أعاد "شاشانق" الخامس استخدامها فى وقت لاحق فى أعمال التجميل وإقامة البحيرة المقدسة المجاورة . وأقيم معبد "موت" إلى الجنوب من الموقع استكمالا للتوازي القائم بينه وبين معابد الكرنك، وقد شيده " بسوسينس " الأول على الأرجح . واختفى أيضا كل أثر للمعبد فى وضعه الأول . ولم يتبق منه سوى ما أدخل عليه من تعديلات . وأسهمت إنشاءات ملوك الأسرة الثلاثين الذين شيّدوا الكثير سواء فى تانيس أو فى الكرنك وكذلك ما شاده البطالمة فى طمس ما بناه مؤسسو المعبد . إن التعديلات التى أدخلها " سى آمون " على المعابد الثلاثة ومعبد " حورس ميسن " غيرت من معالم الموقع تماما .

وأمر " بسوسينس " الأول بأن تشيّد مقبرته جنوب غرب حرم المعبد حيث اكتشف " پيير مونتيه " مومياء ومتاعه بالإضافة إلى مومياء زوجته " موت نچمت " . كما أعدت حجرة دفن للأمير " عنخف ان موت " وريث العرش ولعين الأعيان " اونوچبا ونجد " الذى جمع بين يديه عددا من أرفع المناصب الدينيه والقيادة العليا للقوات المسلحة . ولأسباب غامضة لم يدفن " آمن إم أوبه " خليفة بسوسينس " الأول فى المدفن الذى أعده لنفسه . وإنما فى مدفن " موت نچمت " الذى أمر " أوسركون " الأول بأن يدفن فيه أيضا " حقا خپر رع " " شاشانق " الثانى . وعلى مقربة من هذا المكان اكتشف " پيير مونتيه " مقبرة " أوسركون " الثانى وابنه " حور نخت " ومقبرة " شاشانق " الثالث التى ضمت أيضا رفات " شاشانق " الأول . وقد نهب الجانب الأكبر من محتويات هذه الدفنيات التى تلقى ضوءا جديدا على تاريخ ملوك تانيس .

تزامن انتقال السلطة فى كل من طيبة وتانىس . فخلف "سمندس الثانى " أباه " من خير رع " قبل وفاة " بسوسينس " الأول ، اذ عثر " پيير مونتيه " ضمن المتاع الجنائزى للملك المتوفى على الأساور التى أرسلها " سمندس " الثانى بهذه المناسبة . ومن المرجح أنه كان طاعنا فى السن عندما تولى منصب كبير الكهنة اذ تخلى عن منصبه لأخيه الأصغر " پى نجم " الثانى بعد مرور سنتين . أما فى تانىس فنجد أن " أمن إم أوبة " قد خلف " بسوسينس " الأول الذى يعتقد أنه والده ، ولم يستمر حكمه أكثر من عشر سنوات . ولا يضارع تواضع مقبرته ثراء مقبرة سلفه . مما يكشف عن تضال فى سلطته وإن ظلت طيبة تعترف بها . ولا نعرف سوى القليل عن خلفه " عا خير رع ستپ ان رع " . والأغلب أنه الملك المعروف باسم " أوسركون " الأول (أوسخور) . ولكن الأمر يختلف بالنسبة لـ " سى آمون " فهو من أبرز شخصيات الأسرة الحادية والعشرين وأشهرها وإن وقعت فى أيامه آخر كبرى السراقات فى جبانة طيبة مما حدا بكبير كهنة " آمون " إلى إعادة دفن المومياوات الملكيه فى مقبرة " إن حعپى " فى الدير البحرى . وأقام المنشآت فى تانىس حيث أجرى التوسعات فى معبد " آمون " وقام بأعمال إنشائية فى معبد " حورس ميسن " ونقل رفات " أمن إم أوبة " الى حجرة دفن " موت نجمت " . ونسجل له نشاطا معماريا فى هليوپوليس وربما فى " پررمسيس " (المختاعة) حيث نقرأ اسمه مدونا على كتلة حجرية . وحرى بالملاحظه انه شيد فى منف معبدا مخصصا لأحد أشكال "آمون" الثانويه ، ويغلب على هذا المعبد الطابع الكلاسيكى الذى يبرز فى تمثال " ابو " الهول الصغير المطعم بالذهب والذى يحمل خرطوش الملك والموجود حاليا فى متحف اللوفر (165 - 164 Paris : 1987, E3914) . كما انحاز الى جانب كهنة الإله "پتاح" . ان انحصر نشاطه فى نطاق مصر السفلى . واكتفت بعض آثار طيبة بتسجيل حقه السيادى فى حمل الألقاب الملكيه .

وفى عهده أخذت مصر بسياسة خارجية أكثر ديناميكية عن ذى قبل . أما السياسة الخارجيه لملوك الأسرة الحادية والعشرين الأوائل فلم يصلنا عنها أى وثائق مصرية ، ولأسباب عديدة لها وجاهتها ، فلا يوجد ما يبرر الاعتقاد بأن أوضاع البلاد كما وصفها تقرير " ون آمون " قد طرأ عليها أى تحسن . و " الكتاب المقدس " هو المصدر الوحيد غير المصرى لمعلوماتنا . وتتزامن الفترة الممتدة من نهاية عهد : بسوسينس " الأول حتى منتصف عهد " سى آمون " مع تحالف القبائل بزعامة داوود والتفافها حول أورشليم والمعارك التى دارت ضد " الپلستى " (أو الفلسطينين) . فى بداية الأمر لم تتدخل

مصر فى هذه الصراعات إلا بطريقة غير مباشرة ، فاستضافت " حداد " وريث عرش " آدوم " عندما تقدم داوود واحتل مملكته ، وتزوج " حداد " من أميرة مصرية ، ونشأ ابنه "جنوئث" فى بلاط فرعون . ثم عاد " حداد " الى مملكته بعد وفاة داوود . نخلص من كل ذلك إلى أن مصر ظلت تحتفظ ببعض الروابط التاريخية مع البلدان التى كانت تدور فى فلكها فى عهود سابقة .

وعندما اعتلى سليمان العرش خلفا لداوود الملك ، تدخلت مصر بدورها ضد الفلسى فاجتاحت مدينة جزر ودمرتها . ويقدم لنا " سفر الملوك " (الملوك الأول : الإصحاح التاسع : الآية ١٦) وصفا لهذه الحملة . ويمكن أن نفسر النقش الذى عثر عليه فى تانيس ويصور مشهد شعيرة ذبح الأعداء على أنه صدى " لقصة " سفر " الكتاب المقدس . (Kitchen . 1986 , 281) وربما كانت الغاية من هذا التدخل محض تجارية فحيث شكل الفلسى تهديدا للتجارة مع فينقيا . ومن الواضح أن " سى آمون " قد استغل ما حل بهم من ضعف فى أعقاب الحروب التى شنها ضدهم داوود من ناحية ، وفترة التردد وعدم وضوح الرؤية التى سادت إسرائيل من جراء المشاكل التى ثارت حول وراثة العرش من ناحية أخرى ، فبادرت مصر إلى التدخل قبل أن تتحرك القوات الرهيبة التى جهزها داوود فتسحق الفلسى ، ثم تفرض شروطها على التجار المصريين . جاء هذا التحالف الجديد لمصلحة الطرفين .. فحقق لمصر منفذا مضمونا لتجاريتها ، وأمن الحدود الجنوبية لاسرائيل . وتكريسا لهذا التحالف تم تدعيمه بعقد زواج يجمع بين الطرفين . ولكل زواج دلالة حسب العصر . فقد اتخذ هذه المرة مساراً جديداً بالنسبة للمصريين . حيث تزوج سليمان من أميرة مصرية مستهلاً تقليداً جديداً تتزوج بموجبه أميرات وادى النيل أزواجا غير ملكيين .

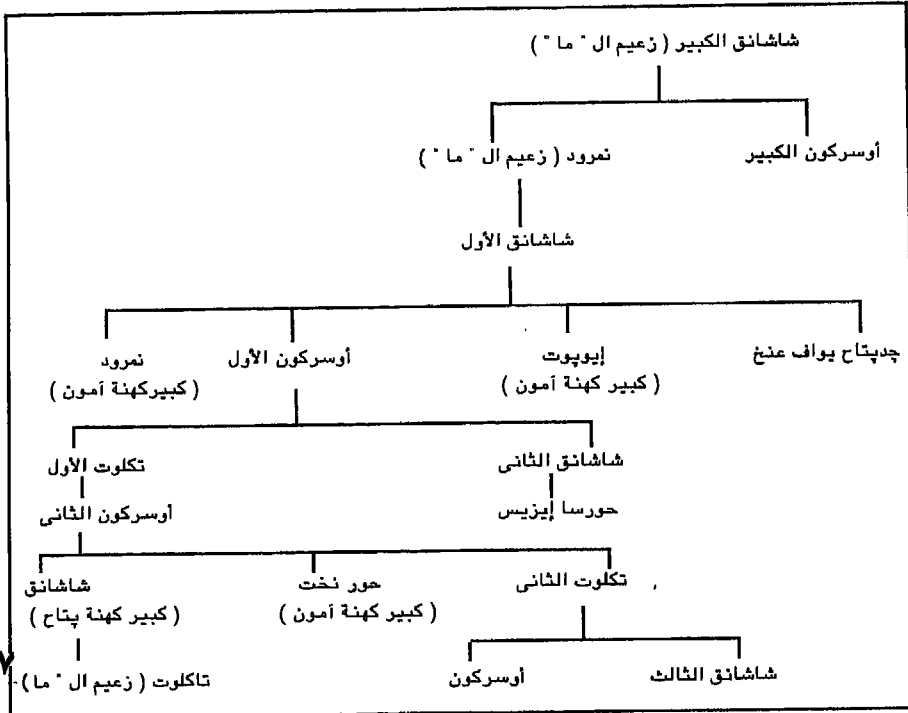
لم يتأكد وجود روابط عائلية تجمع بين " سى آمون " و " آمن إم اوية " وأوسركون القديم ، أو تجمع بينه وبين خليفته " بسوسينس " الثانى . بل يستحيل علينا تأكيد إن كان " بسوسينس " الثانى والكاهن الأكبر " بسوسينس " ، الذى خلف " بى نجم " الثانى ، هما شخص واحد أم لا . وفى هذه الحالة لا مفر من الإقرار بأن " سى آمون " قد توفى دون أن يترك وريثا يخلفه . ومن المرجح أن " بسوسينس " الثانى قد ارتبط برباط الزواج بالعائلة المالكة ، ليختم قائمة ملوك الأسرة الحادية والعشرين التى انطفت فى تانيس فى عوز وضيق نسبى (Yoyotte : 1987)

64. وقد تشكك دودسون فى الأمر (A. Dodson : Rde38,(1988) 54) وعند وفاته آلت السلطة إلى سلالة كبار زعماء " الماشواش " كان حكم " شاشانق " الكبير مباشرة بصعود نجمهم . هكذا بدأت السيطرة الليبية .

الليبيون

عندما ارتقى "شاشانق" الأول عرش البلاد كان قد أصبح بالفعل رجلها القوى صاحب اليد العليا فى شئونها ، فهو القائد العام للقوات المسلحة ومستشار الملك وصهره بعد أن تزوج ابنته " ماعت كارع " . ويعتبر حكمه فاتحة عصر جديد لمصر ، استعاد فيه الزعماء الليبيون لأجيال عديدة قادمة قوة البلاد التليدة بعد أن وقعت فى طى النسيان منذ نهاية عهد " رمسيس " الثالث . وسوف تندثر هذه القوة وتضيع فى خضم الصراعات الداخلية التى مزقت البلاد ابتداء من عهد " شاشانق " الثالث . انتسب " شاشانق " الأول على الفور الى الأسرة الملكية السابقة متبعاً فى هذا الصدد الخطة التقليدية الشائعة . حيث اتخذ لنفسه ألقاباً نقلها عن ألقاب سمندس الأول . أما أصوله هو شخصياً فترجع إلى مستوطنة الليبيين الذين استقروا فى بوابستس . وتركز حوليات كبار كهنة طيبة على هذه النقطة ، وتصر على الإشارة إليه بإسم : كبير زعماء " الماشواش " إبرازاً لرفضها القاطع الاعتراف بسلطانه . وسار شاشانق الأول على النهج الذى اتبعه " بينجم " من قبل ، فأُسند الى ابنه " إيو بوت " مناصب كبير كهنة آمون والقائد العام للقوات المسلحة وحاكم الوجه القبلى فى آن واحد . وضمن بفضل الجمع بين هذه المناصب الثلاثة الربط بين

شكل (١٥٢) - جدول انساب الأسرة الثانية والعشرين



السلطة الزمنية والسلطة الروحية . وعين " جدبتاح يواف عنخ " أحد ابنائه (؟) مساعدا له فى منصب كاهن " آمون " الثالث ، كما عين " نيسى " ، وهو زعيم إحدى القبائل المتحالفة ، فى منصب كاهن آمون الرابع . واصل " شاشانق " الأول سياسة عقد التحالفات القائمة على المصاهرة ، فعقد قران ابنته على " جد جحوتى يواف عنخ " وهو من خلفاء " جد بتاح يواف عنخ " . ووطد هذا الزواج وغيره من المصاهرات أواصر الصلة بين السلطتين . ولكن ذلك لن يثنى شاشانق الأول عن إقامة سلطة مضادة فى مصر الوسطى بدافع من الحذر والفطنة . فأسند قيادة هيركليوبوليس العسكرية إلى " نمرود " أحد أبنائه ، وأصبحت هذه المدينة نقطة استراتيجية تتحكم فى التبادل التجارى بين المملكتين .

بعد عودة الملك من حملته المظفرة فى فلسطين عام ٩٢٥ ق.م نفذ برنامجا طموحا من المشاريع الإنشائية فى معبد " آمون رع " بالكرك ، سرد تفاصيله على سطح لوح أقامه بمناسبة إعادة فتح محاجر جبل السلسلة عام ٩٢٤ وبأمر ابنه " إيويوت " الأعمال التنفيذية . وقام بإعداد الفناء الواقع أمام الصرح الثانى ليصل به إلى الصورة التى وصفناها من قبل . وعلى سطح الجدار الخارجى للبوابة الواقعة جنوبى هذا الفناء صور انتصار مصر على المملكتين اليهوديتين يهوذا وإسرائيل . كما أشار إلى هذا النصر على

كبار كهنة آمون	الأسرة ٢٣	الأسرة ٢٢	
إيوت بوت شاشانق سمندس إيو ولوت حورسا إيزيس		شاشانق الأول أوسركون الأول شاشانق الثانى تكولت الأول	٩٢٤ - ٩٤٥ ٨٨٩ - ٩٢٤ ٨٨٩ - ٨٩٠ ٨٧٤ - ٨٨٩
نمرود أوسركون	يدى باست الأول أوسركون الثالث	حورسا إيزيس أوسركون الثانى تكولت الثانى شاشانق الثالث	٨٦٠ - ٨٧٠ ٨٥٠ - ٨٧٤ ٨٢٥ - ٨٥٠ ٧٧٣ - ٨٢٥
	تكولت الثالث	پامى	٧٩٣ - ٨١٨ ٧٥٧ - ٧٨٧ ٧٦٧ - ٧٧٣
	رود آمون	شاشانق الخامس	٧٥٧ - ٧٦٤ ٧٣٠ - ٧٦٧ ٧٥٤ - ٧٥٧

شكل (١٥٣) - مختصر جدول الترتيب الزمنى
للأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين

" لوح النصر " الذى أقامه فى ال " إيت سوت " ، على مقربة من " حوليات " " تحوتس " الثالث . والمقارنه هنا لن تكون نوعا من المديح الأجوف . " فبهو الاحتفالات " الذى شيده شاشانق الأول من أجل آمون شاهد على النهضة الجبارة التى سادت الشرق الأدنى القديم . وقد استفاد " شاشانق " الأول إلى أبعد الحدود من سياسة "سى آمون " الخارجية . فأحيا الروابط مع بيبيلوس المنفذ التقليدى لتجارة مصر . وربما كان تمثال " شاشانق " الأول الذى قدمه الملك " أبى بعل " إلى معبد " بعلت جبال " إشارة إلى وجود معاهدة ذات طابع اقتصادى أكثر منه عسكرى . ومن ناحية أخرى تدهورت العلاقات مع مملكة أورشليم ، واشتد التنافس بين الدولتين ، بينما اهتزت شرعية سلطة سليمان فى أعقاب ثورة " يريعام " الذى وعده النبى " أخيا " بالتريع على عرش إسرائيل . واستضاف " شاشانق " الأول " يريعام " طوال حياة الملك سليمان . (الملوك الأول : الإصحاح : ١٤ . الآية ٢٥) . فلما مات عام ٩٣٠ انضم " يريعام " إلى أنصاره وأسس مملكة إسرائيل التى انفصلت عن مملكة يهوذا التى كان على رأسها " رحبعام " خليفة سليمان . فانقسم العبرانيون وتوزعت قواهم بين السامرة وأورشليم . وتدرج شاشانق الأول بقيام البدو بالإغارة على منطقة البحيرات المرة وقرى الزحف على أورشليم فانطلق من غزة متوغلا فى أعماق صحراء النقب وسقطت بين يديه النقاط المحصنة فى يهوذا . وعسكر امام أورشليم التى خضعت له وسلمت كنوز سليمان (ماعدا التابوت : Yoyotte: 1987, 66) . ثم توجه إلى إسرائيل فاضطر " يريعام " إلى الفرار عبر الأردن بعد أن أدرك الهدف من سياسة " شاشانق " الأول عندما ظلله بحمايته ، ولكن بعد قوات الأوان . ولحقت به قوة عسكرية ثم واصلت تقدمها حتى " بيت شان " (بيسان) . وتوقف زحف المصريين عند " مجدو " حيث أقام شاشانق الأول لوحا تذكاري . ثم عبر جبل الكرمل متجها إلى الجنوب ، وعاد أدراجه إلى غزة عن طريق عسقلان . وهكذا عادت مصر تفرض سيادتها لفترة من الزمن على مناطق سوريا وفلسطين . وبالفعل فقد جرد قائد كوشى يدعى " زارج " حملة ضد مملكة يهوذا فى العام الثامن والعشرين من حكم " أوسركون " الأول (اخبار الأيام الثانى . الإصحاح : ٤ . الآيات : ٨-١٥) . وقد توصلنا إلى تاريخ العام الثامن والعشرين هذا (٨٩٧) ، على اعتباره المقابل للعام الرابع عشر من حكم الملك " آسا " الذى ألحق الهزيمة بالغزاة وطاردهم . ولم يرد ذكر لـ " زارج " هذا فى أى مصدر آخر . وإذا اتفقنا على أن " أوسركون " الأول قد ارسل هذا القائد على رأس هذه الحملة البائسة ، استطعنا اعتبار هذا التاريخ نهاية للسياسة الخارجية التى رسمتها مصر لنفسها والتى لن تعود إليها إلا فى عهد " أوسركون " الثانى . وفى الأغلب لم يتعد الوضع

الجديد ضياع السيادة المصرية على مملكة يهوذا اذ أقام " إيلي بعل " أمير بيبيلوس هو أيضا تمثالا " لأوسركون " الأول فى " بعلت جبال " . (Paris : 1987 , 166) .

واصل " اوسركون " الأول فى السنوات الأولى من حكمه نفس سياسة والده تجاه الأملاك الإلهية ، فأغدق على كبار كهنة المملكة فى منف وهليوبوليس وهرموبوليس والكرنك كانت بوباستس كل ما يحتاجون . وبوباستس هى مسقط رأسه وقد شيد فيها أو أعاد تشييد معبد " آتوم " ومعبد " باستت " الإلهة التى أعطت اسمها للمدينة . كما دعم الأوضاع التى أوجدها أبوه حول هيراكليوبوليس فواصل ما بدأه من أعمال فى معبد الحبيبة ومعبد " إيزيس " فى اطفيح . وأقام معسكراً حربياً لتأمين الوصول الى الفيوم كما كان له وجود ملحوظ فى كويتوس و أبيدوس .

وفى الكرنك اختار " شاشانق " أحد أبنائه ليحل محل أخيه " إيپوت " فى منصب كبير كهنة " آمون " كما أشركه فى الحكم حوالى عام ٨٩٠ . وطدت هذه التدابير شرعية السلالة الجديدة ، فالملك الذى سوف يحمل عند ارتقائه العرش لقب " شاشانق " الثانى هو حفيد " بسوسينس " من خلال والدته " ماعت كارع " . ولسوء حظه لم يسعفه الوقت ليتربع على عرش البلاد رغم كل ماحققة من نجاحات فى منصب كبير الكهنة . إذ توفى وهو لا يزال شريكاً فى الحكم ووالده على قيد الحياة عن عمر يناهز الخمسين . وأشرف والده الملك " أوسركون " الأول على دفنه فى تانيس ثم وافته المنية بعد ذلك بأشهر قليلة . وورث " تكلوت " الأول الذى أنجبته من زوجة ثانوية عرش أبيه ، وامتد حكمه من ٨٨٩ إلى ٨٧٤ . ولا يسعنا أن ننسب إليه عن يقين أية آثار . ويبدو أن أخيه " ايولوت " شاغل منصب كبير الكهنة لم يعترف بسلطانه . والملفت حقاً للنظر أن اسمه لا يظهر على أى من وثائق طيبة بل يبدو أن وجود الحامية التى عسكرت على مقربة من هيراكليوبوليس بناء على أوامر " أوسركون " الأول قد حالت دون امتداد سلطان " ايولوت " صوب الشمال . أما التوازن النسبى الذى قام بفضل مجهودات تانيس ثم واصله ملوك " بوباستس " فقد اخذ يخلت ويتقوض بالتدريج . وتفتت نظام منح حق استغلال أملاك التاج مدى الحياة ، والتحالفات القائمة على المصاهرة التى كانت تهدف إلى التوفيق بين سلطة شمال البلاد وجنوبها . وساعد دخل الأفراد الناتج من شغل المناصب الرسمية على إنشاء الإقطاعيات التى ازداد استقلالها على مر الأيام لتبعث إلى الوجود النزعات الانفصالية القديمة . ويشهد الحكم المزدوج المتوازى لحفيدى " أوسركون " الأول ، وهما ابنا العم أوسركون الثانى و " حورسا إيزيس " ، على مدى صعوبة استمرار هذه اللعبة وصعوبة استمرار إدارة دفة الأمور على هذا النحو .

كان " أوسركون " مخطئاً عندما سمح لـ "حورسا إيزيس" أن يخلف أباه "شاشانق" الثانى فى منصب كبير كهنة آمون ولو بشكل غير مباشر . فموافقته على توريث هذا المنصب أصبحت سابقة خطيرة هددت سياسة التوازن التى روعيت حتى الآن . ويفضله استطاع " حورسا إيزيس" أن يتطلع الى حياة حافلة شبيهة بما حققه أبوه " شاشانق " الثانى . ووجه الخلاف بينهما أن " حورسا إيزيس " قد نصب نفسه بنفسه ملكا على عرش البلاد فى العام الرابع من حكم ابن عمه . واختار ألقابا جعلت منه صورة جديدة من "بى نجم" الأول ، فهو مثله حورس " الثور القوى الذى توج فى طيبة " . أما أوسركون الثانى فقد اتخذ مجموعة ألقاب ترجع إلى شاشانق الأول . فاختار مثله أحد نعوت رمسيس الثانى اسما حورياً . فهو حورس " الذى توجه رع ملكا على الأرضيين " . (Grimal : 1986 , 600 - 601) ...

ولم تتمخض حرب الألقاب هذه عن نتيجة لصالح زيادة سلطة " حورسا إيزيس " بالمقارنة مع سلطته ككبير للكهنة . ولكنها حدثت فى المقابل من سلطة أوسركون الثانى الذى عين " نمرود " أحد أبنائه فى منصب كبير الكهنة فى أعقاب وفاة حورسا إيزيس . وكان " نمرود " قائداً لحامية هيراكليوبوليس وكبير كهنة الإلهة " حرشف " . ونهج نفس السياسة فى منف ففرض ابنا آخر هو الأمير "شاشانق" كبيراً لكهنة " بتاح " متجاهلاً السلالة المحلية . وعين فى تانيس ذاتها " حور نخت " ابنه الصغير كبيراً لكهنة آمون ولكنه توفى ولما يبلغ العاشرة من عمره . إن مغزى اختيار " حورنخت " لشغل هذا المنصب رغم حداثة سنه لأمر واضح ويؤكد على الطابع السياسى المحض لهذا التعيين .الذى لم يكن له من هدف سوى تجميع الإقطاعيات المنتشرة فى طول البلاد وعرضها حول البيت الملك .

وشهد عهده آخر ومضات ازدهار الأسرة الثانية والعشرين إذ قام الملك بتجميل معبد الإلهة " باستت " فى مدينتها " بوباستس " ، فزخرف بهو الأساطين وأضاف فناء الأعياد وصور على جدران الرواق مناظر اليوبيل التى احتفل به فى العام الثانى والعشرين من حكمه (٨٥٣) . إن الإحتفاء بهذه المناسبة يستلقت الانتباه لأنه كان من الأمور النادرة فى هذا العصر الملىء بالاضطرابات . ويكشف المتن المصاحب لتصوير اليوبيل أن تفاصيل الحفل منقولة عن نموذج يرجع إلى الأسرة الثامنة عشرة ومثاله المتجسد فى معبد " أمنحوتب " الثالث فى صولب . وذهبت حرفية النقل الى حد الإشارة الى الإعفاء الضريبى الذى أعلن فى هذه المناسبة لصالح جميع معابد البلاد . وسواء كان

هذا التدبير انعكاسا لحقيقة واقعة أم لا ، إلا أنه يشهد على اعتماد الملك على نموذج طبيى كلاسيكى عند احتفاله بعيد " سد " (Kitchen : 1982 , 320 - 322). وهذه الشواهد دليل أكيد على الروابط الوثيقة التى جمعت بين طيبة وتانيس ، ولكنها تشهد على أكثر من ذلك ، وفى المقام الأول، على استمرارية المؤسسات الأمر الذى لا توحى به لأول وهلة المواجهات والمصادمات التى ظلت تمزق مصر منذ أكثر من قرنين من الزمن .

كما سجل " أوسركون " الثانى وجودا نشطا فى ليونتوبوليس ومنف على أقل تقدير ، وفى تانيس حيث شيد فناء أمام معبد " آمون " عثر فيه على تمثال يمثل الملك حاملا لوحا دُون عليه نص صلاة يرفعها إلى " آمون " طالبا منه أن يعلن وحيسه تعظيدا لما تبناه من سياسات (Paris : 1987 , 108) . كما شيد هيكلًا فى طيبة . وثبت ما يتمتع به كهنة آمون من امتيازات .

أما خارج مصر فقد شهدت المنطقة تغيرا فى ميزان القوى حيث واصل "أوسر كون" الثانى سياسة التحالف مع بيبولوس التى سار عليها أسلافه ، ولكنه اضطر أن يأخذ بعين الاعتبار قوة آشور المتعازمة . فقد تبرع على عرش آشور الملك " آشور ناصيربال " الثانى عام ٨٨٣ ويبنى اسمه " الإله آشور هو حارس الإبن البكر " وكان نموذجا للفاتح المغوار . واخذ يوسع حدود امبراطوريته دون كلل ، وامتلا قصره فى مدينة نمرود - على مقربة من مدينة الموصل الحالية بالغنائم التى عاد بها من المعارك التى انتصر فيها على أعدائه ومنافسيه . وكان يحلو له أن يستعرض ما ارتكبه من أعمال على قدر من الشراسة والوحشية .

فلنستمع الى مايقوله :

« لقد أقمت عامودا أمام باب المدينة . وسلخت جميع الزعماء الثائرين . ونشرت جلودهم على سطح العامود . ودفنت البعض داخل العامود . ورفعت البعض على الخازوق فوق العامود وآخرين من حوله . وسلخت العديد منهم فى طول البلاد وعرضها . وكسوت الجدران بجلودهم (...) وأحرقت العديد من الأسرى . وأسرت العديد من الجنود . وقطعت يدي وقدمى بعضهم . وجدعت أنف وأذنى أو أطراف البعض الآخر . واقتلعت عينيى العديد من الجنود . وأقمت كسومة من الأحياء وأخرى سن الرؤوس . وعلقت رؤوسهم فوق الأشجار حول المدينة.. » (Roux : 1985 , 257) .

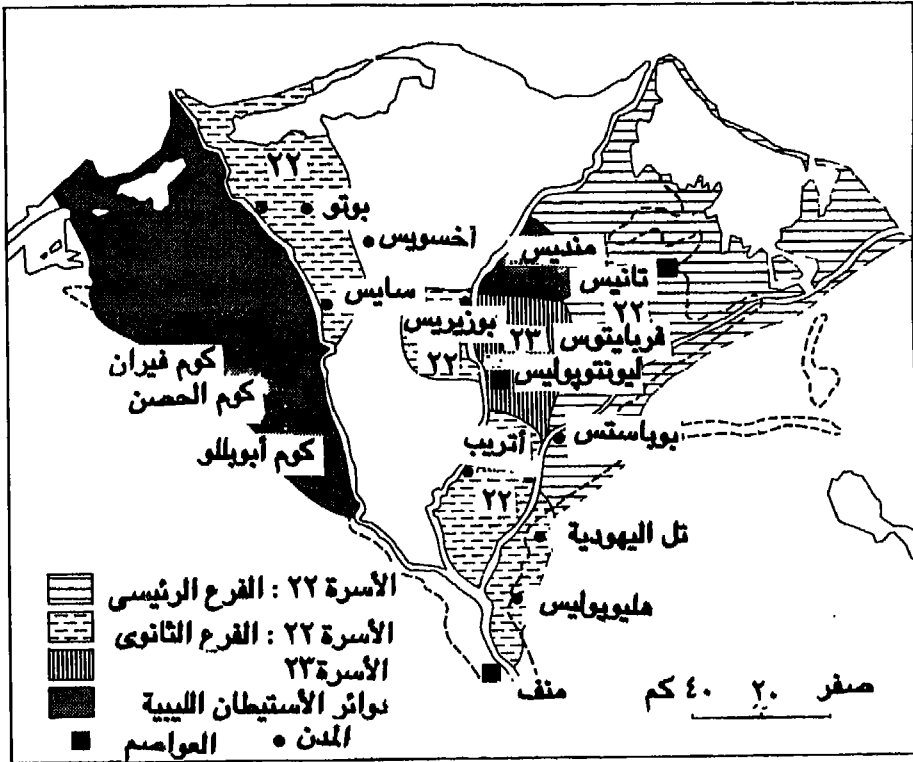
وهكذا استولى على شمال بلاد النهرين وعلى الفرات الأوسط . ثم استمر فى زحفه حتى وصل سوريا ونهر العاصى وساحل أمورو . وفى عام ٨٥٨ خلفه ابنه " شالمناصر " الثالث الذى يعنى " إلاله " شولمانو " هو المتفوق " . واستمر حكمه حتى عام ٨٢٤ . فهو معاصر لكل من أوسركون الثانى وتكلوت الثانى . وواصل حروب أبيه طوال واحد وثلاثين سنة فى محاولات يائسة للاستيلاء نهائيا على شمال سوريا ولكن دون جدوى . وواقع الحال أن سياسته العدوانية قد نجحت فى تحقيق مافشلت فيه الدبلوماسية المصرية . فقد تحالفت ممالك حماة ودمشق وإسرائيل عام ٨٥٣ لتقف صفاً واحداً فى وجه المعتدى ، وأسهمت كل من بيبيلوس ومصر بقوة عسكرية تتناسب وإمكانات كل منهما ، فارسلت الأولى خمسمائى مقاتل والأخرى ألف مقاتل . ودارت رحى المعركة عند مدينة " قرقر " على نهر العاصى . وربما خرج " شالمناصر " الثالث منتصراً من المعركة ولكن القوات المتحالفة نجحت فى صدّ تقدمه وأوقفته . وبدأت مصر مرحلة جديدة فى سياستها الخارجية قائمة على مساندة الممالك السورية والفلسطينية لتشكّل منها السدّ الحصين الأخير الذى يحمى وادى النيل من أطماع آشور المتزايدة . ودامت هذه المرحلة قرابة عشرين سنة ، خضعت أثناءها هذه الممالك " لشالمناصر " الثالث ، ودفع " ياهو " الجزية " لآشور " منذ أن تربع على عرش إسرائيل عام ٨٤١ . وادعت " آشور " أن مصر قدمت لها فروض الولاء . وفى الحقيقة فإن " شالمناصر " فشل فى ترجمة ماأحرزه من تقدم إلى واقع ملموس . وقرب نهاية عهده تفجرت الاضطرابات والقتال لتتحول إلى حرب أهلية حقيقية، مما اضطر آشور إلى رفع يدها عن مناطق سوريا وفلسطين والابتعاد عنها زهاء قرن من الزمن .

الفوضى الليبية

ومن ناحية أخرى لم تتم وراثة عرش " أوسركون " الثانى وخلافته دون عقبات. فقد وافت المنية ولى العهد "شاشاق" قبل وفاة أبيه ، فارتقى أخوه الثانى الملقب " تكلوت " الثانى عرش تانيس خلفاً " لأوسركون " الثانى بعد وفاته ، وكانت مدة حكمه هى نفس مدة حكم أبيه تقريباً ولم يخلف فى أنحاء البلاد سوى القليل من الآثار . وكان الوضع مختلفاً بالنسبة لكبار كهنة آمون . فقد أحرز " غمروود " - أخو " تكلوت " الثانى غير الشقيق تقدماً ملحوظاً منذ أن عينه " أوسركون " الثانى كبيراً لكهنة " آمون ". ووضع تحت سلطانه وحده - طيبة وهيراكليوبوليس بشكل خاص ، وأسند منصب الحاكم فيها لابنه " پتاح وچ عنخ إف " وزوج ابنته " كاروعاما مريت موت " من " تكلوت " الثانى . وهكذا صار حفاً أخيه غير الشقيق ووالد وريث العرش الذى أطلق عليه إسم

"أوسركون" تخليداً لذكرى جده . وساد سلام نسبي بين تانيس وطيبة على امتداد السنوات العشر الأولى من حكم " تكلوت " الثاني . وتوصل فرعون إلى عقد قران العديد من أميرات البيت المالكي على شاغلي أعلى المناصب في طيبة من ذوى الأصول الغريقة الذين سادت بينهم نزعة قوية ترفض أن يكون لعائلة تانيس اليد العليا على أعيان طيبة .

وتفجرت الأعمال العدائية في أعقاب وفاة صاحب لقب كبير كهنة آمون في العام الحادى عشر من حكم " تكلوت " الثاني . فعلى من يقع الخيار إذن ؟ وعلى أى من نجلى فرود ؟ أهو " پتاح وچ عنخ إف" الذى هو من هيراكليوبوليس أو المدعو " تكلوت " ؟ أم يتم اختيار المرشح المحلى المدعو " حور سا إيزيس " حفيد الملك والكاهن الأكبر " حورسا إيزيس " ؟ ولما حدد " تكلوت " الثانى اختياره كان من الصعب عليه إقناع أهل طيبة

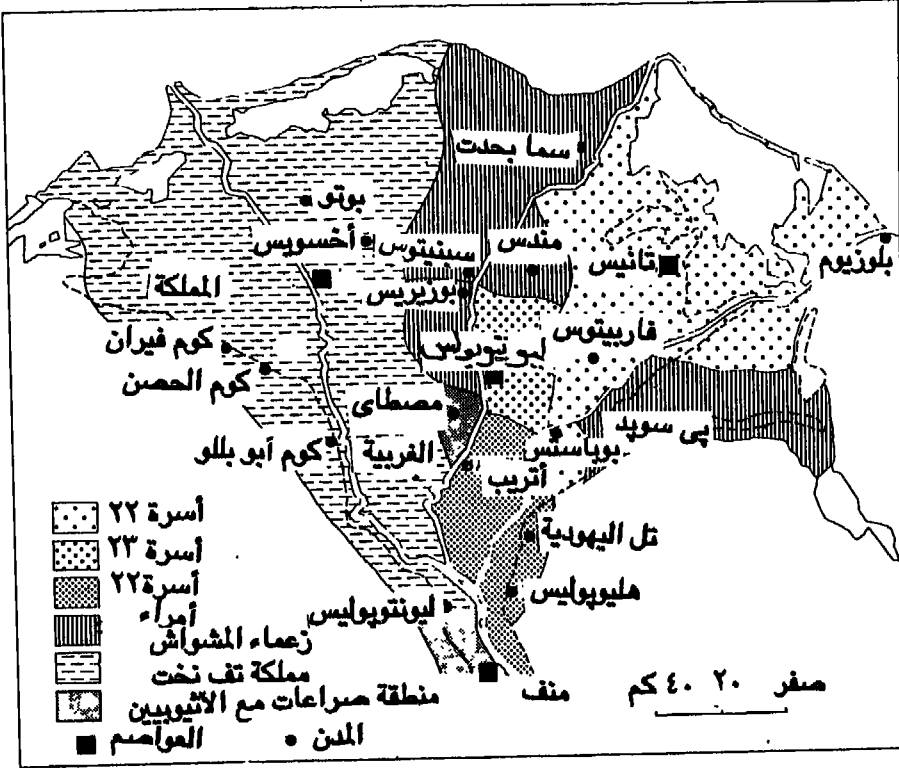


شكل (١٥٤) - خريطة الدلتا السياسية حوالى عام ٨٠٠ ق.م
(نقل عن Kitchen : 1986, 346)

بتعيين وريث العرش أوسركون فى هذا المنصب والحصول على تأييدهم ، لاسيما بعد ما أصابهم من خيبة أمل فى زمن سابق عند تعيين " جد پتاح بواف عنخ " أحد أبناء الملك "شاشانق" الأول فى منصب كاهن " آمون " الثانى . وحرّض " حورسا إيزيس " طيبة على الثورة . ووافق " پتاح وچ عنخ إف " على من وقع عليه إختيار تانيس . فثبته الأمير " أوسركون " فى قيادة مدينة " هيراكليوبوليس " ثم ترك قلعته فى الحبيبة وأبحر جنوباً صوب طيبة . فسيطر فى طريقه على منطقة هرموبوليس ، ووصل إلى الكرنك حيث أستجاب إلى " شكوى " الكهنة ضد الثوار . ولم يقف انتقامه عند حدّ إعدام المتمردين بل أحرق جثثهم كحرمان مابين من الحياة الأبدية . وهكذا تم له سحق التمرد . وخلال السنوات الأربع التى أعقبت هذه الأحداث حاول بشتى الطرق أن يستميل كهنة طيبة إلى جانبه ، فأغدق عليهم الهبات وثبت ما كانوا يتمتعون به من امتيازات . وبدأ أن الأمور أخذت تعود إلى مجراها الطبيعى . إلا أن الحرب الأهلية اندلعت بشراسة فى العام الخامس من حكم " تكلوت " الثانى . ووصف " أوسركون " هذه الحرب بعبارات سجلها فى ثنايا "الحوليات " التى خلفها فى الكرنك (Caminos : 1958) : وتذكرنا بأحلك أيام عصر الانتقال الأول وتشير العديد من التساؤلات حول تأريخ هذه الفترة التى لم نجد إجابة شافية لها حتى هذه اللحظة (Kitchen : 1958, 542 sq.) ومع ذلك فقد استمر هذا النزاع زهاء العشر سنوات وانتهى بمصالحة عامة فى طيبة فى العام الرابع والعشرين . ولم يتجاوز الأمر مجرد هدنة ، فبعد أقل من سنتين أستأنف أهل طيبة كفاحهم وفقد "أوسركون " سيطرته على الوجه القبلى . ثم عاد إلى تانيس على جناح السرعة ، فقد توفى " تكلوت " الثانى وسجى فى تابوت أعيد استخدامه ، ودفن فى صالة مقبرة "أوسركون " الثانى . وشغل مكانه أخوه الأصغر " شاشانق " الثالث .

أثار الاستيلاء على السلطة الصراعات الأسرية من جديد بسبب اندلاع النزاعات حول وراثة العرش . ويبدو أن " شاشانق " الثالث قد لقى قبولاً من جانب أهل طيبة فى سنوات حكمه الأولى نظراً لاغتصابه العرش من " أوسركون " صاحب الحق فيه . فحال بذلك دون تقوية شوكته ، أو لأنه ترك لكهنة طيبة مطلق الحرية فى البت فى اختيار كاهن " آمون " الأكبر ، فعاد " حورسا إيزيس " إلى الظهور ككاهن أكبر من العام السادس من حكم شاشانق الثالث . ومع ذلك فقد حدث شقاق جديد لم يكن مصدره طيبة فى هذه المرة ، وإنما البيت المالك ذاته . ففى العام الثامن قام الأمير " پدى باست . " ونصب نفسه ملكاً وأسس أسرة ملكية جديدة فى " ليونتوبوليس " بالدلتا ، هى الأسرة

الثالثة والعشرون حسب " مانتون " . ولكنه ظل ينتسب من خلال ألقابه للملوك الأسرة الثانية والعشرين . وحكم الفرعونان سوياً واحتفظ كل منهما بألقابه . ولم يحدث الانقسام هذه المرة بين الشمال والجنوب ولكن فى الدلتا نفسها . وسرعان ما اعترف كهنة



شكل (١٥٥) - الخريطة السياسية للدلتا عام ٧٣٠ ق.م.
(Kitchen : 1986, 367 نقلًا عن)

" آمون " بالفرعون الجديد قبل العام الثانى عشر من حكم " شاشانق " الثالث واستقبلوا إثنين من أبنائه وسط جماعتهم . وظل الأمير " أوسركون " وحده يذكر اسم أخيه " شاشانق " الثالث بالرغم من أنه مغتصب عرشه . إلا أنه لم يتخذ موقفاً قاطعاً ، فقد تصالح فى الظاهر مع " شاشانق " الثالث واسترد منصب كبير كهنة " آمون " فى نفس العام الذى عين " پدى باست " ابنه (؟) " إپوپوت " الأول شريكاً له فى الحكم . ولم تدم هذه المشاركة لأكثر من عامين ، إذ تزامنت وفاة " إپوپوت " مع وفاة أبيه : فى العام الثانى والعشرين من حكم " شاشانق " الثالث أو الخامس عشر من حكم

"پدی باست" ، أى عام ٨٠٤ ق . م . واستعاد منه "حورسا إيزيس" المنصب فى العام الخامس والعشرين من حكم "شاشانق" الثالث قبل أن يختفى نهائياً فى العام التاسع والعشرين . وهكذا أصبح "أوسركون" اليد العليا لمدة تناهز العشر سنوات . وفى غضون ذلك طرأت نفس المشاكل فى هيراكليوبوليس حيث تغير حاكم المدينة فى أعقاب وفاة "بتاح وچ عنخ إف" ، فى العام التاسع والثلاثين الأغلب . وأصبح القائد "باكن پتاح" الأخ الأصغر للأمير "أوسركون" الذى لاتلين له قناة حاكماً على هيراكليوبوليس . أما فى الدلتا فقد ظل "شاشانق" الثالث أقوى من غريمه فى ليونتوبوليس "بفضل مؤازرة ذريته . والشاهد على ذلك هو ماخلفه من أعمال فى تانيس ، نذكر منها البوابة الفخمة فى معبد "آمون" التى شيدت على مايقن تخليداً لذكرى احتفاله بعيد "سد" ، وإن لم يؤيد أى نص هذا الفرض . وكذا المقبرة التى جهزها لنفسه فى الجبانة الملكية . كما شيد المنشآت فى مندى ومصطای بل وفى منف أيضاً .

ويبدو مع ذلك أنه لم يبسط سلطانه إلى أبعد من فرع دمياط بما فى ذلك إقطاعية إتریب الموالية له . وفى وسط الدلتا كانت إقطاعيات بوزيريس وسایس وبوتو تقدم له فروض الطاعة والولاء . أما المناطق الواقعة غرب فرع رشيد فكانت تحت سيطرة الليبيين . وعند وفاته عام ٧٧٣ بعد حكم دام ٥٣ سنة ، كان الموقف فى الدلتا مضطرباً جداً . فقد خلف "شاشانق" الرابع "پدی باست" عام ٧٩٣ فى ليونتوبوليس ، ولكن حكمه كان قصيراً . وخلفه "أوسركون" الثالث عام ٧٨٧ ، ودام حكمه حتى ٧٥٩ ، فكان معاصراً للسنوات الثلاث عشرة الأخيرة من حكم "شاشانق" الثالث . وخضعت لسلطاته دائرة مندى التى استوطن فيها الـ "ما" وكانت مجاورة له مباشرة .

كما ظهر "أوسركون" الثالث فى منف ، وكان له وجود أكثر فاعلية من "شاشانق" الثالث فى مصر الوسطى . وكانت السلالة الخليفة لأسرة تانيس لاتزال مسيطرة على ناصية الأمور فى هيراكليوبوليس فى السنوات الأولى من حكم "شاشانق" الخامس أى حوالى عام ٧٦٦ ق . م . ولكن "أوسركون" الثالث نجح فى إزاحته من على مسرح الأحداث وأقام ابنه تكلوت مكانه . ومن المحتمل أنه استطاع أن ينصب "ملكاً" موالياً له على هرموبوليس ، ربما كان "غرود" الذى سيتغلب عليه "پی (عنخ) ی" فى وقت لاحق وبعد أكثر من ثلاثين سنة .

وانحسر بالتدرج تأثير الأسرة الثانية والعشرين عن منطقة طيبة حيث توصل "أوسركون" الثالث إلى معاونة ابنه "تكلوت" على الجمع بين منصب كبير الكهنة وقيادة هيراكليوبوليس ، فأحيت الأسرة الثالثة والعشرين تحالف طيبة مع العاصمة

السياسية ولو فى الظاهر . ومن الواضح أن أهل طيبة ظلوا يشغلون وحدهم دون منازع مناصب كهنة آمون باستثناء منصب كبير الكهنة .

واعتباراً من العام ٧٦٥ / ٧٦٤ أشرك " أوسركون " الثالث فى العرش ابنه كبير الكهنة " تكلوت " ، ثم توفى ولما يمر على ذلك ست سنوات . وترجع " تكلوت " الثالث بمفرده على عرش البلاد لفترة قصيرة لم تتجاوز السنه أو السنتين . إذ يتفق العام الثامن من حكمه وعام ٧٥٧ ق . م . فى حين أصبح "شاشانق " الخامس هو منافسه فى تانىس اعتباراً من عام ٧٦٧ عندما خلف أباه " پى مى " الذى كان حكمه قصيراً وظل مترعباً على عرش البلاد حتى عام ٧٣٠ . ولم يمتد سلطانه إلى أبعد من تل اليهودية . وشيد فى تانىس معبداً لثالث " آمون " شمال حرم آمون فى المكان الذى أقيمت فيه على الأغلب البحيرة المقدسة فى زمن لاحق . كما شيد مقصورة لليوبيل ترجع على ما يظن إلى العام الثلاثين من حكمه .

وتطورت الأوضاع فى غربى الدلتا فى عهده . فتأسست فى سايس حوالى عام ٧٦٧ دائرة استيطانية تضم " الما " بزعامة شخص يدعى " أوسركون " ، أخذ يبسط نفوذه شمالاً ليشمل " بوتو " وجنوباً صوب منف . ومع نهاية حكمه وبدايات حكم خلفه " أوسركون " الرابع - أى حوالى عام ٧٣٠ - كان " تف نخت " يحكم فى سايس بعد أن أعلن نفسه " كبير زعماء الليبو وأمير الغرب العظيم " . وامتد سلطانه ليشمل غرب الدلتا ونصف مناطق وسط الدلتا . وتوفى " شاشانق " الخامس ليخلفه ابنه " أوسركون " الرابع آخر ملوك الأسرة الثانية والعشرين الذى لم يمتد سلطانه إلى أبعد من مدينة تانىس بوباستس . وليت الأمر اقتصر على ذلك ، فدائرة " فاربيتوس " الموالية له من الناحية النظرية والتى استوطن فيها " الما " قد شطرت مملكته شطرين ...

ولكن فلنعد إلى الأسرة الثالثة والعشرين . لقد ارتقى " تكلوت " الثالث عرش البلاد وأصبحت أخته " شپن أويت " الأولى " عابدة الإله " آمون فاقترست معه الحقوق السيادية الملكية فى منطقة طيبة ، بل واضطلعت إلى حد ما بدور " كبير الكهنة " الذى تخلى عنه تكلوت الثالث ليتفرغ لأمر الحكم . وهو ما يمكن أن نخلص إليه من اشتراكهما (مع أوسركون الثالث) فى بناء وزخرفة هيكل أوزيريس " حقاچت " (" سيد الأبدية ") فى الكرنك . وكانت آخر عابدات الإله من أصل ليبي ، فعابدة الإله التالية كانت إثيوبية . وفى مصر الوسطى وهيراكليوبوليس بالتحديد حل شخص يدعى " پف تاو عاوى باستت " محل تكلوت وتزوج إحدى بنات " رود آمون " أخى " تكلوت " الثالث ثم خلفه

عام ٧٥٧ لفترة عابرة ، ليخلفه " إيوبوت " الثانى . وفى ظل حكمه اتخذ " پف تاو عاوى باستت " ألقاباً ملكية على غرار مافعله نظيره نمروود فى هرموبوليس . وسيقف هؤلاء الملوك الثلاثة إلى جانب آخرين فى وجه " پى (عنخ) ي " قائد قوات الغزو الأثيوبية الذى وضع حداً " للفوضى الليبية " . ومن ٧٥٧ وحتى ٧٢٩ لم يسيطر كل من " رود آمون " و " أيوبوت " ، سوى على مملكته الخاصة فى " ليونتوبوليس " وطيبة . ونفذ " رود آمون " بعض الأعمال فى هيكل أوزيريس " حقاقت " فى الكرنك وفى معبد مدينة هابو .

وعندما شرع ملك نپاتا فى غزو وادى النيل كان الوضع السياسى على النحو التالى تقريباً :

كانت القوة الضاربة لقوات الدلتا تحت إمرة " تف نخت " فى سايس الذى جمع من حوله أربع دوائر من زعماء " الما " : دائرتى غرب فرع دمياط فى سبنتوس وبوزيريس ، ودائرة منديس شرقى فرع دمياط ، والدائرة الأخيرة فى " پى سويد " جنوب شرق الفرع البيلوزى . وانضمت إليه مملكتا أتريب وتانيس بقيادة أوسركون الرابع ومملكة " ليونتوبوليس " بزعامة " أيوبوت " الثانى الذى تبعته طيبة وهيراكليوبوليس وهرموبوليس . ولم تكن هذه الوحدة السياسية سوى وحدة ظاهرية فى مواجهة الخطر القادم من أقصى الجنوب ، ولكنها دعمت السلطة الصاوية فى سايس التى ستقف من الآن فصاعداً بمفردها فى وجه الأثيوبيين .

التقاليد الفنية

وضع غزو " پى (عنخ) ي " حداً لأكثر عصور التاريخ المصرى غموضاً . ولم يصل المؤرخون بعد إلى نتائج حقيقية من واقع دراستهم لكميات كبيرة من الوثائق الجزئية والمتفرقة بسبب التجزئة السياسية التى عانت منها البلاد . إن احتدام الصراع على الحق السيادة المترتب على حمل الألقاب الملكية بين مختلف الملوك قد زاد من صعوبة تحديد تأريخ زمنى متصل . فكان من الضرورى الأخذ بطريقة غير مباشرة من خلال تحديد المراحل التى مرّ بها كبار رجالات الدولة استناداً إلى الوثائق الجنائزية والقانونية . ولكن هذه الوثائق مازالت غير كاملة . ولذلك تترك هذه الفترة التى دامت ثلاثمائة سنة انطباعاً بالفوضى والبلبلة يتحدى كل وصف ، وهو ليس على كل حال سوى انعكاس للفوضى السياسية التى عمت البلاد . أما الحضارة ذاتها فقد ظلت رفيعة المستوى فى شتى

المجالات وإن فقدت السمو والبهاء اللذين تمتعت بهما فى عصر الرعامسة . وازدهرت فى الألف الأولى قبل الميلاد الفنون القائمة على الأشغال المعدنية فى الشرق الأدنى بعامة ، وفى مصر بخاصة . إن تمثال عابدة الإله " كاروما . " حفيذة " أوسركون " الأول وحلى " أوسركون " الثانى التى تمثل الملك على شكل " أوزيريس " فى حماية " حورس " و " إيزيس " ، يقفان إلى جانب أعظم روائع الفن المصرى وأبرزها . وصحيح أن الملوك قد ظلوا من كبار البنائين فى حدود ماتسمح به سلطتهم وإمكانياتهم ، إلا أن المسافة الفاصلة بينهم وبين الأفراد قد تقلصت بشكل ملحوظ ، فقد رأينا أفراداً يغتصبون بعض الحقوق الملكية السيادية . وحدث نفس الشيء فى مجال الفن . فقد اعتمد كبار كهنة آمون فى الكرنك أسلوباً اقتبسوه من قوالب الرعامسة الفنية .

وعلى العكس من ذلك هجرت الأسرات المالكة النموذج الذى ساد خلال الأسرة التاسعة عشرة ولم يتمسك به سوى ملوك تانىس الذين سعوا أولاً وراء مايدعمون به شرعيتهم ، وقد لاحظنا ذلك من دراسة بعض ألقابهم . ثم أملت عليهم الضرورة التخلّى عن ذلك مع تضاءل إمكانياتهم ، فكان أسهل عليهم بالفعل استغلال مدينة " پرمسيس " كمحاجر ، من أن يعدّوا بأنفسهم مايجتاجون إليه من كتل حجرية . وسوف يتخلّى زعماء سايس والأثيوبيون عن أسلوب الاعتماد على الغير . ولما لم يكن فى وسع الأوائل إدعاء انتسابهم إلى أسلافهم فى تانىس وليونتوبوليس ، فقد ساروا على هدى من سبقوهم من مؤسسى الأسرة التاسعة عشرة باحثين عن أسس شرعيتهم فى المنابع الأولى للسلطة وفى تقاليد مدينة هليوبوليس ، فعادوا إلى أسلوب سلس بسيط ، وابتعدوا عن المبالغة والتكلف اللذين اشتهر بهما الرعامسة . ومن ناحية أخرى اعتبر الأثيوبيون أنفسهم الأمناء على هذه التقاليد الرشيدة والحافظين لها ، وإن كان من رأيهم أن دلالتها قد انحرفت وشوهت .

إن هذه " العودة إلى الوراء " التى وسمت نهاية عصر الانتقال الثالث جاءت مقترنة بظاهرة صعود الورع الشعبى لأول مرة . ويمكن تلمس إرهاصاته الأولى منذ عصر الرعامسة بعد أن تحددت العلاقة الجديدة بين الإله والملك فى أعقاب عصر العمارنة . وتم تطوير هذا النسق من العلاقات على امتداد ثلاثة قرون من نظم الحكم القائمة على التبليغ الإلهى المنزل . وتجلست هذه النزعة فى العديد من النذور التى تمثل المؤمنين - سواء كانوا

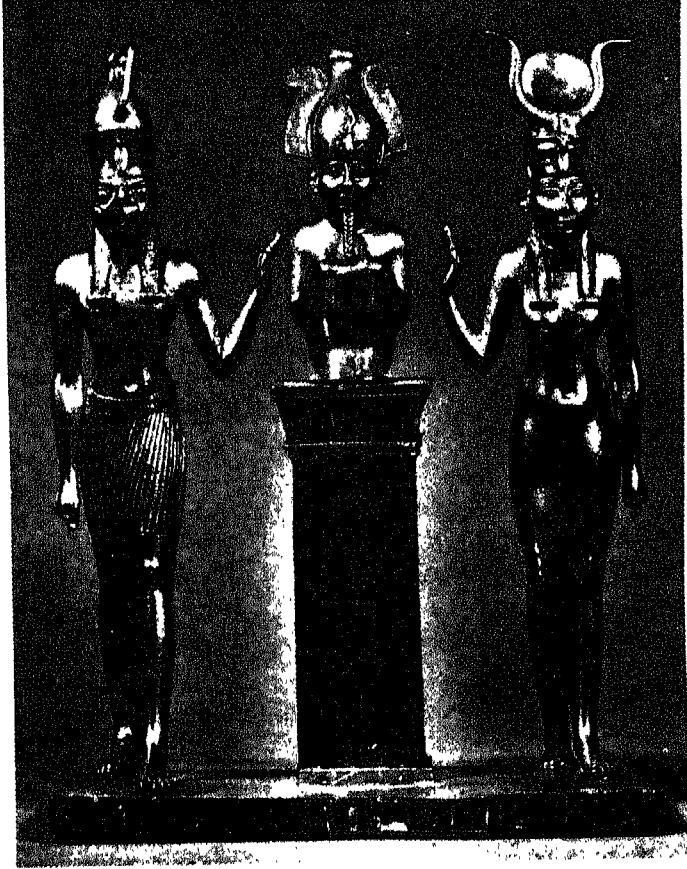


شكل (١٥٦) - كاروما : : عابدة الإله.

تمثال مصنوع من البرونز والذهب والفضة والإلكتروليت والنحاس

الارتفاع ٥٩ سم الوفر. N500

ملوكاً أم أفراداً - فى نفس أوضاع التعبد . واقتربت السير الذاتية من أسلوب الأناشيد
أكثر من ذى قبل ، وأصبح الملوك يروون مآثر حكوماتهم فى أسلوب لا يختلف قط عن
أسلوب السير الذاتية .



شكل (١٥٧) - ثالث أوسركون ٢, ٥٢١
من الذهب واللازورد وعجينة الزجاج الارتفاع ٩٠ سم اللوفر E 6204

الفصل الرابع عشر

الأسرات الإثيوبية والصاوية

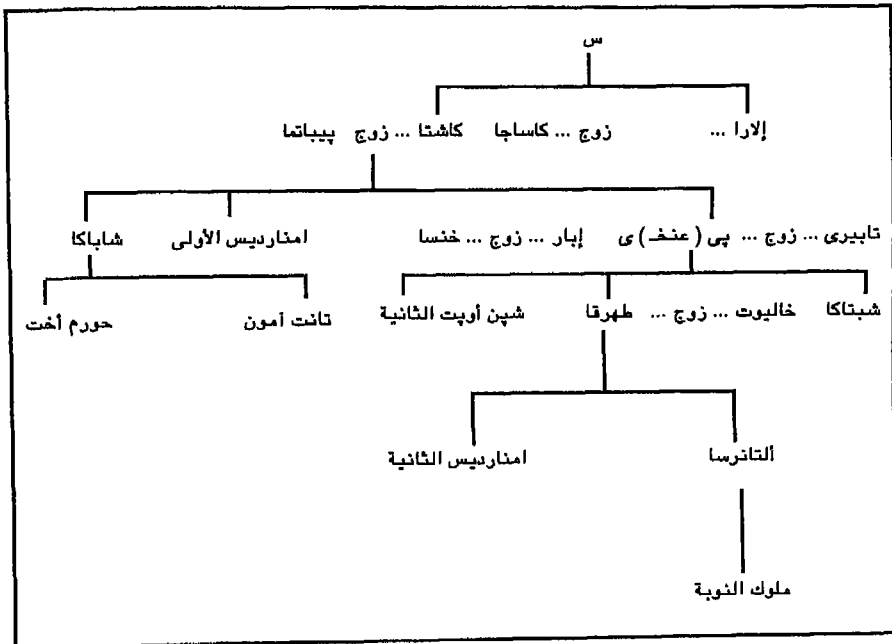
الغزوا الإثيوبي

عند اقتسام تركة الرعامسة انفصلت النوبة عن مصر لتصبح مملكة مستقلة على مقربة من الجندل الرابع . ولكننا لانستطيع القطع بوجودها قبل بداية القرن الثانى قبل الميلاد ، فمعلوماتنا عن أوضاع النوبة قبل هذا التاريخ شحيحة جداً . ومن المرجح أن الحملة التى قادها " شاشانق " الأول إلى الجنوب من أسوان ، بعد مرور قرن من الزمن تقريباً على التمرد الذى تزعمه نائب الملك " پانحسى " (Kitchen : 1985 , 293) ، كانت هى المرة الأخيرة التى يمارس فيها المصريون أعمال السيادة فى النوبة السفلى أو يحاولون إعادة فتحها . وأياً كان الأمر فقد أخذت النوبة تنحو فى تطورها منحىً مستقلاً بعيداً عن تبعيتها السابقة لمصر بعد أن كان فراغنة الدولة الحديثة قد تولوا تمصيرها حتى الأعماق . وأصبح معبد آمون فى جبل البركل مركزاً دينياً نشأت حوله سلالة محيلة دفن زعمائها فى جبانة " الكرو " المجاورة . وعلى مرّ الأجيال اتسع نفوذ كهنة " آمون " عليها، ويمكن قياس هذا النفوذ من خلال عملية تمصيرها التدريجى . وعندما أسسوا أسرة ملكية ، اختاروا شتى مظاهر السلطة الفرعونية كما استخلصوها من التراث الذى خلفه " تحوتس " الثالث ، بل وذهبوا إلى الأخذ بعقيدة آمون الأصلية الصارمة .

" إلارا " هو أول من نعرفهم من ملوك الأسرة الأثيوبية ، وكان سابعهم على الأرجح . وأخوه " كاشتا " هو أول من تأكد وجوده بشكل مباشر . وإذا اتفقنا أن حكم " إلارا " الذى بدأ عام ٧٨٠ ق . م . قد دام عشرين سنة ، فيمكن تحديد تاريخ نشأة هذه السلالة عند نهاية القرن العاشر وبداية القرن التاسع ، أى بعد حملة شاشانق الأول . ولانعلم شيئاً عن " إلارا " . وعلى العكس فإن معلوماتنا عن " كاشتا " " الكوشى " أكثر وفرة . فقد تربع على العرش عام ٧٦٠ ، وأستكمل فتح النوبة السفلى ، على مايعتقد ، إذا لم يكن سلفه " إلاراً " قد قام بهذه المهمة . وامتد سلطان " كاشتا " ليصل إلى أسوان على أقل تقدير ، حيث كرس لوحاً للإله خنوم فى إلفنتين ، وقد دون إسمه على سطحه

مقترناً بالألقاب الملكية واختار " ماعت رع " اسماً للتتويج . وربما واصل زحفه حتى منطقة طيبة (9 و Kendall 1982)، اللهم إلا إذا فضلنا تأجيل هذا الوصول إلى الجيل التالي .

رزق " كاشتا " عدة أولاد . سوف يتولى إثنان منهم الحكم ، وهما " پى (عنخ) ي " و " شاباكأ " . وقد تزوج " پى (عنخ) ي " ابنة " إلارا " تأكيداً لانتقال السلطة من جيل إلى جيل . وتولى " پى (عنخ) ي " السلطة عام ٧٤٧ وواصل زحفه صوب الشمال طوال السنوات العشر الأولى من حكمه ، وفرض الحماية على طيبة . واتخذ مايلزم من تدابير لتتبنى " شين أويت " الأولى أخته " أمنارديس " بصفتها عابدة الإله . وفتحت " أمنارديس " الباب أمام الإثيوبيين لكي يستولوا على الكرنك ويستحوذوا على ميراث "أوسركون " الثالث . ووفقاً لمدونة عثر عليها في وادي الجاسوس فإنه يبدو أن انتقال



شكل رقم (١٥٨) سلسلة أنساب الملوك الإثيوبيين

السلطة كان أمراً واقعاً في العام التاسع عشر من حكم الملك صاحب الحق في أن يذكر اسمه في طيبة . وقد يتفق هذا التاريخ مع العام الثاني عشر من ولاية " پى (عنخ) ي "، فالتاريخ المشار إليه هو إذن العام التاسع عشر من حكم " إيوبوت " الثاني أي عام ٧٣٦ ق . م . ويمكن الأقتراف أن الإثيوبيين كانوا قد سيطروا في هذا التاريخ على معظم الصعيد وحتى طيبة على أقل تقدير وربما وصلوا إلى أبعد من ذلك جنوباً ، فقد أخذ " پى (عنخ) ي " على ملكي هرموبوليس وهيراكليوبوليس خيانتهم له أثناء تقدم قواته .

ولمواجهة السلطة الإثيوبية الزاحفة فى منطقة طيبة ، شرع " تف نخت " ملك سايس المقدام يلمّ شمل ممالك الشمال وضّم إلى صفوفه هيراكليوبوليس وهرموبوليس . وإذ قويت شوكتة بمآناله من تأييد وتعزيد بدأ يستولى على الجنوب ولكن سرعان ماتدخل

الأسرة الخامسة والعشرون	الأسرة الرابعة والعشرون	
<p>پى (عنخ) ى</p> <p>شاپاكا</p> <p>شبتاكا</p> <p>طهرقا</p> <p>تانت آمون</p> <p>نهاية السيطرة الاثيوبية</p>	<p>تف نخت</p> <p>باك إن رنف (بكوريس)</p>	<p>٧١٦-٧٤٧</p> <p>٧٢٠-٧٢٧</p> <p>٧١٥-٧٢٠</p> <p>٧٠٢-٧١٦</p>
	الأسرة السادسة والعشرون	
	<p>نكاو الأول</p> <p>پسمتك الأول</p> <p>نكاو الثانى</p> <p>پسمتك الثانى</p> <p>وح إيب رع (إپريس)</p> <p>أحمس الثانى</p> <p>پسمتك الثالث</p>	<p>٧٠٢-٦٩٠</p> <p>٦٩٠-٦٦٤</p> <p>٦٦٢-٦٦٤</p> <p>٦٦٤</p> <p>٦٥٦</p> <p>٦١٠-٥٩٥</p> <p>٥٩٥-٥٨٩</p> <p>٥٨٩-٥٧٠</p> <p>٥٧٠-٥٢٦</p> <p>٥٢٦-٥٢٥</p>

شكل رقم (١٥٩) جدول التسلسل الزمنى للأسرات ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .

" پى (عنخ) ى " وهزم القوات المتحالفة . وسرد هذه المعارك على سطح لوح شامخ وضعه فى معبد " آمون " ، بجبل البركل حيث اكتشفه أحد ضباط سعيد باشا عام ١٨٦٢ . لم يكن هذا النص تقريراً عسكرياً بمعنى الكلمة ، ولكنه مرسوم يؤكد سلطته على الوجه القبلى و الوجه البحرى بعد أن غزاهما بقواته . وقد صُوّر الأمر وكأن " پى (عنخ) ى " هو الفرعون المصرى الحاكم دون منازع . الذى شن حرباً ضد المتمردين الخارجين على النظام الذى أقامه " آمون " . فالنص إذن ليس شهادة تاريخية ، إنما هو أقرب إلى " المسرد الملكى " كما تناقلته التقاليد الكلاسيكية بما يزر به من عبارات فخمة وقوالب جاهزة مستوحاة من المصادر الأدبية فى مكتبة معبد جبل البركل . ومن المؤكد أن " پى (عنخ) ى " قد أذاع نسخاً منه فى كبريات المعابد المصرية كمعبد الكرنك ومعبد منف ولكنها فقدت ولم تصل إلينا .

وفى العام الحادى والعشرين علم " بى (عنخ) ي " بتصرفات " تف نخت " . بل
ربما عُرض عليه منذ عام ٧٣٦ تقرير حول تركز قواته والتحالف الذى جمع ملوك وأمراء
الشمال تحت قيادة " تف نخت " . ولم يصدر عن " بى (عنخ) ي " أى رد فعل ، بل
تركهم يزحفون صوب الجنوب إلى أن أستولوا على هيراكليوبوليس . عندئذ أمر الفيلىق
الأثيوبى المرباط فى منطقة طيبة بالتصدى لهم عند الإقليم الخامس عشر كما أرسل له
التعزيزات العسكرية :

« فاستدعى جلالته القادة العسكريين والضباط الموجودين فى مصر ، وهم
"پاورما " و"لامرسكىنى" وسائر ضباط جلالته القائمين فى مصر . وقال لهم : " اتخذوا
وضع الاستعداد ، وخوضوا المعركة . والتفوا حول العدو وحاصروه ! وأسرؤا رجاله
ومواشييه وسفنه النهرية ! وامنعوا المزارعين من التوجه إلى الحقول ، والفلاحين من حرث
الأرض ! اضربوا الحصار حول إقليم الأرنب وقاتلوا العدو كل يوم دون هودة ! "

« وهذا ما فعلوه : وأرسل جلالته جيشاً إلى مصر . وأوصاهم مشدداً بالتعليمات
التالية : " لاتنقضوا على العدو ليلاً وكأنكم تلعبون وتلهون . ولاتحاربوا إلا وأنتم
مبصرون . وخوضوا ضده المعركة دون الاقتراب منه ! وإذا قال لكم : " انتظروا المشاة
وسلاح المركبات القادمة من مدينة أخرى ! " فتريثوا الحين وصول جيشه . ولا تبدأوا المعركة
إلا عندما يطلب ذلك . وإذا كان حلفاؤه فى مدينة أخرى فاصدروا الأوامر بالانتظار حتى
يصلوا . وحاربوا فى المقام الأول القادة العسكريين المصاحبين له كحلفاء وحرصه الخاص
من الليبيين . وعند استعراض الجيش لاندري لمن نوجه الحديث . فنقول " أيا أنت أسرج
أفضل مافى أسطبلك من جياذ وهيبىء نفسك للمعركة ! عندئذ سوف تعرف أننا رسل
آمون ! "

" وإذا بلغتم طيبة ووقفتم أمام " إيت سوت " أنغمروا فى الماء وتطهروا فى النهر
وارتدوا الكتان النقى . وحطوا الأقواس والقوا السهام جانباً . لاتتباها بأنكم أصحاب
سلطة فى حضرة الذى بدون رضاه ليس للشجاع قدرة . فيجعل الضعيف قوياً . والجموع
تترجع أمام القلة وتعود أدراجها ويتغلب الفرد على ألف ! وتبللوا بماء هياكله . وقبلوا
الأرض بين يديه وقولوا له : أرشدنا إلى الطريق . فلنحارب فى ظل قوتك ! . ولتكن
معارك المجندين الذين بعثت بهم مظفرة . وليستول الرعب على الجموع عندما تواجههم ! "
(Stèle de la Victoire 8 - 14) .

حاصرت الفصائل الإثيوبية القوات المتحالفة وأجبرتها على خوض المعركة . وبعد هزيمتهم لجأ رجال " تف نخت " إلى هرمبوليس التى ضرب الإثيوبيون حولها الحصار وعندئذ رأى " پى (عنخ) ي " أن الوقت قد حان ليتوجه بنفسه إلى مسرح العمليات . لم يكن فى عجلة من أمره ، فتوقف لبعض الوقت للاحتفال بالعام الجديد ويعيد " أويت " فى الكرنك . كان غرضه من هذه الزيارة مزدوجا : أراد أن يعلن على الملأ اعتراف آمون به ملكاً ، كما استهدف إضعاف القوات المحاصرة بإطالة أجل الحصار المضروب حولها . وأثناء ذلك اجتاحت قواته مصر الوسطى ، ووصل إلى هرمبوليس فأخضع ملكها " نمرود " واستسلمت المدينة للملك الظافر . واستسلم أيضا " پف تاو عاوى باستت " مع هيراكليوبوليس دون أن ينتظر استيلاء " پى (عنخ) ي " على المدينة ، واعترف بولاية الملك عليه فى خطاب زاهر بالزخرف والإقتباسات الأدبية :

" تحية لك أيا حورس ، أيها الملك القوى . إنك الثور الذى يقاتل الثيران ! لقد استحوذت ال " دات " (العالم السفلى) علىّ وغمرتني الظلمات . فهل لى أن أمنح وجهاً كوجهك المشرق ! لم أجد من ينصرنى وقت الشدة . ولكن بفضلك أنت وحدك أيها الملك القوى انقشعت الظلمات من حولى ! فأنا وجميع ممتلكاتى فى خدمتك . وتدفع مدينة " ننى نسوت " الضرائب لجهازك الإدارى . فانت بالتأكيد " حورأختى " (حور الأفقين) الواقف على رأس الخالدين . ويقدر بقائه تبقى أنت ملكاً . وكما أنه خالد لايموت فأنت أيضاً خالد لآتموت . أيا " پى (عنخ) ي " ياملك الوجهين القبلى والبحرى ! لك الحياة إلى الأبد ! " (Stèle de la Victoire, 71 - 76)

ثم تقدم " پى (عنخ) ي " صوب الشمال فاستولى دون مقاومة على القلعة التى شيدها أوسركون الأول لمراقبة مدخل الفيوم ، واستسلمت ميدوم واللشت . ووصل أمام منف حيث تحصنت القوات المتحالفة ، ف ضرب الحصار حول المدينة واستولى عليها بواسطة آلات الحرب ، واستسلم له باقى الحلفاء عند سماعهم نبأ سقوط المدينة . واتجه " پى (عنخ) ي " إلى هيليوبوليس لأداء الشعائر التقليدية التى تقام لرع . وهكذا أعاد مراسم تنويجه .

" واتجه جلالته إلى المقصورة الواقعة غربى " إيتى " ، للتطهر . فتطهر جلالته فى بحيرة " قبح " . واغتسل وجهه فى نهر " نون " حيث يغسل " رع " " وجهه " . " واتجه جلالته إلى تل الرمال فى هيليوبوليس ليقدم القرابين فوق تل رمل

هليوبوليس الواقع أمام رع عند شروقه . وتشمل القرابين الأبقار البيضاء واللبن والمر والبخور ومختلف أنواع العطور الطيبة . "

" واتجه صاحب الجلالة إلى مقر رع فى موكب مهيب . فدخل المعبد وسط تهليل الحاضرين والكاهن المرتل يتعبد للإله لإبعاد أعداء الملك . ثم أقيمت شعائر ال " پردوات " وربط العصاة الملكية . وتظهر جلالتة بالبخور والماء . وقهومت أكاليل قصر " بن بن " ، وأدهان " العنخو " . وصعد درجات سلم الشرفة الكبرى ليشاهد " رع فى قصر ال " بن بن " .

" ووقف الملك بمفرده ، وكسر ختم المزلاج وفتح مصراعى الباب وشاهد والده رع فى قصر البن بن المقدس ومركب النهار المخصصة لرع ومركب المساء المخصصة لآتوم . ثم أغلق مصراعى الباب ووضع الطين وختم الملك بخاتمه الخاص . وأصدر تعليماته للكهنة قائلا : " لقد قمت أنا شخصا بوضع الختم . لن يدخل المكان أحد سوى ممن يدعون أنهم ملوك ! "

" وانبطحوا على بطونهم فوق الأرض قائلين : " ثابت أنت ودائم : فليحي حورس محبوب رع ، إلى الأبد ! دخولا إلى مسكن آتوم ، وتقديما لأبيه آتوم خبرى ، زعيم هليوبوليس " (Stèle de la Victoire, 101 - 106) .

وحتى تكتمل صورة الاحتفال الذى اتخذ مظهر اليوبيل حضر " أوسر كون" الرابع ملك تانيس ليتعبد للملك الجديد . جاء " پادى إيزيس" أمير أتريب ليضع أملاكه تحت تصرف "بى(عنخ) ي" إقرارا بتبعية له . وحذا حذوه الزعماء المتحالفون الذين يقدم لوح جبل البركل قائمة مستفيضة بهم . ولم يتخلف سوى " تف نخت " الذى فر من منف قبل الاستيلاء عليها ولجأ إلى أقاليم شمال الدلتا حيث حاول أن يعيد تنظيم قواته . وأرسل إلى الفاتح الجديد رسولا ماهرا فاوضه فى لغة اصطبغت بالعبارات التقليدية . وأفضت هذه المفاوضات إلى الإعتراف بالأمر الواقع القائم بين الملكين : .

" ألم يهدأ قلب جلالتك بعد كل ما ألم بى بسببك ؟ أجل إنى بئس . ولكن لا تعاقبنى بقدر الجرم الذى ارتكبته . أنت تزن بالميزان . وتحكم طبقا للوزنات ! وفى مقدورك مضاعفة جرمى أضعافا مضاعفة . ولكن ابق على هذه الحجة ، وسوف تعطيك حصادا وفيرا فى الوقت المناسب . لا تقتلع الشجرة من جذورها ! إن " كا " ك يثير الرعب فى أحشائى وترتعد أوصالى من شدة الخوف ! ومنذ أن علمت باسمى لم أجلس فى بيت

الجمعة ، ولم استمع إلى عزف الجنك . لقد أكلت وشربت ما يكفي فقط لرد جوعى وإطفاء ظمئى . الألم وصل إلى عظامى . وأسير عارى الرأس مرتديا الأسمال حتى تعفو الإلهة "نيت" عنى . لقد فرضت على السير مسيرات طويلة . أنت تلاحقنى وتطاردنى على الدوام . فهل استرد حريتى ذات يوم ؟ طهر خادمك من ذنوبه ولتنتقل ممتلكاتى إلى الخزينة العامة ، وكافة ما أملك أيضا من ذهب وأحجار كريمة وأفضل جياى وكافة تجهيزاتها . أرسل برسولك ليطرد الخوف من قلبى واذهب فى صحبتى إلى المعبد ليظهرنى القسَم الإلهى".

" وأرسل جلالته " بيتى آمون (نب) نيسوت تاوى " كبير الكهنة المرتلين وفى صحبتى " پاورما" القائد العسكرى ، فقدم له هدايا من الفضة والذهب والمنسوجات ومختلف الأحجار الكريمة . وتوجه إلى المعبد ، وتعبد إلى الإله وتطهر عندما أقسم القسم الإلهى التالى : " لن أنتهك المرسوم الملكى ولن أتهاون فى أوامر صاحب الجلالة . ولن أسلك سلوكا مذموما فى حق قائد عسكرى فى غيابه . وسوف أتصرف فى حدود الأوامر الصادرة من الملك دون أن أخرج ما أصدره من مراسيم. عندئذ أعلن صاحب الجلالة موافقته". (Stéle de la Victoire, 130 - 140)

ولما ازداد موقف " پى (عنخ) ي " رسوخاً فى أعقاب هذا الخضوع المبدئى ، ثبتت الملوك الأربعة كلا فى مدينته : " إيپوت " الثانى فى ليونتوبوليس . و " پف تاوعاوى باستت " فى هيراكليوبوليس . و " أوسركون" - الرابع فى تانيس . و " نمرود " فى هرموبوليس . ولكنه لم يحبذ اعطاء الكثير للذرية الليبية لفراعنة مصر القدماء ، فاعترف بأحدهم فقط وهو نمرود كمتحدث معتمد :

" لما أضاء الأرض نهار جديد ، حضر عاهلا الجنوب وعاهلا الشمال والصل على جبينهم وقبلوا تراب الأرض أمام قوة صاحب الجلالة . وهكذا جاء ملوك وقادة الشمال ليشاهدوا بهاء جلالته . وكانت سيقانهم ترتعش وكأنها سيقان نسوة . ولكنهم لم يدخلوا إلى مسكن الملك حتى لا يذنسوه بالنظر إلى أنهم لم يختتنوا ولأنهم يأكلون السمك . أما الملك نمرود فقد دخل مسكن الملك ، إذ كان طاهرا ولا يأكل السمك . فانتظر ثلاثة فى الخارج ، ولم يسمح بالدخول إلا لواحد ."

" وحملت السفن بالفضة والذهب والنحاس والأقمشة وسائر خيرات الشمال وكل ثمين وسائر كنوز سوريا وعطور بلاد العرب . وأقلعت سفن صاحب الجلالة صوب

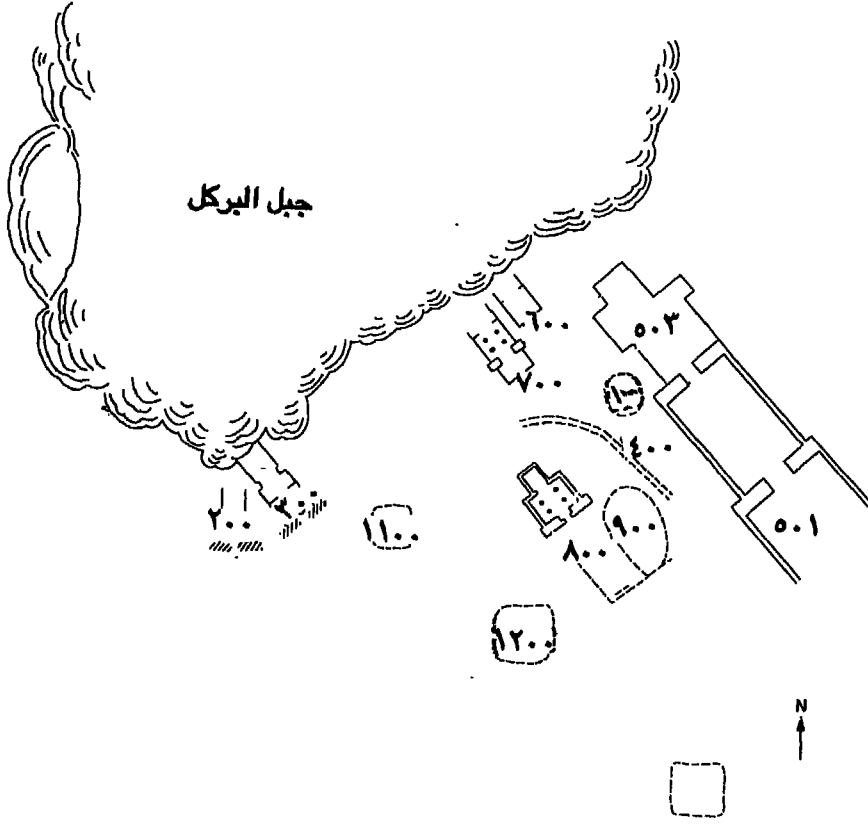
الجنوب . وكان جلالته منشرح القلب . وعلى الجانبين كان الأهالى على شاطئ النهر يهللون من نشوة الفرح . وأخذ الجميع - شرقا وغربا - كلما بلغهم النبا ينشدون عند عبور صاحب الجلالة أنشودة فرح وابتهاج . تقول الأنشودة : " أيها الأمير القوى ، أيها الأمير القوى ، أيا " پى (عنخ) ي " ، أيها الأمير القوى ! ها أنت تتقدم بعد أن فرضت سيطرتك على الشمال . إنك تحول الثيران إلى إناث ! طوبى لقلب المرأة التى أنجبتك ! وطوبى لقلب الرجل الذى من صلبك ! وأهل الوادى يحيونه . فلتحى إلى الأبد . فقوتك خالدة أيها الأمير المحبوب من طيبة " (Stèle de la Victoire, 147- 159) .

وعند عودته إلى نپاتا قام بتطوير عاصمته وأجرى توسعات فى المعبد الذى كرسه "تختمس" الثالث " لآمون" فوق " الجبل الطاهر" ، وهو جبل البركل . وترجع آخر مراحل بنائه الى عصر رمسيس الثانى (B 500) .

وقد رمم مقصورة قدس الأقداس وأعاد بناء سور حرمها . وأقام أمامها بهو أساطين يحده صرح . ثم أضاف فناء جديدا له صفات يحده صرح جديد . وأقام أمامه تماثيل " أبو " الهول برأس كبش نقلها من معبد " أمنحوتب " الثالث فى صولب .

وجاء تشييد معبد جبل البركل نسخة تحاكي معبد الكرنك . وبذل ملوك كوش ما فى وسعهم لتوسيع وتجميل هذين المعبدین . وأقام " پى (عنخ) ي " لنفسه هرما فى جبانة " الكرو " ، وعلى مقربة منه دفنت خمس من ملكاته واثنان من بناته . إن العودة إلى الهرم كدفنة ملكية يتفق والاختيار الأيديولوجى الأصولى ، وإن ظل الشكل المعمارى لأهرام نپاتا بعيدا إلى حد كبير عن نماذجه الأصلية فى منف .

ولكن ما الذى دفع " پى (عنخ) ي " إلى العودة إلى نپاتا ؟ إذا صحت رواية "لوح النصر" فقد توصل إلى فرض سيطرته الشاملة والتامة على مصر ، وفضل ألا يحكم البلاد شخصيا ، إما لأنه اعتبر نپاتا عاصمته الحقيقية ، أو لأنه أدرك فائدة التقسيم السياسى للبلاد الذى حافظ عليه بكل عناية ، وهو ما نرجحه ، ففضل أن يحكم من خلال التقسيم ويكتفى بالإشراف إشرافا فعالا على منطقة طيبة والدروب الغربية حتى الواحة الداخلة على الأقل ، حيث ترك أثرا لوجوده فى العام الرابع والعشرين . ويبدو أن هذه الاستراتيجية قد نجحت فى مصر الوسطى ، فى هرموبوليس وكذلك فى هيراكليوبوليس . وحدد " پى (عنخ) ي " شخصيا الخطوط العريضة لسياسته على سطح لوح عثر عليه أيضا فى جبل البركل :



شكل (١٦٠) - موقع جبل البركل .
(نقلًا عن Dunhan : 1970, Plan I)

" وهبنى آمون المقيم فى نياتا حق حكم جميع البلدان . فمن أقل له : " كن ملكا " !
يكن ملكا ، ومن أقل له " لا تكن ملكا " لا يكون . " وهبنى آمون فى طيبه حكم
مصر . فمن أقل له " فلتتوج " ! يتوج . ومن أقل له " لا تتوج " . لا يتوج . وكل من
منحته حمايتى لا يخشى من احتلال مدينته . وعلى كل حال فلن أقوم باحتلالها . فى
استطاعة الآلهة إقامة ملك . والبشر ايضا فى إمكانهم إقامة ملك . أما أنا
فآمون هو الذى اقامنى ملكا " ! (Grimal : 1986 , 217 - 218) .

إلا أنه لم يتردد فى تأكيد دوره كموجد مصر على سطوح المنشآت التى شيدها أو
زخرفها ، فهو حورس "سماتاوى" الذى وحد الأرضين " و " الذى تم تتويجه فى طيبة "
وكان يعلن انتسابه إلى الملكين العظيمين الذين أوحيا له عمائر النوبة : " تحوتس "

الثالث الذى اختار اسم تتويجه لقباً له : "من خير رع " و "رمسيس" الثانى "أوسرماعت رع". ويبدو أن طيبه قد امتثلت لسيطرته ، فتولت " شين أويت" الأولى و"امنارديس" الأولى معا قيادة كهنة آمون .

ومن ناحية أخرى ظلت فاعلية هذه السياسة فى شمال البلاد محدودة بشكل واضح ، إذ لم يفقد " تف نخت " من الناحية العملية شيئاً من سلطته التى أخذت تمتد الى مناطق غرب الدلتا وحتى منف ، بل أعلن نفسه ملكاً حوالى عام ٧١٩/٧٢٠ مؤسساً الأسرة الرابعة والعشرين طبقاً " لمانتون " ومقرها سايس . ولم يستمر حكمه أكثر من ثمانى سنوات ، استطاع خلالها أن يدعم مركزه فى مواجهة جاريه فى ليونتوبوليس وتانىس . وخلفه ابنه " باك ان رنف " أو "بكوريس " طبقاً لرواية "مانتون" ، وفرض سلطته على شمال البلاد بأسرها . ولا نستطيع ان نحكم حكماً موضوعياً على هذه المملكة القصيرة العمر التى استسلمت الى "شباكا" عام ٧١٥ بالنظر الى قلة المعلومات المتوفرة عنها . ولكن يبدو أن ملوك تانىس ويوباستس وليونتوبوليس ودوائر " الما " قد أقرروا بتبعيتهم لها - وهى تبعية لم تكلف شيئاً على كل حال . وقد عثر على شواهد تؤكد وجود "باك ان رنف " فى منف . وربما كانت مقر حكم مملكته .

صعود نجم آشور

ومن المفارقات حقاً أن يقع على كاهل أوسركون الرابع ، آخر ممثلى الأسرة الثانية والعشرين ، أن ينوب عن مصر فى الأحداث الخطيرة التى بدأ التحضير لها فى سوريا وفلسطين ، فكان من نصيبه ، بعد أن فقد السيطرة على ربوع مصر منذ وقت بعيد ، أن يضطلع بهذه المهمة الشاقة . كانت آشور قد تخلصت منذ فترة طويلة من الصراعات الداخلية المزيرة عندما قام " تيجلات بيلا صر " الثالث بانتزاع السلطة من يدى " آشور نيرارى " الخامس ، عام ٧٤٥ . واشتد التنافس بين آشور وبين مملكة "أورارتو" المجاورة الممتدة فى المنطقة التى سوف تعرف مستقبلاً بأرمينيا ، وكانت دولة فتية واسعة النشاط والتأثير إلى حد كبير . ودخلت القوتان فى سباق مع الزمن من أجل وضع اليد على شمال سوريا . وضم " تيجلات بيلا صر" الثالث شمال غرب سوريا وأخضع فينقيا عام ٧٤٢ . وتحقيقاً لهدفه سار على نفس النهج الذى أخذ به عندما أعاد تنظيم بلاده ، فحظر على فينقيا بنوع خاص إقامة أى علاقات تجارية مع الفلسطينيين (الفلسطينيين) ومع مصر . وعندما أيقن صغار ملوك الهلال الخصيب أنه أصبح لآشور اليد العليا فى شئون المنطقة

توصلوا إلى ترتيبات ترضى جميع الأطراف ، فأقرت قرقيش ودمشق وإسرائيل بتبعيتها لآشور . ودفعت لها الجزية مع شعوب أخرى من بينها العرب الذين ظهروا لأول مرة على مسرح الأحداث .

وظن تيجلات بيلاصر الثالث أنه آمن ، ظهره من جهة البحر المتوسط فتفرغ لمملكة "اورارتو" متصديا لها في أعقاب إغارة سريعة حاسمة على إيران . وتحركت صور وصيدا بعد أن حرمتا من منافذهما التجاريه مع مصر : ولنفس الأسباب ، على ما يعتقد ، أقامت غزة وعسقلان تحالفا ضم فلسطين والأردن ولكن الآشوريين سحقوه عام ٧٣٤ . كما تدخلوا من جديد عام ٧٣٢ متخذين من استمرار المواجهة بين يهوذا وإسرائيل ، حليفة دمشق ، ذريعة لهذا التدخل فضم تيجلات بيلاصر الثالث دمشق ، وغزا إسرائيل واجتاح أراضيها وخضع له هوشع الذي اعتلى عرش السامرة قبل وقت قصير . ولكن خضوعه كان ظاهريا فقط فقد أجرى اتصالات مع "سو - ملك مصر " (الملوك الثاني : ١٧ : ٤) . وذهب المتخصصون مذهبين في تفسير هذه الجملة القصيرة . فرأى البعض أن النص العبري قد وقع في خطأ وصححوا كلمة "سو" إلى سايس . ويفترض هذا التفسير أن المقصود هو أن "هوشع" قد استنجد بـ " تف نخث " ملك سايس التي أطلق عليها مصر على سبيل المجاز المرسل . ويمكن ترتيب أهم الأحداث على النحو التالي : وقعت ثورة هوشع ضد آشور في تاريخ تقريبي يدور حول ٧٢٧ / ٧٢٦ بالنظر إلى أن ملك آشور قد أسره بعد تسع سنوات من حكمه واستولى على السامرة بعد حصار دام ثلاث سنوات . وقد وقع " هوشع " في الأسر في تاريخ أقصاه عام ٧٢٤ ، وتم الاستيلاء على السامرة في العام ٧٢٢ / ٧٢١ . وفي هذا التاريخ كان شالمانصر الخامس ملكا على آشور بعد أن خلف أباه عام ٧٢٦ . وإذا صح الترتيب الزمني لهذه التواريخ واتفقت فيما بينها ، فمن المستبعد أن يكون " تف نخث " هو الفرعون الذي استنجد به " هوشع " ، ولا يوجد ما يؤهله ليمثل مصر في أي اتصالات مع بلاط إسرائيل . حيث أن تانيس هي المحاور التقليدي الذي يتردد اسمه في سائر أسفار العهد القديم ، كما أن موقعها الجغرافي سهل عليها الاتصال بسوريا وفلسطين . ومن ناحية أخرى يعتمد هذا التفسير على تصويب غير ضروري لكلمة "سو" التي يمكن ترجمتها بكل بساطة كاختصار لإسم "أوسركون" (Kitchen : 1986 , 551) .

وجاء الاستيلاء على السامرة ليحقق انقلابا في ترتيب تحالفات الأردن . وفي السنوات التالية وثق المصريون روابطهم مع " البابليستي" بعد أن كان هؤلاء أعداء الأسمس . إذ كانوا على ما يبدو هم أفضل من يتصدى للتهديد الآشوري الذي أخذ يقترب أكثر

فأكثر من مصر . كانت آشور من ناحيتها غارقة فى الاضطرابات الداخلية . فقد اطاح أحد ابناء فرع آخر داخل العائلة المالكة بشالمناصر الخامس واختار لقب "سرجون" ويعنى " الملك الشرعى" . واضطر سرجون الثانى إلى التصدى لتحالف آخر جمع عند حدوده الجنوبية بين عيلام وبابل ، وهما عدوان دام عداؤهما ثلاثة آلاف سنة من الكراهية المتبادلة التى كادت تتحول إلى صفة وراثية ثابتة ، ونجحا معا فى زعزعة النير الآشورى عام ٧٢٠ . ومن المؤكد أن هذه السنة كانت سيئة الطالع على "سرجون" الثانى : ففى هذه السنة حرض ملك حماة سكان دمشق على التمرد ، وثار " حنونا " ملك غزة بمساعدة فرقة عسكرية مصرية بقيادة الضابط " رايما " ، ولكن الآشوريين ظلوا سادة الموقف فضموا حماة إلى امبراطوريتهم بصفة نهائية واجتاحوا غزة ورفع وسلخ " حنونا " حيا .

وتدخلت " آشور " فى الأردن من جديد عام ٧١٦ ، واستطاعت الوصول إلى العرش فى هذه المرة بحيث لم يعد يفصلها عن حدود مصر الشرقية سوى " سيللا " . واختار أوسركون الرابع أن ينهج نهجا دبلوماسياً فقدم إلى سرجون الثانى هدية "اثنا عشر جوادا من خيرة جياد مصر التى لا يوجد مثيل لها فى أرجاء البلاد " .

وكان عام ٧١٦ أيضا عاما انتقالياً فى سياسة مصر الخارجية . فقد تسوفى "بى (عنخ) فى هذه السنة بعد حكم مديد دام احدى وثلاثين سنة ، ودفن فى "نپاتا" وبصحبه جوادان من جياد مصر المظهمة التى طالما جذبت انتباه " سرجون " الثانى . واعتلى أخوه "شباكا " عرش البلاد وقرر أن يباشر شخصيا شئون الحكم فى وادى النيل ، فوصل الى منف عام ٧١٥ أى فى السنة الثانية من حكمه ، وقام بترميم مقبرة العجل "أبيس" ، وأنهى حكم " باك إن رنف " وأمن سيطرته على الواحات والصحراء الغربية ، وربما أقام حاكماً أثيوبياً فى سايس وفرض هيمنته الكاملة على شئون الشمال . ووصلتنا شهادة مباشرة عن هذه الأوضاع من خلال رواية جديدة حول الشئون الأردنية . واستولى " إمعنى " على السلطة فى مدينة أشدود الفلسطينية الواقعة شمالى عسقلان وثار على آشور . فأرسل "سرجون " الثانى قواته لاستعادة المدينة . ونجح "إمعنى" فى الهروب ولجأ عند حلفائه المصريين ، أو هكذا كان يتصورهم على الأقل . وتروى المصادر الآشورية أن "فرعون مصر التى أصبحت تابعة لكوش " - قد سلم المتمرد " مكبلا فى السلاسل والأصفاد والأربطة الحديدية " . ومن المؤكد أن الفرعون المقصود هو شباكا الذى كان يسعى إلى تجنب المجازفة بالدخول فى مواجهة مع " سرجون " الثانى .

وإن ظل غير راضٍ عن سقوط آخر مدينة تشكل حاجزا بينهما . بل وربما توصل شباكا إلى إبرام اتفاق دبلوماسي مع " آشسور " . ولربما عقد معها معاهدة (Kitchen : 1986, 380) .

وسار " شباكا " على هدى الخط السياسي الذي استهله " پی (عنخ) ی " الساعى إلى العودة إلى القيم التقليدية . فلم يقف عند حد إختيار " نفر كارع " لقباً له عند التتويج ، بل أخذ بالفعل ينهل بصدق من مصادر لاهوت الدولة القديمة . فإلى عهده يرجع " تدوين " المسرحية " المنفية " أو " وثيقة لاهوت منف " . وهى نسخة نقشت على الحجر نقلا عن بردية " قرضتها الديدان " سبق أن اشرنا إليها . وهذا النص مع غيره من النصوص التى رأت النور خلال العصر الإثيوبى وعثر عليها فى معابد جبل البركل ومدينة كوة هو نموذج حى لعنق الفكر الذى تناوله بالبحث المثقفون الذين عاشوا فى خدمة هؤلاء الملوك ، فلم يترددوا فى العودة إلى عصر أوناس سعيًا وراء موضوعات زخرفية ينقشونها على سطوح جدران معابدهم على أمل الوصول إلى أسس حقيقية لسلطة النظام الذى ساندوه وآزره . وهنا أيضا نجد أن عمائر الخلود هى التى ظلت تحتفظ بآثار هذه السياسة . وقد عبر " شباكا " عن اهتمام نشط بالآلهة فى أتريب ومنف وأبيدوس ودندرة وإسنا وإدفو ، وكانت طيبة بالطبع فى قلب اهتمامه ، فشيد المنشآت على ضفتى النهر وهو ما لم يعهده الناس منذ زمن بعيد ، وأجرى التوسعات فى معبد الأسرة الثامنة عشرة فى مدينة هابو ، بينما شيدت أخته عابدة الإله "امنارديس " الأولى هيكلاً ومقبرة فى حرم المعبد . وكان له نشاط واسع فى الأقصر وفى الكرنك على وجه التحديد ، حيث أقام ما يعرف اصطلاحاً بكنز شباكا " الواقع بين الـ " آخ مينو " والسور الشمالى لحرم الـ " إيت سوت " (شكل ١٤٢) . ووسع مدخل معبد پتاح جنوبى سوره . وياشر أعماله أيضا على مقربة من المكان الذى أقيم فيه فيما بعد مبنى " طهرقا " عند البحيرة وفى حرم معبد مونتو . ولم يكتف العاهل الأثيوبى بنشاطه الإنشائى فى طيبة بل رد الاعتبار إلى منصب كبير كهنة " آمون " بعد أن طواه النسيان وعين ابنه " حور إم أخت " فى هذا المنصب الذى احتفظ بالسلطة الروحية فقط ، فى حين احتفظت عابدة الإلهة بالسلطة الدنيوية .

توفى " شباكا " عام ٧٠٢ بعد أن حكم البلاد خمس عشرة سنة . ودفن مثل أخيه فى " الكرو " ومع جياده أيضا . وهكذا انتقلت السلطة ثانية إلى ابنى " پی

التواريخ	مصر	يهودا	اسرائيل	فينيقيا	سوريا	آشور
٧١٤ - ٧١٦	بى (عنخ) ى	يوتام آخاز	منحيم فقق هوشع احتلال		رازين سقوط دمشق	تيجلات فيلاصر الثالث
٦٩٠ - ٦٩٠	تف نخت بكوريس شباكا	حزقيا	السامرة (٧٢٢)	لوللى	(٧٣٢)	شالمناصر الخامس سرجون الثانى سنجارىب
٦٦٤ - ٦٥٦	منسى طهرقا	منسى		عبدى ملكوتى		اسرحدون اشور بانيبال
	نكاوالأول پسمتك الأول تانوت آمون					
	نكاوالثانى	آمون يوشيا				
٦١٠ - ٥٩٥	پسمتك الثانى	يهو آخاز يهو ياقيم يهو ياكين	معركة قرقميش (٦٠٥)			آشور اتبيلانى شين شوم لبشير نبوخذ نصر الثانى
٥٨٩ - ٥٨٩	صدقيا	صدقيا	سقوط صدر			
٥٨٩ - ٥٧٠	إبريس (واح إب رع) أحس الثانى	سقوط اورشليم				
٥٧٠ - ٥٢٦	پسمتك الثالث	(٥٨٧)				اقيل ماردوك نرى حليصر نبو نيدوس سقوط بابل ٥٣٩

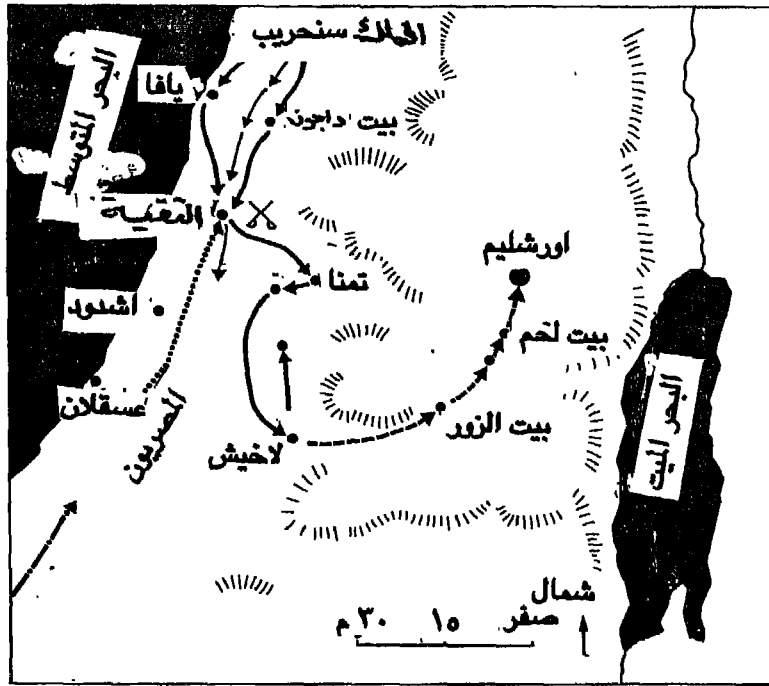
شكل (١٦١) - جدول مختصر لأهم القوى فى الشرق الأدنى
من الغزو الآثيوبي إلى نهاية العصر الصاوى

هابل	میدیا	فارس	عیلام	اورارتو	فیرچیا
نبو ناصر نبو موکن زیری ماردوک بالبیدن الثاني آشور نادینشوم	دیوس	.	حمباش تهره حمباش نیکاش الأول شوترک نهرتنه الثاني حالوتش ا نشوشیناک حمبان نیمیمیا حمبان حلتاش الأول اورتاکی تامپت حمبان انشوشیناک تاماریتو الأول حمباش حلتاش الثالث سقوط سوسة	شاردور الثاني روشا الأول ارجشتی روشا الثاني شادور الثالث	میداس جیجس أردیس سادیات الیات کریسوس
شماش شوموکن سیکاساریس	فراورتس سیکاساریس	تپس			
نابو پولاصر	استیاج	فورش الأول			

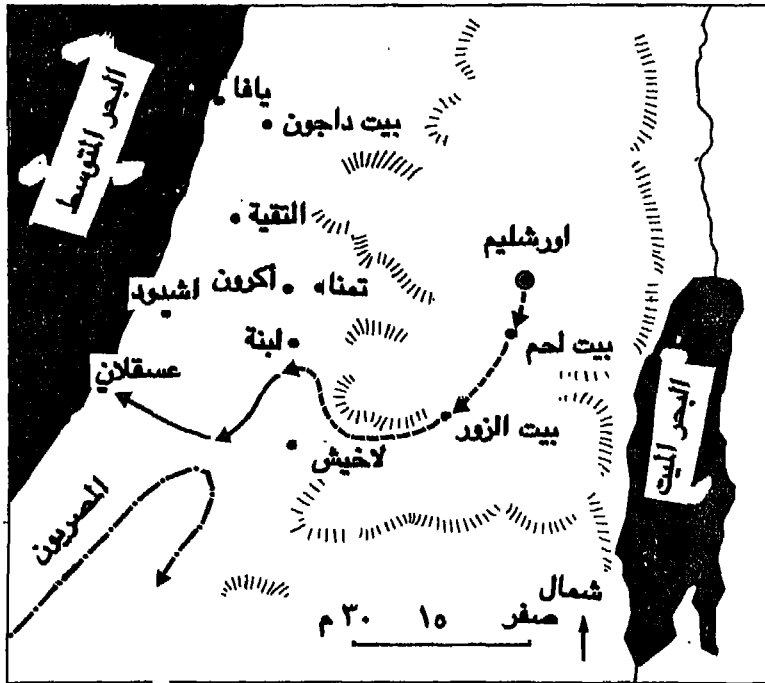
(عنخ)ى " : "شبتاكا" ثم طهرقا من بعده . فجلس " جدكاورع - شبتاكا " أولا على العرش بعد أن شارك شباكا الحكم مدة سنتين على ما يظن (Kitchen: 1986, 554 - 557) فيصبح مجموع مدة حكمه اثنتى عشرة سنة. وواصل الأعمال التى بدأها عمه فى منف والأقصر والكرك حيث شيد هيكلًا ، يوجد حاليا فى برلين كان مقاما إلى الجنوب الشرقى من البحيرة المقدسة . كما أدخل بعض التوسعات على هيكل " أوزيريس " " حقاچت " بصحبة زوجته عابدة الإله " امنارديس " الأولى . وفى عهده على ما يعتقد تبنت امنارديس الأولى ابنتهما " شين أويت " الثانية فى أعقاب وفاة " شين أويت " الأولى .

أما البرنامج السياسى الذى تبناه شبتاكا من خلال مجموعة ألقابه فيختلف عن برنامج عمه . فقد عاد إلى موضوعات الرعامسة الكبرى ، باسمه " النبتى " " ذو السلطة العظيمة فى انحاء البلاد " واسمه الحورس الذهبى : " ذو الساعد القوى عندما يضرب الأقواس التسعة " . إن العودة إلى قيم الإمبراطورية فى عصر الرعامسة هو أمر غريب فى حد ذاته . وربما كان تفسيره الوحيد هو التصميم على تأكيد السلطة الملكية فى داخل البلاد وفى خارجها على حد سواء. فقد تطورت الأوضاع فى سايس . إذتوفى "أميرس" الحاكم الذى عينه الأثيوبيون حوالى ٦٩٥ وخلفه "ستفناطيس" المعروف باسم " تف نخت " ، من ٦٩٥ الى ٦٨٨ . وقد حافظ على التقليد الذى وضعه " باك إن رنف " فاتحا الطريق أمام الأسرة الصاوية القادمة .

واختار شبتاكا خطا متشدداً فى سياسته الخارجية واتخذ مواقف أكثر عدوانية من مواقف أسلافه . فالتنازلات التى قدمها " شباكا " إلى " سرجون " الثانى ، إلى جانب ما ساد من أوضاع داخل فلسطين أفقدتها القدرة على التمرد ، وانشغال ملك " آشور" فى المعارك التى خاضها فى وسط زاجروس ضد اورارتو - كل ذلك ترك لمصر فسحة من الوقت دامت خمس عشرة سنة لتسترد فيها أنفاسها . وفى عام ٧٠٤ جلس " سنحريب" على عرش آشور خلفا " لسرجون " الثانى ، واغتتم ملوك فينقيا وفلسطين الفرصة لإعلان تمردهم . كانت صيدا بقيادة " لوللى " وعسقلان بقيادة صدقيا ومملكة يهوذا تحت حكم حزقيا ، واستجاب " شبتاكا " لطلب المساعدة الذى تقدم به حزقيا . فأرسل حملة عسكرية بقيادة أخيه " طهرقا " ، بينما كان " سنحريب " يزحف على عسقلان بعد أن طرد لوللى من صيدا .



١- انتصار القوات الآشورية في موقعه التقية والزحف على اورشليم .



٢- الهجوم المضاد وانسحاب المصريين .

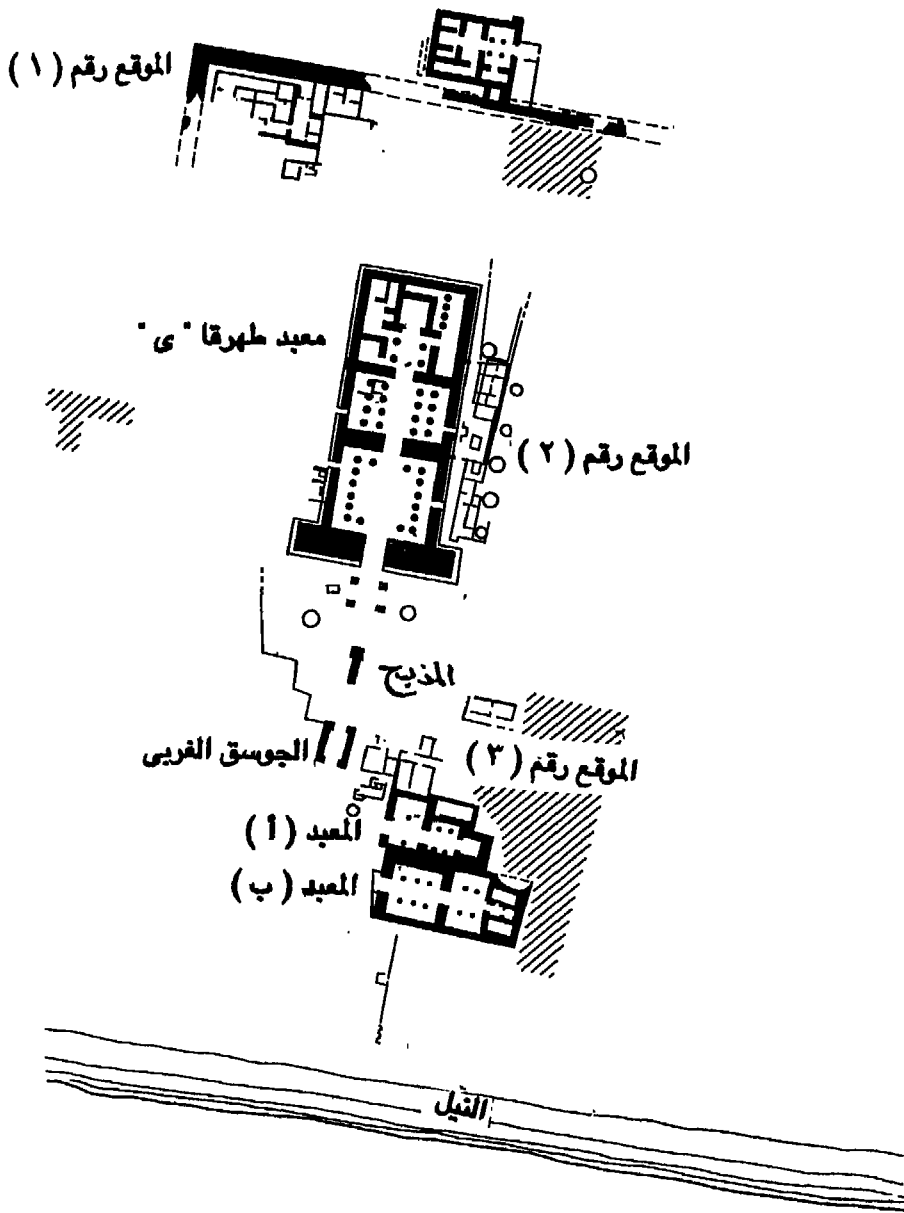
شكل (١٦٢) - تحركات قوات سنحريب عام ٧٠١ ق.م
(نقلًا عن Kitchen: 1986, 384)

وسقطت عسقلان وأرسل صدقيا أسيرا إلى آشور . وتقابل الحلفاء مع القوات الآشورية شمالى أشدود عند بلدة " التقيه " حيث هزموا ، فتحرك سنحريب صوب لاشخ وأرسل القسم الأكبر من قواته لضرب الحصار حول أورشليم . فاستسلم حزقيا حفاظا على المدينة . أما الصورة التى يقدمها "سنحريب" عن مصر فى الخطاب الذى وجهه إلى حزقيا طالبا استسلامه فهى حقاً بعيدة كل البعد عن لغة الإطراء والمديح ، ولكنها تعطينا على الأرجح فكرة واقعية عن قوة الحليف المصرى . يقول سنحريب :

" ما الاتكال الذى اتكلت . قلت إنما كلام الشفتين مشورة وبأس الحرب . والآن على من اتكلت حتى عصيت على . فالآن هو ذا قد اتكلت على عكاز هذه القصبة المرضوضة ، على مصر التى إذا توكأ أحد عليها دخلت فى كفه وثقبتها . هكذا هو فرعون ملك مصر لجميع المتكلمين عليه " (الملوك الثانى: الإصحاح ١٨ الآيات ١٩-٢١) .

وخلال هذه العمليات تحركت " القصبة المرضوضة " فى اتجاه لاشخ . فزحف الآشوريون على الفرق المصرية ، ففضل "طهرقا " الانسحاب إلى مصر وانسحب "سنحريب" بدوره دون أن يتمكن من الوصول إلى مصر ، وعاد أدراجه إلى بابل ليواجه مابها من مشاكل . وفى السنوات الأخيرة من حكمه انصب شغله الشاغل على المشكلة العيلامية مع تراجع المشكلة السورية الفلسطينية . واستشاط غضباً من الثورة المشتركة التى دبرتها عيلام ومملكة بابل عام ٦٨٩ ق .م فأغرق مدينة بابل فى مياه الفرات انتقاماً منها . وقرر أن يتجه باهتمامه إلى البحر المتوسط من جديد ولكنه اغتيل فى نينوى عام ٦٨١ . وانتزع "اسرحدون" السلطة من اخوته وقبل أن يعيد تشييد مدينة بابل . ولم تسأف العمليات الحربية بين الآشوريين والمصريين إلا عام ٦٧٧-٦٧٦ .

كان " طهرقا " قد تولى العرش فى أعقاب وفاة "شبتاكا " عام ٦٩٠ . وخلافا لما كان عليه سلفه لم يشارك هو فى الحكم قبل وفاته . ودام حكمه ستا وعشرين سنة بلغت مصر خلالها أزهى ماعرفته من ازدهار طوال العصر الإثيوبي . واحتفظت الحوليات التى دونت فى عصره بأخبار فيضان النيل الذى حدث فى العام السادس من حكمه ، وبلغ ارتفاعه مستوى خطيرا كاد ينقلب إلى كارثة لولا العناية الإلهية التى حولت الفيضان لفائدة العباد . واحتفالا بهذه المناسبة نصب المدونات المتماثلة فى قفط والمطاعنه وتانىس ومعبد كوة فى النوبة .



شكل (١٦٣) - خريطة عامة لموقع كوة
(نقلًا عن Macadam : 1949 P1 I)

" أيا آمون يابى ، يارب عرشى القطرين . لقد أنعمت على بأربع معجزات فى غضون سنة واحدة . وهو العام السادس من تتويجى ملكا (.....) عندما فاض النيل ليلبلغ مستوى يمكن أن يسبب انجراف المواشى وإغراق سائر البلاد (.....) ولكن ظلت المناطق الريفية جميلة على امتداد البصر . ولم يسمح لرياح الجنوب بأن تقضى عليها . وماتت القوارض والزواحف وطردت أسراب الجراد . وهكذا استطعت أن احصد حصادا وفيرا بكميات لا تقدر من أجل بيت الغلال المزدوج "

(Yoyotte & Leclant: BIFAO 51,1952,22-23)

وفى نفس العام نفذ بعض الأعمال فى معبد كوة وهو معبد نوبى آخر أسسه " أمنحوتب " الثالث فى الأسرة الثامنة عشرة قبالة " دنقلة " فى قلب بلاد كرما . وأهمل الموقع اعتبارا من حكم " رمسيس " السابع ولكن عاد إليه " شباكا " و" شيتاكا " . ثم بلغ أوج ازدهاره فى عهد " طهرقا " الذى انتهز هذه الفرصة على ما يبدو لتنفيذ عملية نقل مقنعة للمعارضين الشماليين الذين أضحو أكثر حدة منذ أن خلف " نى كاوبا " (نخبوسوس) سلفه " تف نخت " الثانى فى سايس . وبالفعل فقد نقل حرفيين من منف إلى معبد " آمون چم أتون " بعد ترميمه لإعادة تسجيل النقوش المأخوذة عن كبرى المعابد الجنازية فى الدولة القديمة وعلى رأسها معابد " ساحورع " و" نى أوسررع " و" بيبى " الثانى سعيًا وراء كل ماهو قديم ، وهى النزعة التى سادت هذا العصر كما أوضحنا من قبل .

وأقام فى نفس الموقع لوحا مؤرخا بالعام السادس أيضا تخليدا لذكرى إعادة بناء معبد كوة ثانى أكبر معابد ملوك نپاتا الذين اعتبروه من المواقع الأساسية لتثبيت سلطانهم . وأقام " طهرقا " العمائر فوق أرض معظم المواقع النوبية ، فشيد فى البدء معبداً جديداً (B 300) فى نپاتا ، وأضاف توسعات فى معبد " آمون رع " (B 500) . وفى " صنم أبو دوم " ، قرب نپاتا ، أقام معبداً يشبه فى تخطيطه معبد كوة . وله منشآت فى مروى وسمنة وقصر ابريم ويوهن بل وله نشاط إنشائى فى طيبة . فقد انجز بعض الأعمال فى مدينة هابو وفى الكرنك ، فى المقام الأول ، حيث أعاد بناء العديد من المنشآت . وقد أشرنا من قبل إلى بناء البحيرة المقدسة والمقصورة التى شيدها فى الفناء الأول . واستكمل الشكل الخارجى لمداخل المعبد فشيد صفوفًا من الأساطين شبيهة لتلك التى أقامها فى الفناء الأول وذلك أمام بوابة " مونتو " شمالا والبوابة الشرقية

وبوابة معبد "خنسو" . كما خصص بالاشتراك مع "شين أويت" الثانية هيكلًا "لأوزيريس" وأشرف على هذه الأعمال ابنه الأمير "مونتوامحات" ، "أمير المدينة" وكاهن "آمون" الرابع وكان شخصية جذابة ذات تأثير ساحر ، وقد عينه طهرقا هو وإخوته في أهم المناصب الكهنوتية . فاقسموا كافة السلطات في منطقة طيبة مع الأشراف المحليين الذين استمالهم الإثيوبيون وتصالخوا معهم .

وجاءت أحداث فلسطين لتطرح كافة المشاكل من جديد على بساط البحث . فقد ثارت صيدا على الآشوريين . وتدخل "أسرحدون" عام ٦٧٧/٦٧٦ واعتقل "عبدى ملكوتى" ملك صيدا وسبى السكان إلى "آشور" وحول المملكة إلى مقاطعة آشورية وأنشأ لها عاصمة جديدة أطلق عليها اسم "كاعرا أسرحدون" . واضطر ملك آشور إلى البقاء جنوب جبل طوروس في الفترة من ٦٧٦ إلى ٦٧٤ ، لمواجهة غزوات "الإسكيتيين" و"الكيماريين" ، وأتخذ جانب الحذر من الميديين ، ومن جيرانه الجنوبيين الذين حاولوا إزاحة النير الآشورى . ويعد أن توصل إلى توازن نسبي على جميع هذه الجبهات استطاع أن يتفرغ لمصر من جديد ، إذ كان يدرك أنها المحرض على المواقف العدائية التى تتبناها الموانئ الواقعة على الساحل بعد أن حرمتها السلطات الآشورية من منافذ التجارة مع مصر . وقام بمحاولة هجوم أولى على وادى العريش عام ٦٧٧ ليضمن حياد القبائل العربية المنتشرة عند البحر الميت . ووقعت المجابهة حوالى عام ٦٧٤ الموافق العام السابع عشر من حكم "طهرقا" ، عندما زحف ملك آشور على عسقلان الثائرة ولكن الآشوريين اضطروا إلى التقهقر أمام ضغط المصريين . وقبل أن تمر ثلاث سنوات ، وفى عام ٦٧١ بالتحديد ، اشتبك الطرفان من جديد ودارت الدائرة لصالح "أسرحدون" هذه المرة الذى هزم "طهرقا" واستولى على منف وأسر ولى العهد والعديد من أفراد البيت المالكي :

"ضربت الحصار حول مدينة "ممبى" المقر الملكى . واستوليت عليها قبل مرور نصف يوم بواسطة الأنفاق الأرضية والثغرات التى فتحت فى أسوار المدينة وسلام الاقتحام . ونقلت المغانم إلى آشور ، ومن بينها الملكة وحریم القصر و"أورشنا ناحورو" الوريث الرسمى وأبناءؤه الآخرون وممتلكاته والعديد من جياده ودواب الحمل والماشية والقطعان . وأبعدت جميع الكوشيين إلى خارج البلاد ولم أبق على واحد منهم ليقدم لى فروع الطاعة والولاء . وحل محلهم فى ربوع مصر ملوك وحكام وضباط ومراقبو موانئ وموظفون وإداريون جدد. .. (ANET,293)"

وانسحب طهرقا إلى الجنوب الذى ظل مسيطرا عليه على ما يبدو ، بينما قدم الآشوريون كل تعضيد لمنافسيه الشماليين وعلى رأسهم " الصاويون " من أهل مدينة "سايس" . وبعد رحيل الغزاة بدأ الإثيوبيون يثيرون القلاقل فى الشمال مما اضطر أسحردون إلى التدخل ثانية عام ٦٦٩ . ولكنه توفى وهو فى طريقه إلى مصر . وخلفه على عرش مملكة " نينوى " ابنه " آشور بانيبال " ، ومعنى اسمه " الإله آشور خلق الإبن " ، وعلى عرش مملكة بابل ابنه الثانى " شمش شوم أوكين " ومعنى اسمه " الإله شمس أقام سلالة شرعية " . ورغم التفاهم القائم بين المملكتين لم يقرر " آشور بانيبال " الزحف شخصياً على مصر فى ذلك الوقت على الأقل لاستكمال مابدأه أبوه بل فضل البقاء فى عاصمته وأرسل حملة عسكرية هزمت " طهرقا " عند منف وفر الفرعون إلى طيبة . واستقر رأى " اشور بانيبال " على ضرورة مطاردته ، فعزز قواته بفرق عسكرية من فينقيا وقبرص وسوريا بالإضافة إلى الوحدات التى أرسلتها ممالك الدلتا التى قررت أن تتعاون معه ضد الملك الكوشى . وتوغل الآشوريون فى أقاصى صعيد مصر دون أن ينجحوا فى إلقاء القبض على طهرقا الذى فر هارباً إلى مملكته القصية فى نپاتا . وسيطروا على الوجه القبلى ، ودان لهم الموظفون الإثيوبيون بالولاء من أمثال " مونتوامحات " . وامتد سلطانهم إلى أسوان على الأرجح .

واستحال على " الآشوريين " الإقامة فى بلد لا يستطيعون إدارته إدارة مباشرة بل يضطرون إلى الاعتماد على تعاون عملائهم من أبناء الوطن المحتل . فما إن عادوا أدراجهم إلى بلادهم حتى غير ملوك الشمال من موقفهم وبدأوا يفاوضون طهرقا . وجاء رد فعل " آشور بانيبال " حاسماً وفورياً ، فاعتقل وأعدم زعماء سايس ومنديس وپلوزيوم ، وسبى البعض الآخر إلى نينوى حيث كان ينتظرهم نفس المصير . ولم يُبقِ إلا على حياة واحد منهم وهو " نكاو " الأول ملك سايس الذى خلف " نكاو با " عام ٦٧٢ ، فثبته فى مملكته ، وأقام على رأس مملكة أتریب القديمة ابنه " پسمتك " - الذى سيعرف فيما بعد بإسم " پسمتك " الأول . وهكذا استولى الصاويون على الحكم بمساندة الغزاة المحتلين وبرضاهم .

نصل الآن إلى عام ٦٦٥ . وفى العام التالى توفى " طهرقا " فى نپاتا بعد أن أشرك معه فى الحكم خلال السنة الأخيرة ابن عمه " تانوت آمون " الذى قرر أن يسترد مصر بعد أن ثبت شرعيته على عرش نپاتا . وسرد وقائع إعادة فتح مصر على لوح أقامه

فى معبد جبل البركل على غرار مافعله فى الماضى جده " پى (عنخ) ي " الذى اعتبره نموذجاً يُحتذى به . ويكرر هذا النص رواية الحلم التنبؤى التقليدية التى أشرنا إليها من قبل عند الحديث عن تحوتس الرابع :

" وفى عام تتويج جلالته رأى فى المنام أثناء الليل حيتين ، واحدة عن يمينه والأخرى عن يساره . فاستيقظ جلالته ويحث عنهما دون جدوى . وتساءل جلالته : ماذا حدث ؟ فقدم له البعض هذا التفسير : إن جنوب البلاد فى قبضتك ، وبقي أن تفتح شمالها إنهما السيدتان اللتان ظهرتا فوق رأسك لتمسحك البلاد دون منازع . " (Stèle du Songe, 3 - 6) .

تحقق الحلم . وتوج " تانت آمون " فى نياتا باعتراف أمون وموافقته . وشن حملة هى صورة من حملة " پى (عنخ) ي " : فهبط إلى إلفنتين وقدام القرايين للإله خنوم . ثم اتجه إلى طيبة فقدم القرايين " لآمون - رع " . وسار فى النهر حتى وصل منف فاستولى عليها عنوةً وسحق " متمردي " الشمال ، وأقام الشعائر للآلهة " پتاح " و " پتاح سوكر " و " سخمت " . واحتفى بهذا النصر فى نياتا ، فأدخل مجموعة من أعمال التجميل على معبد جبل البركل . وقدام له الهبات (Stèle du Songe, 18 - 24) . ولم يواصل " هبوطه لشن حملته ضد زعماء الشمال " إلا فى وقت لاحق . وحقت حملته نجاحاً فوق نجاح بالنظر إلى مقتل " نكاو " الأول أثناء المعارك . وتوافد زعماء الدلتا يعلنون استسلامهم وأنابوا عنهم " باخرورى " أمير " پى سويد " (صفت الحنة) لتقديم فروض الولاء والطاعة :

" نهض قائد مسكن سويد الأمير " باخرورى " قائلاً : يمكن أن تقتل من تريد . وتبقى على حياة من تريد دون أن يشكك أحد فى عدالتك ! عندئذ رد الجميع فى صوت واحد : امنحنا الحياة ياسيد الحياة ، فلا حياة بدونك . سنخضع لك صاغرين وكما قررت منذ اليوم الأول ، يوم توجت ملكاً . " (Stèle du Songe 36 - 38) .

وكان نصر " تانت آمون " قصير الأجل . فمرة أخرى ، أرسل " آشور بانيبال " جيوشه إلى مصر عام ٦٦٤ / ٦٦٣ وأعاد الاستيلاء على منف . وأضطر " تانت آمون " فى وجه مطاردة الآشوريين وملاحقتهم له إلى الانسحاب إلى طيبة ثم إلى نياتا بعد أن اجتاحت الآشوريون عاصمة " آمون " . عندئذ حدث مايفوق كل تصور ومابدا مستحيلاً بعد انقضاء أكثر من خمسة عشر قرناً دون هجمات أجنبية على المدينة : سلب الغزاه طيبة

ونهبوها وأشعلوا النار فيها وعاثوا فيها فساداً ، وسطوا على الكنوز التى تراكمت فى المعابد على امتداد قرون طويلة بدافع من الورع والتقوى . وجاء سلب ونهب طيبة ليضع حداً للسيطرة الإثيوبية التى أضحت سيطرة نظرية فحسب . فمنذ الغزوة الآشورية السابقة كان من الواضح أن " مونتو إمحات " و " شين أويت " يحكمان منطقة طيبة لحسابهما الخاص . وأن شعورهما بالتضامن مع نياتا كان ضعيفاً للغاية . كما كان نهب طيبة وسلبها نذيراً بانتهااء عالم بأسره ، فقد انهارت أسطورة حرمة معابد فرعون تحت ضربات معاول " عالم شرقى " همجى شرع يبتث الرعب والخوف فى قلوب سائر الشعوب الساكنة فى المنطقة الممتدة من آسيا الصغرى حتى ضفاف نهر النيل .

وبقى الموقف دون حسم منذ سلب طيبة ونهبها وحتى نهاية حكم " تانت آمون " ، أى من عام ٦٦٤ وحتى عام ٦٥٦ ، وظل انعكاساً للفوضى السياسية ، والتى كانت مختفية وراء السلطة الإثيوبية الوهمية التى تمحورت فى واقع أمرها حول مراكز ثلاثة فى نياتا وطيبة ومنف . وانسحب " تانت آمون " إلى نياتا حيث لايتحدى أحد سلطاته . ولم يتجاسر الآشوريون على المخاطرة بالتقدم إلى الجنوب من أسوان فى مناطق يجهلونهم أكثر مما يجهلون أرض مصر بلغتها وتقاليدها الغربية عليهم . ولم يخلف " تانت آمون " أثراً يذكر فى النوبة ، ولكن ظلت تواريخ الوثائق الرسمية ووثائق الأفراد تؤرخ بسنوات حكمه . وبقيت السلطة فى طيبة ذاتها بين يدي " مونتو إمحات " الذى بسط سلطانه حتى أسوان جنوباً وهرموبوليس شمالاً التى حكمها شخص يدعى " نمرود " وهو من أحفاد " نمرود " الذى كان قد ثبتته " بى (عنخ) " فى سلطانه . وعلى كل حال فقد استعاد الآشوريون التقسيمات السياسية السابقة على الغزو الإثيوبى واكتفوا أحياناً بتغيير الحكومات القائمة ، وهو ما فعلوه فى هيراكليوبوليس حيث تعترف المصادر الآشورية بوجود ملك آخر خلاف " بادى إيزيس " وهو من أحفاد " پف تاو عاوى باستت " الشرعيين .

وتصدرت سايس ممالك الدلتا ، وكانت تشمل الأملاك التى ضمتها المملكة فى عهد " تف نخت " وأضيفت إليها مملكة أتريب التى أسندها آشوربانيبال إلى من سيدعى فيما بعد " پسمتك " الأول فى أعقاب الثورة التى أندلعت فى عام ٦٦٦ - ٦٦٥ . وظلت دوائر الاستيطان اللببية القديمة فى أيدى أحفاد أعداء " بى (عنخ) " القدامى من " سبنيتوس " إلى " بى سويد " . واستمرت مملكة تانيس فى الوجود تحت زعامة " پدى باست " الثانى الذى صار فيما بعد شخصية أسطورية ، والذى كان على الأرجح من بين

الملوك الذين أعدهم " آشوريا نبيل " ، وأصبح فى العصر اليونانى الرومانى بطل مجموعة ملحمة تضم " قصائد پدى باست الملحمة " - وقد وصل منها العديد من البرديات الديموطيقية . وتضم هذه المجموعة خليطاً غريباً لعدد من الفنون الأدبية . ينتظم حول موضوع شبيه بالإلياذة - موضوع خوض المعارك من أجل استرجاع رفات البطل ، او استعراض بعض الأحداث التاريخية من عصر الفوضى الليبية والاحتلال الفارسى . ونستشف منها بوضوح تام شخصية كل من لعب دوراً فى الأحداث وأضفى عليها طابعها الأسطورى ، ويمتزج كل ذلك بالموضوعات التقليدية المنقولة عن القصة الإغريقية .

ويظهر " إيناروس " فى بداية المجموعة الملحمة . إنه البطل الأسطورى للمقاومة ضد سيطرة " أرتاكسركسس " الأول . وقد استطاع أن يقتل " الستراپا " - حاكم الإقليم - " أخايمينس " قبل إعدامه عام ٤٥٤ ق . م . وتصوره القصة الأولى وهو يخوض المعارك ضد طائر العنقاء الخرافى القادم من البحر الأحمر . وتسرد القصة الثانية صراعه ضد ابن " پدى باست " وكبير كهنة آمون لامتلاك حق الاستفادة من أملاك آمون .

أما القصة الثالثة فهى أقربها جميعاً إلى الصراعات السياسية فى أواخر العصر الإثيوبى . يموت " إيناروس " . أما ابنه " بيمو " الذى هو من هليوبوليس فيتصدى لخصم من مدينة منديس للاستحواذ على درع والده . وتقع هذه المعركة فى ظل حكم " پدى باست " وتصور كبار شخصيات هذا العصر من أمثال " باخورى " من " پى - سويد " . وتنتهى هذه المجموعة بقصص أخرى أشهرها القصة التى تروى الصراع الذى خاضه " پادى خنسو " أحد أبناء " إيناروس " ضد ملكة أهل الأمازون فى آشور والذى انتهى إلى عقد تحالف بينهما للاستيلاء على بلاد الهند قبل أن يعود إلى مصر

پسمتك الأول و " تجديد الولادة " فى العصر الناصى

عند وفاة " نكاو " الأول اعترف الآشوريون بـ " پسمتك " الأول ، بصفته الملك الوحيد المتربع على عرش مصر وعهدوا إليه بإدارة البلاد شريطة أن يحول دون حدوث أى ثورة داخلية . ولم تكن مهمته سهلة يسيرة . فقد استطاع أن يسيطر على غرب الدلتا بأكمله وعلى مملكتى أتريب وهليوبوليس . إلا أن دائرتين فقط من دوائر زعامات الـ " ما " القديمة الواقعة فى شرق الدلتا اعترفتا بحكمه الذى تحددت بدايته بعام ٦٦٤ . وهاتان الدائرتان هما " سبنيتوس " و " بوزيريس " ، وقد عجزتا عن الصمود طويلاً بالنظر

إلى شدة التصاقهما بمملكته . ولم تتم السيطرة التامة " لبسمتلك " الأول على ملوك الشمال قبل حلول عام ٦٥٧ الموافق العام الثامن من حكمه ، وكان قد ضم إلى جانبه "سمتاوى تف نخت" أمير هيراكليوبوليس الذى خلفه " بادى إيزيس " فى العام الرابع . وكانت هذه المساندة عظيمة الفائدة إذ وفرت للملك سايس الإشراف على طرق التجارة النهرية عبر وادى النيل ومرور تجارة القوافل مع واحات الصحراء الغربية ومع النوبة وليبيا . كما ساعده " سمتاوى تف نخت " على السيطرة بلا عناء على منطقة طيبة . وأبحر "سمتاوى" فى مارس ٦٥٦ فى صحبة الأميرة "نيت إقرت" التى أنجبها بسممتلك الأول من "محيت إم أوسخت" إبنة كاهن هليوبوليس الأكبر . يحيط بها أسطول قوى . وطلب " بسممتلك " من عابدتى الإله "شبن أوت" الثانية و " أمنارديس" الثانية أن تتبنيا " نيت إقرت" وتحبسا عليها حق الإفادة من بعض أملاك مصر العليا ، فكان ذلك اعترافاً منهما بسيطرة الشمال من الناحية القانونية . أما " مونتوامحات" فقد اعترف بتبعية "لبسمتلك" الأول ، وكان لايشغل سوى منصب كاهن " آمون " الرابع ولكنه كان يقبض على أقوى السلطات فى طيبة . وهكذا زال تماماً احتلال الإثيوبيين للبلاد بعد أن عجزوا عن التصدى للغزاة الآشوريين . ومن المفارقات الغربية حقاً أن "بسممتلك" الأول الذى كان يدين بعرشه للآشوريين وتعتمد قوته على المرتزقة الإغريق الذين اختارهم ليصبحوا صفوة قواته اشتهر كبطل قومى وموحد البلاد .

وإذا كانت الاحتفالات المهيبة التى نظمتها طيبة لتصاحب مراسم تبني "نيت إقرت" قد رسخت توحيد البلاد ، فلايعنى ذلك بالضرورة أن " بسممتلك " الأول قد سحق كل مقاومة لسلطته . فقد رفض بعض صغار الملوك وأمرء الدلتا الاعتراف بالسلطة الجديدة . واختاروا السير فى الطريق الذى يعرفه جيداً المنشقون المعارضون من أهل الشمال منذ عصر الدولة الوسطى وهو طريق ليبيا . وجمع " بسممتلك " الأول جيشاً عن طريق تجنيد أفراد من بين سكان الأقاليم الموحدة ، وهو حدث بارز يستحق التسجيل وزحف بجيشه غرباً . وتحفظ الصوى التى أقيمت على امتداد طريق دهشور بذكرى حملته المظفرة التى فى أعقابها وضع الفرعون الجديد الحاميات عند الحدود الغربية والشرقية وفى الجنوب أيضاً عند إلفنتين التى أصبحت خط الحدود الفاصل بين مصر ومملكة نپاتا . كانت العناصر المكونة لهذه الحاميات تجمعها سمة مشتركة مع الركيزة التى قامت عليها سلطته ، وتتفق فى الوقت نفسه مع تطور العلاقات الدولية فى عالم البحر المتوسط الزاحز بتحركات شعوب المنطقة . فكانت قوات هذه الحاميات تضم المرتزقة التقليديين من نوبيين وليبيين ،

ثم أضيف إليهم الإغريق والكاريون الذين أخذوا يعرضون مهاراتهم العسكرية فى سوق الشرق الأدنى الذى تمزقه الحروب الداخلية والذى يزخر بالفرص التى لاتعوض ، وبكل من قذقت بهم الفتوحات الآشورية إلى عرض الطريق من فينقيين وسوريين ، بل واليهود الذين أسسوا فى إلفنتين مستعمرة ذات شأن . ولكن ضباط " ألما " المحيطين بالملك ظلوا يحتلون المناصب القيادية . وبالاتماد على هذه القوات الجديدة أمكن إزاحة القوات القديمة ذات الأصول الليبية التى لاهم لها سوى اقتسام السلطة . كما استطاع " پسمتك " أن يحطّ من شأن دوائر الشمال الليبية بفتحه الباب أمام إنشاء مستعمرات للإغريق والكاريين الذين كانوا خير معين له فى بسط نفوذه على مصر .

وهكذا انفتحت مصر على العالم الخارجى ، وظل هذا الانفتاح فى تزايد مستمر طوال مدة حكمه المديد الذى دام أربعاً وخمسين سنة . ووصل التجار فى أعقاب العسكريين ، وقامت العلاقات الدبلوماسية بين مصر واليونان على أسس إقتصادية راسخة فصدرت مصر الغلال وورق البردى إلخ ... ودخلت إليها فى المقابل أولى الوكالات التجارية مع قدوم المليتيين الذين استقروا عند مصب الفرع البولييتسى للنيل . وأخذ نجم جماعة " التراجمة " المصريين فى الصعود ، وهم الذين كانوا يصطحبون المثقفين الإغريق عند زيارتهم كبرى معابد مصر وفى مقدمتها معابد الدلتا ومعبد إلالهة " نيت " فى سايس على وجه الخصوص . ويزودونهم ببعض المعلومات الأولية المشوهة ، بدرجة أو أخرى ، والتى اعتمد عليها هؤلاء المثقفون عند إعادة كتابته التاريخ شبه الأسطورى لحضارة مصر الضاربة بجذورها فى الماضى السحيق والتى شدتهم بما لها من سحر أخاذ ... وبالتدريج دخلت مصر شبكة المبادلات التى ربطت آسيا الصغرى بجزر بحر إيجه - والتى كان من الصعوبة بمكان أن تظل بمنأى عنها على كل حال .

انفتحت مصر على المؤثرات الخارجية فى مجال الفن والتكنولوجيا ، دون أن تتخلى مع ذلك عن قيمها القومية . بل على العكس من ذلك ، فقد سار " پسمتك " الأول قدماً فى الطريق الذى بدأه الاثيوبيون بتأكيدهم الشكل " القومى " لنزعة العودة إلى ينباع الدولة القديمة والدولة الوسطى ، إبرازاً للتصميم الرافض للاحتلال الآشورى وتزايد وجود العناصر الأجنبية التى لم تعش دائماً فى صفاء وودّ مع المصريين خلال العصر الصاوى . واتخذ موقفاً متشدداً فى المسائل الدينية سعيّاً منه بإلحاح وإصرار إلى العودة دائماً إلى صفاء الأصول الأولى ونقاها ، أو على أقل تقدير تلك التى سبقت تغلغل المؤثرات

الآسيوية ، وهو ما يمكن أن نستخلصه من النواهي والمحظورات التى ظهرت فى ظل حكمه ضد الشعائر غير المصرية ، كانت عبادة " ست " من بين هذه الشعائر المحظورة فلم يعد هذا الإله ، كما كان من قبل ، حامى حمى ملوك الأسرة التاسعة عشرة الفاتحين ، بل أصبح إله الهكسوس فحسب . وصحبت هذه النواهي طقوس متمزمة نجد لها صدى فى الكتاب المقدس (سفر التكوين ٤٢ : ٣٢) .

وفى العصرين الصاوى والفارسى لقيت شعائر الأقانيم الحيوانية رواجاً وانتشاراً . وتوسع " پسمتك " الأول فى سرايوم منف ، فى العام الثانى والخمسين من حكمه . ومن المعتقد أن هذه الجبانة التى خصصت للعجل أبيس الذى يعتبر تجسيدا لـ " رع " قد أنشأها " أمنحوتب " الثالث ، ومع ذلك تحيط الشكوك باسم منشئ هذه الجبانة . وكل ما فى الأمر هو أن المنقبين لم يعثروا على دفنات سابقة على عهد أمنحوتب الثالث . ولكن المؤكد أن سراديب سقارة وأنفاقها لم تكشف النقاب عن كل أسرارها . وهو ما يؤكد اكتشاف " السراديب الصغرى " التى نحتها الأمير " خع إم واست " فى عهد " رمسيس " الثانى ... وعندما نفذ " پسمتك " الأول توسعاته فى هذه الجبانة أضاف ما يعرف اصطلاحاً " بالسراديب الكبرى " لتصبح واحدة من أعظم منشآت مصر وأجلها شأناً .

وفى هذه السراديب دفن كل عجل فى حجرة مستقلة نصل إليها عبر سرداب يبلغ عرضه ثلاثة أمتار وارتفاعه خمسة أمتار ونصف المتر ويصل طوله إلى ٣٥٠ متراً . والحجرات منحوتة فى الصخر ، وتنخفض أرضيتها عن مستوى أرضية السرداب ، ويصل ارتفاع الحجرة إلى ثمانية أمتار فيما بين مستوى أرضيتها وسقفها ويتوسطها تابوت ضخم بسعة العجل المتوفى وقد صنع من حجر السيانيت ويزن الواحد منها فى المتوسط ستون طناً . وبعد إتمام مراسم الدفن يسد مدخل الحجرة ويوضع عليها الأختام ، ويقام لوح يسجل عليه بعض البيانات الخاصة بالإله قبل وفاته . ولم تكن شعائر العجل أبيس هى المثال الوحيد على عبادة الحيوانات ، فاكشاف جبانات القطط وطائر الإيبس (أبى منجل المقدس) المجاورة يشهد على انتشار هذا التيار الدينى فى العصر المتأخر .

توفر لنا عبادة العجل أبيس شهادة عظيمة الشأن حول تطور الديانة المصرية التى أدهشت الرحالة الإغريق المعاصرين ، كما تقدم العناصر اللازمة لتحديد تسلسل زمنى دقيق . كان العجل أبيس أقنوماً إلهياً له ألقابه الخاصة الموازية لألقاب الفرعون الجالس على عرش البلاد . وتسجل الألواح الحجرية التى أشرنا إليها جدولاً زمنياً لتاريخ تتويج و وفاة العجل أبيس وما يناظرها من تواريخ فى حياة الفرعون الحاكم لفترة بعينها . وهكذا

أمكن التحقق من صحة مدد حكم الملوك وترديد سير الأشخاص سواء أخذت بتاريخ العجل أبيس أو بتاريخ الفرعون - بنقاط انطلاق لتحديد أهم التواريخ . وحفظ لنا الزمن جبانة العجل أبيس وحدها من الفناء . وزالت من الوجود المنشآت المخصصة لممارسة الشعائر التي كانت تحتل مساحة شاسعة فوق السرايب وقد دفن في وسطها الأمير " خع إم واست". كما زالت أيضا منشآت جبانة أنوبيس وجبانة طائر أبي منجل المقدس . إن مصدر معلوماتنا الوحيد هي الوثائق المعاصرة التي ترسم لنا صورة عن أهمية الكهنة الذين تفرغوا لإقامة الشعائر وضخامة الثروات التي امتلكوها .

وفي ظل التأثير الواضح للصاويين لم تعد النبرة العليا لطيبة في الفن واللاهوت هي السائدة في المجتمع ، بل سادت التقاليد المنفية بعد العودة إليها وإحيائها . وتمخض عن هذا التأثير تجديد لقيم ضربت جذورها في القدم وبلغت أوجها في مقابر بعض



شكل (١٦٤) - "مونثوإمحات" . أمير "المدينة" .

جرانيت رمادي. الارتفاع ١٣٥سم نهاية الأسرة ٢٥. القاهرة : المتحف المصري

أعيان المجتمع مثل " إبي " (TT 36) الرئيس الأول لخدم عابدة الإله " نيت إقرت " .
كما نلمس هذا التغيير فى الأدب ، بما حدث من تنظيم لنمط المسرد الملكى على غرار
الأسلوب الغالب على " لوح النصر " لـ " بي (عنخ) ي " والإبقاء على اللغة



شكل (١٦٥) - رأس تمثال لطهرقا
من حجر الجرانيت الارتفاع ٣٥سم القاهرة: المتحف المصرى

الكلاسيكية فى النصوص الرسمية . أما الديموطيقية التى شاعت كخط شعبى وحلت محل الهيراطيقية " غير النظامية " فقد انحسر استخدامها فى مصر العليا واقتصرت على الكتابات غير الأدبية . ولن تُقبل الديموطيقية رسمياً كلغة أدب إلا مع حلول العصر الفارسى وتطور المضمون اللغوى للخط الديموطيقى .

إن إشاعة النظام فى المجالين السياسى والاقتصادى فى ربوع البلاد هو أيضاً نتيجة غير مباشرة لإعادة تنظيم الجهاز الإدارى . وفى سنوات حكم " پسمتك " الأولى فإنه لم يتدخل من الناحية العملية فى شئون حكومة الوجه القبلى وإنما لجأ بالتدريج إلى تدابير تكفل له تعيين موظفين ترتبط مصالحهم مع سايس ، مثل " إبى " الذى عينته " نيت إقرت " رئيساً للخدم ، أى مديراً على أملاكها فى طيبة ، وكذلك من خلفوه فى منصبه ،

والحاكم الجديد لإدفو والكاب ، إذ كانوا جميعاً من أهل الشمال . وأبقى الملوك الصاويون على العائلات الإقطاعية العريقة كعائلات هيراكليوبوليس التى ظلت فى مكانها إلى العصر الإغريقى واعتمدوا عليها فى الحفاظ على النظام العام . وأبقى " پسمتك " الأول المقر الملكى وجبانة البيت المالك فى مدينة سايس ، إلا أنه نقل العاصمة إلى منف فاستردت بذلك دورها كمركز سياسى وإدارى . ولن ننسى أنها احتفظت إلى حد ما على مر الزمان بمركز الصدارة فى شئون اللاهوت .

والعصر الصاوى هو دون جدال عصر ازدهار ورخاء . ونلمس ذلك فى مدى ثراء المقابر التى شيدها الأشراف فى طيبة أو فى جبانات منف القديمة . وظلت مصر فى نظر بلدان البحر المتوسط الدولة القوية التى يُعتد بها ، إلا أنها لم تعتمد فى قوتها وازدهارها على مواردها الخاصة بقدر ما استغلت أفول نجم آشور لإثبات وجودها بين بلدان الشرق الأدنى لحين ظهور قوة جديدة تبدد ما استردته من طموحات . وفى أعقاب عودة قوات آشوربانيبال إلى بلادها بعد أن استسلمت لها مصر ، واجهت تلك القوات المشكلات الخطيرة التى تراكت على مرّ السنين . فالعيلاميون والمانيون يهددون الحدود الشرقية ، أما الحدود الشمالية فقد هدهدا الكيماريون الذين دارت بينهم وبين " چيچس " ، ملك ليديا وحليف " پسمتك " الأول ، معركة يائسة . أنتهز " پسمتك " الأول الصدام الذى وقع عام ٦٥٣ بين عيلام وآشور لإزاحة نير آشوربانيبال وطردها من الحاميات الآشورية إلى أشدود فى فلسطين . وتحمل آشوربانيبال عواقب سياسة " أسرحدون " فى وراثة العرش ،

فاستولى الملك " تى أمّان " على عرش سوسة بعد طرد ورثة العرش واختزنهم الآشوريون عندما لجأوا إليهم . وهاجم " تى أمّان " " أكد " ، ولكن آشوربانيبال هزمه وسلم ممتلكاته إلى الأمراء المنفيين الذين كانوا قد تخلّوا عن " آشوربانيبال " وخانوه لصالح أخيه " شمش شوم أوكين " الذى كان مازال غير راض عن تقسيم المملكة بينه وبين آشوربانيبال ، كما أعلنه أسرحدون فى الماضى . وقد وقف جانب كبير من السوريين والعرب إلى جانب "شمش شوم أوكين " وحاصر " آشوربانيبال " أخاه فى بابل ووزع قواته على جبهتين : الجبهة الأولى فى عيلام حيث استغل الانقسامات بين الأمراء الذين عجزوا عن اقتسام سلطة والدهم فيما بينهم . وواجه على الجبهة الثانية ثورات المناطق الغربية الكامنة بدرجة أو بأخرى . وأثمر هذا المخطط وأتى أكله . فقد لقي " شمش شوم أوكين " ، حتفه فى الحريق الذى شب فى بابل عام ٦٤٨ ، وبعد سنتين سقطت مدينة سوسة . وبلغ "آشوربانيبال " أوج مجده بعد أن هزم الأنباط وأسترق سكان فينقيا . ومع ذلك فما كاد يمر جيل واحد حتى كانت نينوى تحترق . لم يبق من هذه الإمبراطورية التى كانت أضعف مما أظهرت من قوة سوى أثر بعد عين ، واستردت مصر استقلالها . وبعد أن حرم الإغريق فينقيا من تجارتها خسرت مركزها العريق كمنفذ على البحر المتوسط لأعظم الثروات . وصار الأنباط هم أيضاً لا أمان لهم إلى حد كبير شأنهم شأن الصحراء التى يعيشون فيها ، وأصبحت عيلام بعد احتلالها لافائدة ترجى منها . ولهذا السبب سعد قورش الأول عند سماعه نبأ سقوط سوسة . وظلت الرغبة فى الإنتقام تراود بابل ، وخلف جبال زاجروس وقف الإسكيتيون والميديون ينتظرون أول علامة ضعف صادرة عن نينوى لينقضوا عليها .

وجاءت وفاة " آشور بانيبال " عام ٦٢٧ إيذاناً ببدء تصدع الإمبراطورية الآشورية مع استمرار صراع أبنائه على السلطة حتى عام ٦١٢ . فاستغل " نابوبولاصر " ملك الكلدان هذه الصراعات الداخلية التى أنهكت آشور ليستولى على الوركاء (أوروك) عام ٦٢٦ ، ثم سيطر على بابل ، وأعلن نفسه ملكاً على مملكة بابل التى أحكم السيطرة عليها عام ٦١٦ . وأثناء ذلك ، وفيما بين عامى ٦٢٩ و ٦٢٧ ، انقض الإسكيتيون على آشور وزحفوا على آسيا الصغرى حتى وصلوا إلى فلسطين حيث أوقف پسمتك الأول زحفهم قرب أشدود إذا صحت رواية هيرودوت . ومن المحتمل أن الأمر لم يتعد تسلل بعض الوحدات المتقدمة وأنه لم يكن غزواً بكل معنى الكلمة . ومع ذلك فقد أدرك پسمتك الأول الخطر الجسيم الذى يمكن أن يتهدده إذا ما انهارت آشور تماماً تحت تهديد

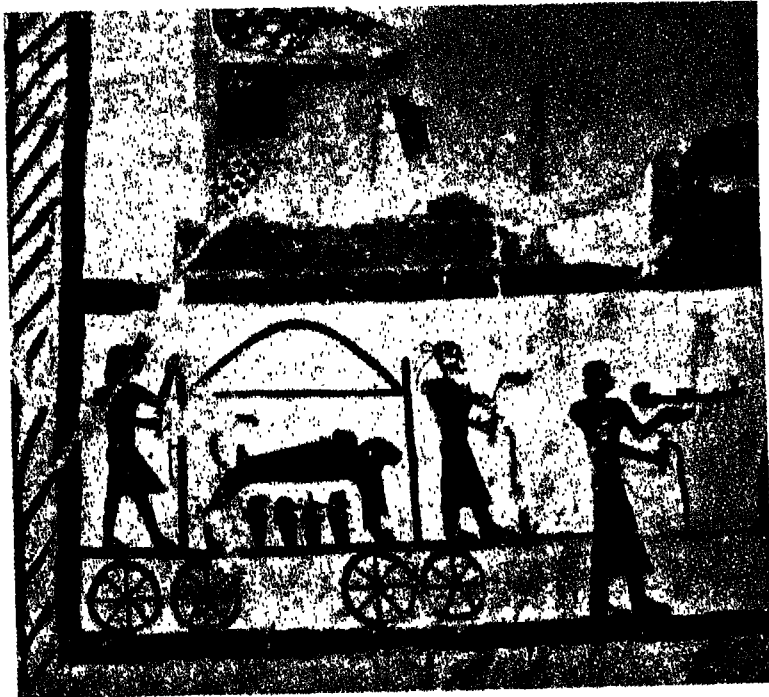
الكلدانيين والميديين سواء بسواء ومن ثم قرر أن يتدخل إلى جانب " نابوپولاصر " للمرة الأولى عام ٦١٦. ولم تحل المساعدة التي قدمتها مصر دون هزيمة الآشوريين التي حدثت على فترتين ، وبدأ " سيكاساريس " يوحد قبائل الإسكيتيين والفرس عام ٦٢٥ ثم اندفع يغزو مملكة آشور فاخترقها عام ٦١٥. وحاول في العام التالي احتلال نينوى دون جدوى ، ولكنه نجح في الاستيلاء على مدينة آشور . ولحق به " نابوپولاصر " لاقتسام المغنم ، واتفق الملكان على حساب المهزوم . وبعد أن زادت قوتهما من جراء هذا التحالف الجديد عاذا عام ٦١٢ ليضربا حول نينوى حصاراً دام ثلاثة شهور . وتم الاستيلاء على المدينة وتدميرها وقتل ولي العهد . وتمكن أحد الضباط من الفرار فاستولى على السلطة وتلقب باسم " آشور أوباليت " الثاني ، ولجأ إلى الحدود القصية في غرب المملكة ، في حران قرب الحدود السورية التركية الحالية ، حيث لحقت به قوات مصر لمساندته .

الشرق الأدنى والبحر المتوسط .

وهكذا نصل إلى عام ٦١٠ قبل الميلاد . مات " پسمتك " الأول تاركاً لابنه " نكاو الثاني " مهمة استكمال مبادئه من أعمال . وحافظ " نكاو " الثاني على التزامات مصر تجاه ماتبقى من مملكة آشور الشرعية . واستولى أهل منيديا وأهل بابل على حران . ونجح المصريون في العام التالي في عبور الفرات مرة أخرى بعد أن كانوا قد تحصنوا خلفه ، ولكنهم فشلوا في الاستيلاء على حران ، وظلت هذه المدينة في أيدي الميديين الذين بدأوا يخططون لتحويلها إلى قاعدة لفتوحات جديدة غرباً . واستفاد " نكاو " الثاني من الفراغ الذي خلفه اختفاء الآشوريين في سوريا وفلسطين ، فاستغل الفرصة التي أتاحتها حملة ٦٠٩ / ٦٠٨ على حران للاستيلاء على فلسطين والحق الهزيمة ببوشيا الذي حاول قطع طريق مجدو أمامه ، وتدخل في شئون مملكة إسرائيل وعزل " يهو آخاز " الذي تربع على العرش بعد وفاة والده " يوشيا " واختار بدلاً منه ابنه " إلياقيم " الذي صار لقبه " يهو أقيم " بعد أن تولى العرش (ملوك الثاني ٢٣ : ٢٩ - ٣٥) . ودفعت أورشليم الجزية لمصر واحتفظ " نكاو " الثاني بحق الإشراف على سوريا حتى قرقيش على الأقل لمدة أربع سنوات . وهو الوقت الذي كان يلزم للكلدان لإعادة تنظيم صفوفهم حيث ظلوا هم والميديون سادة الموقف بعد سقوط نينوى . واكتفى الميديون بمرتفعات عيلام كغنيمة حرب وتركوا منطقتي " سوسيانا " ومملكة آشور لأهل بابل . لم يستقر "

نابوبولا صر " فى آشور بعد اجتياحها وتخريبها ، وكرس السنوات الأخيرة من حكمه لإعادة تشكيل قواته . ومن ناحية أخرى أوفد ابنه " نبوخذ نصر " لاستعادة السيطرة على سوريا حيث لم يتوصل " نكاو " الثانى إلى نصر حاسم يسمح له بالسيطرة الكاملة على شتونها وإن حقق بعض النجاحات عندما أجبر الكلدانيين على التحصن شرق نهر الفرات ويسط نفوذه حتى صيدا . ومع ذلك ظلت السيطرة المصرية على سوريا هشة حيث اعتمدت على أحلاف عقدت قسراً كالحلف الذى فرض على أورشليم فرضاً . واستولى " نبوخذنصر " على قرقيش فى ربيع ٦٠٥ حيث أمضت القوات المصرية فصل الشتاء ، وطارد القوات الفارة حتى حماة حيث سحقها وأبادها .

واستغل المصريون وفاة " نابوبولا صر " لالتقاط الأنفاس . فقد أضر " نبوخذ نصر " أن يعود إلى مدينة بابل لتأمين سلطته ، وارتقى عرش بلاده فى سبتمبر من عام ٦٠٥ . ثم عاد فى العام التالى لتحصيل الجزية التى دفعتها دمشق وصور وصيدا وأورشليم على مريض . وثار ملك عسقلان وظل يستغيث دون جدوى بفرعون مصر الذى استطاع بعد



شكل (١٦٦) - مقبرة "بدي باس" فى "المزوقة" (الواحاح الداخلة).
تفصيل الجدار الشمالى ورسم فوق طبقة من الطلاء .

جهد أن يصّد هجوماً شنته القوات البابلية على حدوده الشرقية عام ٦٠١ . ونجح فى الاستيلاء على غزة . ولن يتجاوز المصريون هذه الحدود حتى نهاية حكم " نكاو " الثانى الذى بدأ يتطلع إلى آفاق أخرى .

واصل " نكاو " الثانى سياسة الانفتاح على العالم الإغريقى ، فشجع إنشاء المستوطنات لإقامة المتسوطنين الذين اصطحبوا المرتزقة الإيونيين . والجديد فى الأمر أنه حاول بناء أسطول مصرى يمكن أن ينافس به خصومه فى البحر المتوسط وفى البحر الأحمر على حدّ سواء . واستهل أعمالاً إنشائية ضخمة فى وادى الطميلات جمع لها إثنى عشر ألف عامل ، وكان الغرض منها حفر قناة تربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر . وتطلب إنشاء هذه الطريق التجارية الجديدة تأسيس مركز لعبور القوافل ، فأسس نكاو الثانى مدينة جديدة أطلق عليها إسم " مسكن آتوم فى تشيكو " ، و " تشيكو " هو الإسم الذى كان يطلق على منطقة وادى الطميلات . واسم المدينة " پرتمو " (تشيكو) وهى تل المسخوطة حالياً وتقع على مسافة خمسة عشر كيلو متراً غرب الإسماعيلية .

إن تحديد المخارج الصوتية للكلمة قد قاد التقليد المتواتر إلى اعتبارها هى ومدينة "بيتوم " الواردة فى الكتاب المقدس شيئا واحداً ، وهو خطأ أثبتته الحفائر الحديثة . صحيح أن إنشاء الموقع يرجع إلى نكاو الثانى ، بيد أن تاريخه اللاحق غير واضح ويكتنفه الغموض والتشويه . وعاشت المدينة أيام السعد والنحس التى شهدتها القناة التى ارتبطت بها ، فكان يعاد ترميمها وتخطيطها كلما عاد المصريون إلى استخدام القناة كما حدث فى عهد " داربوس " الأول " ونختنبو " الأول والثانى " وبطليموس " الثانى و"هادريان " وأسهم نختنبو الأول والثانى بصفة خاصة فى تجميل المدينة بالاعتماد على منشآت " لرمسيس " الثانى نقلوها من پرمسيس ، وهو ما ساعد على انتشار الزعم القائل بأن تل المسخوطة هى " بيتوم " .

وهكذا أقام " أوحم إيب رع نكاو " الثانى ببناء أسطول لم يتمكن من منافسة أساطيل خصومه منافسة حقيقية ، بيد أنه كان من أهم نتائجه الطبية أن فتح الطريق أمام الملايين الفينقيين الذين حضروا بناء على طلبه للقيام برحلاتهم الإفريقية التى ظلت من أهم منجزات حكمه ، وربما كانت مآثرته الوحيدة . حيث أنه كان ملكاً سيئ الذكر لدى معاصريه والأجيال اللاحقة على حدّ سواء ، رغم ماعرفته البلاد من رخاء حقيقى أحسن خلفاؤه استثماره . وخلف عند وفاته عام ٥٩٥ ابناً ذكراً وثلاث بنات . تربع هذا الأبن

على عرش البلاد وتلقب باسم " نفر إيب رع - پسمتك " الثانى ، ولم يدم حكمه طويلاً إذا توفى عام ٥٨٩ . ومع ذلك فقد كان ذا نشاط موفور يبرر حبه لمقارنته نفسه بجده العظيم . ونظرا لقصر مدة حكمه يصعب القول بأن نشاطه فى الداخل كان يعادل نشاط " پسمتك " الأول . وطلب من عابدة الإله " نيت إقرت " أن تتبنى ابنته التى أنجبها من الملكة " تاخوت " واسمها " عنخ نس نفر إيب رع " ومعناه " نفر إيب رع تحيا من أجلها . " وقد حلت محل " نيت إقرت " فى عام ٥٨٤ وسوف تشغل هذا المنصب حتى الغزو الفارسى عام ٥٢٥ . وأقامت فى طيبة جهازاً إدارياً صاوياً أظهر ترفاً وبذخاً يمكن أن نتصوره من إبداع المقبرتين الفخمتين اللتين أقامهما فى العساسيف " شاشانق بن حرسا إيزيس " (TT 27) وپادى نيت " (TT 197) وكانا يشغلان منصب رئيس استقبال آمون.

كان البحث عن العظمة على رأس اهتمامات پسمتك الثانى . ووجدت العظمة أفضل تعبيراتها خارج البلاد . حيث أولى فرعون مصر جل اهتمامه على ما يبدو لتعويض النتائج السلبية لسياسة أبيه الخارجية . صحيح أنه لم يحسن استغلال الأسطول الذى بناه أبوه ، إلا أنه حاول أن يتدخل من جديد فى شئون مملكة يهوذا . وكان فشل الكلدانيين الجزئى فى صراعهم مع مصر عام ٦٠١ مصدر أفكار جديدة لـ " يهوياقيم " الذى قطع روابطه ببابل فى العام الثانى . ثم خلفه ابنه " يهوياكيم " عام ٥٩٨ ولكن حكمه لم يدم طويلاً . ففى مارس ٥٩٧ استولى " نبوخذنصر " الثانى على أورشليم وسلب ونهب " المعبد " وأبعد الملك إلى بابل مع أهم رجال بلاطه ، وتوج مكانه عمه " صدقيا " . وبقي " يهوياكيم " أكثر من ٣٧ سنة فى بلاط بابل . وسوف يغذى غياب الملك الانقسامات التى احتدمت بين أنصاره وأنصار " صدقيا " فى كلا العاصمتين . وحرضت مصر أورشليم على الثورة منذ السنوات الأولى من حكم " صدقيا " . وكانت مصر الغائب الحاضر فى المؤتمر المناهض لبابل الذى انعقد فى أورشليم عام ٥٩٤ . وفى عام ٥٩١ قام پسمتك الثانى بجولة سلمية وصل فيها إلى بيبيلوس . وخلد بعد عودته ذكرى هذه الجولة ، باعتبارها حملة تقليدية . وشجعت مظاهرة القوة هذه " صدقيا " على الثورة التى باءت بعاقبة وخيمة على أورشليم .

وفى العام السابق كان " پسمتك " الثانى قد بدأ الأعمال الحربية ضد كوش حيث أسس " أنلمانى " مملكة نپاتا الثانية ، فانهى بذلك حالة السلم المستقرة منذ عهد " تانت

آمون " . وصل الجيش المصرى إلى " بنبس " عند الشلال الثالث ، وربما استمر فى تقدمه حتى نپاتا . ومن الغرب حقاً أن پسمتك الثانى لم يستفد من النصر الذى أحرزه فانسحبت قواته إلى الشلال الأول، وكانت تضم العديد من المرتزقة الكاريين الذين تركوا أسماءهم محفورة فى " أبو " سمبل . ظلت إلفنتين ترسم الحدود الجنوبية لمصر ، أما المنطقة الواقعة بين إلفنتين وتاكوميسو - والتي أطلق عليها الإغريق الـ " دوديكاخوينوس " فكانت أشبه بأرض محايدة فاصلة بين القوتين فى النوبة ومصر . إن الأسباب التى دفعت " پسمتك " الثانى إلى هذه الحملة غامضة لدينا ، وتكتفى النصوص الرسمية بالإشارة إليها كحملة ضرورية ذات أهداف سلمية لإخماد ثورة أهل كوش . ولكن يبدو أن هذه المعلومات ليست سوى جزء من الأسلوب الفخم التقليدى الذى درجت الوثائق على استخدامه دون التقيد بالحقائق . وبعد هذه الحملة سادت مصر موجة إزالة أسماء الملوك الإثيوبيين من على سطوح العماير والمنشآت ، وكأن پسمتك الثانى قد أراد بفعلته هذا أن يلغى ذكرى هؤلاء الملوك و يمحو أى أثر لخصوم أسرته القدامى الذين ناصبوها العداء . كما أساء إلى ذكرى نكاو الثانى ، و تظل الأسباب الحقيقية وراء حملته هذه على سلفه غير واضحة . و لكنها ترجع على ما يعتقد إلى أسباب أهم من الهزائم العسكرية التى تكبدها المصريون فى مواجهة الكلدانيين - و إن كانت على كل حال هزائم نسبية .

الإغريق فى مصر

توفى " پسمتك " الثانى فى فبراير ٥٨٩ قبل أن تؤتى سياسته فى الشرق الأدنى أكلها ، و اضطر ابنه "جعع إيب رع - وح إيب رع " (إپريس عند الاغريق) أن يواجه فى الحال الموقف الناشئ عن ثورة " صدقيا " وكانت مصر و فينقيا مشاركتين فيها . زحف "نبوخذنصر " الثانى على أورشليم و ضرب الحصار حولها لمدة سنتين ، و استولى على صيدا ليضمن سيطرته على فينقيا ولكنه فشل فى الإستيلاء على مدينة صور التى ظل "إپريس " يمدّها بالمؤن عن طريق البحر ليثبت جدوى و أهمية اسطوله الجديد الذى سمح لصور أن تصمد حتى عام ٥٧٣ ! كان المصريون أقل توفيقاً فى المعارك البرية ، فقد حاولوا أن يقدموا يد العون لصدقيا و لكنهم اضطروا إلى الانسحاب . و فى عام ٥٨٧ سقطت اورشليم وفر " صدقيا " وألقى القبض عليه قرب أريحا . و جاء انتقام "نبوخذ نصر " غاية فى القسوة ، حيث أجبر "صدقيا " على مشاهدة تنفيذ الإعدام

فى ابنه ثم أرسله إلى الأسر بعد أن فُتت عيناه . ولم يقنع حزب الحرب بالهزيمة فقام أنصار إرميا باغتيال الحاكم البابلى الذى عينه الملك الظافر ثم ولوا هاربين مع زعيمهم إلى مصر قبل أن تجهز أعمال القمع و التنكيل عام ٥٨٢ .

ولم يكد " إپريس " ينتهى من هذه الحرب حتى ثارت حامية إلفنتين عندما بلغها نبأ هزيمة المصريين أمام " نبوخذ نصر " الثانى ، واستطاع القائد " نسى حور " أن يسحق التمرد . ولكن هذا التمرد كان نذيراً بالاضطرابات التى عمت البلاد قرب نهايه حكمه . ففى عام ٥٧٠ استنجد به حليفه اللببى " أديكران " أمير " قورينة " الذى كان يخوض معارك ضارية ضد إغارات الدوريين فأرسل " إپريس " قواته الخاصة من المرتزقة ولكنها هزمت شر هزيمة . وبعد أن ولت حملته الأدبار و عادت إلى البلاد وقعت بين المرتزقة وإغريق مصر مصادمات عنيفة انقلبت إلى حرب أهلية حقيقية بين القوات الوطنية والمرتزقة الإغريق و الكاريين و نصّب المصريون أحمس الثانى ملكا على مصر وهو القائد الذى اشتهر بمآثره المجيدة فى الحملة ضد الكوشيين . و دارت رحى الحرب عند مدينة " مومفيس " فى أواخر عام ٥٧٠ بين أحمس الثانى وإپريس الذى لم يقف إلى جانبه سوى جنوده المرتزقة فلقى حتفه أثناء المعركة ، ونقل أحمس رفاته إلى سايس حيث أقام له المراسم الجنائزية الواجبة . و انتهز " نبوخذنصر " الثانى قيام هذه الاضطرابات لمحاولة غزو مصر عام ٥٦٨ ولكن " أحمس " استطاع أن يوقف تقدمه .

تولى أحمس الثانى السلطة بتعزید من القوى الوطنية ومؤازرتها ، ولذا لم يكن فى استطاعته أن يقف بمنأى عن الشئون الإغريقية سواء فى داخل البلاد أم فى خارجها . وتوصل إلى حل مشكلة الإغريق و الكاريين فى الداخل فتبنى سياسة ألغى بمقتضاها العديد من مراكز تجمع الأجانب المنتشرة فى شمال البلاد . و يروى هيرودوت أنه جمع هؤلاء الأجانب فى مدينة نوقراتيس جنوب شرق الموقع الذى ستقام عليه مدينة الإسكندرية فيما بعد . وأثبتت الحفائر الحديثة وجود تجمعات سكانية فى هذا الموقع و أن المستوطنين قد حطوا رحالهم فى نوقراتيس منذ عهد " پسمتك " الأول . ومنح " أحمس " الثانى المستوطنين مزايا اقتصادية و تجارية ذات شأن فأقر للمدينة بحق إقامة وكالاتها التجارية المستقلة وأماكن للعبادة يمارس فيها السكان شعائهم الخاصة . وفى ظل اقتصاد "الوكالات التجارية " التى تفرعت و تشعبت عبر البلاد حتى وقتنا الحاضر ازدهرت منطقة نوقراتيس بأسرها و أسهمت فى رخاء البلاد بأكملها . و قد بلغ هذا الازدهار شأواً

عظيماً فى أيام حكمه . ومن المتفق عليه أن عدد سكان مصر كان آنذاك سبعة ملايين و نصف المليون نسمة ، وهو رقم ضخيم بقياس عالم البحر المتوسط . لا سيما إذا أخذنا بعين الاعتبار أن مصر المعاصرة لم يتخط عدد سكانها رقم الثمانية ملايين نسمة إلا فى القرن التاسع عشر ! وترك أحسن الثانى ذكرى عطرة تناقلها التقليد المتواتر . فهو دمث الخلق لين العريكة ، مرح محب للحياة ، كما كان مشرعاً فطناً . وللأسف فقد محا الغزاة الفرس كل أثر له من على سطوح ما شيده من منشآت . كما ظهرت خصاله الحميدة فى العلاقات الوطيدة التى ظلت تربطه بالعالم الإغريقى ، وفى أعقاب الإنتصارات العسكرية التى أحرزها على بعض مدن قبرص أصبح أسطول الجزيرة القوى تحت تصرفه فاستخدمه فى تجارته مع البحر المتوسط واكتساب الحلفاء للتصدي لقوة الفرس المتعاطمة التى أضحت مصدر قلق له ولشركائه الإغريق . وعقد حلفاً مع " كريسوس " ملك ليديا الأسطورى " وبوليكراتس " حاكم " ساموس " المطلق . كما أمكنه التفاهم مع مملكة بابل عدوة الأمس والتى ساندت " كريسوس " أيضاً . ولكن ليديا استسلمت لقورش الثانى عام ٥٤٦ ثم جاء الدور على بابل بعد سبع سنوات . وظل " أحسن " الثانى يعتبر - خطأ - أن المدن الإغريقية حلفاء مأمونين . فوطد علاقاته معها واتخذ من التدابير ماجعله أعظم الفراعنة حبا للحضارة الإغريق وإعجاباً بها ، وذهب إلى حدّ تمويل إعادة بناء معبد أبوللو فى دلفى بعد أن أتى عليه الحريق الذى شب فيه عام ٥٤٨ .

ولكن كل هذه التدابير لم تحل دون وقوع ما كان يبدو محتوماً لا مناص منه . فبعد أن أصبح الفرس سادة آسيا الصغرى صار فى مقدورهم إعادة تأسيس إمبراطورية أقوى وأعظم من تلك التى أسسها الآشوريون من قبلهم . وكان فى مقدور الإغريق وحدهم التصدي لهم بفضل ماتوفر لهم من حماية ، فالبحر يحميهم من ناحية ، كما تحميهم ، من ناحية أخرى ، تكنولوجيا عسكرية أثبتت فاعليتها فيما خاضوه من معارك . وأصبح موقف مصر مجرد رد فعل سلبي لما يدور حولها من أحداث متسارعة الإيقاع . وتأجل غزو مصر لحظة بسبب وفاة " قورش " الثانى عام ٥٢٩ . ولما توفى " أحسن " الثانى فى عام ٥٢٦ ، تبوأ " پسمتك " الثالث عرشاً بدأ يهتز من تحته . وفى سوسة ارتقى قميبيز الثانى العرش خلفاً لقورش الثانى ، ثم زحف على مصر فى ربيع ٥٢٥ وسحق جيش " پسمتك " الثالث عند پلوزيوم . ولجأ الملك إلى منف التى تحولت من جديد إلى آخر قلاع المقاومة . ولكنها سقطت . وولى " پسمتك " الأدبار . واستطاع أن يجمع ماتبقى له من قوات قبل أن يقع فى الأسر ويرسل إلى سوسة مكبلاً بالأغلال . وتحولت مصر إلى إقليم تابع

للإمبراطورية الأكمنية . وسوف تنتفض مصر مرات عديدة سعياً وراء الاستقلال خلال القرنين التاليين ، ولكن هذه الانتفاضات لن تعدو أن تكون فسحة من الوقت بين تسلط قوة غازية وأخرى .

الانفتاح على العالم الخارجى

استمر حكم الإثيوبيين والصاويين لمصر قرابة القرنين ، مع فارق كبير بين مدة حكم كل منهما مقارنة بالأخرى . واستطاعت مصر تحت حكم الإثيوبيين أن تصل إلى شكل من أشكال الوحدة الوطنية وإن كانت هشّة ، ولكنها تكيفت مع توزيع السلطة على الخصوم الذين كان يحق لكل منهم أن يدعى لنفسه قدراً من الشرعية . كان الليبيون يعتبرون أنفسهم إلى حدّ ما ورثة العرش الذى أفلت من أيدي خلف الرعامسة . كما كان يحق للإثيوبيين أن يبحثوا عن منابع النظام الملكى فى زمن يضرب بجذوره فى الماضى السحيق فهم أبناء الإمبراطورية التى أرادها " آمون " . وبين هؤلاء وأولئك فقدت طيبة كل مبادرة على الصعيدين السياسى والدينى سواء بسواء ، كما اتفق الصاويون والإثيوبيون على الإبقاء على مؤسسة عابدة الإله الكفيلة دون غيرها بنزع فتيل نزاع ظل كامناً على الدوام .

واستفادت منف دون غيرها من هذه المصادمات التى زاد الآشوريون من حدتها عندما أقاموا سلطة الصاويين . والدليل على ذلك هو تلك التحذيرات التى ظل يوجهها پسمتك الثانى ضد الإثيوبيين بعد مرور قرن من الزمن تقريباً على سقوط الملكية الكوشية . وهكذا عادت منف عاصمة البلاد إلى وضعها فى بدايات التاريخ . وهذه العودة إلى الماضى هى عودة إلى النموذج المثالى الأول الذى يصاحبه تأسيس نظام ملكى قائم على القيم العريقة والمقترن بالمباحث الدينية والأدبية والفنية التى تتعارض جذرياً والعالم الجديد الذى انفتحت عليه البلاد عندما أستقبلت على أرضها سادة البحر المتوسط الجدد . لقد لاحظنا أن المصريين قبلوا بداية ، كرد فعل طبيعى وتلقائى ، الإسهامات الواردة من الخارج ، فحاولوا استيعاب القيم الجديدة كما استوعبوا القيم التى أتتهم من آسيا فى وقت سابق . وهذه السمة هى على كل حال ظاهرة طبيعية لازمت المصريين حتى الوقت الراهن . ومن ثم وضع المصريون الأسس الضرورية لإقامة مجتمع جديد سيظل طوال القرنين التاليين يعمل على دمج عناصر الحضارتين التى لاتعارض بينها . ونذكر على سبيل المثال مقبرة " پتوزيريس " فى تونة الجبل ورسومات " قصر المزوقة " فى الواحات

الداخلة القصية والحضارات القزمية التى استقرت عند تخوم الإمبراطورية الرومانية فى " دوش " فى الواحات الخارجة ، وتصور مزيجاً غريباً من الموضوعات المصرية والإغريقية واليهودية والشرقية ... أما القيم التى أعيد اكتشافها فقد أمدتهم بالزاد الذى ساعدهم على التصدى للقيم التى تذكرهم فى بعض جوانبها بذكرىات الاحتلال الآشورى المريعة ، وعلى ما يعتقد فإن هذا هو أحد الأسباب التى جعلت من العصر الصاوى مثلاً حياً على أمجاد مصر التليدة وملاًذاً للقيم التقليدية يمكن الرجوع إليه إذا ما اشتد نير كل محتل جديد .

الفصل الخامس عشر

الفرس والإغريق

الفرس فى مصر

جاءت هزيمة " پسمتك " الثالث لتضع نهاية لخط سياسى بأكمله . لقد انتهى إلى غير رجعة زمن عزلة مصر ، وعندما وقعت الواقعة تخلى الإغريق عن حلفائهم المصريين وتخلفوا عن المعركة . وفى غزة انضم " فانيس الهاليكارناسى " إلى صفوف العدو ، وكان "بوليكراتس" الساموزى قد خان فرعون من قبل ، أما البدو " الساترون على الرمال " وهم معارضون تقليديون ، فقد أرشدوا القوات الفارسية عند اختراقها شبه جزيرة سيناء . وإلى جانب المساعدات العسكرية التى حصل عليها قمبىز الثانى فقد استقبلته بعض الأقليات - كأفراد الجالية اليهودية فى إلفنتين - استقبالا حاراً ، كما رحبت به بعض العناصر من الأرستقراطية المصرية . بل يمكن القول أن مذكرته المصادر الإغريقية عن سلب ونهب المدن المصرية وطبقة على وجه الخصوص عارى عن الصحة ، وأنه لم يذهب على كل حال إلى المدى الذى أشارت إليها هذه النصوص التى كتبت تحت تأثير الدعاية المعادية للفرس . وعلى العكس فقد اتفقت مصالح سادة البلاد الجدد مع مصالح الفئات الميسورة فى المجتمع المصرى ، وهو على ما يبدو تقليد قومى فما وترعرع وسط هذه الفئات . حتى أصبح من ثوابت السياسة المصرية . فقبل انقضاء قرنين من الزمن وجد داريوس الثالث كودومان ، والإسكندر الأكبر من بعده ، أن شريحة من نخبة المجتمع على أتم الاستعداد لتولى إدارة البلاد لحساب المحتل الأجنبى فى ظل الإيهام بأن الإدارة مازالت وطنية وهو وهم كان يغذيه ثبات بعض المظاهر الاجتماعية . ومن بين هؤلاء الموظفين الذين انحازوا إلى جانب الفرس نذكر " أوجا . حور . رس . نيت " النموذج الحى لكبار الموظفين المثقفين ثقافة رفيعة . كان كاهناً فى سايس وطبيباً وقائد الأسطول فى عهد كل من پسمتك " الثالث وأحمس الثانى ، وقد دون سيرته الذاتية على سطح تمثال على هيئة ناووس هو من مقتنيات متحف الفاتيكان فى الوقت الراهن . ويوضح " أوجا . حور . رس . نيت " كيف عاون قمبىز على الإلمام بحضارة مصر وثقافتها كى يمكنه من الظهور بمظهر الفرعون المصرى ، وهو ماسيفعله سادة مصر من الآن فصاعداً :

" وصل إلى مصر " قمبيز " ملك سائر البلاد الأجنبية ، ووقف إلى جانبه جميع الأجانب فى سائر البلاد الأجنبية . وعندما استولى على أرض مصر نزلوا بها . وأصبح ملكاً عظيماً وملكاً على سائر البلاد الأجنبية . وعيننى صاحب الجلالة فى منصب كبير الأطباء . وسمح لى جلالته بالإقامة إلى جانبه كرفيق وصديق . وأناط بى مسئولية الإشراف على القصر واختيار ألقابه وعلى الأخص اسمه كملك الوجهين القبلى والبحرى وهو " مستيورع " (Posener:1936,7)

لم يطبق الفرس على مصر النظم التى كانت سائدة فى بلادهم . أجل لقد أصبحت مصر " سترابية " أو إقليمياً تابعاً ، وقام قمبيز عام ٥٢٢ بتعيين " أريانوس " حاكماً على مصر ، قبل أن يهزم بالعودة إلى بلاده للقضاء على الثورة التى قادها " جوماتا " المطالب بعرش البلاد . ولكن ملوك سوسة حكموا مصر بصفتهم فراعنة وساروا على هدى " قمبيز " الثانى فاختراروا لأنفسهم مجموعة ألقاب كاملة . وواصلوا مبادئه " أسلافهم " المصريين . ومن الواضح الجلى أن " أوجا . حور . رس . نيت " قد أهتم فى المقام الأول بالدفاع عن قضية مدينته سايس التى لم يخص السادة الجدد معبدها الجليل بما يستحقه من رعاية وتبجيل : " وأخبرت جلالته عن أمجاد سايس . فهى المقر الرسمى للإلهة " نيت " العظيمة . إنها الأم التى أنجبت " رع " وأول من أنجبت فى زمن لم يكن الإنجاب

الأسرة السابعة والعشرون	٥٢٥ - ٥٢٢
قمبيز الثانى	٥٢٢ - ٤٨٦
داريوس الأول	٤٨٦ - ٤٦٥
كسركسيس	٤٦٥ - ٤٢٤
ارتكسركسيس	٤٢٤ - ٤٠٥
داريوس الثانى	٤٠٥ - ٣٥٩
ارتكسركسيس الثانى	
الأسرة الثامنة والعشرون	٤٠٤ - ٣٩٩
أميرتايوس	
الأسرة التاسعة والعشرون	٣٩٩ - ٣٩٣
نفرتيس الأول	٣٩٣
بسموتيس	٣٩٣ - ٣٨٠
أكوريس	٣٨٠
نفرتيس الثانى	
الأسرة الثلاثون	٣٨٠ - ٣٦٢
نختنبو الأول	٣٦٢ - ٣٦٠
تاخوس	٣٦٠ - ٣٤٣
نختنبو الثانى	

شكل رقم (١٦٧) جدول التسلسل الزمنى من الأسرة السابعة والعشرين إلى الأسرة الثلاثين .

موجودا(...) ورفعت شكواى إلى صاحب الجلالة قمبيز ملك الوجهين القبلى والبحرى حول جميع الأجانب المقيمين فى معبد " نيت " لطردهم منه وعودة المعبد إلى سابق عهده من الأبهة والجلال . وأمر جلالته بطرد كافة الأجانب المقيمين فى معبد " نيت " وهدم منازلهم وإزالة ماخلفوه فيه من قازورات . وبعد أن حملوا أمتعتهم بأنفسهم إلى خارج حرم المعبد ، أمر جلالته بتطهير معبد " نيت " وإعادة كافة العاملين به (...) ومعهم كهنة المعبد الميقاتيون . وأمر جلالته برد عوائد " الأوقاف " إلى الإلهة " نيت " الكبيرة والدة الإله رع وإلى الآلهة بسايس ، وإعادة الأوضاع إلى سابق عهدها . وأمر جلالته بأن تقام كافة أعيادهم وتسير كافة مواكبهم كما كان فى السابق . لقد تصرف جلالته على النحو الذى فعله لأننى أحطت جلالته علماً بأيجاد سايس ، مدينة كافة الآلهة المتربعين على عروشهم خالدين " (Posener: 1936, 7 - 16)

وتعتبر الأعمال التى ألحزها قمبيز فى وادى الحمامات وفى مختلف معابد مصر خير شاهد على نهجه السياسى فى احترام المعابد والشعائر القديمة . كما يتعارض دفن العجل أبيس فى العام السادس من حكمه مع ماتواتر إلينا عن كفر العاهل الأكمينى كما شاع فى المصادر اللاحقة . وإذا صحت المصادر الرئيسية التى أرخت لهذا العصر ، واستناداً لما رواه هيرودوت وكتيزياس ، وما ورد خاصة فى " قصة قمبيز " أو " حوليات چان نكيو " (Schwartz:1948) فإن سلوك " قمبيز " كان شديد الهمجية وغاية فى الوحشية ، إذ اغتال العجل أبيس فى منف ، كما أضاف إلى فعلته المنكرة هذه النقى الجماعى لمعارضيه ، إلخ ... ولكن من الواضح أن هذه النصوص قد اكتفت بنقل جوهر الدعاية الوطنية التى لم تعرفها أدبيات العصر الفارسى ، بل شاعت فى وقت لاحق بتعزيد من الإغريق فى أعقاب انتصارهم على الفرس. فأخذوا يؤججون بعناية فائقة نار كل ما يسىء إلى ذكرى خصومهم القدامى .

وحاول قمبيز الثانى الاستيلاء على النوبة والواحات ولكن محاولته ذهبت أدراج الرياح . وربما كان الهدف من حملته إلى سيوة هو السعى وراء وحى آمون تثبتاً له فى زعامة مصر وهو ما فعله الإسكندر الأكبر فى وقت لاحق . وانتهت حملة قمبيز إلى سيوة بكارثة حيث فقد على ما يبدو جيشاً جراراً يخيل لعلماء الآثار بين الفينة والفينة أنهم كشفوا عن بعض ماخلفه من أثر تحت رمال الصحراء ... وربما تدين الإدارة الفارسية فى

مصر بسوء سمعتها إلى " الستراپا " أو الحاكم " أريانديس " الذى استمرت ولايته من ٥٢٢ إلى ٥١٧ . وبعد أن ارتقى " داريوس " العرش عام ٥٢٢ ، اضطر أن يتوجه بنفسه إلى مصر لخلق حاكمها قبل أن تشمل الثورة البلاد . ويبدو واضحاً أن السياسة التى انتهجها " أريانديس " كانت من بنات أفكاره ، فقد سكّ النقود ووضع عليها صورته ، وبادر من تلقاء نفسه إلى الاستيلاء على قورينة فى أعقاب قرد الليبيين ضد سادتهم الدوريين . كما لم يعط للعادات المصرية نفس مشاعر الاحترام التى أظهرها ملكه .

أمر داريوس الأول بإعدام " أريانديس " وأحل " فيرانداس " محله ، واتخذ التدابير المناسبة لتهدئة النفوس . واستكمل حفر قناة نكاو الثانى لربط البحر الأحمر بالبحر المتوسط ليجنى أعظم فائدة من استغلاله لمصر وهى " الستراپية " (أى الولاية) الأكثر ثراء من بين الولايات التابعة له . كما كشف عن قيمة مختلف مدارس الفكر المصرى وهو ما يثبتنا به " أوجا . حور . رس . نيت " الذى اصطحب الملك إلى سوسة :

" أمرنى صاحب الجلالة داريوس ملك الوجهين القبلى والبحرى - فليحيا إلى الأبد - بالعودة إلى مصر لإعادة مؤسسة بيت الحياة (...) إلى سابق عهدها بعد أن خربت . وكان صاحب الجلالة فى غضون ذلك فى عيلام . وهو الملك الأعظم على البلدان الأجنبية والعاهل الكبير على مصر . وكان البرابرة قد نقلونى من بلد ليحطوا بى فى بلد آخر . وأنتهوا بى فى آخر المطاف إلى مصر كما أمر به سيد القطرين . ونفذت كل ما أمرنى به صاحب الجلالة . ودبرت مايلزم بيت الحياة من طلبه وكلهم أبناء عليه القوم . ولم يكن بينهم أحد من أبناء عامة الناس . ووضعتهم تحت إشراف العلماء . (...) وأمر جلالته أن يوفر لهم كل ما هو طيب تيسيراً عليهم فى أداء أعمالهم . ومن ثم أمددتهم بكل مفيد ومختلف المستلزمات الإضافية كما حددتها الأسفار فيما مضى من زمن . لقد صنع جلالته ماصنع قناعة منه بفائدة هذا الفن لحياة كل مريض وحفاظاً على بقاء اسم مختلف الآلهة ومعابدهم وماتغله الأوقاف من إيرادات والاحتفال بأعيادهم إلى الأبد (Posener:1936,22)

وأعاد داريوس إلى الأملاك الإلهية ماكانت تتمتع به من امتيازات ، وأمر بتشديد معبد " هيبس " فى الواحات الخارجة وإجراء الترميمات فى بوزيريس والكاب . وأعاد فتح محاجر وادى الحمامات بل وعثر فى سوسة على تمثال نحت فى هذه المحاجر . كما شرع ينفذ إصلاحاً إدارياً وتشريعياً بعد إعداد مجموعة قوانين وضرب النقود

محلياً . وخلف وراءه ذكرى ملك أجنبي ، ولكنه قريب كل القرب مما يشغل بال كل مصري . ويمكن القول أن مصر فى ظل حكمه قد وضعت قدميها على أول الطريق إلى الرخاء . ولكن السياسة الخارجية تدخلت مرة أخرى لتغير مصير وادى النيل . فقد هزم الإغريقُ الفُرسَ فى معركة مارتون عام ٤٩٠ . ودفعوا داريوس إلى تركيز اهتمامه على جبهة أخرى غير مصر . فانتهزت الدلتا الفرصة لتثور عام ٤٨٦ . وتوفى داريوس قبل أن يتدخل فى مصر ، وخلفه " كسرکسيس " على عرش مصر وسحق التمرد ، وعين أخاه " أكيمينس " على رأس " سترابية " مصر فمارس فيها سياسة متشددة تخطت كل الحدود حتى أنه فى العصر البطلمى ، وبعد مرور زمن طويل ، ظل يشار إلى اسمه فى النصوص المصرية مقروناً بالمخصص الذى اقتصر استخدامه على الأعداء المهزومين . ولكن الأحداث تلاحقت . فخرج " أكيمينس " عام ٤٨٠ على رأس السفن المصرية المائتين لمساندة الأسطول الفارسى ضد الإغريق وتعريضاً لأخيه . ولكن كسرکسيس هُزم فى معركة سلاميس وتم اغتياله مما شجع المصريين على الثورة ، فانتشرت أعمالهم الثورية فى عهد خلفه " أرتكسرکسيس " الذى ارتقى عرش فارس عام ٤٦٥ .

عندئذ شرع " إيناروس " (إرت إن حر إرو) فى خوض الصراع الذى أشرنا إليه من قبل . وينحدر " إيناروس " من الأسرة الملكية الليبية وهو ابن " پسمتك " الثالث . وجمع من حوله القوى الوطنية المبعثرة فى الدلتا وأعلن نفسه ملكاً ، وأنضم إليه الأمير " أميرتايوس " ، وهو من ذرية ملوك سايس . واستطاعا سوياً أن يبسطا نفوذهما على كافة مناطق الدلتا ، وحتى منف . وأرسلت أثينا أسطولاً لدعم موقفهما فى مواجهة الفُرس ، ودارت رحى المعركة عند " پابريميس " . وقتل " أكيمينس " وزحف المتمردون على منف مع حلفائهم الإغريق . وظلت الحرب سجالاً إلى أن انتصر الفُرس وفرّ الإغريق واعتقل " إيناروس " فى جزيرة پروسوپيس ، وأعدم فى فارس عام ٤٥٤ . وحل " أرساميس " محل " أكيمينس " واليا على السترابية مصر . وعقدت اليونان وفارس اتفاقية سلام فيما بينهما . وساد الهدوء مصر طوال جيل كامل . وفى هذه الآونة زار هيرودوت مصر فشاهد بلاداً بدا عليها البشر والرخاء . وثبت " أرساميس " أبناء " إيناروس " فى سلطتهم وامتنع عن أى تدبير قد يثير ثائرة المصريين فيجددوا ثورتهم . أما الموظفون المقيمون فى مصر فقد تأقلموا أكثر فأكثر مع أسلوب حياة المصريين . بل ذهبوا إلى حد تمصير أسمائهم .

خمدت نار الثورة ، ولكنها تأججت من جديد فى أعقاب القلاقل التى رافقت وراثة عرش " أرتكسر كسيس " فى سوسة . وبعد أن تولى " داريوس " الثانى السلطة عام ٤٢٤ أحيى سياسة الوفاق التى سار عليها داريوس الأول . وكان من أهم منجزاته استكمال زخرفة معبد هيبس ، وقد أيدته الطائفة اليهودية فى جزيرة إلفنتين مما استفز التيارات الوطنية التى دمرت معبد الطائفة فى الجزيرة فى العام السابع عشر من حكمه . وأخذ الإغريق ، ولاسيما إسبرطة ، يشجعون مركز التمرد وقلبه فى سايس . أما حفيد " أميرتايوس " واسمه " أميرتايوس " أيضا كجده ، فقد واصل بدرجة أو أخرى مقاومته للفرس فى الخفاء ، ثم جاهر بثورته عام ٤٠٤ وتوج نفسه فرعوناً فى نفس عام وفساة " داريوس " الثانى ليؤسس الأسرة الثامنة والعشرين التى كان هو ملكها الوحيد . ولم تمر أربع سنوات إلا وكانت البلاد كلها حتى أسوان قد اعترفت بسلطانه ، وكان أفراد الطائفة اليهودية فى إلفنتين هم آخر من اعترفوا به . ولم يحفظ لنا الزمن أيا من منشآته ، ولانعرف من الناحية العملية شيئاً عن حكمه الذى دام حتى عام ٣٩٨ . إن نجاح ثورته بسهولة وغياب أى رد فعل تقريباً من جانب سوسة يرجعان إلى المشاكل حول وراثة العرش التى مزقت الفرس فى أعقاب وفاة داريوس الثانى . ويروى لنا " كسينوفون " وقائع الصراع المير الذى احتدم بين الأخوين أرتاكسر كسيس وقورش الثانى . فيخبرنا أن تاموس زعيم المرتزقة الإغريق قد لجأ إلى مصر بعد أن منى قورش بالهزيمة ، ولكن فرعون مصر (الذى يدعوه خطأ بسمتك) أمر بإعدامه . وربما استعصى هذا المسلك على الفهم بالنظر إلى التحالف الطبيعى القائم بين المصريين والإغريق ضد الفرس . فهل كان هذا مجرد دليل على حسن النية يقدمه للملك سوسة الجديد الذى كان يفتقر آنذاك إلى الوسائل العملية لإعادة احتلال مصر ، مما دعاه إلى إبداء استعدادة لقبول حياذ حذر ؟

مصر تسترد استقلالها

ومهما يكن من أمر فقد كان " أميرتايوس " الثانى فاتحة لآخر مراحل الاستقلال الوطنى الذى دام أقل من قرن من الزمن من ٤٠٤ وحتى ٣٤٣ . وتعاقبت خلال هذه الفترة أسرتان على عرش مصر : الأسرة التاسعة والعشرون التى دام حكمها عشرين سنة ، والأسرة الثلاثون التى دام حكمها ضعف مدة الأسرة السابقة . ولا نعرف الكثير عن ارتقاء " نفرتيس " الأول خلفاً " لأميرتاس " عندما تولى السلطة فى خريف ٣٩٩ . كما نجهل

المناصب التى شغلها من قبل ، وربما كان من القادة العسكريين . كانت منديس مسقط رأسه ولهذا السبب فهو يعتبر أن أجداده من الليبيين . ولا نعرف على وجه التحديد الظروف التى لازمت الانتقال إل «أسرة جديدة» ، ولا يوجد دليل على انتشار العنف عبر البلاد . وقد عثر على وثيقة واحدة هى بردية باللغة الآرامية محفظة فى الوقت الراهن فى متحف بروكلن ، ويفهم من هذه البردية أن صراعاً مكشوفاً اندلع بين مؤسس الأسرة التاسعة والعشرين وسلفه . ويبدو أن نفرتيس قد اعتقل " أميرتايوس " وأعدمه فى منف وأقام عاصمة البلاد فى مسقط رأسه منديس . ويبدو اختيار منديس مقبولاً ومعقولاً لا سيما وأن الحفائر الحديثة التى يجريها متحف بروكلن بالاشتراك مع جامعة نيويورك قد أثبتت وجود نشاط معمارى " لنفرتيس " الأول فى هذا الموقع ، إلا أنه لم يتم العثور على الجبانة الملكية التى يفترض وجودها فى هذا المكان

وربما جرت مراسم تدويجه فى منف أو سايس لأسباب سياسية محض كما حدث بالنسبة لـ " نختنبو " الأول فى زمن لاحق (Traunecker : 1979 , 420)

وقد أعلن من خلال ما اختاره من ألقاب عن تصميمه ، شأنه شأن " أميرتايوس " ، على خطة من العمل الوطنى تستند إلى نشاط ملوك الأسرة السادسة والعشرين . وكان الاسم الحورى الذى اختاره ممثلاً لاسم " پسمتك " الأول ولكن مدة حكمه كانت أقصر ، وأمجاده كانت أقل من أمجاد النموذج الذى سار على هدية . وقد حكم طبقاً لرواية مانتون ست سنوات ، وإن لم تصلنا أى وثيقة مؤرخة بعد العام الرابع من حكمه ، وكان له نشاط يصعب إهماله ، وتنتشر آثاره فى الشمال : فى تل تمى وتل الربع وتل الفراعين وفى منف وسقارة حيث دفن العجل " أبيس " فى العام الثانى من حكمه كما عثر فى أخميم على أثر للشعائر التى أقيمت لأحد تماثيله . ومن المفترض أن الفضل يرجع إليه فى البدء فى تشيد مخازن القرايين الواقعة إلى الجنوب من البحيرة المقدسة فى معبد آمون - رع بالكرنك ، وأيضاً الاستراحة أمام الصرح الأول والتى انتهى " أكوريس " من تشييدها (Traunecker : 1979 , 423) .

وعند وفاته فى شتاء ٣٩٤ / ٣٩٣ تصارعت فئتان متنافستان حول السلطة . وحسب رواية " الحولية الديموطيقية " انتصر الحزب الشرعى فى المرحلة الأولى . فتولى الحكم ابن " نفرتيس " لعدة أشهر وهو المدعو " موتيس " طبقاً لقائمة مانتون . وعارض سلطته " پساموتيس " أو " پاشيرى إن موت " ويعنى " ابن الإلهة موت " ، فاستولى

على عرشه ووضع على رأسه تاج البلاد واختار لقباً للتتويج " أوسر " أى " قوى هو رع " و " صفى پتاح " . ولم يدم حكم المغتصب الذى لعنته " الحولية " على كفره سوى عام واحد ، تاركا العرش لـ " أكوريس " الذى محا فترة حكم سلفه بأن ضمها لمدة حكمه إذ بدأه بوفاة نفريتس الأول . ورغم قصر حكمه فقد خلف وراءه آثاراً فى الكرنك فى المقام الأول مواصلاً الأعمال التى بدأها نفريتس خلافاً لما كان منتظراً منه . كما سجل وجوده فى أخميم وإن لم تقم له الشعائر . وبناء على ذلك يفترض أن التقليد المتواتر قد اعتبره مغتصباً بالفعل ، أو أن خلفه قد استطاع أن يمحو مدة حكمه تماماً .

وعندما أصبحت لـ " أكوريس " اليد العليا فى البلاد أصبح شغله الشاغل تثبيت شرعيته مؤكداً على روابطه بنفريتس الأول ، سواء على سطوح المنشآت أو بما اختاره من ألقاب اندرج من خلالها فى إطار الخط السياسى للبيت المالك . إن إنجازاته هى إلى حد كبير برهان على نواياه . فهل يعتبر ما أبداه من همة بالغة فى إثبات شرعيته دليلاً على أصول غير موثوق فيها ، خلافاً لتأكيدات الفرعون الجديد عندما أطلق على نفسه لقب "وحم مسوت" أى " مجدد الولادات " ، على غرار ما فعله أمنمحات " الأول " و "سيتى" الأول فى أزمنة سابقة ؟ وسيصفه " نختنبو " الأول بدوره بالمغتصب الذى أنتسب إلى " نفريتس " الأول . ونفتقر إلى الوثائق الدقيقة لفك الخيوط المتداخلة لوراثه العرش . وإذا توخى الحذر فالأحوط هو اعتبار أن " أكوريس " و "نختنبو" ينتسبان إلى فرعين ثانويين متخاصمين من البيت المالك يتنافسان على السلطة

(Traunecker: 1979, 432 sq)

وأيا كان الأمر فإن سنوات حكمه الأربع عشرة قد شهدت تجديداً على المستوى القومى ظهرت آثاره فى استئناف أعمال الإنشاء الكبرى فى المعابد ، فأنهى برنامج التشييد الذى شرع فيه نفريتس الأول فى الأقصر والكرنك . وله إنجازاته فى معابد مدينة هابو والكاب والطود والميدامود فى مصر الوسطى وفى السرابيوم وأيضاً فى معبد "هيبس" فى الواحات الخارجة إلخ . ويترسخ هذا الانطباع بما عثر عليه من تماثيل وغيرها من أشياء تحمل اسمه بأعداد أوفر نسبياً من تلك التى خلفها أسلافه من ورائهم . كما أن اكتشاف بعضها فى فينيقيا ذاتها لخير دليل على انطلاقة جديدة على الصعيد الدولى ... ولكن ما أبعدنا الآن عن " تجديد الولادة " فى العصر الصاوى . أجل لقد عاد النشاط يدب فى المحاجر المنتشرة فى البلاد وازدهرت التجارة وعاد الوجود المصرى فى الشرق الأدنى . بيد

أنه لم يعد فى وسع مصر أن تتصدر شئون المنطقة ، واقتصر دورها على المشاركة غير المباشرة فى الصراع ضد الفُرس ، العدو الذى أشاع الرعب فى عالم البحر المتوسط بمجمل شعوبه ، فاكتفت مصر بالوقوف إلى جانب المدن الإغريقية . ومن ناحية أخرى رفض الفُرس أن يتعاملوا مع مصر كدولة ذات سيادة ، بل اعتبروها "سترايية" أو ولاية متمردة . ومن ثم قرر نفريتس الأول عام ٣٩٦ أن يمدّ اسبرطة بالمؤن الغذائية ومختلف المواد مساهمة منه فى المجهود الحربى ضد العدو المشترك . وللأسف فقد سقطت الشحنة فى أيدي أهل رودس الذين كانوا قد أعلنوا انحيازهم إلى جانب الفُرس . وكانت هذه الشحنة هى الإسهام الأخير الذى شاركت به مصر فى المعارك ولو بطريقة غير مباشرة .

تغير ميزان القوى فى البحر المتوسط فى أعقاب انسحاب اسبرطة من آسيا الصغرى تدريجيا فى أعقاب معركة كنيديا البحرية عام ٣٩٤ وخاصة بعد هزيمة عام ٣٩١ ودخول أثينا معترك الصراع إلى جانب قبرص عام ٣٩٠ / ٣٨٩ . ولم يطرأ أى تغيير بالنسبة لمصر اللهم سوى استبدال شريك بآخر . بل كان هذا التغيير لصالح مصر ، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن ثورة أفاجوراس ملك قبرص ضد " الملك العظيم " قد أدت إلى تمركز قواته بعيداً عن ضفاف النيل . وعقد أكوريس مع أثينا عام ٣٨٩ . وبذلك استطاع أن يتفرغ لتنظيم قواته . ودامت الفسحة من الوقت حتى عام ٣٨٦ عندما عقد صلح "أنتالقيداس" الذى أتفقت المدن الإغريقية بمقتضاه على أن تضع حداً لحروبها مع "ارتكسركسيس" الثانى فخفت عن كاهله مسئوليات الجبهة الأوروبية ، ومن ثم استطاع "السترايا" فرنباز " أن يتجه إلى مصر التى ظلت هى وقبرص تقفان فى وجه بسط السيادة الفارسية .

تحمل " أكوريس " وحده عبء الصدام مع القوات الفارسية التى حاولت طوال ثلاث سنوات من ٣٨٥ وحتى ٣٨٣ أن تكسر شوكة مصر . ولكن مصر كانت أفضل تنظيماً مما كانت عليه فى الجيل السابق . كانت قواتها من قبل منقسمة على نفسها ، أما الآن فإنها تلتف حول سلطة واحدة ، وأصبح الأسطول المصرى أقوى أساطيل عصره . وكان الجيش المصرى يتمتع بمساندة أفضل القوات الإغريقية بتشجيع من زعماء الجماعات المعادية للفرس ، كما كانت تحت قيادة " خرياس " القائد الأثينى الذى أقام التحصينات الدائمة على مقربة من الفرع البلوزى للنيل . ولم تُمن جميع المحاولات الفارسية بالفشل فحسب ، بل نجح المصريون فى العودة إلى الشرق الأدنى . وبينما اشتبكت فارس مع مصر استغل "إيفاجوراس" هذا الوضع ليبسط سيطرته على البحر المتوسط ويصل إلى صور .

وإذ نصل إلى عام ٣٨١ يقرر الفُرس أن يركزوا جل جهودهم على قبرص . كانت قوات تربازيوس وأورونتوس متفوقة عدداً عندما وقع الصدام بينها وبين أيفاجوراس ، ولكنها لم تحقق مع ذلك نجاحاً يذكر . لقد استطاع إيفاجوراس أن يمنع توينها عن طريق البر بهدف تجويع الجيش الفارسي لدفعه إلى التمرد . ولكنه كان أقل حظاً في البحر ، فقد وقعت المعركة بينه وبين الأسطول الفارسي تجاه شاطئ كيتيون فأحرز بعض النجاح في بداية الأمر ، ولكنه اضطر إلى الانسحاب إلى سلاميس بعد أن فقد القسم الأكبر من قواته . وطارده أورونتوس وحاصر المدينة ، واستطاع " إيفاجوراس " الفرار واتجه إلى بلاط ملك مصر طمعاً في المساعدة . وكان " أكوريس " قد سبق له أن زوده بمساعدات ضخمة من سفن وقوات ومؤن ، إلا أنه رأى أن قضيته خاسرة هذه المرة . فعاد " إيفاجوراس " إلى سلاميس بخفي حنين وكان كل ما حصل عليه هو مبلغ صغير من المال فاضطر إلى الدخول في مفاوضات مع المنتصر واستغل النزاعات التي نشأت بين " أورونتوس " و " تربازيوس " ليتوصل إلى معاهدة سلام لا استسلام ، واضعاً حداً لعشر سنوات من الحروب .

ونصل إلى صيف ٣٨٠ ، حيث الفُرس يخططون بالفعل لإعادة السيطرة على مصر بعد أن حصلوا على كل ما يمكن الحصول عليه من المدن الإغريقية والجهة الغربية . وجاءت وفاة " أكوريس " لتتبعها الظروف لذلك لاسيما بعد ظهور مشكلات وراثية العرش . فسرعان ما خلع " نختنبو بن تاخوس " الملك نفريتس الثاني بن أكوريس وهو ما أشرنا إليه من قبل . وكان " نختنبو " الأول قد أعلن نفسه ملكاً منذ أشهر قليلة ، مؤسساً أسرة ملكية جديدة في سبنتوس (سمنود حالياً) . صحيح أن هذه الأزمة كانت قصيرة الأجل في حقيقتها ، إذ سرعان ما تمكن نختنبو الأول من بسط سيطرته على طول البلاد وعرضها مع حلول نوفمبر ٣٨٠ . ولكن إذا أضفنا إلى هذه الأزمة عزلة فرعون السياسية ، فإن الظروف تصبح مهيئة لحدوث ثغرة خطيرة في دفاعات مصر . وبقي الخطر الأخير متمثلاً في القائد العسكري " خيرياس " الذي عاون نختنبو في تدعيم عرشه إلى أن توصلت سوسة إلى استدعائه من جانب أثينا خلال شتاء ٣٨٠ / ٣٧٩ . ولم تقف الأمور عند هذا الحد بل أرسلت الحكومة الأثينية إلى " الملك العظيم " الاستراتيجوس " إيفيكراتوس " وهو من أعظم قوادها للإشراف على القوات الإغريقية المعاونة في الجيش الذي جمعه " الملك العظيم " للزحف على مصر . واستغرقت هذه الاستعدادات ست سنوات بالنظر إلى تعطلها من جديد بسبب الخلافات التي دبت في القيادة العليا بين الإغريق والفُرس وفي

صفوف الفُرس انفسهم . ولم تغادر قوات " الملك العظيم " شمال فلسطين إلا فى ربيع عام ٣٧٣ بحرا وبراً بمحاذاة الشاطئ .

وصل الأسطول الذى كان يشكل أساس القوات الإغريقية أولاً ، وعُدل من خطته الأصلية القاضيه بالوصول الى مصر عبر الفرع البيلويزى للنيل بعد ان تمكن نختنبو الأول من تدعيم دفاعاته الطبيعية بدفاعات صناعيه حيث شيد سلسلة من الحصون والأشراك . واختار " ايفيكراتوس " و " فرنباز " أن يجريا حظهما عند الفرع المنديسى بالنظر الى ضعف دفاعاته. ونجحت الفكرة ، ووقعت بعض المناوشات واصبح الطريق الى منف مفتوحا. ولم ينقذ المصريين من هزيمة مؤكدة سوى مشاعر الارتياح المتبادلة التى تفشت بين الإغريق والفُرس . كان " ايفيكراتوس " يود الاستفادة مما حققه من مكاسب للزحف على الفور ودون تأخير على منف التى يعلم ان دفاعاتها ضعيفة . بينما خشى فرنباز ان يستغل الإغريق الظروف للاستيلاء على مصر لحسابهم الخاص وفضل الانتظار لحين وصول الجانب الأكبر من القوات الفارسيه . وسمحت هذه المهلة لفرعون ان يستنفر قواته وان ينقض على الغزاة . ومما ساعده على إنزال هزيمة محققة بقوات " الملك العظيم " حسن درايته بالمكان ، وما قدمه النهر من عون كبير عندما حول فيضان النهر أراضى الدلتا الى مناطق ومستنقعات شاسعة ، اذ كان الوقت هو الأيام الأخيرة من شهر يوليو .

الأسرة الوطنية الأخيرة

تخلصت مصر من محاولة جديدة لغزوها ، وضمنت ان تعيش فى سلام لفترة زمنية طويلة نسبيا ، إذ لن يعاود الفُرس محاولتهم غزو مصر قبل مرور ثلاثين سنة ، وفى عام ٣٤٣ على وجه التحديد. كما أدت هزيمة فرنباز الى القطيعة التامة مع " ايفيكراتوس " الذى عاد الى أثينا خوفاً من التدابير الانتقامية وعين قائداً على الأسطول عام ٣٧٣ ... فكانت خسارة كبيرة لحلفائه القدامى . وحتى عام ٣٦٦ عاشت مصر فى عزلة فى وجه بلاد فارس . فقد غلّ " الملك العظيم " أيدى المدن الإغريقية فى حين أخذت خيوط الأحداث تتجمع لتفضى إلى محاولة جديدة لغزو وادى النيل . وكانت الإمبراطورية الأكمينية تعاني من اتساع رقعتها . وساعد نظام الاسترايات أو الولايات السائد فى الإمبراطورية على مضاعفة شدة تيارات قوى الطرد المركزية. وكلما تقدم "أرتكسر كسيس" الثانى فى السن ، ظهر عجزه عن لم شمل أقاليم الإمبراطورية وأخذت الروابط التى

توحد بينها تتراخى . وجنحت كبادوكيا ثم كاريا وأقاليم الامبراطورية الحدودية نحو وضع أشبه بالحكم الذاتى مع حلول عام ٣٧٠ قبل الميلاد . كما كان إقليم كبادوكيا أول من قمر بشكل سافر عام ٣٦٨ ، ثم تبعه إقليم فريجيا وحل الدور أخيرا على اسبرطة وأثينا . وهكذا بدا وكأن الأقسام الغربيه من الامبراطورية من أرمينيا وحتى فينقيا على وشك الانفصال . وفى أقل من خمس سنوات كانت ثورة " السترايات الكبرى " - قد بلغت أوجها . ولكن الوقت كان لا يزال مبكرا للحديث عن انهيار الامبراطورية . واستغلت مصر هذه المهلة التى اتاحت لها للتفاوض مع السترايات الثائرة وأمدت بعضها بالمال بعد أن أعادت اتصالاتها منذ عام ٣٦٦ بكل من اسبرطة وأثينا .

ومنذ عام ٣٦٥ اشرك " نختنبو " الأول معه فى الحكم ابنه "تاخوس" (تايبوس) الذى شارك بنصيب كبير ونشط فى الثورة ضد "الملك العظيم " ، باسم والده أولا ، ثم لحسابه الخاص عندما انفرد بالحكم من ٣٦٣/٣٦٢ الى ٣٦١/٣٦٢ . بل وقام بغزو سوريا وفلسطين بمساعدة اثنين من المحاربين القدماء الميديين ، أولهما " اجيسيلادوس" ملك اسبرطة العجوز الذى قدم إلى مصر فى اواخر عام ٣٦٢ رغم بلوغه الثمانين من عمره ولكنه أصبح على رأس فرقة من ألف من المشاة الأشداء المسلحين تسليحا ثقيلًا . والثانى هو "خبرياس" شيخ المحاربين وقد حضر لقيادة الأسطول . إن مجهودا حرييا كهذا كان من المحال تصوره قبل جيل من الزمن . فأصبح ممكنا من جديد بفضل سياسة نختنبو الأول السديدة الذى استطاع أن يعيد إلى البلاد شيئا من رونقها الذى أرادته صورة مستعارة من العصر الصاوى . ونلاحظ أثر ذلك فى الإنتاج الفنى والأدبى لهذا العصر وهو انتاج غزير رفيع المستوى . كما قام فرعون مصر بأعمال التشييد أو الترميم أو التجميل فى معظم معابد مصر . ونذكر له على وجه التحديد ترميم أسوار معابد الكرنك وتشييد الصرح الأول لمعبد " آمون " . كما أسس معبد " ايزيس" فى جزيرة فيلة فى وضعه الأول . وأنجز بعض الأعمال فى الكاب وهرموبوليس ومنف ، وفى الدلتا: فى صفت الحنة وتانيس . ولم تقتصر سياسته الدينيه على أعمال التشييد ولكنه منح الإعفاءات الضريبية للمعابد وحبس عليها الأملاك ، ونذكر على سبيل المثال معبد ادفو ومعبد الإلهة " نيت" فى سايس .

بدأ " تاخوس" استعداداته العسكريه تحسبا للحرب فى الأشهر الأولى من عام ٣٦٠ ، فشكل قواته الخاصة من المرتزقه ، واتخذ تدابير صارمة لجمع الضرائب حتى تمتلىء

خزائنه بما يكفى لضرب النقود اللازمة لدفع أجور المرتزقة الإغريق الأمر الذى اثار استياء الجماهير واستغله خصومه ليوجهوا له نقداً مبرراً . وفى عام ٣٦٠ توجه الجيش المصرى براً وبحراً بمحاذاة الساحل إلى فينيقيا وتولى تاخوس قيادة جيوشه مصطحباً معه ابن أخيه "جاهيبيمو" الذى تولى السلطة نيابة عنه أثناء غيابه . وعهد تاخوس إلى ابن أخيه هذا - الذى سوف يعرف فيما بعد بالملك نختنبو الثانى - بقيادة مرتزقة جيشه . وكادت الحملة تنجح عندما أعلن "جاهيبيمو" ابنه نختنبو ملكاً ، مستغلاً الاستياء العام الذى عم البلاد ضد تاخوس ، وتحول ولاء الجيش فى الحال إلى جانب قائده الشاب الذى نال تأييد ومساندة "اجيسيلاوس" بعد أن استشار اسبرطة. وفر تاخوس هارباً ... واحتمى "بالمملك العظيم" . وعاد خبرياس إلى أثينا وتصدى أمير منديس وحده للمغتصب ، ربما دفاعاً عن مصالح الأسرة التاسعة والعشرين الذى كان ينتسب إليها على ما يبدو . وأياً كان الأمر فقد اضطر "نختنبو" الثانى الى أن يتخلى عما أصبح يعرف فى التاريخ بآخر محاولة غزو يقوم بها فرعون مصرى فى الشرق الأدنى ، وعاد إلى مصر ليواجه التمرد الذى اخذ يهدد سلطانه . وتغلب على خصمه فى خريف عام ٣٦٠ بفضل مهارات "اجيسيلاوس" العسكرية . ويعد أن جمع ملك إسبرطة العجوز الأموال اللازمة لمدينته ، رحل عن مصر تاركاً نختنبو سيد البلاد دون منازع .

وخلال حكم "نختنبو" الثانى الذى دام ثمانى عشرة سنة شيد ورمم الكثير من المعابد ، ففاقت أعماله منجزات نختنبو الأول المعمارية. وواصل أيضاً المزايدة على أسلافه إرضاء للكهنة الوطنيين الذين أصبحوا أكثر من أى وقت مضى أكبر المستفيدين من نظام يمثلون قيمه الوطنية الوحيدة فى مواجهة عالم من الأجانب أخذت أعدادهم تتزايد بشكل مستمر ، ويتولون فيه رسم سياسة البلاد . واستهل حكمه بإقامة مراسم دفن العجل أبيس فى منف كما حث على انتشار شعبية العجل "بوخييس" كأقنوم حيوانى آخر - خارج مدينته أرمنت . وشأنه شأن نختنبو الأول ، قام بتشجيع مختلف العبادات . وحفظ لنا الزمن أكثر من مائة شهادة على أنشطته المتعددة المتصلة بمعابد مصر فى مجموعها . ومع ارتقاء نختنبو الثانى العرش أخذت أوضاع الامبراطورية الفارسية الداخلية تتطور تطوراً حثيثاً . وقبيل وفاة "ارتكسر كسيس" الثانى ، أى فى الشهور الأولى من عام ٣٥٩ ، بدأ "اوخوس" الذى سيحمل لقب "ارتكسر كسيس" الثالث عند ارتقائه العرش يعد العدة لحملة عسكرية كان الغرض منها إعادة السيطرة الفارسية على سوريا وفلسطين ، وكانت آثار الحملة المصرية مازالت ماثلة فى الأذهان . فهل كان ينوى

مواصلة زحفه حتى يدخل مصر ؟ أيا كان الأمر فإن الظروف لم تسمح له بتحقيق ما انتواه . حيث اضطرته وفاة " الملك العظيم " إلى أن يعود إلى العاصمة . وفيما بعد واجه مهمة إعادة ترتيب أوضاع الامبراطورية ومواجهة الاضطرابات التي اندلعت في اقاليم آسيا الصغرى ، مما دفعه إلى البقاء في العاصمة حتى عام ٣٥٢ . وهكذا كاد ينجح في إعادة قوة فارس إلى سابق عهدها . وعلى الرغم من تأثير مقدونيا المتزايد فقد استطاع أن يفرض سيطرته من جديد على آسيا الصغرى ، ولم ينقصه سوى إعادة فتح مصر وضمها إلى إمبراطوريته بعد أن زالت عنها حماية الأحلاف . وتفرغ لهذه المهمة في شتاء ٣٥١ / ٣٥٠ ، فخرج شخصياً على رأس جيشه لغزو مصر ولكن حملته منيت بالفشل .

وتجاوزت نتائج هذه الهزيمة الصعيد العسكري إلى حد بعيد . فقد استخلصت المدن الإغريقية وعلى رأسها مقدونيا من هذه الأحداث ضرورة إحياء الحلف المقدس ضد " الملك العظيم " بعد أن تقوضت صورته كقائد لا يقهر . وحدث التصدع الأول في فينيقيا فثارت صيدا وأخذت تتسلح وتحالفت مع مصر ، وامتدت حركة التمرد إلى قبرص وسادت القلاقل كيليكيا . وبدأ اليهود يعدون العدة للثورة وكان في مقدور مصر أن تنزعق اتحاداً يوحد بين الأقاليم الثائرة ، ولكن نختنبو اكتفى بإمداد صيدا بأربعة آلاف من المرتزقة الإغريق في عام ٣٤٦ عندما انطلقت قوات " ارتكسر كسيس " من سوريا وكيليكيا صوب المدينة . وحقق الثوار انتصارهم الأوحد واستسلمت قبرص عام ٣٤٤ ، وصمدت سلاميس بزعامة " بنيثاجورس " وظلت محاصرة . واعتباراً من نفس هذه السنة بدأ ارتكسر كسيس الثالث يجند المرتزقة من المدن الإغريقية ليضمهم إلى جيشه في حربه على مصر ، ولم يجد عناء يذكر أثناء زحفه على صيدا . كان أهالي صيدا قد تسلحوا تسليحاً جيداً ووقفوا على أهبة الاستعداد لخوض المعركة ، ولكن الخيانة كانت لهم بالمرصاد فجاءتهم من الجالس على عرش المدينة ، حيث قام تيناس ملك صيدا بتسليم أهم زعماء المدينة إلى ارتكسر كسيس الثالث الذي تحول ضده وأعدمه . وكان أهل صيدا قد أعدوا العدة لخوض حرب مقاومة بطولية ضد المعتدى ، فلم يترددوا في إشعال النار في أسطولهم لقطع خط الرجعة أمام المدافعين عن المدينة ، مفضلين الموت وسط الحرائق التي اشتعلت فيها وأحرقت منازلهم . وبلغ عدد ضحايا تدمير صيدا وتخريبها ونهب ممتلكاتها أربعين ألف قتيل ، مما دفع المدن الفينيقية الأخرى إلى الاستسلام ، كما استسلم " بنيثا جورس " أيضاً عام ٣٤٣ . واستطاع " ارتكسر كسيس " الزحف على مصر في فصل الخريف من نفس العام ، وكان على رأس جيش تولى قيادته أعظم قواد هذا العصر ومن بينهم الاستراتيجيان " باجواس " و " منتور " من رودس .

كان " نختنبو " الثانى من جانبه قد أعد العدة للمقاومة بالاعتماد على المنشآت الدفاعية المقامة على الفرع البلوزى للنيل ، وبلغت قواته مائة ألف مقاتل منهم أربعون ألفاً من المرتزقة موزعين مناصفة بين الليبيين والإغريق . ولكن الفرس كانوا على دراية بتفصيلات هذه التحصينات بواسطة قدامى المحاربين الذين شاركوا فى حرب ٣٥٠ . كما أحسن الفرس اختيار أنسب فصول السنة لهم حتى لا يتكرر ما حدث عام ٣٧٣ عندما فاض النيل وقدم يد العون للمصريين . وكان الجيش الفارسى موزعاً فى عدد من الفرق تحركت معاً وفى آن واحد للاستيلاء على بلوزيوم والزحف على الدلتا وأسر الفلاحين واستخدامهم مرشدين أثناء تقدمه . ولم يتفقت ذهن " نختنبو " الثانى عن عبقرية عسكرية تمثال ماعرف عن جنرالات الإغريق . ولسوء حظه لم يسعفه إلهامه ويرشده إلى إسناد قيادة العمليات العسكرية إليهم ، فاضطر إلى التقهقر والانسحاب إلى منف . واستغل الفرس النزاعات التى تفجرت بين الحاميات الإغريقية والمصرية بعد الهزيمة التى نزلت بالمصريين ليستولوا على بوباستس . وفى أعقاب استسلام المدينة استسلمت غيرها من المواقع المحصنة . وفى منف أيقن نختنبو الثانى بعدم جدوى المقاومة وقرر أن يترك المدينة ويفر هارباً صوب الجنوب بعيداً عن متناول القائد المنتصر . ومن الواضح أنه تمكن من الإفلات منه ليحتفظ لمدة عامين على الأقل بقدر من السلطة ، اذ وصلتنا وثيقة من إدفو مؤرخة بالعام الثامن عشر من حكمه . ومن المتفق عليه بين جمهور المتخصصين أنه لجأ عند أحد أمراء النوبة السفلى الذين عاصروا " نيسناسن " من ملوك نپاتا . ويحتفظ متحف برلين بلوح حجرى لهذا الملك ، اتفق البعض على قراءة إسم " خباباش " مدونا على سطحه ، وهو ، على ما يعتقد ، الفرعون الذى خلف نختنبو لمدة قصيرة فيما بين ٣٣٨ و ٣٣٦ . ولا نعرف الكثير عن هذا الفرعون الذى اقتصرت سلطته على ما يبدو فى الحق السيادة المترتب على حمل الألقاب الملكية . ونلاحظ ذلك بمناسبة دفن العجل أبيس فى منف وهى المناسبة التى كانت تتفق مع العام الثانى من حكمه بالإضافة إلى بعض الوثائق القانونية . وإذا صح أن خباباش والمدعو " كامباسوتن " الذى كان " نيسناسن " على خلاف معه ، هما شخص واحد ، فمن المحتمل أن خباباش هو أمير من أمراء النوبة السفلى نصب نفسه مستولاً على مصالح نختنبو الثانى بعد وفاته على الأرجح ، استناداً إلى أنه أعلن نفسه فرعوناً . ويروى التقليد البطلمى المتواتر أنه تزعم نشاطاً معادياً للفرس فى الدلتا وإن هذه المقاومة استمرت حتى شتاء ٣٣٦ / ٣٣٥ .

ونفتقر إلى الوثائق الموثوق بها كى نصدر حكماً إيجابياً . فكل ما يمكن قوله أن هزيمة " نختنبو " وفراره قد وضعاً نهاية لاستقلال مصر ، ولا يغير من الأمر شيئاً استمرار

المقاومة الوطنية حتى ٣٣٦ / ٣٣٥ تقريباً . أما المنتصر فقد دك حصون المدن الرئيسية فصارت أثراً بعد عين ، ونهب المعابد وأجبر الكهنة على إعادة شراء أدوات الشعائر بأسعار مرتفعة ... ولكن من المستبعد أنه ارتكب التجاوزات التي تدعيها التقاليد اليونانية المتواترة ، فالتلفيق واضح حيث نُسخَت التجاوزات المختلفة على أساس تلك التي نسبت في وقت سابق إلى " قمبيز " . ونذكر منها قتل العجل أبيس وكبش منديس السخ ... بل نعتقد أنه اكتفى بتعيين الستراپا "فيرانداش" واليا على مصر وهو سُمي الستراپا السابق الذي عين في عهد " داريوس " الأول ، وأنه قفل بعد ذلك عائداً إلى عاصمة ملكه التي عادت لتصبح دون جدال مركز إشعاع الأكمينيين . وفقدت مصر ارادتها الحرة وارتبط مصيرها من الآن فصاعداً بمصير الإمبراطورية .

سيد العالم الجديد

استرد الفرس هيمنتهم ، إلا أنها لم تدم إلا أقل من عشر سنوات في حين كان من المتوقع لها أن تدوم طويلاً . ودس " باجواس " السم " لأرتكسر كسيس " ولجميع أفراد عائلته خلال صيف عام ٣٣٨ ، وأعلن " أرسيس " ملكاً خلفاً له وهو مازال شاباً في مقتبل العمر . ولم تمض بضعة أسابيع إلا وكان فيليب الثاني المقدوني قد انتصر في معركة "خيرونيا" ليوحد من حوله كافة القوات اليونانية فارتبكت أوضاع الإمبراطورية وسادها الغموض حتى عام ٣٣٦ / ٣٣٥ ، ومن المحتمل أن خباباش قد قام بثورته في هذه الفترة . وفي صيف ٣٣٦ لقي أرسيس نفس مصير سلفه وتولى السلطة من بعده " داريوس " الثالث كودومان . وحكم مصر كفرعون مصري طوال السنتين المتبقيتين في حياة الإمبراطورية الأكمينية . ففي ربيع ٣٣٤ عبر الأسكندر مضيق الهيليسبونت (الدرنيل حالياً) والحق الهزيمة بعدد من الستراپا وهزم " داريوس " نفسه في موقعة إسوس في فصل الخريف من نفس السنة . وفي غضون ذلك أصبح "مازاكيس" سترابا على مصر بعد أن انقذ البلاد من قبضة " امينتاس " . وفي خريف عام ٣٣٣ سلم "مازاكيس" مصر " للإسكندر " دون معارك ، واعترف به وحي آمون سيدياً جديداً على العالم .

خاتمة

كان فتح " الإسكندر " لمصر هو الحد الذي رسمته لنفسى كنهاية لهذه الإطلالة على التاريخ الفرعونى . فعندما حطّ أهل مقدونيا الرحال على ضفاف وادى النيل زالت مصر كدولة ذات سيادة من الناحية السياسية وان استمرت تلعب دوراً فى الساحة الدولية . ولكن عالم الشرق الأدنى والبحر المتوسط الذى بدأت تتحرك فيه مصر أصبح عالماً فقد حريته واستقلاله . فمع ظهور الإسكندر وقادته العسكريين وقياصرة روما - سادة العالم الجدد - انتقل مركز ثقل العالم صوب الغرب . إنهم الغزاة الجدد لبلد ظل مفتوحاً منذ بداية الألف الأولى قبل الميلاد ليتعاقب عليه الليبيون والإثيوبيون والفُرس . ولم يعد ضياع المبادرة السياسية شيئاً جديداً على سكان وادى النيل ، ولكن الفُرس وحدهم هم الذين حرموا الفراعنة استقلالهم ، واكتفى الآخرون بتسخير الهوية الوطنية لما فيه مصلحتهم . هذا ما فعله أيضاً البطالمة و الرومان وإن يكن فى الظاهر فقط . فقد أبقوا على بنية المجتمع كما هى ، فى حين نقلوا قواعد اللعبة عن حضارتهم الخاصة وظلوا ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم الضامنين لاستمرارية خليفة رع ، وضاعفوا من بناء المعابد والمؤسسات الدينية . وهكذا ظلوا طوال ثمانية قرون يتسترون وراء قناع الفراعنة .

هل يكفى ضياع الاستقلال والسيادة للقول بحدوث انقطاع من الناحية التاريخية ؟ فى الواقع يمكن الأخذ بالرأى المضاد : فالقول بأن تاريخ مصر منذ وفاة " الإسكندر " هو تاريخ العالم الإغريقى شى ، والقول بضياع هوية البلاد شىء آخر . فهل فقدت مصر هويتها حقاً ؟ عندما فتح " الإسكندر " مصر واجه نفس المشكلة التى واجهها الفُرس من قبله ، إذ وجد نفسه يحكم إمبراطورية مترامية الأطراف يستحيل توحيد قوانينها ، فكان لابد من تخوير سلطته فى كل بلد حسب البنى الوطنية المحلية . لتتخذ فى مصر شكل الحكومة الثيوقراطية . وهكذا لجأ إلى المؤسسة الوحيدة الكفيلة بمساندة سلطته كما ساندت سلطة الفراعنة من قبل : وهى مؤسسة الكهنة .

لقد سجلنا صعود نجم سلطة الكهنة على امتداد الألف الأولى قبل الميلاد . واقترن ذلك بتوطيد التنظيم القومى للكهنة المحليين ، فواجه الغزاة الجدد عند فتح مصر مؤسسة حقيقية خاضعة لمراتب هرمية صارمة فلم يكتفوا بالتعامل معها ، بل قاموا بتدعيمها ونظموا لها المجامع السنوية حيث يلتقى الملك وكبار الموظفين مع الكهنة يتبادلون الرأى حول التوجهات السياسية الأساسية فى البلاد . وتنعكس أصداء هذا المجمع على المجامع

الفرعية الإقليمية فتكفل للملك أن يسوس الجماهير الشعبية فى يسر وهى الجماهير التى اعتادت أن تخضع على الدوام للسلطة الدينية . ومن الأدلة غير المباشرة على حسن سير هذه التسوية التى أجمعوا عليها أن الكهنة لم ينجحوا فى الحفاظ على نفوذهم وسط الناس فحسب ، بل استطاعوا أيضاً أن يستردوا عام ١١٨ ق. م. حق الانتفاع بالأماكن الإلهية التى صادرها المحتل فى أعقاب الفتح . وظلوا يحتفظون بهذه الامتيازات إلى أن سلبهم الرومان استقلاليتهم ووضعهم تحت إشراف " الإيديولوجوس " كمشرف عام عليهم، فكان له اليد الطولى على أداء مختلف شعائر وادى النيل . ومعنى ذلك أن الكهنة تمكنوا من استرداد نفوذهم الغابر قرناً من الزمن . يشهد على ذلك ضخامة برنامج إنشاءات البطلمة الدينى ، فقد أعيد تشييد أكبر المعابد فى ظل حكمهم أو أدخلت عليها التوسعات فى طول البلاد وعرضها ابتداءً من فيلة وحتى الدلتا . وعندما يتجول الزائر بين هذه العمائر أو فى كبريات المدن التى يشاهدها على امتداد الوادى والمناطق شبه الصحراوية والجارى الكشف عنها ، يخرج بانطباع عن وجود فيض من الإنشاءات مساوٍ لما شيد فى العصور السابقة على أقل تقدير .

وإذا اتفقنا على أن المعابد هى الأمانة على الثقافة ، والحافطة لها ، وأنها مراكز إشعاعها ، حق لنا أن نعتبر العصر اليونانى الرومانى بكل تأكيد استمراراً للعصور السابقة . ويكفي فى هذا الصدد أن نشاهد معبد "حتحور" فى دندرة . وتفحص الأصول الأولى لإنشاء المعبد فى غياهب الماضى ، وتختلط مع أصول الحضارة ذاتها . أما المعبد فى وضعه الحالى فقد بدىء فى إعادة تشييده فى عهد بطليموس الثانى عشر "الزممار" ولم يفرغ منه إلا فى عهد الإمبراطور الرومانى "انطونينوس- بيبس" (الورع) . ويبلغ تنظيمه المعمارى وزخرفته حد الكمال من حيث التزامه بالمعايير المقدسة . ويمكن اعتباره هو وغيره من المعابد التى شيدت فى العصر اليونانى والرومانى نماذج للمعبد المصرى . ان الثقافة التى شاعت فى أحرام هذه المعابد كانت مطابقة لنموذجها الكلاسيكى شأنها شأن العمارة . فاللغة التى دونت بها نصوص الطقوس الدينية أقرب إلى لغة الدولة الوسطى منها إلى لغة الحديث فى عصر تدوينها . ولكن هذا التصميم على الوصول إلى نقاء الأصول وصفائها قد تحول إلى جمود وتحجر . وتشبث الكهنة بأبحاث عقيمة عن الفرائض الشعائرية أدت إلى التعلق بتفصيلات وتعقيدات كادت تصل إلى حد السفسطة البيزنطية . وجاء الإنتاج الفنى أيضاً ترجمة لهذا الفارق العميق بين خيال الفراعنة والحياة اليومية . لقد تحجر الفن الدينى فى جمود تعبيرات الماضى ، فى حين تأثر

التصوير الرسمي بالنموذج الإغريقى . اما الفن الشعبى فقد قطع شوطا أكبر فى عملية المزج والخلط ، فطور الإيقونوغرافيا المركبة لأكبر العبادات انتشارا والتي سوف تسود العالم الرومانى ، ونذكر منها عبادة "إيزيس" و " سرابيس" . وهكذا ظهرت بالتدريج حضارة أخذت تنهل أكثر فأكثر من التراث المشترك لعالم البحر المتوسط وتبتعد فى نفس الوقت عن حضارة الفراعنة . وقد فرضت هذه الحضارة الجديدة نفسها على مر القرون على المنطقة من بابل إلى روما .

وقد سبق لمثل هذا المجتمع المتعدد الأجناس أن ظهر وترعرع فى مراكز تجمعات الإغريق التى نشأت فى مصر منذ القرن السادس قبل الميلاد . وجاء تأسيس الإسكندرية للإسراع فى هذه النزعة إذ أراد لها الفاتح المقدونى أن تصبح القطب الثانى فى امبراطوريته الشاسعة ، واستفادت العاصمة الجديدة من دورها السياسى والتجارى لتتصدر أهم المراكز الثقافية فى عالم البحر المتوسط وفى نقطة التقاء الشرق والغرب . وأصبحت الإسكندرية محط القوافل التى تنقل منتجات الهند الواردة عبر الخليج الفارسى من "جرجا" القصية مروراً بـ"بیترا" ، وأيضاً المنتجات التى تربط مصر بآسيا الصغرى وطرق تجارة الحرير من خلال "دورا اورويوس" والمدن الفينيقية المطلة على البحر . كما أصبح وادى النيل أكثر من أى وقت مضى معبراً للقوافل إلى إفريقيا عن طريق "سوينى" (أسوان) والواحات ، وإلى البحر الأحمر عبر الدروب التقليدية والوصلة الجديدة بين ميناء برنيكى وكويتوس وبطلمية فى مصر الوسطى . وكلها إنشاءات يغلب عليها الطابع الإغريقى رغم أسمائها المصرية . فالإسكندرية هى البوتقة التى انصهرت فيها إسهامات الشرق هذه مع تلك التى قدمها الغرب من خلال كبرى الطرق البحرية من رودس وقرطاجنه وروما . ونشأت فى الإسكندرية حضارة لها أصالتها التى نلمسها فى بعض الأعمال التى نذكر منها على سبيل المثال مؤلفة "نساء سراقوسة" للأديب "ثيوكریتوس" التى يعرض فيها بأسلوب فكاهاى ساخر الفاتنات الساحرات واختلاط الشعوب بلا حدود . إنها حضارة "بر مصر" كما أطلق عليها القدماء ، وسوف نلتقى بها ثانية فى "إسكندرية" الأديب البريطانى المعاصر "لورانس داريل" ...

صحيح أن مصر لم ينظر اليها كبلد له سحر ماهو أجنبى إلا فى عيون أهل روما ، إلا أنها اضحى منذ الآن جزءاً من الماضى . ومع ذلك تم الحفاظ على المظاهر ، وأصبح ممكناً كتابة تاريخ لمصر . لن يكون هذا التاريخ سوى تاريخ تشييد المعابد وتعاقب هؤلاء

الفراعنة الذين لا يتحدثون سوى اللغة اليونانية ، ولكنه لن يكون تاريخ الشعب الذى يمكن تدوينه من خلال مصادر أخرى هى مزيج من حقوق المحتلين وحقوق أهل البلاد الأصليين ولكن من يكون هذا الشعب ؟ إنه جمهور متجانس من الفلاحين والمستوطنين الذين تزوجوا من أهل البلد وإن ظلوا يحتفظون بأصولهم اليونانية ويعيشون فى فقر مدقع لم يسمح لهم بتجاوز الأساليب التقنية التى توارثوها عن اجدادهم ، ويعيش إلى جانبهم الإغريق الذين تفرغوا للتجارة وأساليب التبادل الحديثة من مصارف وقبول . انهم فلاحون أميون أو سكان حضر هليينيون .

ولم يتطور أسلوب حياة الفلاحين إلا بقدر ضئيل . ويتفق أى وصف يقدم عن حياتهم فى خطوطه الرئيسية مع الصورة التى رسمت عنهم أيام الدولة الحديثة والتى ظلت كما هى طوال الألف الأولى قبل الميلاد . وربما احتفظت ملامح هذه الصورة بمصادقيتها حتى عصر الثورة الصناعية التى عاشها الغرب فى القرن التاسع عشر بل وبعد هذا التاريخ . فقد ظلت حياة الفلاحين كما كانت فى العصور القديمة وحتى صدر القرن العشرين كما هى لم يتغير إيقاعها ، وظلت خاضعة لنفس القيود . إن تنظيم مجرى النهر وتوقف الفيضان احداثا تغييرا فى دورة طبيعية كانت تبدو من قبل خالدة إلى الأبد. ولا يزال الفخاريون ينتجون نفس الأشكال التى ينبهر عالم الآثار عند اكتشاف أمثالها من خلال حفائره وطالما أن المادة الأولية اللازمة لصناعتها لم تفرض حضارة تختلف اختلافا جذريا !

أما الحضارة الأخرى والمعروفة بالحضارة " الهلينية " فهى دخيلة على مصر . ولا يمكن فهمها أو وصفها إلا فى إطار بيئتها . وهى تعتمد - شأنها شأن الحضارة الرومانية - على عدد ضخم من المصادر والمداخل تغطى العديد من الحضارات وتتطلب مباحث خاصة. زد على ذلك إحدى المعطيات التى يختص بها علم المصريات وهو تجميع المصادر الوثائقية . وحتى الآن لم نقدر مصادر العصر المتأخر فى الألف الأولى قبل الميلاد حق قدرها ، ولم يفرغ المتخصصون بعد من إعداد حصر بهذه الوثائق ، ولا يزالون بحاجة إلى مزيد من الوقت للتوصل إلى استنباط رؤية حقيقية وشاملة للتطور الاجتماعى والاقتصادى لهذه المرحلة . وإلى أن تتحقق هذه الرؤية فسوف يقتصر تاريخ هذه المرحلة على سرد الوقائع السياسية والأحداث العسكرية من واقع الوثائق الرسمية أو الأسفار التى دونها المؤرخون الإغريق . اما الأبحاث التى تمت على الطبيعة فلم تفض سوى إلى نتائج

متواضعة نسبياً بالنظر إلى ضخامة الوثائق التى توصل إليها العلماء بالنسبة للعصور السابقة والتى تعتبر حتى الآن وثائق " رفيعة المستوى " فى نظر علماء المصريين. ولكن هناك سبب آخر ، إذ أن مواقع العصر المتأخر قائمة فى مصر الوسطى ومصر السفلى ، وهى مناطق يصعب الوصول إليها من زاوية التقاليد الأركيولوجية أو المتطلبات والاعتبارات الاقتصادية . إن الحفائر التى تمت فى الآونة الأخيرة فى إطار إنقاذ الآثار القديمة قد تقدم عناصر قيمة جداً فى هذا المضمار .

لم تكن مصر فى عصر الإسكندرية والعصر الرومانى المركز الوحيد الذى بقيت فيه الحضارة المصرية حية . فقد استمرت مملكة نپاتا القصية حتى بعد اندحار قواتها أمام " پسمتك " الثانى عند مدينة " بنبس " ، ولكنها تراجعت أكثر إلى الجنوب عند " مروى " التى كانت مركزاً مزدهراً منذ القرن السابع قبل الميلاد وأصبحت فى القرن الثالث قبل الميلاد عاصمة البلاد التى عرفها الإغريق باسم أثيوبيا . إن معرفتنا بتاريخ " مروى " وحضارتها مليئة بالفجوات . وقد لعبت مملكة مروى دوراً تاريخياً يُعتد به امتد تأثيره حتى النوبة السفلى وحتى أسوان خلال الفترة الأولى من سيطرة البطالمة . ويشير ديودور الصقلى إلى ملك يدعى " أرجمينس " يعتبره البعض الملك " أرنج أمانى " وهو الذى شيد المعبد المخصص للأسد " أيدماك " فى بلدة " المصورات الصفرا " . ويرجع الفضل لهذا العاهل المحب للحضارة الهلينية على ما يعتقد فى إدخال الفن السكندرى إلى مروى ، وقد كشفت الحفائر عما خلفه من آثار. ومن المرجح أيضاً أن " مروى " قد تدخلت إلى جانب الثورات التى نشبت فى مصر العليا ضد " بطليموس " الخامس .

وتشير الآداب الكلاسيكية إلى " جزيرة مروى " الأسطورية كمكان منيع استطاعت فيه الحضارة المصرية أن تحافظ على نقائها الأصلية ... غير أن علم الآثار قد قدم الدليل على غلبة الملامح الوطنية المحلية منذ منتصف القرن الثانى قبل الميلاد . فتخلى المرويون عن اللغة المصرية واحلوا محلها لغتهم المحلية التى ظلت تكتب بعلامات هيروغليفية مشتقة من الديموطيقية . واختاروا نظاماً سياسياً أمومياً على النمط الإفريقى فنصبوا " الكنداكة " ملكة عليهم . وقد تصدت إحدى هؤلاء الملكات لوالى مصر " بتوزيريس " فى عهد " اغسطس " ، ونجحت فى الحفاظ على مملكتها من الغزو الرومانى . وبقيت المعلومات حول هذه المملكة غامضة رغم بلوغها أوج ازدهارها ورغم الحملة التى أرسلها نيرون. صحيح أن علاقاتها بروما لم تكن علاقات ثابتة ولكنها دامت حتى القرن الرابع الميلادى . إلا أنها لم تقض على الخلط القائم بين إثيوبيا والهند والذى استغلته القصة

اليونانية إلى أبعد الحدود فمزجت الحضارتين معا تلبية لشغف قرائها بكل ماهو أجنبى وغريب





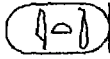



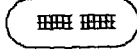

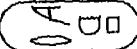



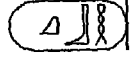
ويبقى مع ذلك أن طول عمر مملكة "مروى" كان مساويا لعمر مملكة مصر . فقد تداعت عام ٣٥٠ ميلادية تحت وطأة ضربات الأكسوميين الذين فرضوا على بلاد النوبيين الديانة المسيحية . ولاتزال معلوماتنا حول الحضارة التى استقرت مكان المملكة القديمة قاصرة وغير واضحة ، وتعود جذورها إلى ثقافة " البجا " وهم "البلميون" الشرسون الذين ظلوا آخر المؤمنين تشبثا بمعبد إيزيس فى جزيرة فيلة وإلى عهد الإمبراطور الرومانى "يوستينيانوس" . وجمعت هذه الحضارة بين ذكريات مصرية و"مروية" . فاستطاعت هذه التركيبة الغربية أن تصمد فى وجه المسيحية لمدة أطول من الحضارة المصرية اذ لم تستسلم نهائيا الا فى منتصف القرن السادس الميلادى .

ظل " المرويون " شأنهم شأن البطالمه يؤمنون أنهم ورثة الفراعنة وحملة رسالتهم . ولكن اذا نظرنا إلى الإنتاج الفنى لهاتين الحضارتين لاحظنا أن كلتا الحضارتين أضافت عناصر أصيلة من عندها - جعلت أقل نماذجها الفنية شأنًا مختلفة عن النموذج الذى تعتبر أنها ورثة لحضارته . فعندما فتح " پى (عنخ) ي " مصر كان يشعر أنه مصرى وليس نوبيا . وكان على حق ، فالحضارة التى كان يمثلها ليست سوى نتاج عملية تكيف مع الواقع الإجتماعى بلغت أقصى الحدود . وأخذ خلفاء الإسكندر وورثته الرومانيون من باب أولى يدمجون مصر فى نسقهم الحضارى . اكتفوا فى البداية بانتقاء الملامح الثقافية التى تتفق وما يسعون إليه من أهداف ، وانكبوا فيما بعد يؤولون التراث الذى نهلوا منه بغرض إعادة تشكيل رؤيتهم الذهنية من خلال تشويه النموذج الأصلى الذى نقلوا عنه، وكلما ابتعدوا عنه ازدادت هذه التشويهات ضخامة . وعندما شيد الإمبراطور الرومانى هديران نموذجاً لسرابيوم كانوب فى الدارة التى أقامها لسكنائه فى منتجع "تيفولى" كان يعتبر نفسه فرعوناً على مصر ولم ير فيما شيده مجرد نزوة فنية ، إنما كان أسلوباً اختاره لدمج سلطانه فى رؤية كونية للعالم وفقت بين رافدين : الرافد الشرقى والرافد الغربى . وفيما بعد ، وبعد أن ضاعت دلالة الحضارة المصرية ، لم يتبقى منها سوى الرموز التى أعيد تأويلها من خلال الثقافات التى قامت عليها ثقافات أوروبا . فسواء نظرنا إلى المسلات التى اصطبغت بالصبغة المسيحية أو إلى أويرا " النايالسكرى " للموسيقار موتسارت ، نجد دائماً أن طريق الحكمة يمر بالضرورة عبر مصر.




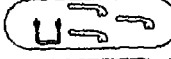

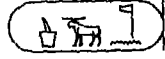
ملحق

ملوك مصر البارزين الذين بسطوا سلطانهم على مجمل تراب مصر
أو جانباً منه .

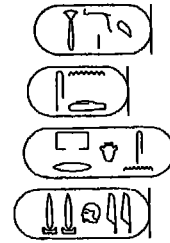
الأسرة الأولى (٣١٥٠ - ٢٩٢٥ تقريباً)

العقرب 	
نعرمر - مينا (٣١٥٠)	
ععا (٣١٢٥) 	
جر (٣١٠٠) 	
واحي (٣٠٥٥) 	
دن (٣٠٥٠) 	
عج إيب (٢٩٩٥) 	
سمرخت 	
قاعا (٢٩٦٠) 	

الأسرة الثانية (٢٩٢٥ - ٢٧٠٠ تقريباً)

حوتب سخموى 	
نبارع 	
نى نتر 	

ونج
سندج
پر ایب سن
خغ سخموی



الأسرة الثالثة (٢٧٠٠ - ٢٦٢٥)

نب کا



= ٩ (٧)

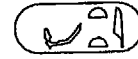
چسر



خغ با



سخم خت



نفر کارع



حونی

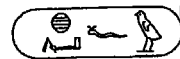


الأسرة الرابعة (٢٦٢٥ - ٢٥١٠)

سنفرو



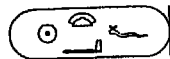
خوفو



چدفرع



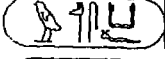
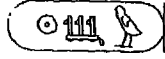




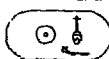
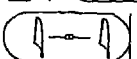
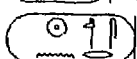
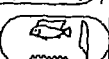

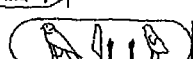
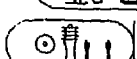


خعفرع



منکاورع
شپسکان



الأسرة الخامسة (٢٥١٠ - ٢٤٦٠)

اوسركاف	
ساحورع	
نفر إیر کارع - كاكای	 
شپسسكارع	 
رع نفر إف	 
نئ أوسر رع	 
منكاوحد	 
جد كارع إيسى	 
أوناس	

الأسرة السادسة (٢٤٦٠ - ٢٢٠٠)

تيتى	
اوسر كارع	
پيپى الأول	 
مرنرع الأول	 
پيپى الثانى	 
مرنرع الثانى	 
نيت إقرت	

الأسرتان السابعة والثامنة (٢٢٠٠ - ٢١٦٠ تقريباً)

فاكارع إيبى



الأسرتان التاسعة والعاشر (٢١٦٠ - ٢٠٤٠ تقريباً)
أهم الملوك الذين أمكن التحقق من شخصيتهم

مرى إيب رع خيتى الأول	
نفر كارع	
نب كاو رع خيتى	
واح كارع خيتى	
مرى كارع	

الأسرة الحادية عشرة (٢١٦٠ - ١٩٩١)

منتوحوتب الأول	
أنتف الأول	
أنتف الثانى	
أنتف الثالث	
منتوحوتب الثانى	
منتوحوتب الثالث	
منتوحوتب الرابع	

الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ - ١٧٨٥)

أمنمحات الأول (١٩٩١)	
سنوسرت الأول (١٩٦٢)	
أمنمحات الثانى (١٩٢٨)	
سنوسرت الثانى (١٨٩٥)	
سنوسرت الثالث (١٨٧٨)	
امنمحات الثالث (١٨٤٢)	

أمنمحات الرابع (١٧٩٧)



نفرو سوبك (١٧٩٠)



الأسرتان الثالثة عشرة والرابعة عشرة (١٧٨٥ - ١٦٣٣)
أهم الملوك حسب ترتيب تعاقبهم على عرش البلاد .

سخم رع خوتاوى



أمنمحات الخامس



سحوتب إيب رع (الثانى)



أمنمحات السادس



حور نج حر إيتف



سوبك حوتب الأول



رينى سنب



حر الأول



أمنمحات السابع



وجاف



سنوسرت الرابع



خنجر



سمنخ كارع



سوبك حوتب الثالث



نفرو حوتب



ساحتحور



سوبك حوتب الرابع



سوبك حوتپ الخامس



نفر حوتپ الثانى



نفر حوتپ الثالث



يع إيب



إبنى



إيبى



ديدومسيو



سنباحى

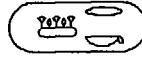


مونتو إم ساف



الأسرتان الخامسة عشرة والسادسة عشرة (١٧٣٠ - ١٥٣٠ تقريباً)
أهم ملوك الهكسوس

ساليثس



يعقوب حار



خيان



أبيى الأول



أبيى الثانى



الأسرة السابعة عشرة (١٦٥٠ - ١٥٥٢ تقريباً)
أهم ملوك طيبة

رع حوتپ



إنتف الخامس



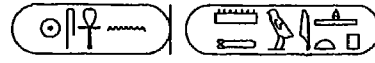
سوبك إم ساف الثانى



چحوتى



منتحوتب السابع



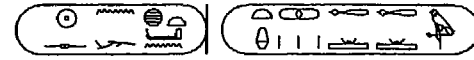
نب إرى أو الأول



إنتف السابع



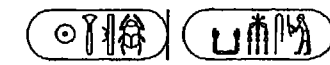
تاغا الأول



تاغا الثانى



كامس



الأسرة الثامنة عشرة (١٥٥٢ - ١٣١٤ أو ١٢٩٥)

أحمس (١٥٥٢)



امنحوتب الأول (١٥٢٦)



تحوتب الأول (١٥٠٦)



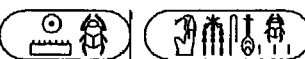
تحوتب الثانى (١٤٩٣)



حتشبسوت (١٤٧٨)



تحوتب الثالث (١٣٥٨)



امنحوتب الثانى (١٤٢٥)



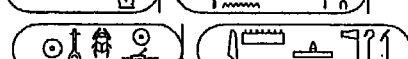
تحوتب الرابع (١٤٠١)



امنحوتب الثالث (١٣٩٠)



امنحوتب الرابع (١٣٥٢)



ثم إخناتون



سمنخ كارع (١٣٣٨)



توت عنخ آتون (١٣٣٦)



ثم " توت عنخ آمون "

آي (١٣٢٧)

حورمحب (١٣٢٣)



الأسرة التاسعة عشرة (١٢٩٥ - ١١٨٨)

رمسيس الأول (١٢٩٥)

سيتي الأول (١٢٩٤)

رمسيس الثاني (١٢٧٩)

مرنبتاح (١٢١٣)

آمون مس (١٢٠٢)



سيتي الثاني (١٢٠٢)

سي پتاح (١١٩٦)

تاوسرت (١١٩٦)



الأسرة العشرون (١١٨٨ - ١٠٦٩)

ست نخت (١١٨٨)

رمسيس الثالث (١١٨٦)

رمسيس الرابع (١١٥٤)

رمسيس الخامس (١١٤٨)

رمسيس السادس (١١٤٤)

رمسيس السابع (١١٣٦)

رمسيس الثامن (١١٢٨)

رمسيس التاسع (١١٢٥)



رمسيس العاشر (١١٠٧)	
رمسيس الحادى عشر (١٠٩٨)	
حريحور (١٠٦٠)	

الأسرة الحادية والعشرون (١٠٦٩ - ٩٤٥)

ملوك تانيس	
سمندس (١٠٦٩)	
آمن إم نسوت (١٠٤٣)	
بسوسينس الأول (١٠٤٠)	
آمن إم أوبه (٩٩٣)	
أوسركون القديم (٩٨٤)	
سى آمون (٩٧٨)	
بسوسينس الثانى (٩٥٩)	

ثم كبار كهنة طيبة

بى نجم الأول

ماسا هرتا

منخبر رع

سمندس

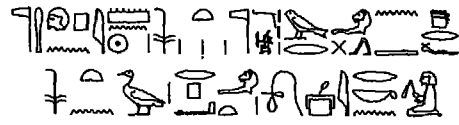
بى نجم الثانى

سبوسينس

الأسرة الثانية والعشرون (٩٤٥ - ٧١٥)

شاشانق الأول (٩٤٥)	
أوسركون الأول (٩٢٤)	
شاشانق الثاني (٨٩٠)	
تكلوت الأول (٨٦٩)	
حورسا إيزيس (٨٧٠)	
أوسركون الثاني (٨٧٤)	
تكلوت الثاني (٨٥٠)	
شاشانق الثالث (٨٢٥)	
پامى (٧٧٣)	
شاشانق الخامس (٧٦٧)	
أوسركون الرابع (٧٣٠)	
كبار كهنة طيبة	
إيوبوت	
شاشانق	
سمندس	
إيولوت	
حورسا إيزيس	
نمرود	

أوسركون



الأسرة الثالثة والعشرون (٨١٨ - ٧١٥)

پدی باست (٨١٨)



أوسركون الثالث (٧٨٧)



تكلوت الثالث (٧٦٤)



رود آمون (٧٥٧)



إيهوت الثاني (٧٥٤)



الزوجة الإلهية لآمون :

شبن أوت الأولى



الأسرة الرابعة والعشرون (٧٢٧ - ٧١٥) .

تف نخت (٧٢٧)



باك إن رنف (٧١٦)



الحكام المحليون التابعون لتف نخت

ملك هير كليوبوليس

پف تاوعاوى باستت



ملك هرموبوليس



نمرود

الأسرة الخامسة والعشرون (٧٤٧ تقريبا - ٦٥٦)

آلارا



كاشتا



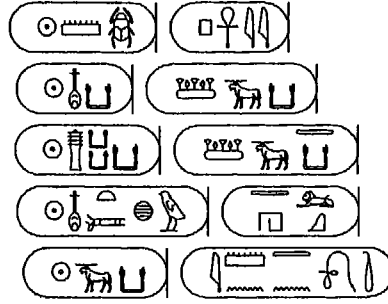
بي (عنخ) ي (٧٤٧)

شباكا (٧١٦)

شبتاكا (٧٠٢)

طهرقا (٦٩٠)

تانت آمون (٦٦٤)

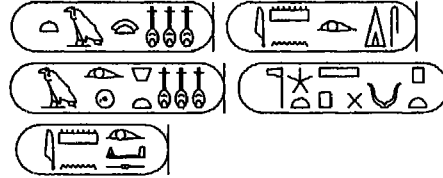


الزوجات الإلهية لآمون

أمنارديس الأولى

شبن أو بت الثانية

أمنارديس الثانية



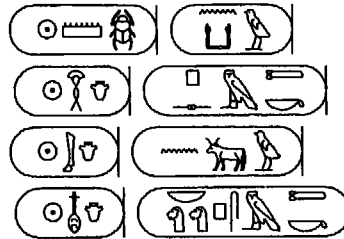
الأسرة السادسة والعشرون (٦٧٢ - ٥٢٥)

نكاو الأول (٦٧٢)

پسمتك الأول (٦٦٤)

نكاو الثاني (٦١٠)

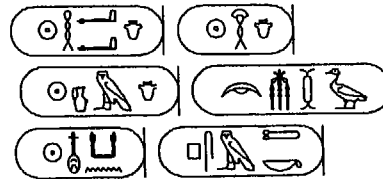
پسمتك الثاني (٥٩٥)



وح إيب رع (٥٨٩)

أحمس الثاني

پسمتك الثالث (٥٢٦)

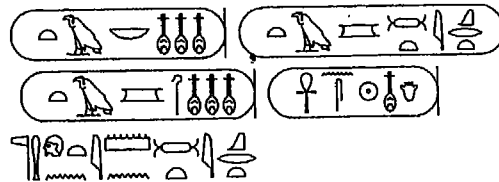


الزوجات الإلهية لآمون D

نيت إقرت الأولى

عنخ نس نفر إيب رع

نيت إقرت الثانية



الأسرة السابعة والعشرون (٥٢٥ - ٤٠٤)

قمبيز (٥٢٥)	
داريوس الأول (٥٢٢)	
كسرکسیس (٤٨٦)	
ارتکسرکسیس (٤٦٥)	
داريوس الثاني (٤٢٤)	
أرتکسرکسیس الثاني (٤٠٥)	

الأسرة الثامنة والعشرون (٤٠٤ - ٣٩٩)

أميرتايوس (٤٠٤)

الأسرة التاسعة والعشرون (٣٩٩ - ٣٨٠)

نفریتس الأول (٣٩٩)	
پساموتیس (٣٩٤)	
أكوریس (٣٩٣)	
نفریتس الثاني (٣٨٠)	

الأسرة الثلاثون (٣٨٠ - ٣٤٣)

نختنبو الأول (٣٨٠)	
تاخوس (٣٦٢)	
نختنبو الثاني (٣٦٠)	

الغزو الفارسي الثاني (٣٤٣ - ٣٣٢)

أرتکسرکسیس الثاني (٣٤٣)

ارسیس (٣٣٨)

داريوس الثالث (٣٣٦)



آخر ملوك مصر الوطنيين

خباباش (٣٣٣)



ملوك مقدونيا (٣٣٢ - ٣٠٥)

الأسكندر (٣٣٢)



فليب اريدايوس (٣٢٣)



الإسكندر الرابع (٣١٧)



البطالة (٣٠٥ - ٣٠ ق.م)

بطليموس الأول سوتير (٣٠٥)



بطليموس الثانى فيلدلفيا (٢٨٤)



ارسينوى الثانية



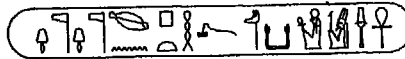
بطليموس الثالث يوارجيتى (٢٤٦)



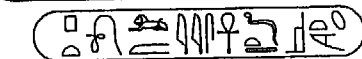
برينكى الثانية



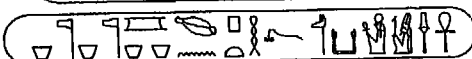
بطليموس الرابع فيلوباتور (٢٢٢)



بطليموس الخامس ايبفانس (٢٠٥)



كليوباترا الأولى



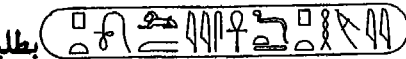
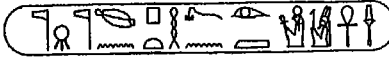
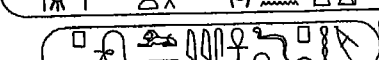
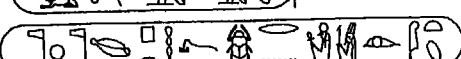
بطليموس السادس فليوميتور (١٨٠)



بطليموس السابع نيوس فيلوباتور (١٤٥)



بطليموس الثامن يوارجيتس الثانى (١٧٠)



كليوباترا الثانية	
كليوباترا الثالثة	
بطليموس التاسع	
سوتير الثانى (١١٦)	
بطليموس العاشر	
الإسكندر الأول (١٠٧)	
برنيكى الثالثة	
بطليموس الحادى عشر	
الإسكندر الثانى (٨٠)	
بطليموس الثانى عشر	
نيوس ديونيسوس (٨٠)	
برينكى الرابعة	
كليوباترا السابعة فيلوباتور (٥٠)	
بطليموس الثالث عشر (٤٧)	
بطليموس الرابع عشر فيلوباتور (٤٧)	
بطليموس الخامس عشر	
قيصرون (٤٤)	

تم تصنيف هذه القائمة بواسطة الحاسب الإلكترونى
 بالإعتماد على البرنامج GLYPH22 الذى
 أعده يان بورمان Jan Burman ودى مويل
 . Ed . de Moel

المراجع

لا تعتبر هذه المراجع حصراً مستفيضاً، وتستبعد هذه القائمة تقارير ونشرات الحفائر ومجموعات الوثائق . كما ان الغرض منها فى المقام الأول هو إمداد القارئ بقراءات سهلة حول علم المصريات مع نخبة منتقاة من أهم الدراسات التى اعتمد عليها هذا المؤلف ، كيما يستطيع القارئ أن يتعمق فى أى نقطة تسترعى إهتمامه أو تشده إليها أكثر من غيرها . ويركز هذا الاختيار على الأعمال التى رأت النور خلال الثلاثين سنة الأخيرة .

AAWLM = *Abhandlungen der Akademie der Wissenschaften in Leiden*, Leyde.

Mahmoud ABD EL-RAZIK

1974, « The Dedicatory and Building Texts of Ramesses II in Luxor Temple, I : the Texts », *JEA* 60, 142-160.

Friedrich ABITZ

1984, *König und Gott. Die Götterszenen in den ägyptischen Königsgräbern von Thutmosis IV. bis Ramses III.*, AA 40.

1986, *Ramses III. in den Gräbern seiner Söhne*, OBO 72.

Dia ABOU-GHAZI

1968, « Bewailing the King in the Pyramid Texts », *BIFAO* 66, 157-164.

A. EL-M. Y. ABOUBAKR

1980, « L'Égypte pharaonique », in *Histoire Générale de l'Afrique*, II, UNESCO, 73-106.

AcOr = *Acta Orientalia*, Leyde, puis Copenhague.

ADAIK = *Abhandlungen des Deutschen Archäologischen Instituts Kairo*, Ägyptologische Reihe, Glückstadt.

Shehata ADAM & Jean VERCOUTTER

1980, « La Nubie : trait d'union entre l'Afrique centrale et la Méditerranée, facteur géographique de civilisation », in *Histoire Générale de l'Afrique*, II, UNESCO, 239-258.

Barbara ADAMS

1974, *Ancient Hierakonpolis*, with an introduction by H.S. Smith (and) *Supplement*, Warminster.

1984, *Egyptian Mummies*, Pr. Risborough.

William Y. ADAMS

1968, « Invasion, Diffusion, Evolution ? », *Antiquity* 42, 194-215.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTÉ ANCIENNE

- 1980, « Du royaume de Kouch à l'avènement de l'Islam », *Courrier UNESCO*, 25-29.
- 1983, « Primis and the "Aethiopian" Frontier », *JARCE* 20, 93-104.
- 1984, *Nubia. Corridor to Africa*. Reprinted with a new preface, Londres.
- 1985, « Doubts About the "Lost Pharaohs" », *JNES* 44, 185-192.
- ADAW = *Abhandlungen der Deutschen Akademie der Wissenschaften zu Berlin*, Berlin.
- Admonitions = *Lamentations d'Ipouwer*, citées d'après l'édition de A. H. Gardiner, *The Admonitions of an Egyptian Sage (from Pap. Leiden 344)*, Leipzig, 1909.
- AA = *Ägyptologische Abhandlungen*, Wiesbaden.
- AAT = *Ägypten und Altes Testament*, Wiesbaden.
- AF = *Ägyptologische Forschungen*, Glückstadt, Hambourg, New York.
- Aegyptiaca Treverensia, Trèves.
- Aegyptus = *Aegyptus. Rivista Italiana di Egittologia e di Papirologia*, Milan.
- AMA = *Ägyptologische Microfiche Archive*, Wiesbaden.
- AH = *Aegyptiaca Helvetica*, Bâle-Genève.
- AHAW = *Abhandlungen der Heidelberger Akademie der Wissenschaften, Phil.-hist. Klasse*, Heidelberg.
- G. W. AHLSTROM & D. EDELMANN
- 1985, « Merneptah's Israel », *JNES* 44, 59-62.
- AHS Alexandrie = *Archaeological & Historical Studies*, Diamond Jubilee Publications of the Archaeological Society of Alexandria, Alexandria.
- AJA = *American Journal of Archaeology*, Baltimore, puis Norwood.
- AKAW = *Abhandlungen der königlichen Akademie der Wissenschaften*, Berlin.
- S. AKHAVI
- 1982, « Socialization of Egyptian Workers », *NARCE* 119, 42-46.
- W. ALBRIGHT
- 1952, « The Smaller Beth Shan Stela of Sethos I (1309-1280) B.C. », *BASOR* 125, 24-32.
- Cyril ALDRED
- 1968, *Akhenaton*, Londres, traduit par L. Frederic sous le titre *Akhenaton. Le pharaon mystique*, Paris, 1973.
- 1969, « The "New Year" Gifts to the Pharaoh », *JEA* 55, 73-81.
- 1970, « The Foreign Gifts Offered to the Pharaoh », *JEA* 56, 105-116.
- 1979a, *Le trésor des pharaons. La joaillerie égyptienne de la période dynastique*, Paris.
- 1979b, « More Light on the Ramesside Tomb Robberies », in *Glimpses of Ancient Egypt*, 92-99.
- 1980, *Egyptian Art in the Days of the Pharaohs, 3100-320 B.C.*, Londres.
- 1984, *The Egyptians*, revised and enlarged edition, Londres.
- M. ALEX
- 1985, *Klimadaten ausgewählter Stationen des vorderen Orients*, TAVO A/14.
- Shafik ALLAM
- 1963, *Beiträge zum Hathorkult (bis zum Ende des Mittleren Reiches)*, MÄS 4.
- 1973a, *Das Verfahrensrecht in der altägyptischen Arbeitersiedlung von Deir el-Medinah*, Tübingen.
- 1973b, *Hieratische Ostraka und Papyri aus der Ramessidenzeit*, Tübingen.
- 1973c, « De la divinité dans le droit pharaonique », *BSFE* 68, 17-30.
- 1978, « Un droit pénal existait-il stricto sensu en Égypte pharaonique ? », *JEA* 64, 65-68.
- 1981, « Quelques aspects du mariage dans l'Égypte ancienne », *JEA* 67, 116-135.
- 1983, *Quelques pages de la vie quotidienne en Égypte ancienne*, collection « Prisme », Série Archéologique, 1, Le Caire.
- 1984, « La problématique des quarante rouleaux de lois », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens*, I, Göttingen, 447-452.
- 1986, « Réflexions sur le "Code légal" d'Hermopolis dans l'Égypte ancienne », *CdE* 61, 50-75.

BIBLIOGRAPHIE

Léone ALLARD-HUARD & Paul HUARD

1985, *Le cheval, le fer et le chameau sur le Nil et au Sahara*, Le Caire.

Prosper ALPIN

1581-1584, *Histoire Naturelle de l'Égypte, La médecine des Égyptiens, Plantes d'Égypte*, trad. et comm. par R. de Fenoyl et S. Sauneron, 5 vol., Le Caire, IFAO, 1979-1980.

Hartwig ALTENMÜLLER

1976, *Grad und Totenreich der alten Ägypter*, Hambourg.

1981, « Amenophis I. als Mittler », *MDAIK* 37, 1-7.

1982, « Tausret und Sethnacht », *JEA* 68, 107-115.

1983a, « Bemerkungen zu den Königsgräbern des Neuen Reiches », *SAK* 10, 25-62.

1983b, « Rolle und Bedeutung des Grabes des Königin Tausret im Königsgräbertal von Theben », *BSEG* 8, 3-11.

1984, « Der Begräbnistag Sethos' II. », *SAK* 11, 37-47.

1985, « Das Grab der Königin Tausret (KV 14). Bericht über eine archäologische Unternehmung », *GM* 84, 7-18.

Hartwig ALTENMÜLLER & Hellmut BRUNNER

1970, *Ägyptologie : Literatur*, 2^e éd., *HdO* I/1.2.

1972, « Die Texte zum Begräbnisritual in den Pyramiden des Alten Reiches », *ÄA* 24.

Hartwig ALTENMÜLLER & Ahmed M. MOUSSA

1982, « Die Inschriften der Taharkastele von der Dachschrurstrasse », *SAK* 9, 57-84.

H. AMBORN

1976, *Die Bedeutung der Kulturen des Niltals für die Eisenproduktion im subsaharischen Afrika*, Wiesbaden.

E. AMELINEAU

1899, *Le tombeau d'Osiris. Monographie de la découverte faite en 1887-1898*, Paris.

Amin A. A. AMER

1985, « Reflexions on the Reign of Ramesses VI », *JEA* 71, 66-70.

M. A. AMIN

1970, « Ancient Trade Routes Between Egypt and the Sudan, 4000 to 700 BC », *SNR* 51, 23-30.

AnAe = *Analecta Aegyptiaca*, Copenhagen.

Ancient World, Chicago.

J. ANDREAU & Roland ÉTIENNE

1984, « Vingt ans de recherches sur l'archaïsme et la modernité des sociétés antiques », *REA* 86, 55-69.

Carol ANDREWS

1987, *Egyptian Mummies*, Londres.

ANET v. **PRITCHARD**

Annales d'Éthiopie, Khartoum.

Ann. IPHOS = *Annuaire de l'Institut de Philologie et d'Histoire Orientales et Slaves*, Bruxelles.

AnOr = *Analecta Orientalia*, Rome.

Rudolph ANTHERS

1968, *Die Büste der Königin Nofretete*, 4^e éd., Berlin.

Pierre ANUS, & Ramadan SAAD

1971, « Habitations de prêtres dans le temple d'Amon de Karnak », *Kêmi* 21, 217-238.

AoF = *Altorientalische Forschungen*, Berlin.

APAW = *Abhandlungen der Preussischen Akademie der Wissenschaften*, Berlin [ADAW depuis 1945].

H. APEL

1982, *Verwandschaft, Gott und Geld. Zur Organisation archaischer, ägyptischer und antiker Gesellschaft*, Francfort-sur-le-Main.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

ARCE = American Research Center in Egypt, Le Caire.

A. J. ARKELL

1975, *The Prehistory of the Nile Valley*, HdO VII/1.2.

O. K. ARMAYOR

1985, *Herodotus' Autopsy of the Fayoum. Lac Moeris and the Labyrinth of Egypt*, Amsterdam.

Dieter ARNOLD

1974a-b, *Der Tempel des Königs Mentuhotep von Deir el-Bahari*, I, A V 8 (a) et II, A V 11 (b).

1981, « Überlegungen zum Problem des Pyramidenbaues », *MDAIK* 37, 15-28.

1987, *Der Pyramidenbezirk des Königs Amenemhet III. in Dahschur*, I, *Die Pyramide*, A V 53, Mayence.

Y. ARTIN Pacha

1909, *Contes populaires du Soudan égyptien recueillis en 1908 sur le Nil Blanc et le Nil Bleu*, Leroux.

Jan ASSMANN

1970, *Der König als Sonnenpriester. Ein kosmographischer Begleittext zur kultischen Sonnenhymnik in thebanischen Tempeln und Gräbern*, *ADAIK*, Äg.Reihe 7.

1975, *Ägyptische Hymnen und Gebete. Eingeleitet, übersetzt und erläutert*, Zurich.

1975, *Zeit und Ewigkeit im alten Ägypten*, *AHAW* 1.

1977, « Die Verborgenheit des Mythos in Ägypten », *GM* 25, 7-44.

1979, « Weisheit, Loyalismus und Frömmigkeit », in *Studien zu altägyptischen Lebenslehren*, *OBO* 28, 11-72.

1980, « Die "loyalistische Lehre" Echnatons », *SAK* 8, 1-32.

1983a, « Das Dekorationsprogramm der königlichen Sonnenheiligtümer des Neuen Reiches nach einer Fassung der Spätzeit », *ZÄS* 110, 91-98.

1983b, *Re und Amun. Die Krise des polytheistischen Weltbilds im Ägypten der 18.-20. Dynastie*, *OBO* 51.

1983c, *Sonnenhymnen in thebanischen Gräbern*, *Theben* 1, Mayence.

1984, *Ägypten. Theologie und Frömmigkeit einer frühen Hochkultur*, Stuttgart.

Michael ATZLER

1981, *Untersuchungen zur Herausbildung von Herrschaftsformen in Ägypten*, *HÄB* 16.

Pierre AUFFRET

1981, *Hymnes d'Égypte et d'Israël. Études de structures littéraires*, *OBO* 34.

Sydney AUFRÈRE

1982, « Contribution à l'étude de la morphologie du protocole "classique" », *BIFAO* 82, 19-74.

M. M. AUSTIN

1970, *Greece and Egypt in the Archaic Age*, Cambridge.

AV = *Archäologische Veröffentlichungen des Deutschen Archäologischen Instituts, Abteilung Kairo*.

Michel AZIM

1978-1980a, « Découverte de dépôts de fondation d'Horemheb au IX^e pylône de Karnak », *Karnak* 7, 93-120.

1978-1980b, « La structure des pylônes d'Horemheb à Karnak », *Karnak* 7, 127-166.

1985, « Le grand pylône de Louqsor : un essai d'analyse architecturale et technique », *Mélanges offerts à Jean Vercoutter*, Paris, 19-42.

Alexandre BADAWI

1948, *Le dessin architectural chez les anciens Égyptiens. Étude comparative des représentations égyptiennes de construction*, Le Caire.

1954, *A History of Egyptian Architecture*, 1, *From the Earliest Times to the End of the Old Kingdom*, Giza.

1958, « Politique et architecture dans l'Égypte pharaonique », *CdE* 33, 171-181.

1966, *A History of Egyptian Architecture*, 2, *The First Intermediate Period, the Middle Kingdom and the Second Intermediate Period*, Berkeley.

BIBLIOGRAPHIE

1968, *A History of Egyptian Architecture*, 3, *The Empire (the New Kingdom)*, Berkeley.
BAE = *Bibliotheca Aegyptiaca*, Bruxelles.

K. BAEDECKER

1929, *Egypt and the Sudan. Handbook for Travellers*, 8^e édition, réimpression, Leipzig, 1974.

Klaus BAER

1960, *Rank and Title in the Old Kingdom, the Structure of the Egyptian Administration in the Fifth and Sixth Dynasties*, réédition, Chicago, 1974.

1973, « The Libyan and Nubian Kings of Egypt : Notes on the Chronology of Dynasties XXI to XXVI », *JNES* 32, 4-25.

J. BAIKIE

1929, *A History of Egypt from the Earliest Times to the End of the XVIIIth Dynasty*, réédition, Londres, 1971.

J. BAILLET

1912, *Le régime pharaonique dans ses rapports avec l'évolution de la morale en Égypte*, Blois.

John BAINES

1974, « The Inundation Stela of Sebekhotpe VIII », *AcOr* 36, 39-58.

1976, « The Sebekhotpe VIII Inundation Stela : an Additional Fragment », *AcOr* 37, 39-58.

1984, « Interpretation of Religion : Logic, Discourse, Rationality », *GM* 76, 25-54.

1986, *Fecundity Figures. Egyptian Personification and the Iconology of a Genre*, Warminster.

John BAINES & Jaromir MALEK

1981, *Atlas de l'Égypte ancienne*, traduit de l'anglais par M. Vergnies et J.-L. Parmentier, F. Nathan.

Abd El-Monem BAKIR

1952, *Slavery in Pharaonic Egypt*, *CASAE* 18, réédition, 1978.

John BALL

1942, *Egypt in the Classical Geographers*, Le Caire.

BAR = BREASTED : 1906.

Paul BARGUET

1953a, *La Stèle de la Famine à Séhel*, *BdE* 24.

1953b, « La structure du temple Ipet-sout d'Amon à Karnak, du Moyen Empire à Aménophis II », *BIFAO* 52, 145-155.

1962, *Le temple d'Amon-Rê à Karnak. Essai d'exégèse*, *RAPH* 21.

1967, *Le Livre des Morts des anciens Égyptiens*, *LAPD*.

1975, « Le Livre des Portes et la transmission du pouvoir royal », *RdE* 27, 30-36.

1976, « Note sur le grand temple d'Aton à el-Amarna », *RdE* 28, 148-151.

1986a, « Note sur la sortie du roi hors du palais », *Hommages à François Daumas*, 1, Montpellier, 51-54.

1986b, *Textes des sarcophages égyptiens du Moyen Empire*, *LAPD*.

Wolfgang BARTA

1969a, *Das Gespräch eines Mannes mit seinem BA (Papyrus Berlin 3024)*, *MÄS* 18.

1969b, « Falke des Palastes » als ältester Königstitel », *MDAIK* 24, 51-57.

1973, *Untersuchungen zum Götterkreis der Neunheit*, *MÄS* 28.

1975, *Untersuchungen zur Götlichkeit des regierenden Königs. Ritus und Sakralkönigtum in Altägypten nach Zeugnissen der Frühzeit und des Alten Reiches*, *MÄS* 32.

1978, « Die Sedfest-Darstellung Osorkons II. im Tempel von Bubastis », *SAK* 6, 25-42.

1980a, « Die Mondfinsternis im 15. Regierungsjahr Takelots II. », *RdE* 32, 3-17.

1980b, « Thronbesteigung und Krönungsfeier als unterschiedliche Zeugnisse königlicher Herrschaftsübername », *SAK* 8, 33-53.

1981a, « Bemerkungen zur Chronologie der 6. bis 11. Dynastie », *ZÄS* 108, 23-33.

1981b, « Bemerkungen zur Chronologie der 21. Dynastie », *MDAIK* 37, 35-40.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

- 1981c, « Die Chronologie der 1. bis 5. Dynastie nach den Angaben des rekonstruierten Annalensteins », *ZÄS* 108, 11-23.
- 1983a, « Bemerkungen zur Rekonstruktion der Vorlage des Turiner Königspapyrus », *GM* 64, 11-13.
- 1983b, « Zur Entwicklung des ägyptischen Kalenderwesens », *ZÄS* 110, 16-26.
- 1984, « Anmerkungen zur Chronologie der Dritten Zwischenzeit », *GM* 70, 7-12.
- 1987a, Zur Konstruktion der ägyptischen Königsnamen », *ZÄS* 114, 3-10.
- 1987b, « Zur Konstruktion der ägyptischen Königsnamen, II, Die Horus-, Herrinnen- und Goldnamen von der Frühzeit bis zum Ende des Alten Reiches », *ZÄS* 114, 105-113.
- André BARUCQ**
1962, *L'expression de la louange divine et de la prière dans la Bible et en Égypte*, *BdE* 33.
- André BARUCQ & François DAUMAS**
1980, *Hymnes et prières de l'Égypte ancienne*, *LAPO*.
- BASOR** = *Bulletin of the American School of Oriental Research*, New Haven.
- G. BASTIANINI**
1975, *Lista dei prefetti d'Egitto dal 30a al 299p*, Bonn.
- E. BATTA**
1986, *Obeliken und ihre Geschichte in Rom*, Francfort-sur-le-Main.
- Marcelle BAUD**
1978, *Le caractère du dessin en Égypte ancienne*, Paris.
- E. J. BAUMGARTEL**
1955, *The Cultures of Prehistoric Egypt*, réédition, 1981, Londres.
BdE = *Bibliothèque d'Études*, IFAO, Le Caire.
- Jürgen VON BECKERATH**
1964, *Untersuchungen zur politischen Geschichte der zweiten Zwischenzeit in Ägypten*, *ÄF* 23.
- 1968, « Die "Stele der Verbannten" im Museum des Louvre », *RdE* 20, 7-36.
- 1971a, *Abriss der Geschichte des alten Ägyptens*, Munich.
- 1971b, « Ein Denkmal zur Genealogie der XX. Dynastie », *ZÄS* 97, 7-12.
- 1984a, *Handbuch der ägyptischen Königsnamen*, *MAS* 20.
- 1984b, « Bemerkungen zum Turiner Königspapyrus und zu den Dynastien der ägyptischen Geschichte », *SAK* 11, 49-57.
- 1984c, « Bemerkungen zum Problem der Thronfolge in der Mitte der XX. Dynastie », *MDAIK* 40, 1-6.
- 1984d, « Drei Thronbesteigungsdaten der XX. Dynastie », *GM* 79, 7-10.
- Armenag K. BEDEVIAN**
1936, *Illustrated Polyglottic Dictionary of Plant Names*, Le Caire.
- B. L. BEGELSBACHER-FISCHER**
1981, *Untersuchungen zur Götterwelt des Alten Reiches im Spiegel der Privatgräber der IV. und V. Dynastie*, *OBO* 37.
- 1985, *Ägypten*, Zurich.
- H. BEHRENS**
1963, « Neolithisch-frühmetallzeitliche Tierskelettfunde aus dem Nilgebiet und ihre religionsgeschichtliche Bedeutung », *ZÄS* 88, 75-83.
- Horst BEINLICH**
1976, *Studien zu den "geographischen Inschriften" (10-14. o.ä.g. Gau)*, *TÄB* 2.
- 1979, « Die Nilquellen nach Herodot », *ZÄS* 106, 11-14.
- 1984, *Die "Osirisreliquien". Zum Motiv der Körpergliederung in der altägyptischen Religion*, *ÄA* 42.
- 1987, « Der Moeris-See nach Herodot », *GM* 100, 15-18.
- Barbara BELL**
1971, « The Dark Ages in Ancient History, I, The First Dark Age in Egypt », *AJA* 75, 1-26.

BIBLIOGRAPHIE

Lanny BELL

1985, « Luxor Temple and the Cult of the Royal Ka », *JNES* 44, 251-294.

Lanny BELL, Janet JOHNSON & alii

1984, « The Eastern Desert of Upper Egypt : Routes and Inscriptions », *JNES* 43, 27-46.

Martha BELL

1985 « Gurob Tomb 605 and Mycenaean Chronology », *BdE* 97/1, 61-86.

Alain BELLOD, Jean-Claude GOLVIN & Claude TRAUNECKER

1983, *Du ciel de Thèbes*, Paris.

Madeleine BELLION

1987, *Égypte ancienne. Catalogue des manuscrits hiéroglyphiques et hiératiques et des dessins, sur papyrus, cuir ou tissu, publiés ou signalés*, Paris.

P. BELON DU MANS

1547, *Le voyage en Égypte de P. Belon du Mans*, présentation et notes de S. Sauneron, IFAO, Le Caire, 1970.

Jocelyne BERLANDINI

1976, « Le protocole de Toutankhamon sur les socles du dromos du X^e pylône à Karnak », *GM* 22, 13-20.

1978, « Une stèle de donation du dynaste libyen Roudamon », *BIFAO* 78, 147-164.

1979, « La pyramide "ruinée" de Sakkara-Nord et le roi Ikaouhor-Menkaouhor », *RdE* 31, 3-28.

1982, « Les tombes amarniennes et d'époque Toutankhamon à Sakkara. Critères stylistiques », in *l'Égyptologie en 1979*, 2, CNRS, 195-212.

BES = *Bulletin of the Egyptological Seminar*, New York.

La Sainte Bible, traduite en français sous la direction de l'École Biblique de Jérusalem, Le Cerf, 1974.

BIE = *Bulletin de l'Institut d'Égypte*, Le Caire.

Morris L. BIERBRIER

1972, « The Length of the Reign of Sethos I », *JEA* 58, 303.

1975a, « The Length of the Reign of Ramesses X », *JEA* 61, 251.

1975b, *The Late New Kingdom in Egypt (c. 1300-664 B.C.). A Genealogical and Chronological Investigation*, Warminster.

1982, *The Tomb-Builders of the Pharaohs*, British Museum, Londres. Traduit en français sous le titre *Les bâtisseurs de pharaon. La confrérie de Deir el-Médineh*, Paris, 1986.

Manfred BIETAK

1968, *Studien zur Chronologie der nubischen C-Gruppe. Ein Beitrag zur Frühgeschichte Unternubiens*, DÖAW 97.

1975, *Der Fundort im Rahmen der archäologischen-geographischen Untersuchungen über das ägyptische Ostdelta, Tell el-Dab'a*, 2, DÖAW 1.

1979, « Urban Archaeology and the "Town Problem" in Ancient Egypt », in K. WEEKS, *Egyptology and the Social Sciences*, Le Caire, 97-144.

1981, *Avaris and Piramesse, Archaeological Exploration in the Eastern Nile Delta*, Londres.

1984a, *Eine Palastanlage aus der Zeit der späten Mittleren Reiches und andere Forschungsergebnisse aus dem östlichen Nildelta*, Vienne.

1984b, « Zum Königsreich des "3-zh-R" Nehesi », *SAK* 11, 59-75.

M. BIETAK & R. ENGELMAYER

1963, *Eine frühdynastische Abri-Siedlung mit Felsbildern aus Sayala-Nubien*, DÖAW 82.

M. BIETAK & C. MLINAR

1987, *Ein Friedhof der syrisch-palästinischen mittleren Bronzezeit-Kultur mit einem Totentempel, Tell el-Dab'a*, 5, DÖAW 8.

BIFAO = *Bulletin de l'IFAO*, Le Caire.

BiOr = *Bibliotheca Orientalis*, Leyde.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

- F. BISSON DE LA ROQUE**
1950, *Trésor de Têd*, CGC 70501-70754.
- F. BISSON DE LA ROQUE, G. CONTENAU & F. CHAPOUTHIER**
1953, *Le trésor de Têd*, Doc FIFAO 11.
- G. BJÖRKMANN**
1971, *Kings at Karnak*, Uppsala.
- C. BLACKER & M. LOEWE**
1975, *Ancient Cosmologies*, Londres.
- Nicole BLANC**
1978, « Peuplement de la vallée du Nil au sud du 23^e parallèle », in *Histoire Générale de l'Afrique*, UNESCO, *Études & Documents* 1, 37-64.
- C. BLANKENBERG-VAN DELDEN**
1969, *The Large Commemorative Scarabs of Amenhotep III*, Leyde.
1976, « More Large Commemorative Scarabs of Amenhotep III », *JEA* 62, 74-80.
1982a, « A Genealogical Reconstruction of the Kings and Queens of the Late 17th and early 18th Dynasties », *GM* 54, 31-46.
1982b, « Kamosis », *GM* 60, 7-8.
1982c, « Queen Ahmes Merytamon », *GM* 61, 13-16.
- C. J. BLEEKER**
1967, *Egyptian Festivals, Enactments of Religious Renewal, Studies in the History of Religions, Supplement to Numen*, 13, Leyde.
- Edward BLEIBERG**
1985-1986, « Historical Texts as Political Propaganda During the New Kingdom », *BES* 7, 5-14.
- Elke BLUMENTHAL**
1970, *Untersuchungen zum ägyptischen Königtum des Mittleren Reiches*, I, *Die Phraseologie*, Berlin.
1980, « Die Lehre für König Merikare », *ZÄS* 107, 5-41.
1982, « Die Prophezeiung des Neferti », *ZÄS* 109, 1-27.
1983, « Die erste Koregenz der 12. Dynastie », *ZÄS* 110, 104-121.
1984, « Die Lehre des Königs Amenemhats I. », I, *ZÄS* 111, 85-107.
1985, « Die Lehre des Königs Amenemhats I. », II, *ZÄS* 112, 104-115.
- E. BLUMENTHAL, I. MÜLLER & alii**
1984, *Urkunden der 18. Dynastie. Übersetzung zu den Heften 5-16*, Berlin.
- H. BLUNT, J. ALBERT, S. SEGUEZZI & G. VON NEITZSCHITZ**
1634-1636, *Voyages en Égypte des années 1634-1635 et 1636*, Henry Blunt, Jacques Albert, Santo Seguezzi, George von Neitzschitz, Voyageurs IFAO 13, 1974.
- J. BOARDMAN & N. HAMMOND**
1982, « The Expansion of the Greek World, 8th to 6th Century BC », *CAH* 3/3.
- Joachim BOESSNECK**
1981, *Gemeinsame Anliegen von Ägyptologie und Zoologie aus der Sicht des Zooarchäologen*, SBAW 1981.5.
- J. BOESSNECK & A. VON DEN DRIESCH**
1982, *Studien an subfossilen Tierknochen aus Ägypten*, MÄS 40.
- Eugeni S. BOGOSLOWSKI**
1983, « J. J. PEREPELKIN, *Die Revolution Amen-hotep IV*, I. Band, Moskau, 1967 », *GM* 61, 53-64.
- S. VON BOLLA-KOTEK**
1969, *Untersuchungen zur Tiermiete und Viehpacht im Altertum*, 2^e édition, Munich.
- L. BONGRANI-FANFONI**
1987, « Un nuovo documento di Scepenupet Ia e Amenardis Ia », *OrAnt* 26, 65-71.
- Marie-Ange BONHÈME**
1978, « Les désignations de la " titulature " royale au Nouvel Empire », *BIFAO* 78, 347-388.
1979, « Hérihor fut-il effectivement roi ? », *BIFAO* 79, 267-284.

BIBLIOGRAPHIE

- 1987a, *Le Livre des Rois de la troisième période intermédiaire*, I, Hérihor. XXI^e dynastie, Le Caire.
- 1987b, *Les noms royaux dans l'Égypte de la troisième période intermédiaire*. BdE 98, Le Caire.
- Marie-Ange BONHÈME & Annie FORGEAU**
1988, *Pharaon. Les secrets du pouvoir*, A. Colin.
- Danielle BONNEAU**
1971a, *Le fisc et le Nil. Incidences des irrégularités de la crue du Nil sur la fiscalité foncière...*, Paris.
- 1971b, « Les fêtes de la crue du Nil. Problèmes de lieux, de dates et d'organisation », *RdE* 23, 49-65.
- R. G. BONNEL & V. A. TOBIN**
1985, « Christ and Osiris. A Comparative Study », in S. GROLL, *Pharaonic Egypt*, Jérusalem, 1-29.
- Hans BONNET**
1971, *Reallexikon der ägyptischen Religionsgeschichte*, 2^e édition, Berlin.
- BOREAS = BOREAS**, *Uppsala Studies in Ancient Mediterranean and Near Eastern Civilizations*, Uppsala.
- Charles BOREUX**
1924-1925, *Études de nautique égyptienne, l'art de la navigation en Égypte jusqu'à la fin de l'Ancien Empire*, MIFAO 50.
- 1926, *L'art égyptien*, Bruxelles.
- 1932, *Musée du Louvre : antiquités égyptiennes, Catalogue-guide*, Paris.
- J. F. BORGHOUTS**
1978, *Ancient Egyptian Magical Texts. Translated*, Leyde.
- 1986, *Nieuwjaar in het oude Egypte*, Leyde.
- Giuseppe BOTTI**
1967, *L'archivio demotico da Deir el-Medineh, Catalogo Museo Egizio di Torino*, I, 1, Florence.
- Pierre DU BOURGUET**
1964, *L'art copte, Petit Palais, Paris, 17 juin-15 septembre 1964*, Paris.
- 1968a, *Histoires et Légendes de l'Égypte mystérieuse*, Tchou.
- 1968b, *L'art copte*, A. Michel.
- 1973, *L'art égyptien*, Desclée de Brouwer.
- R. P. BOVIER-LAPIERRE H. GAUTHIER & P. JOUGUET**
1932, *Précis de l'histoire d'Égypte*, I, *Égypte préhistorique pharaonique et gréco-romaine*, IFAO.
- Louise BRADBURY**
1985, « Nefer's Inscription : On the Death Date of Queen Ahmose-Nefertary and the Deed Found Pleasing to the King », *JARCE* 22, 73-95.
- Bruce BRANDER**
1977, *Le Nil*, traduit par H. Seyrès, National Geographic Society.
- Fred Gladstone BRATTON**
1972, *A History of Egyptian Archaeology*, New York.
- BM = British Museum, Londres.
- James Henry BREASTED**
1906, *Ancient Records of Egypt*, Chicago.
I, *The First to Seventh Dynasties*.
II, *The Eighteenth Dynasty*.
III, *The Nineteenth Dynasty*.
IV, *The Twentieth to Twenty-Sixth Dynasties*.
- Gabriel BRÉMOND**
1643-1646, *Voyage en Égypte de Gabriel Brémond, texte établi, présenté et annoté par G. Sanguin, Voyages en Égypte*, IFAO 12, 1974.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

Edda BRESCIANI

1969, *Litteratura e poesia dell'antico Egitto. Introduzione, traduzione originali e note*, Turin.

1978, J.-F. Champollion, *Lettres à Zelmire, Champollion et son temps* 1.

1981, « La morte di Cambise ovvero dell'empietà punita : a proposito della " Cronica Demotica ", verso, col. C, 7-8 », *EVO* 4, 217-222.

1985, « Ughiorresnet a Menfi », *EVO* 8, 1-6.

D. J. BREWER

1985, « The Fayum Zooarcheological Survey : A Preliminary Report », *NARCE* 128, 5-15.

Jürgen BRINKS

1979, *Die Entwicklung der königlichen Grabanlagen des Alten Reiches. Eine strukturelle und historische Analyse altägyptischen Architektur*, HÄB 10.

1980, *Mastaba und Pyramidentempel — ein struktureller Vergleich*.

1981, « Die Sedfestanlagen der Pyramidentempel » *CdE* 56, 5-14.

1984, « Einiges zum Bau der Pyramiden des Alten Reiches », *GM* 78, 33-48.

Philippe BRISSAUD

1982, *Les ateliers de potiers de la région de Louqsor*, BdE 78.

Edward J. BROVARIKI

1985, « Akhmim in the Old Kingdom and First Intermediate Period », *BdE* 97/1, 117-153.

Hellmut BRUNNER

1957, *Altägyptische Erziehung*, Wiesbaden.

1964, *Die Geburt des Goutkönigs. Studien zur Überlieferung eines altägyptischen Mythos*, AA 10.

1974, « Djedefhor in der römischen Kaiserzeit », *Stud. Aeg.* 1, 55-64.

1983, *Grundzüge der altägyptischen Religion*, Darmstadt.

1986, *Grundzüge einer Geschichte der altägyptischen Literatur*, 4^e éd., Darmstadt.

Emma BRUNNER-TRAUT

1977, *Altägyptische Tiergeschichte und Fabel, Gestalt und Strahlkraft*, Darmstadt.

1982, *Ägypten. Ein Kunst- und Reiseführer mit Landeskunde*, Stuttgart.

1985, *Lebensweisheit der alten Ägypter*, Fribourg.

1986, *Altägyptische Märchen*, 7^e éd., Cologne.

BRUXELLES

1975, *Le règne du soleil. Akhnaton et Néfertiti. Exposition organisée par le Ministère de la Culture aux Musées Royaux d'Art et d'Histoire*.

1986, *La femme aux temps des pharaons. Catalogue de l'exposition aux Musées Royaux d'Art et d'Histoire*.

BSEA = British School of Egyptian Archaeology, Londres.

BSEG = Bulletin de la Société d'Égyptologie de Genève, Genève.

BSFE = Bulletin de la Société Française d'Égyptologie, Paris.

BSGE = Bulletin de la Société Géographique d'Égypte, Le Caire.

Maurice BUCAILLE

1987, *Les momies des pharaons et la médecine. Ramsès II à Paris. Le pharaon et Moïse*, Séguier.

E. A. Wallis BUDGE

1912, *Annals of Nubian Kings with a Sketch of the History of the Nubian Kingdom of Napata*, Londres.

P. BURETH

1964, *Les titulatures impériales dans les papyrus, les ostraca et les inscriptions d'Égypte*, Bruxelles.

Adelheid BURKHARDT

1985, *Ägypter und Meroiten im Dodekaschaënos. Untersuchungen zur Typologie und Bedeutung der demotischen Graffiti*, Meroitica 8.

BIBLIOGRAPHIE

- J. BURY, S. COOK & alii**
1969, *The Persian Empire and the West*, CAH 4.
- A. BUTTERY**
1974, *Armies and Enemies of Ancient Egypt and Assyria, 3200 BC to 612 BC*, Goring by Sea.
- Karl W. BUTZER**
1976, *Early Hydraulic Civilization in Egypt : A Study in Cultural Ecology*, Chicago.
- K. W. BUTZER & C. HANSEN**
1968, *Desert and River in Nubia. Geomorphologic and Prehistoric Environment at the Aswan Reservoir*, Madison.
- BIFAO = Bulletin de l'IFAO.**
CAH = The Cambridge Ancient History, Cambridge.
Cahiers d'Histoire Égyptienne, Le Caire.
Cahiers de la Société Asiatique, Paris.
- Frédéric CAILLAUD**
1827, *Voyage à Méroé, au fleuve blanc au delta de Fazoql dans le midi du royaume de Sennar, à Syouah et dans cinq autres oasis*, Paris.
- Ricardo A. CAMINOS**
1958, *The Chronicle of Prince Osorkon*, AnOr 37.
1977, *A Tale of Woé. From a Hieratic Papyrus in the A. S. Pushkin Museum of Fine Arts in Moscow (P. Pushkin 127)*, Oxford.
- R. A. CAMINOS & H. G. FISCHER**
1976, *Ancient Egyptian Epigraphy and Paleography. The Recording of Inscriptions and Scenes in Tombs and Temples*, New York.
- Christian CANNUYER**
1985, « Notules à propos de la stèle du sphinx », VA 1, 83-90.
- L. CANTARELLI**
1968, *La serie dei prefetti di Egitto*, Rome.
- Jean CAPART**
1931, *Propos sur l'art égyptien*, Bruxelles.
- E. CARLTON**
1977, *Ideology and Social Order*, Londres.
- D. K. et J. T. CARMODY**
1985, *Shamans, Prophets and Sages*, Belmont, Californie.
- Jean-Marie CARRÉ**
1956, *Voyageurs et écrivains français en Égypte*, seconde édition, Le Caire, IFAO.
- Howard CARTER**
1952, *La tombe de Toutankhamon*, trad. française de M. Wiznitzer, Pygmalion, Paris, 1978.
- CASAE = Cahiers Supplémentaires des Annales du Service des Antiquités de l'Égypte**, Le Caire.
- E. CASSIN, J. BOTTÉRO & J. VERCOUTTER**
1967, *Die altorientalischen Reiche, III, Die erste Hälfte des 1. Jahrtausends*, Fischer Weltgeschichte, 4, Francfort-sur-le-Main.
- Lionel CASSON**
1984, *Ancient Trade and Society*, Detroit.
1986, *Ships and Seamanship in the Ancient World*, Detroit.
1988, *Die Pharaonen*, Munich.
- U. CASTEL, N. et S. SAUNERON**
1587-1588, *Voyages en Égypte pendant les années 1587-1588*, Lichtenstein, Kiechel, Teufel, Fernberger, Lunebau, Miloiti, Voyageurs IFAO 6, 1972.
- G. Rosati CASTELLUCCI**
1980, « L'onomastica del Medio Regno come mezzo di datazione », *Aegyptus* 70, 3-72.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

Juan J. CASTILLOS

1982, *A Reappraisal of the Published Evidence on Egyptian Predynastic and Early Dynastic Cemeteries*, Toronto.

Sylvie CAUVILLE

1983, *La théologie d'Osiris à Edfou*, *BdE* 91.

1984, *Edfou*, IFAO, Le Caire.

CdE = *Chronique d'Égypte*, Bruxelles.

Françoise DE CENIVAL

1972, *Les associations religieuses en Égypte d'après les documents démotiques*, *BdE* 46.

Jean-Louis DE CENIVAL

1964, *Architecture universelle : Égypte, époque pharaonique*, Fribourg.

1965, « Un nouveau fragment de la Pierre de Palerme », *BSFE* 44, 13-17.

Jaroslav ČERNÝ

1952, *Ancient Egyptian Religion*, réédition, Londres, 1979.

1958a, « Stela of Ramesses II from Beisan », *Eretz Israel* 5, 75*-81*.

1958b, « Name of the King of the Unfinished Pyramid at Zawiyet el-Aryân », *MDAIK* 16, 25-29.

1961, « Note on the Supposed Beginning of a Sothic Period under Sethos I », *JEA* 47, 150-152.

1973a, *A Community of Workmen at Thebes in the Ramesside Period*, *BdE* 50.

1973b, *The Valley of the Kings. Fragments d'un manuscrit inachevé*, *BdE* 61.

J. ČERNÝ, J.-J., CLÈRE & B. BRUYÈRE

1949, *Répertoire onomastique de Deir el-Médineh*, 1, *DocIFAO* 12.

P. CERVÍČEK

1975, « Notes on the Chronology of the Nubian Rock Art to the End of the Bronze Age (mid 11th cent. B. C.), *Études Nubiennes. Colloque de Chantilly*, *BdE* 77, 35-56.

CGC = *Catalogue Général du Caire*, Le Caire.

Jean-François CHAMPOLLION

1835-1845, *Monuments de l'Égypte et de la Nubie*, 4 vol., Paris.

1972, *Textes et langages de l'Égypte pharaonique. Cent cinquante années de recherches, 1822-1972*, I-III, *BdE* 64, Le Caire.

Jean-Luc CHAPPAZ

1983, « Le premier édifice d'Aménophis IV à Karnak », *BSEG* 8, 13-45.

Nial CHARLTON

1974, « Some Reflections on the History of Pharaonic Egypt », *JEA* 60, 200-205.

G. CHARPENTIER

1986, *Recueil de matériaux épigraphiques relatifs à la botanique de l'Égypte antique*, Paris.

Nadine CHERPION

1987, « Quelques jalons pour une histoire de la peinture thébaine », *BSFE* 110, 27-47.

J. CHESNEAU, A. THEVET

1549-1552, *Voyages des années 1549-1552*, Voyageurs IFAO 14, 1984.

Pierre-Marie CHÉVEREAU

1985, *Prosopographie des cadres militaires égyptiens de la Basse Époque. Carrières militaires et carrières sacerdotales en Égypte du XI^e au II^e siècle avant J.-C.*, Antony.

1987, « Contribution à la prosopographie des cadres militaires de l'Ancien Empire et de la Première Période Intermédiaire », *RdE* 38, 13-48.

Henri CHEVRIER

1956, « Chronologie des constructions de la salle hypostyle », *ASAE* 54, 35-38.

1964, « Technique de la construction dans l'ancienne Égypte, I, Murs en briques crues », *RdE* 16, 11-17.

1970, « Technique de la construction dans l'ancienne Égypte, II, Problèmes posés par les obélisques », *RdE* 22, 15-39.

BIBLIOGRAPHIE

- 1971, « Technique de la construction dans l'ancienne Égypte, III, Gros-œuvre et maçonnerie », *RdE* 23, 67-111.
- CHONSOU**
 1979, *The Temple of Khonsu*, 1, Plates 1-110. *Scenes of King Herihor in the Court, with Translations of Texts*, OIP 100.
 1981, *The Temple of Khonsu*, 2, Plates 111-207. *Scenes and Inscriptions in the Court and the First Hypostyle Hall...*, OIP 103.
- Agatha CHRISTIE**
 1973, *Akhmaton. A Play in Three Acts*, Collins.
- Louis-A. CHRISTOPHE**
 1950, « Ramsès IV et le Musée du Caire », *Cahiers d'Histoire Égyptienne* 3, 47-67.
 1951a, « La carrière du prince Mérenptah et les trois régence ramessides », *ASAE* 51, 335-372.
 1951b, « Notes géographiques. À propos des campagnes de Thoutmosis III », *RdE* 6, 89-114.
 1953, « Les fondations de Ramsès III entre Memphis et Thèbes », *Cahiers d'Histoire Égyptienne* 5, 227-249.
 1955, « Les quatre plus illustres fils de Chéops », *Cahiers d'Histoire Égyptienne* 7, 213-222.
 1956a, « Trois monuments inédits mentionnant le grand majordome de Nitocris, Padihorresnet », *BIFAO* 55, 65-84.
 1956b, « Les trois derniers grands majordomes de la XXVI^e dynastie », *ASAE* 54, 83-100.
 1956c, « Gérard de Nerval au Caire », *La Revue du Caire* 189, 171-197.
 1956d, « Les reliques égyptiennes de Gérard de Nerval », *La Revue du Caire* 191 et 192 (31 p.).
 1956-1957, « Les temples d'Abou Simbel et la famille de Ramsès II », *BIE* 37, 107-129.
 1957a, « Deux voyageurs suisses dans l'Égypte d'il y a cent ans », *La Revue du Caire* 199, 231-252.
 1957b, « L'organisation de l'armée égyptienne à l'époque ramesside », *La Revue du Caire* 207, 387-405.
 1957c, « Les divinités du papyrus Harris I et leurs épithètes », *ASAE* 54, 345-389.
 1958, « Le pylône "ramesside" d'Edfou », *ASAE* 55, 1-23.
 1960-1961, « Les monuments de Nubie », *La Revue du Caire* 244, 397-415 (« le temple de Debod »); 246, 87-108 (« De Dehmit à Kalabcha »); 348, 257-275 (« Kalabcha »); 250, 429-448 (« De Kalabcha à Gerf-Hussein »); 252, 125-142 (« Forteresses de Basse-Nubie »).
 1961a, « Le vocabulaire d'architecture monumentale d'après le papyrus Harris I », *MIFAO* 66, *Mélanges Maspero*, I, 6, 17-29.
 1961b, « L'Institut d'Égypte et l'archéologie », *La Revue du Caire* 249, 345-354.
 1964, « L'alun égyptien. Introduction historique », *BSGE* 37, 75-91.
 1965-1966, « Qui, le premier, entra dans le grand temple d'Abou Simbel? », *BIE* 47, 37-46.
 1967a, « Le voyage nubien du colonel Straton (fin octobre-début novembre 1817) », *BIFAO* 65, 169-176.
 1967b, « Le ravitaillement en poissons des artisans de la nécropole thébaine à la fin du règne de Ramsès III », *BIFAO* 65, 177-200.
 1977, *Campagne internationale de l'UNESCO pour la sauvegarde des sites et monuments de la Nubie*, *Bibliographie*, Paris.
- C. S. CHURCHER**
 1972, *Late Pleistocene Vertebrates from Archaeological Sites in the Plain of Kom Ombo, Upper Egypt*, Toronto.
- R. CLÉMENT**
 1960, *Les Français d'Égypte aux XVII^e et XVIII^e siècles*, *RAPH* 15.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

Jacques-Jean CLÈRE

- 1951, « Une statuette du fils aîné du roi Nectanebô », *RdE* 6, 135-156.
 1957, « Notes sur la chapelle funéraire de Ramsès I à Abydos et sur son inscription dédicatoire », *RdE* 11, 1-38.
 1958, « Fragments d'une nouvelle représentation égyptienne du monde », *MDAIK* 16, 30-46.
 1968, « Nouveaux fragments de scènes du jubilé d'Aménophis IV », *RdE* 20, 51-54.
 1970, « Notes sur l'inscription biographique de Sarenpout I^{er} à Assouan », *RdE* 22, 41-49.
 1975, « Un monument de la religion populaire de l'époque ramesside », *RdE* 27, 70-77.
 1977, « Sur l'existence d'un temple du Nouvel Empire à Débôd en Basse-Nubie », *Ägypten und Kusch, Schr. Or.* 13, 10-14.
 1985, « Un dépôt de fondation du temple memphite de Sethos I^{er} », *Mélanges offerts à Jean Vercoutter*, Paris, 51-57.

J.-J. CLÈRE & J. VANDIER

- 1948, *Textes de la première période intermédiaire et de la 11^e dynastie*, 1, *BAE*, 10.

E. CLINE

- 1987, « Amenhotep III and the Aegean : A Reassessment of Egypto-Aegean Relations in the 14th Century B.C. », *Or* 56, 1-35.

J. CLUTTON-BROCK

- 1981, *Domesticated Animals from Early Times*, Londres.

A. & E. COCKBURN

- 1980, *Mummies, Diseases, and Ancient Cultures*, Cambridge.

Lydia COLLINS

- 1976, « The Private Tombs of Thebes : Excavations by Sir Robert Mond 1905 and 1906 », *JEA* 62, 18-40.

E. COMBE, J. BAINVILLE & E. DRIAULT

- 1933, *Précis de l'histoire d'Égypte*, 3, *l'Égypte ottomane, l'expédition française en Égypte et le règne de Mohamed-Aly (1517-1849)*, IFAO.

Virginia CONDON

- 1978, *Seven Royal Hymns. Papyrus Turin CG 54031*, *MÄS* 37.

R. C. CONNOLLY, R. G. HARRISON & S. AHMED

- 1976, « Serological Evidences for the Parentage of Tut'ankhamun and Smenkhkare », *JEA* 62, 184-186.

Conte du Paysan, cité d'après Suys : 1933, texte, p.1*-31*.

John D. COONEY

- 1965, *Amarna Reliefs from Hermopolis in American Collections*, New York.

Jean COPPIN

- 1638-1646, *Les voyages en Égypte de Jean Coppin*, présentation et notes de S. Sauneron, Voyageurs IFAO 4, 1971.

René-Georges COQUIN

- 1972, « La christianisation des temples de Karnak », *BIFAO* 72, 169-178.

CT = *Coffin Texts*, cités en traduction d'après Barguet : 1986.

Jean-Pierre CORTEGGIANI

- 1979a, *L'Égypte des pharaons au musée du Caire*, A. Somogy, Paris.

- 1979b, « Une stèle héliopolitaine d'époque saïte », dans *Hommages Sauneron*, I, *BdE* 81, 115-154.

Pedro COSTA

- 1978, « The Frontal Sinuses of the Remains Purported to be Akhenaton », *JEA* 64, 76-79.

CRAIBL = *Comptes Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, Paris.

CRIPPEL = *Cahiers de Recherches de l'Institut de Papyrologie et Égyptologie de Lille*, Lille.

BIBLIOGRAPHIE

Eugene CRUZ-URIBE

- 1977, « On the Wife of Merneptah », *GM* 24, 23-32.
 1978, « The Father of Ramses I : OI 11456 », *JNES* 37, 237-244.
 1980, « On the Existence of Psammetichus IV », *Serapis* 5, 35-39.

Barbara CUMMING

- 1982-1984, *Egyptian Historical Records of the Later Eighteenth Dynasty*, Warminster.

J. S. CURL

- 1982, *The Egyptian Revival. An Introductory Study of a Recurring Theme in the History of Taste*, Londres.

Silvio CURTO

- 1970, *Medicina e medici nell'antico Egitto*, Turin.
 1979, *Storia delle Musee Egizio di Torino*, 2^e éd., Turin.
 1981, *L'antico Egitto*, Turin.
 1984, « Some Notes Concerning the Religion and Statues of Divinities of Ancient Egypt », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 717-734.

Wilhelm CZERMAK

- 1948, « Akten in Keilschrift und das auswärtige Amt des Pharaos », *WZKM* 51, 1-13.

B. A. Da GALLIPOLI, A. ROCCHETTA, H. CASTELA

- 1597-1601, *Voyages en Égypte des années 1597-1601. Traduit de l'italien par C. Burri et N. Sauneron*, Voyageurs IFAO 11, 1974.

Eva DANIELIUS & Heinz STEINITZ

- 1967, « The Fishes and Other Aquatic Animals on the Punt-Reliefs at Deir el-Bahri », *JEA* 53, 15-24.

W. DARBY & P. GHALIOUNGUI

- 1977, *Food. The Gift of Osiris*, Londres.

Georges DARESSY

- 1888, « Les carrières de Gebelein et le roi Smendès », *RT* 10, 133-138.
 1895, « Inscriptions du tombeau de Psametik à Saqqarah », *RT* 17, 17-25.
 1896a, « Inscriptions inédites de la XXII^e dynastie », *RT* 18, 46-53.
 1896b, « Une inondation à Thèbes sous le règne d'Osorkon II (*sic*) », *RT* 18, 181-186.
 1899, « Les rois Psusennès », *RT* 21, 9-12.
 1900, « Stèle de l'an III d'Amasis », *RT* 22, 1-9.
 1901, « Inscriptions de la chapelle d'Amenirtis à Médinet-Habou », *RT* 23, 4-18.
 1908, « Le roi Auput et son domaine », *RT* 30, 202-208.
 1910, « Le décret d'Amon en faveur du grand prêtre Pinozem », *RT* 32, 175-186.
 1912, « Ramsès-Si-Ptah », *RT* 34, 39-52.
 1913a, « Inscriptions historiques mendésiennes », *RT* 35, 124-129.
 1913b, « Notes sur les XXII^e, XXIII^e et XXIV^e dynasties », *RT* 35, 129-150.
 1916, « Le classement des rois de la famille des Bubastites », *RT* 38, 9-20.
 1923, « La crue du Nil de l'an XXIX d'Amasis », *ASAE* 23, 47-48.

François DAUMAS

- 1953, « Le trône d'une statuette de Pépi I^{er} trouvé à Dendera », *BIFAO* 52, 163-172, repris sous le même titre dans *BSFE* 12, 36-39.
 1958, *Les mammis des temples égyptiens*, Paris.
 1960, « La scène de la résurrection au tombeau de Pétoisiris », *BIFAO* 59, 63-80.
 1965a, *La civilisation de l'Égypte pharaonique*, Arthaud.
 1965b, *Les dieux de l'Égypte*, coll. « Que sais-je ? » n° 1194, P.U.F.
 1967, « L'origine d'Amon de Karnak », *BIFAO* 65, 201-214.
 1968, *La vie dans l'Égypte ancienne*, coll. « Que sais-je ? » n° 1302, P.U.F.
 1969, « Une table d'offrandes de Montouhotep Nebhepetre à Dendara », *MDAIK* 24, 96-99.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

- 1972, « Les textes bilingues ou trilingues », dans *Textes et langages de l'Égypte pharaonique*, III, *BdE* 64/3, 41-45.
- 1973, « Derechef Pépi I^{er} à Dendara », *RdE* 25, 7-20.
- 1980, « L'interprétation des temples égyptiens anciens à la lumière des temples gréco-romains », dans *Karnak* 6, 261-284.
- Sue D'AURIA**
- 1983, « The Princess Baketamun », *JEA* 69, 161-162.
- N. DAUTZENBERG**
- 1983, « Zum König Ity der 1. Dynastie », *GM* 69, 33-36.
- 1984, « Menes im Sothisbuch », *GM* 76, 11-16.
- 1986a, « Zu den Regierungszeiten in Manethos 1. Dynastie », *GM* 92, 23-28.
- 1986b, « Zu den Königen Chaires und Cheneres bei Manetho », *GM* 94, 25-29.
- 1987a, « Die Darstellung der 23. Dynastie bei Manetho », *GM* 96, 22-44.
- 1987b, « Iun-Re : der erste Kronprinz des Chephren? », *GM* 99, 13-17.
- 1988, « Ägyptologische Bemerkungen zu Platons Atlantis-Erzählung », *GM* 102, 19-29.
- Christopher J. DAVEY**
- 1976, « The Structural Failure of the Meidum Pyramid », *JEA* 62, 178-179.
- Ann Rosalie DAVID**
- 1981, *A Guide to Religious Ritual at Abydos*, Warminster.
- 1982, *Ancient Egyptian. Religious Beliefs and Practices*, Londres.
- 1987, *The Pyramid Builders of Ancient Egypt*, Londres.
- Whitney M. DAVIS**
- 1979a, « Sources for the Study of Rock Art in the Nile Valley », *GM* 32, 59-74.
- 1979b, « Plato on Egyptian Art », *JEA* 65, 121-127.
- 1979c, « Ancient Naukratis and the Cypriotes in Egypt », *GM* 35, 13-24.
- 1980, « The Cypriotes at Naukratis », *GM* 41, 7-20.
- 1981, « Egypt, Samos, and the Archaic Style in Greek Sculpture », *JEA* 67, 61-81.
- DE = Discussion in Egyptology*, Oxford.
- Fernand DEBONO & Bodil MORTENSEN**
- 1978-1980, « Rapport préliminaire sur les résultats de l'étude des objets de la fouille des installations du Moyen Empire et " Hyksôs " à l'est du lac sacré de Karnak », *Karnak* 7, 377-384.
- 1980, « Préhistoire de la vallée du Nil », dans *Histoire Générale de l'Afrique I*, UNESCO, 669-692.
- 1988, *The Predynastic Cemetery at Heliopolis*, AV 63.
- Wolfgang DECKER**
- 1971, *Die physische Leistung Pharaos, Untersuchungen zu Heldentum, Jagd und Leibesübungen der ägyptischen Könige*, Cologne.
- 1975, *Quellentexte zum Sport und Körperkultur im alten Ägypten*, St. Augustin.
- 1978, *Annotierte Bibliographie zum Sport im alten Ägypten*, St. Augustin.
- Élisabeth DELANGE**
- 1987, *Catalogue des statues égyptiennes du Moyen Empire*, Musée du Louvre.
- L. DELAPORTE, E. DRIOTON et alii**
- 1948, *Atlas historique*, I, *l'Antiquité*, coll. « Clio », P.U.F.
- Robert D. DELIA**
- 1979, « A New Look at Some Old Dates : A Reexamination of Twelfth Dynasty Double Dated Inscriptions », *BES* 1, 15-28.
- 1982, « Doubts about Double Dates and Coregencies », *BES* 4, 55-70.
- A. DEMAN**
- 1985, « Présence des Égyptiens dans la seconde guerre médique (480-479 av. J.-C.) », *CdE* 60, 56-75.
- Herman DE MEULENAERE**
- 1958a, *Herodotos over de 26ste dynastie*, Louvain.
- 1958b, « Le vizir Harsisiès de la 30^e dynastie », *MDAIK* 16, 230-236.

BIBLIOGRAPHIE

- 1985, « Les grands prêtres de Ptah à l'époque saïto-perse », *Mélanges offerts à Jean Vercouter*, Paris, 263-266.
- 1986, « Un général du Delta, gouverneur de la Haute Égypte », *CdE* 61, 203-210.
- Vivant DENON**
- 1801, *Voyage dans la Basse et la Haute Égypte*, Paris.
- Philippe DERCHAIN**
- 1953, « La visite de Vespasien au Sérapéum d'Alexandrie », *CdE* 56, 261-279.
- 1959, « Le papyrus Salt 825 (BM 10051) et la cosmologie égyptienne », *BIFAO* 58, 73-80.
- 1962, « Le rôle du roi d'Égypte dans le maintien de l'ordre cosmique », dans *Le pouvoir et le Sacré*, Université Libre de Bruxelles, 61-73.
- 1965, *Le papyrus Salt 825 (BM 10051), rituel pour la conservation de la vie en Égypte*, Académie Royale de Belgique, Cl. Lettres, *Mémoires* 58/1a.
- 1966, « Ménès, le roi " Quelqu'un " », *RdE* 18, 31-36.
- 1970, « La réception de Sinouhé à la Cour de Sésostri I^{er} », *RdE* 22, 79-83.
- 1977, « Geburt und Tod eines Gottes », *GM* 24, 33-34.
- 1979a, « En l'an 363 de Sa Majesté le Roi de Haute et Basse Égypte Râ-Harakhty vivant par-delà le temps et l'espace », *CdE* 53, 48-56.
- 1979b, « Der ägyptische Gott als Person und Funktion », dans W. WESTENDORF, *Aspekte der spätägyptischen Religion*, Wiesbaden, 43-45.
- 1980, « Comment les Égyptiens écrivaient un traité de la royauté », *BSFE* 87-88, 14-17.
- 1987, « Magie et politique. À propos de l'hymne à Sésostri III », *CdE* 62, 21-29.
- Peter DER MANUELIAN**
- 1983, « Prolegomena zur Untersuchung saïtischer " Kopien " », *SAK* 10, 221-246.
- 1987, *Studies in the Reign of Amenophis II*, *HAB* 26.
- Jehan E. DESANGES**
- 1968, « Vues grecques sur quelques aspects de la monarchie méroïtique » *BIFAO* 66, 89-104.
- Jean DESHAYES**
- 1969, *Les civilisations de l'Orient ancien*, « Les grandes civilisations », Arthaud.
- J. DESMOND CLARK (éd.)**
- 1982, *The Cambridge History of Africa*, I, *From the Earliest Times to c. 500 BC*.
- Christiane DESROCHES-NOBLECOURT**
- 1946, *Le style égyptien*, coll. « Arts, styles et techniques », Larousse.
- 1962, *L'art égyptien*. Avec la collaboration de P. du Bourguet, Paris.
- 1964, *Peintures des tombeaux et des temples égyptiens*, UNESCO, Milan.
- 1965, *Toutankhamon. Vie et mort d'un pharaon*, Paris.
- 1972, « Un buste monumental d'Aménophis IV, don prestigieux de l'Égypte à la France », *Revue du Louvre* 1972/4-5, 239-250.
- 1979, « Touy, mère de Ramsès II, la reine Tanadjmy et les reliques de l'expérience amarnienne », dans *l'égyptologie en 1979*, II, 227-244.
- 1984, « Le " bestiaire " symbolique du libérateur Ahmosis », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 883-892.
- C. DESROCHES-NOBLECOURT & G. GERSTER**
- 1968, *The World Saves Abu Simbel*, Vienne.
- Didier DEVAUCHELLE & M. I. ALY**
- 1986, « Présentation des stèles nouvellement découvertes au Sérapéum », *BSFE* 106, 31-44.
- Michel DEWACHTER**
- 1971a, « Graffiti des voyageurs du XIX^e siècle relevés dans le temps d'Amada en Basse-Nubie », *BIFAO* 69, 131-170.
- 1971b, « Le voyage nubien du comte Carlo Vidua (fin février-fin avril 1820) », *BIFAO* 69, 171-190.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

- 1975, « Contribution à l'histoire de la cachette royale de Deir el-Bahari », *BSFE* 74, 19-32.
- 1976, « Le roi Sahathor et la famille de Néferhotep I^{er} », *RdE* 28, 66-73.
- 1979, « Le percement de l'isthme de Suez et l'exploration archéologique », dans *L'égyptologie en 1979*, I, 221-228.
- 1984, « Le roi Sahathor, compléments », *RdE* 35, 195-199.
- 1986, « Le scarabée funéraire de Néchao II et deux amulettes inédites du Musée Jacquemart-André » *RdE* 37, 53-62.
- Igor M. DIAKONOFF**
- 1982, « The Structure of Near Eastern Society Before the Middle of the 2nd Millennium B.C. », *Oikumene* 3, 7-100.
- Bernd J. DIEBNER**
- 1984, « Erwägungen zum Thema "Exodus" », *SAK* 11, 595-630.
- D. M. DIXON**
- 1964, « The Origin of the Kingdom of Kush (Napata-Meroë) », *JEA* 50, 121-132.
- Doc FIFAO = Documents de Fouilles de l'Institut Français d'Archéologie Orientale*, Le Caire.
- DÖAW = Denkschrift der Österreichischen Akademie der Wissenschaften*, Vienne.
- Aidan DODSON**
- 1981, « Neferiti's Regality : a Comment », *JEA* 67, 179-180.
- 1985, « On the Date of the Unfinished Pyramid of Zawyet El-Aryan », *DE* 3, 21-24.
- 1986, « Was the Sarcophagus of Ramesses III Begun for Sethos II ? », *JEA* 72, 196-198.
- 1987a, « The Tombs of the Kings of the Thirteenth Dynasty in the Memphite Necropolis », *ZÄS* 114, 36-45.
- 1987b, « Two Thirteenth Dynasty Pyramids at Abusir ? », *VA* 3, 231-232.
- 1987c, « The Takhts and Some Other Royal Ladies of the Ramesside Period », *JEA* 73, 224-229.
- 1987d, « Psusennes II », *RdE* 38, 49-54.
- Sergio DONADONI**
- 1957, « Per la data della "Stele di Bentresh" », *MDAIK* 15, 47-50.
- 1963, *Fonti indirette della storia egiziana* (éd.), *Stud. Semitici* 7.
- 1977, « Sulla situazione giuridica della Nubia nell'impero egiziano », dans *Ägypten und Kush*, *Schr. Or.* 13, 133-138.
- 1981, *L'Egitto*, Turin.
- Herbert DONNER**
- 1969, « Elemente ägyptischen Totenglauben bei den Aramäern Ägyptens », dans *Religions en Égypte hellénistique et romaine*, CESS Université de Strasbourg, P.U.F., 35-44.
- Jean DORESSE**
- 1960, *Des hiéroglyphes à la croix. Christianisme et religion pharaonique*, PIHAN Stamboul 7.
- Marianne DORESSE**
- 1971-1979, « Le dieu voilé dans sa châsse et la fête du début de la décade », *RdE* 23 (1971), 113-136 ; 25 (1973), 92-135 ; 31 (1979), 36-65.
- 1981, « Observations sur la publication des blocs des temples atoniens de Karnak : The Akhenaten Temple Project », *GM* 46, 45-79.
- G. DORMION & J.-P. GÖDIN**
- 1986, *Khéops. Nouvelle enquête. Propositions préliminaires*, Paris.
- Rosemarie DRENKHAN**
- 1976, *Die Handwerker und ihre Tätigkeit im alten Ägypten*, *ÄA* 31.
- 1980, *Die Elephantine-Stele des Sethnacht und ihr historischer Hintergrund*, *ÄA* 36.
- 1981, « Ein Nachtrag zu Tausret », *GM* 43, 19-22.
- M. DREW-BEAR**
- 1979, *Le nome hermopolite. Toponymes et sites*, Missoula.

BIBLIOGRAPHIE

Étienne DRIOTON

- 1939, « Une statue prophylactique de Ramsès III », *ASAE* 39, 57-89.
 1953, « Un document sur la vie chère à Thèbes au début de la XVIII^e dynastie », *BSFE* 12, 11-25.
 1954, « Une liste de rois de la IV^e dynastie dans l'ouâdi Hammâmât », *BSFE* 16, 41-49.
 1957, « Le nationalisme au temps des pharaons », *La Revue du Caire* 198, 81-92.
 1958, « Amon avant la fondation de Thèbes », *BSFE* 26, 33-41.
 1969, *L'Égypte pharaonique*, Coll. « U 2 », A. Colin, Paris.

E. DRIOTON & P. DU BOURGUET

- 1965, *Les pharaons à la conquête de l'art*, Paris.

E. DRIOTON & J. VANDIER

- 1962, *L'Égypte. Des origines à la conquête d'Alexandre*, 4^e éd., coll. « Clio », P.U.F., Paris.

Bernardino DROVETTI

- 1800-1851, *Bernardino Drovetti epistolario 1800-1851*. Pubblicato da S. Curto in collaborazione con L. Donatelli, Milan, 1985.

Margaret S. DROWER

- 1982, « Gaston Maspero and the Birth of the Egypt Exploration Fund (1881-3) », *JEA* 68, 299-317.
 1985, *Flinders Petrie. A Life in Archaeology*, Londres.

Comte DU MESNIL DU BUISSON

- 1969, « Le décor asiatique du couteau de Gebel el-Arak », *BIFAO* 68, 63-84.

Françoise DUNAND

- 1980, « Fête, tradition, propagande : les cérémonies en l'honneur de Bérénice, fille de Ptolémée III, en 238 a.C. », dans *Livre du Centenaire, MIFAO* 104, 287-301.
 1983, « Culte royal et culte impérial en Égypte. Continuités et ruptures », *Aegyptiaca Treverensia* 2, 47-56.

Dows DUNHAM

- 1970, *The Barkal Temples*, Boston.

André DUPONT-SOMMER

- 1978, « Les dieux et les hommes en l'île d'Éléphantine, près d'Assouan, au temps de l'Empire des Perses », *CRAIBL* 1978, 756-772.

D. P. DYMOND

- 1974, *Archaeology and History, a Plea for Reconciliation*, Londres.

Marianne EATON-KRAUSS

- 1981a, « Seti-Merenptah als Kronprinz Merenptahs » *GM* 50, 15-22.
 1981b, « The Dating of the "Hierakonpolis-Falcon" », *GM* 42, 15-18.
 1981c, « Miscellanea Amarniensia », *CdE* 56, 245-264.
 1987, « The Titulary of Tutankhamun », in *Form und Mass*, *ÄAT* 12, 110-123.

J. EBACH & M. GÖRG

- 1987, *Beziehung zwischen Israel und Ägypten*, Darmstadt.

Elmar EDEL

- 1944, « Untersuchungen zur Phraseologie der ägyptischen Inschriften des Alten Reiches », *MDAIK* 13, 1-90.
 1961-1963, *Zu den Inschriften aus den Jahreszeitenreliefs der « Weltkammer » aus dem Sonnenheiligtum des Niuserre*, *NAWG*.
 1972, « *Nj-rmtw-nswt* "ein Besitzer von Menschen ist der König" », *GM* 2, 15-18.
 1974, « Neue Identifikationen topographischer Namen in den konventionellen Namenszusammenstellungen des Neuen Reiches », *GM* 11, 19-22.
 1978, « Amasis und Nabukadrezar II », *GM* 29, 13-20.
 1981, *Hieroglyphische Inschriften des alten Reiches*, Wiesbaden.
 1984, « Zur Seele Sesostri's I. aus dem Wadi el-Hudi (*ASAE* 39, 197 ff.) », *GM* 78, 51-54.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

- 1985, « Der Seevölkerbericht aus dem 8. Jahre Ramses' III. (MH II, pl. 46, 15-18). Übersetzung und Struktur », *BdE* 97/1, 223-237.
- William F. EDGERTON**
1947, « The Nauri Decree of Seti I, a Translation and Analysis of the Legal Portion », *JNES* 6, 219-230.
- W. F. EDGERTON & J. A. WILSON**
1936, *Historical Records of Ramses III. The Texts in MEDINET HABU Volumes I and II, Translated with Explanatory Notes*, SAOC 12.
- Iorweth E. S. EDWARDS**
1960, *Oracular Amuletic Decrees of the Late New Kingdom*, 2 vol., *HPBM* 4.
1967, *Les pyramides d'Égypte*, trad. D. Meunier, Livre de Poche, Paris.
1974, « The Collapse of the Meidum Pyramid », *JEA* 60, 251-252.
1975, « Something Which Herodotus May Have Seen », *RdE* 27, 117-124.
- I. E. S. EDWARDS, C. J. GADD, N. G. L. HAMMOND**
1971, *Cambridge Ancient History*, I, 2, *The Early History of the Middle East*. 3^e éd., Cambridge University Press.
1973a, *Cambridge Ancient History*, II, 1, *History of the Middle East and the Aegean Region c.1800-1380*, 3^e éd., Cambridge University Press.
1973b, *Cambridge Ancient History*, II, 2, *History of the Middle East and the Aegean Region c.1380-1000*, 3^e éd., Cambridge University Press.
1974, *Cambridge Ancient History*, I, 1, *Prolegomena and Prehistory*, 3^e éd., Cambridge University Press.
1977, *Plates to Volumes 1 and 2*, Cambridge University Press.
- Arne EGGBRECHT**
1980, *Geschichte der Arbeit, I, Die frühen Hochkulturen : das alte Ägypten*, Cologne.
1982, *Ägypten : Faszination und Abenteuer*, Mayence.
L'égyptologie en 1979 = L'égyptologie en 1979. Axes prioritaires de recherche, Colloques internationaux du CNRS, Paris, 1982.
Egyptology Today, Londres.
- Josef EIWANGER**
1984, *Merimde-Benisalame, 1, Die Funde der Uherschicht*, AV 47.
1988, *Merimde-Benisalame, 2, Die Funde der mittleren Merimdekultur*, AV 51.
- Mustafa EL-AMIR**
1964, « Monogamy, Polygamy, Endogamy and Consanguinity in Ancient Egyptian Marriage », *BIFAO* 62, 103-108.
- F. EL-BAZ**
1984, *The Geology of Egypt. An Annotated Bibliography*, Leyde.
- F. A. EL-BEDEWI**
1968-1969, « Search for Presently Unknown Chambers in Chefred Pyramid », *BIE* 50, 65-74.
- Zeinab EL-DAWAKHLY**
1966-1968, « New Lights on the Role of Women in Ancient Egypt », *BIE* 48-49, 79-86.
- K. T. EL-DISSOURY**
1969, *Elephantine in the Old Kingdom*, Chicago.
- R. A. EL-FARAG**
1980, « A Stela of Khasekhemui from Abydos », *MDAIK* 36, 77-80.
- Rashid EL-NADOURY**
1968a, « Human Sacrifices in the Ancient Near East », *AHS Alexandrie* 2, 1-10.
1968b, « The Origin of the Fortified Enclosures of the Early Egyptian Dynastic Period », *AHS Alexandrie* 2, 11-19.
- R. EL-NADOURY & J. VERCOUTTER**
1980, « Le leg de l'Égypte pharaonique », dans *Histoire Générale de l'Afrique*, II, UNESCO, 153-190.

BIBLIOGRAPHIE

W. EL-SADEEK

1984, « Twenty-sixth Dynasty Necropolis at Gizeh », *VIAÄ Wien* 29.

Ahmed EL-SAWI

1983, « Ramesses II Completing a Shrine in the Temple of Sety I at Abydos », *SAK* 10, 307-310.

Ramadan EL-SAYED

1974, « Quelques éclaircissements sur l'histoire de la XXVI^e dynastie, d'après la statue du Caire CG 658 », *BIFAO* 74, 29-44.

1978, « Piankhi, fils de Hérihor. Documents sur sa vie et sur son rôle », *BIFAO* 78, 197-218.

1979a, « Stèles de particuliers relatives au culte rendu aux statues royales de la XVIII^e à la XX^e dynastie », *BIFAO* 79, 155-166.

1979b, « Quelques précisions sur l'histoire de la province d'Edfou à la Deuxième Période Intermédiaire (Étude des stèles JE 38917 et 46988 du Musée du Caire), *BIFAO* 79, 167-208.

E. M. EL-SHAZLY

1987, « The Ostracine Branch, A Proposed Old Branch of the River Nile », *DE* 7, 69-78.

Farid EL-YAHKY

1984, « The Origin and Development of Sanctuaries in Predynastic Egypt », *JSSEA* 14, 70-73.

1985a, « The Sahara and Predynastic Egypt : an Overview », *JSSEA* 15, 81-85.

1985b, « Clarifications on the Gerzean Boat Scenes », *BIFAO* 85, 187-195.

Enchoria, Zeitschrift für Demotistik und Koptologie, Wiesbaden.

Erika ENDESFELDER

1977, « Über die ökonomischen und sozialen Verhältnisse der Reiche von Napata und Meroe », dans *Ägypten und Kush*, *Schr. Or.* 13, 143-164.

1979, « Zur Frage der Bewässerung im pharaonischen Ägypten », *ZÄS* 106, 37-51.

H. ENGEL

1979, *Die Vorfahren Israels in Ägypten*, Francfort.

R. ENGELBACH

1940, « Material for a Revision of the History of the Heresy Period of the XVIIIth Dynasty », *ASAE* 40, 133-165.

Enseignement d'Amenemhat I^{er}, cité d'après l'édition de Helck : 1969.

Eranos Rudbergianus, Uppsala.

Eretz Israel, Tel Aviv.

W. ERICHSEN

1933, *Papyrus Harris I. Hieroglyphische Transkription*, BAE 5.

Adolphe ERMAN

1900, « Die Naukratisstele », *ZÄS* 38, 127-133.

1952a, *La religion des Égyptiens*, traduction française par Henri Wild, Payot.

1952b, *L'Égypte des pharaons*, traduction française par Henri Wild, Payot.

Earl L. ERTMAN

1979, « Some Probable Representations of Ay », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 245-248, — repris sous le même titre dans *GM* 51 (1981), 51-56.

ET = Études et Travaux, Varsovie.

EVO = Egipto e Vicino Oriente, Rivista della sezione orientalistica dell'Istituto di Storia Antica, Università degli Studi di Pisa, Pise.

Christopher J. EYRE

1980, « The Reign-length of Ramesses VII », *JEA* 66, 168-170.

1984, « Crime and Adultery in Ancient Egypt », *JEA* 70, 92-105.

1987, « The Use of Data from Deir el-Medina », *BiOr* 44, 21-36.

Félix FABRI

1483, *Le voyage en Égypte de Félix Fabri*, traduit, présenté et annoté par le R. P. J. MASSON, s.j., IFAO, Le Caire, 1975.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

Brian M. FAGAN

1977, *The Rape of the Nile. Tomb Robbers, Tourists, and Archaeologists in Egypt*, Macdonald & Janè's, Londres. Traduit en français sous le titre *L'aventure archéologique en Égypte*, Paris, 1981.

H. W. FAIRMAN

1958, « The Kingship Rituals of Egypt », dans S. H. HOOKE, *Myth, Ritual and Kingship*, 74-104.

W. A. FAIRSERVIS Jr.

1983, *Hierakonpolis — The Graffiti and the Origins of Egyptian Hieroglyphic Writing*, Poughkeepsie NY.

Ahmed FAKHRY

1973, *The Oases of Egypt*, I, *Síwa Oasis*, Le Caire.

1974, *The Oases of Egypt*, II, *Bahriya and Farafra Oases*, Le Caire.

1975, *The Pyramids*, 4^e éd., Chicago.

M. VON FALCK, S. KLIE & A. SCHULZ

1985, « Neufunde ergänzen Königsnamen eines Herrschers der 2. Zwischenzeit », *GM* 87, 15-24.

Raymond O. FAULKNER

1958, « The Battle of Kadesh », *MDAIK* 16, 93-111.

1959, « Wpwttyw "Bystanders" », *JEA* 45, 102.

1969, *The Ancient Egyptian Pyramid Texts*, 2 vol., Oxford.

1985, *The Ancient Egyptian Book of the Dead*, Londres.

Richard A. FAZZINI

1988, *Égypte, Dynastie XXII-XXV*, Leyde.

H. FECHHEIMER

1922, *Die Plastik der Ägypter*, Berlin.

Gerhard FECHT

1958, « Zu den Namen ägyptischer Fürsten und Städte in den *Annalen* des Assurbanipal und der *Chronik* des Asarhaddon », *MDAIK* 16, 112-119.

1979, « Die Berichte des Hr.w = h.wi.f über seine drei Reisen nach J3m », *ÄAT* 1, 105-134.

1983, « Die Israelstele, Gestalt und Aussage », *ÄAT* 5, 106-138.

1984a, « Das "Poème" über die Qadesh-Schlacht », *SAK* 11, 281-333.

1984b, « Nachträge zu meinem "Das 'Poème' über die Qadesh-Schlacht" », *GM* 80, 55-58.

1984c, « Ramses II. und die Schlacht bei Qadesh (Qidsha) », *GM* 80, 23-54.

Walter FEDERN

1935, « Zur Familiengeschichte der IV. Dynastie Ägyptens », *WZKM* 42, 165-192.

Erika FEUCHT

1978, « Zwei Reliefs Scheschonq I. aus El Hibeh », *SAK* 6, 69-77.

1981, « Relief Scheschonq I. beim Erschlagen der Feinde aus El-Hibe », *SAK* 9, 105-118.

Elizabeth FINKENSTAEDT

1976, « The Chronology of Egyptian Predynastic Black-Topped Ware », *ZÄS* 103, 5-8.

1981, « Regional Painting Style in Prehistoric Egypt », *ZÄS* 107, 116-120.

1984, « Violence and Kingship : the Evidence of the Palettes », *ZÄS* 111, 107-110.

1985, « Cognitive vs. Ecological Niches in Prehistoric Egypt », *JARCE* 32, 143-147.

Otto FIRCHOW

1957, « Königsschiff und Sonnenbarke », *WZKM* 54, 34-42.

Henry G. FISCHER

1964, *Inscriptions from the Coptite Nome. Dynasties VI-XI*, AnOr 40.

1968, *Dendera in the Third Millenium B.C. Down to the Theban Domination of Upper Egypt*, New York.

1974, « Nbtj in Old-Kingdom Titles and Names », *JEA* 60, 94-99.

BIBLIOGRAPHIE

- 1975, « Two Tantalizing Biographical Fragments of Historical Interest », *JEA* 61, 33-37.
- Hans-Werner FISCHER-ELFERT**
 1983a, « The Sufferings of an Army Officer », *GM* 63, 43-46.
 1983b, « Morphologie, Rhetorik und Genese der Soldatencharakteristik », *GM* 66, 45-66.
 1986, *Literarische Ostraka der Ramessidenzeit in Übersetzung*, KÄT.
 1987a, *Die satirische Streitschrift des Papyrus Anastasi I, 2, Übersetzung und Kommentierung*, AA 44.
 1987b, « Der Pharao, die Magier und der General — Die Erzählung des Papyrus Vandier », *BiOr* 44, 5-21.
- Gustave FLAUBERT**
 1849-1850, *Voyage en Égypte*, Paris, 1986.
- Marie-Pierre FOISSY-AUFRÈRE**
 1985, *Égypte & Provence. Civilisation, survivances et « cabinet de curiosités »*, Avignon, Musée Calvet.
- Annie FORGEAU**
 1984, « Prêtres isiaques : essai d'anthropologie religieuse », *BIFAO* 84, 155-187.
- L. FOTI**
 1978, « Menes in Diodorus I. 89 », *Oikumene* 2, 113-126.
- Michael V. FOX**
 1988, *The Song of Songs and the Ancient Egyptian Love Songs*, Madison, WI.
Fragen an die altägyptische Literatur, Studien zum Gedenken an Eberhard Otto, Wiesbaden.
- P. J. FRANDSEN**
 1976, « Heqareshu and the Family of Tuthmosis IV », *AcOr* 37, 5-10.
 1979, « Egyptian Imperialism », dans *Power and Propaganda, Mesopotamia* 7, 167-192.
- Detlef FRANKE**
 1973, « Ein Beitrag zur Diskussion über die asiatische Produktionsweise », *GM* 5, 63-72.
- Henri FRANKFORT**
 1951, *La royauté et les dieux*, traduction française par J. Marty et P. Kriéger, Payot.
- Sigmund FREUD**
 1986, *L'homme Moïse et la religion monothéiste. Trois essais*. Traduction C. Heim, Gallimard.
- E. FRIEDEL**
 1982, *Kulturgeschichte Ägyptens und des Alten Orients*, Munich.
- Florence FRIEDMAN**
 1975, « On the Meaning of W3d-wr in Selected Literary Texts », *GM* 17, 15-22.
- Christian FROIDEFOND**
 1971, *Le mirage égyptien dans la littérature grecque, d'Homère à Aristote*, Ophrys.
FuB = Forschungen und Berichte, Berlin.
- P. FUSCALDO**
 1982, « La medicina en el antiguo Egipto », *RIHAO* 6, 35-60.
- Gaballa Aly GABALLA**
 1969, « Minor War Scenes of Ramesses II at Karnak », *JEA* 55, 82-88.
- Marc GABOLDE**
 1987, « Ay, Toutankhamon et les martelages de la stèle de la restauration de Karnak (CG 34183) », *BSEG* 11, 37-62.
- Gawdat GABRA**
 1981, « A Lifesize Statue of Nephertiti I from Buto », *SAK* 9, 119-124.
- N. H. GALE & Z. A. STOS-GALE**
 1981, « Ancient Egyptian Silver », *JEA* 67, 103-115.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

Sir Alan H. GARDINER

1904, « The Installation of a Vizier », *RT* 26, 1-19.

1916, « The Defeat of the Hyksos by Kamose : the Carnarvon Tablet, N° I », *JEA* 3, 95-110.

1938, « The House of Life », *JEA* 24, 157-179.

1948, *Ramesside Administrative Documents*, Oxford.

1952, « Some Reflections on the Nauri Decree », *JEA* 38, 24-33.

1955, « The Problem of the Month-names », *RdE* 10, 9-31.

1956, « The First King Menthopte of the Eleventh dynasty », *MDAIK* 14, 42-51.

1959, *The Royal Canon of Turin*, Oxford.

1960, *The Kadesh Inscriptions of Ramesses II*, Oxford.

1961, *Egypt of the Pharaohs. An Introduction*, Oxford University Press.

1974, *Egypt of the Pharaohs*, réédition, Oxford.

Paul GARELLI

1969, *Le Proche-Orient asiatique. Des origines aux invasions des Peuples de la Mer*, « Nouvelle Clio », P.U.F., Paris, 2^e édition, 1982.

P. GARELLI & V. NIKIPROWETZKY

1974, *Le Proche-Orient asiatique. Les empires mésopotamiens. Israël*, « Nouvelle Clio », P.U.F., Paris.

Jean Sainte Fare GARNOT

1942, « L'imakh et les imakhous d'après les Textes des Pyramides », *Annuaire de l'École Pratique des Hautes Études*, V^e Section, 1-32.

1948, *La vie religieuse dans l'ancienne Égypte*, coll. « Mythes et Religions », P.U.F.

1952, « Études sur la nécropole de Giza sous la IV^e dynastie », *RdE* 9, 69-79.

1958, « Sur le nom de " l'Horus cobra " », *MDAIK* 16, 138-146.

A. A. GASM EL-SEED

1985, « La tombe de Tanoutamon à El Kurru (Ku. 16) », *RdE* 36, 67-72.

Henri GAUTHIER

1906, « Quelques remarques sur la XI^e dynastie », *BIFAO* 5, 23-40.

1907-1917, *Le Livre des Rois d'Égypte. Recueil de titres et protocoles royaux, noms propres des rois, reines et princesses...*, *MIFAO* 17-21.

1921, « Les " fils royaux de Kouch " et le personnel administratif de l'Éthiopie », *RT* 39, 179-238.

1923, « Quelques additions au Livre des Rois d'Égypte (Ancien et Moyen Empire) », *RT* 40, 177-204.

1925-1931, *Dictionnaire des noms géographiques contenus dans les textes hiéroglyphiques*, 7 vol., IFAO.

1932, « Les deux rois Kamose (XVII^e dynastie) », dans *Studies Griffith*, Oxford, 3-8.

1934, « Un monument nouveau du roi Psamtik II », *ASAE* 34, 129-134.

J.-E. GAUTIER & G. JEQUIER

1902, *Mémoire sur les fouilles de Licht*, *MIFAO* 6.

Marguerite GAVILLET

1981, « L'évocation du roi dans la littérature royale égyptienne comparée à celle des *Psaumes royaux* et le rapport roi-Dieu », *BSEG* 5, 3-14 et 6, 3-17.

Beate GEORGE & B. PETERSON

1979, *Die Karnak-Zeichnungen von Baltzar Cronstrand 1836-1837*, Stockholm.

H. GERICKE

1984, *Mathematik in Antike und Orient*, Berlin.

Renate GERMER

1979, *Untersuchungen über Arzneipflanzen im alten Ägypten*, Hambourg.

1981, « Einige Bemerkungen zum angeblichen Opiumexport von Zypern nach Ägypten », *SAK* 9, 125-130.

Philippe GERMOND

1979, « Le roi et le retour de l'inondation », *BSEG* 1, 5-12.

BIBLIOGRAPHIE

Louise GESTERMANN

1984, « Hathor, Harsomtut und Mntw-htp.w II. », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 763-776.

1987, *Kontinuität und Wandel in Politik und Verwaltung des frühen mittleren Reiches in Ägypten*, GOF IV/18.

Francis GEUS

1982, « Du V^e millénaire av. J.-C. à l'époque méroïtique : les dernières fouilles au Soudan nilotique », *BSFE* 94, 20-30.

I. A. GHALI

1969, *L'Égypte et les Juifs dans l'antiquité*, Paris.

Paul GHALIOUNGUI

1973, *The House of Life. Magic and Medical Science in Ancient Egypt*, éd. révisée, Amsterdam.

1983, *The Physicians of Pharaonic Egypt*, *Sond. DAIK* 10.

Monir G. GHOBRIAL

1967, *The Structural Geology of the Kharga Oasis*, *Geological Survey Papers* 43, Le Caire.

W. GHONEIM

1977, *Die ökonomische Bedeutung des Rindes im alten Ägypten*, Bonn.

Antonio GIAMMARUSTI & Alessandro ROCCATI

1980, *File. Storia e vita di un santuario egizio*, Novara.

Lisa L. GIDDY

1980, « Some Exports From the Oases of the Libyan Desert Into the Nile Valley — Tomb 131 at Thebes », dans le *Livre du Centenaire*, *MIFAO* 104, 119-125.

1987, *Egyptian Oases. Bahariya, Dakhla, Farafra and Kharga During Pharaonic Times*, Warminster.

S. GIEDION

1966, *La naissance de l'architecture*, « L'éternel présent », traduction par E. Bille-de-Mot, Bruxelles.

André GIL-ARTAGNAN

1975, « Projet *Pount*. Essai de reconstitution d'un navire et d'une navigation antiques », *BSFE* 73, 28-43.

Pierre GILBERT

1949a, *La poésie égyptienne*, 2^e éd., Bruxelles.

1949b, *Esquisse d'une histoire de l'Égypte ancienne et de sa culture*, Bruxelles.

Boleslav GINTER & J. K. KOSLOWSKI

1979, *Silexindustrien in el-Tarif*. AV 26.

1986, « Kulturelle und Paläoklimatische Sequenz in der Fayum-Depression — eine zusammenfassende Darstellung der Forschungsarbeit... 1979-1981 », *MDAIK* 42, 9-24.

B. GINTER, J. K. KOZLOWSKI, M. PAWLIKOWSKI

1985, « Field Report from the Survey Conducted in Upper Egypt in 1983 », *MDAIK* 41 (1985), 15-42.

Michel GITTON

1967, « Un monument de la reine Keïsa à Karnak », *RdE* 19, 161-163.

1974, « Le palais de Karnak », *BIFAO* 74, 63-74.

1975a, « Les premiers obélisques monolithes, à propos d'un texte de Plinie l'Ancien », *BIFAO* 75, 97-102.

1975b, *L'épouse du dieu Ahmès Néfertari*, Les Belles-Lettres, Paris.

1976, « Le rôle des femmes dans le clergé d'Amon à la 18^e dynastie », *BSFE* 75, 31-46.

1978, « Variation sur le thème de la titulature des reines », *BIFAO* 78, 389-404.

1984, *Les divines épouses de la 18^e dynastie*, Les Belles-Lettres, Paris.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

Raphael GIVEON

- 1965, « A Sealing of Khyan From the Shephela of Southern Palestine », *JEA* 51, 202-204.
 1967, « Royal Seals of the XIIth Dynasty From Western Asia », *RdE* 19, 29-37.
 1971, *Les bédouins Shosou des documents égyptiens*, Leyde.
 1974, « Amenophis III in Athribis », *GM* 9, 25-26.
 1977, « Remarks on the Transmission of Egyptian Lists of Asiatic Toponyms », dans *Fragen an die altägyptische Literatur, Studien Otto*, Wiesbaden, 171-184.
 1978, *The Impact of Egypt in Canaan. Iconographical and Related Studies*, OBO 20.
 1979a, « The XIIIth Dynasty in Asia », *RdE* 30, 163-167.
 1979b, « Remarks on Some Egyptian Toponym Lists Concerning Canaan », *ÄAT* 1, 135-141.
 1979c, « Western Asiatic Aspects of the Amarna-period : the Monotheism-problem », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 249-252.
 1980, « Resheph in Egypt », *JEA* 66, 144-150.
 1981, « Ya'qob-har », *GM* 44, 17-20.
 1983, « A Date Corrected : if it is Hebrew to you », *GM* 69, 95.
 1984, « Amenmesse in Canaan? », *GM* 83, 27-30.
 1986, « Cattle — Administration in Middle Kingdom Egypt and Canaan », *Hommages à François Daumas*, 1, Montpellier, 279-284.
Glimpses of Ancient Egypt, Studies in Honour of H. W. Fairman, Warminster.

Gérard GODRON

- 1958, « Études sur l'époque archaïque », *BIFAO* 57, 143-156.
Gleanings from Deir el-Medîna, éd. R. J. DEMARÉE & J. J. JANSSEN, Leyde.

Hans GOEDICKE

- 1957, « Das Verhältnis zwischen königlichen und privaten Darstellungen im Alten Reich », *MDAIK* 15, 57-67.
 1960, *Die Stellung des Königs im Alten Reich*, ÄA 2.
 1961, « Die Siegelzylinder von Pepi I. », *MDAIK* 17, 69-90.
 1962, « Psammetik I. (und) die Libyer », *MDAIK* 18, 26-49.
 1966a, « Some Remarks on the 400-Year Stela », *CdE* 41, 23-39.
 1966b, « An Additional Note on "3 'Foreigner'" », *JEA* 52, 172-174.
 1967, *Königliche Dokumente aus dem Alten Reich*, ÄA 14.
 1969a, « Probleme der Herakleopolitenzeit », *MDAIK* 24, 136-143.
 1969b, « Ägäische Namen in ägyptischen Inschriften », *WZKM* 62, 7-10.
 1974, « The Inverted Water », *GM* 10, 13-18.
 1977, « 727 vor Christus », *WZKM* 69, 1-19.
 1979a, « "Irsu the Kharu" in Papyrus Harris », *WZKM* 71, 1-17.
 1979b, « The Origin of the Royal Administration », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 123-130.
 1981a, « Harkhuf's Travels », *JNES* 40, 1-20.
 1981b, « The "400-Year Stela" Reconsidered », *BES* 3, 25-43.
 1981c, « The Campaign of Psammetik II Against Nubia », *MDAIK* 37, 187-198.
 1981d, Compte rendu de Patrick F. O'MARA, *The Chronology of the Palermo and the Turin Canons*, *JARCE* 18, 89-90.
 1981e, Compte rendu de Patrick F. O'MARA, *The Palermo Stone and the Archaic Kings of Egypt*, *JARCE* 18, 88-89.
 1984, *Studies in the Hekanakhte Papers*, Baltimore.
 1985a, *Perspectives on the Battle of Kadesh*, Baltimore.
 1985b, « Rudjedet's Delivery », *VA* 1, 19-26.
 1987, « Ramesses II and the Wadi Tumilat », *VA* 3, 13-24.
 1988, « Yam — More », *GM* 101, 35-42.

O. GOELET Jr.

- 1986, « The Therm Stp-s3 in the Old Kingdom and Its Later Development », *JARCE* 23, 85-98.

BIBLIOGRAPHIE

Manfred GORG

- 1975, « Ninive in Ägypten », *GM* 17, 31-34.
 1976, « Die Phryger in Hieroglyphen », *GM* 22, 37-38.
 1977a, « Zimiu und lamassu », *GM* 23, 35-36.
 1977b, « Komparatistische Untersuchungen an ägyptischer und israelitischer Literatur », dans *Fragen and die altägyptische Literatur, Stud. Otto*, 197-216.
 1978, « Eine Variante von Mitanni », *GM* 29, 25-26.
 1979a, « Mitanni in Gruppenschreibung », *GM* 32, 17-20.
 1979b, « Das Ratespiel um *Mw-qd* », *GM* 32, 21-22.
 1979c, « Identifikation von Fremdnamen », *AAT* 1, 152-173.
 1979d, « Tuthmosis III. und die Shasou-region », *JNES* 38, 199-202.
 1982a, « Weitere Belege für Ibirta », *GM* 59, 13-14.
 1982b, « Ein Siegelamulett Amenophis III. aus Palästina », *GM* 60, 41-42.
 1983, « Die afrikanischen Namen der Kaimauer von Elephantine », *GM* 67, 39-42.
 1984, « Weitere Bemerkungen zur Geschenkliste Amenophis III. (EA 14) », *GM* 71, 15-16.

GOF = *Göttinger Orientforschungen*, Wiesbaden.

B. L. GOFF

- 1979, *Symbols of Ancient Egypt in the Late Period. Twenty-first Dynasty*, La Haye.

J. O. GOHARY

- 1979, « Nefertiti at Karnak », dans *Glimpses of Ancient Egypt, Studies in Honour of H. W. Fairman*, 30-31.

Jean-Claude GOLVIN et Jean LARRONDE

- 1982, « Étude des procédés de construction dans l'Égypte ancienne, 1, L'édification des murs de grès en grand appareil à l'époque romaine », *ASAE* 68, 165-190.

Jean-Claude GOLVIN & Robert VERGNIEUX

- 1986, « Étude des procédés de construction dans l'Égypte ancienne, 4, Le ravalement des parois, la taille des volumes et des moulures », *Hommages à François Daumas*, 1, Montpellier, 299-321.

Farouk GOMAA

- 1973, *Chaemwese. Sohn Ramses II. und Hoherpriester von Memphis*, *ÄA* 27.
 1975, *Die libyschen Fürstentümer des Delta vom Tode Osorkons II. bis zur Wiedervereinigung Ägyptens durch Psammetik I.*, Wiesbaden.
 1980, *Ägypten während der Ersten Zwischenzeit* TAVO B/27.
 1986-1987, *Die Besiedlung Ägyptens während des mittleren Reiches*, 1, Oberägypten, 2, Unterägypten und die angrenzenden Gebiete, TAVO B 66/1-2.

Zakaria GONEIM

- 1957, *Excavations at Saqqara : Horus Sekhem-Khet. The Unfinished Step Pyramid at Saqqara*, I, IFAO, Le Caire.
 1959, « La pyramide ensevelie », *La Revue du Caire* 232, 450-471.

Antonius GONZALES

- 1665-1666, *Le voyage en Égypte du Père Antonius Gonzales, 1665-1666. Traduit du néerlandais, présenté et annoté par Ch. Libois s.j.*, Voyageurs IFAO 19/1-2, 1977.

G. GOTTSCHALK

- 1979, *Die grossen Pharaonen. Ihr Leben, ihre Zeit, ihre Kunstwerke...*, Munich.

Jean-Claude GOYON

- 1972, *Rituels funéraires de l'ancienne Égypte...*, *LAPO* 4.
 1978-1980, « Une dalle aux noms de Menkheperre, fils de Pinedjem I^{er}, d'Issetemkheb et de Smendès (CSX 1305) », *Karnak* 7, 275-280.
 1983, « Inscriptions tardives du temple de Mout à Karnak », *JARCE* 20, 47-64.

Georges GOYON

- 1970, « Nouvelles observations relatives à l'orientation de la pyramide de Khéops », *RdE* 22, 85-98.
 1971a, « Les navires de transport de la chaussée monumentale d'Ounas », *BIFAO* 69, 11-42.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

- 1971b, « Les ports des pyramides et le grand canal de Memphis », *RdE* 23, 137-153.
 1974, « Kerkasôre et l'ancien observatoire d'Eudoxe », *BIFAO* 74, 135-148.
 1976, « Un procédé de travail du granit par l'action thermique chez les anciens Égyptiens », *RdE* 28, 74-86.
 1979, « Est-ce enfin Sakhebou ? », dans *Hommages Sauneron*, I, *BdE* 81, 43-50.
- Erhart GRAEFE**
 1979a, « Zu Pjj, der angeblichen Nebenfrau des Achanjati », *GM* 33, 17-18.
 1979b, « La structure administrative de l'institution de l'Épouse Divine d'Amon », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 131-134.
 1981, *Untersuchungen zur Verwaltung und Geschichte der Institution der Gottesgemahlin des Amun vom Beginn des Neuen Reiches bis zur Spätzeit*, *ÄA* 37.
 1984, « Der Pyramidenbesuch des Guilielmus de Boldensele im Jahre 1335 », *SAK* 11, 569-584.
- Hermann GRAPOW**
 1949, *Studien zu den Annalen Thutmosis des Dritten und zu ihnen verwandten historischen Berichten des Neuen Reiches*, *ADAW*, 1947/2.
- Brigitte GRATIEN**
 1978, *Les cultures Kerma. Essai de classification*, Publication de l'Université de Lille.
- Bernhard GRDSELOFF**
 1942, *Les débuts du culte de Rechef en Égypte*, Le Caire.
- Michael GREEN**
 1983, « The Syrian and Lebanese Topographical Data in the Story of Sinuhe », *CdE* 58, 38-59.
 1987, « Compte rendu de A. NIBBI, *Wenamun and Alashiya Reconsidered*, Cowley, 1985, *BiOr* 44, 99-103.
- P. GRELOT**
 1972, *Documents araméens d'Égypte, Introduction, présentation*, *LAPO* 5.
- Jean-Claude GRENIER**
 1979, « Djédem dans les textes du temple de Tôd », dans *Hommages Sauneron*, I, *BdE* 81, 381-390.
 1983, « La stèle funéraire du dernier taureau Bouchis », *BIFAO* 83, 197-208.
 1987, « Le protocole pharaonique des Empereurs romains (Analyse formelle et signification historique) », *RdE* 38, 81-104.
- L. GREVEN**
 1985, *Der Ka in Theologie und Königs kult der Ägypter des Alten Reiches*, *ÄF* 17.
- Marcel GRIAULE**
 1966, *Dieu d'eau*, Paris, Fayard.
- Reinhard GRIESHAMMER**
 1979, « Gott und dans Negative nach Quellen der ägyptischen Spätzeit », dans W. WESTENDORF, *Aspekte der spätägyptischen Religion*, Wiesbaden, 79-92.
 1982, « Maat und Sādāq. Zum Kulturzusammenhang zwischen Ägypten und Kanaan », *GM* 55, 35-42.
- F.L.I. GRIFFITH**
 1900, *Stories of the High Priest of Memphis. The Seton of Herodotus and the Demotic Tales of Khamuas*, Oxford, réédition, 1985.
 1927, « The Abydos Decree of Seti I at Nauri », *JEA* 13, 193-208.
- John Gwyn GRIFFITHS**
 1960, *The Conflict of Horus and Seth, from Egyptian and Classical Sources. A Study in Ancient Mythology*, Liverpool.
 1980, *The Origins of Osiris and His Cult*, Leyde.
- Nicolas GRIMAL**
 1980, « Bibliothèques et propagande royale à l'époque éthiopienne », dans *Le Livre du Centenaire*, *MIFAO* 104, 37-48.
 1981a, *La stèle triomphale de Pi('ankh) au Musée du Caire*. *JE* 48862 et 47086-47089, *MIFAO* 105.

BIBLIOGRAPHIE

- 1981b, *Quatre stèles napatéennes au Musée du Caire*. JE 48863-48866, Textes et Indices, MIFAO 106.
- 1985, « Les "noyés" de Balat », dans *Mélanges offerts à Jean Vercoutter*, 111-121, éd. « Recherche sur les civilisations », Paris.
- 1986, *Les termes de la propagande royale égyptienne. De la XIX^e dynastie à la conquête d'Alexandre*, Institut de France, Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, NS, t. VI, Paris.
- Alfred GRIMM**
- 1983a, « Ein Porträt der Hatschepsut als Gottesfrau und Königin », GM 65, 33-38.
- 1983b, « Zu einer getilgten Darstellung der Hatschepsut im Tempel von Deir el-Bahari », GM 68, 93-94.
- 1984, « Ein Statuentorso des Hakoris aus Ahnas el-Medineh im ägyptischen Museum zu Kairo », GM 77, 14-18.
- 1984-1985, « König Hakoris als Sonnenpriester. Ein Porträt aus El-Tôd im ägyptischen Museum zu Kairo », BSEG 9-10, 109-112.
- 1985a, « Das Fragment einer Liste fremdländischer Tiere, Pflanzen und Städte aus dem Totentempel des Königs Djedkare-Asosi », SAK 12, 29-42.
- 1985b, « Ein zweites Sedfest des Königs Adjib », VA 1, 91-98.
- William GROFF**
- 1899, « Moïse et les magiciens à la Cour du pharaon d'après la tradition chrétienne et les textes démotiques », RT 21, 219-222.
- 1902, « Études sur certains rapports entre l'Égypte et la Bible », RT 24, 121-134.
- K.A. GRZYMSKI**
- 1982, « Medewi/Bedewi and Mds/Bedja », GM 58, 27-30.
- Rolf GUNDLACH**
- 1977, « Der Denkstein des Königs Ahmose. Zur Inhaltsstruktur der Königsnovelle », dans *Fragen an die altägyptische Literatur*, Stud. Otto, Wiesbaden, 217-240.
- 1979, « Der Obelisk Thutmosis'I. », AAT 1, 192-226.
- 1981, « Mentuhotep IV. und Min — Analyse der Inschriften M 110, M 191 und M 192a aus dem Wâdi Hammâmât », SAK 8, 89-114.
- 1982, « Zur Relevanz geschichtswissenschaftlicher Theorien für die Ägyptologie », GM 55, 43-58.
- 1987, « Die Felsstelen Amenophis'III. am 1. Katarakt (Zur Aussagenstruktur königlicher historischer Texte), in *Form und Mass*, AAT 12, 180-217.
- Battiscombe GUNN**
- 1943, « Notes on the Naucratis Stela », JEA 29, 55-59.
- B.GUNN & A.H. GARDINER**
- 1918, « New Renderings of Egyptian Texts, II, The Expulsion of the Hyksos », JEA 5, 36-56.
- Manfred GUTGESELL**
- 1982, « Die Struktur der pharaonischen Wirtschaft — Eine Erwiderung », GM 56, 95-109.
- 1983, « Die Entstehung des Privateigentums an Produktionsmitteln im alten Ägypten », GM 66, 67-80.
- M. HAAG**
- 1984, *Guide to Cairo Including the Pyramids and Saqqara*, Londres.
- Labib HABACHI**
- 1954a, « Khatâ'na-Qantîr : importance », ASAE 52, 443-562.
- 1954b, « La libération de l'Égypte de l'occupation hyksôs. À propos de la découverte de la stèle de Kamosé à Karnak », *La Revue du Caire, Les grandes découvertes archéologiques de 1954*, 52-58.
- 1957a, « The Graffiti and Work of the Viceroys of Kush in the Region of Aswan », *Kush* 5, 13-36 [repris dans *Sixteen Studies on Lower Nubia*, CASAE 23, 1981, 29-63].

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

- 1957b, « A Statue of Bakennifi, Nomarch of Athribis During the Invasion of Egypt by Assurbanipal », *MDAIK* 15, 68-77.
- 1959, « The First Two Viceroys of Kush and Their Family », *Kush* 7, 45-63 [repris dans *Sixteen Studies on Lower Nubia*, *CASAE* 23, 1981, 65-89].
- 1963, « King Nebhepetre Mentuhotep : his Monuments, Place in History, Deification and Unusual Representations in the Form of Gods », *MDAIK* 19, 16-52.
- 1966, « The Qantir Stela of the Vizier Rahotep and the Statue Ruler-of-Rulers », dans *Festgabe für Dr. Walter Will, Ehrensensator der Universität München, zum 70. Geburtstag am 12. November 1966*, 67-77.
- 1967, « Setau, the Famous Viceroy of Ramesses II and his Career », *Cahiers d'Histoire Égyptienne* 10, 51-68 [repris dans *Sixteen Studies on Lower Nubia*, *CASAE* 23, 1981, 121-138].
- 1969a, *Features of the Deification of Ramesses II*, *ADAIK* 5 [repris dans *Sixteen Studies on Lower Nubia*, *CASAE* 23, 1981, 219-246].
- 1969b, « La reine Touy, femme de Séthi I, et ses proches parents inconnus », *RdE* 21, 27-47.
- 1969c, « The Administration of Nubia During the New Kingdom with Special Reference to Discoveries Made During the Last Few Years », *MIE* 59, 65-78 [repris dans *Sixteen Studies on Lower Nubia*, *CASAE* 23, 1981, 169-183].
- 1971, « The Jubilee of Ramesses II and Amenophis III with Reference to Certain Aspects of Their Celebration », *ZÄS* 97, 64-72.
- 1972, *The Second Stela of Kamose and his Struggle Against the Hyksos Ruler and his Capital*, *ADAIK* 8.
- 1974a, « Sethos I's Devotion to Seth and Avaris », *ZÄS* 100, 95-102.
- 1974b, « Aménophis III et Amenhotep, fils de Hapou, à Athribis », *RdE* 26, 21-33.
- 1974c, « Psammétique II dans la région de la Première Cataracte » *OrAnt* 13, 317-326 [repris dans *Sixteen Studies on Lower Nubia*, *CASAE* 23, 1981, 259-269].
- 1977, « Mentuhotep, the Vizier and Son-in-law of Taharqa », dans *Ägypten und Kush*, *Schr. Or.* 13, 165-170 [repris dans *Sixteen Studies on Lower Nubia*, *CASAE* 23, 1981, 247-257].
- 1979, « Unknown or Little-known Monuments of Tutankhamun and of His Viziers », dans *Glimpses of ancient Egypt, Studies in Honour of H.W. Fairman*, 32-41.
- 1980, « The Military Posts of Ramesses II on the Coastal Road and the Western Part of the Delta », *BIFAO* 80, 13-30.
- 1981a, « Identification of Heqaib and Sabni With Owners of Tombs in Qubbet el-Hawa and Their Relationship with Nubia », dans *Sixteen Studies on Lower Nubia*, *CASAE* 23, 1981, 11-27.
- 1981b, « Viceroys of Kush During the Reigns of Sethos I and Ramesses II and the Order in which They Assumed Their Function », dans *Sixteen Studies on Lower Nubia*, *CASAE* 23, 1981, 139-154.
- 1981c, « Viceroys of Kush during the New Kingdom », dans *Sixteen Studies on Lower Nubia*, *CASAE* 23, 1981, 155-168.
- 1982a, *Die unsterblichen Obelisken Ägypten*.
- 1982b, « Athribis in the XXVIth Dynasty », *BIFAO* 82, 213-235.
- 1985, *The Sanctuary of Heqaib*, *AV* 33.
- HAB = Hildesheimer ägyptologische Beiträge*, Hildesheim.
- Gerhardt HAENY**
- 1979a, « New Kingdom Architecture », dans **Kent WEEKS**, *Egyptology and the Social Sciences*, The American University in Cairo Press, 85-94.
- 1979b, « La fonction religieuse des "Châteaux de millions d'années" », dans *L'égyptologie en 1979*, I, 111-116.
- 1985, « A Short Architectural History of Philae », *BIFAO* 85, 197-233.

BIBLIOGRAPHIE

I. HAHN

1978, « Representation of Society in the Old Testament and the Asiatic Mode of Production », *Oikumene* 2, 27-41.

P.W. HAIDER

1984, « Die hethitische Stadt Arushna in ägyptischen Ortsnamenlisten des Neuen Reiches », *GM* 72, 9-14.

A.M. ALI HAKEM, I. HRBEK & J. VERCOUTTER

1980, « La civilisation de Napata et de Meroé », dans *Histoire Générale de l'Afrique*, II, UNESCO, 315-346.

E. S. HALL

1986, *The Pharaoh Smiles his Enemies*, MÄS.

Mahmoud HAMZA

1937, « The Statue of Menephtah I Found at Athar en-Nabi and the Route of Pi'ankhy from Memphis to Heliopolis », *ASAE* 37, 233-242.

Jean HANI

1972, *La religion égyptienne dans la pensée de Plutarque*, Lille.

R. HANKE

1978, *Amarna-Reliefs aus Hermopolis. Neue Veröffentlichungen und Studien*, HÄB 2.

Christopher HARANT

1598, *Le voyage en Égypte de Christopher Harant*, trad. et comm. de C. et A. Brejnik, Le Caire, IFAO, 1972.

Ibrahim HARARI

1974, « Le principe juridique de l'organisation sociale dans le décret de Sêti I^{er} à Nauri », dans *Le Droit égyptien ancien*, Institut des Hautes Études de Belgique, Bruxelles, 57-73.

1979, « Les administrateurs itinérants en Égypte ancienne », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 135-140.

Robert HARI

1976a, « La reine d'Horemheb était-elle la sœur de Néfertiti ? », *CdE* 51, 39-46.

1976b, « Un nouvel élément de la corégence Aménophis III-Akhenaton », *CdE* 51, 252-260.

1978, « La succession de Toutankhamon », *BSFE* 82, 8-21.

1979, « La persécution des hérétiques », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 259-262.

1981, « Sésostris et les historiens antiques », *BSEG* 5, 15-21.

1984-1985, « Quelques remarques sur l'abandon d'Akhetaton », *BSEG* 9-10, 113-117.

1984a, « La "Damnatio memoriae" amarnienne », *Mélanges Adolphe Gutbub*, Montpellier, 95-102.

1984b, « La religion amarnienne et la tradition polythéiste », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 1039-1055.

J. R. HARRIS

1971, *The Legacy of Egypt*, 2^e éd., Londres.

1973a, « Nefernefruten », *GM* 4, 15-18.

1973b, « The Date of the "Restauration" Stela of Tutankhamun », *GM* 5, 9-12.

1974, « Nefernefruten Regnans », *AcOr* 36, 11-21.

1977, « Akhenaten or Nefertiti ? », *AcOr* 38, 5-10.

J.R. HARRIS & E. F. WENTE

1980, *An X-ray Atlas of the Royal Mummies*, Chicago-Londres.

H. HARTLEBEN

1983, *Champollion. Sa vie et son œuvre*, trad. D. Meunier, Pygmalion, Paris.

François HARTOG

1980, *Le miroir d'Hérodote. Essai sur la représentation de l'autre*, NRF, Gallimard.

M. HASITZKA & H. SATZINGER

1988, *Urkunden der 18. Dynastie, Indices zu den Heften 1-22. Corrigenda zu den Heften 5-16*, Berlin.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

Fekri A. HASSAN

1980, « Radiocarbon Chronology of Archaic Egypt », *JNES* 39, 203-208.

Sélim HASSAN

s. d., *Le sphinx, son histoire à la lumière des fouilles récentes*, s.l.

B. HAYCOCK

1965, « The Kingship of Kush in the Sudan », in *Comparative Studies in Society and History* 7, 461-480.

1968, « Towards a Better Understanding of the Kingdom of Kush (Napata-Meroe) », *SNR* 49, 1-16.

H. HAYEN

1986, « Die Sahara — Eine vergessene Wagenprovinz », in W. TREUE, *Achse, Rad und Wagen Fünftausend Jahre Kultur- und Technikgeschichte*, Göttingen.

W. C. HAYES

1942, *Ostraka and Name Stones from the Tomb of Sen-Mut (N° 71) at Thebes*, MMA, New York.

HdO = *Handbuch der Orientalistik*, Leyde.

M. HEERMA VAN VOSS

1982, *Ägypten, die 21. Dynastie*, *Iconography of Religions* 16/9.

D. HEGYI

1983, « Athen und die Achaemeniden in der zweiten Hälfte des 5. Jahrhunderts v.u.Z. », *Oikumene* 4, 53-59.

Wolfgang HELCK

1939, *Der Einfluss der Militärführer in der 18. ägyptischen Dynastie*, *Untersuchungen* 14.

1955-1958, *Urkunden des ägyptischen Altertums, IV, Urkunden der 18. Dynastie*, Berlin [suite de Sethe : 1930].

1956a, « Wirtschaftliche Bemerkungen zum privaten Grabbesitz im Alten Reich », *MDAIK* 14, 63-75.

1956b, *Untersuchungen zu Manetho und den ägyptischen Königslisten*, *UGAA*, 18.

1957, « Bemerkungen zu den Pyramidenstädten im Alten Reich », *MDAIK* 15, 91-111.

1961, *Übersetzung zu den Heften 17-22 der Urk. IV*, réédition, 1984, Berlin.

1966, « Zum Kult an Königsstatuen », *JNES* 25, 32-41.

1969, *Der Text der « Lehre Amenemhets I. für seinen Sohn »*, *KÄT*.

1970, *Die Prophezeiung des Nfr.tj*, *KÄT*.

1971, *Die Beziehung Ägyptens zu Vorderasien im 3. und 2. Jahrtausend v. Chr.*, 2^e éd. augmentée, *ÄA* 5.

1975a, *Wirtschaftsgeschichte des alten Ägypten im 3. und 2. Jahrtausend vor Chr.*, *HdO* I/1.5.

1975b, *Historisch-biographische Texte der 2. Zwischenzeit und neue Texte der 18. Dynastie*, *KÄT*.

1975c, « Abgeschlagene Hände als Siegeszeichen », *GM* 18, 23-24.

1976a, « Die Seevölker in der ägyptischen Quellen », *Jahrbuch des Instituts für Vorgeschichte der Universität Frankfurt am Main*, Munich, 7-21.

1976b, « Zum Datum der Eroberung von Auaris », *GM* 19, 33-34.

1977a, *Die Lehre für König Merikare*, *KÄT*.

1977b, « Das Verfassen einer Königsinschrift », dans *Fragen an die altägyptische Literatur*, *Studien E. Otto*, 241-256.

1979a, « Die Datierung der Gefäßaufschriften aus der Djoserpyramide », *ZÄS* 106, 120-132.

1979b, « Die Vorgänger König Suppiluliumas I. », *ÄAT* 1, 238-246.

1980, « Ein "Feldzug" unter Amenophis IV. gegen Nubien », *SAK* 8, 117-126.

1981a, *Geschichte des alten Ägypten*, 2^e édition, *HdO* I/1.3.

1981b, « Probleme der Königsfolge in der Übergangszeit von 18. zu 19. Dynastie », *MDAIK* 37, 207-216.

BIBLIOGRAPHIE

- 1981c, « Wo errichtete Thutmosis III. seine Siegesstele am Euphrat? », *CdE* 56, 241-244.
- 1981-1982, « Zu den Königinnen Amenophis' II. », *GM* 53, 23-26.
- 1983a, « Zur Verfolgung einer Prinzessin unter Amenophis III. », *GM* 62, 23-24.
- 1983b, « Schwachstellen der Chronologie-Diskussion », *GM* 67, 43-50.
- 1983c « Chronologische Schwachstellen II », *GM* 69, 37-42.
- 1983d, *Ägypten. Die Mythologie der alten Ägypter, Wörterbuch der Mythologien* I.1.
- 1984a, « Chronologische Schwachstellen III », *GM* 70, 31-32.
- 1984b, « Der "König von Ober — und Unterägypten" », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 251-256.
- 1986a, « Der Aufstand des Tetian », *SAK* 13, 125-134.
- 1986b, *Politische Gegensätze im alten Ägypten. Ein Versuch*, *HAB* 23.
- 1987, *Untersuchungen zur Thinitenzeit*, *AA* 45.
- Wolfgang HELCK & Eberhardt OTTO**
1956, *Kleines Wörterbuch der Ägyptologie*, Wiesbaden.
- Wolfgang HELCK, Eberhardt OTTO & Wolfhardt WESTENDORF**
1972-1986, *Lexikon der Ägyptologie*, Wiesbaden, 6 vol.
- Edwin HENFLING**
1984, « Das Eine und das Viele », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 735-740.
- David HENIGE**
1981, « Generation-counting and Late New Kingdom Chronology » *JEA* 67, 182.
- Don E. G. DE HERREROS**
1923, *Quatre voyageurs espagnols à Alexandrie*, Alexandrie.
- Hans HICKMANN**
1961, *Ägypten*, in H. BESSELER & M. SCHNEIDER, *Musikgeschichte in Bildern*, II, *Musik des Altertums*, Lieferung 1, Leipzig.
- Friedrich W. HINKEL**
1977, *The Archaeological Map of the Sudan, I, A Guide to Its Use and Explanation of Its Principles*, Berlin.
- 1984, « Die meroitischen Pyramiden : Formen, Kriterien und Bauweisen », *Meroitica* 7, 310-331.
- Fritz HINTZE**
1974, « Zur statistischen Untersuchung afrikanischer Orts — und Völkernamen aus ägyptischen Texten », *MNL* 14, 4-19.
- Fritz & Ursula HINTZE**
1967, *Les civilisations du Soudan antique*, Leipzig.
- Histoire Générale de l'Afrique**
1978, *Études et documents, I, Le peuplement de l'Égypte ancienne et le déchiffrement de l'écriture méroïtique*, Actes du colloque tenu au Caire du 28 janvier au 3 février 1974.
- 1980a, I, *Méthodologie et préhistoire africaine*, dir. du volume J. KI-ZERBO, Jeune Afrique, Stock, UNESCO.
- 1980b, II, *Afrique ancienne*, dir. du volume G. MOKHTAR, Jeune Afrique, Stock, UNESCO.
- A. HOBBS & J. ADZIGIAN**
1981, *A Complete Guide to Egypt and the Archaeological Sites*, New York.
- Svetlana HODJASH & O. D. BERLEV**
1982, *The Egyptian Reliefs and Stelae in the Pushkin Museum of Fine Arts, Moscow*, Leningrad.
- Günther HÖBL**
1981, « Die Ausbreitung ägyptischen Kulturgutes in den ägäischen Raum vom 8. bis zum 6. JH. v. Chr. », *Or* 50, 186-192.
- Michael A. HOFFMAN**
1979, *Egypt Before the Pharaohs*, Routledge & Kegan Paul, Londres.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

Michael M. A. HOFFMAN, H. A. HAMROUSH & R. O. ALLEN

1986, « A Model of Urban Development for the Hierakonpolis Region from Predynastic through Old Kingdom Times », *JARCE* 23, 175-187.

James K. HOFFMEIER

1983, « Some Egyptian Motifs Related to Warfare and Enemies and their Old Testament Counterparts », *Ancient World* 6, 53-70.

1985, « Sacred » in the Vocabulary of Ancient Egypt. The Term *Dsr* With Special References to Dynasties I-XX, *OBO* 59.

Inge HOFMANN

1979, *Der Sudan als ägyptische Kolonie im Altertum*, *VIAÄWien* 5.

1981a, « Kambyes in Ägypten », *SAK* 9, 179-200.

1981b, « Kuschiten in Palästina », *GM* 46, 9-10.

1984, « Meroitische Herrscher », *Meroitica* 7, 242-244.

I. HOFMANN, H. TOMANDL & M. ZACH

1984a, « Bewohner Kordofans auf ägyptischen Darstellungen? », *GM* 75, 15-18.

1984b, « Eduard Freiherr von Callots Bericht über Meroe », *GM* 79, 85-90.

I. HOFMANN, & A. VORBLICHER

1979, *Der Äthiopenlogos bei Herodot*, *VIAÄWien* 4.

T. HOLM-RASMUSSEN

1977, « Nectanebos II and Temple M at Karnak (North) », *GM* 26, 37-42.

1979, « On the Statue Cult of Nektanebos II », *AcOr* 40, 21-25.

D. HOLMES

1985, « Inter-regional Variability in Egyptian Predynastic Lithic Assemblages », *Wepwawet* 1, 16.

Th. HOPFNER

1922-1925, *Fontes Historiae Religionis Aegyptiacae*, 5 vol., Bonn.

Erik HORNING

1956, « Chaotische Bereiche in der geordneten Welt », *ZÄS* 81, 28-32.

1957, « Zur geschichtlichen Rolle des Königs in der 18. Dynastie », *MDAIK* 15, 120-133.

1964, *Untersuchungen zur Chronologie und Geschichte des Neuen Reiches*, *ÄA* 11.

1966, *Geschichte als Fest. Zwei Vorträge zum Geschichtsbilde der frühen Menschheit* Darmstadt.

1967, « Der Mensch als "Bild Gottes" in Ägypten », dans **Oswald LORETZ**, *Die Gottebenbildlichkeit des Menschen*, Munich, 123-156.

1971, « Politische Planung und Realität im alten Ägypten », *Saeculum* 22, 48-58.

1973, *Der Eine und die vielen. Ägyptische Gottesvorstellungen*, 2^e éd.

1979, « Chronologie in Bewegung », *ÄAT* 1, 247-252.

1983, « Die Israelstele des Merenptah », *ÄAT* 5, 224-233.

1984, *Götterwort und Götterbild im alten Ägypten*, dans **H.-J. KLIMKEIT**, *Götterbild in Kunst und Schrift*, *Studium Universale* 2.

E. HORNING & E. STAEHELIN

1974, *Studien zum Sedfest*, *AH* 1.

HPBM = Hieratic Papyri in the British Museum, Londres.

Paul HUARD

1965, « Recherches sur les traits culturels des chasseurs anciens du Sahara centre-oriental et du Nil », *RdE* 17, 21-80.

1966, « Contribution saharienne à l'étude de questions intéressant l'Égypte ancienne », *BSFE* 45, 5-18.

P. HUARD & J. LECLANT

1973, « Figurations de pièges des chasseurs anciens du Nil et du Sahara », *RdE* 25, 136-177.

1980, *La culture des chasseurs du Nil et du Sahara*, Mémoires du Centre de recherches anthropologiques, préhistoriques et ethnographiques 29, Alger.

BIBLIOGRAPHIE

H.-J. HUGOT

1974, *Le Sahara avant le désert*, Toulouse.

Jean HUMBERT

1987, « Panorama de quatre siècles d'égyptomanie », *BSFE* 110, 48-77.

R. HUNTINGTON & P. METCALF

1979, *Celebration of Death. The Anthropology of Mortuary Ritual*, Cambridge.

IFAO = Institut Français d'Archéologie Orientale, Le Caire.

C. IRBY & J. MANGLES

1817-1818, *Travels in Egypt and Nubia, Syria and Asia Minor During the Years 1817 and 1818*, Londres, 1823, réédition 1985.

J. IRMSCHER

1968-1969, « Winckelmann and Egypt », *BIE* 50, 5-10.

M. ISLER

1985, « On Pyramid Building », *JARCE* 22, 129-142.

Erik IVERSEN

1968-1972, *Obelisks in Exile*, I, Rome, II, Istanbul and England.

1975, *Canon and Proportions in Egyptian Art*, Warminster.

1979, « Remarks on Some Passages from the Shabaka Stone », *ÄAT* 1, 253-262.

1985, *Egyptian and Hermetic Doctrine*, Copenhagen.

JFA = *Journal Asiatique*, Paris.

H. JACOBSON

1939, *Die dogmatische Stellung des Königs in der Theologie der alten Ägypten*, *ÄF* 8.

Christian JACQ

1986, *Le voyage dans l'autre monde selon l'Égypte ancienne. Épreuves et métamorphoses du mort d'après les Textes des Pyramides et les Textes des Sarcophages*, Le Rocher.

Helen JACQUET-GORDON

1960, « The Inscription on the Philadelphia-Cairo Statue of Osorkon II », *JEA* 46, 12-23.

1967, « The Illusory Year 36 of Osorkon I », *JEA* 53, 63-68.

1981, « Fragments of a Topographical List Dating to the Reign of Thutmosis I, *BIFAO du Centenaire*, 41-46.

Bertrand JAEGER

1982, *Essai de classification et datation des scarabées Menkheperre*, *OBO*, Arch. 2.

St. JAMES

1986, *Missing Pharaohs : Missing Tombs*, Horem.

Thomas G. H. JAMES

1966, *Sculptures égyptiennes*, Collection d'art UNESCO 10/18, Milan.

1982, *Excavating in Egypt. The Egypt Exploration Society 1882-1982*, Londres.

1984a, *Pharaoh's People. Scenes from Life in Imperial Egypt*, Londres. Traduit en français sous le titre *Le peuple de Pharaon. Culture, société, vie quotidienne*, Paris, 1988.

1984b, *The British Museum and Ancient Egypt*, Londres.

T. G. H. JAMES & W. DAVIES

1982, *Egyptian Sculpture*.

H. L. JANSEN

1971, *Ägyptische Religion, Handbuch der Religionen* 1.

Jac J. JANSSEN

1975, *Commodity Prices from the Ramessid Period. An Economic Study of the Village of Necropolis Workmen at Thebes*, Leyde.

1978, « Year 8 of Ramesses VI Attested », *GM* 29, 45-46.

1981, « Die Struktur der pharaonischen Wirtschaft », *GM* 48, 59-77.

1982, « Gift-Giving in Ancient Egypt as an Economic Feature », *JEA* 68, 253-258.

1986, « Agrarian Administration in Egypt During the Twentieth Dynasty », *BiOr* 43, 351-366.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

Karl JANSEN-WINKELN

1987a, « Thronname und Begräbnis Takeloths I. », *VA* 3, 253-258.

1987b, « Zum militärischen Befehlsbereich der Hohenpriester des Amun », *GM* 99, 19-22.

1988, « Weiteres zum Grab Osorkons II. », *GM* 102, 31-39.

JAOS = *Journal of the American Oriental Society*, New Haven.

JARCE = *Journal of the American Research Center in Egypt*, Le Caire.

Richard JASNOW

1983, « Evidence for the Deification of Thutmosis III in the Ptolemaic Period », *GM* 64, 33-34.

JE = *Journal d'Entrées du Musée du Caire*.

JEA = *Journal of Egyptian Archaeology*, Londres.

David G. JEFFREYS

1981, « The Threat to Ancient Memphis During this Century », dans N. GRIMAL, *Prospection et sauvegarde des antiquités de l'Égypte*, *BdE* 88, 187-188.

1985, *Survey of Memphis*, 1, *The Archaeological Report*, Londres.

H. C. JELGERSMA

1981-1982, « The Influence of Negro Culture on Egyptian Art », *JEOL* 27, 43-46.

Nancy JENKINS

1980, *The Boat Beneath the Pyramid. King Cheops' Royal Ship*, Thames & Hudson, Londres. Traduit en français sous le titre *La barque royale de Chéops*, Paris, 1983.

H. JENNI

1986, *Das Dekorationsprogramm des Sarkophages Nektanebos 'II.*, *AH* 12.

JEOL = *Jaarbericht van het Vooraziatisch-Egyptisch Genootschap* « *Ex Oriente Lux* », Leyde.

Gustave JEQUIER

1922, *Les temples ramessides et saïtes, de la XIX^e à la XX^e dynastie*, coll. « l'architecture et la décoration dans l'ancienne Égypte », A. Morancé.

1925, *Histoire de la civilisation égyptienne, des origines à la conquête d'Alexandre*, Paris.

1932, « Les femmes de Pépi II », dans *Studies Griffith*, Oxford, 9-12.

Anton JIRKU

1941, « Der Name der palästinischen Stadt Bet-s'an und seine ägyptische Wiedergabe », *WZKM* 48, 49-51.

JNES = *Journal of Near Eastern Studies*, Chicago.

Janet H. JOHNSON

1983, « The Demotic Chronicle as a Statement of a Theory of Kingship », *JSSSEA* 13, 61-72.

1984, « Is the Demotic Chronicle an Anti-Greek Tract? », dans *Grammata Demotika, Festschrift E. Lüddeckens*, 107-124.

M. JOMARD

1823, *Voyage à l'oasis de Syouah*, réédition, 1981.

Frans JONCKHEERE

1958, *Les médecins de l'Égypte pharaonique. Essai de prosopographie*, Bruxelles.

C. de la JONQUIÈRE

L'expédition d'Égypte, Paris.

Pierre JOUGUET

1926-1961, *L'impérialisme macédonien et l'hellénisation de l'Orient*, coll. « l'Évolution de l'Humanité », 15^e éd. révisée, A. Michel.

JSSSEA = *Journal de la SSEA*.

H. JÜNGST

1982, « Zur Interpretation einiger Metallarbeiterszenen auf Wandbildern alt-ägyptischer Gräber », *GM* 59, 15-28.

Hermann JUNKER

1941, *Die politische Lehre von Memphis*, *APAW* 1941. 6.

BIBLIOGRAPHIE

A. KACZMARCZYK & R. E. M. HEDGES

1983, *Ancient Egyptian Faience. An Analytical Survey of Egyptian Faience From Predynastic to Roman Times*, Warminster.

Ahmed KADRY

1980, « Remains of a Kiosk of Psammetikhos II on Philae Island », *MDAIK* 36, 293-298.

1981, « Some Comments on the Qadesh Battle », *BIFAO du Centenaire*, 47-55.

1982, « Semenkhekare, the Ephemeral King », *ASAE* 68, 191-194.

1983, « The Theocratic Symptoms at the End of the New Kingdom in Ancient Egypt », *JSSSEA* 13, 35-43.

1986, « The Social Status and Education of Military Scribes in Egypt During the 18th Dynasty », *Oikumene* 5, 155-162.

KAT = *Kleine Ägyptische Texte*, Wiesbaden.

Werner KAISER

1956, « Zu den Sonnenheiligtümern der 5. Dynastie », *MDAIK* 14, 104-116.

1958, « Zur vorgeschichtlichen Bedeutung von Hierakonpolis », *MDAIK* 16, 183-192.

1969, « Zu den königlichen Tabetzirkeln der 1. und 2. Dynastie in Abydos und zur Baugeschichte des Djoser-Grabmals », *MDAIK* 25, 1-21.

1981, « Zu den Königsgräbern der 1. Dynastie in Umm el-Qaab », *MDAIK* 37, 247-254.

1985a, « Ein Kultbezirk des Königs Den in Sakkara », *MDAIK* 41, 47-60.

1985b, « Zur Südausdehnung der vorgeschichtlichen Deltakulturen und zur frühen Entwicklung Oberägyptens », *MDAIK* 41, 61-87.

1987, « Zum Friedhof der Naqadakultur von Minshat Abu Omar », *ASAE* 71, 119-125.

Laszlo KAKOSY

1964, *Urzeitmythen und Historiographie im alten Ägypten, Neue Beiträge zur Geschichte der alten Welt, I, Alter Orient und Griechenland*, éd. E. Ch. WESLKOPF, Berlin.

1977a, « The Primordial Birth of the King », *Stud. Aeg.* 3, 67-71.

1977b, « Osiris als Gott des Kampfes », dans *Fragen an die altägyptische Literatur*, *Stud. E. Otto*, 285-288.

1981, « Die weltanschauliche Krise des Neuen Reiches [ZÄS 100 (1973), 35-40] », *Stud. Aeg.* 7, 263-268.

1986, *The Battle Reliefs of King Sety I*, *RIK* 4, OIP 107.

Ibrahim KAMEL

1979, « Studies for Discussion About King Ahmose's Tomb », *ASAE* 68, 115-130.

Jill KAMIL

1976, *Luxor. A Guide to Ancient Thebes*, 2^e éd., Longman.

1978, *A Guide to the Necropolis of Sakkara and the Site of Memphis*, Longman.

1983, *Upper Egypt. Historical Outline and Descriptive Guide to the Ancient Sites*, New York.

M. KAMISH

1985, « Foreigners at Memphis in the Middle of the Eighteenth Dynasty », *Wepwawet* 1, 12-13.

Kamosé = textes de Kamosé, cités d'après les pages de l'édition de Helck : 1975.

Naguib KANAWATI

1974a, « The Financial Resources of the Viziers of the Old Kingdom and the Historical Implications », *AHS Alexandrie* 5, 1-20.

1974b, « Notes on the Genealogy of the Late Sixth Dynasty », *AHS Alexandrie* 5, 52-58.

1977, *The Egyptian Administration in the Old Kingdom. Evidence on its Economic Decline*, Warminster.

1979, « The Overseer of Commissions in the Nine Provinces », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 141-142.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

- 1980, *Governmental Reforms in the Old Kingdom Egypt*, Warminster.
- 1981, « Deux conspirations contre Pépy I^{er} », *CdE* 56, 203-217.
- 1984, « New Evidence on the Reign of Userkaf? », *GM* 83, 31-38.
- Peter KAPLONY**
- 1963a, *Die Inschriften der ägyptischen Frühzeit*, *ÄA* 8.
- 1963b, « Gottespalast und Götterfestungen in den ägyptischen Frühzeit », *ZÄS* 88, 5-16.
- 1964, *Die Inschriften der ägyptischen Frühzeit, Supplement*, *ÄA* 9.
- 1965, « Bemerkungen zu einigen Steingefäße mit archaischen Königsnamen », *MDAIK* 20, 1-46.
- 1967, *Kleine Beiträge zu den Inschriften der ägyptischen Frühzeit*, *ÄA* 15.
- 1968, *Steingefäße mit Inschriften der Frühzeit und des Alten Reiches*, *Mon Aeg* 1.
- 1971, « Ägyptisches Königtum in der Spätzeit », *CdE* 46, 250-274.
- 1977, *Die Rollsiegel des Alten Reiches*, 1, *Allgemeiner Teil mit Studien zum Königtum des Alten Reiches*, *Mon: Aeg* 2.
- 1981, *Die Rollsiegel im Alten Reich*, 2, *Text und Tafeln*, *Mon. Aeg* 3.
- Ursula KAPLONY-HECKEL**
- 1963, *Die demotischen Tempeleide*, *ÄA* 6.
- Karnak = Publications du Centre Franco-Égyptien des Temples de Karnak : d'abord dans la revue *Kēmi*, puis sous forme de *Cahiers* publiés à Beyrouth, Le Caire, puis Paris.
- Hans KAYSER**
- 1969, *Ägyptisches Kunsthandwerk, Bibliothek für Kunst und Antiquitäten-freunde*, Bd. 26, Brunswick.
- Herman KEES**
- 1954, « Zu den Annaleninschrift des Hohenpriesters Osorkon vom 11. Jahre Takeloths II. », *MIO* 2, 353-362.
- 1958, « Die weisse Kapelle Sesostri's I. in Karnak und das Sedfest », *MDAIK* 16, 194-213.
- 1964, *Die Hohenpriester des Amun von Karnak von Herihor bis zum Ende der Äthiopenzeit*, « Probleme der Ägyptologie », Leyde, Brill.
- Kēmi*, Paris, Geuthner.
- Barry J. KEMP**
- 1976, « The Window of Appearance at El-Amarna and the Basic Structure of this City », *JEA* 62, 81-99.
- 1978a, « A Further Note on the Palace of Apries at Memphis », *GM* 29, 61-62.
- 1978b, « Imperialism and Empire in New Kingdom Egypt », in P.D.A. GARNSEY & C. R. WHITTAKER, *Imperialism in the Ancient World*, Cambridge, 7-57, 284 sq.
- 1982, « Automatic Analysis of Predynastic Cemeteries : A New Method for an Old Problem », *JEA* 68, 5-15.
- 1985, « The Location of the Early Town at Dendera », *MDAIK* 41, 89-98.
- 1987, « The Amarna Workmen's Village in Retrospect », *JEA* 73, 21-50.
- B. KEMP & R. MERRILLEES**
- 1980, *Minoan Pottery in Second Millenium Egypt. With a Chapter by E. Edel*, *Sond. DAIK* 7.
- Timothy KENDALL**
- 1982, *Kush. Lost Kingdom of the Nile*, Brockton Mass.
- Dieter KESSLER**
- 1981, *Historische Topographie der Region zwischen Mallawi und Samalut*, *TAVO B/30*.
- 1982, « Zu den Feldzügen des Tefnachte, Namlot und Pije », *SAK* 9, 227-252.
- 1984, « Nachtrag zur archäologischen und historischen Karte der Region zwischen Mallawi und Samalut », *SAK* 11, 509-520.
- 1987, « Zur Bedeutung der Szenen des täglichen Lebens in den Privatgräbern (I) : Die Szenen des Schiffsbaues und der Schifffahrt », *ZÄS* 114, 59-88.

BIBLIOGRAPHIE

T. KHALIDI

1984, *Land Tenure and Social Transformation in the Middle East*, Beyrouth.

René KHOURY

1977, « Quelques notes additionnelles au *Voyage en Égypte* de Pierre Belon (1547) », *BIFAO* 77, 261-270.

Friedrich K. KIENITZ

1953, *Die politische Geschichte Ägyptens vom 7. bis zum 4. Jahrhundert vor der Zeitwende*, Berlin.

1967, « Die saïtische Renaissance », in *Die altorientalischen Reiche*, III, *Die erste Hälfte des 1. Jahrhunderts*, « Fischer Weltgeschichte », Bd. 4, Francfort-sur-le-Main.

G. S. KIRK

1970, *Myth. Its Meaning and Functions in Ancient and Other Cultures*, Cambridge University Press.

Hannelore KISCHKEWITZ

1977, « Zur temporären Einwohnung des Gottes im König », dans *Ägypten und Kush*, *Schr. Or.* 13, 207-212.

Kenneth A. KITCHEN

1972, « Ramesses VII and the Twentieth Dynasty », *JEA* 58, 182-194.

1975-1976, « The Great Biographical Stela of Setau, Viceroy of Nubia », *OLP* 6/7, 295-302.

1977a, « Historical Observations on Ramesside Nubia », dans *Ägypten und Kush*, *Schr. Or.* 13, 213-226.

1977b, « On the Princedoms of Late-Libyan Egypt », *CdE* 52, 40-48.

1982a, *Pharaoh Triumphant. The Life and Times of Ramesses II King of Egypt*, Warminster. Traduit en français sous le titre *Ramsès II pharaon triomphant*, Monaco, 1985.

1982b, « The Twentieth Dynasty Revisited », *JEA* 68, 116-125.

1982-1983, « Further Thoughts on Egyptian Chronology in the Third Intermediate Period », *RdE* 34, 59-69.

1983, « Egypt, the Levant and Assyria in 701 BC », *ÄAT* 5, 243-253.

1984, « Family Relationship of Ramses IX and the Late Twentieth Dynasty », *SAK* 11, 127-134.

1985, « Les suites des guerres libyennes de Ramses III », *RdE* 36, 177-179.

1986, *The Third Intermediate Period in Egypt (1100-650 B.C.)*, seconde édition, augmentée, Warminster.

1987a, « The Titularies of the Ramesside Kings as Expression of their Ideal Kingship », *ASAE* 71, 131-141.

1987, « Amenmesses in Northern Egypt », *GM* 99, 23-25.

K RI = K. A. KITCHEN, *Ramesside Inscriptions. Historical and Biographical*, 7 vol., Oxford, 1968-1988 : cité par volumes.

M. R. KLEINDIENST

1985, « Dakhleh Oasis Project. The Palaeolithic : a Report on the 1986 Season », *JSSSEA* 15, 136-137.

Rosemarie & Dietrich KLEMM

1981, *Die Steine der Pharaonen*, Munich.

Horst KLENGEL

1977, « Das Land Kusch in den Keilschrifttexten von Amarna », dans *Ägypten und Kusch*, *Schr. Or.* 13, 227-232.

C. B. KLUNZINGER

1878, *Bilder aus Oberägypten, der Wüste und dem Roten Meere. Mit einem Vorwort von G. Schweinfurth*, réédition, 1980.

E. A. KNAUF & C. J. LENZEN

1987, « Notes on Syrian Toponyms in Egyptian Sources II », *GM* 98, 49-54.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

U. KÖHLER

1974, « Die Anfänge der deutschen Ägyptologie : Heinrich Brugsch. Eine Einschätzung », *GM* 12, 29-42.

Yvan KOENIG

1983, « Livraison d'or et de galène au trésor du temple d'Amon sous la xx^e dynastie : document A, partie inférieure », *BIFAO* 83, 249-255.

1985, « Égypte et Israël : quelques points de contact », *JFA* 273, 1-10.

Walter KORNFELD

1967, « Aramäische Sarkophage in Assuan », *WZKM* 61, 9-16.

Michail A. KOROSTOVSEV

1977, « À propos du genre " historique " dans la littérature de l'ancienne Égypte », dans *Fragen an die altägyptische Literatur*, *Stud. E. Otto*, 315-324.

Rolf KRAUSS

1981a, « Necho II. alias Nechepso », *GM* 42, 49-60.

1981b, « Sothis, Elephantine und die altägyptische Chronologie », *GM* 50, 71-80.

1981c, « Zur historischen Einordnung Amenmesses und zur Chronologie der 19./20. Dynastie », *GM* 45, 27-34.

1981d, *Das Ende der Amarnazeit. Beiträge zur Geschichte und Chronologie des Neuen Reiches*, 2^e édition, *HAB* 7.

1981e, « Sothis, Elephantine und die altägyptische Chronologie », *GM* 50, 71-80.

1982, « Talfestdaten — eine Korrektur », *GM* 54, 53-54.

1983, « Zu den Familienbeziehungen der Königin Tachet », *GM* 61, 51-52.

1984, « Korrekturen und Ergänzungen zur Chronologie des Mittleren Reiches und Neuen Reiches — ein Zwischenbericht », *GM* 70, 37-44.

1985, *Sothis- und Monddaten. Studien zur astronomischen und technischen Chronologie Altägyptens*, *HAB* 20.

1986, « Kija — ursprüngliche Besitzerin der Kanopen aus KV 55 », *MDAIK* 42, 67-80.

Walter KREBS

1976, « Unterägypten und die Reichseinigung », *ZÄS* 103, 76-78.

1977, « Die neolithischen Rinderhirten der Sahara und die Masai », dans *Ägypten und Kusch*, *Schr. Or.* 13, 265-278.

Jean-Marie KRUCHTEN

1979, « Rétribution de l'armée d'après le décret d'Horemheb », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 143-148.

1981a, *Le décret d'Horemheb. Traduction, commentaire épigraphique, philologique et institutionnel*, Éditions de l'Université Libre de Bruxelles.

1981b, « Comment on écrit l'histoire égyptienne : la fin de la XIX^e dynastie vue d'après la section " historique " du papyrus Harris I », *Ann. IPHOS* 25, 51-64.

1982, « Convention et innovation dans un texte royal du début de l'époque ramesside : la stèle de l'an 1 de Séthi I^{er} découverte à Beith-San », *Ann. IPHOS* 26, 21-62.

1986, *Le grand texte oraculaire de Djehoutymose, intendant du domaine d'Amon sous le pontificat de Pindejem II*, *MRE* 5.

Lech KRZYŻANIAK

1977, *Early Farming Cultures on the Lower Nile*, Varsovie.

1983, « Les débuts de la domestication des animaux et des plantes dans les pays du Nil », *BSFE* 96, 4-13.

L. KRZYŻANIAK & M. KOBUSIEWICZ

1984, *Origin and Early Development of Food-Producing Cultures in North-Eastern Africa*, Poznań.

Lisa KUCHMAN SABBAGH

1981, « The Titulary of Queens *nbt* and *hnwt* », *GM* 52, 37-42.

1984, « *nh-n.s-Ppy*, *nh-n.s.-Mry-R* I and II, and the Title *w3ds dti* », *GM* 72, 33-36.

BIBLIOGRAPHIE

E. KÜHNERT-EGGEBRECHT

1969, *Die Axt als Waffe und Werkzeug im alten Ägypten*, MÄS 15.

Klaus P. KUHLMANN

1981a, « Ptolemais — Queen of Nectanebo I. Notes on the Inscription of an Unknown Princess of the XXXth Dynasty », *MDAIK* 37, 267-280.

1981b, « Zur *srh*-Symbolik bei Thronen », *GM* 50, 39-46.

1982, « Archäologische Forschungen im Raum von Achmim », *MDAIK* 38, 347-354.

K. P. KUHLMANN & W. SCHENKEL

1983, *Das Grab des Ibi, Obergutsverwalters der Gottesgemahlin des Amun (Thebanisches Grab Nr. 36)*, Bd. 1 in 2 Teilen, AV 15.

Dieter KURTH

1987, « Zu den Darstellungen Pepi I. im Hathortempel von Dendera, in *Tempel und Kult*, AA 46, 1-23.

Mahfouz LABIB

1961, *Pèlerins et voyageurs au mont Sinaï*, RAPH 25.

Pahor LABIB

1936, *Die Herrschaft der Hyksos*, Glückstadt.

Audran LABROUSSE, J.-Ph. LAUER & J. LECLANT

1977, *Le temple haut du complexe funéraire du roi Ounas, Mission archéologique de Saqqarah*, II, BdE 73, Le Caire.

Ginette LACAZE, O. MASSON & J. YOYOTTE

1984, « Deux documents memphites copiés par J.-M. Vansleb au XVII^e siècle », *RdE* 35, 127-137.

Peter LACOVARA

1985, « Archeology an the Decay of Mudbrick Structures in Egypt », *NARCE* 128, 20-28.

P. LACOVARA & C.-N. REEVES

1987, « The Colossal Statue of Mycerinus Reconsidered », *RdE* 38, 111-115.

LÄ = *Lexikon der Ägyptologie*, Wiesbaden, 1975-1987.

LÄS = *Leipziger Ägyptologische Studien*, Glückstadt, Hambourg, New York.

Claire LALOUETTE

1981a, *L'art égyptien*, coll. « Que sais-je ? » n° 1909, P.U.F.

1981b, *La littérature égyptienne*, coll. « Que sais-je ? » n° 1934, P.U.F.

1984, *Textes sacrés et textes profanes de l'ancienne Égypte*, I, Paris.

1985, *L'empire des Ramsès*, Fayard.

1986, *Thèbes ou la naissance d'un empire*, Fayard.

1987, *Textes sacrés et textes profanes de l'ancienne Égypte*, II, Paris.

Mary-Ellen LANE

1985, *A Guide to the Antiquities of the Fayyum*, Le Caire.

Edward William LANE

1833-1835, *An Account of the Manners and Customs of the Modern Egyptians, Written in Egypt During the Years 1833-1835*, réédition, Le Caire, 1978.

Kurt LANGE & Max HIRMER

1978, *Ägypten. Architektur, Plastik, Malerei in drei Jahrtausenden*, réédition, Munich, traduit de l'allemand par G. Blumberg et R. Antelme, sous le titre **K. LANGE, M. HIRMER, E. OTTO & C. DESROCHES-NOBLECOURT**, *L'Égypte*, Flammarion, 1967/1980.

LAPÖ = *Littératures Anciennes du Proche-Orient*, le Cerf.

John A. LARSON

1975-1976, « The Date of the Regnal Year Change in the Reign of Ramesses II », *Serapis* 3, 17-22.

Jean-Philippe LAUER

1929, « Études sur quelques monuments de la III^e dynastie (pyramide à degrés de Saqqarah) », *ASAE* 29, 99-129.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

- 1948, *Études complémentaires sur les monuments du roi Zoser à Saqqarah*, 1, CASAE.
- 1956, « Sur le dualisme de la monarchie égyptienne et son expression architecturale sous les premières dynasties », *BIFAO* 55, 153-172.
- 1957, « Évolution de la tombe royale égyptienne jusqu'à la pyramide à degrés », *MDAIK* 15, 148-165.
- 1960a, *Observations sur les pyramides*, *BdE* 30, Le Caire.
- 1960b, « Žbynek Žaba : l'orientation astronomique dans l'ancienne Égypte et la précession de l'axe du monde », *BIFAO* 60, 171-184.
- 1961, « Au sujet du nom gravé sur la plaquette d'ivoire de la pyramide de l'Horus Sekhemkhet », *BIFAO* 61, 25-28.
- 1962a, « Sur l'âge et l'attribution possible de l'excavation monumentale de Zaouiêt el-Aryan », *RdE* 14, 21-36.
- 1962b, *Histoire monumentale des pyramides d'Égypte*, I, *Les pyramides à degrés (III^e dynastie)*, *BdE*, 39, Le Caire.
- 1966a, « Quelques remarques sur la I^{re} dynastie », *BIFAO* 64, 169-184.
- 1966b, « Nouvelles remarques sur les pyramides à degrés de la III^e dynastie », *Or* 35, 440-448.
- 1966-1968, « Recherche et découverte du tombeau sud de l'Horus Sekhem-khet à Saqqarah », *BIE* 48-49, 121-136, — repris sous le même titre dans *RdE* 20, 97-107.
- 1967, « Sur la pyramide de Meïdoum et les deux pyramides du roi Snefrou à Dahchour », *Or* 36, 239-254.
- 1969a, « Remarques sur les complexes funéraires royaux de la fin de la IV^e dynastie », *Or* 38, 560-578.
- 1969b, « À propos des vestiges des murs à redans encadrés par les " Tombs of the Courtiers " et des " forts " d'Abydos », *MDAIK* 25, 79-84.
- 1972, *Les pyramides de Sakkarah*, IFAO.
- 1973, « Remarques sur la planification de la construction de la grande pyramide », *BIFAO* 73, 127-142.
- 1976, « À propos du prétendu désastre de la pyramide de Meïdoum », *CdE* 51, 72-89.
- 1977, *Saqqarah. La nécropole royale de Memphis. Quarante siècles d'histoire, cent vingt-cinq ans de recherches*, Paris.
- 1979, « Le développement des complexes funéraires royaux en Égypte depuis les temps prédynastiques jusqu'à la fin de l'Ancien Empire », *BIFAO* 79, 355-394.
- 1980, « Le premier temple de culte funéraire en Égypte », *BIFAO* 80, 45-68.
- 1981, « La signification et le rôle des fausses-portes de palais dans les tombeaux du type de Négadah », *MDAIK* 37, 281-288.
- 1984-1985, « Considérations sur l'évolution de la tombe royale sous la I^{re} dynastie », *BSEG* 9-10, 141-152.
- 1988, *Saqqarah, une vie. Entretiens avec Philippe Flandrin*, Rivages.
- J.Ph. LAUER & J. LECLANT**
- 1969, « Découverte de statues de prisonniers au temple de la pyramide de Pépi I^{er} », *RdE* 21, 55-62.
- 1972, *Le temple haut du complexe funéraire du roi Téli, Mission archéologique de Saqqarah*, I, *BdE* 51, Le Caire.
- Jean LAUFFRAY**
- 1973, *Karnak d'Égypte, domaine du divin*, Paris.
- 1979, « Urbanisme et architecture du domaine d'Aton à Karnak d'après les " talatat " du IX^e pylône », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 265-270.
- LdM* = *Livre des Morts*, cité en traduction d'après Barguet : 1967.
- Anthony LEAHY**
- 1979, « Nesamedu, " King " of Thinis », *GM* 35, 31-40.
- 1984a, « Saite Royal Sculpture : A Review », *GM* 80, 59-76.
- 1984b, « Tanutamon, Son of Shabako ? », *GM* 83, 43-46.

BIBLIOGRAPHIE

Lebensmüder = *Dialogue d'un désespéré avec son Ba*, cité d'après Barta : 1969, planches.

Christian LEBLANC

1979, « Les piliers dits "osiriaques" dans le contexte des temples de culte royal », dans *L'égyptologie en 1979*, I, 133-134.

1980, « Piliers et colosses de type "osiriaque" dans le contexte des temples de culte royal », *BIFAO* 80, 69-90.

1982, « Le culte rendu aux colosses "osiriaques" durant le Nouvel Empire », *BIFAO* 82, 295-311.

1986, « Henout-taouy et la tombe N° 73 de la Vallée des Reines », *BIFAO* 86, 203-226.

Ange-Pierre LECA

1977, *Les momies*, Hachette.

Jean LECLANT

1949, « Nouveaux documents relatifs à l'an VI de Taharqa », *Kémi* 10, 28-42.

1954, *Enquête sur les sacerdoces et les sanctuaires égyptiens à l'époque dite « éthiopienne » (XXV^e dynastie)*, *BdE* 17.

1956, « La "mascarade" des bœufs gras et le triomphe de l'Égypte », *MDAIK* 14, 129-145.

1957, « Tefnout et les Divines Adoratrices thébaines », *MDAIK* 15, 166-171.

1961a, *Montouemhat, quatrième prophète d'Amon, prince de la ville*, *BdE* 35.

1961b, « Le voyage de Jean-Nicolas Huyot en Égypte (1818-1819) et les manuscrits de Nestor Lhôte », *BSFE* 32, 35-42.

1961c, « Sur un contrepoids de *menat* au nom de Taharqa : allaitement et "apparition" royale », *BdE* 32, 251-284.

1965, *Recherches sur les monuments thébains de la XXV^e dynastie dite éthiopienne*, *BdE* 36.

1969, « Espace et temps, ordre et chaos dans l'Égypte pharaonique », *Revue de Synthèse*, III^e série, 55-56, 217-239.

1978a, *Le temps des pyramides. De la Préhistoire aux Hyksos (1560 av. J.-C.)*, « Univers des Formes », Gallimard.

1978b, « L'exploration des côtes de la mer Rouge. À la quête de Pount et des secrets de la mer Érythrée », *Annales d'Éthiopie* 11, 69-75.

1978c, « Le nom de Chypre dans les textes hiéroglyphiques », *Colloques internationaux du CNRS n° 578, Salamine de Chypre. Histoire et archéologie*, 131-135.

1979, *L'Empire des Conquérants. L'Égypte au Nouvel Empire (1560-1070)*, « Univers des Formes », Gallimard.

1980a, *L'Égypte du crépuscule. De Tanis à Méroë (1070 av. J.-C.-IV^e siècle ap. J.-C.)*, « Univers des Formes », Gallimard.

1980b, *Égypte pharaonique et Afrique*, séance annuelle des Cinq Académies, Institut de France n° 10, Paris.

1980c, « L'empire de Koush : Napata et Méroë », dans *Histoire Générale de l'Afrique*, II, UNESCO, 295-314.

1980d, « Les "empires" et l'impérialisme de l'Égypte pharaonique », dans **Maurice DUVERGER**, *Le concept d'Empire*, P.U.F., Paris, 49-68.

1981a, « La "famille libyenne" au temple haut de Pépi I^{er} », dans le *Livre du Centenaire*, *MIFAO* 104, 49-54.

1981b, « Recherches récentes sur l'histoire de l'Égypte pharaonique », *REA* 83, 5-15.

1984a, « Textes de la Pyramide de Pépi I^{er}, VII : une nouvelle mention des *Fnhw* dans les *Textes des Pyramides* », *SAK* 11, 455-460.

1984b, « Taharqa à Sedeinga », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 1113-1117.

1985, « Recherches récentes sur les textes des Pyramides et les pyramides à textes de

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

- Saqqarah », *Bulletin de la Classe des Lettres et Sciences Morales et Politiques de l'Académie Royale de Belgique*, 5^e Série, 71, 295-305.
- 1987, « Le rayonnement de l'Égypte au temps des rois tanites et libyens », dans Paris : 1987, 77-84.
- Jean LECLANT & Gisèle CLERC**
1967-1988, « Fouilles et travaux en Égypte et au Soudan », chronique annuelle tenue dans la revue *Or*.
- France LECORSU**
1966, « Une description inédite d'Abou Simbel : le manuscrit du colonel Straton », *BSFE* 45, 19-32.
- Gustave LEFEBVRE**
1927, « Stèle de l'an V de Méneptah », *ASAE* 27, 19-30.
1929a, *Histoire des grands prêtres d'Amon de Karnak jusqu'à la XXI^e dynastie*, Paris, Geuthner.
1929b, *Inscriptions concernant les grands prêtres d'Amon Romé-Roy et Amenhotep*, Paris.
1940, « Deux mots de la I^{re} dynastie, aux inscriptions du tombeau " de Hemaka " à Saqqarah », *RdE* 4, 222-223.
1951, « Inscription dédicatoire de la chapelle funéraire de Ramsès I à Abydos », *ASAE* 51, 167-200.
1976, *Romans et contes égyptiens de l'époque pharaonique. Traduction avec introduction, notices et commentaires* (reproduction inchangée de l'édition de 1949), Maisonneuve, Paris.
- Georges LEGRAIN**
1914, *Louqsor sans les pharaons. Légendes et chansons populaires de la Haute Égypte*, Vromant, Bruxelles-Paris.
1929, *Les temples de Karnak. Fragment du dernier ouvrage de G. Legrain, Directeur des travaux du Service des Antiquités de l'Égypte*, Vromant.
L'égyptologie en 1979 = Actes du Deuxième Congrès International des Égyptologues, Colloques internationaux du CNRS, n° 595, Paris, 1982.
- Mark LEHNER**
1983, « Some Observations on the Layout of the Khufu and Khafre Pyramids », *JARCE* 20, 7-26.
1985, « The Pyramid Tomb of Hetep-heres and the Satellite Pyramid of Khufu », *Sond. DAIK* 19.
1986, « The Giza Plateau Mapping Project », *NARCE* 131, 23-57.
- G. LELLO**
1978, « Thutmose III's First Lunar Date », *JNES* 37, 327-330.
- C.J. LENZEN & E.A. KNAUF**
1987, « Notes on Syrian Toponyms in Egyptian Sources I », *GM* 96, 59-64.
- Ronald J. LEPROHON**
1983, « Intef III and Amenemhat III at Elephantine », *Ancient World* 6, 103-107.
- C.R. LEPSIUS**
1849-1856, *Denkmäler aus Ägypten und Äthiopien...*, 12 vol., Leipzig.
- Christian LEROY**
1975, « Voyageurs et marins dans l'antiquité », *REG* 88, 178-181.
- A. LEROY-MOLINGHEN**
1985, « Homère et Thèbes aux cent portes », *CdE* 60, 131-137.
- Françoise LE SAOUT**
1978-1980a, « Reconstitution des murs de la Cour de la Cachette », *Karnak* 7, 213-258.
1978-1980b, « Nouveaux fragments au nom d'Horemheb », *Karnak* 7, 259-264.
1978-1980c, « À propos d'un colosse de Ramsès II à Karnak », *Karnak* 7, 267-274.
- F. LE SAOUT & Cl. TRAUNECKER**
1978-1980, « Les travaux au IX^e pylône de Karnak : annexe épigraphique », *Karnak* 7, 67-74.

BIBLIOGRAPHIE

- F. LE SAOUT, F. A-el-H. MA'AROUF & Th. ZIMMER**
1987, « Le Moyen Empire à Karnak : Varia 1 », *Karnak* 8, 293-323.
- Leonard H. LESKO**
1980, « The Wars of Ramses III », *Serapis* 6, 83-86.
- Bernadette LETELLIER**
1979, « La cour à péristyle de Thoutmosis IV à Karnak (et la " cour des fêtes " de Thoutmosis II) », dans *Hommages Sauneron*, I, *BdE* 81, 51-72.
- Pierre LÉVÊQUE**
1987, (éd.) *Les premières civilisations*, I, *Des despotismes orientaux à la cité grecque*, coll. « Peuples et civilisations », Paris, P.U.F.
- Frantisek LEXA**
1925, *La magie dans l'Égypte ancienne, de l'Ancien Empire jusqu'à l'époque copte*, 3 vol., Paris.
1926, *Papyrus Insinger. Les enseignements moraux d'un scribe égyptien du premier siècle après J.-C.*, Paris.
Liber Anuus, Jérusalem.
- Miriam LICHTHEIM**
1973, *Ancient Egyptian Literature. A Book of Readings*, Berkeley, I, *The Old and Middle Kingdoms*.
1976, II, *The New Kingdom*.
1980a, III, *The Late Period*.
1980b, « Some Corrections to my *Ancient Egyptian Literature*, I-III », *GM* 41, 67-74.
1983, *Late Egyptian Wisdom Literature in the International Context. A Study of Demotic Instructions*, *OBO* 52.
- Luc LIMME**
1972, « Les oasis de Khargeh et Dakhleh d'après les documents égyptiens de l'époque pharaonique », *CRIPPEL* 1, 41-58.
- B. LINCOLN**
1981, *Priests, Warriors and Cattle. A Study in the Ecology of Religions*, Berkeley.
- Ingegerd LINDBALD**
1984, *Royal Sculpture of the Early Eighteenth Dynasty in Egypt*, *Medelhavsmuseet Memoir*, Stockholm, 5.
- Jaswiga LIPINSKA**
1967, « Names and History of the Sanctuaries Built by Tuthmosis III at Deir el-Bahri », *JEA* 53, 25-33.
- P. LIPKE**
1984, *The Royal Ship of Cheops. A Retrospectival Account of the Discovery Restoration and Reconstruction...*, Oxford.
- M. A. LITTAUER & J. H. CROUWEL**
1979, *Wheeled Vehicles and Ridden Animals in the Ancient Near East*, *HdO* 7/1, 2B : 1.
- Alan B. LLOYD**
1975-1976, *Herodotus, Book II, 1, Introduction*, 2, *Commentary* 1-98, Leyde.
1982, « The Inscription of Udjahorresnet, A Collaborator's Testament », *JEA* 68, 166-180.
- Christian E. LOEBEN**
1986, « Eine Bestattung der grossen königlichen Gemahlin Nofrete in Amarna ? Die Totenfigur der Nofrete », *MDAIK* 42, 99-108.
- B. LÖHR**
1974, « Aḥanḥati in Heliopolis », *GM* 11, 33-38.
- R. D. LONG**
1976, « Ancient Egyptian Chronology, Radiocarbon Dating and Calibration », *ZÄS* 103, 30-48.
- Jesus LÓPEZ**
1973, « L'auteur de l'Enseignement pour Mérikarê », *RdE* 25, 178-191.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

Antonio LOPRIENO

1981-1982, « Methodologische Anmerkungen zur Rolle der Dialekte in der ägyptischen Sprachentwicklung », *GM* 53, 75-95.

J. A. LORENT

1861, *Égypten. Alhambra. Tlemsen. Algier. Reisebilder aus den Anfängen der Photographie*, Mannheim, 1985.

David LORTON

1974a, *The Juridical Terminology of International Relations in Egyptian Texts Through Dyn. XVIII*, Baltimore.

1974b, « Terminology Related to the Laws of Warfare in Dynasty XVIII », *JARGE* 11, 53-68.

1979, « Towards a Constitutional Approach to Ancient Egyptian Kingship », *JAOs* 99, 460-465.

1986a, « Compte rendu de A. NIBBI, *Ancient Egypt and Some Eastern Neighbours, Ancient Byblos Reconsidered, Wenamun and Alashiya Reconsidered* », *DE* 6, 89-100.

1986b, « Terms of Coregency in the Middle Kingdom », *VA* 2, 113-120.

1986c, « The King and the Law », *VA* 2, 53-62.

1987a, « The Internal History of the Heakleopolitan Period », *DE* 8, 21-28.

1987b, « Egypt's Easternmost Delta Before the New Kingdom », *DE* 7, 9-12.

1987c, « Why "Menes" ? », *VA* 3, 33-38.

LOUXOR

1978, *Guide du Musée d'art égyptien ancien de Louxor*, Organisation des Antiquités de l'Égypte, Le Caire.

Ulrich LUFT

1978, *Beiträge zur Historisierung der Götterwelt und der Mythenschreibung*, *Stud. Aeg.* 4.

1982, « Illahunstudien, I : zu der Chronologie und den Beamten in den Briefen aus Illahun », *Oikumene* 3, 101-156.

1986a, « Illahunstudien, III : Zur sozialen Stellung des Totenpriesters im Mittleren Reiches », *Oikumene* 5, 117-153.

1986b, « Noch einmal zum Ebers-Kalender », *GM* 92, 69-77.

1987, « Der Tagesbeginn in Ägypten », *AoF* 14, 3-11.

I. LURIE

1971, *Studien zum altägyptischen Recht*, Weimar.

M. F. L. MACADAM

1949, *The Temples of Kawa, I, The Inscriptions*, Oxford.

1955, *The Temples of Kawa, II, History and Archaeology of the Site*, Oxford.

MAS = *Münchener Ägyptologische Studien*, Deutscher Kunstverlag, Munich-Berlin.

Michel MALAISE

1981, « Aton, le sceptre Oua et la fête Sed », *GM* 50, 47-64.

Jaromir MÁLEK

1982, « The Original Version of the Royal Canon of Turin » *JEA* 68, 93-106.

Michel MALININE

1953, *Choix de textes juridiques en hiéroglyphes « anormal » et en démotique (25^e-27^e dynasties)*, 1, *Traduction et commentaire philologique*, Bibliothèque de l'École Pratique des Hautes Études 300.

1983, *Choix de textes juridiques en hiéroglyphes anormal et en démotique*, 2, *Transcriptions*, *RAPH* 18.

Lise MANNICHE

1988, *Lost Tombs*, Londres.

Geoffrey T. MARTIN

1976, « La découverte du tombeau d'Horemheb à Saqqarah », *BSFE* 77-78, 11-25.

1979, « Queen Mutnodjmet at Memphis and El-Amarna », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 275-278.

1984, *Corpus of Reliefs of the New Kingdom From the Memphite Necropolis and Lower Egypt*, Londres.

BIBLIOGRAPHIE

Maurice MARTIN

1979, « Souvenirs d'un compagnon de voyage de Paul Lucas en Égypte (1707) », dans *Hommages Sauneron*, II, *BdE* 82, 471-476.

Éva MARTIN-PARDEY

1988, *Untersuchungen zur ägyptischen Provinzialverwaltung bis zum Ende des Alten Reiches*, 2^e éd., *HAB* 1.

Sherry I. MARY

1979, « Kia, the Second Pharaoh », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 279-280.

Gaston MASPERO

1895, *Histoire ancienne des peuples de l'Orient Classique*, I, *Les origines. Égypte & Chaldée*, Paris, Hachette.

1897, II, *Les premières mêlées des peuples*, Paris, Hachette.

1899, III, *Les Empires*, Paris, Hachette.

1914, « Chansons populaires recueillies dans la Haute Égypte de 1900 à 1914 pendant les inspections du Service des Antiquités », *ASAE* 14, 97-290.

1915, *Guide du visiteur au Musée du Caire*, 4^e édition, Le Caire, IFAO.

Olivier MASSON

1969, « Les Cariens en Égypte », *BSFE* 56, 25-36.

1971, « Les Chypristes en Égypte », *BSFE* 60, 28-46.

Bernard MATHIEU

1987, « Le voyage de Platon en Égypte », *ASAE* 71, 153-167.

I. MATZKER

1986, *Die letzten Könige der 12. Dynastie*, Francfort-sur-le-Main.

Bernard MAURY

1979, « Toponymie traditionnelle de l'ancienne piste joignant Kharga à Dakhla », dans *Hommages Sauneron*, II, *BdE* 82, 365-376.

L. MAYER

1802, *Vues en Égypte, d'après les dessins originaux en la possession de Sir R. Ainslee, pris durant son ambassade à Constantinople...*, Londres.

Charles MAYSTRE

1950, « Le compte des épagomènes dans les chronologies individuelles », *RdE* 7, 85-88.

A. McFARLANE

1987, « The First Nomarch at Akhmim : The Identification of a Sixth Dynasty Biographical Inscription », *GM* 100, 63-72.

W. McQUITTY

1976, *Island of Isis. Philae Temple of the Nile*, Londres.

G. MATTHA

1975, *The Demotic Legal Code of Hermopolis West*, *BdE* 45.

MDAIK = *Mitteilungen des Deutschen Archäologischen Instituts*, Abteilung Kairo.

Dimitri MEEKS

1963, « Les " quatre ka " du démiurge memphite », *RdE* 15, 35-47.

1971, « Génies, anges et démons en Égypte », dans *Génies, anges et démons*, « Sources Orientales » 8, Seuil, Paris, 18-84.

s.d. « Pureté et purification en Égypte », dans *Dictionnaire de la Bible*, Supplément 9, col. 430-452.

Mounir MEGALLY

1977, *Recherches sur l'économie, l'administration et la comptabilité égyptienne à la XVIII^e dyn. d'après le pap. E 3226 du Louvre*, *BdE* 71.

Arpag MEKHITARIAN

1954, *La peinture égyptienne*, « Les grands siècles de la peinture », Skira, Genève.

James MELLAART

1965/1978, *Earliest Civilizations of the Near East*, in *The Library of the Early Civilizations*, ed. by Prof. Stuart Pigott, Thames & Hudson.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

Edmund S. MELTZER

1970, « Archaic Sovereign as Primeval God? », *ZÄS* 98, 84.

1978, « The Parentage of Tut'ankhamun and Smenkhare », *JEA* 64, 134-135.

Leila MENASSA & Pierre LAFERRIÈRE

1974, *La Sâqia. Technique et vocabulaire de la roue à eau égyptienne*, *BdE* 67.

K. MENDELSSOHN

1973, « A Building Disaster at the Meidum Pyramid », *JEA* 59, 60-71.

1976, « Reply to Mr. C. J. Davey's Comments (*JEA* 62, 178-179) », *JEA* 62, 179-181.

Bernadette MENU

1970, *Le régime juridique des terres et du personnel attaché à la terre dans le Papyrus Wilbour*, Publications de la Faculté des Lettres et Sciences Humaines de Lille.

1981, « Considérations sur le droit pénal au Moyen Empire égyptien dans le P. Brooklyn 35. 1446 (texte principal du recto) », *BIFAO du Centenaire*, 57-76.

1982, *Recherches sur l'histoire juridique, économique et sociale de l'ancienne Égypte*, Versailles.

1984, *Droit — économie — société de l'Égypte ancienne (Chronique bibliographique 1967-1982)*, Versailles.

1986, « Les récits de créations en Égypte ancienne », *Foi et Vie*, LXXXV/5, *Cah. Bibl.* 25, 67-77.

1987a, *L'obélisque de la Concorde*, Versailles.

1987b, « Les cosmogonies de l'ancienne Égypte », in *La création dans l'Orient ancien*, éd. du Cerf, Paris.

Mérikarê = Enseignement de Khéty pour Mérikarê, cité d'après l'édition de Helck : 1977.

Reinholdt MERKELBACH

1962, *Roman und Mysterium in der Antike*, Munich.

Meroutica, Humboldt-Universität zu Berlin, Bereich Ägyptologie und Sudanarchäologie, Berlin-Est.

Mesopotamia, Copenhagen Studies in Assyriology, Copenhagen.

C. MEYER

1982, *Senenmut Eine prosopographische Untersuchung*, Hambourg.

Eduard MEYER

1912-1913, *Fremdvölkerdarstellungen altägyptischer Denkmäler. Sammlung photographischer Aufnahmen aus den Jahren 1912-1913*, *ÄMA* 2, 1973.

Kazimierz MICHALOWSKI

1968, *L'art de l'ancienne Égypte*, Paris, Mazenod.

1980, « Les contacts culturels dans le monde méditerranéen », dans le *Livre du Centenaire*, *MIFAO* 104, 303-306.

Béatrice MIDANT-REYNES

1986, « L'industrie lithique en Égypte : à propos des fouilles de Balat (Oasis de Dakhla) », *BSFE* 102, 27-39.

1987, « Contribution à l'étude de la société prédynastique : le cas du couteau "Ripple-flake" », *SAK* 14, 185-224.

MIFAO = Mémoires publiés par les membres de l'Institut Français d'Archéologie Orientale, Le Caire.

A. R. MILLARD

1979, « The Scythian Problem », dans *Glimpses of ancient Egypt, Studies in Honour of H. W. Fairman*, 119-122.

Nicholas B. MILLET

1981, « Social and Political Organisation in Meroe », *ZÄS* 108, 124-141.

Anthony J. MILLS

1975, « Approach to Third Millenium Nubia », dans *Études Nubiennes, colloque de Chantilly*, *BdE* 77, 199-204.

BIBLIOGRAPHIE

A. T. MINAI

1984, *Architecture as Environmental Communication, Approach to Semiotics*, 69, Berlin.

H. VON MINUTOLI

1824, *Reise zum Tempel des Jupiter Ammon in der Libyschen Wüste und nach Ober-Ägypten in den Jahren 1820-1821*, Berlin, 1982.

MIO = *Mitteilungen des Instituts für Orientforschung*, Berlin.

MMA = Metropolitan Museum of Art, New York.

MNL = *Meroitic Newsletter*, Paris.

M. Abd el-Qader MOHAMMED

1966, « The Hittite Provincial Administration of Conquered Territories », *ASAE* 59, 109-142.

Mohamed Gamal el-Din MOKHTAR

1983, *Ihnâsya el-Medina (Herakleopolis Magna). Its Importance and Its Role in Pharaonic Egypt*, IFAO, BdE 40.

Mon. Aeg. = *Monumenta Aegyptiaca*, Bruxelles.

Balthasar de MONCONYS

1646, *Le voyage en Égypte de Balthasar de Monconys*, présentation et notes d'H. Amer, Voyageurs IFAO, 1973.

Janine MONNET SALEH

1955, « Un monument de la corégence des Divines Adoratrices Nitocris et Ankhnesneferibré », *RdE* 10, 37-47.

1965, « Remarques sur la famille et les successeurs de Ramsès III », *BIFAO* 63, 209-236.

1969, « Forteresses ou villages protégés thinites ? », *BIFAO* 67, 173-188.

1980, « Égypte et Nubie antique : approche d'une colonisation », *BSEG* 3, 39-49.

1983, « Les représentations de temples sur plates-formes à pieux de la poterie gerzéenne d'Égypte », *BIFAO* 83, 263-296.

1986, « Interprétation globale des documents concernant l'unification de l'Égypte », *BIFAO* 86, 227-238.

1987, « Remarques sur les représentations de la peinture d'Hiérakonpolis (Tombe N° 100) », *JEA* 73, 51-58.

C. MONTENAT

1986, « Un aperçu des industries préhistoriques du golfe de Suez et du littoral égyptien de la Mer Rouge », *BIFAO* 86, 239-256.

Pierre MONTET

1925, *Les scènes de la vie privée dans les tombeaux égyptiens de l'Ancien Empire*, Publications de la Faculté des Lettres de l'Université de Strasbourg, Paris.

1946, *La vie quotidienne en Égypte au temps des Ramsès (XIII^e-XII^e siècles)*, Paris.

1947, *La nécropole royale de Tanis, I, Les constructions et le tombeau d'Osorkon II à Tanis*, Paris.

1951a, *La nécropole royale de Tanis, II, Les constructions et le tombeau de Psousennès à Tanis*, Paris.

1951b, « Le roi Ougaf à Médamoud », *RdE* 8, 163-170.

1952, *Les énigmes de Tanis. Douze années de fouilles dans une capitale oubliée du delta égyptien*, Paris.

1956, *Isis. Ou à la recherche de l'Égypte ensevelie*, Paris.

1957, « Le tombeau d'Ousirmare Chechanq fils de Bastit (Chechanq III) à Tanis », *BSFE* 23, 7-13.

1960, *La nécropole royale de Tanis, III, Les constructions et le tombeau de Chéchanq III à Tanis*, Paris.

1962, « la date du sphinx A 23 du Louvre », *BSFE* 33, 6-8.

1984, *Vies des pharaons illustres*, Paris.

Siegfried MORENZ

1962, *La religion égyptienne, essai d'interprétation*. Traduction française par L. Jospin, Payot.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

- 1971, « Traditionen um Cheops. Beiträge, zur Überlieferungsgeschichtlichen Methode in der Ägyptologie, I », ZÄS 97, 111-118.
- 1972, « Traditionen um Menes. Beiträge zur Überlieferungsgeschichtlichen Methode in der Ägyptologie, II », ZÄS 99, X-XVI.
- Alexandre MORET**
- 1901, « Le titre "Horus d'Or" dans le protocole pharaonique », RT 23, 23-32.
- 1903, *Du caractère religieux la royauté pharaonique*, Paris.
- 1923, *Des clans aux empires*, Paris.
- 1925, « La campagne de Sêti I^{er} au nord du Carmel d'après les fouilles de M. Fischer », *Revue de l'Égypte Ancienne* 1, 18-30.
- 1926, *Le Nil et la civilisation égyptienne*, Paris.
- 1927, *La mise à mort du dieu en Égypte*, Fondation Frazer, Conférence 1, Geuthner.
- Anthoine MORISSON**
- 1697, *Le voyage en Égypte d'Anthoine Morisson, 1697*. Présentation et notes de G. Goyon, Voyageurs IFAO 17, 1976.
- R. G. MORKOT**
- 1986, « Violent Images of Queenship and the Royal Cult », *Wepwawet* 1, 1-9.
- 1987, « Studies in New Kingdom Nubia, 1, Politics, Economics and Ideology : Egyptian Imperialism in Nubia », *Wepwawet* 3, 29-49.
- S. MOSCATI**
- 1963, *Historical Art in the Ancient Near East, Stud. Semitici* 8.
- Mohamed I. MOURSI**
- 1972, *Die Hohenpriester des Sonnengottes von der Frühzeit Ägyptens bis zum Ende des Neuen Reiches*, MÄS 26.
- 1983, « Corpus der Mnevis-Stelen und Untersuchungen zum Kult der Mnevis-Stiere in Heliopolis », SAK 10, 247-268.
- Ahmed Mahmoud MOUSSA**
- 1981, « A Stela of Taharqa from the Desert Road at Dahshur », *MDAIK* 37, 331-338.
- A. M. MOUSSA & H. ALTENMÜLLER**
- 1975, « Ein Denkmal zum Kult des Königs Unas am Ende der 12. Dynastie », *MDAIK* 31, 93-97.
- MRE = Monographies Reine Elisabeth**, Bruxelles.
- T. MRSICH**
- 1968, *Untersuchungen zur Hausurkunde des Alten Reiches. Ein Beitrag zum ägyptischen Stiftungsrecht*, MÄS 13.
- Ingeborg MÜLLER**
- 1977, « Der Vizekönig Merimose », dans *Ägypten und Kusch, Schr. Or.* 13, 325-330.
- Maya MÜLLER**
- 1979, « Die Darstellung der Königfamilie in Amarna », dans *L'Égyptologie en 1979*, II, 281-284.
- 1986, « Zum Werkverfahren an thebanischen Grabwänden des Neuen Reiches », SAK 13, 149-164.
- Renate MÜLLER-WOLLERMANN**
- 1983, « Bemerkungen zu den sogenannten Tributen », *GM* 66, 81-93.
- Henri MUNIER & Gaston WIET**
- 1932, *Précis de l'histoire d'Égypte*, II, *L'Égypte byzantine et musulmane*, IFAO.
- Irmtraut MUNRO**
- 1986, « Zusammenstellung von Datierungskriterien für Inschriften der Amarna-Zeit nach J. J. Perepelkin *Die Revolution Amenophis'IV.* », *GM* 94, 81-87.
- 1988, « Zum Kult des Ahmose in Abydos : ein weiterer Beleg aus der Ramessidenzeit », *GM* 101, 57-62.
- Peter MUNRO**
- 1978, « Der König als Kind », SAK 6, 131-137.
- 1984, « Die Nacht vor der Thronbesteigung. Zum ältesten Teil des Mundöffnungsri-

BIBLIOGRAPHIE

- tuals », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 907-928.
- 1987, « Compte rendu de Y. Y. PEREPELKIN, *The Revolution of Amenhotep IV.*, Moskau, 1984 », *BiOr* 44, 137-143.
- S. C. MUNRO-HAY**
1982-1983, *Kings and Kingdoms of Nubia* », *RSO* 29, 87-138.
- M. MÜNSTER**
1968, *Untersuchungen zur Göttin Isis vom Alten Reich bis zum Ende des Neuen Reiches*, *MÄS* 11.
- William J. MURNANE**
1970, « The Hypothetical Coregency Between Amenhotep III and Akhenaten : Two Observations », *Serapis* 2, 17-21.
1975-1976, « The Accession Date of Sethos I », *Serapis* 3, 23-34.
1976, « The Earlier Reign of Ramesses II : Two Addenda », *GM* 19, 41-44.
1977, *Ancient Egyptian Coregencies*, *SAOC* 40.
1980a, *United with Eternity : A Concise Guide to the Monuments of Medinet Habu*, Chicago-Le Caire.
1980b, « Unpublished Fragments of Hatshepsut's Historical Inscription From Her Sanctuary at Karnak », *Serapis* 6, 91-102.
1981a, « In Defense of the Middle Kingdom Double Dates », *BES* 3, 73-81.
1981b, « The Sed Festival : a Problem in Historical Method », *MDAIK* 37, 369-376.
1985a, *The Road to Kadesh. Historical Interpretation of the Battle Reliefs of King Sety I at Karnak*, *SAOC* 42.
1985b, « Tutankhamun on the Eight Pylon at Karnak », *VA* 1, 59-68.
- Michel MUSZYNSKI**
1977, « Les "associations religieuses" en Égypte, d'après les sources hiéroglyphiques, démotiques et grecques », *OLP* 8, 145-174.
- Carol MYSLIWIEC**
1978, « Le naos de Pithom », *BIFAO* 78, 171-196.
1979, « Amon, Atum and Aton : the Evolution of Heliopolitan Influences in Thebes », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 285-290.
1985, *XVIIIth Dynasty Before the Amarna Period, Iconography of Religions*, 16/5, Leyde.
- Nadav NA'AMAN**
1982, « The Town of Ibirta and the Relations of the "Apiru and the Shosou" », *GM* 57, 27-34.
1983, « The Town of Malahu », *GM* 63, 46-52.
- NARCE** = *Newsletter of the American Research Center in Egypt*, Princeton-Le Caire.
- Édouard NAVILLE**
1903, « La pierre de Palerme », *RT* 25, 64-81.
1930, *Détails relevés dans les ruines de quelques temples égyptiens*, 2 parties en 1, Paris.
- NAWG** = *Nachrichten von der Akademie der Wissenschaften zu Göttingen*, Göttingen.
- Néfert** = *Prophétie de Néfert*, citée d'après l'édition de Helck : 1970.
- A. NEHER**
1956, *Moïse et la vocation juive*, Seuil, Paris.
- Alessandra NIBBI**
1974, « Further Remarks on *w3d-wr*, Sea Peoples and Keftiu », *GM* 10, 35-40.
1975a, « Ym and the Wadi Tumilat », *GM* 15, 35-38.
1975b, « The Wadi Tumilat, Atika and *mw-qd* », *GM* 16, 33-38.
1975c, « Henu of the Eleventh Dynasty and *w3d-wr* », *GM* 17, 39-44.
1976a, « Remarks on the Two Stelae From the Wadi Gasus », *JEA*, 62, 45-56.
1976b, « *hbsd* From the Sinai », *GM* 19, 45-48.
1976c, « A Further Note on *hbsa* », *GM* 20, 37-39.
1976d, « *hbsd* Again », *GM* 22, 51-52.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

- 1979a, « Somme Rapidly Disappearing and Unrecorded Sites in the Eastern Delta », *GM* 35, 41-46.
- 1979b, « Some Evidence From Scientists Indicating the Vegetation of Lower and Middle Egypt During the Pharaonic Period », dans *L'égyptologie en 1979*, I, 247-254.
- 1979b, « The " Trees and Towns " Palette », *ASAE* 63, 143-154.
- 1981, « The Hieroglyph Signs *gs* and *km* and Their Relationship », *GM* 52, 43-54.
- 1981-1982, « The *nhsy.w* of the Dahsur Decret of Pepi I », *GM* 53, 27-32.
- 1982a, « A Note on the *Lexikon* entry : Meer », *GM* 58, 53-58.
- 1982b, « The Chief Obstacle to Understanding the Wars of Ramesses III », *GM* 59, 51-60.
- 1982c, « Egitto e Bibbia sulla base della stele di Piankhi », *Liber Annuus* 39, 7-58.
- 1983, « A Further Note on the *km* Hieroglyph », *GM* 63, 77-80.
- 1984, « The Sea Peoples : Some Problems Concerning Historical Method », in *Terra Antiqua Balcanica*, II, *Annales de l'Université de Sofia* 77/2, 310-319.
- 1985, « The Lebanon (sic) and Djahy in the Egyptian Texts », *DE* 1, 17-26.
- 1986a, « Hatiba of Alashiya and a Correction to My Proposed Area for That Country », *DE* 5, 47-54.
- 1986b, *Lapwings and Libyans in Ancient Egypt*, Oxford.
- 1988, « Byblos (sic) and Wenamun : A Reply to some Recent Unrealistic Criticism », *DE* 11, 31-42.
- Alviero NICCACCIO**
1977, « Il messaggio di Tefnakht », *Liber Annuus* 27, 213-228.
- Charles F. NIMS**
1973, « The Transition From the Traditional to the New Style of Wall Relief under Amenhotep IV », *JNES* 32, 181-187.
- Andrzej NIWINSKI**
1984a, « Three More Remarks in the Discussion of the History of the Twenty-First Dynasty », *BES* 6, 81-88.
- 1984b, « The Bab El-Gusus Tomb and the Royal Cache in Deir el-Bahri », *JEA* 70, 73-81.
- 1985, « Zur Datierung und Herkunft der altägyptischen Särge », *BiOr* 42, 508-525.
- M. NOTH**
1938, « Die Wege des Pharaonenheeres in Palästina und Syrien », *ZDPV* 61, 26-65.
- 1943, « Die Annalen Thutmose III. als Geschichtsquelle », *ZDPV* 66, 156-174.
- NYAME AKUMA**, Khartoum.
- OBO** = *Orbis Biblicus et Orientalis*, Fribourg.
- Boyo OCKINGA**
1983, « Zum Fortleben des " Amarna-Loyalismus " in der Ramessidenzeit », *WdO* 14, 207-215.
- 1987, « On the Interpretation of the Kadesh Record », *CdE* 62, 38-48.
- David O'CONNOR**
1984, « Kerma and Egypt : The Significance of the Monumental Buildings, Kerma I, II, and XI », *JARCE* 31, 65-108.
- 1985, « The Chronology of Scarabs of the Middle Kingdom and the Second Intermediate Period », *JSSSEA* 15, 1-41.
- 1986, « The Locations of Yam and Kush and Their Historical Implications », *JARCE* 23, 27-50.
- 1987, « The Location of Irem », *JEA* 73, 99-136.
- Oikumene** = *Oikumene, Studia ad historiam antiquam classicam et orientalem spectantia*, Budapest.
- OIP** = *Oriental Institute Publications*, Chicago.
- OLA** = *Orientalia Lovaniensia Analecta*, Louvain.
- OLP** = *Orientalia Lovaniensia Periodica*, Louvain.

BIBLIOGRAPHIE

Patrick F. O'MARA

- 1985a, *Some Indirect Sothic and Lunar Dates from the Late Middle Kingdom in Egypt*, Paulette Pub. Californie.
 1985b, *Additional Unlabeled Lunar Dates from the Old Kingdom in Egypt*, Paulette Pub. Californie.
 1986a, « Is the Cairo Stone a Fake ? An Example of Proof by Default », *DE* 4, 33-40.
 1986b, « Historiographies (Ancient and Modern) of the Archaic Period. Part I : Should we Examine the Foundations ? A Revisionist Approach », *DE* 6, 33-46.
 1987, « Historiographies (Ancient and Modern) of the Archaic Period. Part II : Resolving the Palermo Stone as a Rational Structure », *DE* 7, 37-50.
 1988, « Was the Sed Festival Periodic in Early Egyptian History ? (I) », *DE* 11, 21-30.

OMRO = *Oudheidkundige Mededelingen uit het Rijksmuseum van Oudheden te Leiden*, Leyde.

Christian ONASCH

- 1977, « Kusch in der Sicht von Ägyptern und Griechen », dans *Ägypten und Kusch*, *Schr. Or.* 13, 331-336.
 Or = *Orientalia*, Institut Biblique Pontifical, Rome.
 OrAnt = *Oriens Antiquus*, Rome.

Jürgen OSING

- 1977, « Zur Korrezenz Amenophis III.-Amenophis IV. », *GM* 26, 53-54.
 1978, « Zu einigen ägyptischen Namen in keilschriftlicher Umschreibung », *GM* 27, 37-42.
 1979, « Zu einer Fremdvölkerliste Ramses' II. in Karnak », *GM* 36, 37-39.
 1980, « Zum ägyptischen Namen für Zypern », *GM* 40, 45-52.
 1981, « Zu einer Fremdvölker-Kachel aus Medinet Habu », *MDAIK* 37, 389-392.
 1982, « Strukturen in Fremdländerlisten », *JEA* 68, 77-80.
 1986, « Notizen zu den Oasen Charga und Dachla », *GM* 92, 79-85.

Eberhard OTTO

- 1954, *Die biographischen Inschriften der ägyptischen Spätzeit. Ihre geistgeschichtliche und literarische Bedeutung*, Leyde, Brill.
 1956, « Prolegomena zur Frage der Gesetzgebung und Rechtssprechung in Ägypten », *MDAIK* 14, 150-159.
 1957, « Zwei Bemerkungen zum Königs-kult der Spätzeit », *MDAIK* 15, 193-207.
 1958, *Das Verhältnis von Rite und Mythos im ägyptischen*, *SHAW* 1958/1.
 1960, « Der Gebrauch des Königstitel bij », *ZAS* 85, 143-152.
 1964, *Gott und Mensch, nach den ägyptischen Tempelinschriften der griechisch-römischen Zeit. Eine Untersuchung zur Phraseologie...*, *ADAW* 1964/1.
 1966, « Geschichtsbild und Geschichtsschreibung in Ägypten », *WdO* 3, 161-176.
 1969a, *Wesen und Wandel der altägyptischen Kultur*, Berlin-Heidelberg.
 1969b, « Legitimation des Herrschers im pharaonischen Ägypten », *Saeculum* 20, 385-411.
 1969c, « Das "goldene Zeitalter" in einem ägyptischen Text », dans *Religions en Égypte hellénistique et romaine*, CESS Strasbourg, P.U.F., Paris, 93-108.
 1970, « Weltanschauliche und politische Tendenzschriften », *HdO* I, 1, 2, 2^e éd., 139-147.
 1971, « Gott als Retter Ägyptens », dans *Tradition und Glaube. Das frühe Christentum in seiner Umwelt*, Göttingen, 9-22.
 1979, « Israel under the Assyrians », dans *Power and Propaganda. A Symposium on Ancient Empires, Mesopotamia* 7, 251-262.

J. PADRO I PARCERISA

- 1987, « Le rôle de l'Égypte dans les relations commerciales d'Orient et d'Occident au Premier Millénaire », *ASAE* 71, 213-222.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

J. PADRO I PARCERISA & F. MOLINA

1986, « Un vase de l'époque des Hyksos trouvé à Almuncar (province de Grenade, Espagne) », *Hommages à François Daumas*, 2, Montpellier, 517-524.

Ch. PALANQUE

1903, *Le Nil à l'époque pharaonique. Son rôle et son culte en Égypte*, Paris.

Jean PALERNE

1581, *Le voyage en Égypte de Jean Palerne, Forésien*, présentation et notes de S. Sauneron, Voyageurs IFAO, 1971.

Laure PANTALACCI

1985, « Un décret de Pépi II en faveur des gouverneurs de l'oasis de Dakhla », *BIFAO* 85, 245-254.

Robert PARANT

1974, « Recherches sur le droit pénal égyptien. Intention coupable et responsabilité pénale », in *Le Droit égyptien ancien*, Institut des Hautes Études de Belgique, Bruxelles, 25-55.

1982, *L'affaire Sinouhé. Tentative d'approche de la justice répressive égyptienne au début du II^e millénaire avant J.-C.*, Aurillac.

PARIS

1967, *Toutankhamon et son temps*, Petit Palais.

1976, *Ramsès le Grand*, Galeries Nationales du Grand Palais.

1982, *Naissance de l'Écriture. Cunéiformes et hiéroglyphes*, Galeries Nationales du Grand Palais.

1987, *Tanis, l'or des pharaons*, Galeries Nationales du Grand Palais.

1988, *Les premiers hommes au pays de la Bible. Préhistoire en Israël*, CNRS-DGRCST.

Richard A. PARKER

1952, « Sothic Dates and Calendar "Adjustment" », *RdE* 9, 101-108.

1957a, « The Length of Reign of Ramesses X », *RdE* 11, 163-164.

1957b, « The Length of Reign of Amasis and the Beginning of the Twenty-sixth Dynasty », *MDAIK* 15, 208-212.

1970, « The Beginning of the Lunar Month in Ancient Egypt », *JNES* 29, 217-220.

R. A. PARKER, J. LECLANT & J.-C. GOYON

1979, *The Edifice of Taharqa by the Sacred Lac of Karnak, with Translations from the French by Cl. Crozier-Brelot*, BES 8.

G. PARTHEY

1858, *Ägypten beim Geographen von Ravenna*, AKAW.

E. PAULISSEN, P. van VERMEERSCH & W. NEER

1985, « Late Palaeolithic Sites at Qena », *NYAME AKUMA* 26, 7-13.

T. E. PEET

1930, *The Great Tomb-Robberies of the Twentieth Egyptian Dynasty*, Oxford.

P. Harris I : cité d'après Erichsen : 1933.

Olivier PERDU

1977, « Khenemet-nefer-hedjet : une princesse et deux reines du Moyen Empire », *RdE* 29, 68-85.

1985, « Le monument de Samtoutefnakht à Naples (première partie) », *RdE* 36, 89-113.

1986, « Stèles royales de la XXVI^e dynastie », *BSFE* 105, 23-38.

W. PEREMANS & E. VAN'T DACK

1986, « À propos d'une prosopographie de l'Égypte basée sur les sources démotiques », *Enchoria* 14, 79-86.

J. J. PEREPELKIN

1983, *Privateigentum in der Vorstellung des ägyptischen Alten Reiches*, trad. R. Müller-Wollermann, Tübingen.

P. W. PESTMAN

1974, « Le démotique comme langue juridique », in *Le Droit égyptien ancien*, Institut des Hautes Études de Belgique, Bruxelles, 75-85.

BIBLIOGRAPHIE

- 1977, *Recueil de textes démotiques et bilingues*, Leyde.
- 1982, « The " Last Will of Naunakhte " and the Accession Date of Ramesses V », dans *Gleanings from Deir el-Medîna*, 173-182.
- 1984, « Remarks on the Legal Manual of Hermopolis : A Review Article », *Enchoria* 12, 33-42.
- W. M. F. PETRIE**
1891, *Illahun, Kahun and Gurob*, Londres, réédition, 1974.
- 1953, *Ceremonial Slate Palettes*, suivi de *Corpus of Proto-dynastic Pottery*, BSEA 66.
- Alexandre PIANKOFF**
1948, « Le nom du roi Sethos en égyptien », *BIFAO* 47, 175-177.
- 1959, « Les tombeaux de la Vallée des Rois avant et après l'hérésie amarnienne », *BSFE* 28-29, 7-14.
- 1964, « Les grandes compositions religieuses du Nouvel Empire et la réforme d'Amarna », *BIFAO* 62, 207-218.
- Kathleen M. PICKAVANCE**
1981, « The Pyramids of Snofru at Dahshûr. Three Seventeenth-Century Traveler », *JEA* 67, 136-142.
- PIHAN Stamboul* = *Publications de l'Institut Historique et Archéologique Néerlandais de Stamboul*.
- Jacques PIRENNE**
1962, « La théorie des trois cycles de l'histoire égyptienne antique », *BSFE* 34-35, 11-22.
- 1972, « La population égyptienne a-t-elle participé à l'administration locale ? », *RdE* 24, 136-141.
- Jacques PIRENNE & Aristide THÉODORIDÈS**
1966, *Droit égyptien, introduction bibliographique à l'histoire du Droit et à l'ethnologie juridique*, Université Libre de Bruxelles.
- R. POCOCKE**
1743-1745, *A Description of the East and Some Other Countries*, I-II, Londres.
- A. POHL**
1957, « Einige Gedanken zur *habiru*-Frage », *WZKM* 54, 157-160.
- Adalbert POLACEK**
1974, « Le décret d'Horemheb à Karnak : essai d'analyse socio-juridique », in *Le Droit égyptien ancien*, Institut des Hautes Études de Belgique, Bruxelles, 87-111.
- PM = B. PORTER & R. L. B. MOSS**, *Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs and Paintings*, 8 vol., en cours de réédition, Oxford-Warminster, 1939-1988.
- Georges POSENER**
1934a, « À propos de la stèle de Bentresh », *BIFAO* 34, 75-81.
- 1934b, « Notes sur la stèle de Naucratis », *ASAE* 34, 143-148.
- 1936, *La première domination perse en Égypte, recueil d'inscriptions hiéroglyphiques*, BdE 11, réimpression inchangée 1980.
- 1940, *Princes et pays d'Asie et de Nubie*, Bruxelles.
- 1947, « Les douanes de la Méditerranée dans l'Égypte saïte », *Revue de Philologie* 21, 117-131.
- 1957, « Les Asiatiques en Égypte sous les XII^e et XIII^e dynasties », *Syria* 34, 145-163.
- 1960, *De la divinité du pharaon*, *Cahiers de la Société Asiatique* 15.
- 1969a, *Littérature et politique dans l'Égypte de la XII^e dynastie*, *Bibliothèque de l'École Pratique des Hautes Études* 307.
- 1969b, « Achoris », *RdE* 21, 148-150.
- 1974, « *Mwkd* V », *GM* 11, 39-40.
- 1976, *L'enseignement loyaliste. Sagesse égyptienne du Moyen Empire*, *Bibliothèque de l'École Pratique des Hautes Études*, IV^e Section, II 5.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

- 1977, « L'or de Pount », dans *Ägypten und Kusch, Schr. Or.* 13, 337-342.
 1986, « Du nouveau sur Kombabos », *RdE* 37, 91-96.
Georges POSENER, Serge SAUNERON & Jean YOYOTTE
 1959, *Dictionnaire de la civilisation égyptienne*, Paris.
Paule POSENER-KRIÉGER
 1976, *Les archives du temple funéraire de Néferirkarê-Kakaï (les papyrus d'Abousir)*, *BdE* 65, Le Caire.
Claire PRÉAUX
 1978, *Le monde hellénistique, la Grèce et l'Orient (323-146 av. J.-C.)*, « Nouvelle Clio », 6-6 bis, P.U.F., Paris.
Karl-Heinz PRIESE
 1970a, « Der Beginn der kuschitischen Herrschaft in Ägypten », *ZÄS* 98, 16-32.
 1970b, « Zur Sprache der ägyptischen Inschriften der Könige von Kusch », *ZÄS* 98, 99-124.
 1973, « Zur Entstehung der meroitischen Schrift », *Meroitica* 1, 273-306.
James B. PRITCHARD
 1950, *Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament*, Princeton, 2^e éd., 1955.
Jan QUAEGBEUR
 1975, *Le dieu égyptien Shai dans la religion et l'onomastique*, *OLA* 2.
 1986, « Aménophis, nom royal et nom divin : questions méthodologiques », *RdE* 37, 97-106.
P. QUEZEL & M. BABERO
 1988, *Carte de la végétation potentielle de la région méditerranéenne, 1, Méditerranée orientale*, Paris.
S. QUIRKE
 1986, « The Regular Titles of the Late Middle Kingdom », *RdE* 37, 107-130.
Ali RADWAN
 1975, « Der Königsname », *SAK* 2, 213-234.
 1981, « Zwei Stelen aus dem 47. Jahre Thutmosis' III », *MDAIK* 37, 403-408.
 1983, *Die Kupfer- und Bronzegefäße Ägyptens. Von den Anfängen bis zum Beginn der Spätzeit*, Munich.
H. RAGAB
 1980, *Le papyrus*, Le Caire.
Anson F. RAINEY
 1976, « Taharqa and Syntax », *Tel Aviv* 3, 38-41.
Hermann RANKE
 1932, « Istar als Heilgöttin in Ägypten », dans *Studies Griffith*, Oxford, 412-418.
 1936, *The Art of Ancient Egypt, Architecture, Sculpture, Painting, Applied Art*, Vienne.
RAPH = Recherches d'Archéologie, de Philologie et d'Histoire, IFAO, Le Caire.
Suzanne RATIÉ
 1979, *La reine Hatchepsout. Sources et problèmes*, Leyde.
 1980, « Attributs et destinée de la princesse Neferuré », *BSEG* 4, 77-82.
 1986, « Quelques problèmes soulevés par la persécution de Toutankhamon », *Hommages à François Daumas*, 2, Montpellier, 545-550.
Maarten J. RAVEN
 1982, « The 30th Dynasty Nespamedu Family », *OMRO* 61, 19-32.
 1983, « Wax in Egyptian Magic and Symbolism », *OMRO* 64, 7-47.
John D. RAY
 1974, « Pharaoh Nechepso », *JEA* 60, 255-256.
 1982, « The Carian Inscriptions from Egypt », *JEA* 68, 181-198.
 1986, « Psammuthis and Hakoris », *JEA* 72, 149-158.
RdE = Revue d'Égyptologie, Paris.
REA = Revue des Études Anciennes, Paris.

BIBLIOGRAPHIE

Donald B. REDFORD

- 1967a, *History and Chronology of the Eighteenth Dynasty of Egypt. Seven Studies*, Toronto.
 1967b, « The Father of Khnumhotpe II of Beni Hasan », *JEA* 53, 158-159.
 1971, « The Earliest Years of Ramesses II, and the Building of the Ramesside Court at Luxor », *JEA* 57, 110-119.
 1972, « Studies in Relations Between Palestine and Egypt During the First Millenium B.C. : I, The Taxation System of Solomon », in *Story of the Ancient Palestinian World*, 141-156.
 1979a, « The Historical Retrospective at the Beginning of Thutmose III's Annals », *ÄAT* 1, 338-342.
 1979b, « The Historiography of Ancient Egypt », dans Kent WEEKS, *Egyptology and the Social Sciences*, The American University in Cairo Press, 3-20.
 1983, « Notes on the History of Ancient Buto », *BES* 5, 67-94.
 1984a, *Akhenaten. The Heretic King*, Princeton.
 1984b, « The Meaning and Use of the Term *gnwt* "Annals" », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 327-341.
 1985, « Sais and the Kushite Invasions of the Eight Century B.C. », *JARCE* 22, 5-15.
 1986a, « Egypt and Western Asia in the Old Kingdom », *JARCE* 23, 125-143.
 1986b, « New Light on Temple J at Karnak », *Or* 55, 1-15.
 1986c, *Pharaonic King-lists, Annals and Day-books. A Contribution to the Study of Egyptian Sense of History*, SSEA Publications 4.

Charles N. REEVES

- 1978, « A Further Occurrence of Nefertiti as *hmt nsw '3t* », *GM* 30, 61-70.
 1979, « A Fragment of Fifth Dynasty Annals at University College, London », *GM* 32, 47-52.
 1981a, « The Tomb of Tuthmosis IV : Two Questionable Attributions », *GM* 44, 49-56.
 1981b, « A Reappraisal of Tomb 55 in the Valley of the Kings », *JEA* 67, 48-55.
 1982a, « Akhenaten After All? », *GM* 54, 61-72.
 1982b, « Tuthmosis IV as "Great-Grandfather" of Tut' ankhamun », *GM* 56, 65-70.
 1981b, « A Reappraisal of Tomb 55 in the Valley of the Kings », *JEA* 67, 48-55.
REG = *Revue des Études Grecques*, Paris.

Walter Friedrich REINECKE

- 1977, « Ein Nubienfeldzug unter Königin Hatschepsut », dans *Ägypten und Kusch, Schr. Or.* 13, 369-376.
 1979, « Die mathematischen Kenntnisse der ägyptischen Verwaltungsbeamten », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 159-166.

E. REISER

- 1972, *Der königliche Harim im alten Ägypten und seine Verwaltung*, Diss. Wien 77.
La Revue du Caire, Le Caire.
Revue de l'Égypte Ancienne, Paris.
Revue du Louvre, Paris.
Revue de Philologie, Paris.
Revue de Synthèse, Paris.

E. A. E. REYMOND

- 1986, « The King's Effigy », *Hommages à François Daumas*, 2, Montpellier, 551-557.

J. RICHARDS & N. RYAN

- 1985, *Data Processing in Archaeology*, Cambridge.
RIDA = *Revue Internationale du Droit de l'Antiquité*, Paris.

R. T. RIDLEY

- 1983, « The Discovery of the Pyramid Texts », *ZÄS* 110, 74-80.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

Oskar M. RIEDEL

1981, « Das Transportproblem beim Bau der grossen Pyramiden », *GM* 52, 67-74.

1981-1982, « Nachtrag zu : " Das Transportproblem beim Bau der grossen Pyramiden " aus Heft 52 », *GM* 53, 47-50.

1985, *Der Pyramidenbau und seine Transportprobleme. Die Maschinen des Herodots*, Vienne.

Josef RIEDERER

1987, « Die chemische Analyse in der archäologischen Forschung », *GM* 100, 91-95.

Julien RIES

1986, *Théologies royales en Égypte et au Proche-Orient ancien et hellénisation des cultes orientaux*, Louvain.

RIHAO = *Revista del Instituto de Historia Antigua Oriental*, Buenos Aires.

RIK = *Ramesside Inscriptions in Karnak*, publiées par l'Oriental Institute, Chicago.

C. RINALDI

1983, *Le piramidi. Un'indagine sulle tecniche costruttive*, Milan.

Rites égyptiens, Fondation Égyptologique Reine Élisabeth, Bruxelles.

Robert K. RITNER

1980, « Khababash and the Satrap Stela — A Grammatical Rejoinder », *ZÄS* 107, 135-137.

Ibrahim RIZKANA & Jürgen SEEHER

1984, « New Light on the Relation of Maadi to the Upper Egyptian Cultural Sequence », *MDAIK* 40, 237-252.

1985, « The Chipped Stones at Maadi : Preliminary Reassessment of a Predynastic Industry and its Long-Distance Relations », *MDAIK* 41, 235-255.

1988, *Maadi, II, The Lithic Industries of the Predynastic Settlement*, AV 65.

F. et K. RIZQALLAH

1978, *La préparation du pain dans un village du Delta égyptien (province de Charqia)*, *BdE* 76.

David ROBERTS

1846-1849, *Egypt and Nubia*.

Gay ROBINS

1978, « Amenhotep I and the Child Amenemhat », *GM* 30, 71-76.

1981a, « The Value of the Estimated Ages of the Royal Mummies at Death as Historical Evidence », *GM* 45, 63-68.

1981b, « *hmt nsw wrt Meritaton* », *GM* 52, 75-82.

1982a, « Ahhotpe I, II and III », *GM* 56, 71-78.

1982b, « Meritamun, Daughter of Ahmose, and Meritamun, Daughter of Thutmose III », *GM* 56, 79-88.

1982c, « *S3t nsw nt ht.f Tf3* », *GM* 57, 55-56.

1983, « A Critical Examination of the Theory that the Right to the Throne of Ancient Egypt Passed Through the Female Line in the 18th Dynasty », *GM* 62, 67-78.

1987, « The Role of the Royal Family in the 18th Dynasty up to the Reign of Amenhotep III : 2. Royal Children », *Wepwawet* 3, 15-17.

1988, « Ancient Egyptian Sexuality », *DE* 11, 61-72.

G. ROBINS & C. C. D. SHUTE

1985, « Wisdom from Egypt and Greece », *DE* 1, 35-42.

1987, *The Rhind Mathematical Papyrus. An Ancient Egyptian Text*, British Museum Publications.

Alessandro ROCCATI

1982, *La littérature historique sous l'Ancien Empire égyptien*, LAPO, Paris.

1984, « Les papyrus de Turin », *BSFE* 99, 9-27.

s.d. *Il Museo Egizio di Torino*, Rome.

1987, (éd.) *La Magia in Egitto*, Milan.

BIBLIOGRAPHIE

A. ROCCHETTA

1598, *Voyages en Égypte des années 1597-1601*, trad. et comm. de C. Burri, N. et S. Sauneron, Voyageurs IFAO, 1974.

D. ROCCO

1982, « Los Habiru. Nuevos enfoques para un viejo problema », *RIHAO* 6, 113-124.

Günther ROEDER

1926, « Ramses II. als Gott. Nach den Hildesheimer Denkstein aus Horbêt », *ZÄS* 61, 57-67.

1956, « Amarna-Blöcke aus Hermopolis », *MDAIK* 14, 160-174.

1959, *Die ägyptische Götterwelt*, Zurich et Stuttgart.

1960a, *Mythen und Legenden um ägyptische Gottheiten und Pharaonen*, Zurich et Stuttgart.

1960b, *Kulte, Orakel und Naturverehrung im alten Ägypten*, Zurich et Stuttgart.

M. RÖMER

1975, « Bemerkungen zum Argumentationsgang von Erik Hornung "Der Eine und die Vielen" », *GM* 17, 47-66.

Ursula RÖSSLER-KÖHLER

1984, « Der König als Kind, Königsname und Maat-Opfer. Einige Überlegungen zu unterschiedlichen Materialien », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 929-945.

U. RÖSSLER-KÖHLER & D. KURTH

1988, *Zur Archäologie des 12. oberägyptischen Gaues. Bericht über zwei Surveys der Jahre 1980 und 1981*, *GOF* IV/16.

James F. ROMANO

1983, « A Relief of King Ahmose and Early Eighteenth Century Archaism », *BES* 5, 103-111.

1985, *Compte rendu de I. LINDBAD, Royal Sculpture of the Early 18th Dynasty*, *BiOr* 42, 614-619.

J. F. ROMANO & B. VON BOTHMER

1979, *The Luxor Museum of Ancient Egyptian Art, Catalogue*, ARCE.

John ROMER

1974, « Tuthmosis I and the Bīban el-Molūk : Some Problems of Attribution », *JEA* 60, 119-133.

1984, *Ancient Lives. The Story of the Pharaohs Tombmakers*, Londres.

J. ROSE

1985, « The songs of Re ». *Cartouches of the kings of Egypt*, Warrington.

Abraham ROSENVASSER

1972, « The Stele Aksha 505 and the Cult of Ramesses II as a God in the Army », *RIHAO* 1, 99-114.

1978, « La estela del año 400 », *RIHAO* 4, 63-85.

Ann Macy ROTH

1977-1978, « Ahhotep I and Ahhotep II », *Serapis* 4, 31-40.

Jean ROUSSEAU

1988, « Les calendriers de Djoser », *DE* 11, 73-86.

Georges ROUX

1985, *La Mésopotamie. Essai d'histoire politique, économique et culturelle*, Paris, Seuil.

RSO = *Rivista degli Studi Orientali*, Rome.

Gerhard RÜHLMANN

1971, « Deine Feinde fallen unter deinen Sohlen : Bemerkungen zu einem altorientalischen Machtsymbol », *WZU Halle* 20, 61-84.

Edna R. RUSSMANN

1974, *The Representation of the King, XXVth Dynasty*, Bruxelles.

1979, « Some Reflections on the Regalia of the Kushite Kings of Egypt », *Meroitica* 5, 49-54.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

Barbara RUSZCZYC

1977, « Taharqa à Tell Atrib », dans *Ägypten und Kusch*, Schr. Or. 13, 391-396.

Ramadan M. SA'AD

1975, « Fragments d'un monument de Toutânkhamon retrouvés dans le IX^e pylône de Karnak », *Karnak* 5, 93-109.

Ramadan M. SA'AD & Lise MANNICHE

1971, « A Unique Offering List of Amenophis IV Recently Found at Karnak », *JEA* 57, 70-72.

Ashraf I. SADEK

1979, « Glimpses of Popular Religion in the New Kingdom Egypt, I, Mourning for Amenophis I at Deir el-Medina », *GM* 36, 51-56.

Saeculum = Saeculum, Jahrbuch für Universalgeschichte, Fribourg, Munich.

Torgny SÄVE-SÖDERBERGH

1946, « Zu den äthiopischen Episoden bei Herodot », *Erasm. Rudbergianus* 44, 68-80.

L. SAFFIRIO

1981-1982, « Popoli dell' antica età della pietra in Egitto e Nubia », *Aegyptus* 71, 3-64 et 72, 3-42.

Sagesses antérieures aux PROVERBES, Faculté de Théologie, Institut Catholique, Paris, s.d.

Edward SAID

1980, *L'Orientalisme. L'Orient créé par l'Occident*, trad. C. Malamoud, Seuil, Paris.

Rushdi SAID & H. FAURE

1980, « Le cadre chronologique des phases pluviales et glaciaires de l'Afrique », dans *Histoire Générale de l'Afrique*, I, UNESCO, 395-434.

Rushdi SAID & Fouad YOUSRI

1963-1964, « Origin and Pleistocene History of River Nile Near Cairo, Egypt », *BIE* 45, 1-30.

Jean SAINTE FARE GARNOT

1948, *La vie religieuse dans l'ancienne Égypte*, coll. « Mythes et religions », P.U.F. SAK = *Studien zur Altägyptischen Kultur*, Hambourg.

Abd el-Aziz SALEH

1972, « The *gnbtyw* of Thutmosis III's *Annals* and the South Arabian *Geb(b)anitea* of the Classical Writers », *BIFAO* 72, 245-262.

1981, « Notes on the Ancient Egyptian *ṯ3-ntr*, 'God's-land' », *BIFAO du Centenaire*, 107-118.

A. B. SALMAN

1984, *Bibliography of Geology and Related Sciences Concerning Western Desert Egypt (1732-1984)*, Le Caire.

Georges SALMON

1905-1923, *Silvestre de Sacy (1758-1838)*, I-II, *Bibliothèque des arabisants français*, 1-2, IFAO.

Pierre SALMON

1965, *La politique égyptienne d'Athènes*, Bruxelles.

A. SAMMARCO

1935, *Précis de l'histoire d'Égypte*, IV, *Les règnes de 'Abbas, de Sa'id et d'Isma'il (1848-1879)*, Rome.

Julia Ellen SAMSON

1976, « Royal Names in Amarna History », *CdE* 51, 30-38.

1978, *Amarna, City of Akhenaton and Nefertiti*, Warminster.

1979a, « Akhenaten's Successor », *GM* 32, 53-58.

1979b, « The History of the Mystery of Akhenaten's Successor », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 291-298.

BIBLIOGRAPHIE

- 1981-1982, « Akhenaten's Coregent Ankhheperure-Nefernefruaten », *GM* 53, 51-54.
- 1982a, « Akhenaten's Coregent and Successor », *GM* 57, 57-60.
- 1982b, « Nefernefruaten-Nefertiti « Beloved of Akhenaten ». Ankhheperure Nefernefruaten « Beloved of Akhenaten ». Ankhheperure Smenkhkare », *GM* 57, 61-68.
- 1985, *Nefertiti and Cleopatra. Queen-monarchs of Ancient Egypt*, Londres.
- Maj SANDMAN**
- 1938, *Texts from the Time of Akhenaten*, *BAE* 8.
- G. SANDYS, W. LITHGOW**
- 1611-1612, *Voyages en Égypte des années 1611 et 1612*, Georges Sandys et William Lithgow, traduits, présentés et annotés par O. Volkoff, Voyageurs IFAO 7, 1973.
- SAOC = Studies in Ancient Oriental Civilization*, Oriental Institute, Chicago.
- Helmut SATZINGER**
- 1984, « Zu den neubabylonischen Transkriptionen ägyptischer Personennamen », *GM* 73, 89-90.
- Serge SAUNERON**
- 1950, « Trois personnages du scandale d'Éléphantine », *RdE* 7, 53-62.
- 1952, « La forme égyptienne du nom Teshub », *BIFAO* 51, 57-59.
- 1954, « La justice à la porte des temples (à propos du nom égyptien des propylées) », *BIFAO* 54, 117-128.
- 1955, « Quelques sanctuaires égyptiens des oasis de Dakhleh et de Khargeh », *Cahiers d'Histoire Égyptienne* 7, 279-299.
- 1959, « Les songes et leur interprétation dans l'Égypte ancienne », *Sources Orientales* 2, Seuil, 18-61.
- 1962, *Les prêtres de l'ancienne Égypte*, Seuil, Paris. Réédition, Paris, 1988.
- 1966, « une visite à Soleb en 1850 », *BIFAO* 64, 193-196.
- 1968a, *L'égyptologie*, coll. « Que sais-je ? », n° 1312, P.U.F., Paris.
- 1968b, « Les désillusions de la guerre asiatique (Papyrus Deir el-Médineh 35) », *Kémi* 18, 17-27.
- 1971, « Deux épisodes de l'exploration des pyramides », *Beiträge zur ägyptischen Bauforschung und Altertumskunde* 12, 113-119.
- 1974, *Villes et Légendes d'Égypte (1-45)*, recueil des articles parus dans le *BIFAO*, IFAO.
- S. SAUNERON & H. STIERLIN**
- 1975, *Derniers temples d'Égypte : Edfou et Philae*, Paris.
- S. SAUNERON & J. YOYOTTE**
- 1950, « Traces d'établissements asiatiques en Moyenne Égypte sous Ramsès II », *RdE* 7, 67-70.
- 1952, « La campagne nubienne de Psammétique II et sa signification historique », *BIFAO* 50, 157-207.
- Abd el-Monem A. H. SAYED**
- 1977, « Discovery of the Site of the 12th Dynasty Port at Wādi Gawāsis on the Red Sea Shore », *RdE* 29, 138-178.
- 1983, « New Light on the Recently Discovered Port on the Red Sea Shore », *CdE* 58, 23-37.
- SBAW = Sitzungsberichte der Bayerischen Akademie der Wissenschaften*, Munich.
- Ernesto SCAMUZZI**
- 1966, *L'art égyptien au Musée de Turin*, Hachette.
- H. SCHAEDEL**
- 1936, *Die Listen des grossen Papyrus Harris. Ihre wissenschaftliche und politische Ausdeutung*, *LÄS* 6.
- A. SCHÄFER**
- 1986, « Zur Entstehung der Mitregenschaft als Legitimationsprinzip von Herrschaft », *ZÄS* 113, 44-55.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

Heinrich SCHÄFER

1901, *Die äthiopische Königsinschrift der Berliner Museums*, Leipzig.

1963, *Von ägyptischer Kunst*, 4^e édition revue par E. Brunner-Traut, Wiesbaden.

H. SCHÄFER & W. ANDRAE

1925, *Die Kunst des alten Orients*, Berlin.

Alexander SCHARFF

1936, *Der historische Abschnitt der Lehre für König Merikarê*, Munich.

Bernd SCHEEL

1985, « Studien zum Metallhandwerk im Alten Ägypten. I. Handlungen und Beischriften in den Bildprogrammen des Gräber des Alten Reiches », *SAK* 12, 117-178.

1986, « Studien zum Metallhandwerk im Alten Ägypten. II. Handlungen und Beischriften in den Bildprogrammen der Gräber des Mittleren Reiches », *SAK* 13, 181-206.

1988, « Anmerkungen zur Kupferverhüttung und Kupferraffination im Alten Ägypten », *DE* 11, 87-97.

Wolfgang SCHENKEL

1974, « Die Einführung der künstlichen Felderbewässerung im alten Ägypten », *GM* 11, 41-46.

1977, « Zur Frage der Vorlagen spätzeitlicher "Kopien" », dans *Fragen an die altägyptische Literatur*, Stud. E. Otto, Wiesbaden, 417-442.

1978, *Die Bewässerungsrevolution im alten Ägypten*, Sond. DAIK 6.

1979, « Atlantis : die "namenlose" Insel », *GM* 36, 57-60.

1986, « Das Wort für "König (von Oberägypten)" », *GM* 94, 57-73.

Romuald SCHILD & Fred WENDORF

1977, *The Prehistory of Dakhla Oasis and Adjacent Desert*, Polska Akademia Nauk Instytut Historii Kultury Materialnej, Varsovie.

Hermann A. SCHLÖGL

1985, *Echnaton-Tutanchamun. Fakte und Texte*, 2^e éd., Wiesbaden.

1986, *Amenophis IV. Echnaton. Mit Selbstzeugnissen und Bilddokumenten dargestellt*, Reinbek.

A. SCHLOTT-SCHWAB

1981, *Die Ausmasse Ägyptens nach altägyptischen Texten*, ÄAT 3.

1983, « Weitere Gedanken zur Entstehung des altägyptischen Staates », *GM* 67, 69-80.

Klaus SCHMIDT

1984, « Zur Frage der ökonomischen Grundlagen frühbronzezeitlicher Siedlungen im Südsinai », *MDAIK* 40, 261-264.

Bettina SCHMITZ

1978, « Untersuchungen zu zwei Königinnen der frühen 18. Dynastie, Ahhotep und Ahmose », *CdE* 53, 207-221.

Piotr SCHOLTZ

1984, « Fürstin Iti — "Schönheit aus Punt" », *SAK* 11, 529-556.

Erika SCHOTT

1972-1977, « Bücher und Bibliotheken im alten Ägypten », *GM* 1, 24-27 ; 25, 73-80.

Siegfried SCHOTT

1945, *Mythe und Mythenbildung im alten Ägypten*, UGAÄ 15.

1950, *Altägyptische Fesdaten*, AAWLM 1950. 10.

1956a, *Zum Krönungstag der Königin Hatschepsut*, NAWG 1956/4.

1956b, *Les chants d'amour de l'Égypte ancienne*, traduit de l'allemand par P. Krieger, coll. « l'Orient illustré », Paris.

1957, *Die Reinigung Pharaos in einem memphitischen Tempel*, Göttingen.

1959, « altägyptische Vorstellungen vom Weltende », *Analecta Biblica* 12, 319-330.

1964, *Der Denkstein Sethos I. für die Kapelle Ramses' I. in Abydos*, Göttingen.

BIBLIOGRAPHIE

- 1965, « Aufnahmen vom Hungersnotrelief aus dem Aufweg der Unaspyramide », *RdE* 17, 7-13.
- 1969, « Le temple du sphinx à Giza et les deux axes du monde égyptien », *BSFE* 53-54, 31-41.
- Schr. Or.* = *Schriften zur Geschichte und Kultur des Alten Orients*, Berlin-Est.
- Th. V. SCHULLER-GÖTZBURG**
- 1986, « Zur Familiengeschichte der 11. Dynastie », *GM* 90, 67-70.
- Alan R. SCHULMAN**
- 1964, *Military Rank, Title and Organization in the Egyptian New Kingdom*, *MÄS* 6.
- 1966, « A Problem of Pedubasts », *JARCE* 5, 33-41.
- 1979a, « Diplomatic Marriage in the Egyptian New Kingdom », *JNES* 38, 177-194.
- 1979b, « The Nubian War of Akhenaton », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 299-316.
- 1980, « Chariots, Chariotry and the Hyksos », *JSEA* 10, 105-153.
- 1984, « Reshep at Zagazig : a New Document », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens*, Festschrift W. Westendorf, 855-863.
- Peter H. SCHULZE**
- 1976, *Herrin beider Länder Hatschepsut (Frau, Gott und Pharao)*, Bergisch-Gladbach.
- 1980, *Auf den Schwingen des Horusfalken. Die Geburt der ägyptischen Hochkultur*, Bergisch Gladbach.
- 1983, *Der Sturz des göttlichen Falken. Revolution im alten Ägypten*, Bergisch Gladbach.
- R. A. SCHWALLER DE LUBICZ**
- 1949, *Le temple dans l'Homme*, Le Caire.
- 1982, *Les temples de Karnak. Contribution à l'étude de la pensée pharaonique. Photographies de G. et V. de Miré, notices de L. Lamy*, Paris.
- Jacques SCHWARTZ**
- 1949a, « Les conquérants perses et la littérature égyptienne », *BIFAO* 48, 65-80.
- 1949b, « Le " Cycle de Pétoubastis " et les commentaires égyptiens de l'Exode », *BIFAO* 49, 67-83.
- 1951, « Hérodote et l'Égypte », *Revue Archéologique*, 6^e série, 37, 143-150.
- J.-C. SCHWARZ**
- 1979, « La médecine dentaire dans l'Égypte ancienne », *BSEG* 2, 37-43.
- Ursula SCHWEITZER**
- 1948, *Löwe und Sphinx im alten Ägypten*, *ÄF* 15.
- Geneviève SÉE**
- 1973, *Naissance de l'urbanisme dans la vallée du Nil*, éd. Serg.
- 1974, *Grandes villes de l'Égypte antique*, éd. Serg.
- K. C. SERLE**
- 1940, *The Coregency of Ramses II with Seti I and the Date of the Great Hypostyle Hall at Karnak*, Chicago.
- Erwin SEIDL**
- 1964, *Altägyptisches Recht*, *HdO* I/E.3.
- Serapis*, Chicago.
- Kurt SETHE**
- 1896, *Die Thronwirren unter den Nachfolgern Königs Thutmosis' I. Die Prinzenliste von Medinet Habu, Untersuchungen* 1.
- 1912, *Die Einsetzung des Veziers unter der 18. Dynastie*, *UGAA* 5.
- 1914, *Übersetzung zu den Heften 1-4 der Urk. IV*, réédition 1984, Leipzig.
- 1930, *Urkunden der ägyptischen Altertums*, IV, *Urkunden der 18. Dynastie*, Leipzig.
- 1935, *Urkunden der ägyptischen Altertums*, VII, *Urkunden des Mittleren Reiches*, Leipzig.
- Jürgen SETTGAST**
- 1963, « Materialien zur Ersten Zwischenzeit, I », *MDAIK* 19, 7-15.
- 1969, « Zu ungewöhnlichen Darstellungen von Bogenschützen », *MDAIK* 25, 136-138.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

A. SEVERYNS

1960, *Grèce et Proche-Orient avant Homère*, Bruxelles.

Karl Joachim SEYFRIED

1976, « Nachträge zu Yoyotte 'Les Sementiou...' », *BSFE* 73, 44-55.

1981, *Beiträge zu den Expeditionen des Mittleren Reiches in der Ostwüste*, HÄB 15.

1987, « Bemerkungen zur Erweiterung der unterirdischen Anlagen einiger Gräber des Neuen Reiches in Thebes — Versuch einer Deutung », *ASAE* 71, 229-249.

SHAW = *Sitzungsberichte der Heidelberger Akademie der Wissenschaften*.

Ian M. E. SHAW

1984, « The Egyptian Archaic Period : a Reappraisal of the c-14 Dates (I) », *GM* 78, 79-86.

1985, « Egyptian Chronology and the Irish Oak Calibration », *JNES* 44, 295-318.

Negm el-Din Mohamed SHERIF

1980, « La Nubie avant Napata (3100 à 750 avant notre ère) », dans *Histoire Générale de l'Afrique*, II, UNESCO, 259-294.

E. J. SHERMAN

1982, « Ancient Egyptian Biographies of the Late Period (380 BCE through 246 BCE) », *NARCE* 119, 38-41.

A. SILIOTTI

1985, *Viaggiatori veneti alla scoperta dell'Egitto. Itinerari di storia e arte*, Venise.

David SILVERMAN

1969, « Pygmies and Dwarves in the Old Kingdom », *Serapis* 1, 53-62.

Joachim SLIWA

1974, « Some Remarks Concerning Victorious Ruler Representations in Egyptian Art », *FuB* 16, 97-117.

William Kelly SIMPSON

1965, « The Stela of Amun-wosre, Governor of Upper Egypt in the Reign of Ammenemes I or II », *JEA* 51, 63-68.

1974, « Polygamy in Egypt in the Middle Kingdom », *JEA* 60, 100-105.

1980, « Mariette and Verdi's Aïda », *BES* 2, 111-120.

1981, « Textual Notes on the Elephantine Building Text of Sesostri I and the Zizina Fragment From the Tomb of Horemheb », *GM* 45, 69-70.

1982a, « Egyptian Sculpture and Two-dimensional Representation as Propaganda », *JEA* 68, 266-271.

1982b, « A Relief of a Divine Votaress in Boston », *CdE* 57, 231-235.

B. SLEDZIANOWSKI

1973, « Alessandra Nibbi, *The Sea Peoples : a Reexamination of the Egyptian Sources* », *GM* 5, 59-62.

Harry S. SMITH

1972, « Dates of the Obsequies of the Mother of Apis », *RdE* 24, 176-187.

1979, « The Excavation of the Anubieion at Saqqara : a Contribution to Memphite Topography and Stratigraphy (from 400 BC-641 AD) », dans *L'égyptologie en 1979*, I, 279-282.

H. S. & A. SMITH

1976, « A Reconsideration of the Kamose Texts », *ZÄS* 103, 48-76.

H. S. SMITH & R. M. HALL

1983, *Ancient Centres of Egyptian Civilization*, Londres.

Mark J. SMITH

1980, « A Second Dynasty King in a Demotic Papyrus of the Roman Period », *JEA* 66, 173.

R. W. SMITH & D. REDFORD

1976, *The Akhenaten Temple Project*, 1, *Initial Discoveries*, Warminster.

1988, *The Akhenaten Temple Project*, 2, *The Temple Rwd-Mnzw and the Inscriptions*, Warminster.

BIBLIOGRAPHIE

W. S. SMITH

1978, *A History of Egyptian Sculpture and Painting in the Old Kingdom*.

SNR = *Sudan Notes and Records*, Khartoum.

Sond. DAIK = *Sonderdrucke des Deutschen Archäologischen Instituts in Kairo*, Le Caire.

Georges SOUKIASSIAN

1981, « Une étape de la proscription de Seth », *GM* 44, 59-68.

Hourig SOUROUZIAN

1981, « L'apparition du pylône », *BIFAO du Centenaire*, 141-152.

1983, « Henout-mi-Rê, fille de Ramses II et grande épouse du roi », *ASAE* 69, 365-371.

Anthony J. SPALINGER

1973, « The Year 712 BC and its Implications for Egyptian History », *JARCE* 10, 95-101.

1974a, « Assurbanipal and Egypt : a Source Study », *JAS* 94, 316-328.

1974b, « Some Notes on the Battle of Megiddo and Reflections on Egyptian Military Writing », *MDAIK* 30, 221-229.

1974c, « Esarhaddon and Egypt : an Analysis of the First Invasion of Egypt », *Or* 43, 295-326.

1977a, « A Critical Analysis of the "Annals" of Thutmose III (*Stücke* V-VII) », *JARCE* 14, 41-54.

1977b, « Egypt and Babylonia : a Survey (c. 620 BC-550 BC) », *SAK* 5, 221-244.

1978a, « A New Reference to an Egyptian Campaign of Thutmose III in Asia », *JNES* 37, 35-41.

1978b, « The Date of the Death of Gyges and its Historical Implications », *JAS* 98, 400-409.

1978c, « A Canaanite Ritual Found in Egyptian Reliefs », *JSSSEA* 8, 47-60.

1978d, « The Foreign Policy of Egypt Preceding the Assyrian Conquest », *CdE* 53, 22-47.

1978e, « The Concept of the Monarchy During the Saite Epoch — an Essay of Synthesis », *Or* 47, 12-36.

1978f, « The Reign of King Chababash : an Interpretation », *ZÄS* 105, 142-154.

1979a, « Egyptian-Hittite Relations at the Close of the Amarna Period and Some Notes on Hittite Military Strategy in North Syria », *BES* 1, 55-90.

1979b, « Some Additional Remarks on the Battle of Megiddo », *GM* 33, 47-54.

1979c, « The Northern Wars of Seti I : an Integrative Study », *JARCE* 16, 29-47.

1979d, « Traces of the Early Career of Ramesses II », *JNES* 38, 271-286.

1979e, « Some Notes on the Libyans of the Old Kingdom and Later Historical Reflexes », *JSSSEA* 9, 125-162.

1979f, « Traces of the Early Career of Seti I », *JSSSEA* 9, 227-240.

1980a, « Addenda to "The Reign of King Chababash : An Interpretation" (*ZÄS* 105, 1978, pp. 142-154) », *ZÄS* 107, 87.

1980b, « Remarks on the Family of Queen *h'.s.nbw* and the Problem of Kinship in Dynasty XIII », *RdE* 32, 95-116.

1980c, « Historical Observations on the Military Reliefs of Abu Simbel and Other Ramesside Temples in Nubia », *JEA* 66, 83-99.

1981a, « Considerations on the Hittite Treaty Between Egypt and Hatti », *SAK* 9, 299-358.

1981b, « Notes on the Military in Egypt During the XXVth dynasty », *JSSSEA* 11, 37-58.

1983, « The Historical Implications of the Year 9 Campaign of Amenophis II », *JSSSEA* 13, 89-101.

1986a, « Baking During the Reign of Seti I », *BIFAO* 86, 307-352.

1986b, « Foods in P. Bulaq 18 », *SAK* 13, 207-248.

1987, « The Grain System of Dynasty 18 », *SAK* 14, 283-311.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

D. SPANEL

1984, « The Date of Ankhtifi of Mo'alla », *GM* 78, 87-94.

J. H. SPEKE

1865, *Les sources du Nil. Journal de voyage du capitaine J. H. Speke...*, Paris.

P. A. & A. J. SPENCER

1986, « Notes on Late Libyan Egypt », *JEA* 72, 198-201.

Joachim SPIEGEL

1957a, « Der "Ruf" des Königs », *WZKM* 54, 191-203.

1957b, « Zur Kunstentwicklung der zweiten Hälfte des Alten Reiches », *MDAIK* 15, 225-261.

SSEA = Society of the Studies of Egyptian Antiquities, Toronto.

Rainer STADELMANN

1965, « Ein Beitrag zum Brief des Hyksos Apophis », *MDAIK* 20, 62-69.

1980, « Snofru und die Pyramiden von Meidum und Dahschur », *MDAIK* 36, 437-449.

1981a, « Die lange Regierung Ramses' II. », *MDAIK* 37, 457-464.

1981b, « La ville de pyramide à l'Ancien Empire », *RdE* 33, 67-77.

1983, « Das vermeintliche Sonnenheiligtum im Norden des Djoserbezirkes », *ASAE* 69, 373-378.

1984, « Khaefkhufu = Chephren. Beiträge zur Geschichte der 4. Dynastie », *SAK* 11, 165-172.

1985, *Die ägyptischen Pyramiden. Vom Ziegelbau zum Weltwunder*, « Kulturgeschichte der antiken Welt », 30, Mayence.

1987, « Königinnengrab und Pyramidenbezirk im Alten Reich », *ASAE* 71, 251-260.

Elisabeth STAEHELIN

1966, *Untersuchungen zur ägyptischen Tracht im Alten Reich*, *MÄS* 8.

Georg STEINDORFF

1932, « Nubien, die Nubier und die sogenannten Troglodyten », dans *Studies Griffith*, Oxford, 358-368.

Frank STEINMANN

1980-1984, « Untersuchungen zu den in der handwerklich-künstlerischen Produktion beschäftigten Personen und Berufsgruppen des Neuen Reichs », *ZÄS* 107, 137-157; 109, 66-72 et 149-156; 111, 30-40.

Stèle de la Victoire = Stèle triomphale de Pi(ankh)y, citée d'après Grimal : 1981a.

Stèle du Songe = Stèle de Tantamani, citée d'après Grimal : 1981b.

H. M. STEWART

1960, « Some pre-Amarnah Sun-hymns », *JEA* 46, 83-90.

Henri STIERLIN

1984, *Égypte. Des origines à l'Islam*, Paris.

Lothar STÖRK

1973, « Gab es in Ägypten einen rituellen Königsmord ? », *GM* 5, 31-32.

1979, « Beginn und Ende einer Reise nach Punt : das Wadi Tumilat », *GM* 35, 93-98.

1981a, « Zur Etymologie von *h3b* "Flusspferd" », *GM* 43, 61-62.

1981b, « Er ist ein Gott, während ich ein Herrscher bin ». Die Anfechtung der Hyksossuzeränität unter Kamose », *GM* 43, 63-66.

1981c, « Was störte der Hyksos Apophis am Gebrüll der thebanischen Nilpferde ? », *GM* 43, 67-68.

John STRANGE

1973, « A "New" Proposal for the Identity of Keftiu/Caphtor. A Preliminary Account », *GM* 8, 47-52.

Cornelia STRAUSS-SEEGER

1987, « Zum Statuenprogramm Ramses' II. im Luxortempel », in *Tempel und Kult*, *ÄA* 46, 24-42.

BIBLIOGRAPHIE

Eugen STROUHAL

1979, « Queen Mutnodjmet at Memphis — Anthropological and Paleopathological Evidence », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 317-322.

Nigel STRUDWICK

1985, *The Administration of Egypt in the Old Kingdom*, Londres.

Stud. Aeg = Studia Aegyptiaca, Budapest.

Stud. Semitici = Studi Semitici, Rome.

Émile SUYS

1933, *Étude sur le conte du fellah plaideur, récit égyptien du Moyen Empire*, AnOr 5.

Nabil M. A. SWELIM

1971, « The Funerary Complex of Horus Neter-khet at Sakkara », *AHS Alexandrie* 4, 30-38.

1974, « Horus Senerka, an Essay on the Fall of the First Dynasty », *AHS Alexandrie* 5, 67-78.

1983, *Some Problems on the History of the Third Dynasty*, *AHS Alexandrie* 7.

S. SYMEONOGLOU

1985, *The Topography of Thebes. From the Bronze Age to Modern Times*, Princeton. Syria, Paris.

Zbigniew SZAFRANSKI

1979, « Problem of Power-concentration in Hands of One Family in Edfu at the Time of Sebekhetep IV. Genealogical Tree-preliminary Study », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 173-176.

1983, « Some Remarks About the Process of Democratization of the Egyptian Religion in the Second Intermediate Period », *ET* 12, 53-66.

1985, « Buried Statues of Mentuhotep II Nebhepetre and Amenophis I at Deir el-Bahari », *MDAIK* 41, 257-264.

TAB = Tübinger Ägyptologische Beiträge, Tübingen.

Jacques TAGHER

1950, « Fouilleurs et antiquaires en Égypte au XIX^e siècle », *Cahiers d'Histoire Égyptienne* 3, 72-86.

TAVO = Tübinger Atlas des Vorderen Orients, Wiesbaden.

Sayed TAWFIK

1981, « Aton Studies 6. Was Nefernefruaten the Immediate Successor of Akhenaten ? », *MDAIK* 37, 469-474.

Emily TEETER

1986, « The Search for Truth : A Preliminary Report on the Presentation of Maat », *NARCE* 134, 3-13.

Roland TEFNIN

1979a, *La statuaire d'Hatschepsout*, Bruxelles.

1979b, « Image et histoire. Réflexions sur l'usage documentaire de l'image égyptienne », *CdE* 54, 218-244.

1981, « Image, écriture, récit. À propos des représentations de la bataille de Qadach », *GM* 47, 55-78.

1986, « Réflexions sur l'esthétique amarnienne, à propos d'une nouvelle tête de princesse », *SAK* 13, 255-262.

Gertrud THAUSING

1948, « Zur Frage der "juristischen Person" im ägyptischen Recht », *WZKM* 51, 14-20.

Aristide THÉODORIDÈS

1967, « À propos de la loi dans l'Égypte pharaonique », *RIDA*, 3^e série, 14, 107-152.

1973, « Les Égyptiens anciens, "citoyens" ou "sujets" de Pharaon ? », *RIDA*, 3^e série, 20, 51-112.

1974, « Le problème du droit égyptien ancien », in *Le Droit égyptien ancien*, Institut des Hautes Études de Belgique, 3-24.

Heinz-J. THISSEN

1984a, « Ziegelfabrikation nach demotischen Texten », *Enchoria* 12, 51-56.

1984b, *Die Lehre des Ancheschonsi (P. BM 10508). Einleitung, Übersetzung, Indices*, Bonn.

Elisabeth THOMAS

1959, « Ramesses III : Notes and Queries », *JEA* 45, 101-102.

1967, « Was Queen Mutnedjmet the Owner of Tomb 33 in the Valley of the Queens? », *JEA* 53, 161-163.

1980, « The Tomb of Queen Ahmose (?) Merytamen, Theban Tomb 320 », *Serapis* 6, 171-181.

1981a, *Gurob*, I-II, Warminster.

1981b, *Gurob. A New Kingdom town*, *Egyptology Today* 5.

C. TIETZE

1985, « Amarna. Analyse der Wohnhäuser und soziale Struktur der Stadtbewohner », *ZÄS* 112, 48-84.

1986, « Amarna, II », *ZÄS* 113, 55-78.

Herbert TOMANDL

1984, « Der Gefangenfries am Thronuntersatz aus dem Amuntempel von Napata », *GM* 82, 65-72.

1986, « Die Thronuntersätze vom Amuntempel in Meroe und Jebel Barkal. Ein ikonographischer Vergleich », *VA* 2, 63-72.

Laszlo TÖRÖK

1979, « The Art of the Ballana Culture and its Relation to Late Antique Art », *Meroitica* 5, 85-100.

1984a, « Economy in the Empire of Kush : A Review of the Written Evidence », *ZÄS* 111, 45-69.

1984b, « Meroitic Architecture : Contributions to Problems of Chronology and Style », *Meroitica* 7, 351-366.

1987, « The Royal Crowns of Kush. A Study in Middle Nile Valley Regalia and Iconography in the 1st Millenia B. C. and A. D. », Cambridge BARIS 338.

A. D. TOUNY & St. WENIG

1969, *Der Sport im alten Ägypten*, Leipzig.

Claude TRAUNECKER

1975, « Une stèle commémorant la construction de l'enceinte d'un temple de Montou », *Karnak* 5, 141-158.

1979, « Essai sur l'histoire de la XXIX^e dynastie », *BIFAO* 79, 395-436.

1980, « Un nouveau document sur Darius I^{er} à Karnak », *Karnak* 6, 209-213.

1984, « Données nouvelles sur le début du règne d'Amenophis IV et son œuvre à Karnak », *JSSSEA* 14, 60-69.

1986, « Aménophis IV et Nefertiti : Le couple royal d'après les talatates du IX^e pylône de Karnak », *BSFE* 107, 17-44.

1987, « Les "temples hauts" de Basse Époque : un aspect du fonctionnement économique des temples », *RdE* 38, 147-162.

Claude et Françoise TRAUNECKER

1984-1985, « Sur la salle dite "du couronnement" à Tell el-Amarna », *BSEG* 9-10, 285-307.

Cl. TRAUNECKER & J.-C. GOLVIN

1984, *Karnak. Résurrection d'un site*, Payot, Paris.

Cl. TRAUNECKER, F. LE SAOUT & O. MASSON

1981, *La chapelle d'Achôris à Karnak*, II, Centre Franco-Égyptien des Temples de Karnak, *Mémoires* 2.

Jorge A. TRENCH

1988, « Geometrical Model for the Ascending and Descending Corridors of the Great Pyramid », *GM* 102, 85-94.

BIBLIOGRAPHIE

Bruce G. TRIGGER

- 1979a, « The Narmer Palette in Cross-cultural Perspective », *ÄAT* 1, 409-419.
 1979b, « Egypt and the Comparative Study of Early Civilizations », dans Kent WEEKS, *Egyptology and the Social Sciences*, The American University in Cairo Press, 23-56.
 1981, « Akhenaten and Durkheim », *BIFAO du Centenaire*, 165-184.
 B. G. TRIGGER, B. KEMP, D. O'CONNOR
 1983, *Ancient Egypt. A Social History*, Cambridge.

Lana TROY

- 1979, « Ahhotep — A Source Evaluation », *GM* 35, 81-92.
 1981, « One Merytamun Too Many. An Exercise in Critical Method », *GM* 50, 81-96.
 TT = Tombe thébaine, citée d'après PM.

A. TULHOFF

- 1984, *Tutmosis III. 1490-1436 v. Chr. Das ägyptische Weltreich auf dem Höhepunkt der Macht*, Munich.
 UGAA = *Untersuchungen zur Geschichte und Altertumskunde Ägyptens*, Berlin.

Eric P. UPHILL

- 1965, « The Egyptian Sed-festival Rites », *JNES* 24, 365-383.
 1965-1966, « the Nine Bows », *JÉOL* 19, 393-420.
 1975, « The Office *sd3wty bity* », *JEA* 61, 250.
 1984a, *The Temples of Per-Ramesses*, Warminster.
 1984b, « The Sequence of Kings for the First dynasty », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 653-667.
 Urk. IV, 1-1226 = Sethe : 1930.
 Urk. IV, 1227-2179 = Helck : 1955.
 Urk. VII = Sethe : 1935.
 VA = *Varia Aegyptiaca*, San Antonio, Cal.

Frantisek VAHALA

- 1970, « Der Elephant in Ägypten und Nubien » *ZÄS* 98, 81-83.

P. VAILLANT

- 1984, *J.-F. Champollion, lettres à son frère 1804-1818*, « Champollion et son temps » 2.

Dominique VALBELLE

- 1979, « Modalités d'une enquête ponctuelle sur la vie quotidienne », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 177-178.
 1985a, « Les ouvriers de la tombe ». *Deir el-Médineh à l'époque ramesside*, BdE 96.
 1985b, « Éléments sur la démographie et le paysage urbains, d'après les papyrus documentaires d'époque pharaonique », *CRIPÉL* 7, 75-90.
 1987, « Les recensements dans l'Égypte pharaonique des troisième et deuxième millénaires », *CRIPÉL* 9, 33-52.

Michel VALLOGGIA

- 1964, « Remarques sur les noms de la reine Sebek-Ka-Re Neferou-Sebek », *RdE* 16, 45-53.
 1969, « Amenemhat IV et sa corégence avec Amenemhat III », *RdE* 21, 107-133.
 1974, « Les vizirs des XI^e et XII^e dynasties », *BIFAO* 74, 123-134.
 1976, *Recherche sur les « messages » (upwtjw) dans les sources égyptiennes profanes*, EPHE N, II/9, Genève.
 1981, « This sur la route des oasis », *BIFAO du Centenaire*, 185-190.
 1986, *Balat I, Le mastaba de Medou-nefer*, IFAO, Le Caire.

G. P. F. VAN DEN BOORN

- 1982, « On the Date of The Duties of the Vizier », *Or* 51, 369-381.

Dirk VAN DER PLAS

- 1986, *L'Hymne à la crue du Nil*, *Egyptologische Uitgaven* IV, Leyde.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

Claude VANDERSLEYEN

- 1967, « Une tempête sous le règne d'Amosis », *RdE* 19, 123-159.
 1971a, *Les guerres d'Amosis, fondateur de la XVIII^e dynastie*, MRE 1.
 1971b, « Des obstacles que constituent les cataractes du Nil », *BIFAO* 69, 253-266.
 1975-1976, « Aménophis III incarnant le dieu Neferhotep », *OLP* 6/7, 535-542.
 1980, « Les deux Ahhotep », *SAK* 8, 233-242.
 1981, « Sources égyptiennes pour l'Éthiopie des Grecs », *BIFAO du Centenaire*, 191-196.
 1983a, « Un seul roi Taa sous la 17^e Dynastie », *GM* 63, 67-70.
 1983b, « L'identité d'Ahmès Sapaïr », *SAK* 10, 311-324.
 1985, *Das alte Ägypten*, Propyläen Kunstgeschichte 18.
 1987, « Une tête de Chéfredon en granit rose », *RdE* 38, 194-197.

Baudouin VAN DE WALLE

- 1976, « La découverte d'Amarna et d'Akhenaton », *RdE* 28, 7-24.
 1979, « Les textes d'Amarna se réfèrent-ils à une doctrine morale ? », *OBO* 28, 353-362.

Jacques VANDIER

- 1936, *la famine dans l'Égypte ancienne*, IFAO, RAPH 7.
 1949, *La religion égyptienne*, coll. « Mana », P.U.F.
 1950, *Mo'alla. La tombe d'Ankhtifi et la tombe de Sébekhotep*, IFAO, BdE 18.
 1952, *Manuel d'archéologie égyptienne*, I, *Les époques de formation, La préhistoire — les trois premières dynasties*, Paris, Picard.
 1954, *Manuel d'archéologie égyptienne*, II, *Les grandes époques, L'architecture funéraire*, Paris, Picard.
 1955a, *Manuel d'archéologie égyptienne*, II, *Les grandes époques, L'architecture religieuse et civile*, Paris, Picard.
 1955b, « Hémén et Taharqa », *RdE* 10, 73-79.
 1958, *Manuel d'archéologie égyptienne*, III, *Les grandes époques, La statuaire*, Paris, Picard.
 1964, *Manuel d'archéologie égyptienne*, IV, *Bas-reliefs et peintures, scènes de la vie quotidienne*, 1, Paris, Picard.
 1969, *Manuel d'archéologie égyptienne*, V, *Bas-reliefs et peintures, scènes de la vie quotidienne*, 2, Paris, Picard.
 1971, « Ramsès-Siptah », *RdE* 23, 165-191.
 1978, *Manuel d'archéologie égyptienne*, VI, *Bas-reliefs et peintures, scènes de la vie agricole à l'Ancien et au Moyen Empire*, Paris, Picard.

Jacobus VAN DIJK

- 1979, « The Luxor Building Inscription of Ramesses III », *GM* 33, 19-30.

J. VAN DIJK & M. EATON-KRAUSS

- 1986, « Tutankhamun at Memphis », *MDAIK* 42, 35-44.

Joos VAN GHISTELE

- 1482-1483, *Le voyage en Égypte de Joos van Ghistele, 1482-1483*. Traduction, introduction et notes de R. Bauwens-Préaux, Voyageurs IFAO 16, 1976.

John VAN SETERS

- 1954, « A Date for the Admonitions in the Second Intermediate Period », *JEA* 50, 13-23.

- 1967, *The Hyksos. A New Investigation*, réédition, New Haven.

- 1983, *In Search of History. Historiography in the Ancient World and the Origins of Biblical History*, Londres.

Charles Cornell VAN SICLEN III

- 1973, « The Accession Date of Amenhotep III and the Jubilee », *JNES* 32, 290-300.
 1984, « The Date of the Granite Bark Shrine of Tuthmosis III », *GM* 79, 53-54.
 1985, « Amenhotep II at Dendera (lunet) », *VA* 1, 69-73.
 1987a, « Amenhotep II and the Mut Temple Complex at Karnak », *VA* 3, 281-282.
 1987b, « Amenhotep II, Shabako, and the Roman Camp at Luxor », *VA* 3, 157-165.

BIBLIOGRAPHIE

Alexandre VARILLE

1947, *À propos des pyramides de Snefrou*, Le Caire.

VdQ = Vallée des Reines + numéro de la tombe, cité d'après *PM I*².

VdR = Vallée des Rois + numéro de la tombe, cité d'après *PM I*².

M. VENIET

1982, « Greek Pottery in Egypt », *NARCE* 117, 30-31.

VENISE

1988, *I Fenici*, éd. Sabatino MOSCATI, Bompiani.

Marjorie Susan VENIT

1984, « Early Attic Black Figure Vases in Egypt », *JARCE* 31, 141-154.

1985a, « Laconian Black Figure in Egypt », *AJA* 89, 391-398.

1985b, « Two Early Corinthian Alabaster in Alexandria », *JEA* 71, 183-189.

Raphael VENTURA

1983, « More Chronological Evidence from Turin Papyrus Cat. 1907 + 1908 », *JNES* 42, 271-278.

Jean VERCOUTTER

1947-1949, « Les Haou-nebout », *BIFAO* 46 (1947), 125-158 ; 48 (1949), 107-209.

1963-1964, « Journal du voyage en Basse Nubie de Linant de Bellefonds (1821-1822) », *BSFE* 37-38, 39-64 ; 41, 23-32.

1964, « La stèle de Mirgissa IM 209 et la localisation d'Iken (Kor ou Mirgissa ?) », *RdE* 16, 179-191.

1972a, « La XVIII^e dynastie à Saï et en Haute Nubie », *CRIPEL* 1, 9-38.

1972b, « Une campagne militaire de Sêti I^{er} en Haute Nubie. Stèle de Saï S 579 », *RdE* 24, 201-208.

1975, « Le roi Ougaf et la XIII^e dynastie sur la II^e Cataracte (stèle de Mirgissa IM 375) », *RdE* 27, 222-234.

1976, « Egyptologie et climatologie. Les crues du Nil à Semneh », *CRIPEL* 4, 141-172.

1979a, « L'image du noir dans l'Égypte ancienne (des origines à la XXV^e dynastie) », *Meroitica* 5, 19-22.

1979b, « Balat sur la route de l'Oasis », dans *L'égyptologie en 1979*, I, 283-288.

1980a, « Le pays Irem et la pénétration égyptienne en Afrique (Stèle de Saï S. 579) », *Livre du Centenaire, MIFAO* 104, 157-178.

1980b, « Invention et diffusion des métaux et développement des systèmes sociaux jusqu'au V^e siècle avant notre ère », dans *Histoire Générale de l'Afrique*, I, UNESCO, 746-770.

1980c, « Le peuplement de l'Égypte ancienne », dans *Histoire Générale de l'Afrique, Études et Documents*, 1, 15-36.

1984, « L'Égypte et le Soudan nilotique, problèmes historiques et archéologiques », *BOREAS* 13, 115-124.

1987, « L'Égypte jusqu'à la fin du Nouvel Empire », in P. Lévêque : 1987.

Joseph VERGOTE

1961, *Toutankhamon dans les archives hittites*, *PIHAN Stamboul* 12.

1980, « À propos du nom de Moïse », *BSEG* 4, 89-95.

U. VERHOEVEN

1984, *Grillen, Kochen, Backen im Alltag und im Ritual Altägyptens. Ein lexicographischer Beitrag, Rites Égyptiens* 4.

Miroslav VERNER

1979, « Neue Schriftliche Quelle aus Abusir », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 179-182.

1980, « Die Königsmutter Chentkaus von Abusir und einige Bemerkungen zur Geschichte der 5. Dynastie », *SAK* 8, 243-268.

1982, « Eine zweite unvollendete Pyramide in Abusir », *ZÄS* 109, 75-78.

1985a, « Les sculptures de Reneferef découvertes à Abousir », *BIFAO* 85, 267-280.

1985b, « Les statuettes de prisonniers en bois d'Abousir », *RdE* 36, 145-152.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

1985c, « Un roi de la V^e dynastie : Reneferef ou Renefer ? », *BIFAO* 85, 281-284.
 1986, « Supplément aux sculptures de Reneferef découvertes à Abousir », *BIFAO* 86, 361-366.

M. VERNER & V. HASEK

1981, « Die Anwendung geophysikalischer Methoden bei der archäologischen Forschung in Abusir », *ZAS* 108, 68-84.

Pascal VERNUS

1970, « Quelques exemples du type du " parvenu " dans l'Égypte ancienne », *BSFE* 59, 31-47.

1975-1976, « Inscriptions de la Troisième Période Intermédiaire, I-III », *BIFAO* 75, 1-72 ; 76, 1-15.

1977, « Le dieu personnel dans l'Égypte pharaonique », « Colloques de la Société Ernest Renan », 143-157.

1978, « Un témoignage culturel du conflit avec les Éthiopiens », *GM* 29, 145-148.

1980, « Inscriptions de la Troisième Période Intermédiaire. Le texte oraculaire remployé dans le passage axial du III^e pylône de Karnak », *Karnak* 6, 215-233.

1982, « La stèle du roi Sekhemsankhtaouyré Neferhotep Iykhernofert et la domination Hyksôs (Stèle Caire JE 59635) », *ASAE* 68, 129-135.

1985, « Le concept de monarchie dans l'Égypte ancienne », in E. LE ROY LADURIE, *Les monarchies*.

VIAAWien = Veröffentlichungen des Instituts für Archäologie und Ägyptologie, Vienne.

Vladimir VIKENTIEV

1930, *La Haute crue du Nil et l'averse de l'an 6 de Taharqa*, Le Caire, IFAO.

VILLAMONT (Seigneur de)

1590, *Voyages en Égypte des années 1589, 1590 & 1591*, trad. de C. Burri, N. Sauneron et P. Bleser, Voyageurs IFAO, 1971.

Günther VITTMANN

1974, « Was There a Coregency of Ahmose with Amenophis I ? », *JEA* 60, 250-251.

1984, « Zu einigen keilschriftlichen Umschreibungen ägyptischer Personennamen », *GM* 70, 65-66.

1983, « Zur Familie der Fürsten von Athribis in der Spätzeit », *SAK* 10, 333-340.

Sven P. VLEEMINGS

1980, « The Sale of a Slave in the Time of Pharaoh Py », *OMRO* 61, 1-18.

Oleg V. VOLKOFF

1967, *Comment on visitait la vallée du Nil : les " guides " de l'Égypte*, *RAPH* 28.

1970, *À la recherche de manuscrits en Égypte*, *RAPH* 30.

1971, *Le Caire 969-1969. Histoire de la ville des " Mille et Une Nuits "*, IFAO, Bibliothèque Générale, 2, Le Caire.

1972, *Voyageurs russes en Égypte*, *RAPH* 32.

1981, « Notes additionnelles au Voyage en Égypte de Jean Coppin (1638-1646) (Édition de l'IFAO, 1971) », *BIFAO du Centenaire*, 471-504.

C. F. VOLNEY

1807, *Voyage en Syrie et en Égypte pendant les années 1783, 84 et 85*, 4^e éd. Paris.

Axel VOLTEN

1945, *Zwei altägyptische politische Schriften. Die Lehre für König Merikarê (Pap. Carlsberg VI) und die Lehre des Königs Amenemhet*, *AnAe* 4.

Michael VON BRETTEN

1585-1586, *Voyages en Égypte de Michael Von Bretten, 1585-1586*, traduits de l'allemand, présentés et annotés par O. V. Volkoff, Voyageurs IFAO 18, 1976.

Frédérique VON KÄNEL

1979, « Akhmîm et le IX^e nome de Haute Égypte », dans *L'égyptologie en 1979*, I, 235-238.

1984a, *Les prêtres-ouab de Sekhmet et les conjurateurs de Serket*, Bibliothèque de l'École Pratique des Hautes Études, V^e Section, 87.

BIBLIOGRAPHIE

- 1984b, « Les courtisanes de Psousennès et leurs tombes à Tanis », *BSFE* 100, 31-43.
- 1987, « La nêpe et le scorpion ». Une monographie sur la déesse Serket, Genève.
- Werner VYČIHL**
- 1972, « Die ägyptische Bezeichnung für den "Kriegsgefangenen" (sqr 'nh) », *GM* 2, 43-46.
- 1977, « Heliadors *Aithiopika* und die Volkesstämme des Reiches Meroë », dans *Ägypten und Kusch*, *Schr. Or.* 13, 447-458.
- 1982a, « Eine weitere Bezeichnung für den "Kriegsgefangenen" », *GM* 54, 75-76.
- 1982b, « Le nom des Hyksos », *BSEG* 6, 103-111.
- Guy WAGNER**
- 1977, « Nouvelles inscriptions d'Akôris », dans *Hommages Sauneron*, II, *BdE* 82, 51-56.
- 1979, « Nouveaux toponymes des oasis transcrits en grec, grécisés ou arabisés », dans *L'égyptologie en 1979*, I, 293-296.
- G. A. WAINWRIGHT**
- 1952, « Asiatic Keftiu », *AJA* 56, 196-212.
- F. W. WALBANK**
- 1979, « Egypt in Polybius », dans *Glimpses of Ancient Egypt, Studies in Honour of H. W. Fairman*, 180-189.
- Christiane WALLEY-LEBRUN**
- 1982, « Notes sur le temple d'Amon-Rê à Karnak, 1, L'emplacement insolite des obélisques d'Hatshepsout », *BIFAO* 82, 355-362.
- 1984, « Notes sur le temple d'Amon-Rê à Karnak, 2, Les w3dyt thoutmosides entre les IV^e et V^e pylônes », *BIFAO* 84, 317-333.
- William A. WARD**
- 1981, « Middle Egyptian sm3yt, "Archive" », *JEA* 67, 171-173.
- 1982, *Index of Egyptian Administrative and Religious Titles of Middle Kingdom*, Beyrouth.
- P. WARREN**
- 1985, « The Aegean and Egypt : Matters for Research », *DE* 2, 61-64.
- Barbara WATTERSON**
- 1984, *The Gods of Ancient Egypt*, Londres.
- T. VON DER WAY**
- 1984, *Die Textüberlieferung Ramses II. Zur Qades-Schlacht. Analyse und Struktur*, *HÄB* 22.
- WdO* = *Die Welt des Orients, Wissenschaftliche Beiträge zur Kunde des Morgenlandes*, Wuppertal, Stuttgart, puis Göttingen.
- Kent WEEKS**
- 1979, *Egyptology and the Social Sciences*, The American University in Cairo, Le Caire.
- 1985, *An Historical Bibliography of Egyptian Prehistory*, *ARCE Catalogue*, 6.
- Josef W. & Gary WEGNER**
- 1986, « Reexamining the Bent Pyramid », *VA* 2, 209-218.
- Raymond WEILL**
- 1900, « L'art de la fortification dans la haute antiquité égyptienne », *JA* 15, 80-142 et 200-253.
- 1904, *Recueil des inscriptions égyptiennes du Sinaï. Bibliographie, texte, traduction et commentaire...*, Paris.
- 1907, « Notes sur les monuments de la période thinite », *RT* 29, 26-53.
- 1912, *Les décrets royaux de l'Ancien Empire égyptien. Étude sur les décrets royaux trouvés à Koptos (campagne de 1910 et 1911)...*, Paris.
- 1926-1928, *Bases, méthodes et résultats de la chronologie égyptienne*, Paris.
- 1928, « le roi Neterkhet-Zeser et l'officier Imhotep à la pyramide à degrés de Saqqarah », *Revue de l'Égypte Ancienne* 2/1-2, 99-120.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

- 1929, « Les successeurs de la XII^e dynastie à Médamoud », *Revue de l'Égypte Ancienne* 2/3-4, 144-171.
- 1938a, « Notes sur les monuments de la pyramide à degrés de Saqqarah d'après les publications d'ensemble », *RdE* 3, 115-127.
- 1938b, « Le problème du site d'Avaris », *RdE* 3, 166.
- 1938c, « Sharouhen dans les textes de Ras-Shamra », *RdE* 3, 167.
- 1938d, « Le dieu cananéen Hwrwn sous les traits de Horus-faucon chez les Ramessides », *RdE* 3, 167-168.
- 1938e, « Un nouvel Antef de la XI^e dynastie », *RdE* 3, 169-170.
- 1940, « Sekhemre-Souaztaoui Sebekhotep à El Kab. Un nouveau roi, Sekhemre-Sankhtaoui Neferhotep, à El Kab et à Karnak », *RdE* 4, 218-220.
- 1946a, « Les ports antiques submergés de la Méditerranée orientale et le déplacement du niveau marin », *RdE* 5, 137-187.
- 1946b, « Les 'pr-w du Nouvel Empire sont les *habiri* des textes accadiens ; ces *habiri* (exactement *hapiri*) ne sont pas des " Hébreux " », *RdE* 5, 251-252.
- 1948, « Notes sur l'histoire primitive des grandes religions égyptiennes », *BIFAO* 47, 59-150.
- 1949, « Un nouveau pharaon de l'époque tardive en Moyenne Égypte et l'Horus de Deir el-Gebrāwi, XII^e nome », *BIFAO* 49, 57-65.
- 1950a, « Les nouvelles propositions de reconstruction historique et chronologique du Moyen Empire », *RdE* 7, 89-105.
- 1950b, « Le roi Hotepibre Amou-se-Hornezherit », *RdE* 7, 194.
- 1951, « Une question inattendue : comment les rois de l'Ancien Empire ont-ils été conduits à faire les Grandes Pyramides ? », *RdE* 6, 232-234.
- 1961, *Recherches sur la I^{re} dynastie et les temps prépharaoniques*, *BdE* 38.
- JAMES M. WEINSTEIN**
- 1981, « The Egyptian Empire in Palestine : a Reassessment », *BASOR* 241, 1-28.
- Fred WENDORF**
- 1982, « Food Production in the Paleolithic. Excavations at Wadi Kubaniya : 1981 », *NARCE* 116, 13-21.
- F. WENDORF & R. SCHILD**
- 1984, *Cattle-keepers of the Eastern Sahara, The Neolithic of Bir Kiseiba*, Department of Anthropology, Southern Methodist University, Dallas.
- Stefen WENIG**
- 1973, « Nochmals zur 1. und 2. Nebendynastie von Napata », *Meroitica* 1, 147-160.
- 1978, *Africa in Antiquity. The Arts of Ancient Nubia and the Sudan*, 1-2, Brooklyn. *Wepwatwet*, Cambridge.
- Marcelle WERBROUCK**
- 1938, *Les pleureuses dans l'Égypte ancienne*, Bruxelles.
- E. K. WERNER**
- 1982, « The Amarna Period of the Eighteenth Dynasty Egypt Bibliography Supplement 1980-1981 », *NARCE* 120, 3-21.
- 1984, « The Amarna Period of the Eighteenth Dynasty Egypt Bibliography Supplement 1982-1983 », *NARCE* 126, 21-39.
- Vilmos WESSETZKY**
- 1973, « Die ägyptische Tempelbibliothek », *ZÄS* 100, 54-59.
- 1977, « An der Grenze von Literatur und Geschichte », dans *Fragen an die alt-ägyptische Literatur, Studien E. Otto*, Wiesbaden, 499-502.
- 1984, « Die Bücherliste des Tempels von Edfu und Imhotep », *GM* 83, 85-90.
- Wolfhart WESTENDORF**
- 1974, « Das Eine und die Vielen. Zur Schematisierung der altägyptischen Religion trotz ihrer Komplexität », *GM* 13, 59-61.
- 1976, « Achenatens angebliche Selbstverbannung nach Amarna », *GM* 20, 55-58.
- 1979, *Aspekte der spätdägyptischen Religion*, *GOF* IV/9.

BIBLIOGRAPHIE

- 1983a, « Raum und Zeit als Entsprechungen der beiden Ewigkeiten », *ÄAT* 5, 422-435.
- 1983b, « Die Geburt der Zeit aus dem Raum », *GM* 63, 71-76.
- J. WIESNER**
s.d. *L'art égyptien*, Payot.
- Walter WIFALL**
1981, « The Foreign Nations : Israel's Nine Bows' », *BES* 3, 113-124.
- Henri WILD**
1972, « Une statue de la XII^e dynastie utilisée par le roi hermopolitain Thot-em-hat de la XXIII^e », *RdE* 24, 209-215.
- J. WILD**
1606-1610, *Voyages en Égypte de J. Wild*, trad. et comm. d'O.V. Volkoff, Voyageurs IFAO, 1973.
- Dietrich WILDUNG**
1969a, *Die Rolle ägyptischer Könige im Bewusstsein ihrer Nachwelt*, I, *MÄS* 17.
1969b, « Zur Deutung der Pyramide von Medûm », *RdE* 21, 133-145.
1969c, « Zur Frühgeschichte des Amun-tempels von Karnak », *MDAIK* 25, 212-219.
1972, « Ramses, die grosse Sonne Ägyptens », *ZÄS* 99, 33-41.
1974, « Aufbau und Zweckbestimmung der Königsliste von Karnak », *GM* 9, 41-48.
1977a, *Imhotep und Amenhotep. Gottwerdung in alten Ägypten*, *MÄS* 36.
1977b, *Egyptian Saints. Deification in Pharaonic Egypt*, Hagop Kevorkian Series on Near Eastern Art and Civilization, New York.
1984a, *L'Age d'Or de l'Égypte, le Moyen Empire*, P.U.F., Paris.
1984b, « Zur Formgeschichte der Landeskronen », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 967-980.
1985, *Ni-user-re Sonnenkönig-Sonnegott*, *SAS* 1.
- R. H. WILKINSON**
1985, « The Horus Name and the Form and Significance of the Serekh in the Royal Egyptian Titulary », *JSSSEA* 15, 98-104.
- H. O. WILLEMS**
1983-1984, « The Nomarchs of the Hare Nome and Early Middle Kingdom History », *JÉOL* 28, 80-102.
- Bruce WILLIAMS**
1985, « A Chronology of Meroitic Occupation below the Fourth Cataract », *JARCE* 22, 149-195.
- R. J. WILLIAMS**
1964, « Literature as a Medium of Political Propaganda in Ancient Egypt », in **W. S. McCULLOUGH**, *The Seed of Wisdom*, Toronto, 14-30.
- John A. WILSON**
1930, « The Language of the Historical Texts Commemorating Ramses III, in *Medinet Habu Studies 1928/1929* », *OIC* 7, 24-33.
1973, « Akh-en-Aton and Nefert-iti », *JNES* 32, 235-241.
- S. WILSON**
1983, *Saints and Their Cults. Studies in Religious Sociology, Folklore and History*, Cambridge.
- Erich WINTER**
1957, « Zur Deutung der Sonnenheiligtümer der 5. Dynastie », *WZKM* 54, 222-233.
- K. A. WITTFOGEL**
1976, *Oriental Despotism. A Comparative Study of Total Power*, réédition, New Haven.
- W. WOLF**
1986, *Die Welt der Ägypter*, Essen.
- G. R. WRIGHT**
1979, « The Passage on the Sea », *GM* 33, 55-68.

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

WZKM = Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes, Vienne.

WZU Halle = Wissenschaftliche Zeitschrift der Universität Halle, Halle.

Sh. YERVIN

1965, « Who Were the *Mntyw* ? », *JEA* 51, 204-206.

1976, « Canaanite Ritual Vessels in Egyptian Cultic Practices », *JEA* 62, 110-114.

Ahmed Abd el-Hamid YOUSSEF

1964, « Merenptah's Fourth Year Text at Amada », *ASAE* 58, 273-280.

Jean YOYOTTE

1950a, « Les filles de Têti et la reine Seshé du papyrus Ebers », *RdE* 7, 184-185.

1950b, « Les grands dieux et la religion officielle sous Sêti I^{er} et Ramsès II », *BSFE* 3, 17-22.

1951a, « Le martelage des noms royaux éthiopiens par Psammétique II », *RdE* 8, 215-239.

1951b, « Un document relatif aux rapports de la Libye et de la Nubie », *BSFE* 6, 9-14.

1952, « Un corps de police de l'Égypte pharaonique », *RdE* 9, 139-151.

1953, « Pour une localisation du pays de *Iam* », *BIFAO* 52, 173-178.

1958, « À propos de la parenté féminine du roi Têti (IV^e dynastie) », *BIFAO* 57, 91-98.

1960a, art. « Néchao », in *Supplément au Dictionnaire de la Bible*, VI, 363-394.

1960b, « Le talisman de la victoire d'Osorkon », *BSFE* 31, 13-22.

1961, « Les principautés du Delta au temps de l'anarchie libyenne, études d'histoire politique », *MIFAO* 66, 121-181.

1962, « Processions géographiques mentionnant le Fayoum et ses localités », *BIFAO* 61, 79-138.

1972a, « Petoubastis III », *RdE* 24, 216-223.

1972b, « Les Adoratrices de la III^e Période Intermédiaire, à propos d'un chef-d'œuvre rapporté par Champollion », *BSFE* 64, 31-52.

1972c, « Une statue de Darius découverte à Suse », *JEA* 1972, 235-266.

1975, « Les *Sementiou* et l'exploitation des régions minières de l'Ancien Empire », *BSFE* 72, 44-55.

1976-1977, « " Osorkon fils de Mehytouskhe ", un pharaon oublié ? », *BSFE* 77-78, 39-54.

1977, « Une notice biographique du roi Osiris », *BIFAO* 77, 145-150.

1980a, « Une monumentale litanie de granit : les Sekhmet d'Aménophis III et la conjuration permanente de la déesse dangereuse », *BSFE* 87-88, 46-75.

1980b, « L'Égypte pharaonique : société, économie et culture », dans *Histoire Générale de l'Afrique*, UNESCO, II, 107-132.

1980-1981, « Héra d'Héliopolis et le sacrifice humain », *Annuaire de l'École Pratique des Hautes Études*, V^e Section, 89, 31-102.

1981, « Le général Thouti et la perception des tributs syriens », *BSFE* 91, 33-51.

1982-1983, « Le dieu Horemheb », *RdE* 34, 148-149.

1987, « Tanis », suivi de « Pharaons, guerriers libyens et grands prêtres » La Troisième Période Intermédiaire, dans Paris : 1987, 25-75.

Jean YOYOTTE & Jesus LÓPEZ

1969, « L'organisation de l'armée et les titulatures de soldat au Nouvel Empire égyptien », *BiOr* 26, 3-19.

Jean YOYOTTE & Serge SAUNERON

1949, « Le martelage des noms royaux éthiopiens et la campagne nubienne de Psammetik II », *BSFE* 2, 45-49.

Frank J. YURCO

1977-1978, « Meryet-Amun : Wife of Ramesses II or Amenhotep I? A Review », *Serapis* 4, 57-64.

BIBLIOGRAPHIE

- 1980, « Sennacherib's Third Campaign and the Coregency of Shabaka and Shebitku », *Serapis* 6, 221-240.
- 1986, « Merenptah's Canaanite Campaign », *JARCE* 23, 189-215.
- Louis V. ZABKAR**
- 1972, « The Egyptian Name of the Fortress of Semna South », *JEA* 58, 83-90.
- 1975, « Semna South : the Southern Fortress », *JEA* 61, 42-44.
- Ran ZADOK**
- 1977, « On Some Egyptians in First-millennium Mesopotamia », *GM* 26, 63-68.
- 1983, « On Some Egyptians in Babylonian Documents », *GM* 64, 73-75.
- ZAS = Zeitschrift für Ägyptische Sprache und Altertumskunde*, Leipzig, puis Berlin.
- Karl-Theodor ZAUZICH**
- 1978, « Neue Namen für die Könige Harmachis und Anchnachis », *GM* 29, 157-158.
- Abd el-Hamid ZAYED**
- 1980, « Relations de l'Égypte avec le reste de l'Afrique », dans *Histoire Générale de l'Afrique*, II, UNESCO, 133-152.
- ZDPV = Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins*, Leipzig, Wiesbaden.
- Karola ZIBELIUS**
- 1979, « Zu Form und Inhalt der Ortsnamen des alten Reiches », *ÄAT* 1, 456-477.
- 1981-1982, « Zur Entstehung des altägyptischen Staates », *GM* 53, 63-74.
- Christiane ZIEGLER**
- 1987, « Les arts du métal à la Troisième Période Intermédiaire », dans *Paris : 1987*, 85-101.
- K. ZIEGLER, W. SONTHEIMER & G. GÄRTNER**
- 1979, *Der Kleine Pauly. Lexikon der Antike, auf der Grundlage von Pauly's Realencyclopädie der klassischen Altertumswissenschaft*, DTV 1-5.
- Thierry ZIMMER**
- 1988, « Les voyageurs modernes à Karnak : rapport préliminaire », *Karnak* 8, 391-406.
- J. R. ZISKIND**
- 1973, « The International Legal Status of the Sea in Antiquity », *AcOr* 35, 35-49.
- Alain-Pierre ZIVIE**
- 1972, « Un monument associant les noms de Ramsès I^{er} et de Séthi I^{er} », *BIFAO* 72, 99-114.
- 1975, « Quelques remarques sur un monument nouveau de Mérenptah » *GM* 18, 45-50.
- 1979, « Du bon usage des traditions littéraires et des légendes populaires : à propos du Caire et de sa région », dans *L'égyptologie en 1979*, I, 303-304.
- 1981, « Du côté de Babylone. Traditions littéraires et légendes au secours de l'archéologie », dans le *Livre du Centenaire*, *MIFAO* 104, 511-517.
- Christiane M. ZIVIE**
- 1972, « Nitocris, Rhodopis et la troisième pyramide de Giza », *BIFAO* 72, 115-138.
- 1974a, « Princes et rois du Nouvel Empire à Giza », *Stud. Aeg.* 1, 421-433.
- 1974b, « Les colonnes du " Temple de l'Est " à Tanis — épithètes royales et noms divins », *BIFAO* 74, 93-122.
- 1976, *Giza au deuxième millénaire*, IFAO, BdE 70.
- 1980, « La Stèle d'Aménophis II à Giza — A propos d'une interprétation récente », *SAK* 8, 269-284.
- 1981, « Bousiris du Létopolite », dans le *Livre du Centenaire*, *MIFAO* 104, 91-107.

فهرست الكتاب

صفحة

٥

مقدمة

الباب الأول : عصر التأسيس والتكوين

٢٣

الفصل الأول - من حقبة ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية :

الأطر العامة - التكوين - السكان الأوائل

الصيادون والمزارعون - نحو العصر الحجري الحديث - " بدايات "

عصر ما قبل الأسرات - عصر ما قبل الأسرات القديم - مرحلة جرزة

الكتابة - الوحدة السياسية - الصلايات

٥٢

الفصل الثاني - الديانة والتاريخ

شارات المقاطعات - الكونيات - من الأسطورة إلى التاريخ

٦١

الفصل الثالث - العهد الثيني :

الملوك الأوائل - التقويم والتأريخ الزمني - نهاية الأسرة الأولى

الأسرة الثانية - النظام الملكي الثيني :

الباب الثاني : العصر الكلاسيكي

٧٩

الفصل الرابع - الدولة القديمة :

ظهور الأسرة الثالثة - " جسر و " إيمحوتب " - نهاية الأسرة الثالثة

" سنفر و " : - " خوف و " : - خلفاء " خوف و " - " أوسر فكا " والفترة

الأولى من الأسرة الخامسة - التفوق الهلوبي لثاني - " إيسيس "

و " أوذاس " .

ميلاد الأسرة السادسة - " بيبى " الأول - التوسع ناحية الجنوب

نحو نهاية الدولة القديمة - المجتمع والسلطة - الفن التشكيلي

المصري : فن نحت التماثيل - النقش والرسم .

الفصل الخامس - العقائد الجنائزية :

من كوم التراب والحجر إلى المصطبة - العنصر اللازمة لاستمرار الحياة
فى العالم الآخر أولى الأهرامات - مجموعة الجيزة
المجموعة الجنائزية - معبد الشمس - مكون الأهرام
مقابر الأفراد - الطقوس والشعائر الجنائزية - مواضيع الزخرفة

الفصل السادس - الصراع من أجل السلطة :

الإنهيار - الورثة - زعماء مدينتى هيراكليوبوليس وطيبة
الحكمة والتشاؤم - الإنسان يواجه الموت - الفن الإقليمي

الفصل السابع - الدولة الوسطى :

الوحدة ومراحلها الأولى - أمنمحات الأول - الأدب والسياسة
العالم الخارجى - الدولة الوسطى فى قمة أمجادها
نهاية الأسرة الثانية عشرة - الكلاسيكية .

الفصل الثامن - الفـزـو:

عصر الإنتقال الثانى - الأستمرارية - " نفرحوتب " الأول
و " سوبك حوتب " الرابع - الهكسوس - ملوك طيبة
إعادة فتح مصر .

الباب الثالث : الإمبراطورية

الفصل التاسع - التحامسة :

أحمس - مصدر الأسرة الثامنة عشرة - حتشبسوت
تحوتمس الثالث وأمجاده - " امنحوتب " الثانى و " تحوتمس الرابع
" امنحوتب " الثالث وبلوغ الأسرة الثامنة عشرة أوج ازدهارها .

الفصل العاشر . إخناتون

خلفاء امنحوتب الثالث - الإصلاح الدينى العائلة المالكة
" أفق آتون " - إنتقام آمون

نسب أسرة الرعامسة وموطنها الأصلي - رمسيس الثانى والصدام
 بين المصريين والحِثيين - الخروج - الأمبراطورية معاهد مصر
 مصاعب وراثية العرش بعد رمسيس الثانى
 أعمال الاغتصاب والتعدى - رمسيس الثالث
 مجتمع الحرفيين بدير المدينة - الملوك والكهنة

معبد الكرنك .

الباب الرابع - خاتمة المطاف :

" سمندس " و "بى نجم" - طيبة وتانىس - الليبيون
 " الفوضى الليبية "

الغزو الإثيوبي - صعود نجم آشوره " بسمتك " الأول و " تجديد
 الولادة " فى العصر الصاوى - الشرق الأدنى والبحر المتوسط - الإغريق
 فى مصر - الإنفتاح على العالم الخارجى

الفرس فى مصر - مصر تسترد استقلالها
 الأسرة الوطنية الأخيرة - سيد العالم الجديد.

رقم الإيداع ٧١٧٣ / ١٩٩٠
I . S . B . N : 977 - 5091 - 00 - 4

إعداد فنى : سعدالدين عطية

تاريخ مصر القديمة

مؤلف هذا الكتاب هو نيقولا جريمال أستاذ المصريات بالسوربون، ودير المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة. يعالج جريمال هذا مجمل تاريخ مصر القديمة منذ ما قبل التاريخ حتى فتح الإسكندر، في أحدث ترتيب زمني موثوق به، وبمنهج تجميعي تحليلي يعتمد على ذخيرة هائلة ومتنوعة من المعلومات. يتميز الكتاب بما أولاه مؤلفه من أهمية خاصة للحياة الاقتصادية وعلم اللغة والأنثروبولوجيا وتطور العنوز والأدب والعمارة. ويضم الكتاب العديد من الصور والجداول والخرائط التوضيحية وقائمة بأسماء ملوك مصر بالخط الهيروغليفي داخل خراطيش، وترجمة للعديد من النصوص المصرية القديمة. صدر هذا الكتاب في باريس في أواخر ١٩٨٨، وفور صدوره بدأت دار الفكر تعد لإصدار طبعة عربية منه.

الطبعة الثانية

Bibliotheca Alexandrina



0374049

دار الفكر
للدراسات
والشرائع



السعر